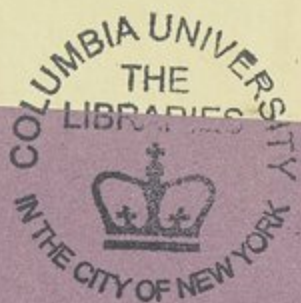
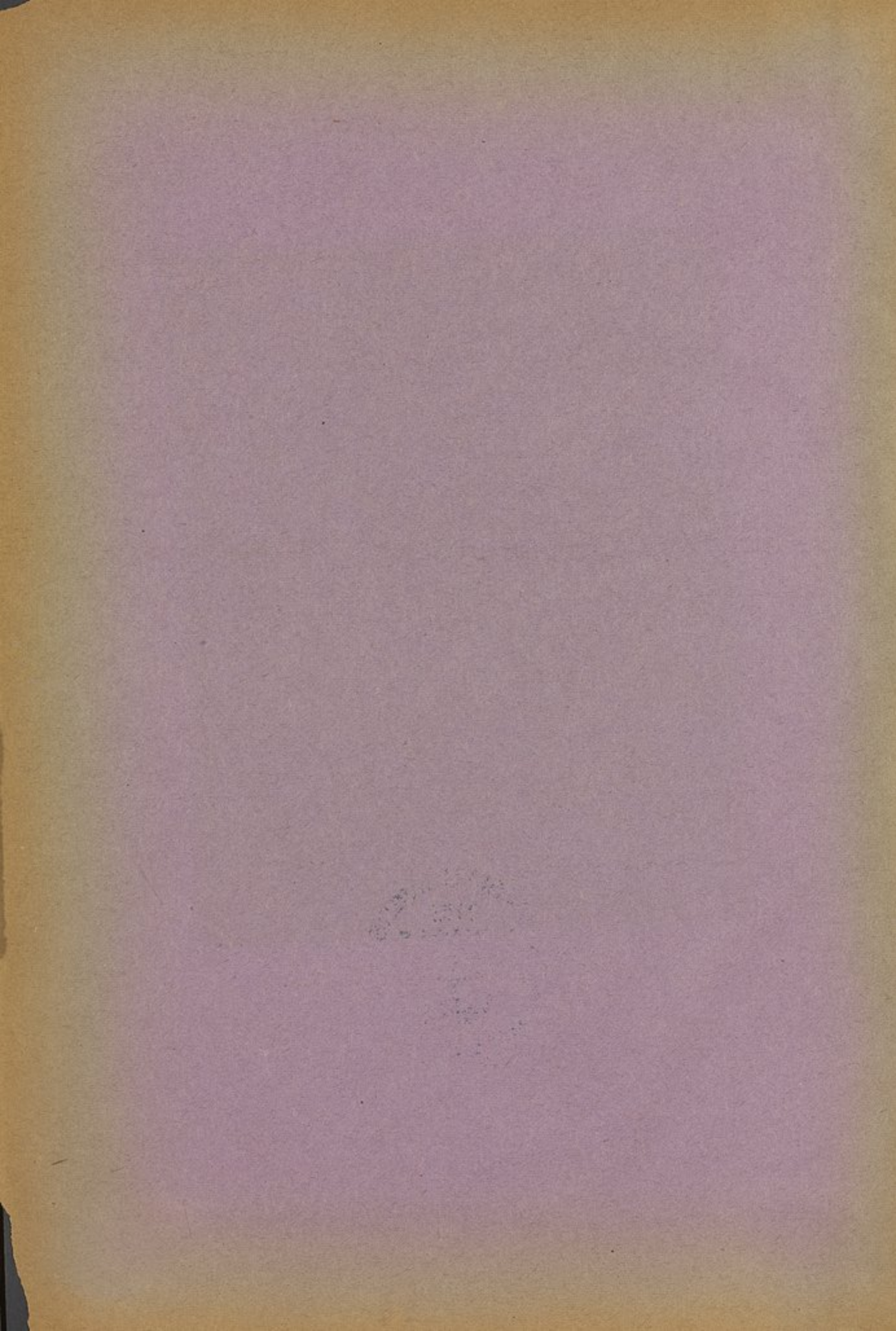
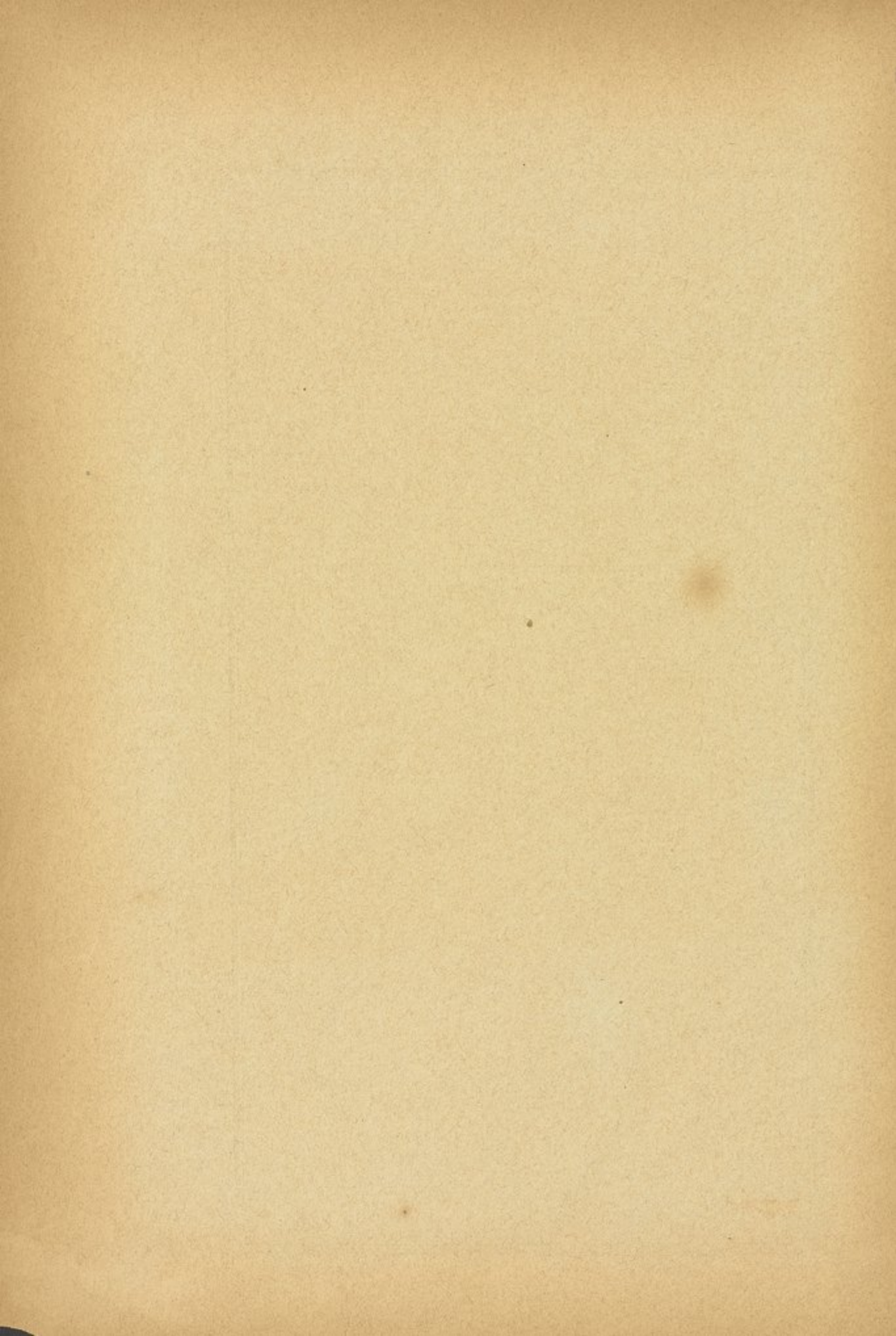




W. Arthur Jeffery







* (فهرسة الجزء الخامس من تفسير الحافظ
ابن كثير) *

* (فهرسة الجزء الخامس من تفسير فتح
البيان) *

| صفحة | |
|------|---------------------------------------|
| ٢ | من سورة التوبة يا أيها الذين آمنوا ان |
| | كنيرامن الاحباروالرهبان |
| ٩٦ | سورة يونس عليه السلام |
| ١٤٣ | سورة هود عليه السلام |
| ١٨٣ | سورة يوسف عليه السلام |
| ٢٣٥ | سورة الرعد |
| ٢٧٤ | سورة ابراهيم عليه السلام |
| ٢١٣ | سورة الحجر |
| ٢٢٨ | سورة النحل |

* (تمت) *

| صفحة | |
|------|--------------------------|
| ٢ | سورة يوسف عليه السلام |
| ٨٧ | سورة الرعد |
| ١٣٠ | سورة ابراهيم عليه السلام |
| ١٦٨ | سورة الحجر |
| ٢٠٦ | سورة النحل |
| ٢٩٤ | سورة بني اسرائيل |
| ٢٧٥ | سورة الكهف |

* (تمت) *

Buristax

BP

130.4

.M79

18825

v.5

(الجزء الخامس من)

من التفسير المسمى فتح البيان
في مقاصد القرآن للسيد الامام المجتهد المحقق
الهمام المؤيد من مولاه القدير الباري أبي الطيب
صديق بن حسن القنوجي البخاري ملك
مدينة بهوبال حاليا بقطار الهندية
لا زالت كوكاكب فضله
في الافاق زاخرة

مضيه

آمين

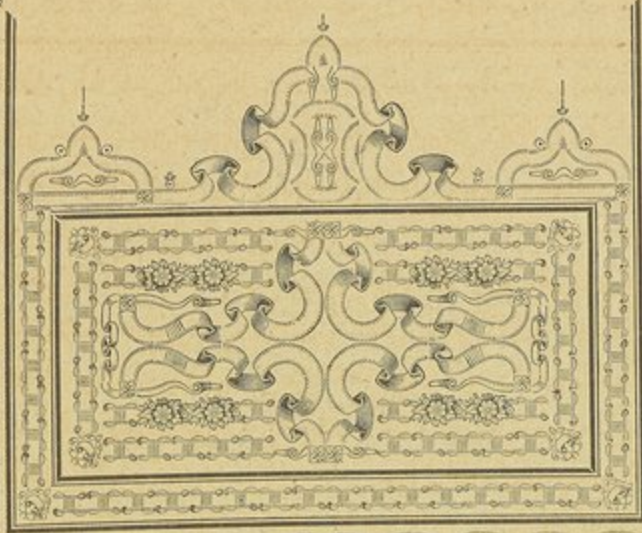
وبهامشه تفسير الامام الجليل الكبير الحافظ عماد الدين أبي القداء اسمعيل بن عمر بن
كثير القرشي الدمشقي المولود سنة سبعمائة وعشرة المتوفى سنة سبعمائة وأربعة وسبعين
وهذا التفسير جليل فسر بالاحاديث والآثار مسندة من أصحابها مع
الكلام على ما يحتاج اليه جرحا وتعديلا اه من كشف الظنون

(الطبعة الاولى)

(بالمطبعة الكبرى الميرية ببولاق مصر المحمية)

سنة ١٣٠١ هجرية

(بأبها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعباد اليم يوم يحمى عليهم في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكفرون) قال السدي الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى وهو كما قال فان الاحبار هم علماء اليهود كما قال تعالى لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت والرهبان عباد النصارى والقسيسون علماءهم كما قال تعالى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا والمقصود التحذير من علماء السوء وعباد الضلال كما قال سفيان بن عيينة من فسد من علمائنا كان فيه شبهة من اليهود ومن فسد من عبادنا كان فيه شبهة من النصارى وفي الحديث الصحيح لتركبن سنن من كان قبلكم حدوا القذة بالقذة قالوا اليهود والنصارى قال فن وفي رواية فارس والروم قال ومن الناس الاهولاء والحاصل التحذير من التشبه بهم في أقوالهم وأحوالهم ولهذا قال تعالى لياكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله وذلك انهم ياكلون الدنيا بالدين ومناصبهم ورياستهم



بسم الله الرحمن الرحيم

* (سورة يوسف عليه السلام) *

قيل هي مائة واحد عشر آية وهي مكية كلها وقيل نزلت ما بين مكة والمدينة وقت الهجرة وقال ابن عباس وقتادة الأربع آيات قال القرطبي قال العلماء ذكر الله أقاصيص الانبياء في القرآن وكررها بمعنى واحد في وجوه مختلفة بالفاظ متباينة على درجات البلاغة وقد ذكر قصة يوسف ولم يكررها فلم يقدر مخالف على معارضة ما تكرروا على معارضة ما لم يتكرر

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(الر) قد تقدم الكلام فيه في فاتحة سورة يونس (تلك آيات الكتاب المبين) أي تلك الآيات التي أنزلت اليك في هذه السورة آيات السورة الظاهر أمرها في انجاز العرب وتسكينهم والمبين من أبان بمعنى بان أي الظاهر أمره في كونه من عند الله وفي اعجازه بتوعيه لاسيما الاخبار عن الغيب او الواضح معانيه للعرب بحيث لا يلتبس على قارئه وسامعه لتزوله على لغتهم أو بمعنى بين أي المبين لما فيه من الاحكام والشرائع وخفاء الملك والملكوت واسرار النشأتين في الدارين أو المبين فيه قصص الاولين وشرح أحوال المتقدمين أو قد أي فيها ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف قال قتادة مبين بينه الله ببركته ورشده فهذا من بان أي ظهر وقال الزجاج مبين للحق من الباطل والاحلال من

في الناس يا كونه أموالهم بذلك كما كان لأخبار اليهود على أهل الجاهلية شرف ولهم مندهم خرج وهدايا وضرائب يحيى إليهم فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم استمروا على ضلالهم وكفروهم وعنادهم طمعاً منهم أن تبقى لهم تلك الرياسات فأطفاها الله بنور النبوة وسلمهم إياها وعوضهم الذل والصغار وبأوا بغضب من الله تعالى وقوله تعالى ويصدون عن سبيل الله أي وهم مع أكلهم الحرام يصدون الناس عن اتباع الحق ويلبسون الحق بالباطل ويظهرون لمن اتبعهم من الجهلة أنهم يدعون إلى الخير وليسوا كما يزعمون بل هم دعاة إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون وقوله والذين يكتزون (٣) الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله

الآية هؤلاء هم القسم الثالث من رؤس الناس فإن الناس عامة على العلماء وعلى العباد وعلى أرباب الأموال فإذا فسدت أحوال هؤلاء فسدت أحوال الناس كما قال ابن المبارك

وهل أفسد الدين إلا الملوكة وأخبار سوء ورهبانها وأما الكنز فقال مالك عن عبيد الله بن دينار عن ابن عمر وهو المال الذي لا تؤدى زكاته وروى الثوري وغيره عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال ما أدى زكاته فليس يكتزون كان تحت سبع أرضين وما كان ظاهراً لا تؤدى زكاته فهو كنز وقد روى هذا عن ابن عباس وجابر وأبي هريرة موقوفاً ومرفوعاً وقال ابن عمر الخطاب نحوه أي ما أديت زكاته فليس يكتزون كان مدفوناً في الأرض وأيمال لم تؤدى زكاته فهو كنز يكرى به صاحبه وإن كان على وجه الأرض وروى البخاري من حديث الزهري عن خالد بن أسلم قال خرجنا مع عبد الله بن عمر فقال هذا قبل أن تنزل

الحرام فهذا من أبان بمعنى أظهر قال مجاهد بن الله حلاله وحرامه وعن معاذ قال بين الله الحروف التي سقطت عن ألسن الأعاجم وهي ستمة أحرف (أنا أنزلناه) أي الكتاب المبين حال كونه (قرآناً) فعلى تقدير أن الكتاب السورة يكون تسميتها قرآناً باعتبار أن القرآن اسم جنس يقع على الكل وعلى البعض وعلى تقدير أن المراد به ككل القرآن فتكون تسميته قرآناً واختصه و (عربياً) صفة لقرآن أي على لغة العرب وفيه من غير لسان العرب مثل سجيل ومشكاة وأليم واستبرق ونحو ذلك قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وهذا هو الصحيح وأنكرها أبو عبيدة محتجاً بهذه الآية والجمع أنها ما تكلمت بها العرب نسبت إليهم وصارت لهم لغة (لعلكم تعقلون) أي لكي تعلموا معانيه وتفهموا ما فيه لأنه نازل بلغثكم أخرج الحاكم عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تلا قرآناً عربياً ثم قال ألهم اسمعيل هذا اللسان العربي الهاما وعن مجاهد قال نزل القرآن بلسان قريش وهو كلامهم (نحن نقص عليك أحسن القصص) هو تتبع الشيء ومنه قوله تعالى وقالت لا نختمه قصبه أي تتبع أثره وهو مصدر وسميت الحكاية قصة لأن الذي يقص الحديث يذكر تلك القصة شيئاً فشيئاً والتقدير نقص عليك قصصاً أحسن القصص فيكون بمعنى الاقتصاد أو هو بمعنى المفعول أي المقصوص والظاهر أنه أحسن ما يقص في بابه قال ابن عباس قالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فنزلت هذه الآية وعن ابن مسعود مثله وقال قتادة نقص عليك من الكتب الماضية والقرون الخالية وأمر الله السابقة في الأمم أحسن البيان واختلف في وجه كون هذه السورة أو القرآن هو أحسن القصص فقليل لأن ما في هذه السورة من القصص يتضمن من العبر والمواعظ والحكم ما لم يكن في غيرها وقيل لما فيها من حسن المخاطبة وما كان من يوسف عليه السلام من الصبر على أذاهم وعنفوه عنهم وقيل لأن فيها ذكر الأنبياء والصالحين والملائكة والشياطين والجن والانس والانعام والطير وسير الملوكة والمماليك والتجار والعلماء والجهال والرجال والنساء وحيلهن ومكرهن وقيل لأن فيها ذكر الحبيب والمحبوب وما دار بينهما وقيل أن أحسن هنا بمعنى أعجب وقيل إن كل من ذكر فيها كان ما له السعادة قال خالد بن معدان سورة يوسف وسورة مريم يتفكهنهما أهل الجنة في الجنة وقال عطاء لا يسمع سورة يوسف محزون الاستراح إليها (بما أوحينا) بما جئنا

الزكاة فلما نزلت جعلها الله طهرة للأموال وكذا قال ابن عمر بن عبد العزيز وعمر بن الخطاب نسجها قوله تعالى خذ من أموالهم صدقة الآية وقال سديد بن محمد بن زياد عن أبي أمامة أنه قال حلية السيف من الكنز ما أحدثكم الامامة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الثوري عن أبي حصين عن أبي النخعي عن جعدة بن هبيرة عن علي رضي الله عنه قال أربعة آلاف فادونها نفقة فما كان أكثر من ذلك فهو كنز وهذا غريب وقد جاء في مدح النقل من الذهب والفضة وضم التكنز منها ما أحاديث كثيرة ولنورد منها هنا طرفاً يدل على الباقي قال عبد الرزاق أخبرنا الثوري أخبرني أبو حصين عن أبي النخعي عن جعدة بن هبيرة عن

على رضى الله عنه في قوله والذين يكتزون الذهب والفضة الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم تبالذهب تبالفضة يقولها ثلاثا
قال فسحق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا فأى مال تتخذ فقال عمر رضى الله عنه أنا أعلم لكم ذلك فقال
يا رسول الله إن أصحابك قد شق عليهم وقالوا فأى المال تتخذ قال لساناذا كرا وقلباشا كرا وزوجة تعين أحدكم على دينه حديث
آخر قال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن عمرو بن مرة عن أبي محمد بن جعفر حدثنا شعبة حدثني سالم بن عبد الله أخبرنا عبد الله بن
أبي الهذيل حدثني صاحب لي أن رسول الله (٤) صلى الله عليه وسلم قال تبالذهب والفضة قال وحديثي صاحبى انه انطلق

مع عمر بن الخطاب فقال يا رسول
الله قولك تبالذهب والفضة
ماذا ندر قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لساناذا كرا وقلباشا كرا
وزوجة تعين على الآخرة حديث
آخر قال الامام أحمد حدثنا وكيع
حدثنا عبد الله بن عمرو بن مرة
عن أبيه عن سالم بن أبي الجعد عن
ثوبان قال لما نزل في الذهب والفضة
ما نزل قالوا فأى المال تتخذ قال
عمر فأنأعلم لكم ذلك فأوضع على
بغير فأدركه وأنا فى اثره فقال
يا رسول الله أى المال تتخذ قال
قلباشا كرا ولساناذا كرا وزوجة
تعين أحدكم على أمر الآخرة
ورواه الترمذى وابن ماجه من غير
وجه عن سالم بن أبي الجعد وقال
الترمذى حسن وحكى عن البخارى
ان سالم لم يسمعه من ثوبان قلت
ولهذا رواه بعضهم عنه من سلا
والله أعلم حديث آخر قال ابن
أبي حاتم حدثنا أبو حدثنا حميد بن
مالك حدثنا يحيى بن يعلى المحاربى
حدثنا أبو حدثنا غيلان بن جامع
المحاربى عن عثمان بن أبي القظان
عن جعفر بن أبي ياس عن مجاهد

(الملك هذا القرآن وان كنت من قبله) أى من قبل ايماننا الملك (من الغافلين) عن
هذه القصة لم تحظر بالملك ولم تقرع سمك (اذ) أى اذ كروقت أن (قال يوسف لايه)
قرأ الجهور يوسف بضم السين وقرئ بكسر هاء مع الهمزة مكان الواو وحكى الهمزة وفتح
السين وهو اسم عبرانى غير منصرف للعلمية والمجبة وقيل هو عربى والاول أولى بدليل عدم
صرفه وأبوه يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وعاش يوسف من العمر مائة وعشرين سنة
ذكره السيوطى فى التكميل (ياأبت) بكسر تاء التانيث اللفظى التى هى عوض عن ياء
المتكلم المحذوفة وأصله ياأبى وهذا التعويض مختص بلفظين ياأبت وياأمت ولا يجوز
فى غيرهما من الاسماء ومن نص على كونها للتانيث سيبويه والخليل ويدل عليه كتبهم
اياهاها وقياس من وقف بالتاء ان يكتبها تاء كنبت وأخت وجاز الحاقها بالمد ككما جاز
جماعة ذكر وشاة ذكر ورجل ربعة وغللام ببعة (انى رأيت) من الرؤيا النومية لامن
الرؤية البصرية كما يدل عليه لانتقص رؤياك على اخوتك قال ابن عباس رؤيا الانبياء
حق وكانت هذه الرؤيا ليله الجمعة وكانت ليلة القدر فرأى ان أحد عشر كوكبا نزلت من
السماء ومعها الشمس والقمر فسجدوا له وكان يوسف اذ ذاك ابن اثنتى عشرة سنة وقيل
سبع عشرة سنة وقيل سبع سنين (أحد عشر كوكبا) وهى جريان والطارق والذبال
وقابس وعمودان والفليق والمصبح والصروح والفرع ووثاب وذوالسكتين
قاله البيضاوى وهى نجوم غير مرصودة خصت بالرؤيا الغيبية عنده قاله الشهاب وورد
فى حديث أسماء وأنها حكى ذلك ساقه السيوطى فى الدر المنثور ورفقه الضعفاء والمتروكون وقال
ابن الجوزى هو موضوع قال ابن عباس أحد عشر كوكبا اخوته والشمس أمه والقمر أبوه
وعن قتادة والسدى وابن زيد نحوه (والشمس والقمر) آخرهما عن الكواكب لاظهار
مزيتهما وشرفهما كما فى عطف جبريل وميكائيل على الملائكة وقيل ان الواو بمعنى مع
(رأيتهم لى ساجدين) مستأنفة لبيان الحالة التى رأهم عليها كأن سائل سأل فقال كيف
رأيتهم فاجاب بذلك وانما جريت مجرى العقلاء فى الضمير المختص بهم لوصفها بوصف
العقلاء وهو كونها ساجدة كذا قال الخليل وسيبويه والعرب تجمع ما لا يعقل جمع من
يعقل اذ انزلوا منزلته وقيل كررت للتأكيدها طال الفصل بالمفاعيل والاول أولى واليه
نحوا الرخصى لانه متى دار الكلام بين الجمل على التأكيده والتأسيس فعمله على الثانى

عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية والذين يكتزون الذهب والفضة الآية كبر ذلك على المسلمين وقالوا
أولى
ما يستطيع أحد منا لو ادى بى بعده فقال عمر أنا فرج عنكم فانطلق عمر واتبعه ثوبان فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا نبي الله انه قد كبر على أصحابك هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يفرض الزكاة الا ليطيب بها ما بقى من
أموالكم وانما يفرض الموارث من أموال بقى بعدكم قال فكبر عمر ثم قال له النبي صلى الله عليه وسلم ألا أخبرك بخبر ما يكثر المرء
المرأة الصالحة التى اذا نظر اليها سرتها واذا أمرها أطاعتها واذا غاب عنها حفظته ورواه أبو داود والحاكم فى مستدركه وابن جرير

من حديث يحيى بن يعلى به وقال الحاكم صحيح على شرطهما ولم يخرجاه حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا روح حدثنا الاوزاعي عن حسان بن عطية قال كان شداد بن اوس رضى الله عنه في سفر فزل منزلا فقال لغلامه اتنا بالسفرة نعبث بها فانكرت عليه فقال ما تكلمت بكامة منذ اسلمت الا وانا اخطمها وازمها غير كلتي هذه فلا تحفظوها على واحفظوا ما اقول لكم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كثرت الناس الذهب والفضة فاكثروا هؤلاء الكلمات اللهم انى اسألك الثبات فى الامر والعزيمة على الرشد واسألك شكر نعمتك واسألك حسن عبادتك واسألك قلبا سليما (٥) واسألك لسانا صادقا واسألك من خير ما تعلم

واعوذ بك من شر ما تعلم واستغفر لك لما تعلم انك انت علام الغيوب وقوله تعالى يوم يحمى علينا فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكذبون أى يقال لهم هذا الكلام سيكتفى وتقرى عاوتهم كما كفى قوله ثم صبوا فوق رؤسهم من عذاب الجحيم ذق انك انت العزيز الكريم اى هذا بذالك وهذا الذى كنتم تكذبون لانفسكم ولهذا يقال من اوجب شيئا وقدمه على طاعة الله عذب به وهؤلاء لما كان جمع هذه الاموال آثر عندهم من رضا الله عنهم عذبوا بها كما كان ابو لهب لعنه الله جاهدا فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر الله تعينه فى ذلك كانت يوم القيامة عونا على عذابه ايضا فى جديدها اى عتقها حبل من مسد اى تجمع من الخطب فى النار وتلقى عليه ليكون ذلك ابلغ فى عذابه كما ان هذه الاموال لما كانت اعز الاشياء على اربابها كانت اضر الاشياء عليهم فى الدار الآخرة فيحمى عليها فى نار

أولى والمراد حقيقة السجود لانه كان التحية فيما بينهم السجود وقيل المراد بالسجود تواضعهم له ودخولهم تحت أمره والاول اولى ولم تظهر رؤية يوسف الا بعد أربعين سنة وهو قول أكثر المفسرين وقال الحسن البصرى كان بينهم ثمانون سنة حين اجتمع عليه ابواه واخوته وخر والله ساجدين (قال يابى لا تقتصر رؤياك على اخوتك) الرؤيا مصدر رأى فى المنام رؤيا على وزن فعلى كالسقىا والبشرى وألفه للتأنيث ولذلك لم يصر ف نهى يعقوب بن يوسف عن ان يقصر رؤياه على اخوته لانه قد علم تأويلها وخاف ان يقصها عليهم فيفهمون تأويلها ويحصل منهم الحسد ولهذا قال (فيكيد واللك كيدا) وهذا جواب النهى أى يفعلوا الاجلك كيدا ممتثرا مخلصا لا تقدر على الخلوص منه أو كيدا خفيا عن فهمك وهذا المعنى الحاصل بزيادة اللام أكد من ان يقال فيكيدوا كيدا وقيل انما جاء باللام لتضمنه معنى الاحتيال المتعدى باللام فيفيد هذا التضمن معنى الفعلين جميعا الكيد والاحتيال كما هو القاعد فى التضمنين ان يقدر أحدهما أصلا والاخر حالا (ان الشيطان للانسان عدو مبين) مستأنفة كأن يوسف قال كيف يقع ذلك منهم فتمه بأن الشيطان يحملهم على ذلك لانه عدو للانسان مظهر للعداوة مجاهر بها وقد وردت احاديث صحيحة فى بيان الرؤيا الصالحة وانها من الله والسوء وانها من الشيطان وفى ان رؤيا المؤمن جزء من أربعين جزءا من النبوة وليس لها تعلق بهذه الآية بل هى تم (وكذلك) أى ومثل ذلك الاجتناب البديع الذى رأته فى المنام وشاهدت آثاره فى عالم المثال من سجود تلك الاجرام العلية النيرة لك الدال على شرف وعز وكمال نفس وبحسبه وعلى وفقه (يحييتك ربك) ويحقق فيك تأويل تلك الرؤيا فيجعلك نبيا ويصطفيك على سائر العباد ويسخرهم لك كما تسخرت لك تلك الاجرام التى رأيتها فى منامك فصارت ساجدة لك قال النحاس الاجتناب أصله من جبيت الشئ اذا حصلت له لنفسك ومنه جبيت الماء فى الحوض جمعته ومعنى الاجتناب الاصطفاة واجتناب الله العبد تخصيصه اياه بفيض الهى تحصل منه أنواع المكرمات بلاسعى من العبد وذلك محتص بالانبياء وبيعض من يقاربهم من الصديقين والشهداء والصالحين وهذا يتضمن الشفاء على يوسف وتعبده نعم الله عليه ومنها (ويعلمك من تأويل الاحاديث) أى تأويل الرؤيا قال مجاهد عبارة الرؤيا وقال ابن زيد تأويل العلم والحلم وكان يوسف من أعب الناس وسمى الرؤيا احاديث

جهنم وناهيك بجرها فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم قال سفيان عن الاعمش عن عبد الله بن عمر بن مرة عن مسروق عن عبد الله بن مسعود والله الذى لا اله غيره لا يكوى عبد بكثر فيمس دينار دينار ولا درهم درهم ولكن يوسع جلده فى موضع كل دينار ودرهم على حدته وقدر واه ابن مردويه عن ابي هريرة مرفوعا ولا يصح رفعه والله أعلم وقال عبد الرزاق اخبرنا معمر عن ابن طاوس عن ابيه قال بلغنى ان الكثر يتحول يوم القيامة شجاعا يتبع صاحبه وهو يفر منه ويقول انا كبرك لا يدرك منه شيئا الا أخذته وقال الامام أبو جعفر بن جرير حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة عن سالم بن ابي الجعد عن معدان بن

أبي طلحة عن ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول من تركه بعده كتر مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيتان يتبعه يقول ويلك ما أنت فيقول أنا كنت الذي تركته بعدك ولا يزال يتبعه حتى يلقمه يده فيعضهما ثم يتبعه سائر جسده ورواه ابن حبان في صحيحه من حديث يزيد بن سعيده وأصل هذا الحديث في الصحيحين من رواية أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه وفي صحيح مسلم من حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من رجل لا يؤدى زكاة ماله إلا جعل له يوم القيامة صفايح (٦) من نار فيكوى بها جنبه وجهه وظهره في يوم كان مقداره خمسين

ألف سنة حتى يقضى بين العباد ثم يرى سبيله أما إلى الجنة وأما إلى النار وذكر تمام الحديث وقال البخاري في تفسير هذه الآية حديثاً قتيبة بن سعيد حدثنا جرير عن حصين بن زيد بن وهب قال مررت على أبي ذر بالري فقلت ما أنزلك بهذه الأرض قال كنا بالشام فقرأت والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فيشربهم بعدذاب أليم فقال معاوية ما هذه فينا ما هذه إلا في أهل الكتاب قال قلت إنما لقينا وفهم ورواه ابن جرير من حديث عبيد بن القاسم عن حصين بن زيد بن وهب عن أبي ذر رضي الله عنه فذكره وزاد فأرتفع في ذلك بين وبينه القول فكتب إلى عثمان يشكوني فكتب إلى عثمان أني أقبل إليه قال فأقبلت إليه فلما قدمت المدينة تفرق بيني وبين الناس كأنهم لم يروني قبل يومئذ فشكوت ذلك إلى عثمان فقال لي تنح قريبا قلت والله لن أدع ما كنت أقول (قلت) كان من مذهب أبي ذر رضي الله عنه تحريم ادخار ما زاد على نفقة

العيال وكان يفتي بذلك ويحتمهم عليه ويأمرهم به ويغلظ في خلافه فنهاه معاوية فلم ينته فغشى أن يضر حسنة بالناس في هذا فكتب يشكوه إلى أمير المؤمنين عثمان وان يأخذه إليه فاستقدمه عثمان إلى المدينة وأنزله بالري ففرقه بها ما رضي الله عنه في خلافة عثمان وقد اختبره معاوية رضي الله عنه وهو عندهم هل يوافق عمله قوله فبعث إليه بألف دينار ففرقها من يومه ثم بعث إليه الذي أتاه بها فقال ان معاوية إنما بعثني إلى غيرك فأخطأت فهاهنا الذهب فقال ويحك إنما خرجت ولكن إذا جاء مالي حاسبناك به وهكذا روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنها عمة وقال السدي هي في أهل القبلة وقال الأحنف

لأنها حديث الملك ان كانت صادقة وأحاديث الشيطان ان كانت كاذبة قال القرطبي وأجمعوا ان ذلك في تأويل الرؤيا وقد كان يوسف أعلم الناس بتأويلها وقيل المراد تأويل أحاديث الامم السالفة والكتب المنزلة قاله الزجاج وقيل المراد به احوال اخوته اليه وقيل انما جازوه من كل مكروه وقيل انما جازوه من القتل خاصة والاحاديث جمع تكسير فقبل لواحد ملفوظ به وهو وحديث ولكنه شذبه على أحاديث وله نظائر في الشذوذ كأباطيل وأفاطيع وأعاريض في باطل وفطيع وعريض وزعم أبو زيد أن لها واحدا مقدر او هو أحدونه ونحوه وليس باجمع لان هذه الصيغة مختصة بالتكسير واذ كانوا قد التزموا ذلك فيما لم يصرح له بمفرد من لفظه نحو عباديد وشماطيظ وأبايل في أحاديث أولى قاله السمين (ويتم نعمته عليك) فيجمع لك بين النبوة والملك كما تدل عليه هذه الرؤيا التي أراك الله أو يجمع لك بين خيرى الدنيا والآخرة (وعلى آل يعقوب) وهم قرابته من اخوته وأولاده ومن بعدهم وذلك ان الله سبحانه أعطاهم النبوة كما قاله جماعة من المفسرين ولا يعد أن يكون إشارة إلى ما حصل لهم بعد دخولهم مصر من النعم التي من جلتها كون الملك فيهم مع كونهم أنبياء وبه قال أكثر المفسرين (كما أعمأ على أويك) أى اتما ما مثل اتماها عليهم ما وهى نعمة النبوة عليهما مع كون ابراهيم اتخذ الله خليلا ومع كون اسحق نجاها الله سبحانه من الذبح قاله عكرمة وصار لهما الذرية الطيبة وهم يعقوب ويوسف وسائر الاسباط (من قبل) أى من قبل هذا الوقت الذي أنت فيه أو من قبلك (ابراهيم واسحق) عطف بيان لأويك أو يدل منه أو على اضممار أعني وعبر عنهما بالابوين مع كونهما أباجده وأباييه للاشعار بكل ارتباطه بالانبياء الكرام (ان ربك عليم) بمصالح خلقه (حكيم) في أفعاله والجملة مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها تعليلا لآى فعل ذلك لانه عليم حكيم إشارة إلى قوله تعالى الله أعلم حيث يجعل رسالته وأنه لا يضيع النبوة إلا في نفس قدسية وكان هذا الكلام من يعقوب مع ولده يوسف تعبيرا للرؤيا على طريق الاجمال أو علم ذلك من طريق الوحي أو عرفه بطريق القراسة وما تقتضيه المخايل اليوسفية (لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين) أى لقد كان في قصتهم علامات دالة على عظيم قدرة الله وبديع صنعه للسائلين من الناس عنها وغيرهم ففيه اكتفاء وقرأ أهل مكة آية على التوحيد قال النحاس وآية ههنا قراءة

حسنة

ابن قيس قدمت المدينة فبينما أنا في حلقة فيها ملامن قر يش اذ جاء رجل أحسن الثياب أحسن الجسد أحسن الوجه فقام عليهم فقال بشر الكافرين برضف يحمى عليه في نار جهنم فيوضع على حلة ثدى أحدهم حتى يخرج من نفض كتفه حتى يخرج من حلة ثديه يتزلزل قال فوضع القوم رؤسهم فآرايت أحسدا منهم رجع اليه شيبا قال وأدبر فابتعته حتى جلس الى سارية فقلت ما رأيت هؤلاء الا كرهوا ما قلت لهم فقال ان هؤلاء لا يعلمون شيئا وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يذري ذر ما يسرفني ان عندى مثل أحد ذهابا يمر على ثلاثة أيام وعندى (٧) منه شيء الا دينارا رصده لدين فهذا والله أعلم هو الذي

حدانا ذكر على القول بهذا وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا همام حدثنا قتادة عن سعيد بن أبي الحسن عن عبد الله بن الصامت رضى الله عنه انه كان مع أبي ذر فخرج عطاؤه ومعه جارية فجعلت تقضى حوائجهم ففضلت معها سبعة فامرها ان تسترى به فلوسا قال قلت لو اذخرته لحاجة بيوتك والضيف ينزل بك قال ان خيلي عهد الى أن أيمأذهب أو فضة أو كى عليه فهو جرح على صاحبها حتى يفرغه في سبيل الله عز وجل ورواه عن يزيد عن همام به وزاد افرانغا وقال الحافظ بن عساكر بسنده الى أبي بكر الشبلي في ترجمته عن محمد بن مهدي حدثنا عمرو بن أبي سلمة عن صدقة بن عبد الله عن طلحة بن زيد عن أبي فروة الرهاوى عن عطاء عن أبي سعيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى الله فقيرا ولا تلقه غنيا قال يا رسول الله كيف لي بذلك قال ما سئلت فلا تمتع وما رزقت فلا تخبأ قال يا رسول الله كيف لي بذلك قال

حسنة وقيل المعنى لقد كان في يوسف واخوته آيات دالة على نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم للسائلين له من اليهود فانه روى انه قال جماعة منهم وهو عمكة اخبرنا عن رجل من الانبياء كان بالشام أخرجه ابنه الى مصر فبكى عليه حتى عمى ولم يكن بمكة أحد من أهل الكلاب ولا من يعرف خبر الانبياء وانما وجهه واليه من أهل المدينة من يسأله عن هذا فانزل الله سورة يوسف جملة واحدة كفى التوراة وقيل معنى آيات للسائلين عجب لهم وقيل بصيرة وقيل عبرة للمعتبرين فان هذه القصة تشتمل على أنواع من العبر والمواعظ والحكم منها رؤيا يوسف وما حقق الله فيها ومنها حسدا واخوته له وما آل اليه أمرهم ومنها صبر يوسف على ما فعلوا به وما آل اليه أمرهم من الملك ومنها حزن يعقوب وصبره على فقد ولده وما آل اليه أمرهم من بلوغ المراد وغير ذلك من الآيات قال القرطبي وأسماء وهم بمعنى اخوة يوسف وهم أحد عشر رويلا وهو أكبرهم وشمعون ولاوى ويهوذا وزبولون ويشجر وأمهم ليا بنت ليمان وهى بنت خال يعقوب وولده من سريته زلفه وبلهه أربعة وهم دان وتقمونا وجاد وأوشير ثم ماتت ليا فستزوج يعقوب أختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين فهؤلاء بنو يعقوب وهم الاسباط وعددهم اثنا عشر نفرا وقال السهيلي ان أم يوسف اسمها وفقا ورا حيل ماتت من نفاس بنيامين وهو أكبر من يوسف وعن قتادة فى الآية يقول من سأل عن ذلك فهو هكذا ما قص الله عليكم وأنبأكم به وعن الضحالك نحوه وعن ابن اسحق قال انما قص الله على محمد صلى الله عليه وآله وسلم خبر يوسف وبغى اخوته عليه وحسداهم اياه حين ذكر رؤيا ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بغى قومه عليه وحسداهم اياه حين أكرمه الله بنبوته ليا نسي به (اذ) أى وقت ان (قالوا يوسف وأخوه) هو بنيامين بكسر الباء وصحح بعضهم فتحها فقيه الوجهان وهو أصغر من يوسف وخصوه بكونه أخاه مع انهم جميعا اخوته لانه أخوه لا يوبه كما تقدم واللام القسمة أى والله ليوسف ووحيد الخبر فقال (أحب الى أينا منا) مع تعدد المتبدلان أفعال التفضيل يستوى فيه الواحد وما فوقه اذ لم يعترف وهو مبنى من حب المبني للمفعول وهو شاذ قياسا فصيح استعماله لوروده فى أفصح القصص واذ بنيت أفعال التفضيل من مادة الحب والبغض تعدى الى الفاعل المعنوى بالى والى المتعول المعنوى باللام أو بنى وعلى هذا جاءت الآية الكريمة وانما قالوا هذا لانه بلغهم

رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ذلك والافانار اسناده ضعيف وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا عبيدة عن يزيد بن الصرم قال سمعت عليا رضى الله عنه يقول مات رجل من أهل الصفة وترك دينارين وأودرهمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيتان صلوا على صاحبكم وقد روى هذا من طرق أخرى وقال قتادة عن شهر بن حوشب عن أبي أمامة صدى ابن عجلان قال مات رجل من أهل الصفة فوجد في منزله دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كية ثم توفى رجل آخر فوجد في منزله دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيتان وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو النضر اسحق بن ابراهيم

الفراديسي حدثنا معاوية بن يحيى الاطرابلسي حدثني ارقطاة حدثني ابو عامر الهوزني سمعت ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من رجل يموت وعنده احرأ أو ابيض الا جعل الله بكل قيراط صفقة من نار يكوى بها من قدمه الى ذقنه وقال الحافظ ابو يعلى حدثنا محمود بن خداس حدثنا سيف بن محمد النوري حدثنا الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يوضع الدينار على الدينار ولا الدرهم على الدرهم ولكن يوسع جلده فيكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كثرتم لانفسكم (٨) فذوقوا ما كنتم تكذبون سيف هذا كذاب متروك (ان عدة الشهور

عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين) قال الامام أحمد حدثنا اسمعيل أخبرنا ابيوب أخبرنا محمد بن سيرين عن ابي بكرة أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب في حجة فقال ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جداد وشعبان ثم قال أي يوم هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال أليس يوم النحر قلنا بلى ثم قال أي شهر هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال أليس ذا الحجة قلنا بلى ثم قال أي بلد هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال أليست البلدة قلنا بلى قال فان

خبر الرؤيا فاجع رأيهم على كيد (وتحن عصبة) الوالوالعمال والعصبة الجماعة قيل وهي ما بين الواحد الى العشرة وقيل ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل هي العشرة فما زاد وقيل من العشرة الى خمسة عشر وقيل ستة وقيل تسعة وقيل من العشرة الى الاربعين قاله قتادة والمادة تدل على الاحاطة من العصبة للاحاطة بالرأس وقيل الاصل فيه ان كل جماعة يتعصب بعضهم لبعض يسمون عصبة والعصبة لا واحد لها من لفظها بل هي كالنفر والرهط وقد كانوا عشرة (ان ابا نالي ضلال ميين) أي لني ذهاب عن وجه التدبير بالترجيح لهما علينا واثارهما ادوننا مع استوائنا في الانتساب اليه ولا يصح ان يكون مرادهم انه في دينه في ضلال اذ لو ارادوا ذلك للكفروا به قال ابن زيد أي لني خطا من رأيه (اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا) أي في أرض واليه ذهب الحوفي وابن عطية وقال الرخشري أي أرضا منكرة مجهولة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها واخلائها من الناس ولانهم من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المهمة وقيل انها مفعول ثان والمعنى انزلوه أرضا وطرح الرمي ويعبر به عن الاقحام في المخاوف يعني قالوا افعالوا به أحد الامر من اما القتل أو الطرح في أرض أو المشير بالقتل بعضهم والمشير بالطرح البعض الآخر أو كان المتكلم بذلك واحدا منهم فوافقه الباقيون فكانوا كالتقابل في نسبة هذا المقول اليهم وجواب الامر (يخل لكم وجه أيكم) أي يصف ويخلص فيقبل عليكم ويحبكم حبا كاملا لأن الرجل اذا قبل على الشيء أقبل بوجهه (وتكفونا من بعده) أي بعد يوسف والمراد بعد الفراغ من قتله أو طرحه وقيل من بعد الذنب الذي اقترفتموه في يوسف (قومنا صالحين) في أمور دينكم وطاعة أيكم أو صالحين في أمور دنياكم بذهاب ما كان يشغلكم عن ذلك وهو الحسد ليوسف وتكدر خواطركم بتأثيره عليكم هو وأخوه أو صالحين مع أيكم بعد تركه دنياه أو المراد بالصالحين التائبون من الذنب في المستقبل (قال قائل منهم) أي من الاخوة قيل هو يهوذا وقيل روييل وقيل شعرون والاول أو ولي قيل وجه الاظهار في (لاقتلوا يوسف) استجلاب شفقتهم عليه فلم يرهذا القائل القتل ولا طرحه في أرض خالية فقراء بل قال (وألقوه في غيابة الجب) أي في بئر يشرب منها الماء فانه أقرب لخلاصه فحصل ذلك انه اختار خلسة الثالثة هي أرفق بيوسف من تينك الخصلتين قرأ جماعة غيابة بالافراد وغيرهم بالجمع وأنكر

دماءكم وأموا لكم وأحسبه قال واعراضكم عليكم حرام بحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ابو وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ألا لاترجعوا بعدى ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض الأهل بلغت الألبيلغ الشاهد منكم الغائب فلعل من يبلغه يكون أو يحى له من بعض من سمعه وورواه البخاري في التفسير وغيره ومسلم من حديث ابيوب عن محمد وهو ابن سيرين عن عبد الرحمن بن ابي بكرة عن أبيه به وقد قال ابن جرير حدثنا معمر حدثنا روح حدثنا أشعث عن محمد بن سيرين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض

وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان ورواه البزار عن محمد بن معمر به ثم قال لا يروى عن أي هريرة الا من هذا الوجه وقد رواه ابن عون وقره عن ابن سيرين عن عبد الرحمن بن أبي بكره عن أبيه به وقال ابن جريز أيضا حدثني موسى بن عبد الرحمن المروقي حدثنا زيد بن حباب حدثنا موسى بن عبيدة الرندي حدثني صدقة بن يسار عن ابن عمر قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يعني في أوسط أيام التشريق فقال أيها الناس ان الزمان قد استدار فهُوَ اليوم كهيئته (٩) يوم خلق الله السموات والارض وان عدة

الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم أولهن رجب مضر بين جمادى وشعبان وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وروى ابن مردويه من حديث موسى بن عبيدة عن عبد الله بن زيد عن ابن عمر مثله أو نحوه وقال حماد بن سلمة حدثني علي بن زيد عن أبي حرة الزقاشي عن عمه وكانت له صحبة قال كنت أخذت من ماء ناقه رسول الله في أوسط أيام التشريق أذود الناس عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض منها أربعة حرم وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقال سعيد بن منصور حدثنا أبو معاوية عن الكلبى عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله منها أربعة حرم قال محرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات

أبو عبيد الجع لان الموضوع الذي ألقوه فيه واحد قال التماس وهذا تضيق في اللغة والجمع يجوز والغيا به كل شئ غيب عنك شياً وقيل للقبر غيا به والمراد به اهننا غورا البئر الذي لا يقع عليه البصر أو طاقه فيه قال الهروي الغيا به سدا وطاق في البئر قريب الماء يغيب ما فيه من العيون وقال الكلبى الغيا به تكون في قعر الجب لان أسفله واسع ورأسه ضيق فلا يكاد الناظر يرى ما في جوانبه وقال الزمخشري هي غوره وما غاب منه من عين الناظر وأظلم من أسفله والماءى متقاربة والجب البئر التي لم تطووي يقال لها قبيل الطي ركية فاذا طويت قيل لها بئر وسُميت جباً لانها قطعت في الارض قطعاً أول كونه مخفورا في جبوب الارض أى ما غلظ منها وجمع الجب جيب وجباب وأجباب وجمع بين الغيا به والجب مبالغة في ان يلقوه في مكان أسفل من الجب شديد الظلمة حتى لا يدركه نظر الناظرين قيل وهذه البئر بيت المقدس قاله قتادة وقيل ببعض نواحي ايلياء وقيل بالاردن قاله وهب وقيل بالشام وعن ابن زيد قال بجذاء طبرية بينه وبينها أميال وقال مقاتل هو على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وجواب الامر (يلتقطه بعض السيارة) قرئ بالتخمين والنوقية ووجهه ان بعض السيارات سيارة وهي الجمع الذي يسير في الطريق جمع سيار أى المبالغ في السير والالتقاط هو أخذ شئ مشرف على الضياع من الطريق أو من حيث لا يحتسب ومنه اللقطة كأنهم أرادوا ان بعض السيارات اذا التقطته حمله الى مكان بعيد بحيث يخفى عن أيه ومن يعرفه ولا يحتاجون الى الحركة بانفسهم الى المسكان البعيد فرمضان والدهم لا يأذن لهم بذلك وكان هذا الجب معروفاً رد عليه كثير من المسافرين (ان كنتم فاعلين) أى عاملين بما أشرت به عليكم في أمره كأنه لم يجزم بالامر بل وكدله الى ما يحجمه عن عليه كما يفعله المشير مع من استشاره وفي هذا دليل على ان اخوة يوسف ما كانوا أنبياء فان الانبياء لا يجوز عليهم التواطؤ على القتل لمسلم ظلموا بغيا وقيل كانوا أنبياء وكان ذلك منهم زلة قدم أو وقعهم فيها التهاب نار الحسد في صدورهم واضطراب جرات الغيظ في قلوبهم ورد بان الانبياء معصومون عن مثل هذه المعصية الكبيرة المتباعدة في الكبر مع ما في ذلك من قطع الرحم وعقوق الوالد واقتراء الكذب وقلة الرأفة بالصغير الذي لا ذنب له والغدر بالامانة وترك العهد قيل عزموا على قتله وعصمهم الله رجة بهم ولو فعلوا ذلك اهلكوا جميعا وقيل اهم لم يكونوا في ذلك الوقت أنبياء بل صاروا أنبياء من

(٢ - فتح البيان خامس) والارض تقر برمنه صلوات الله وسلامه عليه وثبتت للامر على ما جعله الله في أول الامر من غير تقديم ولا تأخير ولا زيادة ولا نقص ولا نسي ولا تبديل كما قال في محريم مكة ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمه الله تعالى الى يوم القيامة وهكذا قال ههنا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض أى الامر اليوم شرعا كما ابتدأ الله ذلك في كتابه يوم خلق الله السموات والارض وقد قال بعض المفسرين والمتكلمين على هذا الحديث ان المراد بقوله قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض انه انفق ان حج رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك

السنة في ذى الحجة وان العرب قد كانت نسبت النسي ويحجون في كثير من السنين بل أكثر في غير ذى الحجة وزعموا ان حجة الصديق في سنة تسع كانت في ذى القعدة وفي هذا نظر كما سنبينه اذا تكلمنا على النسي وأغرب منه ما رواه الطبراني عن بعض السلف في جملة حديث انه اتفق حجاج المسلمين واليهود والنصارى في يوم واحد وهو يوم النحر عام حجة الوداع والله أعلم * (فصل) ذكر الشيخ علم الدين السخاوي في جزءه سماه المشهور في أسماء الايام والشهور ان المحرم سمي لكونه شهرا محرما وعندى انه سمي بذلك تأكيداً لتحريمه لان العرب كانت تتقلب به (١٠) فحمله عاماً وتحريمه عاماً قال ويجمع على محرمات ومحارم ومحراريم وصفير سمي بذلك

لخلويوتهم منهم حين يخرجون للقتال والاسفار يقال صفر المكان اذا خلا ويجمع على أصفار بكمل وأجمال شهر ربيع الأول سمي بذلك لارتباعتهم فيه والارتباعت الاقامة من عبارة الربع ويجمع على أربعاً كنصيب وأنصبا وعلى أربعة كزغيف وأرغفة ربيع الآخر كالاول جمادى سمي بذلك لجود الماء فيه قال وكانت الشهور في حسابهم لا تدور وفي هذا نظر اذا كانت شهورهم منوطه بالاهلة ولا بد من دورانها فعملهم سموه بذلك وسمي عند جود الماء في البرد كما قال الشاعر

وليلة من جمادى ذات أندية

لا يصير العبد في ظلماتها الطنبا

لا ينبج الكلب فيها غير واحدة

حتى يلف على خرطومها الذنبا

ويجمع على جمادات كجباري

وحباريات وقديذ كروبووث

فيقال جمادى الاولى وجمادى

الآخرة رجب من الترجيب

وهو التعظيم ويجمع على أرجاب

ورجاب ورجبات شعبان من تشعب

القبائل وتفرقها للغارة ويجمع

بعد وكان كل ذلك قبل ان ينهاهم الله ولما أجمع رأيهم على ان يلقوه في غيابات الجب جاؤا الى أبيهم وخطبوه بلفظ الابوة استعظافاً له وتحريماً للحنو الذي جبلت عليه طبائع الآباء للابناء وتوسلاً بذلك الى تمام ما يريدونه من الكيد الذي دبروه واستفهموه استفهام المنكر لا أمر ينبغي ان يكون الواقع على خلافه (قالوا يا أبا مالك لا تأمننا على يوسف) أى أى شئ لك لا تجعلنا أمناً عليه وكأنهم قد كانوا أولوه قبل ذلك ان يخرج معهم يوسف فأبى قرئاً تأمناً بالظهار وبالادغام من غير اشمام واتفق الجمهور على الاخفاء أو الاشمام (واناله لنا صحنون) في حفظه وحيطته عاطفون عليه فأثون بمصلحته حتى زده اليك (أرسله معنا غداً) أى في غدا الى الصحراء التي أرادوا الخروج اليها وغدا ظرف والاصل عند سيبويه غدوة وقال النضر بن شميل ما بين الفجر وطلوع الشمس يقال له غدوة وكذا يقال له بكرة والغدا اليوم الذي بعد يومك الذي أنت فيه (يرقع) هذا جواب الامر قرئ بالنون واسكان العين وبها وكسر العين اسناد اللكل والاولى مأخوذة من قول العرب رقع الانسان أو البعير اذا أكل كيف شاء والمعنى يتسع في الخصب وكل يخصب راتع والراتع التمتع في أكل الفواكه ونحوها والثانية مأخوذة من رعى الغنم وقرئ بالتحسية فيهما ورفع يلعب على الاستئناف والضمير ليوسف وقال القتيبي معنى رقع تتحارس وتحافظ ويرعى بعضنا بعضاً من قولهم رعى الله أى حفظ (ويلاعب) من اللعب قيل لابي عمرو بن العلاء كيف قالوا نلعب وهم أنبياء فقال لم يكونوا يوماً منذ أنبياء وقيل المراد به اللعب المباح وهو مجرد الانبساط لانسراح الصدر وقيل هو اللعب الذي يتعاون به الحرب ويتقوون به عليه وكان اللعب بالاستباق والاتصال تمريناً للقتال الاعداء كما في قولهم انا ذهبنا نستبق لالعب المخطور الذي هو ضدهما الحق وسماهم لعباً لشبهه به ولذلك لم ينكر عليهم يعقوب لما قالوا ونلعب ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم لخارجها بكرة اتلا عنها وتلاعبك وقال ابن عباس نزع ونلعب نسعي وننشط ونلهوا (والحال) اناله الحافظون من ان يناله مكروه (قال) أى فاجاهم يعقوب بقوله (انى ليحزنى أن نذهبوا به) أى ذهابكم به واللام لام الابتداء للتأكيد ولتخصيص المضارع بالحال أخبرهم بأنه يحزن لغيبه يوسف عنه انفرط محبته له وحنوه عليه والحزن هنا ألم القلب بفراق المحبوب (و) مع ذلك (أخاف أن يأكله الذئب) قال هذا يعقوب تخوفاً عليه منهم فكفى عن ذلك بالذئب وقيل

على شعبان وشعبان من شدة الرضاء وهو الحزب يقال رمضت النصال اذا عطشت ويجمع على رمضان ورماضين انه وأرمضة قال وقول من قال انه اسم من أسماء الله خطأ لا يرج عليه ولا يلتفت اليه قلت قد ورد فيه حديث ولكنه ضعيف وبينته في أول كتاب الصيام سؤال من سألت الابن باذناهما النظر اراق قال ويجمع على شواول وشواويل وشوالات القعدة بفتح القاف وكسرها لقعودهم فيه عن القتال والترحال ويجمع على ذوات القعدة الحجة بكسر الحاء وقتها سمي بذلك لايقاعهم الحج فيه ويجمع على ذوات الحجة أسماء الايام أولها الاحد ويجمع على آحاد واحد ووحد ونوم الاثنين ويجمع على اثنين الثلاثة فيميد ويذكر

ويؤنث ويجمع على ثلاثاوات واثالث ثم الاربعاء بالمد ويجمع على اربعاوات وأرباع وانحيس يجمع على أخمسة واخامس
 ثم الجمعة بضم الميم واسكانها وفتحها أيضا ويجمع على جمع وجماعات السبت مأخوذ من السبت وهو القطع لانتهاء العمل عنده
 وكانت العرب تسمى الايام أول ثم أهون ثم جبار ثم ديار ثم مؤنث ثم العروبة ثم شيار قال الشاعر من العرب العاربة المتقدمين
 أرجى ان أعيش وان يوحى * بول أو باهون أو جبار أو التالي ديار فان أفته * فؤنس أو عروبة أو شيار
 وقوله تعالى منها أربعة حرم فهذا مما كانت العرب أيضا في الجاهلية تحرمه (١١) وهو الذي كان عليه جمهورهم الا طائفة منهم

يقال لهم البسل كانوا يحرمون من
 السنة ثمانية أشهر ثم عمقا وتشديدا
 وأما قوله ثلثة ثمة واليات ذو
 القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب
 مضر الذي بين جمادى وشعبان
 وإنما أضافه الى مضر لصحة قولهم
 في رجب انه الذي بين جمادى
 وشعبان لا كاتظنه ربيعة من ان
 رجب المحرم هو الشهر الذي بين
 شعبان وشوال وهو رمضان
 اليوم فين صلى الله عليه وسلم انه
 رجب مضر لارجب ربيعة وإنما
 كانت الاشهر المحرمة أربعة ثلاثة
 سردوا واحد فرد لاجل أداء مناسك
 الحج والعمرة فحرم قبل أشهر الحج
 شهر او هو ذو القعدة لانهم يبعدون
 فيه عن القتال وحرم شهر ذي
 الحجة لانهم يوقعون فيه الحج
 ويستغلون بأداء المناسك وحرم
 بعد شهر آخر وهو المحرم ليرجعون
 فيه الى أقصى بلادهم آمنين وحرم
 رجب في وسط الحول لاجل
 زيارة البيت والاعتبار به لمن يقدم
 اليه من أقصى جزيرة العرب فيزوره
 ثم يعود الى وطنه فيه آمنا وقوله
 ذلك الدين القيم أي هذا هو الشرع

انه خاف ان يأكله الذئب حقيقة لان ذلك المكان كان كثير الذئاب ولو خاف منهم علمه
 ان يقتلوه لارسل معهم من يحفظه قال ثعلب الذئب مأخوذ من تدأبت الريح اذا هاجت
 من كل وجه قال والذئب مهموز لانه يجي من كل وجه (وأنتم عنه عافلون) لاشتغالكم
 بالرتع واللعب أو لكونكم غير مهتمين بحفظه أخرج أبو الشيخ وابن مردويه والسناني
 عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تلتقوا الناس فيكذبون فان
 بني يعقوب لم يعلموا ان الذئب يأكل الناس فلما القنهم أبوهم كذبوا فقالوا أكله الذئب
 (قالوا) جوابا عن عذره الثاني وهو قوله أخاف ان يأكله الذئب وأما عذره الاول وهو
 قوله اني ليجزني فلم يجيبوا عنه اما لكون الحزن زمنه قصيرا لانقضائه برجوعهم واما
 لانه ليس غرضهم ازالة الحزن عنه بل ايقاعه فيه والثاني هو المتعين (لئن أكله الذئب)
 اللام هي الموطئة للقسم والمعنى والله لئن أكله الذئب (و) الحال انا ونحن عصبه جماعة
 كثيرة عشرة رجال (انا اذا) أي في ذلك الوقت وهو أكل الذئب له (خاسرون)
 لها لكون ضعفا وعجزا أو مستحقون لله لئلا لعدم الاعتماد بنا واتقاء القدرة عن
 أيسرني وأقله أو مستحقون لان يدعي علينا بالخسار والدمار وقيل معناه لجاهلون حقه
 وهذه الجملة جواب القسم المقدر في الجملة التي قبلها (فلما ذهبوا به) من عند يعقوب
 (وأجمعوا) أمرهم أي عزموا الان أصل معنى الاجماع العزم المصمم (أن يجعلوه
 في غيابة الحب) قد تقدم نفسه يرها قريبا وجواب لما محذوف لظهوره ودلالة المقام
 عليه أي فعلا وبه ما فعلوا من الأذى وقيل جوابه قالوا يا ابا نازد هبنا نستمق وقيل
 الجواب المقدر جعلوه فيها وقيل الجواب أو حيننا والواو تيممة ومثله قوله تعالى فلما أسسنا
 وتله للبحيين ونادى ناه أي نادى ناه قال ابن عباس كان يوسف في الحب ثلاثة أيام (وأوحينا
 اليه) أي الى يوسف تبشيره وتأنيسه لوحشته مع كونه صغيرا اجتمع على انزال الضربة
 عشرة رجال من اخوته بقلوب غليظة قد زرعت عنها الرحمة وسلبت منها الرأفة فان
 الطبع البشري دع عنك الدين يتجاوز عن ذنب الصغير ويعتقره اضعفه عن الدفع وعجزه
 عن أيسر شئ يرا دمنه فكيف بصغير لا ذنب له بل كيف بصغير هو أخ وله لهم أب مثل
 يعقوب فلقد أبعد من قال انهم كانوا أنبياء في ذلك الوقت فما هكذا عمل الانبياء ولا فعل
 الصالحين وفي هذا دليل على انه يجوز أن يوحى الله الى من كان صغيرا ويعطيه النبوة

المستقيم من امتثال أمر الله فيما جعل من الاشهر الحرم والحذوبها على ما سبق في كتاب الله الاول قال تعالى فلا تظلموا
 فيهن أنفسكم أي في هذه الاشهر المحرمة لانها آكد وأبلغ في الأثم من غيرها كما ان المعاصي في البلاد الحرام تضاعف لقوله تعالى
 ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم وكذلك الشهر الحرام تغلظ فيه الاتهام ولهذا تغلظ فيه الدينة في مذهب الشافعي
 وطائفة كثيرة من العلماء وكذا في حق من قتل في الحرم أو قتل في الحرم وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن
 ابن عباس في قوله فلا تظلموا فيهن أنفسكم قال في الشهور كلها وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ان عدة الشهور عند الله

الآية فلا تظلموا في كاهن ثم اختص من ذلك أربعة أشهر فجعلهم حراما وعظم حرماتهم وجعل الذنب فيهن أعظم والعمل الصالح والاجر أعظم وقال قتادة في قوله فلا تظلموا فيهن أنفسكم ان الظلم في الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزرا من الظلم فيما سواها وان كان الظلم على كل حال عظيما ولكن الله يعظم من أمره ما يشاء وقال ان الله اصطفى صفيا من خلقه اصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس رسلا واصطفى من الكلام ذكره واصطفى من الارض المساجد واصطفى من الشهر رمضان والأشهر الحرم واصطفى من الايام يوم الجمعة واصطفى من الليالي ليلة (١٢) القدر فعظموا ما عظم الله فانما تعظيم الامور بما عظم الله به عند

أهل الفهم وأهل العقل وقال الثوري عن قيس بن مسلم عن الحسن بن محمد بن الحنفية بان لا تحترقهن وحرم حرمتهن وقال محمد بن اسحق فلا تظلموا فيهن أنفسكم أى لا تجعلوا حرامها حلالا ولا حلالها حراما كما فعل أهل الشرك فانما النسب الذي كانوا يصنعون من ذلك زيادة في الكفر وهذا القول اختيار ابن جرير وقوله وقتالوا المشركين كافة أى جميعكم كما يقالونكم كافة أى جميعهم واعلموا ان الله مع المتقين وقد اختلف العلماء في تحريم ابتداء القتال في الشهر الحرام هل هو منسوخ أو محكم على قولين أحدهما وهو الشهر انه منسوخ لانه تعالى قال ههنا فلا تظلموا فيهن أنفسكم وأمر بقتال المشركين وظاهر السياق مشعر بانه أمر بذلك أمرا عاما ولو كان محرما في الشهر الحرام لا وشك ان يقيد به بانسلاخها وان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حاصر أهل الطائف في شهر حرام وهو ذو القعدة كما ثبت في الصحيحين انه خرج الى هوازن في شوال فلما

حينئذ كما وقع في عيسى ويحيى بن زكريا وقيل معنى الوحي هنا الالهام كقوله تعالى وأوحى ربك الى النحل وأوحى الى أم موسى والاول أولى وقد قيل انه كان في ذلك الوقت قد بلغ مبلغ الرجال وهو بعيد جدا فان من كان قد بلغ مبالغهم لا يخاف عليه ان يأكله الذئب (لتنبئهم) أى لتخبرن اخوتك (بامرهم هذا) الذى فعلوه معك بعد خلو صدك مما اردوه بك من الكيد وأنزلوه عليك من الضرر (و) الحال انهم لا يشعرون بانك اخوهم يوسف لا اعتقادهم هلا كما بالقائم لك في غيابة الحب وبعدهم بك ولكونك قد صرت عند ذلك في حال غير ما كنت عليه وخلاف ما عهدوه منذ وسبأنى ما قاله لهم عند دخولهم عليه بعد ان صار اليه ملك مصر وقال مجاهد وهم لا يشعرون بذلك الوحي وقال قتادة فهون ذلك الوحي عليه ما صنع به وعن ابن عباس قال وهم لم يعلموا بوحى الله اليه (وجاؤا) أباهم عشاء يبكون وهو آخر النهار وقيل في الليل ليكونوا في الظلمة أجر أعلى الاعتذار بالكذب أى جاؤا باكين أو متبكين لانهم لم يبكوا حقيقة بل فعلوا فعل من يبكي ترويجا لكذبهم وتنفيقا للمكرهم وغدرهم فلما وصلوا الى أبيهم (قالوا يا أبانا ناد هبنا نستبق) أى نستبق في العدو وفى الرمي وقيل تنصل بالسهم ويؤيده قراءة ابن مسعود تنتصل قال الزجاج وهو نوع من المسابقة وقال الازهرى النضال فى السهام والرهان فى الخيل والمسابقة تجمعهما قال القشيري نستبق أى فى الرمي أو على الفرس أو على الاقدام والغرض من المسابقة التدريب بذلك فى القتال وقال السدي يعنى نستند ونعدو وقال مقاتل تصيد أى نستبق الى الصيد (وتركنا يوسف عند متاعنا) أى ثيابنا الصبر بها (فأكله الذئب) الفناء للتعقيب أى أكله عقب ذلك وقد اعتذروا اليه بما خافه سابقا عليه ورب كلمة تقول لصاحبها دعنى (وما أنت بمؤمن) أى بصدق (لنا) فى هذا العذر الذى أيدنا والكلمة التى قلناها وفى هذا الكلام منهم فتح باب اتهامهم كما لا يخفى على صاحب الذوق (ولو كنا) عندك وفى الواقع (صادقين) لما قد علق بقلبك من الهمة لنا فى ذلك مع شدة محبتك له قال الزجاج والمعنى ولو لا عندك من أهل النقة والصدق ما صدقتنا فى هذه القصة لشدة محبتك ليوسف وكذا ذكره ابن جرير وغيره (وجاؤا على) فوق (قيصه بدم كذب) وصف الدم بأنه كذب مبالغة كما هو المعروف فى وصف اسم العين باسم المعنى فكانت نفسه صار كذبا أو قيل المعنى بدم ذى كذب او بدم مكذوب فيه قال ابن

عباس

كسرهم واستفتاء أموالهم ورجع فلهم فلجؤوا الى الطائف فعمد الى الطائف فحاصرهم أربعين يوما

وانصرف ولم يفتحها فثبت أنه حاصر فى الشهر الحرام والقول الآخر ان ابتداء القتال فى الشهر الحرام حرام وانه لم ينسخ تحريم الشهر الحرام لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام وقال الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فى اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم الآية وقال فاذا انسلكوا الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين وقد تقدم انها الاربعة المقررة فى كل سنة لا أشهر التسيير على أحد القولين وأما قوله تعالى وقتالوا المشركين كافة كما يقالونكم كافة

فيحتمل انه منقطع عما قبله وانه حكم مستأنف ويكون من باب التهيج والتخصيض أي كما يجتمع معون لحربكم اذا حاربوكم فاجتمعوا أنتم أيضا لهم اذا حاربتموهم وقاتلوهم بنظير ما يفعلون ويحتمل انه أذن للمؤمنين بقتال المشركين في الشهر الحرام اذا كانت البداءة منهم كما قال تعالى الشهر الحرام بالحرام والحرمات قصاص وقال تعالى ولا تقتلواهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم الآية وهكذا الجواب عن حصار رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الطائف واستصحابه الحصار الى أن دخل الشهر الحرام فانه من تمة قتال هوازن وأحلافها من ثقيف (١٣) فانهم هم الذين ابتدؤا القتال وجعوا الرجال

ودعوا الى الحرب والنزال فعندما قصدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم فلما تحصنوا بالطائفة ذهب اليهم لينزلهم من حصونهم فنالوا من المسلمين وقتلوا جماعة واستمر الحصار بالمجانبة وغيرها قريبا من أربعين يوما وكان ابتداءه في شهر حلال ودخل الشهر الحرام فاستقر فيه أياما ثم قفل عنهم لانه يغتفر في النوام مالا يغتفر في الابتداء وهذا امر مقرر وله نظائر كثيرة والله أعلم ولندكر الاحاديث الواردة في ذلك وقد حررنا ذلك في السيرة والله أعلم

عباس ومجاهد كان: مسخلة وقرأ الحسن وعائشة بدم كذب بالدال المهملة أي بدم طرى يقال للدم الطرى كذب وقال الشعبي انه المتغير والكذب أيضا البياض الذي يخرج في اظفار الاحداث فيجوز ان يكون شبه الدم في القميص بالبياض الذي يخرج في الظفر من جهة اللونين وقد استدل يعقوب على كذبهم بصحة القميص وقال لهم متى كان هذا الذئب حكيميا بكل يوسف ولا يخرق القميص ثم ذكر الله سبحانه ما اجاب به يعقوب عليه السلام فقال (قال بل سوات) أي زينت وسهلت وأمرت (لكم أنفسكم أمرا) قال النيسابوري التسويل تقر بمعنى في النفس مع الطمع في اتمامه وهو تفعيل من السؤل وهو الاثنية قال الازهرى وأصله مهموز غير أن العرب استثقلوا فيه الهمزة وفي الشهاب من السؤل بفتح السين وهو استرخاء العصب ونحوه فكان السؤل بذله فيما حرص عليه (فصبر جميل) قال الزجاج اي فشأنى أوالذي اعتقده صبر جميل وقال قطرب أي فصبري صبر جميل وقيل فصبر جميل أولي بنى قبل الصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه لا حد غير الله وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لا شكوى فيه من بث لم يصبر أخرجه ابن جرير وهو مرسل وقال مجاهد ليس فيه جرح وقرئ فصبر جميل وكذا في مصنف أنس قال المبرد بالرفع أولى من النصب لأن المعنى رب عندي صبر جميل وانما النصب على المصدر أي فلا صبرن صبرا جميلا (والله المستعان) أي المطلوب منه العون والجملة انشائية دعائية لا اخبارية (على) أي على اظهارة حال أو على احتمال (ما تصفون) أي تذكرون من أمر يوسف عليه السلام وقال قتادة على ما تكذبون (وجاءت سياراة فأرسلوا) ذكر على المعنى مكان أرسلت (واردهم) هذا شروع في حكاية خلاص يوسف وما كان بعد ذلك من خبره وقد تقدم تفسير السياراة أي جماعة مسافرون سيمارة لسيرهم في الارض والمراد بها هنا رفقة مارة تسير من الشام أو من مدين الى مصر فأخطوا الطريق وهاموا حتى نزلوا قريبا من الجب وكان في قفرة بعيدة من العمران ترده المارة والرعاة وكان ماؤه ملح والوارد الذي يرد الماء ليس متقى للقوم وكان اسمه فيما ذكر المفسرون مالك بن ذعر الخزاعي من العرب العاربة (فأدلى دلوه) يقال أدلى دلوه اذا أرمها الى الماء ودلاها اذا أخرجهما قاله الاصمعي والدوموث وقد ذكر والدلو الذي يستقى بها فعلق يوسف بالحبيل فلما خرج الدلو من البئر أبصره الوارد (قال يا بشرى) ومعنى مناداه للبشرى

نظا (انما النسب زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليوطنوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله لا يهتدون القوم الكافرين) هذا ما اذم الله تعالى به المشركين من تصرفهم في شرع الله بآراءهم الفاسدة وتغييرهم أحكام الله بأهوائهم الباردة وتحليلهم ما حرم الله وتحريمهم ما حل الله فانهم كان فيهم من القوة الغضبية والشهامة والخمية ما استتطوا به مدة الاشهر الثلاثة وما فهم من التحريم المانع لهم من قضاء أوطارهم من قتال اعدائهم فكانوا قد احدثوا قبل الاسلام عمدة تحليل المحرم فأخروه الى صفر فيحلون الشهر الحرام ويحرمون الشهر الحلال ليوطنوا عدة الاشهر الاربعة كما قال شاعرهم وهو عمير بن قيس المعروف ببجدل الطعان

لقد علمت معدن قومي * كرام الناس ان لهم كراما
 ألسنا الناسين على معد * شهورا الحل نجعلها حراما
 فأي الناس لم ندرك بوتور * وأي الناس لم يعلك لحاما
 وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله انما النسب زيادة في الكفر

قال النبي ان جنادة بن عمرو بن أمية الكافي كان يوافي الموسم في كل عام وكان يكنى أبا تمامة فينادي أبا ان أبا تمامة لا يجاب ولا يعاب إلا وان صفر العام الاول حلال فيحله للناس فيحرم صفر عاما ويحرم الحرم عاما فذلك قول الله انما النسي زيادة في الكفر بقول يتركون الحرم عاما وعاما يحرمونه وروى العوفي عن ابن عباس نحوه وقال ايث بن أبي سليم عن مجاهد كان رجلا من بني كنانة يأتي كل عام الى الموسم على حماره فيقول أيها الناس اني لأعاب ولا أعجاب ولا امر دلما أقول أنا قد حرمتنا المحرم وأخرنا صفر ثم يجي العام المقبل بعده فيقول مثل مقالته (١٤) ويقول أنا قد حرمتنا صفر وأخرنا المحرم فهو قوله ليواطئوا عدة ما حرم

الله قال يعني الاربعة فيصلا ما حرم الله لتأخير هذا الشهر الحرام وروى عن أبي وائل والخصالك وقتادة نحوه هذا وقال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم في قوله انما النسي زيادة في الكفر الآية قال هذا رجل من بني كنانة يقال له العلس وكان في الجاهلية وكانوا في الجاهلية لا يغير بعضهم على بعض في الشهر الحرام يلقى الرجل قاتل أبيه ولا يمد اليه يده فلما كان هو قال اخر جوابنا قالوا هذا المحرم نسيه العام هما العام صفوان فاذا كان العام القابل جعلناهما محرمين قال ففعل ذلك فلما كان عام قابل قال لا تغزوا في صفر حرموه مع المحرم هما محرمان فهذه صفقة غريبة في النسي وفيها نظر لانهما في عام انما يحرمون على هذائلاثة أشهر فقط وفي العام الذي يليه يحرمون خمسة أشهر فأين هذا من قوله تعالى يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله وقد روى عن مجاهد صفة غريبة أيضا قال عبد الرزاق انا معمر عن أبي يحيى عن مجاهد في قوله تعالى انما النسي زيادة في الكفر

انه أراد - ضره في ذلك الوقت فكانت قال هذا وقت مجيءك وأوان حضورك وقيل انه نادى رجلا اسمه بشري وهذا على ما فيه من البعد لا يتم الاعلى قراءة من قرأ بأبشري وقد قرئ بأبشراى أى وعليه أهل المدينة وأهل مصر وأهل البصرة وأهل الشام قرأوا بضافة البشري الى الضمير فالاول أولى قال النحاس والمعنى من نداء البشري التبشير لمن حضر وهو أوكدم من قولك بشرته كما تقول يا عبا أى يا عجب هذا من أيامك فاحضر قال وهذذا مذهب سيبويه (هذا غلام) وكان يوسف أحسن ما يكون من الغلمان وقد أعطى شطر الحسن وقيل ورثه من جدته سارة وكانت قد أعطيت سدس الحسن فكان حسن الوجه بعد الشعر ضخيم العينين مستوى الخلق أبيض اللون غليظ الساعدين والعضدين والساقين خفيف البطن صغير السرة وكان اذا تبسم ظهر النور من ضواحه واذ اتكلم ظهر من ثناياه ولا يستطيع أحد وصفه قال الضحاك فاستبشر وأبأنهم أصابوا غلاما لا يعلمون علمه ولا منزلته من ربه وقال قتادة تبأشروا به حين استخرجوه من البئر وهى بيت المقدس معلوم مكانها (وأسرؤه) أى أسرار الوارد وأصحابه الذين كانوا معه يوسف عن بقية الرفقة فلم يظهره لهم وقيل انهم لم يخفوه ولكن أخفوا وجدانهم له في الجب وزعموا انه دفعه اليهم أهل الماء ليعبوه لهم بمصر وقال مجاهد أسره التجار بعضهم من بعض وقيل ضمير الفاعل فى أسروه لاختوة يوسف وضمير المفعول ليوسف وذلك انه كان يأتيه أخوه بهذا كل يوم بطعام فأتاه يوم خرج من البئر فلم يجده فيها فأخبره أخوته فأثروا الرفقة وقالوا هذا غلام أتى منا فاستروه منهم وسكت يوسف مخافة ان يأخذوه فيقتلوه وعن ابن عباس يعنى اخوة يوسف أسروا شأنه وكتما ان يكون أخاهم وكتم يوسف شأنه مخافة ان يقتله أخوته واختار البيهقي فباعه أخوته بمن بخص والاول أولى (بضاعة) أى أخفوه حال كونه بضاعة أى متاعا للتجارة والبضاعة ما يضع من المال أى يقطع منه لانها قطعة من المال الذى يتجر به قيل قاله لهم الوارد وأصحابه انه بضاعة استبضعناها من الشام مخافة ان يشاركوهم فيه (والله علم بما يعملون) أى بما يترتب على عملهم القبيح بحسب الظاهر من الأسرار والفوائد المنطوية تحت باطنه فان هذا البلاء الذى فعلوه به كان سببا للوصول الى مصر وتقله في أطوار حتى صار ملكها فرحم الله به العباد والبلاء خصوصا في سنى القحط الذى وقع بها كما سيأتى قيل وفيه وعيد شديد لمن كان فعله

الآية قال فرض الله عز وجل الحج في ذى الحجة قال وكان المشركون يسمون ذى الحجة المحرم وصفر وربيع وربيع سببا ويجادى ويجادى وربيع وشعبان ورمضان وشوال وذى القعدة وذى الحجة يحججون فيه مرة ثم يسكنون عن المحرم ولا يذرونه ثم يعودون فيسمون صفر ثم يسمون رجب بجادى الآخرة ثم يسمون شعبان رمضان ثم يسمون شوال رمضان ثم يسمون ذى القعدة شوالا ثم يسمون ذى الحجة ذى القعدة ثم يسمون المحرم ذى الحجة فيحججون فيه واسمه عندهم ذى الحجة ثم عادوا بمنزل هذه القصة فكانوا يحججون في كل شهر عامين حتى اذا وافق حجة أبى بكر الأخر من العامين فى القعدة ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم حجته التى حج فوافق

ذالقعده فذلك حين يقول النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وهذا الذي قال مجاهد فيه نظر أيضا وكيف تصح حجة أبي بكر وقد وقعت في ذى القعدة وأنى هذا وقد قال الله تعالى وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله برى من المشركين ورسوله الاية انما نودى به في حجة أبي بكر فلولم تكن في ذى الحجة لما قال تعالى يوم الحج الاكبر ولا يلزم من فعلهم النسي عهد الذي ذكره من دوران السنة وجههم في كل شهر عامين فان النسي حاصل بدون هذا فانهم لما كانوا يحلون شهر المحرم عاموا ويحرمون عوضه صفرا (١٥) والسنة على نظامها ثم في السنة الثانية يحرمون

المحرم ويتركونه على تحريمه لبواطنوا عدة ما حرم الله أى في تحريم أربعة أشهر من السنة الا انهم تارة يقدمون تحريم الشهر الثالث من الثلاثة المتوالية وهو المحرم وتارة ينسونه الى صفر أى يؤخرونه وقد قدمنا الكلام على قوله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار الحديث أى ان في الامر في هذه الاشهر وتحريم ما هو محرم منها على ما ثبت في كتاب الله من العدد والتوالي لا كما تعتد به جهلة العرب من فصلهم تحريم بعضها بالنسي عن بعض والله أعلم وقال ابن أبي حاتم حدثنا صالح بن بشر بن سلمة الطبراني حدثنا مكى بن ابراهيم حدثنا موسى بن عبيدة عن عبد الله ابن دينار عن ابن عمر انه قال وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة فاجتمع اليه من شاء الله من المسلمين فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ثم قال وانما النسي من الشيطان زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما فكانوا يحرمون المحرم عاما ويستحلون صفر ويستحلون المحرم وهو النسي وقد تكلم الامام محمد بن اسحق على هذا

سبب ما وقع فيه يوسف من الحن وما صار فيه من الابدال يجرى البيع والشراء فيه وهو الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم كما قال نبينا صلى الله عليه وآله وسلم في وصته بذلك (وشروه) يقال شراه بمعنى اشتراه وشراه بمعنى باعه والمراد هنا الثاني أى باعه الوارد وأصحابه أو اشتراه السيارة من اخوته (بئس بئس) ناقص أو زيف وقيل ظلم وقيل حرام لان ثمن الحرام والحرام يسمى بخسا لانه مختوس البركة أى منقوصها فلم يحل لهم بيعه ولا أكل ثمنه قاله ابن عباس وقيل قليل (درهم) بدل من ثمن أى لادنابر (معدودة) قيل باعوه بعشرين درهما وقيل بأربعين درهما وفيه اشارة الى انها قليلة تعد ولا تؤزن لانهم كانوا لا يؤنن مادون أوقية وهى أربعون درهما أخرج الطبراني والحاكم وصححه عن ابن مسعود قال انما اشترى يوسف بعشرين درهما وكان أهله حين أرسل اليهم بمصر ثلثمائة وتسعين انسا نارجلهم أنبياء ونسأوهم صدقات والله ما خرجوا مع موسى حتى كانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا وقد روى في مقدار ثمن يوسف غير هذا المقدار مما لا حاجة الى التطويل بذكره (وكانوا) الضمير يرجع الى ما قبله على حسب اختلاف الاقوال (فيه) أى فى يوسف (من الزاهدين) أصل الزهد قلته الرغبة يقال زهدت وزهدت بفتح الهاء وكسرها قال سيبويه والكسائي قال أهل اللغة زهد فيه أى رغب عنه وزهد عنه أى رغب فيه والمعنى انهم كانوا فيه من الراغبين عنه الذين لا يبالون به فلذلك باعوه بذلك الثمن الجبس لان غرضهم ابعاده عنهم لا تحصيل ثمنه وقيل ذلك لانهم التقطوه والمثقت للشئ ثم تهاون به ولم يداخلو امصر وعرضوه للبيع ترفع الناس في ثمنه (وقال الذى اشتراه من مصر) هو العزيز الذى كان على خزائن مصر وكان وزير الملك مصر وهو الريان بن الوليد من العمالقة وقيل ان الملك هو فرعون موسى وقال ابن عباس كان اسم المشتري قطيفر وعن محمد بن اسحق اطفير بن روجب وكان اسم امرأته راعيل بنت رعايل واسم الذى باعه من العزيز مالك ابن ذعر قيل اشتراه بعشرين ديناراً وقيل ترايدوا فى ثمنه فبلغ اضعاف وزنه مسكاً وعن ابي حنيفة وروى في روادى وعباد لا آتى وجواهر وكان وزنه أربع مائة رطل روى انه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث فى منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلاثين سنة وآناه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفى وهو ابن مائة وعشرين سنة

فى كتاب السيرة كلاما جيدا مفيدا احسن فقال كان أول من نسا الشهور على العرب فاحل منها محرم الله وحرم منها ما أحل الله عز وجل العلم وهو حذيفة بن عبد قيس بن عدى بن عامر بن نعلبة بن الحرث بن مالك بن كنانة بن خزيمية بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ثم قام بعده على ذلك ابنه عباد ثم ابنه قلع ثم من بعد عباد ابنه قلع بن عباد ثم ابنه أمية بن قلع ثم ابنه عوف بن أمية ثم ابنه أبو غامة جنادة بن عوف وكان آخرهم وعليه قام الاسلام فكانت العرب اذا فرغت من حجها اجتمعت اليه فقام فيهم خطيبا فحرم رجبا وذا القعدة وذا الحجة ويحل المحرم عاموا ويحل مكانه صفر ويحرمه عاما لبواطنوا عدة ما حرم الله فيحل ما حرم الله يعنى ويحرم

فما أحل الله والله أعلم (بأيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله أثأقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فماتع الحياة الدنيا في الآخرة الاقليل الاتفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضره شيئا والله على كل شيء قدير) هذا شروع في عتاب من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك حين طابت الثمار واطلال في شدة الحر وجرة القيقظ فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله أي إذا دعيتم إلى الجهاد في سبيل الله أثأقلتم إلى الأرض أي تسكاستم (١٦) وملتتم إلى المقام في الدعوة والحفظ وطيب الثمار أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة أي

فلما اشتراه العزيز قال (لامرأته) عن شعيب الجبلي ان اسم امرأة العزيز زليخاء بفتح الزاي وكسر اللام والمد كما في القاموس أو بضم الزاء وفتح اللام على هيئة المصغر كما قال الشهاب وقيل اسمها را عيل بوزن هليل وقيل أحدهما لقبها والآخر اسمها (أكرمي مثواه) أي منزله الذي يتولى فيه بالطعام والطيب واللباس الحسن يعني أحسن تعهده حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا وسأكنه في كنفنا ويقال للرجل كيف أبو مثواك وأم مثواك لمن ينزل به من رجل أو امرأة يراد هل تطيب نفسه بثوائك عنده وهل يراعي حق نزولك وقال ابن عباس وقتادة أكرمي منزلته والمثوى محل الثوى وهو الإقامة واكرام مثواه كتابته عن اكرامه على أبلغ وجه وأتمه لان من أكرم المحل باحسان الاسرة واتخاذ الفراش ونحوه فقد أكرم ضيفه بسأكرم به والمقام مقع كما يقال المجلس العالي والمقام السامي ومنه قول آزاد

قلبي الذي هو الـ طال نواه * آت اليك فاكرمي مثواه

وعن ابن مسعود قال أفرس الناس ثلاثة العزيز حين تفرس في يوسف فقال لامرأته أكرمي مثواه الآية والمرأة التي آتت. وسي قالت لا يهايا أبت استأجره وأبو بكر رضى الله تعالى عنه حين استخلف عمر (عسى أن يتنعنا) أي يكفينا بعض المهمات مما تحتاج فيه الى مثله أو ان أردنا بيعه بعننا برح (أو نتخذ ولدًا) أي تبناه فنجعله ولدًا لنا قيل كان العزيز حصورا لا يأتي النساء أو كان عقيمًا لا يولد له كما جرى عليه القاضي والاصفهانى تبع الكشاف وقد كان تفرس فيه انه ينوب عنه فيما اليه من أمر المملكة (وكذلك) إشارة الى ما تقدم من النجاة من اخوته وخرجه من الحب وعطف قلب العزيز عليه أي مثل ذلك التمكن البديع (مكاليوسف) يقال مكنته فيه أي أثبتته فيه ويمكن له فيه أي جعل له فيه مكانًا ولتقارب المعنيين يستعمل كل واحد منهما مكان الآخر يعني أعطيناه مكانه ورتبة عالية (في الأرض) أي في أرض مصر حتى صارتمه كالأمر والنهي وبلغ ما بلغ من السلطنة (ولنعلمه) هو علمه معلل محذوف كأنه قيل فعلمنا ذلك التمكن لنعلمه أو كان ذلك الانجاء لهذه العلة أو معطوف على مقدر وهو أن يقال مكاليوسف امترتب على ذلك ما يترتب مما جرى بينه وبين امرأة العزيز ولنعلمه (من تأويل الاحاديث) أي عبارة الروايات وتفسيرها قاله مجاهد والتأويل قيل فهم أسرار الكتب الالهية وسنن من قبله من الانبياء ولا مانع من

مالكم فعلتم هكذا رضامنكم بالدنيا بدلان الآخرة ثم زهدتبارك وتعالى في الدنيا ورغب في الآخرة فقال فماتع الحياة الدنيا في الآخرة الاقليل كما قال الامام أحمد حدثنا وكيع ويحيى بن سعيد قال حدثنا اسمعيل بن أبي خالد عن قيس عن المستورد أخى بنى فهر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا كما يجعل أحدكم أصبعه هذه في اليم فليتنظرم ترجع وأشار بالسبابة انفرد باخراجه مسلم وروى ابن أبي حاتم حدثنا بشر بن مسلم بن عبد الحميد الحمصي بجمص حدثنا الربيع بن روح حدثنا محمد بن خالد الوهبي حدثنا زياد يعني الجصاص عن أبي عثمان قال قلت يا أبا هريرة سمعت اخواني بالبصرة أنك تقول سمعت نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يجزي بالحسنة ألف ألف حسنة قال أبو هريرة بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يجزي بالحسنة ألفي ألف حسنة ثم تلا هذه الآية فماتع الحياة الدنيا في الآخرة الاقليل فالدينا

ما مضى منها وما بقي منها عند الله قليل وقال الثوري عن الاعمش في الآية الاقليل قال كزاد الراكب وقال عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه لما حضرت عبد العزيز بن مروان الوفاة قال اتوفى بكفى الذي أكفن فيه أنظر اليه فلما وضع بين يديه نظر اليه فقال ألمالي من كبير ما أخلف من الدنيا الا هدا ثم ولى ظهره فبكى وهو يقول أف لك من دار ان كان كثيرًا لقليل وان كان قليلًا لقصير وان كان منك لني غرور ثم توعدتعالى من ترك الجهاد فقال الاتفروا يعذبكم عذابا أليما قال ابن عباس استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا من العرب فتمنا قلوبوا عنه فأمسك الله عنهم القطر فكان عذابهم ويستبدل قوما غيركم أي لنصرة

نبية واقامته كما قال تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ولا تضره شيئا ولا تضر الله شيئا وتوليتكم عن
الجهاد ونكولكم وتثاقلكم عنه والله على كل شيء قدير أي قادر على الانتصار من الاعداء بدونكم وقد قيل ان هذه الآية وقوله
انفروا خفافا وثقالا وقوله ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله انهم منسوخات بقوله تعالى
وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة روى هذا عن ابن عباس وعكرمة والحسن وزيد بن أسلم ورده ابن
جرير وقال انما هذا في دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الجهاد فنعين (١٧) عليهم ذلك فلوتر كوه لعوقبوا عليه وهذا له

الاجتهاد والله سبحانه وتعالى أعلم
بالصواب (الانتصروه فقد نصره
الله اذا خرج الذين كفروا ثانی
الثنين اذهب ما في الغار اذ يقول
اصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل
الله سكينته عليه وأيده بجنود
لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا
السفلى وكلمة الله هي العليا والله
عزیز حكيم) يقول تعالى الا
تضروه أي تضروا رسول الله فان
الله ناصره ومؤيده وكافيه وحافظه
كما تولى نصره اذا خرجته الذين
كفروا ثانی الثنين أي عام الهجرة
لما هم المشركون بقتله أو حبسه أو
نفيه فخرج منهم هاربا صحبة صديقه
وصاحبه أبي بكر بن أبي
قحافة فلجأ الى غار ثور ثلاثة أيام
ليرجع الطلب الذين خرجوا في
آثارهم ثم يسيروا نحو المدينة فجعل
أبو بكر رضي الله عنه يجزع ان
يطلع عليهم ثم أحد فيخلص الى
الرسول عليه الصلاة والسلام منهم
أذى فجعل النبي صلى الله عليه وسلم
يسكنه وينتبه ويقول يا أبا بكر
ما ظنك باثنين الله ثالثهما كما قال
الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا

حل ذلك على الجميع (والله غالب على أمره) أي على أمر نفسه لا يمنع منه شيء ولا
يغالبه عليه غيره من مخلوقاته انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون يحكم
ما يشاء ويفعل ما يريد لا دافع لأمره ولا راد لقضائه ومن جملة ما يدخل تحت هذا العام
كما يفيد ذلك اضافة اسم الجنس الى الضمير ما يتعلق بيوسف من الامور التي أرادها الله
سبحانه في شأنه وقيل المعنى انه كان من أمر يعقوب أن لا يقص رؤياه على اخوته فغلب أمر
الله سبحانه حتى قصت عليهم حتى وقع منهم ما وقع وهذا بعد جدا (ولكن أكثر الناس
لا يعلمون) أي لا يطلعون على غيب الله وما في طيه من الاسرار العظيمة والحكم النافعة
وقيل المراد بالاكثر الجميع لانه لا يعلم الغيب الا الله وقيل ان الله سبحانه قد يطلع بعض
عباده على بعض غيبه كما في قوله فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارضى من رسول وقيل
المعنى لا يعلمون ان الله غالب على أمره وهزم المشركون ومن لا يؤمن بالقدر وقيل ما هو
صانع يوسف وما يريد منه (ولما بلغ أشده) قال سيبويه الاشد جمع واحده شدة نحو
نعمة وأنعم وقال الكسائي واحده شد بنز قفل وقال أبو عبيد انه جمع لا واحد له من
لفظه عند العرب وخالفه الناس في ذلك وهو من الشد وهو الربط على الشيء والعقد عليه
والاشد هو وقت استكمال القوة ثم يكون بعده النقصان قيل هو ثلاث وثلاثون سنة قاله
ابن عباس وقيل ثمانى عشرة سنة قاله سعيد بن جبير وقيل خمس وعشرون سنة قاله
عكرمة وقيل أربعون سنة قاله الحسن وقيل ثلاثون سنة قاله السدى وقيل بلوغ الحلم
وبه قال ربيعة والشعبي وقيل عشرون سنة قاله الضحاك وقيل غير ذلك مما قد قدمنا في
النساء والانعام قال الراغب وفيه تشبيه على ان الانسان اذا بلغ هذا القدرية قوى خلقه
الذى هو عليه فلا يكاد يزال ولم يقل هما واستوى كما قال في شأن موسى في سورة القصص
لان موسى كان قد بلغ أربعين سنة وهى مدة النبوة فقد استوى وتم يأمل أعباء الرسالة
وأسرار النبوة وأما يوسف فلم يكن اذ ذاك بلغ هذا السن (آيناه حكيم) هو ما كان يقع
منه من الاحكام في سلطان ملك مصر (وعلمنا) هو العلم بالحكم الذى كان يحكمه
وقيل العقل والفهم والنبوة والفقمة قاله مجاهد وقيل الحكم هو النبوة والعلم هو العلم
بالدين وقيل علم الرؤيا ومن قال انه أوتى النبوة صديقا قال المراد بهذا الحكم والعلم اللذين
آتاها الله هو الزيادة فيهما (وكذلك) أي مثل ذلك الجزء العجيب (نجزي المحسنين)

(٣ - فتح البيان خامس) همام انبأنا ثابت عن أنس أن أبا بكر حدثه قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن في الغار
لو أن أحدهم نظر الى قدميه لابصر تحت قدميه قال فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما أخرجاه في الصحيحين ولهذا قال تعالى
فانزل الله سكينته عليه أي تأييده ونصره عليه أي على الرسول صلى الله عليه وسلم في أشهر القولين وقيل على أبي بكر وروى عن
ابن عباس وغيره قالوا ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يزل معه سكينته وهذا الاشارة الى تجدد سكينته خاصة بتلك الحال ولهذا قال
وأيده بجنود لم تروها أي الملائكة وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا قال ابن عباس يعنى بكلمة الذين كفروا

الشرك وكلمة الله هي لاله الا الله وفي الصحاح عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل رياء أي ذلك في سبيل الله فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وقوله والله عزير أي في اتقائه وانتصاره منيع الجنب لا يضام من لاذبها به وا حتمى بالمثل بخطابه حكيم في أقواله وأفعاله انفروا خفا فاقولا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون قال سفيان الثوري عن أبيه عن ابى الضحى مسلم بن صبيح هذه الآية انفروا خفا فاقولا (١٨) أول ما نزل من سورة براءة وقال معتمر بن سليمان عن أبيه قال

زعمهم حضرمي انه ذكر له ان ناسا كانوا عسى ان يكون أحدهم عليا وكبيرا فيقول اني لا آثم فانزل الله انفروا خفا فاقولا الآية أمر الله تعالى بالنفیر العام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام غزوة تبوك لقتال أعداء الله من الروم الكفرة من أهل الكتاب وحتم على المؤمنين في الخروج معه على كل حال في المنشط والمكروه والعسر واليسر فقال انفروا خفا فاقولا وقال علي بن زيد عن أنس عن أبي طلحة كهول وشبان ما سمع الله عذر أحد ثم خرج الى الشام فقاتل حتى قتل وفي رواية قرأ أبو طلحة سورة براءة فاتى على هذه الآية انفروا خفا فاقولا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله فقال أرى ربنا استنفرنا شيئا وشبابا جهزوني يا بني فقال بنوه يرجحك الله قد غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مات ومع أبي بكر حتى مات ومع عمر حتى مات فخنن غزوه عنك فأبى فركب البحر فمات فلم يجدوا له بجزيرة فدفنوه فيها الأبعد تسعة أيام فلم يتغير فدفنوه فيها

فكل من أحسن في عمله أحسن الله جزاءه وجعل عاقبته الخير من جملة ما يجزيه به وهذا عام يدخل تحته جزاء يوسف على صبره الحسن دخولا وأوليا قال الطبري هذا وان كان مخرجه ظاهرا على كل محسن فالمراد به محمد صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله كما فعل هذا يوسف ثم أعطيته ما أعطيته كذلك أنجيتك من مشركي قومك الذين يقصدونك بالعداوة وأمكن لك في الأرض والاولى ما ذكرناه من جل العموم على ظاهره فيدخل تحته ما ذكره ابن جرير الطبري قيل معنى المحسنين المؤمنين وقيل الصابرين على النوائب قاله الضحاك وقيل المهتدين (ورأوته) أي حين بلغ مبلغ الرجال قاله ابن زيد وهو إذا رجوع الى شرح ماجرى عليه في منزل العزيز بعدما مر امرأته بها كرام منواه وقوله وكذلك مكاليوسف الى هنا اعتراض جى به ثم ذكرا للقصصه ليعلم السامع من أول الامر ان ما لقيه يوسف من الفتن التي استحكي بتفاصيلها غاية جملة وعاقبة حميدة وانه محسن في جميع أحواله لم يصد عنه في حالتي السراء والضراء ما يحل بنزاهته ولا يخفى ان مدار حسن التخلص الى هذا الاعتراض قبل تمام الآية الكريمة انما هو التمكن البالغ المفهوم من كلام العزيز والمرادة الارادة والطلب برفق ولين وقيل هي مأخوذة من الرواى الرفق والتأني يقال أرودى أى أمهلنى وقيل مأخوذة من رادير و إذا جاء وذهب اطلب شئ كأن المعنى انها فعلت في مرادتها فعل المخادع ومنه الرائد لمن يطلب الماء والكلاء وقد يخص بمحاولة الوقاع فيقال راود فلان جاريته عن نفسها وراودته هي عن نفسه اذا حاول كل واحد منهما الوطء والجماع وهي عبارة عن التمعل في مواقعة اياها وهي مفاعلة من واحد نحو مطالبة الدائن ومطالبة المديون ومداواة الطبيب ونظائرها مما يكون من أحد الجانبين الفعل ومن الآخر سببه وهذا باب لطيف المسئلة مبنى على اعتبار دقيق تحقيقه ان سبب الشئ يقام مقامه ويطلق عليه اسمه كما في قولهم كما تدب ندى ان أى كما تجزى تجزى فان فعل البادى وان لم يكن جزاء أطلق عليه اسمه لكونه سببا للجزاء وهذه قاعدة مطردة مستمرة فكان يوسف عليه السلام لما كان ما أعطيه من كمال الخلق والزيادة في الحسن والجمال سببا لمراودة امرأته العزيزة مراد او المراد بالمناعلة مجرد المبالغة وقيل الصيغة على بابها بمعنى انها طلبت منه الفعل وهو طلب منها الترك وانما قال (التي هو في بيتها عن نفسه) ولم يقل امرأته العزيزة أو زليخا قصدا الى زيادة

وهو كذا روى عن ابن عباس وعكرمة وأبي صالح والحسن البصرى ومهبر بن عطية ومقاتل التقرير ابن حبان والشعبي وزيد بن أسلم انهم قالوا في تفسير هذه الآية انفروا خفا فاقولا كهول وشبان وكذا قال عكرمة والضحاك ومقاتل بن حيان وغير واحد وقال مجاهد شبابا وشيوخا وغنيا ومساكين وكذا قال أبو صالح وغيره وقال الحكم بن عتيبة مشاعيل وغير مشاعيل وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى انفروا خفا فاقولا يقول انفروا نشاطا وغير نشاط وكذا قال قتادة وقال ابن أبي شحيب عن مجاهد انفروا خفا فاقولا قالوا فان فينا الثقيل وذو الحاجة والصنعة والشغل والتميس به أمره

فأنزل الله وأبى أن يعذرهم دون أن يتفروا خوفاً وثقالاً أي على ما كان منهم وقال الحسن بن أبي الحسن البصري أيضاً في العسر واليسر وهذا كله من مقتضيات العموم في الآية وهذا اختيار ابن جرير وقال الامام أبو عمرو والأوزاعي إذا كان النفر إلى دروب الروم نفر الناس إليها خوفاً وركبوا إذا كان النفر إلى هذه السواحل نفروا إليها خوفاً وثقالاً وكانوا مشاة وهذا تفصيل في المسئلة وقد روى عن ابن عباس ومحمد بن كعب وعطاء الخراساني وغيرهم أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى فلو أن نفر من كل فرقة منهم طائفة وسأى الكلام على ذلك أن شاء الله وقال السدي (١٩) قوله انفروا خوفاً وثقالاً يقول غنياً وفقيراً وقويًا

ضعيفاً فجاءه رجل وكان عظيماً سميناً فشكى إليه وسأله أن يأذن له فأبى فتركت يومئذ انفروا خوفاً وثقالاً فلما نزلت هذه الآية اشتد على الناس فذهبها الله فقال ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا الله ورسوله وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن عملة حدثنا أيوب عن محمد قال شهد أبو أيوب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر ثم لم يتخلف عن غزاة للمسلمين إلا عاماً واحداً وكان أبو أيوب يقول قال الله تعالى انفروا خوفاً وثقالاً فلا جدني إلا خفيفاً أو ثقيلاً وقال ابن جرير حدثني سعيد بن عمرو السكوكي حدثنا بقة حدثنا جرير حدثني عبد الرحمن ابن ميسرة حدثني أبو راشد الحراني قال وافيت المقداد بن الأسود فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً على تابوت من ثياب بيت الصياغة بجمص وقد فصل عنها من عظمه يريد الغزو فقلت له قد أعذر الله إليك فقال أمت علينا سورة البعوث انفروا خوفاً وثقالاً

التقرير فإن كونه في بيتها ما يدعو إلى ذلك قيل لو احدى ما جئت على ما أتت عليه مما لا خبير فيه قالت قرب الوساد وطول السواد ولا يظهر كمال نزاهته عليه الصلاة والسلام فإن عدم ميله إليها مع دوام مشاهدته لها سنها واستعصائه عليها مع كونه تحت ملكتها ينادى بكونه في أعلام عراج العفة والنزاهة والعدول عن اسمها للمحافظة على الستر أو للاستهجان بذكرها قال قتادة هي امرأة العزيز (وغلقت الابواب) أي أطبقتها قيل في هذه الصيغة ما يدل على التكثر لعدد المحال وهي الابواب فيقال غلقت الابواب ولا يقال غلقت الباب بل يقال أغلقت الباب وقد يقال أغلقت الابواب قيل وكانت الابواب سبعة كما في البيضاوي وغيره وإنما أغلقتها الشدة خوفاً منها (وقالت هيت لك) قرأ أبو عمرو وعاصم والأعمش والكسائي بفتح الهاء وسكون اليا وفتح التاء وبها قرأ ابن عباس وابن جبير والحسن ومجاهد وعكرمة وكسيف وليت قال ابن مسعود لا تنطعوا في القراءة فأنما هو مثل قول أحدكم هلم وتعال وقرأ أبو اسحق النخوي بكسر التاء وقرأ ابن كثير وغيره بضم التاء مع فتح الهاء وقرأ أبو جعفر ونافع بكسر الهاء وفتح التاء بوزن قيل وغيض وهذه القراءات سبعة وقرأ علي وابن عباس بكسر الهاء وبعدها همزة ساكنة وضم التاء وقرأ ابن عامر وأهل الشام بكسر الهاء وبالهمزة وفتح التاء وهذه كلها لغات في هذه الكلمة وهي في كلها اسم فعل بمعنى هلم وتعال أي أقبل الآن في قراءة كسر الهاء بعدها همزة وتاء مضمومة فأنما بمعنى تهيأت لك وأنكرها أبو عمرو وقال باطل جعلها بمعنى تهيأت اذهب فاستعرض العرب حتى تنتهي إلى اليمن هل تعرف أحداً يقول هكذا أو أنكراها أيضاً الكسائي وقال النحاس هي جيدة عند البصريين لأنه يقال هاء الرجل وبهي هيأة ورج الزجاج القراءة الأولى وتكون اللام في لك على القراءة الأولى التي هي فيها بمعنى اسم الفعل للبيان أي لك أقول هذا كما في هلم لك قال النخويون هيت جاء بالحركات الثلاث فالفتح للحنفية والكسر لالتقاء الساكنين والضم تشبيهاً بحيث وإذا بين باللام نحو هيت لك فهو صوت قائم مقام المصدر كافي له أي لك أقول هذا وان لم يبين باللام فهو صوت قائم مقام مصدر الفعل فيكون اسم فعل ما خبر أي تهيأت وأما امرأي أقبل وقال في الصحاح يقال هوت به وهيت به إذا صاح به ودعاه وقد روى عن ابن عباس والحسن أنها كلمة سر يأنس بها معناها أنها تدعو إلى نفسها وقال الكسائي هي لغة لاهل حوران وقعت إلى

وقال ابن جرير حدثني حبان بن زيد الشمرعي قال نفرنا مع صفوان بن عمرو وكان والياً على حصص قبل الأفسون إلى الجراحة فترأيت شيخاً كبيراً هاماً قد سقط حاجباه على عينيه من أهل دمشق على راحلته فبين أثاراً فاقبلت إليه فقلت يا عم لقد أعذر الله إليك قال فرجع حاجبيه فقال يا ابن أخي استنفرنا الله خوفاً وثقالاً إلا أنه من يحبه الله ينقلبه ثم يعيده الله فيبقيه وإنما سئل الله من عباده من شكر وصبر وذكروا يعبد الله عز وجل ثم رغب تعالى في النفقة في سبيله وبذل المهج في مرضاته ومرضاته رسول الله فقال وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون أي هذا خير لكم في الدنيا والآخرة لأنكم تعلمون في النفقة قلباً

فيعتكم الله أموال عدوكم في الدنيا مع ما يدخر لكم من الكرامة في الآخرة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم تكفل الله للجهاد في سبيله ان توفاه ان يدخله الجنة أو يرده الى منزله بما نال من اجراء وغنمة ولهذا قال تعالى كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تتركوه واشاءوه خوفاً وكرهاً وعسى ان تهبوا شياً وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون ومن هذا القبيل ما رواه الامام أحمد حدثنا محمد بن أبي عدي عن جريد عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل أسلم قال أسلم وان كنت كارها (لو كان عرضا قريبا وسفرا (٢٠) فاصد لا تبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة واسيجلنوني بالله لو استطعنا لخرجنا

معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون) يقول تعالى موجبا للذين تخلفوا عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وقعدوا بعدما استأذنوه في ذلك مظهرين انهم ذروا عذر اولم يكونوا كذلك فقال لو كان عرضا قريبا قال ابن عباس غنمة قريية وسفرا فاصدا أي قريبا أيضا لا تبعوك أي لكانوا جاؤا معك كذلك ولكن بعدت عليهم الشقة أي المسافة الى الشام وسيخلفون بالله أي لكم اذا رجعت اليهم لو استطعنا لخرجنا قال الله تعالى يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون (عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم والله عليهم بالمتقين انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو حصين بن سليمان الرازي حدثنا سفيان بن عيينة

أهل الحجاز معنا تعال قال أبو عبيدة فسألت شيخا عالما من حوران فذكر انهم الغتهم وعن ابن عباس معناه هلك بالقبضية وقال الحسن أي عليك بالسريانية وقيل هي بالعبانية ومن قال انهم بلغوا العرب يقول ان العرب وافقت أصحاب هذه اللغة فتكلمت بها على وفق لغات غيرهم كما وافقت لغة العرب الروم في القسطاس ولغة العرب الفرس في التنوير ولغة العرب الترك في الغساق ولغة العرب الحبشة في ناشئة الليل وبالجملة فان العرب اذا تكلمت بكلمة صارت لغة لها وعن مجاهد انها لغة عربية تدعوها الى نفسها (قال معاذ الله) أي أعوذ بالله معاذا مما دعوتني اليه يقال عاذي عواذيا ووعاذا ووعواذ ما صدر بمعنى الفعل (انه) أي الذي اشتري (ربي) تعليل للامتناع الكائن منه ببعض الاسباب التي هي أقرب الى فهم امرأة العزيز وقيل الضمير للشأن فكأنه قيل ان الشأن الخطير هذا وهو ربي أي سيدي الذي رباني العزيز (أحسن منواي) حيث أمرت بقوله أكرمي مثواه فكيف أخونه في أهله وأجيبك الى ما تريد من ذلك وقال الزجاج ان الضمير لله سبحانه أي ان الله ربي نولاني بلطفه فلا أركب ما حرمة قال مجاهد والسدي وابن اسحق يعبد جدا ان يطلق نبي كريم على مخلوق انه ربه ولو عني السيد لانه ليس بمخلوق كافي الحقيقة والاول فيه ارشادها الى رعاية حق العزيز بالطف ووجه (انه لا يرفع الظالمون) تعليل آخر للامتناع منه عن اجابتهما والسلاح الظفر والمعنى انه لا يظفر الظالمون بظالمهم ومن جملة الظالمين الواقعون في مثل هذه المعصية التي تطلبها امرأة العزيز من يوسف وقيل معناه انه لا يسعد الزناة (ولقد) لام قسم (همت به وهم بها) يقال هم بالامر اذا قصده وعزم عليه والمعنى انه هم بمخالطتها كما همت بمخالطته ومال كل واحد منهم الى الآخر بمقتضى الطبيعة البشرية وبالجملة الخلقية ولم يكن من يوسف عليه الصلاة والسلام القصد الى ذلك اختيارا كما يفيد ما تقدم من استمادته بالله وان ذلك نوع من الظلم بل قصد من غير رضا ولا عزم ولا تصميم والقصد على هذا الوجه لا مؤاخذة فيه فلا خلاف في ان يوسف لم يأت بفاحشة وانما الخلاف في وقوع الهم ولما كان الانبياء معصومين عن الهم بالمعصية والقصد اليها أيضا تكلم أهل العلم في تفسير هذه الآية بما فيه نوع تكلف فن ذلك ما قاله أبو حاتم قال كنت اقرأ على أبي عبيدة غريب القرآن فلما آتيت على قوله ولقد همت به وهم بها قال هذا على التقديم والآخر كانه قال ولقد

عن مسعر عن عون قال هل سمعتم معاشة أحسن من هذا اذنا بالعفو قيل المعاشة فقال عفا الله عنك لم أذنت لهم وكذا قال مورق العجلي وغيره وقال قتادة عاتبه كما تسمعون ثم أنزل التي في سورة النور فخص له في أن ياذن لهم ان شاء فقال فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم الآية وكذا روى عن عطاء الخرساني وقال مجاهد نزلت هذه الآية في أناس قالوا استأذنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فان أذن لكم فاقعدوا وان لم ياذن لكم فاقعدوا ولهذا قال تعالى حتى يتبين لك الذين صدقوا أي في ابداء الاعذار وتعلم الكاذبين يقول تعالى هل اتركتهم لما استأذنوك فلم تأذن لاحد منهم في القعود لتعلم الصادق منهم

همت

في اظهار طاعتك من الكاذب فانهم قد كانوا مصرين على القعود عن الغزو ولهذا أخبر تعالى انه لا يستأذنه في القعود عن الغزو
أحد يؤمن بالله ورسوله فقال لا يستأذنك أي في القعود عن الغزو الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم
لانهم يرون الجهاد قربة فلما ندبهم اليه بادروا وامتلأوا بالله عليهم بالمتقين انما يستأذنك أي في القعود عن لا عدله الذين لا يؤمنون
بالله واليوم الآخر أي لا يرجون ثواب الله في الدار الآخرة على أعمالهم وارتابت قلوبهم أي شككت في صحة ما جئتهم به ففهم في
ريهم يترددون أي يتحIRON يقدمون رجلا ويؤخرون أخرى وليست لهم (٢١) قدم ثابتة في شيء فهم قوم حيارى هلكت لال

هؤلاء ولا ان رأى برهان ربه لهم بها وقال أحد بن يحيى ثعلب أي همت زليخا بالمعصية
وكانت مصرة وهم يوسف ولم يوقع ما هم به فين الهمين فرق ومن هذا قول الشاعر
همت بهم من نية لؤلؤ * شفت غيلات الهوى من فؤاديا
فهذا انما هو حديث النفس من غير عزم وقيل هم بها أي هم بضربها وقيل هم بمعنى تمني
أن يتزوجها وقد ذهب جمهور المفسرين من السلف والخلف الى ما قدمنا من جعل اللفظ
على معناه اللغوي ويدل على هذا قوله الآتي ذلك لي علم أني لم أخنه بالغيب وقوله وما
أبرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء ويجرد الهم لا ينافي العصمة فانها قد وقعت العصمة
عن الوقوع في المعصية وذلك المطلوب قال الشهاب قال الامام المراد بالهم في الآية
خطور الشيء بالبال أو ميل الطبع كالصائم في الصيف يرى الماء البارد فتحمله نفسه على
الميل اليه وطلب شربه ولكن يمنع دينه عنه وكلمة الفاتحة حسنا وجالاتها للشباب
النأحي القوى فتقع بين الشهوة والعفة وبين النفس والعقل مجاذبة ومنازعة فالهم هنا
عبارة عن جوازب الطبيعية ورؤية البرهان جوازب الحكمة وهذا لا يدل على حصول
الذنب بل كماله كان هذه الحال أشد كانت القوة على لوازم العبودية أكمل انتهى
ويؤيده ما في البيضاوي المراد به علمه الصلاة والسلام ميل الطبع ومنازعة الشهوة
لا القصد الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمذبح والاجر الجزيل
من الله تعالى من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم أو مشاركة الهم كقولك قتله
لوم أخف الله انتهى وقيل انه هم بالقاحشة وأتى ببعض مقدماتها وقد أفرط الزمخشري
في التشنيع عليه والصحيح نزاهته عن الهم المحرم أيضا وقد أطنب الرازي في هذا المقام
فليراجعه وقيل معنى الهم انها اشتتهه واشتهاها قال الخفاجي وانه أحسن الوجوه

هومت به ولولا ان رأى برهان ربه لهم بها وقال أحد بن يحيى ثعلب أي همت زليخا بالمعصية
وكانت مصرة وهم يوسف ولم يوقع ما هم به فين الهمين فرق ومن هذا قول الشاعر
همت بهم من نية لؤلؤ * شفت غيلات الهوى من فؤاديا
فهذا انما هو حديث النفس من غير عزم وقيل هم بها أي هم بضربها وقيل هم بمعنى تمني
أن يتزوجها وقد ذهب جمهور المفسرين من السلف والخلف الى ما قدمنا من جعل اللفظ
على معناه اللغوي ويدل على هذا قوله الآتي ذلك لي علم أني لم أخنه بالغيب وقوله وما
أبرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء ويجرد الهم لا ينافي العصمة فانها قد وقعت العصمة
عن الوقوع في المعصية وذلك المطلوب قال الشهاب قال الامام المراد بالهم في الآية
خطور الشيء بالبال أو ميل الطبع كالصائم في الصيف يرى الماء البارد فتحمله نفسه على
الميل اليه وطلب شربه ولكن يمنع دينه عنه وكلمة الفاتحة حسنا وجالاتها للشباب
النأحي القوى فتقع بين الشهوة والعفة وبين النفس والعقل مجاذبة ومنازعة فالهم هنا
عبارة عن جوازب الطبيعية ورؤية البرهان جوازب الحكمة وهذا لا يدل على حصول
الذنب بل كماله كان هذه الحال أشد كانت القوة على لوازم العبودية أكمل انتهى
ويؤيده ما في البيضاوي المراد به علمه الصلاة والسلام ميل الطبع ومنازعة الشهوة
لا القصد الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمذبح والاجر الجزيل
من الله تعالى من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم أو مشاركة الهم كقولك قتله
لوم أخف الله انتهى وقيل انه هم بالقاحشة وأتى ببعض مقدماتها وقد أفرط الزمخشري
في التشنيع عليه والصحيح نزاهته عن الهم المحرم أيضا وقد أطنب الرازي في هذا المقام
فليراجعه وقيل معنى الهم انها اشتتهه واشتهاها قال الخفاجي وانه أحسن الوجوه
وجواب لوفى (لولا أن رأى برهان ربه) محذوف أي لفعل ما هم به واختلف في هذا
البرهان الذي رآه ما هو فقيل ان زليخا قامت عند ان همت به وهم بها الى صنم لها في زاوية
البيت فسترته بثوب فقال ما تصنعين قالت استحي من الهى هذا ان يراني على هذه الصورة
فقال يوسف أنا أولى ان استحي من الله تعالى روى معنى هذا عن علي بن أبي طالب وفي
روايته عن علي بن الحسين وقيل انه رأى في سقف البيت مكتوبا ولا تقر بوالزنا انه كان
قاحشة وقيل رأى كفا مكتوبا عليها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين وقيل ان البرهان

هومت به ولولا ان رأى برهان ربه لهم بها وقال أحد بن يحيى ثعلب أي همت زليخا بالمعصية
وكانت مصرة وهم يوسف ولم يوقع ما هم به فين الهمين فرق ومن هذا قول الشاعر
همت بهم من نية لؤلؤ * شفت غيلات الهوى من فؤاديا
فهذا انما هو حديث النفس من غير عزم وقيل هم بها أي هم بضربها وقيل هم بمعنى تمني
أن يتزوجها وقد ذهب جمهور المفسرين من السلف والخلف الى ما قدمنا من جعل اللفظ
على معناه اللغوي ويدل على هذا قوله الآتي ذلك لي علم أني لم أخنه بالغيب وقوله وما
أبرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء ويجرد الهم لا ينافي العصمة فانها قد وقعت العصمة
عن الوقوع في المعصية وذلك المطلوب قال الشهاب قال الامام المراد بالهم في الآية
خطور الشيء بالبال أو ميل الطبع كالصائم في الصيف يرى الماء البارد فتحمله نفسه على
الميل اليه وطلب شربه ولكن يمنع دينه عنه وكلمة الفاتحة حسنا وجالاتها للشباب
النأحي القوى فتقع بين الشهوة والعفة وبين النفس والعقل مجاذبة ومنازعة فالهم هنا
عبارة عن جوازب الطبيعية ورؤية البرهان جوازب الحكمة وهذا لا يدل على حصول
الذنب بل كماله كان هذه الحال أشد كانت القوة على لوازم العبودية أكمل انتهى
ويؤيده ما في البيضاوي المراد به علمه الصلاة والسلام ميل الطبع ومنازعة الشهوة
لا القصد الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمذبح والاجر الجزيل
من الله تعالى من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم أو مشاركة الهم كقولك قتله
لوم أخف الله انتهى وقيل انه هم بالقاحشة وأتى ببعض مقدماتها وقد أفرط الزمخشري
في التشنيع عليه والصحيح نزاهته عن الهم المحرم أيضا وقد أطنب الرازي في هذا المقام
فليراجعه وقيل معنى الهم انها اشتتهه واشتهاها قال الخفاجي وانه أحسن الوجوه
وجواب لوفى (لولا أن رأى برهان ربه) محذوف أي لفعل ما هم به واختلف في هذا
البرهان الذي رآه ما هو فقيل ان زليخا قامت عند ان همت به وهم بها الى صنم لها في زاوية
البيت فسترته بثوب فقال ما تصنعين قالت استحي من الهى هذا ان يراني على هذه الصورة
فقال يوسف أنا أولى ان استحي من الله تعالى روى معنى هذا عن علي بن أبي طالب وفي
روايته عن علي بن الحسين وقيل انه رأى في سقف البيت مكتوبا ولا تقر بوالزنا انه كان
قاحشة وقيل رأى كفا مكتوبا عليها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين وقيل ان البرهان
وابن جرير وفيكم سماعون لهم أي عيون يسمعون لهم الاخبار وينقلونها اليهم وهذا لا يبق له اختصاص بخروجهم معهم بل هذا
عام في جميع الاحوال والمعنى الاول أظهر في المناسبة بالسياق واليه ذهب قيادة وغيره من المفسرين وقال محمد بن اسحق كان
استأذن فيما بلغني من ذوى الشرف منهم عبد الله في أي ابن سأل والجد بن قيس وكانوا أشرفا في قومهم فشببهم الله لعلمهم ان
يخرجوا فيفسدوا وعليه جنده وكان في جنده قوم أهل محبة لهم وطاعة فيما يدعونهم اليه لشر ففهم فيهم فقال وفيكم سماعون لهم
ثم أخبر تعالى عن تمام علمه فقال والله علمم بالظالمين فأخبر بأنه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون ولهذا قال

تعالى لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا فأخبر عن حالهم كيف يكون لو خرجوا ومع هذا ما خرجوا كما قال تعالى ولوردوا العادوا
لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقال تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون وقال تعالى ولو انا كتبنا
عليهم ان اقتلوا انفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم ولو انهم فعلوا ما يوعدون به لكان خيرا لهم واشد تنبيها واذا
لا تيناهم من لدنا اجر اعظيما واهديناهم صراطا مستقيما والا آيات في هذا كثيرة (لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا الامور
حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون) (٢٢) يقول تعالى محرض النبي عليه السلام على المنافقين لقد ابتغوا الفتنة من قبل

وقلبوا الامور اى لقد اعملوا
فكرهم و اجالوا آراءهم في كيدك
وكيد اصحابك وخذلان دينك
واجتاده مدة طويلة وذلك اول
ما قدم النبي صلى الله عليه وسلم
المدينة زمته العرب عن قوس
واحدة وحاربه يهود المدينة
ومنافقوها فلما نصره الله يوم بدر
وأعلا كلمته وقال ابن أبي وأصحابه
هذا أمر قد توجه فدخلوا في
الاسلام ظاهرا ثم كلما عز الله
الاسلام وأهله أعانهم ذلك وساء لهم
ولهذا قال تعالى حتى جاء الحق
وظهر أمر الله وهم كارهون (ومنهم
من يقول ائذنى ولا تفتنى الا فى
الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطه
بالكافرين) يقول تعالى ومن
المنافقين من يقول لك يا محمد ائذنى
لى فى القعود ولا تفتنى بالخروج
معك بسبب الجوارى من نساء
الروم قال الله تعالى الا فى الفتنة
سقطوا اى قد سقطوا فى الفتنة
بقولهم هذا كما قال محمد بن اسحق
عن الزهري ويزيد بن رومان وعبد
الله بن أبي بكر وعاصم بن قتادة
 وغيرهم قالوا قال رسول الله صلى الله

هو تذكره عهد الله وميثاقه وما أخذ على عباده وقيل نودي يا يوسف أنت مكتوب
فى الانبياء وتعمل عمل السلفاء وقيل رأى صورة يعقوب على الحدار عاضا على أغمته
يتوعدده وبه قال قتادة وأكثر المفسرين والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة
والضحاك وقيل رأى جبريل فى صورة يعقوب قاله ابن عباس وقيل مثل له يعقوب
فضرب يده فى صدره فخرجت شهوته من أنامله وقيل رأى جبريل قاله البيضاوى
قال الخفاجى هذا مع ما فى القصص ونحوه لا يليق ذكره وتركه أحسن منه كله
مما لأصل له والنص ناطق بخلافه والبرهان ما عنده من العلم الدال على تحريم ما همت به
وانه لا يمكن لهم فضلا عن الوقوع فيه هذا هو الذى يجب اعتقاده والحل عليه انتهى
وعلى الجملة ان كل ذلك الاخرافات وأباطيل تجمها الأذان وتردها العقول والاذهان
ويلى لمن لا كهها ولفقها أو سمعها أو صدقها والحاصل انه رأى شيئا حال بينه وبين ما هم به
والله أعلم بما هو وقد أطال المفسرون فى تعيين البرهان الذى رأه بلا دليل يدل عليه
من السنة المطهرة واختلفت أقوالهم فى ذلك اختلافا كثيرا (كذلك) إشارة
الى الاراء المدلول عليها بقوله رأى برهان ربه أو الى التثبيت المفهوم من ذلك أى مثل
تلك الاراء أقريناه أو مثل ذلك التثبيت بثبانه (لنصرف عنه السوء) أى كل ما يسوءه
(والفحشاء) هو كل أمر مفرط القبح وقيل السوء الخيانة للعزيز فى أهله والنحشاء الزنا
وقيل السوء الشهوة والفحشاء المباشرة وقيل السوء الثناء القبيح والاولى الخجل على
العموم فيدخل فيه ما يدل عليه السياق دخول أوليا قال أبو السعود وفيه آية بينة
وحجة قاطعة على أنه عليه الصلاة والسلام لم يقع منه شيء بالمعصية ولا توجه اليها قط والا
لقيل لنصرفه عن السوء والفحشاء وانما توجه اليه ذلك من خارج فصرفه الله تعالى عنه
بما فيه من موجبات العفة والعصمة فأمل (انهم عبادنا المخلصين) تعليل لما قبله
قرئ بكسر اللام وقبحها وهى سبعية والمعنى على الاولى ان يوسف كان ممن أخلص
طاعته لله وعلى الثانية انه كان ممن استخلصه الله للرسالة وقد كان عليه السلام مخلصا
مستخلصا وعلى كلا المعنيين فهو منتظم فى سلوكهم داخل فى زمرة من أول أمره بقضية
الجملة الاسمية لان ذلك حدث له بعد ان لم يكن كذلك فالتحسم مادة احتمال صدور الهم
بالسوء منه عليه السلام بالكيفية قال الخفاجى قيل فيه ان كل من له دخل فى هذه القصة

عليه وسلم ذات يوم وهو فى جهازه للجد بن قيس أخى بنى سلمة هل لك يا جد العام فى اجلاء بنى الاصفر فقال يا رسول الله أو شهد
تأذنى ولا تفتنى فوالله لقد عرف قومي ما رجل أشد عجبا بالنساء منى وانى أخشى ان رأيت نساء بنى الاصفر ان لا أصبر عنهن فأعرض
عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد أذنت لك فى الجد بن قيس نزلت هذه ومنهم من يقول ائذنى ولا تفتنى الا فى أى ان كان
انما يخشى من نساء بنى الاصفر و ايس ذلك به فاسقط فيه من الفتنة بخلافه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والرغبة بنفسه عن
نفسه أعظم وهكذا روى عن ابن عباس ومجاهد وغير واحد انها نزلت فى الجد بن قيس وقد كان الجد بن قيس هذا من أشرف

بني سلمة وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم من سيدكم يا بني سلمة قالوا الجدي بن قيس على ان ابخله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأي داء أو من البخل ولكن سيدكم الفتى الجعد الأبيض بشر بن البراء بن معرور وقوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين أي لا يحمد لهم عنها ولا مهرب (ان تصبك حسنة تسوءهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا من امرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون قل ان يصينا الاما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليستوكل المؤمنون) يعلم تبارك وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بعد اذ هو لاله لانه مهما أصابه من حسنة أي فتم ونصر وظفر على الاعداء (٢٣) مما يسره ويسر أصحابه ساء لهم ذلك وان تصبك

مصيبة يقولوا قد أخذنا من امرنا من قبل أي قد احترزنا من مباحته من قبل هذا ويتولوا وهم فرحون فأرشد الله تعالى رسول الله صلى

الله عليه وسلم الى جوابهم في عداوتهم هذه التامة فقال قل أي لهم ان يصينا الاما كتب الله لنا أي نحن تحت مشيئته وقدره وهو مولانا وسيدنا ومجئونا وعلى الله فليستوكل المؤمنون أي ونحن متوكلون عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل (قل هل تربصون بنا الا احدي الحسينين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعدذاب من عنده أو يديننا فتربصوا انامعكم تربصون قل انفقوا طوعاً وكرهاً ان يتقبل منكم انكم كنتم قوماً فاسقين وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله ورسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون) يقول تعالى قل لهم يا محمد هل تربصون بنا أي تنتظرون بنا الا احدي الحسينين شهادة أو ظفر بكم قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم ونحن نتربص بكم

شهد ببراءته فشهد الله بقوله لنصرف الخ وشهد هو على نفسه بقوله هي راودتني ونحوه وشهدت زليخا بقولها ولقد راودتني عن نفسي فاستعصم وسيدها بقوله انك كنت من الخاطئين وابليس بقوله لا غويينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين فتضمن اخباره بانه لم يغوه ومع هذا كله لم يبرئه أهل القصاص كما قيل

وكنتم قتي من جنود ابليس فارتقى * بي الحال حتى صار ابليس من جندي (واستبقا الباب) أي تسا بقا اليه وهذا كلام متصل بقوله ولقد همت به وهم بها الآية وما بينهما اعتراض بحية بين المعطوفين تقرير التزاهته عليه السلام ووجه تسا بقهما ان يوسف يدا الفرار والخروج من الباب وامرأة العزيز تريد ان تسبقه اليه لتمتعه عن الفتح والخروج ووجد الباب هذا ووجهه فيما تقدم لان تسا بقهما كان الى الباب البراني الذي يخلص منه الى خارج الدار قال السيوطي با در اليه يوسف للفرار وهي للتشبث به فامسكت ثوبه (وقدت) أي جذبت (قيصة من دبر) من ورائه فانشق الى أسفله والقدر المقطع وأكثر ما يستعمل فيما كان طولاً والقدر بالطاء يستعمل فيما كان عرضاً قال الشهاب في الرحمة القدر المقطع متقاربان معنى وهما من زرعان من القطع وفيه لطيفة اتفافية لان القدر قطع الشيء من نصفه أو قطعه نصفين والقطر قطع الطرف كما في الشمع والقلم فكانه لكونه قليلاً من القطع نقص منه العين انتهى واسناد القدر اليها خاصة مع ان لقوة يوسف أباد خلافه اما لانها الجزء الاخير للعلامة التامة واما اللذان بمبا الغتافي منعه عن الخروج وبذل مجهودها في ذلك لفوت المحبوب أو غلوف الافتضاح (والقبا سيدها لدى الباب) أي وجد العزير هنا الكوعني بالسيد الزوج لان القبط يسمون الزوج سيداً وانما يقل سيدهما لان ملكه ليوسف لم يكن صحيحاً فلم يكن سيداً له (قالت ماجراً من أراد باهلك سواً) من الزنا ونحوه والجملة مستأنفة كأنه قيل فما كان منهما عند ان ألفيا سيدها لدى الباب قالت هذه المقالة طلباً منها للجملة وللستر على نفسها فنسبت ما كان منها الى يوسف أي أي جزاء يستحقه من فعل مثل فعل هذا ثم أجابت عن استفتاءها بقولها (الا أن يسجن) أي ماجزأه الا ان يسجن ويحتمل ان تكون مانافية أي ليس جزأه الا السجن وانما بدأت بذكر السجن لان الحب لا يشتهي ايلام المحبوب وانما أرادت ان يسجن عندها يوماً ويومين ولم ترد السجن الطويل قال الخازن وهذه

أي تنتظر بكم ان يصيبكم الله بعدذاب من عنده أو يديننا أي تنتظر بكم هذا وهذا اما ان يصيبكم الله بعدذاب من عنده أو يديننا بسبي أو يقتل فتربصوا انامعكم تربصون وقوله تعالى قل انفقوا طوعاً وكرهاً ان يتقبل منكم انكم كنتم قوماً فاسقين ثم أخبر تعالى عن سبب ذلك وهو انهم لا يتقبل منهم لانهم كفروا بالله ورسوله أي والاعمال انما تصح بالايان ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى أي ليس لهم قدم صحيح ولا همة في العمل ولا ينفقون نفقة الا وهم كارهون وقد أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم ان الله لا يمل حتى تملوا وان الله طيب لا يقبل الا طيباً فلهذا لا يقبل الله من هؤلاء نفقة ولا

علا لانه انما يتقبل من المتقين (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهد أنفسهم وهم كافرون) يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم كما قال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى وقال أئحسبون اننا نمددهم به من مال وسين نساخ لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقوله انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا قال الحسن البصري بزكاتها والنفقة منها في سبيل الله وقال قتادة هذا من المقدم والمؤخر تقديره فلا تعجبك أموالهم (٢٤) ولأولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا واختار ابن جرير

قول الحسن وهو القول الاول القوي الحسن وقوله وتزهد أنفسهم وهم كافرون يريدان عيبتهم حين عيبتهم على الكفر ليكون ذلك أنكى لهم وأشد لعذابهم عيانا بالله من ذلك وهذا يكون من باب الاستدراج لهم فيما هم فيه (ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمعون) يخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عن جزعهم وفرعهم وفرقهم وعلعهم انهم يحلفون بالله انهم لمنكم مينا مؤكدة وما هم منكم أى فى نفس الامر ولكنهم قوم يفرقون أى فهو الذى جعلهم على الحلف لو يجدون ملجأ أى حصنا يتحصنون به وحرز يتحزرون به أو مغارات وهى التى فى الجبال أو مدخلا وهو السرب فى الارض والنفق قال ذلك فى الثلاثة ابن عباس ومجاهد وقتادة لولوا اليه وهم يجمعون أى يسرعون فى ذهابهم عنكم لانهم انما يخاطبونكم كرها لا محبة وودوا انهم لا يخاطبونكم ولكن للضرورة

لطيفة فافهمها وقال ابن الخطيب وأما الحبس الدائم فانه لا يعبر عنه به هذه العبارة بل يقال يجب ان يجعل من المسجونين كما قال فرعون لاجعلنك من المسجونين ذكره الكرخي (أو عذاب أليم) قيل هو الضرب بالسباط والظاهر انه ما يصدق عليه العذاب الاليم من ضرب أو غيره وفى الابهام للعذاب زيادة تهويل لشأن الجزاء المذكور بكونه قانونا مطردا فى حق كل أحد كائنا من كان وفى ذكر نفسها بعنوان أهلية العزيز اعظام للخطب واغراءه على تحقيق ما تنوخواه بحكم الغضب والحمة قاله أبو السعد وولم تقل ان يوسف يجب ان يقابل باحد هذين الامرين بل ذكرت ذلك ذكرا كليا صونا للمعجوب عن الذكربالشر فلما سمع يوسف مقالها أراد ان يبرهن عن نفسه (قال هى راودتني عن نفسى) يعنى طلبت منى الفحشاء فايت وفررت والجملة مستأنفة كالجمله الاولى وقد تقدم بيان معنى المرادة أى هى التى طلبت منى ذلك ولم أردها سوا ولم يقل هذه ولا تلك لفرط استحيائه وهو أدب حسن حيث أتى بلفظ الغيبة دون الحضور ولم يكن يريد ان يذكر هذا القول ولا يهتك سترها ولكن لما قالت هى ما قالت ولطخت عرضة احتاج الى ازالة هذه التهمة عن نفسه فقال ما قال (وشهد شاهد من أهلها) أى من قرابتها وسعى الحكم بينهم ما شهداء لما يحتاج فيه من التثبت والتأمل قيل لما التبس الامر على العزيز احتاج الى حاكم يحكم بينهم ليتبين له الصادق من الكاذب قيل كان ابن عم لها واقفامع العزيز فى الباب وقيل ابن خال لها وقيل انه طفل فى المهد تنكلم قال السهلبى وهو الصحيح للحديث الوارد فى ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى ذكر من تكلم فى المهد وذكر من جعلتهم شاهديوسف وقيل انه رجل حكيم كان العزيز يستشير به فى أموره وكان من قرابة المرأة قال ابن عباس ظني أنطقه الله كان فى الدار وعنه قال كان رجل ذالحيمة من خاصة الملك وعن الحسن قال هو رجل له فهم وعلم وعن مجاهد قال انه ليس بانسى ولا جنى هو خلق من خلق الله قلت ولعله لم يحضر قوله تعالى من اهلها وانما كان الشاهد من اهل المرأة وقرابتها ليكون أقوى فى نفي التهمة عن يوسف مع ما وجد من كثرة العلامات الدالة على صدقه (ان كان قيصة قدم من قبل) أى من قدام فقال الشاهد هذه المقالة مستدلا على بيان صدق الصادق منهم ما وكذب الكاذب بان قيصة يوسف ان كان مقطوعا من قبل أى من جهة القبيل (فصدقت) أى فقد صدقت بأنه أراد بها سوا (وهو من الكاذبين)

أحكام ولهذا اليزالون فى هم وحرز لان الاسلام وأهله لا يزال فى عز ونصر ورفعة فلماذا كلما سرامسالمون ساءهم ذلك فوهم فى يودون ان لا يخاطبوا المؤمنين ولهذا قال لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمعون (وممنهم من يلزك فى الصدقات فان اعطوا من ارضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يستخطون ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انالى الله راغبون) يقول تعالى وممنهم أى المنافقين من يلزك أى يعيب عليك فى قسم الصدقات اذا فرقتها ويتهمك فى ذلك وهم المتهمون المؤبون وهم مع هذا لا ينكرون للدين وانما ينكرون حظ أنفسهم ولهذا ان اعطوا من الزكاة رضوا وان لم

يعطوا منها إذا هم يسخطون أي بغضبون لانفسهم قال ابن جرير أخبرني داود بن أبي عاصم قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم بصدقة فقسها ههنا وههنا حتى ذهبت قال وراه رجل من الانصار فقال ما هذا بالعدل فنزلت هذه الآية وقال قتادة في قوله ومنهم من يلزك في الصدقات يقول ومنهم من يطعن عليك في الصدقات وذكرنا ان رجلا من أهل البادية حديث عهد بأعرابية أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقسم ذهباً وفضة فقال يا محمد والله لئن كان الله أمرك ان تعدل ما عدلت فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم ويلك فن ذاب عدل عليك بعدى ثم قال نبي الله احذر واهذا وأشباهه (٢٥) فان في أمي أشباه هذا يقرؤ القرآن لا يجاوز

تراقيم فاذا خرجوا فاقبلوهم ثم اذا خرجوا فاقبلوهم فاذا خرجوا فاقبلوهم وذكرنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول والذي نفسي بيده ما أعطيكم شيئاً ولا أمتعكموه انما أنا خازن وهذا الذي ذكره قتادة يشبه ما رواه الشيخان من حديث الزهري عن أبي سلمة عن أبي سعيد في قصة ذي الخويصرة واسمه خر قوص لما اعترض علي النبي صلى الله عليه وسلم حين قسم غنائم حنين فقال له اعدل فانك لم تعدل فقال لقد خبت وخسرت ان لم أكن اعدل ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رآه مقفياً انه يخرج من ضئضئ هذا قوم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرقون من الدين مروق السهم من الرمية فأينما القيتوهم فاقتلوهم فانهم شرقتي تحت أديم السماء وذكر بقية الحديث ثم قال تعالى منها لهم على ما هو خير من ذلك لهم فقال ولولأنهم رضوا ما آتاهم ورسولهم قالوا احسبنا الله سيئوينا الله من فضله ورسوله انا

في قوله انه ارادته عن نفسه وقرئ من قبل بضم اللام وكذا من دبر قال الزجاج جعلاهما غائتين (وان كان قيصه قد من دبر) أي من ورائه (فكذبت) في دعواها عليه (وهو من الصادقين) في دعواها عليها ولا يخفى ان هاتين الجملتين الشرطيتين لا تلازم بين مقدميهما وتاليهما لا عقلا ولا عادة وليس تامة من الشهادة في شيء وانما ذكرنا توسيع الدائرة وارخاء اللعان الى جانب المرأة باجراء ما عسى ان يحتمله الحال في الجملة مجرى الظاهر الغالب الوقوع فليس ههنا الا مجرد امارة غير مطردة اذ من الجائز ان يجذب اليها وهو مقبل عليها فينقد القميص من دبر وان يجذب وهو مدبر عنها فينقد القميص من قبل (فلمارأي) العزيز (قيصه) أي قيص يوسف (قدم دبر) كأنه لم يكن رأى ذلك بعد ولم يتدبره فلما تنبه له وعلم حقيقة الحال وعرف خيانه امر أنه وبرائة يوسف عليه السلام (قال) أي العزيز وقيل هذا من قول الشاهد والاول أولى (انه) أي الامر الذي وقع فيه الاختلاف بينكما وان قولك ماجزء من أراد بأهلك سوا (من) جنس (كيدكن) ومكركن وحيلكن يامعشر النساء (ان كيدكن عظيم) خاطب الجنس لان الخيل والمكايد لا تختص بها وانما وصف الكيد بالعظيم لان كيدهن أعظم من كيد جميع البشر في اتمام مرادهن لا يقدر عليه الرجال في هذا الباب فانه ألطف وأعلق بالقلب وأشد تأثيرا في النفس وعن بعض العلماء اني أخاف من النساء ما لأخاف من الشيطان فانه تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم ولان الشيطان يوسوس مسارقة وهن يواجهن به الرجال وفي حاشية الخفاجي وقيل عليه ان ضعف كيد الشيطان في مقابلة كيد الله وعظم كيدهن بالنسبة للرجال وهو ليس بشيء لانه استدبل بظاهرا لاطرفهما ومثله مما تنقبض له النفس وتنبسط يكتفي فيه ذلك القدرات انتهى قال الحفناوي هذا فيما يتعلق بامر الجماع والشهوة لا عظيم على الاطلاق اذ الرجال أعظم منهم في الخيل والمكايد في غير ما يتعلق بالشهوة ثم خاطب العزيز يوسف عليه السلام بقوله (يوسف أعرض عن هذا) الامر الذي جرى واكتمه ولا تتحدث به حتى لا يفسد ويشيع بين الناس وقيل معناه لا تكثر به ولا تتم به فقد بان عذرك ثم أقبل عليه بالخطاب فقال (واستغفري) يا زليخا (لذنبك) الذي وقع منك قال الكرخي كان العزيز قليل الغيرة بل قال في البحران تربة مصر تقتضي هذا

(٤ - فتح البيان خامس) الى الله راغبون فمضمت هذه الآية الكريمة أدبا عظيما وسرا شريفا بحيث جعل الرضا بما آتاه الله ورسوله والتوكل على الله وحده وهو قوله وقالوا احسبنا الله وكذلك الرغبة الى الله وحده في التوفيق لطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وامثال أوامر وترك زواجره وتصديق أخباره والاقتفاء بآثاره (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) لما ذكر تعالى اعتراض المنافقين الجاهلة على النبي صلى الله عليه وسلم ولزهم اياه في قسم الصدقات بين تعالى انه هو الذي قسمها وبين حكمها

وتولى أمره هابن نفسه ولم يكل قسمها الى أحد غيره بخزأها هؤلاء المذكورين كما رواه الامام أبو داود في سننه من حديث عبد الرحمن ابن زياد بن أنعم وفيه ضعف عن زياد بن نعيم عن زياد بن الحرث الصدائي رضي الله عنه قال آتيت النبي صلى الله عليه وسلم فبايعته فأنتى رجل فقال أعطني من الصدقة فقال له ان الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى يحكم فيها هو فخرأها ثمانية أصناف فان كنت من تلك الاجراء أعطيتك وقد اختلف العلماء في هذه الاصناف الثمانية هل يجب استيعاب الدفع اليها أو الى ما يمكن منها على قولين أحدهما انه يجب ذلك (٢٦) وهو قول الشافعي وجماعة والناني أنه لا يجب استيعابها بل يجوز

الدفع الى واحد منها ويعطى جميع الصدقة مع وجود الباقي وهو قول مالك وجماعة من السلف والخلف منهم عمر وحذيفة وابن عباس وأبو العالية وسعيد بن جبير وميمون بن مهران قال ابن جرير وهو قول عامة أهل العلم وعلى هذا فانما ذكرت الاصناف ههنا لبيان المصرف لا لوجوب استيعابها ولو جوه الجبايح والمواخذة مكان غيره هذا والله أعلم وانما قدم الفقراء على البقية لانهم أحوج من غيرهم على المشهور ولشدة فاقتهم وحاجتهم وعند أبي حنيفة ان المسكين اسوأ حالا من الفقير وهو كما قال أحمد وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية أنبأنا ابن عون عن محمد قال قال عمر رضي الله عنه الفقير ليس بالذي لا مال له ولكن الفقير الاخلق الكسب قال ابن علية الاخلق المحارب عندنا والجمهور على خلافه وروى عن ابن عباس ومجاهد والحسن البصري وابن زيد واختار ابن جرير وغير واحد ان الفقير هو المتعفف الذي لا يسأل الناس شيئا والمسكين

ولهذا لا ينشأ فيها الاسد ولو دخل فيها لا يبقى (انك كنت) بسبب ذلك (من الخاطئين) أي من جنسهم برمي يوسف بالخطيئة والجملة تعليل لما قبلها من الامر بالاستغفار ولم يقل من الخاطئات تعليلا للمذكور على المؤنث كما في قوله وكانت من القاتنين ومعنى من الخاطئين من المتعمدين يقال خطأ اذا أذنب متعمدا وقيل التقدير من القوم الخاطئين وقيل ان القائل ليوسف ولا امرأة العزيز بهذه المقالة هو الشاهد الذي حكم بينهما (وقال نسوة) قرئ نسوة بضم النون قاله أبو البقاء بكسرها والمراد جماعة من النساء ويجوز التذكير في الفعل المسند اليهن كما يجوز التأنيث ولا واحد له من لفظه بل من معناه وهو امرأة والنساء جمع كثرة أيضا ولا واحد له من لفظه قيل وكن خمسًا وهن امرأة ساقى العزيز وامرأة خبازة وامرأة صاحب دوابه وامرأة صاحب سجنه وامرأة حاجبه (في المدينة) هي مصر وقيل مدينة الشمس (امرأة العزيز) يعني زليخا (تراودفتها) الفتى في كلام العرب الشاب الحديث السن والفتاة الشابة والمراد هنا غلامها يقال فتاى وفتاى أى غلامى وجارى بى وحى بالمضارع تنبيه على ان المرادة صارت محنة لها ودينا دون الماضي فلم يقلن راودت (عن نفسه) وهو يمتنع منها (قد شغفها حبا) أى غلبها حبه وقيل دخل حبه في شغفها قال أبو عبيدة شغاف القلب غلافه وهو جلدته عليه وقيل هو وسط القلب وعلى هذا يكون المعنى دخل حبه الى شغافها فاعلب عليه وقرئ شغفها بالعين المهملة قال ابن الاعرابى معناه أجرى حبه عليها قال الجوهري شغفه الحب أحرق قلبه وقال أبو زيد أمرضه وقال النحاس معناه عنداً كثيراً أهل اللغة قد ذهب بها كل مذهب لان شغاف الجبال أعاليها وقد شغف بذلك شغفا باسكان الغين المعجمة اذا ولع به وقرأ الحسن قد شغفها بضم الغين وحكى بكسرها قال النحاس ولا يعرف ذلك في كلام العرب الا شغفا بفتح الغين ويقال ان الشغاف الجلدة اللاصقة بالكبد التي لا ترى وهى الجلدة البيضاء فكانت له لصق حبه بقلبها كصوق الجلدة بالكبد وقيل المعنى ان حبه دخل الجلدة حتى أصاب القلب وقيل ان حبه قد أحاط بقلبها كحاطة الشغاف بالقلب قال الكلبي حجب حبه قلبها حتى صارت لا تتعقل شيئا سواه وقال السمين خرق شغاف قلبها أى حجاب القلب وهو جلدته رقيقة وقيل سويدا القلب وقيل داء يصل الى القلب من أجل الحب وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب ليست محيططة به والمعنى خرق حجابها وأصابه

هو الذى يسأل ويطوف ويتبع الناس وقال قتادة الفقير من به زمانة والمسكين الصحيح الجسم فأخرقه

وقال الثوري عن منصور عن ابراهيم هم فقراء المهاجرين قال سفيان الثوري يعنى ولا يعطى الاعراب منها شيئا وكذا روى عن سعيد بن جبير وسعيد بن عبد الرحمن بن أبى وقيل عكرمة لا تقولوا الفقراء المسلمين مساكين انما المساكين أهل الكتاب ولتذكر أحاديث تتعلق بكل من الاصناف الثمانية فأما الفقراء فعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغنى ولا لذى همرة سوى رواه أحمد وأبو داود والترمذي ولا جده أيضا والنسائي وابن ماجه عن أبى هريرة منله وعن عبيد الله بن

عدي بن الحياران رجلين أخبراه أنهم ما أتيا النبي صلى الله عليه وسلم بسأله من الصدقة فقلب فيهما البصر فرآهما جلد من فقال
ان شتمأ أعطينكم ولا حظ فيها الغنى ولا تقوى مكتسب رواه أحمد وأبو داود والنسائي بإسناد جيد قوى وقال ابن أبي حاتم في كتاب
الجرح روى عنه عمر بن نافع سمعت أبي يقول ذلك قلت وهذا قول غريب جدا بتقدير صحة الإسناد فان أبكر هذا وان لم ينص
أبو حاتم على جهالة لكنه في حكم المجهول وأما المساكين فعن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس
المسكين بهذا الطواف الذي يطوف على الناس فترده اللقمة والثقمة ستان (٢٧) والقررة والترتان قالوا فما المسكين يا رسول الله

قال الذي لا يجرد غنى يغنيه ولا
يفطن له فيصدق عليه ولا يسأل
الناس شيأ رواه الشيخان وأما
العاملون عليها فهم الجباة والسعاة
يستحقون منها قسطا على ذلك
ولا يجوز أن يكونوا من أقرباء
رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين
تحرم عليهم الصدقة لما ثبت في صحيح
مسلم عن عبد المطلب بن ربيعة بن
الحريث انه انطلق هو والفضل بن
العباس يسألان رسول الله صلى
الله عليه وسلم ليستعملهما على
الصدقة فقال ان الصدقة لا تحل
لمحمد ولا لآل محمد انما هي أو ساخ
الناس واما المولفة قلوبهم فأقسام
منهم من يعطى ليسلم كما أعطى
النبي صلى الله عليه وسلم صفوان
ابن أمية من غنائم حنين وقد كان
شهدا مشركا قال فلم يرزل يعطيني
حتى صار أحب الناس الي بعد أن
كان أبغض الناس الي كما قال
الامام أحمد حدثنا زكريان بن عدي
أنا ابن المبارك عن يونس عن
الزهري عن سعيد بن المسيب عن
صفوان بن أمية قال أعطاني
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم

فأحرقه بجمرة الحب يقال شغف الهوى قلبه شغفنا وشغفه المال زين له فأحبه فهو
مشغوف به وعن ابن عباس شغفها أغلبها وقال قتلها حب يوسف وقال قد عاها قال
آزادني سحجة المرجان ولا استبعاد في اظهار العشق من جانب المرأة أما ترى في القرآن
الكرم غرام امرأة العزيز يوسف عليه السلام والا هانذا كرون العشق في تغزلاتهم
من جانب المرأة بالنسبة الى الرجل خلاف العرب وسببه ان المرأة في دينهم لا تنكح الا زوجا
واحدا حفظ عيشتهم امنوط بحياة الزوج واذا مات تحرق نفسها معه والعشق بين الرجل
والمرأة وضع الهوى فتارة يكون من الطرفين وتارة يكون من أحدهما واذا لوحظ الوضع
الالهى فالمرأة معشوقة عاشقة والرجل عاشق معشوق وأهل الهند واقفوا العرب
في التغزل بالنساء بخلاف الفرس والترک فان تغزلهم بالامار فقط ولاذ كرم المرأة
في اغزالهم ولعمركم المحبة انهم لظالمون حيث يضعون الشيء في غير موضعه كما قال سبحانه
وتعالى في قوم لوط فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود
مسومة عند ربك وما هي من الظالمين يبيعدون والعرب في التغزل بالامار دمقدون لهم
والاصل فيهم التغزل بالنساء ومعناه التحدث بهن وأما الاهان فلا يعرفون التغزل بالامار
قطعا انتهى هذا وقد عقد رحمه الله الفصل الرابع من كتابه المذکور في بيان أقسام
المعشوقات والعشاق وأورد لكل قسم منهما أشعارا عجيبة وأبياتا غريبة باعتبار الجهات
المتنوعة والخبيثات المتلونة ان رآها السالى تذوب طبيعته الخادمة والعاذل تشعل ناره
الخادمة (انالرها) جملة مقرررة لمضمون ما قبلها أى نعلها في فعلها هذا وهو المرادة
لقتها (في ضلال) عن طريق الرشد والصواب (مبين) واضح لا يتبس على من نظرفيه
حيث تركت ما يجب على امثالها من العفاف والستر (فلما سمعت) امرأة العزيز
(بكرهن) أى بغيرتهن اياها سميت الغيبة مكر الاشرار كما في الاخفاء وقيل أردن ان
يتوسلن بذلك الى رؤية يوسف فلها سمي قولهن مكررا وقيل انها أسرت اليهن فافشين
سرها فسمى ذلك مكررا عن سفيان قال أى بعملمهن وكل مكر في القرآن فهو العمل
(أرسلت اليهن) أى تدعوهن اليها لتقيم عندها عندهن ولينظرن الى يوسف حتى يقعن
فيما وقعت فيه قيل دعت أربعين امرأة من أشرف مدينتها فيهن هؤلاء اللاتي عيرنها
(واعدتن لهن مسكاً) أى أعدت وأحضرت وهيات لهن مجالس يتكئن عليها من تخارق

حنين وانه لا بغض الناس الي فزال يعطيني حتى انه لاحب الناس الي ورواه مسلم والترمذي من حديث يونس عن الزهري به
ومنهم من يعطى ليحسن اسلامه وثبت قلبه كما أعطى يوم حنين أيضا جماعة من صناديد اللقاة وأشرفهم مائة من الابل
مائة من الابل وقال انى لأعطى الرجل وغيره أحب الي منه خشية ان يكبه الله على وجهه في نار جهنم وفي الصحيحين عن أبي
سعيدان عليا بعث الى النبي صلى الله عليه وسلم بذهبية في تربتها من الين فقسمها بين أربعة نفر الاقرع بن حابس وعيينة بن بدر
وعلقمة بن علاثة وزيد الخير وقال أنا لفهم ومنهم من يعطى لما يرجي من اسلام نظرائه ومنهم من يعطى ليحبي الصدقات ممن يليه

أوليدفع عن حوزة المسلمين الضر من اطراف البلاد ومحل تفصيل هدا في كتب الفروع والله أعلم وهل تعطى المؤلفة على الاسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم فيه خلاف فروى عن عمرو عامر الشعبي وجماعة انهم لا يعطون بعده لان الله قد أعز الاسلام وأهله ومكن لهم في البلاد وأذل لهم رقاب العباد وقال آخرون بل يعطون لانه عليه الصلاة والسلام قد أعطاهم بعد فتح مكة وكسرهوا وزن وهذا أمر قد يحتاج اليه فيصرف اليهم وأما الرقاب فروى عن الحسن البصرى ومقاتل بن حيان وعمر بن عبدالعزيز وسعيد بن جبير والنخعي والزهرى وابن زيد (٢٨) أنهم المكاتبون وروى عن أبي موسى الأشعري نحوه وهو قول

الشافعي واليثرضى الله عنهما وقال ابن عباس والحسن لأبأس ان تعتق الرقبة من الزكاة وهو مذهب أحمد ومالك واسحق أى ان الرقاب أعز من ان يعطى المكاتب أو يشتري رقبة فيعتقها استقلالاً وقد ورد في ثواب الاعتاق وفك الرقبة أحاديث كثيرة وان الله يعتق بكل عضو منها عضواً من معتقها حتى الفرج بالفرج وما ذاك الا لان الجزاء من جنس العمل وما تجزون الا ما كنتم تعملون وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة حق على الله عونهم المغازى في سبيل الله والمكاتب والمدنين يريد الاداء أو الناكح الذى يريد العفاف رواه الامام احمد واهل السنن الا ابا داود وفي المسند عن البراء بن عازب قال جاء رجل فقال يا رسول الله دلني على عمل يقربني من الجنة وياعدني من النار فقال اعق النسمة وفك الرقبة فقال يا رسول الله وليسا واحدا قال لا اعتق النسمة ان تفرد بعقها وفك الرقبة ان تعين في عنها وأما الغارمون فهم أقسام فثمنهم من

ومسانيد وأعدت من الاعتداد وهو كل ما جعلته عدة لشيء وقرئ متكا مخففاً غير مهموز والمتك هو الاتريخ بلغة القبط قاله مجاهد وعن عكرمة قال هو كل شيء يقطع بالسكين وعن الضحاك مثله وقيل ان ذلك هو لغة أزد شواة وقيل حكى ذلك عن الاخفش قال القراء انه ما الورد وقرأ الجمهور متكا بالهمز والتشديد وأصح ما قيل فيه انه المجلس وقيل هو الطعام وبه قال ابن جبير والحسن وقتادة وسمى متكا على الاستعارة قاله الخازن أى للاتكاه عنده على عادة المتكبرين في كل الفواكه فهو مجاز مرسل وعلاقته المجاورة وقيل المتكا كل ما تكي عليه عند طعام أو شراب أو حديث وحكى القمي انه يقال اتكاه فلان أى أكلنا ويؤيد هذا قوله (وأتت كل واحدة منهن سكيناً) فان ذلك انما يكون لشيء يأكله بعد ان يقطعنه والسكين تذكروا ثوث قاله الكسائي والقراء قال الجوهري والغالب عليه التذكير والمراد من اعطائهم الكل واحدة سكيناً ان يقطعن ما يحتاج الى التقطيع من الاطعمة قـيل وكان من عاداتهن ان يأكلن اللحم والفواكه بالسكين وكانت تلك السكاكين خناجر ويمكن انما أرادت بذلك ماسـ يقع منهن من تقطيع أيديهن (وقالت) ليوسف (اخرج علي بن) أى في تلك الحالة التى هن عليها من الاتكاه والا كل وتقطع ما يحتاج الى التقطيع من الطعام (فلما رأينه أ كبرنه) أى أعظمنه قال مجاهد واحترمنه وهبسنه ودهشن عند رؤيته من شدة جماله وقيل أمين وقيل أمدين ومنه قول الشاعر

اذا ما رأين الفجل من فوق قله * صهلن وأكبرن انى المقطرا

وقال الازهرى أكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت يقال أكبرت المرأة أى دخلت في الكبر بالحض وقال ابن عباس حضن من الفرح ووقع منهن ذلك دهشاً ووزعاً لما شاهدنه من جماله الفائق وحسنه الرائق وأنكر ذلك أبو عبيدة وغيره وقالوا ليس ذلك في كلام العرب قال الزجاج يقال أكبرنه ولا يقال حضنه فليس الا بكبار بمعنى الحيض وأجاب الازهرى فقال يجوز ان يكون هاء الوقف لاهاء الكناية وقد زيد هذان هاء الوقف تسقط في الوصل قال ابن الانبارى ان الهاء كناية عن مصدر الفعل أى أكبرن ا كبرا بمعنى حضن حيضاً وسمى الحيض ا كبار الكون البلوغ يعرف به كأنه يدخلهم سن الكبر فيكون في الاصل كناية أو مجازاً وهذا منقول عن قتادة والسدى وقال الرازى

وعندى

تحمّل جماله أو ضمن ديناً فزمنه فاجحف بحاله أو غرم في أداء دينه أو في معصية ثم تاب فهو لا يدفع اليهم والاصل في هذا الباب حديث قبيصة بن مخارق الهلالي قال تحملت جماله فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فيها فقال أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها قال ثم قال يا قبيصة ان المسئلة لا تحل الا لحدث ثلاثه رجل تحمّل جماله فخلت له المسئلة حتى يصيبها ثم عيسك ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فخلت له المسئلة حتى يصيب قواماً من عيش أو قال سداداً من عيش ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوى الجحمان قومه فيقولون لقد أصابت فلان فاقة فخلت له المسئلة حتى يصيب قواماً من عيش أو قال

سدادا من عيش فمساواهن من المستله سحت يا كلها صاحبها سحتارواه مسلم وعن ابي سعيد قال اصيب زجل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في غارا بتاعها فكثرت به فقال النبي صلى الله عليه وسلم لغرمائه خذوا ما وجدتم وليس لكم الا ذلك رواه مسلم وقال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد انبا ناصدة بن موسى عن ابي عمران الجوني عن قيس بن زيد عن قاضي المصريين عن عبد الرحمن بن ابي بكر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الله بصاحب الدين يوم القيامة حتى يوقف بين يديه فيقول يا ابن آدم فيم أخذت هذا الدين وفيم ضيعت حقوق الناس فيقول يا رب انك تعلم (٢٩) اني أخذته فلم آكل ولم أشرب ولم

وعندي انه يحتمل وجهها آخر هو انهن انما كبرنه لانهن رأين عليه نور النبوة وسما الرسالة وشاهدن فيه مهابة ملكية وهي عدم الالتفات الى المطعوم والمنكوح وعدم الاعتداد بهن فتعجبين من تلك الحالة فلا جرم كبرنه وأعظمته وحمل الآية على هذا أولى انتهى (وقطعن أيديهن) أي جرحنها حتى سال الدم وليس المراد به القطع الذي يبين منه الابدل المراد به الخدش والحز وذلك معروف في اللغة كما قال النحاس يقال قطع يد صاحبه اذا خدشها وقيل المراد بالأيدي هنا أناملهن وقيل كما مهن والمعنى أنه لما خرج يوسف عليهن أعظمته ودشن وراعهن حسنه حتى اضطربت أيديهن فوق وقوع القطع عليها وهن في شغل عن ذلك بما دهمهن مما تطيش عنده الاحلام وتضطرب له الابدان وتزول العقول قال مجاهد فإنا حسن الابدان وقال قتادة ابن أيديهن حتى ألقينها والاصح أنه كان قطعامن غير ابانة وعن منبه عن ابيه قال مات من النسوة اللاتي قطعن أيديهن تسع عشرة امرأة كذا (وقلن حاش لله) قرئ بآيات الالف وبجذفها وباسكان الشين حاش لله وقرئ حاش الاله وحاشا لله قلت آيات الالف وحذفها قرأتان سبعيتان وهذا بالنظر للنطق وأما رسم المحذف فلا تكتب فيه ألف بعد الشين وان نطق بها قال الزجاج أصل الكلمة من الحاشية بمعنى الناحية يقال كنت في حاشية فلان أي في ناحيته فقولك حاشا لزيد من هذا أي تباعدت منه وقال أبو علي هو من الحاشية وقيل ان حاش حرف وحاشا فعل وكلام أهل النوف في هذه الكلمة معروف ومعناها هنا التنزيه كما تقول آسى القوم حاشا لزيد لغنى حاشا لله براءة لله وتنزيهه له أي عن صفة العجز عن خلق هذا أو أمثاله قال مجاهد حاشا لله معاذ الله (ما هذا بشرا) اعمال ماعمل ليس هي لغة أهل الجاز وبهذا نزل القرآن كهذه الآية وكقوله سبحانه ما هن أمهاتهم وأما بنو تميم فلا يعملونها عمل ليس وقال الكوفيون أصله ما هذا يبشر فلما حذف الباء انصب قال أحمد بن يحيى نعلب اذا قت ما زيد بمنطلق فوضع الباء موضع نصب وهكذا سائر حروف الخفض وأما الخليل وسيبويه وجهه والنحوين فقد اعلموا عمل ليس وبه قال البصريون والبحث مقرر في كتب النحو بشواهد وجهه وقرأ الحسن ما هذا بشرا على أن الباء حرف جر والشين مكسورة أي ما هذا بعبد يشترى وهذه قراءة ضعيفة لا تناسب ما بعدها من قوله ان هذا الاملك كريم قال الخفاجي ورد بانها صحيحة رواية ودراية أما الاول فلائها

أضيع ولكن أتى على يدي اما حرق واما سرق واما وضيعه فيقول الله صدق عبدى أنا أحق من قضى عندك الصوم فيصدق الله بشئ فيضعه في كفة ميزانه فترجح حسنة على سيئة فيدخل الجنة بفضل الله ورحمته وأما في سبيل الله فمنهم الغزاة الذين لاحق لهم في الديوان وعند الامام أحمد والحسن واسحق والحج من سبيل الله للحديث وكذلك ابن السبيل وهو المسافر المحتاز في بلد ليس معه شئ يستعين به على سفره فيعطى من الصدقات ما يكفيه الى بلده وان كان له مال وهكذا الحكم فمن أراد انشاء سفره من بلده وليس معه شئ فيعطى من مال الزكاة كفايته في ذهابه وايابه والدليل على ذلك الآية وما رواه الامام أبو داود وابن ماجه من حديث معمر بن زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار عن ابي سعيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغنى الا نجسة العامل عليها أو رجل اشتراها بجماله أو غارم أو غاز في سبيل الله أو مسكين تصدق

عليه منها فأهدى لغنى وقد رواه السفينان عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغنى الا في سبيل الله وابن السبيل أو جار فقير فيهدى لك أو يدعوك وقوله فرخصة من الله أي حكمه مقدرا بتقدير الله وفرضه وقسمته والله عليم حكيم أي عليم بطواهر الامور وبواطنها وبصالح عباده حكيم فيما يقوله ويفعله ويشعره ويحكمه به لاله الا هو ولا رب سواه (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) يقول تعالى ومن

المنافقين قوم يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكلام فيه ويقولون هو أذن أي من قال له شيئاً صدقه فينا ومن حده صدقه
فاذا اجتناه وحلفنا له صدقنا روى معناه عن ابن عباس ومجاهد وقناة قال الله تعالى قل أذن خير لكم أي هو أذن خير يعرف
الصادق من الكاذب يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين أي يصدق المؤمنين ورجة للذين آمنوا منكم أي وهو حجة على الكافرين
ولهذا قال والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم (يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين
ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأنه (٣٠) نار جهنم خالداً فيها ذلك الخزي العظيم) قال قتادة في قوله تعالى يحلفون بالله

لكم ليرضوكم الآية قال ذكر لنا
ان رجلاً من المنافقين قال والله
ان هؤلاء خيارنا وأشرافنا وان
كان ما يقول محمد لحق اللهم شر من
الجرفال فسمعهما رجل من المسلمين
فقال والله ان ما يقول محمد لحق
ولانت أشر من الجمار قال فسعى
بها الرجل الى النبي صلى الله عليه
وسلم فأخبره فأرسل الى الرجل
فدعاه فقال ما جعلك على الذي
قلت فجعل يلتعن ويحلف بالله
ما قال ذلك وجعل الرجل المسلم
يقول اللهم صدق الصادق وكذب
الكاذب فانزل الله الآية وقوله
تعالى ألم يعلموا أنه من يحادد الله
ورسوله الآية أي ألم يتحققوا
ويعلموا انه من حاد الله عز وجل أي
شاقه وحاربه وخالفه وكان في حد
والله ورسوله في حد فان له نار جهنم
خالداً فيها أي مهاناً مع ذلك الخزي
العظيم أي وهذا هو الذل العظيم
والشقاء الكبير (يحذر المنافقون
ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في
قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج
ما تحذرون) قال مجاهد يقولون
القول بينهم ثم يقولون عسى الله

رواه في المبهج عن عبد الوارث بسند صحيح وأما الثاني فلان من قرأ هذه قرأ ملك
بكسر اللام فتصح المقابلة أي ما هذا عبد لثيم علك بل سيد كريم مالك انتهى وانما نفي عنه
البشرية لما شاهدن فيه من الجمال العبقري ولانه قد برز في صورة قد لبست من الحسن
البديع ما لم يعهد على أحد من البشر ولا يبصر المبصرون ما يقاربه في جميع النسمة
البشرية ثم لما نفي عنه البشرية لهذه العلة اثبت له الملكية وان كن لا يعرفن الملائكة
وقلن (ان هذا الاملك كريم) على الله لانه قد تقر في الطباع وركز في النفوس انهم
على شكل فوق شكل البشري في الذوات والصفات وان لا تثنى أحسن من الملك وانهم
فائقون في كل شيء كما تقر فيها ان الشياطين على العكس من ذلك ولا أفتح منهم والمقصود
من هذا اثبات الحسن العظيم المفرط ليوسف واعلم انه لا يلزم من قول النسوة هذا ان
الملائكة صورهم احسن من صور بني آدم فانهم لم يقبلنه لادليل بل حكمن على الغيب
بمجرد الاعتقاد المرتكز في طباعهن وذلك ممنوع فان الله سبحانه يقول لقد خلقنا الانسان
في احسن تقويم وظاهر هذا انه لم يكن شيء مثله من أنواع الخلق في حسن تقويمه
وكمال صورته فما قاله صاحب الكشاف في هذا المقام هو من جملة تعصباته لما سخر في
عقله من أقوال المعتزلة على ان هذه المسئلة أعنى مسئلة المفاضلة بين الملائكة والبشر
ليست من مسائل الدين في ورد ولا صدر فأغنى عبادة الله عنها وأحوجهم الى غيرها من
مسائل التكليف قال قتادة قلن ملك من الملائكة من حسنه وغرابة جماله وأخرج
أحمد وغيره عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال أعطى يوسف وأمه شطر
الحسن وقد وردت روايات عن جماعة من السلف في وصف حسن يوسف والمبالغة
في ذلك ففي بعضها انه أعطى نصف الحسن وفي بعضها الثلث وفي بعضها ثلثيه (قالت
فذلك الذي لمتني فيه) الاشارة الى يوسف وان خطاب للنسوة أي غيرتني فيه قالت
لهن هذا المرات افتتانهن بيوسف اظهار العذر لنفسه او معنى فيه في حبه وقيل الاشارة
الى الحب فالضهير له والمعنى فذلك الحب الذي لمتني فيه هو ذلك الحب والاول اولى
ورجحه ابن جرير ويجوز ان يكون اشارة الى المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعاني
تقول هو ذلك العبد الذي صورتن في أنفسكن ثم لمتني فيه قال الزمخشري قالت فذلك
ولم تقل هذا وهو حاضر فعلمت له في الحسن واستحقاق ان يحب ويفتن به فلام البعد

ان لا يقضى علينا سرنا هذا وهذه الآية شبيهة بقوله تعالى واذا جاولك حيوك بما لم يحيد به الله ويقولون في
أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير وقال في هذه الآية قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون أي
ان الله سينزل على رسوله ما يفضحكم به وبين له امركم كقوله تعالى أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم
الى قوله ولتعرفنهم في لحن القول الآية ولهذا قال قتادة كانت تسمى هذه السورة الفاضحة فاضحة المنافقين (ولئن سألتهم ليقولن
انما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان ننعف عن طائفة منكم نعدب

ولم يوجد له أثر وقال قتادة وثأر سألتم ليقولوا إنما كنا نخوض ونلعب قال فيمنه النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسرون بين يديه فقالوا بظن هذا ان يفتح قصور الروم وحصونها هيئات هيئات فأطلع الله نبيه على ما قالوا فقال على هؤلاء النفر فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا اخلقوا ما كذا الا تخوض ونلعب وقال بكرمة في تفسير هذه الآية كان رجل ممن ان شاء الله عفا عنه يقول اللهم انى أسمع آية أنا أعنى بها تتشعر منها الجلود وتجل منها القلوب اللهم فاجعل وفاتى قبيلك لا يقول أحدنا غسلت أنا كفت أنا فذنت أنا فاصيب يوم اليمامة (٣٢) فما من أحد من المسلمين الا وقد وجد غيره وقوله لا تعتذروا

قد كفرتم بعد ايمانكم أى بهذا المقال الذى استهزأتم به ان نفع عن طائفة منكم نغذب طائفة أى لا يعنى عن جميعكم ولا بد من عذاب بعضكم بأنهم كانوا مجرمين أى مجرمين بهذه المقالة الفاجرة الخاطئة (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم) يقول تعالى منكر اعلى المنافقين الذين هم على خلاف صفات المؤمنين ولما كان المؤمنون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر كان هؤلاء يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم أى عن الاتفاق في سبيل الله نسوا الله أى نسوا ذكر الله فنسيهم أى عاملهم معاملة من نسيهم كقوله تعالى فاليوم نساكم كانسيتم لقاء يومكم هذا ان المنافقين هم الفاسقون أى الخارجون عن طريق الحق

انهم جميعا دعونه الى أنفسهم اولاً لانه كان بحضورهم والاول اولى ثم جرى على هذا في نسبة الكيد اليهم جميعاً فقال (وان لا تصرف عن كيدهن) في تحييب ذلك الى وتحسينه لدى بان تثبتنى على ما أنا عليه من العصمة والعفة أما الكيد من امرأة العزيز فما قد قصه الله سبحانه في هذه السورة وأما كيد سائر النسوة فهو ما تقدم من الترغيب له في المطاوعة والتخوف من المخالفة وقيل انها كانت كل واحدة تتخلو به وحدها وتقول له يا يوسف اقض لى حاجتى فانا خير لك من امرأة العزيز وقيل انه خاطب امرأة العزيز بما يصلح لخطاب جماعة النساء تعظيها لها وعدولا عن التصريح الى التعريض والكيد الاحتمال وجرم (أصب اليهن) على أنه جواب الشرط أى أمل اليهن واتبعهن واطاوعهن من صبا يصبوا ذامال واشتاق ومنه قول الشاعر الى هند صبا قلبي * وهند صبا يصبي

والصبوة الميل الى الهوى ومنه ربح الصبالان النفس تستطيها وتقبل اليها الطيب نسيها وروحها (وأكن من الجاهلين) أى ممن يجهل ما يحرم ارتكابه ويقدم عليه أو ممن يعمل عمل الجاهل أو ممن يستحق صفة الذم بالجهل وفيه أن من ارتكب ذنبا انما يرتكبه عن جهالة قال أبو السعود وهذا فرع منه عليه السلام والتجاء الى الطاف الله جريا على سنن الانبياء والصالحين في قصر نيل الخيرات والتجاء عن الشرور على جناب الله عز وجل وسلب القوى والقدر عن أنفسهم مبالغة في استدعاء لطفه في صرف كيدهن باظهار أن لا طاقة له بالمدافة كقول المستعيب أدركنى ولا هلك لانه يطلب الاجبار والالقاء الى العصمة والعفة وفي نفسه داعية تدعوه الى هواهن (فاستجاب له ربه) لما قال وان لا تصرف عنى كيدهن كان ذلك منه تعرضا للدعاء وكأنه قال اللهم اصرف عنى كيدهن فالاستجابة من الله تعالى هي بهذا الاعتبار لانه لم يتقدم دعاء صريح منه عليه السلام وفي اسناد الاستجابة الى الرب مضطفا اليه عليه السلام ما لا يخفى من اظهار اللطف (فصرف عنه كيدهن) حسب دعائه والمعنى أنه لطف به وعصمه عن الوقوع في المعصية لانه اذا صرف عنه كيدهن لم يقع شئ مما رمنه منه ووجه اسناد الكيد قد تقدم (انه هو السميع العليم) تعليل لما قبلها من صرف الكيد أى انه هو السميع لدعوات الداعين له العليم بأحوال المتجئين اليه وفيه أنه لا يقدر أحد على الانصراف عن المعصية

الداخلة في طريق الضلالة وقوله وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم أى على هذا الصنيع الذى ذكر عنهم خالدين فيها أى ما كسبوا فيها من الكفر والنجس أى كفايتهم في العذاب ولعنهم الله أى طردهم وأبعدهم ولهم عذاب مقيم (كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا واولادا فاستمعوا بما يخلاقهم فاستمعتم بما يخلاقكم كما استمع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذى خاضوا وأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون) يقول تعالى أصاب هؤلاء من عذاب الله تعالى في الدنيا والآخرة كما أصاب من قبلهم وقوله بخلاقهم قال الحسن بدنيهم وقوله وخضتم

كالذي خاضوا في الكذب والباطل أو لئلا تحبط أعمالهم أي بطلت مساعيهم فلا ثواب لهم عليها لانها فاسدة في الدنيا
والآخرة وأولئك هم الخاسرون لانهم لم يحصل لهم عليها ثواب قال ابن جرير عن عمرو بن عطاء عن عكرمة عن ابن عباس في قوله
كالذين من قبلكم الآية قال ابن عباس ما أشبه الليلة بالبارحة كالذين من قبلكم هؤلاء بنو اسرائيل شبهناهم لأعلم الا انه قال
والذي نفسى بيده اتبعنهم حتى لو دخل الرجل حجر ضرب لداخلتموه قال ابن جرير وأخبرني زياد بن سعد عن محمد بن زياد بن مهاجر
عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والذي نفسي بيده لاتبعن

سنن الذين من قبلكم شبرا شبر
وذراعا بذراع وابعابا عبا حتى لو
دخلوا حجر ضرب لداخلتموه فالواو من
هم يا رسول الله أهل الكتاب قال
فمن وهكذا رواه أبو يعقوب عن سعيد
المقبري عن أبي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم فذكره وزاد قال
أبو هريرة أقرأوا ان شئتم القرآن
كالذين من قبلكم الآية قال أبو
هريرة ان خلاق الدين وخضتم كالذي
خاضوا فالواو يا رسول الله كما صنعت
فارس الروم قال فهل الناس الا هم
وهذا الحديث له شاهد في الصحيح
(أم يأتهم نبال الذين من قبلهم قوم نوح
وعاد وحمود وقوم ابراهيم واصحاب
مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم
بالنبات فما كان الله ليظلمهم ولكن
كانوا أنفسهم يظلمون) يقول تعالى
واعظا هؤلاء المنافقين المكذبين
للرسل ألم يأتهم نبال الذين من قبلهم
أي ألم تحبوا وخبر من كان قبلكم
من الامم المسكذبة للرسل قوم نوح
وما اصابهم من الغرق العام
لجميع أهل الارض الا من آمن
بعبد ورسوله نوح عليه السلام
وعاد كيف أهل كوابالريح العقيم
لما كذبوا هودا عليه السلام وحمود

الابصحة الله واطن به وهو معنى قوله لاجل ولا قوة الا بالله العلي العظيم (ثم يهد لهم)
أي ظهر للعزير وأصحابه الذين يدبرون الامر معه وبشرون عليه في الرأي وأما فاعل بدا
فقال سيديويه هوليسجننه أي ظهر لهم ان يسجنوه قال المبرد وهذا غلط لان الفاعل
لا يكون جملة ولكن الفاعل ما دل عليه بدا وهو المصدر حذف الفاعل لدلالة الفعل عليه
وقيل الفاعل المحذوف هو رأى أي وظهر لهم رأى لم يكونوا يعرفونه من قبل وهذا
الفاعل حذف لدلالة ليسجننه عليه (من بعد ما رأوا الآيات) قيل هي القميص
وشهادة الشاهد وقطع الايدي وقيل هي البركات التي فتحها الله عليهم بعد وصول يوسف
اليهم ولم يجد ذلك فيهم بل كانت امرأته هي الغالبة على رآيه الفاعله لما يطابق هواها في
يوسف وانا فاذ ما تقدم منها من الوعيد له بقولها ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكون
من الصاغرين قال ابن عباس الآيات قد القميص وأثرها في جسده وأثر السكين وقالت
امرأة العزيز ان أنت لم تسجنه ليصدقته الناس وعن ابن زيد قال من الآيات كلام
الصبي وقال قتادة الآيات حرهن أيدين وقد القميص وأقول ان كان المراد بالآيات
الآيات الدالة على برائه فلا يصح عد قطع أيدي النسوة منها لانه وقع منهن ذلك لما حصل
لهن من الدهشة عند ظهوره لهن مع ما ألبسه الله سبحانه من الجمال الذي يتقطع عند
مشاهدته عرى الصبر ويضعف عند رؤيته قوى التجرد وان كان المراد الآيات الدالة على
انه قد أعطى من الحسن ما يباب عقول المبصرين ويذهب بادرالك الناظرين فتمم يصح
عد قطع الايدي من جملة الآيات ولكن ليس هذه الآيات هي المرادة هنا (ليسجننه)
اللام جواب قسم محذوف على تقدير القول أي قائلين والله ليسجننه وقرئ بالفوقية على
الخطاب اما للعزير ومن معه أوله وحده على طريق التعظيم وفي الخطط للمقرري قال
القضاعي سجن يوسف يوصيه من عمل الخيرة أجمع أهل المعرفة من أهل مصر على صحة
هذا المكان وفيه أثرين أحدهما يوسف سجن به المدة التي ذكر ان مبلغها سبع سنين
والآخر موسى وقد بنى على أثره مسجد يعرف بمسجده موسى انتهى ثم أطال في بيان حال
ذلك السجن وموضعه وما يصنع هناك قيل وسبب ظهور هذا الرأي لهم في سجن يوسف
انهم أرادوا استرا القالة وكنتم ماشاع في الناس من قصة امرأة العزيز معه وقيل ان العزيز
قصد بسجنه الخيلولة بينه وبين امرأته لمساءلم انها قد صارت بمكان من حبه لا تبالي

(فتح البيان خامس) كيف اخذتهم الصيحة لما كذبوا صلحا عليه السلام وعقروا الناقة وقوم ابراهيم كيف نصره الله عليهم
وأيد بالمعجزات الظاهرة عليهم وأهلك ملكهم عمرو بن كنعان بن كوش الكنعاني لعنه الله واصحاب مدين وهم قوم شعيب عليه السلام
وكيف اصابتهم الرجفة وعذاب يوم الظلة والمؤتفكات قوم لوط وقد كانوا يسكنون في مدائن وقال في الآية الاخرى والمؤتفكة
أهوى أي الأمة المؤتفكة وقيل أم قراهم وهي سدوم والغرض ان الله تعالى اهلكهم عن آخرهم بتكذيبهم نبي الله لوطا عليه السلام
واتيانهم الفاحشة التي لم يسبقهم بها احد من العالمين أتتهم رسلهم بالبينات أي بالحجج والدلائل القاطعات فما كان الله ليظلمهم أي
بأهلاكه اياهم لانه أقام عليهم الحجج بارسال الرسل وازاحة العلل ولكن كانوا أنفسهم يظلمون أي بتكذيبهم الرسل ومخالفتهم الحق فصاروا

الى ماصاروا اليه من العذاب والدمار) والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحهم الله ان الله عزيز حكيم) لماذا كرتعالى صفات المنافقين الذميمة عطف بذكر صفات المؤمنين المحمودة فقال والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض أى يتناصرون ويتعاضدون كما جاء في الصحيح المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضهم بعضا وشبك بين اصابعه وفي الصحيح ايضا مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد (٣٤) بالحى والسهر وقوله يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر كقوله تعالى

ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر الآية وقوله ويقومون الصلاة ويؤتون الزكاة أى يطيعون الله ويحسنون الى خلقه ويطيعون الله ورسوله أى فيما أمر أو ترك ما عنده زجر أو لئلا سيرحهم الله أى سيرحهم الله من اتصف بهذه الصفات ان الله عزى اى يعز من أطاعه فان العزة لله ورسوله وللمؤمنين حكيم فى قسمته هذه الصفات لهؤلاء وتخصيصه المنافقين بصفاتهم المتقدمة فانه الحكمة فى جميع ما يفعله تبارك وتعالى (وعدا لله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم) يخبر تعالى بما اعده للمؤمنين به والمؤمنات من الخيرات والنعيم المقيم فى جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها اى ما كثر فيها ابدوا وساكن طيبة اى حنة البناء طيبة القرار كما جاء فى الصحيحين من حديث ابى عمران

معه تحمل نفسها اعليه على أى صفة كانت (حتى حين) أى الى مدة غير معلومة كما قاله أكثر المفسرين وقيل الى انقطاع ماشاع فى المدينة وقال سعيد بن جبير الى سبع سنين وقيل الى خمس وقيل الى ستة أشهر وقد تقدم فى البقرة الكلام فى تفسير الحين وحتى بمعنى الى قال السدى جعل الله ذلك الحبس تطهير ليوסף من همه بالمرأة وعن ابن عباس قال عوقب يوسف ثلاث مرات أما أول مرة فبالحبس لما كان من همه بها والثانية لقوله اذ كرى عن سدريك فلبث فى السجن بضع سنين عوقب بطول الحبس والثالثة حيث قال أيتها العير انكم لسارقون فاستقبل فى وجهه ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل (ودخل معه السجن فتيان) التقدير فسجنوه ودخل معه ومع للمصاحبة وفتيان تشبة فتى وذلك يدل على انه ما عبدك له ويحتمل أن يكون الفتى اسم الخادم وان لم يكن مملوكا قال ابن عباس أحدهما خازن الملك على طعامه والاخر ساقيه وقد كانا وضع الملك سما الماضن لهما أهل مصر ما فى مقابلة ذلك ثم ان الساقى رجع من ذلك وقال للملك لا تأكل الطعام فانه مسموم وقال الخباز لا تشرب فان الشراب مسموم فقال الملك للساقى اشرب فشرب فلم يضره وقال للخباز كل فأبى فحرب الطعام على حيوان فهلك مكانه فحسبهما وكان دخولهما السجن مع دخول يوسف وقيل قبله وقيل بعده قال ابن جرير انهما سألا يوسف عن علمه فقال انى أعبر الرؤيا فسألاه عن رؤياهما كما قص الله سبحانه (قال أحدهما انى أراى أعصر حجرا) اى رأيتنى والتعبير بالمضارع لاستحضار الصورة والمعنى اى أراى أعصر عنيا فسمها باسم ما يؤول اليه لكونه المقصود من العصر وقراءة ابن مسعود وأبى أعصر عنيا لا تدل على الترادف قال الأصمى اخبرنى المعتمر بن سليمان انه لقي اعرايا ومعه عنب فقال له ما عنب قال خر وقيل معناه اعصر عنب خر فهو على حذف مضاف وقيل الخمر هو العنب حقيقة بلغة غسان وعمان وهذا الذى رأى هذه الرؤيا هو الساقى وكان بين دخوله السجن وبين الرؤيا خمس سنين وهذه الجملة مستأنفة بتقدير سؤال وكذلك الجملة التى بعدها وهى (وقال الاخر) اى الخباز (انى اراى اجعل فوق رأسى خبزا) ثم وصف الخبز بهذا بقوله (تأكل) اى تنس (الظير منه) ثم قال لا يوسف جميعا بعد أن قصار رؤياهما عليه (نبتنا بئبؤله) اى بتأويل ما قصناه عليك من مجموع المرثيين اوبنأويل المذكور لك من كلامنا وقل ان كل واحد منهم ما قال له

الجولى عن ابى بكر بن ابى موسى عبد الله بن قيس الأشعري عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عقب جنات من ذهب آنتهم ما وافيها ما و جنتان من فضة آنتهم ما وافيها ما و بين ان يتظروا الى ربهم الازداه الكبير اى على وجهه فى جنة عدن وبه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للمؤمن فى الجنة نخيمة من لؤلؤة واحدة بحجوة طولها ستون ميلا فى السماء للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم لا يرى بعضهم بعضا اخرجاه فى الصحيحين وفيها ايضا عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آمن بالله ورسوله واقام الصلاة وصام رمضان فان حقا على الله ان يدخله الجنة هاجر فى سبيل الله او حبس

في أرضه التي ولد فيها قالوا يا رسول الله افلا تخبر الناس قال ان في الجنة مائة درجة اعدها الله للمجاهدين في سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والارض فاذا سألتم الله فاسألوه التردوس فانه اعلى الجنة وأوسط الجنة ومنه تجر أنهار الجنة وفوقه عرش الرحمن وعند الطبراني والترمذي وابن ماجه من رواية زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار عن معاذ بن جبل رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فذكر مثله وللترمذي عن عبادة بن الصامت مثله وعن ابي حازم عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة ليرتعون الغرف في الجنة كما ترون (٣٥) الكوكب الدرر في السماء اخر جاء في الصحيحين ثم لي علم ان اعلى منزلة في الجنة مكان

يقال له الوسيلة لقربه من العرش وهو مسكن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجنة كما قال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق اخبرنا سفيان عن ليث عن كعب عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا صليتم على قسوا الله الى الوسيلة قيل يا رسول الله وما الوسيلة قال اعلى درجة في الجنة لا ينالها الا رجل واحد وارجو ان اكون أنا هو وفي صحيح مسلم من حديث كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن جبر عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فانه من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشر اثم سلا الى الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغى الا لعباد من عباد الله وأرجو أن اكون هو فغن سأل الله الى الوسيلة حلت عليه الشفاعة يوم القيامة وقال الحافظ ابو القاسم الطبراني حدثنا احمد بن علي الابار حدثنا الوليد بن عبد

عقب قص رؤياه عليه فيكون الضمير راجعا الى ما رآه كل واحد منهم ما قيل ان الضمير في تأويله موضوع موضع اسم الإشارة بطريق الاستعارة فان اسم الإشارة يشار به الى متعدد والتقدير بتأويل ذلك (ان انزلك من المحسنين) أى من الذين يحسنون عبارة الرؤيا وكذا قال القراء ان معناه من المعاملين الذين أحسنوا العلم وقال ابن اسحق من المحسنين اليانان فسرت ذلك أو من المحسنين الى أهل السجن فقد روى انه كان كذلك قال قتادة كان يعزى حزنهم ويداوى مرضاهم ووراؤه عبادته واجتهادا فأجوه وعن الضمك قال كان احسانه اذا مرض انسان في السجن قام عليه واذا ضاق عليه المكان أوسع له واذا احتاج جمع له وعن ابن عباس قال دعا يوسف لأهل السجن فقال اللهم لا تم عليهم الاخبار وهون عليهم ممر الايام (قال لا يأتكم طعام ترزقانه) من جهة الله أو الملك والجملة صفة لطعام (الانبات كما يتأويله قبل ان يأتكم) مستأنفة جواب سؤال مقدر ومعنى ذلك انه يعلم شيئا من الغيب بالهام الله تعالى وانه لا يأتهم الى السجن طعام في اليقظة الا اخبرها بما هيته قبل ان يأتهم ما قيل اراد به في النوم والاول هو الاظهر وهذا ليس من جواب سؤال الهما تعبيرا مقصاه عليه بل جعل عليه السلام مقدمة قبل تعبيره لرواها ما ناله لومر تبته في العلم وأنه ليس من المعبرين الذين يعبرون الرؤيا عن ظن وتخمين فهو كقول عيسى عليه السلام وأنتكم بما تأتون وما تدخرون في بيوتكم وانما قال يوسف لهم بهذا الجصل الانقياد له منهم ما يريد عوهما اليه بعد ذلك من الايمان بالله والخروج من الكفر والاستثناء مفرغ من أعم الاحوال أى لا يأتكم في حال من الاحوال الاحال ما نبأ تكلم أى يفت لك ما هيته وكيفيته وسماه تأويله بطريق المشاكلة لان الكلام في تأويل الرؤيا أو المعنى الانبات كما بما يقول اليه الكلام من مطابقة ما اخبر بكه للواقع (ذلك) أى التأويل والخطاب للسائلين له عن تعبير رؤياهما (بما علمني ربي) مما أوحاه الى وألهمنى اياه لامن قبيل الكهانة والتنجيم ونحو ذلك مما يكثر فيه الخطأ ثم بين لهما ان ذلك الذي ناله من هذه الرتبة العلية والعلوم الجمة هو سبب ترك الملة التي لا يؤمن اهلها بالله ولا بالاسخرة واتباعه لمله الانبياء من آبائه فقال (انني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله) وهو كلام مستأنف يتضمن التعليل لما قبله والمراد بالترك هو عدم التلبس بذلك من الاصل وعدم الالتفات اليه بالكلية لانه قد كان تلبس به

الملك الحراني حدثنا موسى بن اعين عن ابن ابي ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سئلوا الله الى الوسيلة فانه لم يسألها الى عبد في الدنيا الا كت له شهيدا اوشفيها يوم القيامة رواه الطبراني وفي مسند الامام احمد من حديث سعد بن مجاهد الطائي عن ابي المدله عن ابي هريرة رضى الله عنه قال قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما نبأوها قال لبنة ذهب ولبنة فضة وملاطها المسك وحسابها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران من يدخلها ينعم لا يأس ويخلد لا يموت لا تبلى ثيابه ولا يفتنى شبابه وروى عن ابن عمر مرفوعا نحوه وعند الترمذي من حديث عبد الرحمن بن اسحق عن النعمان بن سعد عن علي

رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها فقام اعرابي فقال يا رسول الله لمن هي فقال لمن طيب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام ثم قال حديث غريب ورواه الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو وأبو مالك الأشعري كل منهما عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه وكل من الاستنادين جيد حسن وعنده ان السائل هو أبو مالك الأشعري قاله أعلم وعن اسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الأهل من مشر إلى الجنة فان الجنة لا تحصر لها هي ورب الكعبة نور يتلأل أوريجانة تهتز (٣٦) وقصر مشيد ونهر مطرد وثمره نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة ومقام في ابد

ثم تركه كما يدل عليه قوله ما كان لنا ان نشرك بالله ثم وصف هؤلاء القوم بما يدل على تصلبهم في الكفروتهم الكهم عليه فقال (وهم بالآخرة هم كافرون) اي هم يختصون بذلك دون غيرهم لافراطهم في الكفر بالله (واتبعت ملة آباء ابراهيم واسحق ويعقوب) وسماهم آباء جميعا لان الاجساد آباء وقدم الجد الأعلى ثم الجد الاقرب ثم الاب ليكون ابراهيم هو أصل هذه الملة التي كان عليها اولاده ثم تلقاها عنه اسحق ثم يعقوب وانما قاله عليه السلام ترغيبا لاصحابه في الايمان وتنقيرا لهما عما كانا عليه من الشرك والضلال وقدم ذكرهم كمللتهم على ذكر اتباعه لملته آباءه لان التخليقة متقدمة على التحلية (ما كان) أي ماصح وما استقام فضلا عن الوقوع (لنا) معاشر الانبياء لقوة نفوسنا ووقور علومنا (ان نشرك بالله من شيء) أي شيء كان من ملك أو جن أو أنسى فضلا ان نشرك به صنعا لا يسمع ولا يبصر قال الواحدى لفظة من زائدة مؤكدة كقولك ما جاءني من أحد (ذلك) أي الايمان والتوحيد وعدم الاشراك والعلم الذي رزقنا (من فضل الله) أي ناشئ من تفضله (علينا) واطفه بنا بما جعله لنا من النبوة المتضمنة للعصمة عن معاصيه (و) من فضل الله (على الناس) كافة يبعثه الانبياء اليهم وهذا يتمم الربهم وتبيين طرائق الحق لهم (ولكن أكثر الناس) وهم الكفار (لا يشكرون) الله سبحانه على نعمه التي أنعم بها عليهم فيؤمنون به ويوحّدون ويعملون بما شرعه لهم أو لا يستدلون بمناصب لهم من الدلائل وانزال الآيات فيلغونها كمن يكفر النعمة ولا يشكرها ولا يبصر فون تلك القوى والمشاعر الى ما خلقت هي له ولا يستعملونها فيما ذكر من أدلة التوحيد الا فاقية والانفسية والعقلية والنقلية قال قتادة ان المؤمن لا يشكر ما به من نعمة الله ويشكر ما بالناس من نعمة ذكرنا ان آبا الدرداء كان يقول يا رب شاكر نعمة غير منعم عليه لا يدري يا رب حامل فقه غير فقيه ثم دعاهم الى الاسلام صريحا فقال (يا صاحبي السجن) جعلها مصاحبين للسجين اطول مقامهما فيه وقيل المراد يا صاحبي في السجن لان السجن ليس بمحبوب بل معصوب فيه وان ذلك من باب ياسارق الليلة وعلى الاول يكون من باب الاضافة الى الشبيه بالمفعول به والمعنى ياساكني السجن كقوله أصحاب الجنة وأصحاب النار قال قتادة لما عرف يوسف ان أحدهما مقتول دعاهما الى حظهما من ربهما والى نصيبهما من آخرتهما فقال (أأرباب متفرقون) الاستفهام

في دار سليمة وفاكهة وخضرة وحبيرة ونعمة في محلة عالمة بهيمة قالوا نعم يا رسول الله نحن المشركون لها قال قولوا ان شاء الله فقال القوم ان شاء الله رواه ابن ماجه وقوله تعالى ورضوان من الله أكبر أي رضا الله عنهم أكبر وأجل وأعظم مما هم فيه من النعيم كما قال الامام مالك رحمه الله عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم نعط أحدا من خلقك فيقول ألا أعطيتكم أفضل من ذلك فيقولون يا رب وأي شيء أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا أخرجه من حديث مالك وقال أبو عبد الله الحسين بن اسمعيل المحاملي حدثنا الفضل الرجائي حدثنا القريابي عن سفيان عن

محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله للانكار عز وجل هل تشتهون شيئا فزيدكم قالوا يا ربنا ما خير مما أعطيتنا قال رضواني أكبر ورواه البرزاني مسنده من حديث الثوري وقال الحافظ الضياء المقدسي في كتابه صفة الجنة هذا عندى على شرط الصحيح والله أعلم (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير) يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهم وما بما لم ينلوا وما تموا الا ان أغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا أليبا في الدنيا والآخرة ومالهم في الارض من

ولى ولا نصير) أمر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم كما أمره بأن يخفض جناحه لمن اتبعه من المؤمنين وأخبره أن مصير الكفار والمنافقين إلى النار في الدار الآخرة وقد تقدم عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعة أسياف سيف للمشركين فإذا انسحل الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين وسيف لكفار أهل الكتاب فاقتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدهم صاغرون وسيف للمنافقين (٢٧) جاهد الكفار والمنافقين وسيف للبيعة

فقاتلوا التي تبيح حتى تقي إلى أمر الله وهذا يقتضى أنهم يجاهدون بالسيف إذا أظهروا النفاق وهو اختيار ابن جرير وقال ابن مسعود في قوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين قال بيده فان لم يستطع فليكنه هرة في وجهه وقال ابن عباس أمره الله تعالى بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان وأذهب الرفض عنهم وقال الضحالك جاهد الكفار بالسيف واغلت على المنافقين بالكلام وهو مجاهدتهم وعن مقاتل والربيع مثله وقال الحسن وقادة ومجاهد مجاهدتهم إقامة الحدود عليهم وقد يقال انه لا منافاة بين هذه الأقوال لانه تارة يؤخذهم بهذا وتارة بهذا بحسب الأحوال والله أعلم وقوله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم قال قتادة نزلت في عبد الله بن أبي وذلك انه اقتتل رجلان جهني وانصاري فعلا الجهني على الانصاري فقال عبد الله للانصار ألا تصروا أخاكم والله ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل سمن كبدك يا كاذب وقال لئن رجعتنا إلى المدينة ليخرجن الاعز منها الأذل فسمي به رجل من المسلمين إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل اليه فسأله فجعل يحلف بالله ما قاله فانزل الله فيه هذه الآية وروى اسمعيل بن ابراهيم بن عقبة عن عم موسى بن عقبة قال حدثني عبد الله بن الفضل انه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول حزن علي من أصيب بالحرمة من قومي فكتب إلى زيد بن أرقم وبلغه شدة حزني يذكر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اغفر للانصار ولا تبأه الانصار وشك ابن الفضل في أبناء أبناء الانصار قال ابن الفضل فسأل أنس بعض من كان عنده عن زيد بن أرقم فقال هو الذي يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الله له بأذنه قال وذلك حين سمع رجلا

للانكار مع التوبيخ والتقريع ومعنى التفرق هنا هو التفرق في الذوات والصفات والعدد أي هل الأرباب المتفرقون في ذواتهم المختلفون في صفاتهم المتنافون في عددهم (خير) لكيما يصاحبي السجين (أم الله الواحد) أي المعبود بحق المتفرد في ذاته وصفاته الذي لا ضله ولا ند ولا شريك (القهار) الذي لا يغالبه مغالب ولا يعانده معاند وقيل استفهام تقرير أي طلب الاقرار بجواب الاستفهام أي أقرروا واعلموا أن الله هو الخير والاول أولى أو رديوسف عليهم ما هذه الحجة القاهرة على طريق الاستفهام لانها كما نحن يعبد الاصنام وقد قيل انه كان بين أيديهم ما أصنام يعبدونها عندئذ أن خاطبهم ما بهذا الخطاب ولهذا قال لهما (ما تعبدون من دونه الأسماء) فارغة لاسميات لها وان كنتم تزعمون أن لها اسميات وهي الآلهة التي تعبدونها الكهنه الماسا كانت لا تستحق التسمية بذلك صارت الأسماء كأنها الاسميات لها وقيل المعنى ما تعبدون من دون الله الاسميات به أسماء وقيل خطاب لاهل السجين جميعا لا لخصوص الصالحين وهذا هو الاظهر وكذلك ما بعده من الضمائر لانه قصد خطاب صاحبي السجين ومن كان على دينهم (سميتوها أنتم وآباؤكم) من تلقائكم بمحض جهلكم وضلالكم وليس لها من الالهية شيء الأجراد الأسماء لكونها اجادات لا تسمع ولا تصبر ولا تنفع ولا تضر والتقدير سميتوها آلهة من عند أنفسكم (ما أنزل الله بها) أي بتلك التسمية المستتعبة للعبادة (من سلطان) من حجة تدل على صحتها (ان) أي ما (الحكم) في أمر العبادة المتفرعة على تلك التسمية (الالله) عز سلطانه لانه المستحق لها بالذات اذ هو الذي خلقكم وخلق هذه الاصنام التي جعلتموها معبودة بدون حجة ولا برهان (أمر أن لا) أي بان لا (تعبدوا الاياه) حسبما تقتضى به قضية العقل أيضا وبالجملة مستأنفة أو حالية والاول هو الظاهر والمعنى انه أمركم بتخصيصه بالعبادة دون غيره مما تزعمون انه معبود ثم بين لهم ان عبادته وحده دون غيره هي دين الله الذي لا دين غيره فقال (ذلك) أي تخصيصه تعالى بالعبادة (الدين القيم) أي المستقيم الثابت العدل الذي تعاضدت عليه البراهين عقلا ونقلًا (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ان ذلك هو دينه القويم وصرطه المستقيم لجهلهم وبعدهم عن الحقائق أو لا يعلمون ما يصيرون اليه من العذاب فيشركون وهذا يدل على ان العقوبة تلزم العبد وان جهل اذا أمكن له العلم بطريقه ثم بعد

من المنافقين يقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم يحطبلن كان هذا صادقا فحن شر من الجبر فقال زيد بن أرقم فهو والله صادق ولا نت شر من الجار ثم رفع ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحجده القائل فانزل الله هذه الآية تصديقا لزيد يعني قوله يخافون بالله ما قالوا الآية رواه البخاري في صحيحه عن اسمعيل بن أبي أويس عن اسمعيل بن ابراهيم بن عقبة الى قوله هذا الذي أوفى الله له باذنه ولعل ما بعده من قول موسى بن عقبة وقد رواه محمد بن فليح عن موسى بن عقبة باسناده ثم قال قال ابن شهاب فذكر ما بعده عن موسى عن ابن شهاب والمشهور في (٢٨) هذه القصة انها كانت في غزوة بني المصطلق فلعل الراوي وهم في ذكر

الآية وأراد أن يذكر غيرها فذكرها والله أعلم قال الأعمى في مغازبه حدثنا محمد بن اسحق عن الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه عن جده قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذني قومي فقالوا انك امرؤ شاعر فان شئت ان تعذر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض العلة ثم يكون ذنبا تستغفر الله منه وذكر الحديث بطوله الى ان قال وكان من تخلف من المنافقين ونزل فيه القرآن منهم من كان مع النبي صلى الله عليه وسلم الجللاس بن سويد بن الصامت وكان على أم عمير بن سعد وكان عمير في حجره فلما نزل القرآن وذکرهم الله بما ذكروا نزل في المنافقين قال الجللاس والله لئن كان هذا الرجل صادقا فيما يقول لئن شر من الجبر فسمعهما عمر ابن سعد فقال والله يا جللاس انك لا تحب الناس الى واحسنهم عندى بلاء وأعزهم على ان يصله شيء تنكره ولقد قلت مقالة فان ذكرتهم التفضيحي ولئن كتبتها

تحقيق الحق ودعوتهم اليه ويأينه لهما مقداره الرفيع ومرتبة علمه الواسع شرع في تفسير ما استفسراه ولكونه بجمعا مغايرا لما سبق فصله عنه بتكرير الخطاب فقال (يا صاحبي السجين أما أحدكم) أي الساقى وانما أجبه له لكونه مفهوماً ولكراهة التصريح بالخيار بأنه الذي سيصلب (فيسقي ربه) أي مالكة (خرا) وهي عهده التي كان قائما بها في خدمة الملك فكانت له قال أمأنت أيها الساقى فستعود بعد ثلاث من الأيام الى ما كنت عليه ويدعوك الملك ويطلقك من الحبس (وأما الآخر) وهو الخباز فيخرج بعد ثلاث (فيمصلب فتأكل الطير من رأسه) تعبير المارة من انه حمل فوق رأسه خبزا فتأكل الطير منه (قضى الامر الذي فيه تستفتيان) وهو ما رأياه وقصاه عليه يقال استفناه اذا طلب منه بيان حكم شيء سأل عنه مما أشكل عليه وهو ما قد سأله تعبير ما أشكل عليه ما من الرؤيا والمراد بالامر ما يؤول اليه أمرهما ولذلك وحده قاله البيضاوي وقال الزنجشري المراد بالامر ما أتتهما به من ستم الملك وما سجننا من أجله عن ابن مسعود قال ما رأيت صاحبنا يوسف شيئا انما لما الجبر باعله فلما أول رؤياهما قال انما كنا نلعب ولم نرشأ فقال قضى الامر الآية يعني وقعت العبارة فصار الامر على ما عبر يوسف وقال قوم بل كنا قد رأينا رؤيا حقيقة وعن أبي مجلز قال كان أحد الذين قصا على يوسف الرؤيا كذبا وكان هذا التعبير بالوحى كما نبئ عنه قوله قضى الامر وقيل هو بالاجتهاد (وقال للذي ظن أنه ناج منهم) أي قال يوسف والظان هو أيضا يوسف والمراد بالظن العلم لانه قد علم من الرؤيا نجاة الشرايبي وهلاك الخباز هكذا قال جمهور المفسرين وقيل الظاهر انه على معناه لان عابر الرؤيا انما يظن ظنا والاول أولى وأنسب بحال الانبياء ولا سيما وقد أخبر عن نفسه عليه السلام بأنه قد أطلع الله على شيء من علم الغيب كما تقدم (أذكرني عند ربك) هي مقول القول أمره بان يذكره عند سيده ويقول له ان في السجين غلاما محبوبا ظالما منذ خمس سنين ويصفه بما شاهدته منه من جودة التعبير والاطلاع على شيء من علم الغيب فخرج (فأنساه الشيطان ذكر ربه) وكانت هذه المقالة منه صادرة عن ذهول ونسيان عن ذكر الله بسبب الشيطان فيكون ضمير المفعول في أنساه عائدا الى يوسف هكذا قال أكثر المفسرين ويكون المراد بربه في قوله ذكر ربه هو الله سبحانه أي أنسى الشيطان يوسف ذكر الله تعالى في تلك الحال فقال للذي ظن انه ناج منهم ما يذكره عند سيده ليكون ذلك سببا

لتهلكني ولا حداهما أهون على من الاخرى فنبئ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره ما قال الجللاس فلما بلغ لاتباهه ذلك الجللاس خرج حتى يأتي النبي صلى الله عليه وسلم خلفه بالله ما قال ما قال عمر بن سعد ولقد كذب على فانزل الله عز وجل فيه يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم الى آخر الآية فوقفه رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها فزعوا ان الجللاس تاب فحسنت توبته ونزع فاحسن التزوع هكذا جاء هذا مدرجا من الحديث متصل باليه وكانه والله أعلم من كلام ابن اسحق نفسه لان كلام كعب بن مالك وقال عروة بن الزبير نزلت هذه الآية في الجللاس بن سويد بن الصامت أقبل هو وابن امرأته

مصعب من قباء فقال الجلاس ان كان ما جاء به محمد حقا فنحن أشرم من حجرنا هذه التي نحن عليها فقال مصعب أما والله يا عدو الله لا خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما قلت فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم وخفت ان ينزل في القرآن أو نصيبي قارعة أو ان أخلط بخطيئته فقلت يا رسول الله أقبلت أنا والجلاس من قباء فقال كذا وكذا ولولا مخافة ان أخط بخطيئته أو نصيبي قارعة ما أخبرتك قال فدعا الجلاس فقال يا جلاس أقلت الذي قاله مصعب فأنزل الله يحلفون بالله ما قالوا إلا به وقال محمد بن اسحق كان الذي قال تلك المقالة فيما بلغني الجلاس بن سويد بن الصامت (٢٩) فرفعها عليه رجل كان في حجره يقال له

عمر بن سعد فأنكرها خلف بالله ما قالها فلما نزل فيه القرآن تاب ووزع حسنت توبته فيما بلغني وقال الامام أبو جعفر بن جرير حدثني أيوب بن اسحق بن ابراهيم حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا اسرائيل عن سمك عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً في ظل شجرة فقال انه سيأتيكم انسان فينظر اليكم يعني الشيطان فاذا جاء فلا تكلموه فلم يلبثوا أن طلع رجل ازرق فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علام تشمني أنت وأصحابك فانطلق الرجل فجاء بأصحابه خلفه وبالله ما قالوا حتى تجاوز عنهم فانزل الله عز وجل يحلفون بالله ما قالوا إلا به وقوله وهموا بما لم ينالوا قيل أأنزلت في الجلاس بن سويد وذلك انه هم بقتل ابن امرأته حين قال لا خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل في عبد الله بن أبي هم بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال السدي نزلت في أناس أرادوا ان يتوجعوا عبد الله بن أبي وان لم يرض

لاتنباهاه على ما وقع من الظلم بين عليه بسجنه بعد ان رأى من الآيات ما يدل على براءته وذلك عقلة عرضت له عليه السلام فان الاستعانة بالخلق في دفع الضرر وان كانت جائزة الا انه لما كان مقام يوسف أعلى المقامات ورتبته أعلى الرتب وهي منصب النبوة والرسالة لا جرم صار مؤاخذاً بهذا القدر فان حسنات الارباب سيات المقربين وذهب جماعة من المفسرين الى ان الذي أنساه الشيطان ذكر به هو الذي نجا من الغلامين وهو الشرايبي والمعنى أنسى الشرايبي الشيطان ذكره لسيده أي ذكره لسيده فلم يبلغ اليه ما وصاه به يوسف من ذكره عند سيده ويكون المعنى فأنساه الشيطان ذكر اخباره بما أمره به يوسف مع خلوصه من السجن ورجوعه الى ما كان عليه من القيام بسقي الملك وقد رجع هذا يكون الشيطان لا يسبغ له على الانبياء وأجيب بان التسيان وقع من يوسف ونسبته الى الشيطان على طريق المجاز والانباء غير معصومين عن النسيان الا فيما يخبرون به عن الله سبحانه وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني ورجح أيضاً بان النسيان ليس بذنب فلو كان الذي أنساه الشيطان ذكر به هو يوسف لم يستحق العقوبة على ذلك بلبثه في السجن بضع سنين وأجيب بان النسيان بمعنى الترتك وانه عوقب بسبب استعانةه بغير الله سبحانه ويؤيد رجوع الضمير الى يوسف ما بعده من قوله فلبث في السجن بضع سنين ويؤيد رجوعه الى الذي نجا من الغلامين قوله فيما سيأتي الذي نجا منه او اذكر بعد امة (فلبث) يوسف في السجن بسبب ذلك القول الذي قاله للذي نجا من الغلامين أو بسبب ذلك الانساء أخرج ابن أبي الدنيا وابن جرير والطبراني عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لولم يقل يوسف السكامة التي قال ما لبث في السجن طول ما لبث حيث يتبعى الفرج من عند غير الله وعن عكرمة مرفوعاً نحوه وهو مرسل (بضع سنين) البضع ما بين الثلاث الى التسع كما حكاه الهروي عن العرب وبه قال قتادة وحكي عن أبي عبيدة ان البضع ما دون نصف العقد يعني ما بين واحد الى أربعة وقيل ما بين ثلاث الى سبع قاله مجاهد وقيل هو ما دون العشرة وحكي الزجاج انه ما بين الثلاث الى الخمس وقد اختلف السلف في تعيين قدر المدة التي لبث فيها يوسف في السجن فقيل سبع سنين قاله ابن جرير وقتادة ووهب بن منبه وقيل ثلثي عشرة سنة قاله ابن عباس وقيل أربع عشرة سنة قاله الضحاك وقيل خمس سنين

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ورد ان نفر من المنافقين هموا بالفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو في غزوة تبوك في بعض تلك الليالي في حال السير وكانوا بضعة عشر رجلاً قال الضحاك ففهم نزلت هذه الآية وذلك بين فيما رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب دلائل النبوة من حديث محمد بن اسحق عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبي الخثري عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال كنت آخذاً بخطام ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم اودبه وعمار يسوق الناقة وأنا أسوقه وعمار يقوده حتى اذا كنا بالعقبة فاذا أنا باثني عشر رجلاً يكافدوا ترضوه فيها قال فانتهرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصرخ بهم فولوا مدبرين فقال لئلا رسول الله

صلى الله عليه وسلم هل عرفتم القوم قلنا لا يا رسول الله قد كانوا مسلمين ولكنك قد عرفنا الركب قال هؤلاء المنافقون الى يوم القيامة قال وهل تدرون ما ارادوا قلنا لا قال ارادوا ان يزجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في العقبة فيلقوه منها قلنا يا رسول الله افلا نبعث الى عشائرهم حتى يبعث اليك كل قوم برأس صاحبهم قال لا اكره ان يتحدث العرب بيننا ان محمدا قاتل بقوم حتى اذا اظهره الله بهم اقبل عليهم يقتلهم ثم قال اللهم اردهم بالديلة قلنا يا رسول الله وما الديلة قال شهاب من نار يقع على نياط قلب احداهم فيهلك وقال الامام احمد رحمه الله حديثنا يزيد اخبرنا (٤٠) الوليد بن عبد الله بن جميع عن ابي الطفيل قال لما اقبل رسول الله

صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك
امر مناد ينادى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اخذ العقبة
فلا ياخذها احد فينبأ رسول
الله صلى الله عليه وسلم بقوده
حذيفة ويسوقه عمار اذا قبل
رهبتمثلون على الواحد
فعبوا عمارا وهو يسوق برسول
الله صلى الله عليه وسلم فاقبل عمار
رضى الله عنه يضرب وجوه
الرواحل فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لحذيفة قد قدحتى هبط
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
هبط نزل ورجع عمار فقال يا عمار
هل عرفت القوم فقال قد عرفت
عامه الواحد والقوم مثلون
قال هل تدري ما ارادوا قال الله
ورسوله أعلم قال ارادوا ان يقتلوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيطرحوه قال فسار عمار رجلا
من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال نشدتك بالله كم تعلم
كانوا اصحاب العقبة قال اربعة عشر
رجلا فقال ان كنت منهم فقد كانوا
خمس عشرة قال فعذر رسول الله
صلى الله عليه وسلم منهم ثلاثة

قالوا والله ما سمعنا من ادى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما علمنا ما اراد القوم فقال عمار شهد ان الاثنى للرويا
عشر الباقيين حرب لله ورسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد وهكذا روى ابن لهيعة عن ابي الاسود عن عروة بن الزبير نحو
هذا وان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر ان يمشي الناس في بطن الوادي وصعد هو وحذيفة وعمار العقبة فتبعهم هؤلاء النفر
الارذلون وهم مثلون فارادوا سلوك العقبة فاطلع الله على مرادهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر حذيفة فرجع اليهم فضرب
وجوه واحلهم ففرغوا ورجعوا من وحين وأعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة وعمار ابائهم وما كانوا وابه من

الفتك به صلوات الله وسلامه عليه وأمرهما ان يكتبوا عليهم وكذا روى يونس بن بكير عن ابن اسحق الا أنه سمي جماعة منهم فالتة أعلم وكذا قد حكى في معجم الطبراني قاله البيهقي ويشهد له هذه القصة بالصحة ما رواه مسلم حدثنا زهير بن حرب حدثنا أبو أحمد الكوفي حدثنا الوليد بن جميع حدثنا أبو الطوفيل قال كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة بن عباد ما يكون بين الناس فقال أنشدنا الله كم كان أصحاب العقبة فقال له القوم أخبره إذ سألت فقال كأن خبرناهم أربعة عشر فان كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر وأشهدنا الله ان الاثني عشر منهم حرب الله ورسوله في الحياة الدنيا (٤١) ويوم يقوم الاشهاد وعذر ثلاثة قالوا ما سمعنا

منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا علمنا بما أراد القوم وقد كان في حرة عيشى فقال ان الماء قليل فلا يسبقني اليه أحد فوجد قوما قد سبقوه فلعنهم يومئذ وما رواه مسلم أيضا من حديث قتادة عن أبي نضرة عن قيس بن عباد عن عمار بن ياسر قال أخبرني حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في أصحابي اثنا عشر منافقا لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها حتى يبلج الجبل في سم الخياط ثمانية منهم تكفيهم الديلة سراج من نار يظهر بين أكتافهم حتى ينجم من صدورهم ولهذا كان حذيفة يقال له صاحب السر الذي لا يعلم غيره أي من تعيين جماعة من المنافقين وهم هؤلاء قد أطلعهم عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيره والله أعلم وقد ترجم الطبراني في مسنده حذيفة تسمية أصحاب العقبة ثم روى عن علي بن عبد العزيز عن الزبير بن بكار انه قال هم معتب بن قشير وديعة بن ثابت و جد بن عبد الله بن نبيل بن الحرث من بني عمرو بن عوف

للرؤيا الكاذبة والاحلام جمع حلم وهي الرؤيا الكاذبة التي لا حقيقة لها كما يكون من حديث النفس ووسواس الشيطان والاضافة بمعنى من أي هي أضغاث أحلام آخر جوها من جنس الرؤيا التي لها عاقبة تؤل اليها ويعتني بامرها وجوعها وهي رؤيا واحدة مبالغة في وصفها بالبطلان كما في قولهم فلان يركب الخيل ويلبس العمام لمن لا يملك الا فرسا واحدا وعمامة فردة أو لتضمنها أشياء مختلفة من البقرات السبع السمعان والسبع العجاف والسنايل السبع الخضرو والآخر اليابسات فتأمل حسن موقع الاضغاث مع السنايل فلهذا درشأن التنزيل ويجوز أن يكون رأى مع هذه الرؤيا غيرها مما يقصه الله علينا قال ابن عباس أضغاث أحلام يقول مشتبهة وعنه قال الكاذبة وعن الضحالك مثله (وما نحن بتأويل الاحلام) المختلطة (بعالمين) يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة أي ليس لها تأويل عندنا وإنما التأويل للمنامات الصادقة كأنه مقدمة ثانية للعدر يجملهم بتأويله نفوا عن أنفسهم علم ما لا تأويل له لا مطلق العلم بالتأويل وقيل انهم نفوا عن أنفسهم علم التأويل مطلقا ولم يدعوا انه لا تعبير لهذه الرؤيا وقيل انهم قصدوا محوها من صدر الملك حتى لا يشتغل بها ولم يكن ما ذكره ومن نفي العلم حقيقة (وقال الذي نجا منهما) أي من الغلامين وهو الساقى الذي قال له يوسف اذ كرني عند ربك (وآذ كر) بالدال المهملة على قراءة الجمهور وهي النصيحة وقرئ بالمجزة أي تذكر الساقى يوسف وما شاهد منه من العلم بتعبير الرؤيا (بعد أمة) مدة طويلة وحين يعيد ومنه الى أمة معدودة الى وقت قال ابن درستويه والامة لا تكون على الحين الاعلى حذف مضاف واقامة المضاف اليه مقامه كأنه قال والله أعلم وادكر بعد حين أمة أو بعد زمن أمة قيل وسمي الحين من الزمان أمة لانه جماعة أيام والامة الجماعة الكثيرة من الناس قال الاخفش هو في اللفظ واحد وفي المعنى جمع وكل جنس من الحيوان أمة وقرئ بعد أمة أي بعد نسيان وامة بكسر الهمزة أي بعد نعمة وهي نعمة النجاة وعن الحسن بعد أمة من الناس وقال ابن عباس بعد سبع سنين وقيل تسع سنين وقيل ستمين (أنا أنبئكم بتأويله) أي أخبركم به بسوء الى عنه من له علم بتأويله وهو يوسف أو أدلكم عليه أو أخبركم بمن عمده تأويله (فأرسلون) خاطب الملك بلفظ الجمع للتعظيم أو خاطبسه ومن كان معه من الملا طلب منهم ان يرسلوه الى يوسف ليقص عليه رؤيا الملك

(٦ فتح البيان خامس) والحرث بن يزيد الطائي وأوس بن قيطي والحرث بن سويد وسعد بن وراه وقيس بن فهر وسويد وداعس من بني الحلبى وقيس بن عمرو بن سهل وزيد بن اللصيت وسلالة بن الحمام وهما من بني قيس قاع أظهروا الاسلام وقوله تعالى وما تقوموا الا ان أغناهم الله ورسوله من فضله أي وما للرسول عندهم ذنب الا أن الله أغناهم ببركته وعن سعاده ولوتت عليهم السعادة لهداهم الله لما جاءهم به كما قال صلى الله عليه وسلم لا تصاروا لم أجدكم ضللا فهداكم الله بنى وعالة فأغناكم الله بنى كما قال شيئا قالوا الله ورسوله آمن وهذه الصيغة يقال حيث لا ذنب كقوله وما نؤمنهم الا ان يؤمنوا بالله الآية

وقوله عليه السلام ما يتم ابن جميل الا ان كان فقرا فاغناه الله ثم دعاهم الله تبارك وتعالى الى التوبة فقال فان توبوا لي خيرا لهم وان يتولوا به مذمهم الله عذبا والى الدنيا والآخرة أى وان يستمر وعلى طريقهم بعدتهم الله عذابا الى ما فى الدنيا أى بالقتل والهيم والغم والآخرة أى بالعذاب والنكال والهوان والصغار والهيم فى الارض من ولى ولا نصير أى وليس لهم أحد يسعدهم ولا ينجدهم لا يحصل لهم خيرا ولا يدفع عنهم شرا (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخوابه وتولوا ٤٢) وهم معرضون فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه

وعا كانوا يكذبون ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله علام الغيوب) يقول تعالى ومن المنافقين من أعطى الله عهدا وميثاقه لئن آغناه من فضله لنصدقن من ماله وليكونن من الصالحين فاوفى بما قال ولا صدق فيما ادعى فاعقبهم هذا الصنيع نفاقا سكن فى قلوبهم الى يوم يلقوا الله عز وجل يوم القيامة عبادا بالله من ذلك وقد ذكر كثير من المفسر بن منهم ابن عباس والحسن البصرى ان سبب نزول هذه الآية الكريمة فى ثعلبة بن حاطب الانصارى وقد ورد فيه حديث رواه ابن جرير ههنا وابن أبى حاتم من حديث معان بن رفاعة عن علي بن يزيد عن أبي عبد الرحمن القاسم بن عبد الرحمن مولى عبد الرحمن بن يزيد ابن معاوية عن ابى امامة الباهلى عن ثعلبة بن حاطب الانصارى انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله ان يرزقنى ما لا قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خيرا من كثير لا تطيقه قال ثم قال مرة أخرى فقال أما ترضى ان تكون مثل نبي الله فوالذي نفسى بيده

حتى يخبره بتأويلها فيعود بذلك الى الملك أو الى السجن فأتى السجن فقال يا (يوسف أيها الصديق) انما سماه صديقا لانه لم يجرب عليه كذبا قط والصدق الكثير الصدق والذي لم يكذب قط وقيل لانه صدق في تعبير رؤياه التي رآها فى السجن وجملة حجي الرسول ليوسف فى السجن أربع مرات هذه أولها (أفتنتا) أى أخبرنا وبين لنا (فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضروا خرياسات) وترك ذكر الرؤيا اكتناها بما هو واثق به من فهم يوسف بان ذلك رؤيا وان المطلوب منه تعبيرها ولما عين علورتيته عليه السلام فى الفضل عبر عن ذلك بالاعتناء ولم يقل كما قال هو وصاحبه أولا نبشنا بتأويله وفى قوله أفتناع انه المستفتى وحده اشعار بان الرؤيا ليست له بل لغيرها من ملايسة بامور العامة وان فى ذلك معبر وسفير كما آذن بذلك حيث قال (اعلى ارجع الى الناس) أى الى الملك ومن عنده من الملا بتأويل هذه الرؤيا أو الى أهل البلد اذ قيل ان السجن لم يكن فيه (لعلهم يعلمون) ما تلى به من تأويل هذه الرؤيا أو يعلمون فضلا ومنزلتك ومعرفتك لئن الرؤيا وانما لم بيت الكلام فيها لانه لم يكن جازما بالرجوع فربما اخترتمه المنية دونه ولا يعلمهم (قال تزرعون) مستأنفة كغيرها مما يرد هذا المورد (سبع سنين دأبا) أى متوالية متتابعة قرئ بفتح الهمزة وسكونها وهما الغنان فى مصدر دأب فى العمل اذا جددته وتعب قال القراء حرك لان فيه حرفا من حروف الخلق وكذلك كل حرف فتح أوله وسكن ثمانية فتشقيه جائز فى كلمات معروفة وأصل معنى الدأب التعب ويكنى به عن العادة المستمرة لانها تنشأ عن مداومة العمل اللازم له التعب واتصافه بفعل مقدر أى تدأبون دأبا قاله سيبويه أو على انه مصدر واقع موقع الحال فيكون فيه الواجهة المعروفة اما المبالغة واما وقوعه موقع الصفة واما على حذف مضاف أى دائبين أو ذوى دأب أو جعلهم نفس الدأب مبالغة فعبر يوسف عليه السلام السبع البقرات السمان والسنبلات الخضراء بسبع سنين فيها خصب والعجاف واليابسات بسبع سنين فيها جندب وأول ابتلاع العجاف السمان بأكل ما جمع فى السنين المخصبة فى السنين المجذبة واستدل بالسبع الخضراء على ما ذكره فى التعبير من قوله (فاحصدتم) فى كل سنة من السنين المخصبة (فذروه) أى ذلك المحصول (فى سنبله) وقصبه ليكون القصب علفا للدواب ولا تفصلوه عنها التلأيا كاله السوس كما هو شأن غلال مصر ونواحيها قيل وهذه نصيحة منه لهم

لوشئت ان تسير الجبال معى ذهباً وفضه لسارت قال والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقنى ما لا اعطيك كل خارجة ذى حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة ما لا قال فاتخذ غنما فتمت كما ينهى الدود فضاقت عليه المدينة فتحنى عنها فتركها وادى من اوديتها حتى جعل يصلى الظهر والعصر فى جماعة ويتركها مسواها ثم تمت وكثرت فتحنى حتى ترك الصلوات الا الجمعة وهى تنو كما ينهى الدود حتى ترك الجمعة فطفق يلتقى الركبان يوم الجمعة ليسألهم عن الاخبار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل ثعلبة فقالوا يا رسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة فأخبروه بما مره فقال يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة

وأرسل الله جل ثناؤه خذ من أموالهم صدقة الآية ونزلت فرائض الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين على الصدقة رجلان من جهينة ورجلان من سليم وكتب لهما صكيف يأخذان الصدقة من المسلمين وقال لهما ما رأيت ثعلبة وبقلان رجل من بني سليم فخذوا صدقاتهم ما يخرجوا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الجزية ما هذه الاخت الجزية ما أدري ما هذا انطلقا حتى تفرغتا عودا الى قانطا فاقوا وسمع بهما السلمي فنظر الى خيار أسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلها ما بها فلما رأوها قالوا ما يجب عليك هذا وما تريدان (٤٣) فأخذها من ذبي فخذوها فان نفسى بها طيبة وانما هي له فأخذوها منه

ومر اعلى الناس فأخذ الصدقات ثم رجعا الى ثعلبة فقال أروني كتابكم فقرأه فقال ما هذه الا جزية ما هذه الاخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيي فانطلقا حتى أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأه ما قال يا ويح ثعلبة قبل أن يكلمه ما ودعا للسلمي بالبركة فأخبراه بالذي صنع ثعلبة والذي صنع السلمي فانزل الله عز وجل ومنهم من عاهد الله ان لا ياتوا من فضله لنصدقن الآية قال وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك يا ثعلبة قد أرسل الله منك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله ان يقبل منه صدقته فقال ان الله منعني أن أقبل منك صدقتك فجعل يحنو على رأسه التراب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فلما أبى ان يقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم رجعا الى منزله فقبض رسول

خارجة عن التعبير وما شرطية أو موصولة وسنبل فنعل بضم الفاء والعين الواحدة سنبله يقال سنبل الزرع أي أخرج سنبله (الاقليلا ممتا كلون) في هذه السنين المخصبة بقائه لا يدل لكم من فصله عن سنبله واخر اجسه عنها واقتصر على استثناء الماء كقول دون ما يجتمعون اليه من البذر الذي يبذرونه في أموالهم لانه قد علم من قوله ترزعون (ثم يأتي من بعد ذلك) السبع السنين المخصبة (سبع شداد) أي سبع سنين مجدبة محللة شديدة يصعب أمرها على الناس وهي تأويل السبع العجاف والسبع اليابسات (يا كن ما قدمتمهن) من تلك الحبوب المتروكة في سنا باله في السنين المخصبات واسناد الاكل الى السنين مجازي تطبيقين المعبر والمعبر به كما في شهره صائم وفيه تلويح بأنه تأويل الاكل العجاف السمان واللام في لهن ترشيع لذلك فكان ما دخر في السنابل من الحبوب شي قد هي وقدم لهن كالذي يقدم للنازل والافهوي في الحقيقة مقدمة للناس فيهن والمعنى يأكل الناس فيهن أو يأكل أهلهم ما قدمتم أي ما دخرتم لهن (الاقليلا مما تحسبون) أي مما تحسبون من الحب لتزرعوا به لان في استيفاء البذر تحصيل الاقوات وقال أبو عبيدة معناه تحرزون وقيل تدخرون وقيل تحزنون والمعنى واحسدوا الاحسان الاحرار وهو ابقاء الشيء في الحصن بحيث يحفظ ولا يضيع أخرجه عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عكرمة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقد عجت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى أشرط عليهم ان يخرجوني ولقد عجت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له حين أتاه الرسول ولو كنت مكانه لبادرتهم الباب ولكنه أراد ان يكون له العذر (ثم يأتي من بعد ذلك) السنين المجدبات (عام) سنة وهذه بشارة منهم زائدة على تعبير الرؤيا ولعله لم ذلك بالوحى أو بان انتهاء الجذب بالحبس على العادة الالهية حيث يوسع على عباده بعد تصديقه عليهم (فيسه يغاث الناس) من الاغاثة أو الغوث وهو النرج وزوال الهم والكرب والغيث المطر وقد غاث الغيث الارض أي أصابها وغاث الله البلاد يغيتها غوثا مطرها فغثى يغاث الناس يطرون (وفيه يعصرون) الاشياء التي تعصر كالعنب والسهم والزيتون وقيل أراد حلب اللبان وقيل معناه ينجون مأخوذ من العصرة وهي المتجاة قال أبو عبيدة والعصر بالتحريك المجلأ

الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيئا ثم أتى أبابكر رضى الله عنه حين استخاف فقتل قد علمت منزلي من رسول الله ووضع من الانصار فأقبل صدقتي فقال أبو بكر لم يقبلها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى ان يقبلها فقبض أبو بكر ولم يقبلها فلما روى عمر رضى الله عنه أنه قال يا أمير المؤمنين اقبل صدقتي فقال لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر وأنا يقبلها منك فقبض ولم يقبلها فلما روى عثمان رضى الله عنه أنه قال اقبل صدقتي فقال لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر وأنا يقبلها منك فلم يقبلها منه فهلك في خلافة عثمان وقوله تعالى عما خلفوا الله ما وعدوه الآية أي أعقبهم التناق في قلوبهم

بسبب اختلافهم الوعدو كذبهم كافي الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اتفق خان قوله ألم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم الاية يخبر تعالى انه يعلم السر وأخفى وانه أعلم بضمايرهم وله شواهد كثيرة والله أعلم وان أظهر وان انحل حصل لهم أموال تصدقوا منها وشكروا عليها فان الله أعلم بهم من أنفسهم لانه تعالى علام الغيوب أى يعلم كل غيب وشهادة وكل سر ونجوى ويعلم ما ظهر وما باطن (الذين يازنون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم (٤٤) سخر الله منهم ولهم عذاب أليم) وهذه أيضا من صفات المنافقين لا يسلم

أحد من غيرهم ولمزهم فى جميع الاحوال حتى والمتصدقون يسلمون منهم ان جاء أحد منهم مال جزيل قالوا هذا امرأ وان جاء بشئ يسير قالوا ان الله اغشى عن صدقة هذا كبروى البخارى حدثنا عبيد الله بن سعد حدثنا أبو النعمان البصرى حدثنا شعبة عن سائمان عن أبي وائل ومسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال لما نزلت آية الصدقة كانت تعامل على ظهورنا فامر رجل فتصدق بشئ كثير فقالوا امرأتى وجارجل فتصدق بصاع فقالوا ان الله اغشى عن صدقة هذا فترلت الذين يلزون المطوعين الاية وقد رواه مسلم أيضا فى صحيحه من حديث شعبة به وقال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا الجري عن أبي السليل قال وقف علينا رجل فى مجلسنا بالبيع فقال حدثنى أبى أو عمى انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبيع وهو يقول من يتصدق بصدقة أشهد له به يوم القيامة قال فقلت من عمامتى لو نأ أولوبين وانأريد أن أتصدق بهما فأدركنى ما يدرك ابن آدم فعدت على عمامتى فجاء رجل لم أرى بالبيع

والمنجى واعتصرت بفلان التجأت به وقرئ بقاء الخطاب ويعصرون بضم الياء وفتح الصاد ومعناه يعطرون ومنه قوله تعالى وأرسلنا من المعصرات ماء نجا قال ابن عباس يصيهم فيه غيث يعصرون فيه العنب والزبيب ومن كل الثمرات ويحتلبون وعنه قال أخبرهم بشئ لم يسألوه عنه كان الله قد علمه اياه وفيه يعصرون السمسم دهنًا والعنب خرا والزيتون زيتًا والمراد كثرة الخير والنعيم على الناس وكثرة الخصب فى الزرع والثمار (وقال الملك) فى الكلام حذف قبل هذا والتقدير فذهب الرسول الى الملك فأخبره بما أخبره به يوسف من تعبيرة تلك الرؤيا وقال الملك لمن يحضرته (اتنوني به) أى يوسف فرغب الى رؤيته ومعرفة حاله بعد ان علم بفضل ما عمله من وصف الرسول له ومن تعبيرة لرؤياه (فلما جاءه) أى الى يوسف (الرسول) واستدعاه الى حضرة الملك وأمره بالخروج من السجن ر هذه هى المرة الثانية من مجئ الرسول اليه فى السجن (قال) يوسف للرسول فأصدا اظهر برأته (ارجع الى ربك) أى سيدك (فأسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن) أمره بان يسأل الملك عن ذلك وتوقف عن الخروج من السجن ولم يسارع الى اجابة الملك لظهور للناس برأته وساحته وزاهية جانبه وانه ظلم بكيد امرأة العزيز ظلمًا بينا قال ابن عباس أراد يوسف العذر قبل ان يخرج من السجن ولقد أعطى عليه السلام من الحلم والصبر والاناة ما تضيق الازدهان عن تصويره ولهذا ثبت فى الصحيح من قوله صلى الله عليه وآله وسلم ولوليت فى السجن ما لبث يوسف لاجبت الداعى يعنى الرسول الذى جاء يدعوه الى الملك قال ابن عطية كان هذا النعل من يوسف اناة وصبرا وطلب البراءة ساحته وذلك انه خشى ان يخرج وينال من الملك مرتبة ويسكت عن أمر ذنبه فيبراه الناس بتلك العين يقولون هذا الذى راود امرأة العزيز وفيه دليل على ان الاجتهاد فى نفي التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف فى واقفها وانما قال فأسأله ما بال النسوة وسكت عن امرأة العزيز رعاية لذمام الملك العزيز أو خوفه منه من كيدها وعظم شرها وذكروا السؤال عن تقطيع الايدي ولم يذكر مرادتهم له تزيها منه عن نسبة ذلك اليهن ولذلك لم ينسب المرادة فيما تقدم الى امرأة العزيز الا بعد ان رمتهم باثامها وانسلت وقد كتفى هنا بالاشارة الاجمالية بقوله (ان ربي بكيدهن علم) فجعل علم الله سبحانه بما وقع عليه من الكيد منهن مغنيا عن التصريح وقيل المراد بالرب هنا الملك وجعله رب نفسه

رجلا أشد منه سوادا ولا أصغر منه ولا أذم به عرساقه لم أرى بالبيع ناقه أحسن منها فقال يا رسول الله صدقة قال لكونه نعم قال دونك هذه الناقة قال فلزمه رجل فقال هذا يتصدق به فوالله لهى خير منه قال فسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كذبت بل هو خير منك ومنها ثلاث مرات ثم قال ويل لاصحابك المتئين من الابل ثلاثا قالوا الامن يا رسول الله قال الامن قال بالمال هكذا وهكذا اوجع بين كفيه عن يمينه وعن شماله ثم قال قد أفلح المزهة المزهة فى العيش المجهد فى العبادة وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس فى هذه الآية قال جاء عبد الرحمن بن عوف باربعين أوقية من ذهب الى رسول الله صلى الله

عليه وسلم وجاءه رجل من الانصار بصاع من طعام فقال بعض المنافقين والله ما جاء عبد الرحمن بما جاء به الا رياء وقالوا ان الله
ورسوله لغنيان عن هذا الصاع وقال العوفي عن ابن عباس ان رسول الله خرج الى الناس يوما فنادى فيهم ان اجمعوا صدقاتكم
فجمع الناس صدقاتهم ثم جاء رجل من آخرهم بصاع من تمر فقال يا رسول الله هذا صاع من تمر فامسكت احدهما وأنتك بالآخر
فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره في الصدقات فسخر منه رجال وقالوا ان الله ورسوله لغنيان عن هذا وما يصنعون
بصاعك من شيء ثم ان عبد الرحمن بن عوف قال عندى مائة (٤٥) أوقية من ذهب في الصدقات فقال له عمر بن الخطاب رضى

الله عنه أمجمون أنت قال ليس بي
جنون قال فعلت ما فعلت قال
مالي ثمانمئة آلاف أما أربعة
آلاف فاق - رضاربي وأما أربعة
آلاف فلي فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم بارك الله لك فيما
أمسكت وفيما أبقيت ولمزه
المنافقون فقالوا والله ما أعطى
عبد الرحمن عطية الا رياء وهم
كاذبون انما كان به متطوعا فانزل الله
عز وجل وعذر صاحبه المسكين الذي
جاء بالصاع من التمر فقال تعالى في

كتابه الذين يلزون المطوعين
من المؤمنين في الصدقات الآية
وكذا روى عن مجاهد وغير واحد
وقال ابن اسحق كان من المطوعين
من المؤمنين في الصدقات عبد
الرحمن بن عوف تصدق بأربعة
آلاف درهم وعاصم بن عدى أخو
بني العجلان وذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم رغب في
الصدقة وحض عليه اقام عبد
الرحمن بن عوف فتصدق بأربعة
آلاف وقام عاصم بن عدى وتصدق
بمائة وسق من تمر فلز وهما وقالوا
ما هذا الا رياء وكان الذى تصدق
بجهد أبو عقييل أخو بني انف

لكونه مرييا له والاول أولى وفيه تعظيم كيدهن والوعيد لهن على كيدهن (قال
ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه) مستأنفة كانه قيل فاذا قال الملك بعد ان
ابلغه الرسول ما قال يوسف والخطيب الشأن العظيم الذى يحق له ان يخاطب فيه صاحبه
خاصة وانما يخاطب في الامور العظام قال الازهرى تقول هذا خطب جليل وخطب يسير
والمعنى ماشا نكن وكانت النسوة أربعين كما تقدم وقد قدم معنى المرادة وانما نسب
اليهن المرادة لان كل واحدة منهن وقع منها ذلك كما تقدم ومن جملة من شبهه خطاب الملك
امرأة العزيز وأراد بنسبة ذلك اليهن وقوعه منهن في الجملة كما كان من امرأة العزيز
تجاسيا عن التصريح منه بنسبة ذلك اليها لكونها امرأة وزيره وهو العزيز فاجاب عليه
بقولهن (قلن حاش لله) أى معاذ الله تنزيها له عن ان يتصف بالعجز عن خلق بشر
عقيف مثل هذا (ما علمنا عليه من سوء) أى من أمر سئ ينسب اليه من خيانة في شيء
من الاشياء وغير ذلك وما علمت زليخا ان هذه المناظرات والتفصصات انما هي بسببها فعند
ذلك كشفت الغطاء وصرحت بما هو الواقع (قالت امرأة العزيز) منزهة لجانبه
مقرة على نفسها بالمرادة (الا ان حصص الحق) أى تبين وظهور بعد خفاؤه وأصله
حصص فقبل حصص كما قيل في كبا وككبوا قاله الزجاج وأصل الحصص استئصال الشيء
يقال حصص شعره اذا استأصله والمعنى انه انقطع الحق عن الباطل بظهوره وبيانه وقبل
هو مشتق من الحصص والمعنى بان حصص الباطل قال الخليل معناه ظهر الحق بعد خفاؤه
وقال ابن عباس تبين وعن مجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد والسدى مثله ثم لما
علمت ان يوسف راعى جانبها حيث قال ما بال النسوة ولم يذكروا مع ان الفتن كلها انما
نشأت من جهتها كقائه على ذلك باعتبارها بان الذنب منها وأوضح ذلك بقولها (أنا
راودته عن نفسه) ولم تقع منه المرادة على أصله (وانه لمن الصادقين) فيما قاله من
تنزيه نفسه ونسبة المرادة اليها وأرادت بالا أن زمان تكلمها بهما هذا الكلام فآخبر الرسول
يوسف بجواب النسوة المذكورة فقال (ذلك) أى الحادثة الواقعة منه وهى تثبت
وتأنيه ذهب أكثر المفسرين الى ان هذا الكلام من كلام يوسف قال القراء ولا يبعد وصل
كلام انسان بكلام انسان آخر اذا دللت القرينة الصارفة لكل منهما الى ما يليق به وهذه
هى المرة الثالثة من مراتب محبى الرسول ليه يوسف في السجين والمعنى فعلت ذلك (ليعلم)

الاراشى حليف بنى عمرو بن عوف أى بصاع من تمر فأفرغه في الصدقة فتضاحكوا به وقالوا ان الله لغنى عن صاع أبى عقيل وقال
الحافظ أبو بكر البزار حدثنا الوليد بن عباد حدثنا أبو عوانة عن عمرو بن أبى سلمة عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم تصدقوا فاني أريد ان أبعث بعثا قال جاء عبد الرحمن بن عوف فقال يا رسول الله عندى أربعة آلاف ألفين
أقرضهم اربى وألفين اعمالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وبارك لك فيما أمسكت ويات رجل من
الانصار فاصاب صاعين من تمر فقال يا رسول الله أصبت صاعين من تمر صاع اقرضه لربى وصاع لعمالي قال فلزوه المنافقون وقالوا

ما أعطى الذي أعطى بن عوف الأرياء وقالوا ألم يكن الله ورسوله غنيين عن صاع هذا فانزل الله الذين يلزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم الآية ثم رواه عن أبي كامل عن أبي عوانة عن عمرو بن أبي سلمة عن أبيه مر سلا قال ولم يسند أحد الاطالوت وقال الامام أبو جعفر بن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا زيد بن الحباب عن موسى بن عبيدة حدثني خالد بن يسار عن ابن أبي عمير عن أبيه قال بت أبحر الجريح على ظهري على صاعين من تمر فانتابت باحدهما الى أهلي يتبلغون به وجمت بالآخر أتقرب الى رسول الله صلى الله (٤٦) عليه وسلم فآتيته فاخبرته فقال انثرت في الصدقة قال فسخر القوم وقالوا لقد

العزير (ان لم أخنسه) في أهله (بالغيب) والمعنى يظهر الغيب أي وهو غائب عنى أو وانما غاب عنه قال الزمخشري أي مكان الغيب وهو الخفاء والاستتار وراء الابواب السبعة المغلقة قيل انه قال ذلك وهو في السجن بعد ان أخبره الرسول بما قالته النسوة وما قالتها امرأة العزير وقيل انه قال ذلك وقد صار عند الملك والاولى وذهب الاقلون من المفسرين الى ان هذا من كلام امرأة العزير والمعنى ذلك القول الذي قلته في تنزيهه والاقرار على نفسي بالمرادة ليعلم يوسف اني لم أخنسه فانسب اليه ما لم يكن منه وهو غائب عنى أو وانما غاب عنه (وان الله لا يهدي كيدا الخائنين) أي لا يثبتها ولا ينفذها ولا يعضيه ولا يبسده أو لا يهديهم في كيدهم حتى يوقعوه على وجه يكون له ما يثبت به ويدوم واذا كان من قول يوسف فنية تعريض بامرأة العزير حيث وقع منه الكيد له والحياة لزوجها وتعريض بالعزير حيث ساعدها على حبسه بعد ان علم براءته ونزاهته ولعل المراد منه اني لو كنت خائنا لما خصى الله من هذه الورطة وحيث خصى مني من اظهر اني كنت بريئا مما نسب بوني اليه ثم تواضع لله تعالى وتبارك فقال (وما أبرئ نفسي) وهذا ان كان من كلام يوسف فهو من باب الهضم للنفس وعدم التركيز لهما مع انه قد علم هو وغيره من الناس انه بريء وظهر ذلك ظهور الشمس واقرت به المرأة التي ادعت عليه الباطل ونزاهته النسوة اللاتي قطعن ايديهن وان كان من كلام امرأة العزير فهو واقع على الحقيقة لانها قد اقرت بالذنب واعترفت بالمرادة وبالافتراء على يوسف وقد قيل ان هذا من قول العزير وهو بعيد جدا ومعناه وما أبرئ نفسي من سوء الظن بيوسف والمساعدة على حبسه بعد ان علمت براءته (ان النفس لا مارة بالسوء) أي ان هذا الجنس من الانفس البشرية شأنه الامر بالسوء لميله الى الشهوات وتأثيرها بالطبع وصعوبة قهرها وكفها عن ذلك (الامر بحم ربي) أي الامن رحم من النفوس فعضها عن ان تكون امانة بالسوء أو الا وقت رجسة ربي وعصمة لها وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لكن رجسة ربي هي التي تكفها عن ان تكون امانة بالسوء (ان ربي غفور رحيم) تلييل ما قبلها أي ان من شأنه كثرة المغفرة لعباده والرجسة لهم (وقال الملك اني اتوفى به استخلصه لنفسى) الملك هو الربان بن الوليد والعزير كما تقدم والمعنى اجعله خالصا دون غيري وقد كان قبل ذلك خالصا للعزير والاستخلاص طاب خلوص الشيء من شوائب الشركه قال ذلك لما كان

كان الله غنيا عن صدقة هذا المسكين فانزل الله الذين يلزون المطوعين الآية وين كذا رواه الطبراني من حديث زيد بن الحباب به وقال اسم عقيل حباب ويقال عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة وقوله فيسخرون منهم وقوله سخر الله منهم هذا من باب المقابلة على سوء صنيعهم واستهزأ بهم بالمؤمنين لان الجزاء من جنس العمل فعام لهم معاملة من سخر منهم اتصارا للمؤمنين في الدنيا وعدل للمنافقين في الآخرة عذابا أليما لان الجزاء من جنس العمل استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فان يغفر الله لهم ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين) يخبر تعالى بنيه صلى الله عليه وسلم بان هؤلاء المنافقين ليسوا أهلا للاستغفار وانه لو استغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وقد قيل ان السبعين انما ذكرت حسم المادة الاستغفار لهم لان العرب في اساليب كلامها تذكر السبعين في مبالغة كلامها ولا تريد التحديد بها وان يكون

ما زاد عليها بخلافها وقيل بل لها مفهوم كما روى العوفي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما نزلت يوسف هذه الآية اسمع ربي قدر خص لي فيهم فوالله لا استغفرن لهم أكثر من سبعين مرة لعل الله ان يغفر لهم فقال انهم شدة غضبه عليهم سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم الآية وقال الشعبي لما نقل عبد الله بن أبي انطلق ابنه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان أبي قد احتضر فاحب ان تشهد وتصلى عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما اسمك قال الحباب بن عبد الله قال بل أقت عبد الله بن عبد الله ان الحباب اسم شيطان فانطلق معه حتى شهدته وأبسه قيصره وهو عرق وصلى عليه فقبل له اتصلى عليه فقال ان الله

قال ان تستغفر لهم سبعين مرة ولا تستغفرن لهم سبعين وسبعين وكذا روى عن عروة بن الزبير ومجاهد بن جبير وقتادة بن دعامة ورواه ابن جرير باسائه (فرح المخلفون بقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون) يقول تعالى ذاقا للمنافقين المتخلفين عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن غزوة تبوك وفرحوا ببقعودهم بعد خروجه وكرهوا ان يجاهدوا معه باموالهم وانفسهم في سبيل الله (٤٧) وقالوا أى بعضهم لبعض لا تنفروا في الحر وذلك ان الخروج في غزوة

تبوك كان في شدة الحر عند طيب الظلال والخمار فلهذا قالوا لا تنفروا في الحر قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم قل لهم نار جهنم التي تصرون اليها بما خالفتمكم أشد حرا مما ترتمون منه من الحر بل لا أشد حرا من النار كما قال الامام مالك عن ابى الزناد عن الاعرج عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نار بنى آدم التي توقدونها جزء من سبعين جزءا أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك به وقال الامام احمد حدثنا سفيان عن ابى الزناد عن الاعرج عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان ناركم هذ جزء من سبعين جزءا من نار جهنم فضربت في البحر مرتين ولو لا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد وهذا أيضا مع اسناده صحيح وقد روى الامام ابو عيسى الترمذي وابن ماجه عن ابن عباس الدورى عن يحيى بن ابى بكير عن شريك عن عاصم عن ابى صالح عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوقد الله على النار الف سنة حتى اجرت ثم أوقد عليها

يوسف نفيسا واعدة الملوكة ان يجعلوا الاشياء النفيسة خاصة لهم دون غيرهم قال ابن عباس فأناه الرسول فقال ألق عنك ثياب السجى والبس ثيابا جدد واقم الى الملك فدعاه اهل السجى ودعاهم وهو يومئذ ابن ثلاثين سنة فلما أناه رآه غلاما حذا فقال أعلم هذا رؤياى ولم يعلمها السحرة والكهنة وأقعدته قدومه وقال لا تحن وألبسه طوقا من ذهب وثياب حرير واعطاه دابة مسروحة مزينة كدابة الملك وضرب الطبل بعصران يوسف خلفه الملك وعنه قال قال الملك ليوسف انى احب ان تخاطبني في كل شئ الا في أهلى وأنا آتف ان تأكل كل معى فغضب يوسف فقال أنا أحق ان آتف أنا ابن ابراهيم خليل الله وأنا ابن اسحق ذبيح الله وأنا ابن يعقوب نبي الله وهذه هي المرة الرابعة من محيى الرسول ليوسف في السجى (فلما كلمه) في الكلام حذف وتقديره فاقوته به فلما كلمه أى الملك يوسف ويحتمل ان يكون المعنى فلما كلم يوسف الملك قيل والاول أولى لان مجالس الملوكة لا يتكلم فيها ابتداء الا هم دون من يدخل عليهم وقيل الثانى الاول لقول الملك (قال بانك اليوم لدينا مكين أمين) فان هذا يفيد انه لما تكلم يوسف في مقام الملك جاء بما حبيبه الى الملك وقربه من قلبه فقال له هذه المقالة ومعنى مكين أمين ذو مكانة وأمانة بحيث يتمكن بما يريد من الملك بامنه الملك على ما يطلع عليه من أمره وعلى ما يكله اليه من ذلك وقيل المكانة المترتبة والجاه والمعنى قد عرفنا أمانتك ومنزلتك وصداقتك وبرائك مما نسبت اليك ومكين كلمة جامعة لكل ما يحتاج اليه من القضايل والمناقب في أمر الدين والدنيا واليوم ليس بمعيار لمدة المكانة والامانة بل هو ان التكلم والمراد بتدبيرهم ما احترازوا عن احتمال كونهم ما بعد حين قيل انه لما وصل الى الملك أجلسه على سريره وقال له انى احب ان أسمع تأويل رؤياى منك فعبرها له بكل بيان وأتم عبارة فلما سمع الملك منه ذلك قال له انك اليوم لدينا مكين أمين فلما سمع يوسف منه ذلك (قال اجعلنى على خزائن الارض) أى ولى أمر الارض التي أمرها اليك وهى أرض مصر وأجعلنى على حفظ خزائن الارض وهى الامكنة التي يخزن فيها الاموال والطعام جمع خزينة وهى اسم للمكان الذي يخزن فيه الشئ طلب يوسف عليه السلام منه ذلك ليتم وصل به الى نشر العدل ورفع الظلم ويتوسل به الى دعاء أهل مصر الى الايمان بالله وترك عبادة الاوثان وفيه دليل على انه يجوز لمن وثق من نفسه اذا دخل في أمر من أمور السلطان ان يرفع منار الحق ويهدم

الف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهى سوداء كالليل المظلم ثم قال الترمذي لا اعلم احدا رفعه غير يحيى كذا قال وقد رواه الحافظ ابو بكر بن مردويه عن ابراهيم بن محمد بن محمد بن الحسين بن مكرم عن عبيد الله بن سعيد عن عمه عن شريك وهو ابن عبد الله النخعي به وروى ايضا ابن مردويه من رواية مبارك بن فضالة عن ثابت عن انس قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ناراً وقودها الناس والحجارة قال أوقد عليها الف عام حتى ابيضت والف عام حتى اجرت والف عام حتى اسودت فهى سوداء كالليل لا يضى لها ورور الحافظ ابو القاسم الطبراني من حديث تمام بن نجيح وقد اختلف فيه عن الحسن بن انس رفعه

لوان شرارة من نار جهنم بالمشرق لوجد حرامان المغرب وروى الحافظ ابو يعلى عن اسحق بن ابي اسرائيل عن ابي عبيدة الحداد عن هشام بن حسان عن محمد بن شبيب عن جعفر بن ابي وحشية عن سعيد بن جبير عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان في هذا المسجد مائة الف أوز يدون وفيهم رجل من اهل النار فتنفس فاصابهم نفسا لاحتق المسجد ومن فيه غرب وقال الاعمش عن ابي اسحق عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل النار عذابا ليوم القيامة لمن له نعلان وشرا كان من نار يغلي منها دماغه كما يغلي المرجل (٤٨) لا يرى احد من اهل النار شد عذابا منه وانه اهوهم عذابا

اخرجاه في الصحيحين من حديث الاعمش وقال مسلم ايضا حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا يحيى ابن ابي كثير حدثنا زهير بن محمد عن سهيل بن ابي صالح عن النعمان بن ابي عمار عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أدنى اهل النار عذابا ليوم القيامة يتعمل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه وقال الامام احمد حدثنا يحيى عن ابن عجلان سمعت ابي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أدنى اهل النار عذابا رجل يجعل له نعلان يغلي منها دماغه وهو اسناد جيد قوى رجاله على شرط مسلم والله اعلم والا حاديث والا نار التسوية في هذا كثيرة وقال الله تعالى في كتابه العزيز كلا انها الظلي نزاعة للشوى وقال تعالى يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والخالود ولهم مقامع من حديد كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق وقال تعالى ان الذين كفروا باياتنا

ما أمكنه من الباطل ان يطلب ذلك لنفسه ويجوز له ان يصف نفسه بالاوصاف التي لها ترغيبا فيها يرومه وتنشيطا لمن يخاطبه من الملوك بالقامقالية الامور اليه وجعلها منوطة به ولكنه يعارض هذا الجواز ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من النهي عن طلب الولاية والمنع من تولية من طلبها أو حرص عليها وكان يوسف طلبه ابتغاء لوجه الله لا لطلب الملك والديار به هذا يجمع بينهما (انني حفيظ) وهو الذي يحفظ الشيء اني حفيظ لما جعلته التي من حفظ الاموال لا آخر جهاتي في غير محار جهات ولا أصرفها في غير مصارفها (عليم) بوجود جمعها وتفريقها ومدخلها ومخرجها ومصالحها عن شبيهة بن نعامه الضبي قال يقول اجعلني على جميع الطعام اني حفيظ لما استودعني علم بسنين الجماعة وقيل حفيظ لما استودعني علم لما وليتني وقيل حفيظ للحساب علم أعلم لغة من يأتيني (وكذلك) أي مثل ذلك التمكن العجيب (مكاليوسف) أي جعلنا له مكانا (في الارض) أي أرض مصر روى انها كانت أربعين فرسخا في أربعين والتمكين عبارة عن كمال قدرته ونفوذه أمره ونهيته حتى لا يتنازع منه منازع في ارضه ويختاره وصار الملك يصدر عن رأيه ولا يعترض عليه في كل ما رأى وكان في حكم التابع وصار الناس يعملون على أمره ونهيته (يتبوا منها حيث يشاء) أي ينزل منها حيث أراد بعد الضيق والحبس ويتخذ منه مباءة وهو عبارة عن كمال قدرته كما تقدم وكأنته يتصرف في الارض التي أمرها الى سلطان مصر كما يتصرف الرجل في منزله وفي القصة ان الملك توجه وختمه وولاه مكان العزيز وعزلته مات بعد فزوجه امرأته فوجدها عذراء وولدت له ولدين وأقام العدل بمصر ودانت له الرقاب قاله السيوطي وعن ابن زيد ان يوسف تزوج امرأة العزيز فوجدها بكر او كان زوجها عنيقا وقد استدل بهذه الآية على انه يجوز تولي الاعمال من جهة السلطان الجائر بل الكافر لمن وثق من نفسه بالقيام بالحق وقد قدمنا الكلام مستوفى على هذا في قوله سبحانه ولا تتركوا الى الذين ظلموا قال مجاهد دولم يزل يوسف يدعو الملك الى الاسلام ويتلطف به حتى أسلم الملك وكثير من الناس فذلك قوله وكذلك مكالم الخ (نصيب برحمتنا من نساء) من العباد فترجحه في الدنيا بالاحسان المنة والانعام عليه وفي الآخرة بادخاله الجنة وانجائه من النار (ولا نضيع أجر المحسنين) في أعمالهم الحسنة التي هي مطلوبنا منهم أي لا نضيع ثوابهم فيها ومجازاتهم عليها (ولا اجر الآخرة)

سوف نصليهم تارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم بجلود اخرى هاليدوقوا العذاب وقال تعالى في هذه الآية اي الكريمة قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفتقون اي لو انهم يفتقون وينهمون لنفروا مع الرسول في سبيل الله في الحر ليقبوا به من حرجهم الذي هو أضعاف أضعاف هذا ولكنهم كما قال الآخر كالاستحير من الرضا بالنار وقال الآخر عمر لنا حمية افيئته * خوفا من البار والحرار وكان اولئك ان تتقي * من المعاصي حذر النار ثم قال تعالى جل جلاله متوعدا هؤلاء المنافقين في صنعهم هذا فليضحكوا قليلا الآية قال ابن ابي طلحة عن ابن عباس الدنيا قليل فليضحكوا فيها ما شاؤا فاذا

انقطت الدنيا وصاروا الى الله عز وجل استأنفوا بكاءه لا ينقطع ابداء كذا قال أبو رزین والحسن وقتاد والربيع بن خنيتم وعون
العقبلي وزيد بن أسلم وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا عبد الله بن عبد الصمد بن أبي خراش حدثنا محمد بن جبير عن ابن المبارك
عن عمران بن زيد حدثنا يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس ابكوا فان لم
تبكوا فتمتوا كوا فان أهل النار يبكون حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل فتقترح
العيون فلوان سفنا رخصت فيها الجرت ورواه ابن ماجه من (٤٩) حديث الاعمش عن يزيد الرقاشي به وقال الحافظ أبو بكر

ابن عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا
حدثنا محمد بن العباس حدثنا
جماد الجزري عن زيد بن ربيع
رفعه قال ان أهل النار اذا دخلوا
النار بكوا الدموع زمانا ثم بكوا
القيح زمانا قال فتمقول لهم الخزنة
يا معشر الأشقياء تركتم البكاء في
الدار المرحوم فيها أهلها في الدنيا
هل تجدون اليوم من تستغيثون
به قال فيرفعون أصواتهم يا أهل
الجنة ما معشر الآباء والأمهات
والاولاد اخرجنا من القبور عظاما
وكنا طول الموقف عطاشا ونحن
اليوم عطاش ونحن اليوم عطاش
فأفيضوا علينا من الماء أو مما
رزقكم الله فيدعون أربعين سنة
لا يجيبهم ثم يجيبهم بانكم ما كنون
فيأسون من كل خير (فان رجعت
الله الى طائفة منهم فاستأذنونك
للخروج فقل ان تخرجوا معي
أبدوا لن تقاتلوا معي عدوا انكم
رضيتم بالعودة أول مرة فاقعدوا
مع الخالفين) يقول تعالى أمرنا
لرسوله عليه الصلاة والسلام
فان رجعت الله أي ردك الله من
غزوتك هذه الى طائفة منهم

أى أجرهم في الآخرة واضيف الاجر الى الآخرة للملابسة واللام للقسمة وأجرهم هو
الجزء الذي يجازيهم الله به فيها وهو الجنة التي لا يتقدنعيمها ولا ينقضى مدتها (خير للذين
آمنوا) بالله (وكانوا يتقون) الوقوع فيما حرمه عليهم والمراد بهم المحسنون الذين
تقدم ذكرهم وقبسه تبيينه على ان الاحسان المعتمد به هو الايمان والتقوى وفي الكلام
اظهار في مقام الاضمار للتوصل الى وصفهم بالايمان والتقوى بعد وصفهم بالاحسان
(وجاء اخوة يوسف) أى جاؤا الى مصر من أرض كنعان ليمتار والماء أصابهم القحط
وكانوا عشرة وكان مسكنهم بالعربيات من أرض فلسطين والعربيات غور الشام وكانوا
أهل بادية وشيابه (فدخلوا عليه) أى على يوسف وهو في مجلس ولايته (فعرفهم) (فعرفهم)
لقوة فهمه وعدم مبايضة احوالهم السابقة لخالهم يومئذ لانه فارقهم رجلا قيل باقول
نظرة نظر اليهم عرفهم وقيل لم يعرفهم حتى تعرفوا اليه قاله الحسن والاولى وهو ظاهر
النظم القرآنى وبه قال ابن عباس ومجاهد (وهم له منكرون) لم يعرفوه لانهم فارقوه
صبيبا يع بالدرهم فى أيدي السيارة بعد ان أخر جروهم من الحب ودخلوا عليه الا ن وهو
رجل عليه أبهة الملك ورونق الرياسة وعنده الخدم والحشم وقيل انهم أنكروه لكونه فى
تلك الحال على هيئة ملك مصر ولبس تاجه وتطوق بطوقه وقيل كانوا يعيدى العهد منه فلم
يعرفوه قيل كان بين ان قد فوه بالحب وبين دخولهم عليه مدة أربعين سنة فلذلك أنكروه
وقيل غير ذلك وكل واحد من هذه الاسباب مانع من حصول المعرفة فكيف وقد اجتمعت
فيه ولما كان انكارهم له مستر فى حالى المحضر والمغيب أخبر عنه بالجملة الاسمية بخلاف
عرفانه عليه السلام (ولما جهزهم بجهازهم) المراد به هنا انه أعطاهم ما طلبوه من المرة
وما يصلحون به سفرهم من العدة التي يحتاجها المسافر يقال جهزت القوم تجهيزا اذا
تكلفت لهم جهازا السفر قال الأزهرى القراء كلهم على فتح الجيم والكسر لغة جيدة وقيل
بالعكس وفى الآية تضمين ضمن جهز معنى أكرم أى ولما أكرمهم بجهازهم أى بتحصيله
لهم قيل حل لكل واحد منهم بعيرا من الطعام وأكرمهم فى النزول وأحسن ضيافتهم
وجميع ما فعله يوسف معهم فى هذه القصة كان بالوحى كما قاله بعض المفسرين (قال
اننى نرى باخ لكم من آياتكم) يعنى أخاه بنيامين الذى تقدم ذكره وهو أخو يوسف لآبيه
وامه ولم يقل باخكم بالاضافة مبالغة فى عدم تعرفهم به ولذلك فرقوا بين مررت بغلامك

(٧ فتح البيان خامس) قال قتادة ذكرنا انهم كانوا اثني عشر رجلا فاستأذنونك للخروج أى معك الى غزوة اخرى فقل ان
تخرجوا معي أباؤنا تقاتلوا معي عدوا أى تعزير الهم وعقوبة ثم علل ذلك بقوله انكم رضيتم بالعودة أول مرة وهذا كقوله تعالى
ونقلب أقدمتهم وأبصارهم كالم يؤمنوا به أول مرة الآية فان جزاء السيئة السيئة بعدها كما ان ثواب الحسنة الحسنة بعدها
كقوله فى عمرة الحديبية سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغامرتنا أخذوها الآية وقوله تعالى فاقعدوا مع الخالفين قال ابن
عباس أى الرجال الذين تختلفون عن الغزاة وقال قتادة فاقعدوا مع الخالفين أى مع النساء قال ابن جرير وهذا لا يستقيم لان جمع

النساء لا يكون بالباء والنون ولو أريد النساء لقال فاقعدوا مع الخوائف أو الخائفات ورجح قول ابن عباس رضي الله عنهما (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان يبرأ من المنافقين وأن لا يصل على أحد منهم اذا مات وان لا يقوم على قبره ليس يستغفر له أو يدعو له لانهم كفروا بالله ورسوله وماتوا عليه وهذا حكم عام في كل من عرف نفاقه وان كان سبب نزول الآية في عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين كما قال البخاري حدثنا عبد بن اسمعيل عن ابي اسامة (٥٠) عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال لما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه عبد الله

ابن عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله ان يعطيه قيصه يكفن فيه أباه فاعطاه ثم سأله ان يصل عليه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فقام عمر فاخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك ان تصلي عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما خيرني الله فقال استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وسأزيد على السبعين قال انه منافق قال فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل آية ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره وكذا رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي اسامة حماد بن اسامة به ثم رواه البخاري عن ابراهيم بن المنذر عن أنس بن عياض عن عبيد الله وهو ابن عمر العمري به وقال فصلينا عليه وصلينا معه وأنزل الله ولا تصل على أحد منهم مات أبدا الآية وهكذا رواه الامام أحمد عن يحيى بن سعيد القطان عن عبيد الله به وقد روى من

وبالغلام لك فان الاول يقتضى عرفانك بالغلام وان ينكح وبين مخاطبة نوع عهد والثاني لا يقتضى ذلك قاله الكرخي أو أتى باللام لانه كان أحاهم لا يبرأ لانهم وهذا أحسن من الاول ولعله عليه السلام انما قاله لما قيل من انهم سأله عليه السلام جلازا ثدا على المعتاد لبنياذين فاعطاهم ذلك وشرطهم ان يأتوا به لا لما قيل من انه لما رآه وكموه بالعبرية قال لهم من أنتم فاني أنكركم فماتوا له نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فحننا نمتار فقال لهم لعلكم جئتم عيوننا فقاوالوا معاذ الله نحن اخوة بنو آب واحد وهو شيخ كبير صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم أنتم قالوا كآثني عشر فذهب أح لنا الى البرية فهلك وكان أحبنا الى أينا فقال كم أنتم فهنا قالوا عشرة قال فابن الحادي عشر قالوا هو عندنا يه يتسلى به عن الهالك قال فن بشهد لكم انكم استم عيوننا وان ماتتولون حق قالوا نحن بيلاد لا يعرفنا فيها أحد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندى رهينا وأوتى باخيك من أيكم وهو يحمل رسالة من أيكم حتى أصدقكم فاقترعوا فاصاب القرعة شمعون خلفوه عنده اذ لا يساعده وورد الامر بالاتبان به عند التجهيز ولا الحث عليه بابقاء الكيل ولا الاحسان في الانزال ولا الاقتصار على منع الكيل على تقدير عدم الاتيان به ولا جعل بضاعتهم في رحالهم لاجل رجوعهم ولا عدهم بالاتيان به بطريق المرادة ولا تعليمهم عند أيهم ارسال أخيهم مع الكيل من غير ذكر الرسالة على ان استبقاه شمعون لو وقع لكان ذلك طامة ينسى عندها كل قيل وقال ثم قال لهم (ألا ترون اني أوف الكيل) أي أتمه وجاء بصيغة الاستقبال مع كونه قال لهم هذه المقالة بعد تجهيزهم للدلالة على ان ذلك عادته المستمرة وغرضه ترغيبهم في العود اليه مرة اخرى ثم أخبرهم بما يزيدهم وثوقا به ونصديقا قوله فقال (وأنا خير المتزئين) أي والحال أنا خير لمن نزل بي كما فعلته بكم من حسن الضيافة وحسن الانزال قال الزجاج قال يوسف ذلك حين أنزلهم وأحسن ضيافتهم وقال ابن عباس أنا خير من يضيف بمصر قال الرازي وهذا الكلام يضعف قول من يقول من المفسرين انه اتهمهم ونسبهم الى انهم جواسيس ومن يشافهمهم بهذا الكلام فلا يليق به ان يقول لهم الاترون الخ وأيضا يعد من يوسف مع كونه صديقا ان يقول لهم ذلك مع انه يعرف برأيتهم من هذه التهمة لان البهتان لا يليق بالصديق ثم توعدهم اذ لم يأتوه به فقال (فان لم تأتوني) اذا عدهم مرة اخرى (به) أي

حدثت عمر بن الخطاب نفسه أيضا بنحو من هذا فقال الامام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن ابن اسحق باخيك حدثني الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لما توفي عبد الله بن أبي دعى له رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه فقام عليه فلما وقف عليه يريد الصلاة عليه تحولت حتى قفت في صدره فقلت يا رسول الله أعلى عدو الله عبد الله بن أبي القائل يوم كذا وكذا وكذا بعدد أيامه قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبس حتى اذا كثرت عليه قال أخر عني يا عمر اني خيرت فاخترت قد قيل لي استغفر لهم الآية لو أعلم اني لو زدت على السبعين غفر له لزدت قال ثم

صلى عليه ومشي معه وقام على قبره حتى فرغ منه قال فبجيت من جراتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله أعلم قال
فوالله ما كان الا بسيرا حتى نزلت هاتان الايتان ولا تصل علي احد منهن مات ابد الاية فاصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده
على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله عز وجل وهكذا رواه الترمذي في التفسير من حديث محمد بن اسحق عن الزهري به وقال
حسن صحيح ورواه البخاري عن يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن الزهري به فذكر مثله وقال آخر عن يانعم فلما كثرت عليه قال
خيرت فاخترت ولو أعلم اني انزدت على السبعين لغفر له لندت عليها (٥١) قال فصلي عليه رسول الله ثم انصرف فلم يلبث الا بسيرا

حتى نزلت الايتان من براءة ولا
تصل علي احد منهن مات ابد ولا
تقم على قبره الاية فبجيت بعد من
جراتي على رسول الله صلى الله
عليه وسلم ورسول الله صلى الله
عليه وسلم أعلم وقال الامام أحمد
حدثنا محمد بن عبيد حدثنا عبد
المالك عن ابن الزبير عن جابر قال
لمامات عبد الله بن أبي أقي ابنه
النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله انك ان لم تأت لم نزل
نغير به فأنا النبي صلى الله عليه
وسلم فوجدته قد أدخل في حفرته
فقال أفلا قبل ان تدخلوه فأخرج
من حفرته ونقل عليه من ريقه
من قرنه الى قدمه وأبسه قيصة
ورواه النسائي عن أبي داود الخرائي
عن يعلى بن عبيد عن عبد الملك وهو
ابن أبي سليمان به وقال البخاري
حدثنا عبد الله بن عثمان أخبرنا
ابن عيينة عن عمرو بن جابر بن
عبد الله قال أتى النبي صلى الله
عليه وسلم عبد الله بن أبي بعد
ما أدخل في قبره فأمر به فأخرج
ووضع على ركبته ونفت عليه من
ريقه وأبسه قيصة والله أعلم

باخكم الذي من أيكم (فلا كدل لكم عندي) أي فلا أيكم شيأ فماعد فضلا
عن أيقانه وأما في الحال فقد أوفاهم كيلهم وهذ انهاء التخييف لانهم كانوا محتاجين
الى تحصيل الطعام ولا يمكن الامن عنده فاذامنهم من العود فقد ضيق عليهم
(ولا تقربون) أي لا تدخلوا بلادى فضلا ان احسن اليكم وقيل معناه لا أنزلكم عندي كما
أنزلتكم هذه المرة ولم يرد انهم لا يقربون بلاده والمعنى لا تدنوا مني ولا تقربون مجزوما على
ان لانا همة أو على انها نافية وهو معطوف على محل الجزاء داخل في حكمه كأنه قال فان لم
تأتوني به تحرموا ولا تقربوا فلما عوامه ذلك وعدوه بما طلبه منهم (قالوا سئروا عنه
أباه) أي سنطلبه منه ونجتهد في ذلك بما نقدر عليه وقيل معنى المرادة هنا المخادعة
منهم لا يبهم والاحتيال عليه حتى يتزعمونه (وانا لفاعلون) هذه المرادة غير
مقصرة فيها وقيل معناه انا القادرون على ذلك لا نتعالي به ولا نتعاضمه (وقال يوسف
لفتيمة) أي لغلمانها وأتباعه قرأ به أهل المدينة وأبو عمرو وعاصم من رواية شعبة وابن
عاصم واختر هذه القراءة أبو حاتم والنحاس وغيرهم وقرأ سائر الكوفيين لغلمانها
واختر هذه القراءة أبو عبيد وبه قرأ ابن مسعود قال النحاس لغلمانها مخالفا للسواد
الاعظم ولا يترك السواد المجمع عليه لهذا الاسناد المنقطع وأيضا فان قيسة أشبهه من
قيسان لان قيسة عند العرب لاقل العدد وأمر القليل بان يجعلوا البضاعة في الرحال
أشبهه والجله مستأمنة جواب سؤال كأنه قيل فما قال يوسف بعد وعدهم له بذلك فاجيب
بانه قال لغتيمة قال الزجاج الفتية والقيسان في هذا الموضع المماليد وقال الثعلبي هما
لغتان جيدتان مثل الصبية والصبيان قال الكرخي وكلاهما اجتمع في كاخوة واخوان
جمع أخ الاول للقلة والثاني للكثرة قال البيضاوي وهم الكيالون (اجعلوا بضاعتهم)
المراد بالبضاعة هنا هي التي وصلوا بها من بلادهم ابشروا بها الطعام وكانت نعالا وأدما
وقال ابن عباس أوراقا (في رحالهم) وكل لكل رحل واحد من علمانه يدس فيه
البضاعة التي اشترى بها الطعام الذي في هذا الرحل والرحال جمع رحل وهي الاوعية التي
يحمل فيها الطعام وغيره المراد به هنا ما يستحبه الرجل معه من الاثاث قال الواحدى
الرحل كل شئ معد للرحيل من وعاء للمناع ومركب للبعير ومجلس ورسن انتهى والمراد
هنا الاوعية التي يجعلون فيها ما يمتارونه من الطعام قال ابن انباري يقال للوعاء رحل
ولبيت رحل فعل يوسف عليه السلام ذلك فضلا عليهم وقيل ليستعينوا بها على

وقد رواه أيضا في غير موضع مع مسلم والنسائي من غير وجه عن سفيان بن عيينة به وقال الامام أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق
اليزاري مسنده حدثنا عمرو بن علي حدثنا يحيى حدثنا مجاهد حدثنا عاصم حدثنا جابر ح وحدثنا يوسف بن موسى حدثنا عبد
الرحمن بن مغراء الدوسي حدثنا مجاهد عن الشعبي عن جابر قال لمامات رأس المنافقين قال يحيى بن سعيد بالمدينة فاقضى ان يصلى
عليه النبي صلى الله عليه وسلم بخاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان أى أوصى ان يكفن بقميصك وهذا الكلام في حديث
عبد الرحمن بن مغراء قال يحيى في حديثه فصلي عليه وأبسه قيصة فانزل الله تعالى ولا تصل علي احد منهن مات ابد ولا تقم على قبره

وزاد عبد الرحمن وخلع النبي صلى الله عليه وسلم قميصه فاعطاه اياه ومشي فصلى عليه وقام على قبره فاتاه جبريل عليه السلام لما
ولى قال ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره واسناده لا بأس به وما قبله شاهد له وقال الامام أبو جعفر الطبري حدثنا أبو
أحمد حدثنا حماد بن سلمة عن يزيد القاشي عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد ان يصلى على عبد الله بن أبي فاخذ جبريل
بثوبه وقال ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره ورواه الحافظ أبو يعلى في مسنده من حديث يزيد القاشي وهو ضعيف
وقال قتادة أرسل عبد الله بن أبي الى رسول الله (٥٢) صلى الله عليه وسلم وهو مريض فلما دخل عليه قال له النبي صلى الله عليه

وسلم له أهلا بك حب يهود قال
يا رسول الله انما أرسلت اليك
لتستغفر لي ولم أرسل اليك لتؤني
ثم سأله ان يعطيه قميصه يكفن فيه
فاعطاه اياه وصلى عليه وقام على قبره
فانزل الله عز وجل ولا تصل على
أحد منهم مات أبدا الآية وقد ذكر
بعض الساف انه انما كساه قميصه
لان عبد الله بن أبي لما قدم العباس
طلب له قميص فلم يوجد على تصديه
الثوب عبد الله بن أبي لانه كان
سخره طاويلا ففعل ذلك به رسول
الله صلى الله عليه وسلم مكا آله
فان الله أعلم ولهذا كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه
الآية الكريمة عليه لا يصلى على
أحد من المنافقين ولا يقوم على قبره
كما قال الامام أحمد حدثنا يعقوب
حدثنا أبي عن أبيه حدثني عبد الله
ابن أبي قتادة عن أبيه قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
دعى الى جنازة سأل عنها فان اثنى
عليها خيرا قام فصلى عليها وان كان
غير ذلك قال لا هلمنا شأنكم بها
ولم يصل عليها وكان عمر بن الخطاب
لا يصلى على جنازة من جهل حاله

الرجوع اليه سر بعالمه الطعام وقيل يرجعوا اليه مرة أخرى لعلمه انهم لا يقبلون
الطعام الا بثمن قاله القرائي جرى عليه الجلال وقيل انه خاف ان لا يكون عند أبيه شيء
آخر من المال لان الزمان كان زمان قح وشدة وقيل أراد ان يحسن اليهم على وجه
لا يلحقهم فيه منة ولا عيب وقيل أراد ان يريهم بره وكرمه واحسانه اليهم وقيل أراد ان
يكون ذلك عونا لايه ولا خوته على شدة الزمان وقيل غير ذلك وقيل انه استعجب ان يأخذ
من أبيه واخوته ثمن الطعام ثم عمل يوسف ما أمر به من جعل البضاعة في الرحال وهي
معرفتهم لها فقال (لعلمهم يعرفونها) أي بضاعتهم (اذا انقلبوا) رجعوا (الى
أهلهم) لانهم لا يعلمون برد البضاعة اليهم الا عند تفرغ الاوعية التي جعلوا فيها الطعام
وهو لا يفرغونها الا عند الوصول الى أهلهم ثم عمل معرفتهم للبضاعة المردودة اليهم
المجعولة في رحالهم بقوله (لعلمهم يرجعون) لينا فانهم اذا عرفوا ذلك وعلموا انهم
أخذوا الطعام بلا ثمن وان مادفعوه عوضا عنه قدر جمع اليهم وتفضل به من وصلوا اليه
عليهم نشطوا الى العود ولا سيما مع ما هم فيه من الجذب الشديد والحاجة الى الطعام
وعدم وجوده لديهم فان ذلك من أعظم ما يدعوه الى الرجوع وبهذا يظهر ان يوسف
عليه السلام لم يرد البضاعة اليهم الا لهذا المقصود وهو رجوعهم اليه فلا يتم تعليل ردها
بغير ذلك (فلما رجعوا الى أبيهم) قبل ان يشتغلوا بفتح المتاع (قالوا يا أبانا) قدمنا
على خير رجول أترانا أو كرمانا عظيمة فقال لهم يعقوب اذا رجعت الى ملك مصر
فاقر وأعليه مني السلام وقولوا ان أبانا يدعوك بما وليتنا فقالوا (منع منا الكيل)
وأرادوا به انما تقدم من قول يوسف لهم فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي أي منع
الكيل في المس تقبل بعدها هذه المرة وفيه دليل على ان الامتياز مرة بعد مرة معه وفيها
بينهم وبينه ولعلمهم قالوا هذه المقالة قبل ان يفتحوا متاعهم ويعلموا برد بضاعتهم كما
يقدم ذلك قوله فيما بعد فلما فتحوا متاعهم الآية ثم ذكره ما أمر به يوسف فقالوا
(فارسل معنا أخانا) بنيامين الى مصر (نكتل) بسبب ارساله معنا من يده من انطعام
وهو مجزوم في جواب الأمر وأصله نكتيل بوزن نغتم ووزنه الآن نقتل وبحسب الاصل
نفتعل قرأ سائر الكوفيين بالتحسية واختار أبو عبيدة قراءة النون قال لي كنوا كلهم
داخلين فيمن يكال وزعم انه اذا كان باليا كان للآخ وحده أي يكال أخونا بنيامين

حتى يصلى عليها حديثه بن اليان لانه كان يعلم أعيان المنافقين قد أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واعترضه
ولهذا كان يقال له صاحب السر الذي لا يعلمه غيره أي من الصحابة وقال أبو عبيد بن كآب الغريب في حديث عمر انه أراد ان يصلى
على جنازة رجل فخره حديثه فكانه أراد ان يصده عن الصلاة عليها ثم حكي عن بعضهم ان المرزبلغة أهل اليمامة هو القرص
باطراف الاصابع ولما نهى الله عز وجل عن الصلاة على المنافقين والقيام على قبورهم للاستغفار لهم كان هذا الصنيع من أكبر
القربات في حق المؤمنين فشرع ذلك وفي فعله الأجر الجزيل كما ثبت في الصحاح وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ان

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من شهد الجنازة حتى يصلى عليه فله قيراط ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان قيل وما القيراطان قال أصغرهما مثل أحد وما القيام عند قبر المؤمن إذا مات فرؤى أبو داود حدثنا إبراهيم بن موسى الرازي أخبرنا هشام بن عبد الله بن يحيى عن هاني وهو أبو سعيد البربري مولى عثمان بن عفان عن عثمان رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال استغفروا للاخيمك وأسألوا له التثبيت فإنه الآن يسئل انفرادا بخرجه أبو داود ورجعه الله وقوله ولا تجبكم أموالهم ولا أولادهم الآية تقدم تفسير نظير هذه (٥٢) الآية الكريمة والله الحمد (وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله

وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكُن مع القاعدین رضوانا يكونوا مع الخوائف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) يقول تعالى منكر أو ذمًا للمتخلفين عن الجهاد الناكثين عنه مع القدرة عليه ووجود السعة والطول واستأذنا الرسول في القعود وقالوا ذرنا نكُن مع القاعدین ورضوا لانفسهم بالعار والقعود في البلد مع النساء وهن الخوائف بعد خروج الجيش فاذا وقع الحرب كانوا أجنب الناس واذا كان أمن كانوا أكثر الناس كلاما كما قال تعالى عنهم في الآية الاخرى فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدورا عنهم كالذي يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد أي علت ألسنتهم بالكلام الحد القوي في الامن وفي الحرب أجنب شئ وكما قال الشاعر
أفي السلم أعيار أجبنا وغلظة
وفي الحرب أشباه النساء العوارك
وقال تعالى في الآية الاخرى
ويقول الذين آمنوا لولا نزلت

واعترضه التحاس بما حصله ان اسناد الكيل الى الاخ لا ينافي كونه للجمع والمعنى يكال بنيامين لنا جميعا والقراءتان سبعيتان قال الزجاج أي ان أرسلتهما كتلفنا والامعنا الكيل (واناله) أي لبنيامين (لحافظون) من ان يصيبه سوء أو مكروه (قال) يعقوب لما قالوا هذه المقالة (هل آنتكم عليه الا كما آمنتكم على أخيه من قبل) مستأنفة كما تقدم تظاير ذلك في وارضع كثيرة والمعنى انه لا يأمئهم على بنيامين الا كما آمنهم على أخيه يوسف وقد قالوا له في يوسف واناله لحافظون كما قالوا هانما خانوه في يوسف فهو ان آمنهم في بنيامين خاف ان يخونوه كما خانوه في يوسف (فالله خير حافظا) منصوب على الحالية وقرئ حفظا على التمييز ولعل هنا ضمرا والتقدير فتوكل يعقوب على الله ودفعه اليهم وقال فالله خير حافظا والمعنى ان حفظ الله اياه خير من حفظهم له وانما أرسله معهم لانه لم يشاهد فيما بينهم وبين بنيامين من الحق والجد بل مثل ما شاهد بينهم وبين يوسف أو ان شدة القمط وضيق الوقت أحوجه الى ذلك (وهو أرحم الراحمين) فارجو ان ينعم على بحفظه ولا يجمع على مصيبتين قيل لما واكل يعقوب حفظه الى الله سبحانه حفظه وأرجعه اليه ولما قال في يوسف وأخاف ان يأكله الذئب وقع له من الامتحان ما وقع قال كعب لما قال ذلك قال الله تعالى وعزني وجلالي لاردن عليك كليهما (ولما قصوا) بحضرة أبيهم (متاعهم) أي أوعية الطعام وما هو أعم من ذلك مما يطلق عليه اسم المتاع سواء كان الذي فيه طعاما أو غير طعام (وجدوا بضاعتهم) التي جالوها الى مصر لامتاروا بها وهي عن الطعام وقد تقدم بيانها (ردت اليهم) وجلية (قالوا يا أبانا) مستأنفة كما تقدم (مانبغى) مالا استقهم الانكارى والمعنى أي شئ تطلب من هذا الملك بعد ان صنع معنا ما صنع من الاحسان برد البضاعة والاكرام عند القدوم اليه وتوفير ما أردناه من الميرة وأرادوا بهذا الكلام تطيب قلب أبيهم وقال قتادة مانبغى وراء هذا وقيل ان مانافية أي مانبغى في القول ومانز يدفعا وصدنا لك من احسان المات البناوا كرامه لنا وقرئ بالفوقية خطا باليعقوب أي أي شئ تطلب وراء هذا الاحسان أو أي شئ تطلب من الدليل على صدقنا ثم برهنوا على مانفود من التزدي في وصف الملك بقولهم (هذه بضاعتنا ردت الينا) فان من تنصل عليهم برد ذلك حقيقة بانشاء عليه منهم مستحق لما وصفوه به وهي جليلة مقررقة لادل عليه الاستنهام من الانكار اطلب شئ مع كونها قد

سورة فاذا أنزلت سورة محكمة وذ كرفها القتال رأيت الدين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت فالولى لهم طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر فلوصدقوا الله لكان خيرا لهم الآية وقوله وطبع على قلوبهم أي بسبب نكولهم عن الجهاد والخروج مع الرسول في سبيل الله فهم لا يفقهون أي لا يفهمون مانفيه صلاح لهم في فعلوه ولا مانفيه مضره لهم فيجتنبوه (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدا باموالهم وانفسهم وأولئلك لهم الخيرات وأولئلك هم الفالحون أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) لماذا كرتعالى ذم المنافقين وبين ثناء على المؤمنين ومالهم في آخرتهم فقال لكن الرسول والذين

آمنوا معه جاهدوا إلى آخر الآيتين من بيان حالهم وما آلهم وقوله وأما لك لهم الخيرات أي في الدار الآخرة في جنات الفردوس والدرجات العلى (وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم) ثم بين تعالى حال ذوى الأعداء في ترك الجهاد الذين جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعترفون اليه ويبينون له ما هم فيه من الضعف وعدم القدرة على الخروج وهم من أحياء العرب ممن حول المدينة قال الضحاك عن ابن عباس أنه كان يقرأ وجاء المعذرون بالتخفيف ويقول هم أهل العذر وكذا روى (٥٤) عن ابن عيينة عن حميد بن مجاهد ساء قال ابن إسحق وبلغني

أنهم نفر من بني غفار خفاف بن أيماء بن رخصة وهذا القول هو الاظهر في معنى الآية لانه قال بعد هذا وقعد الذين كذبوا الله ورسوله أي لم يأتوا فيعتذروا وقال ابن جرير عن مجاهد وجاء المعذرون من الأعراب قال نفر من بني غفار جاؤا فاعتذروا فلم يعذرهم الله وكذا قال الحسن وقبادة ومحمد بن إسحق والقول الاول أظهر والله أعلم لما قدمنا من قوله بعده وقعد الذين كذبوا الله ورسوله أي وقعد آخرون من الأعراب عن الجبيء للاعتذار ثم أوعدهم بالعذاب الاليم فقال سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا الله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ولا على الذين إذا ما تولوا تحملهم قلت لا أجد ما أجلكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون انما السبيل على الذين يستاذنونك وهم أغنياء رضوانا يكونوا مع

ردت اليهم (وغير أهلنا) تجلب اليهم الميرة وهى الطعام يقال مارأه غيرهم اذا جمل لهم الطعام وجلبه من بلد آخر اليهم والمائر الذى يأتي بالطعام وقرأ السلمي بضم النون (وشفظ أختانا) بنيامين مما تخافه عليه (وزداد) بسبب ارساله معنا (كيل) جمل (بعير) زائد على ما جئنا به هذه المرة لانه كان يكال لكل رجل وقر بعير قال مجاهد جمل حمار وهى لغة قال أبو عبيدة يعنى ان الحمار يقال له فى بعض اللغات بعير (ذلك) أى زيادة كيل بعير لا خينا (كيل يسير) يسهل على الملك ولا يتنعم علينا من زيادته له لكونه يسيرا لا يتعاطمه ولا يضايقنا فيه وقيل ان المعنى ذلك المكيل لاجلنا قليل نريد ان يضاف اليه جمل بعير لا خينا واختار الزجاج الاول وقيل ان هذا من كلام يعقوب جوابا على ما نزله أولاده وزداد كيل بعير يعنى ان جمل بعير شئ يسير لا يخاطر لاجله بالولد وهو ضعيف لان جواب يعقوب هو (قال ان أرسله معكم حتى تؤثون) أى تعطونى (موثقا) ما أتق به وأركن اليه (من) جهة (الله) سبحانه وهو الخلف به والموثق العهد المؤكدي بالبين وقيل هو الموثق كدبا شهادته والله واللام فى (لتأنتى به) جواب القسم أى تحلفوا بالله لتردن بنيامين أى لتأتى به والاستئناء بقوله (الا أن يحاط بكم) مفرغ من أعم الاحوال لان لتأتى به وان كان كلاما مشتقا فهو فى معنى النقي فكأنه قال لا تمنعون من أتى بى به على حال الاحال الا حاطة بكم أو من أعم العمل أى لعلة من العمل الالعله الا حاطة بكم والاحاطة مأخوذة من أحاطه العدو ومن أحاط به العدو وقد غلب أو هلك تقول العرب أحبط بفلان اذا هلك أو قارب هلاكه فاخذ يعقوب عليهم العهد بان يأتوه بنيامين الا ان يغلبوا عليه أو يهلكوا وبنه جميعا فيكون ذلك عذرا لهم عنده (فلما أتوه موثقهم) أى أطوه ما طلبه منهم من اليمين والعهد (قال الله على ما تقول وكيلى) أى قال يعقوب الله على ما قلنا من طلبى الموثق منكم واعطائكم من ما طلبته منكم مطلع رقيب لا يخفى عليه منه خافية فهو المعاقب لمن خاس فى عهده وخفى فى الخلف به أو موكول اليه القيام بما شهد عليه منا (وقال يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة) لما تجهز أولاد يعقوب للسيرة الى مصر خاف عليهم أبوهم ان تصيبهم العين لكونهم كانوا ذوى جمال ظاهر وثياب حسنة مع كونهم أولاد رجل واحد فنهاهم ان يدخلوا مجتمعين من باب واحد لان ذلك مظنة لاصابة العين لهم

الحوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون) ثم بين تعالى الاعذار التى لا حرج على من قعد معها عن القتال فذكر منها ما هو لازم للشخص لا ينقل عنه وهو الضعف فى التركيب الذى لا يستطيع معه الجهاد ومنه العمى والعرج ونحوهما ولهذا بدأ به ومنها ما هو عارض بسبب مرض عن له فى بدنه شغل عن الخروج فى سبيل الله أو بسبب فقره لا يقدر على التجهيز للعرب فليس على هؤلاء حرج اذا قعدوا ونصحوا فى حال قعودهم ولم يرجعوا بالناس ولم يثبطوهم وهم محسنون فى حالهم هذا ولهذا قال ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم وقال سفيان الثورى عن عبد العزيز بن رفيع عن أبى ثمامة

والعين

من قعد معها عن

رضي الله عنه قال قال الحواريون يا روح الله أخبرنا عن الناصح لله قال الذي يؤثر حق الله على حق الناس وإذا حدث له أمران أو بدله أمر الدنيا وأمر الآخرة بدأ بالذي للآخرة ثم تفرغ للذي للدنيا وقال الأوزاعي خرج الناس إلى الاستسقاء فقام فيهم بلال بن سعد فمد الله واثني عليه ثم قال يا معشر من حضرة أستم مقربين بالاساءة قالوا اللهم نعم فقال اللهم أنا نسمةك تقول ما على المحسنين من سبيل اللهم وقد أقررتنا بالاساءة فاغزرتنا وارحمتنا واسقنا ورفع يديه ورفعوا أيديهم فسقوا وقال قتادة نزلت هذه الآية في عائذ بن عمرو المزني حدثنا ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن (٥٥) عبيد الله الرازي حدثنا ابن جابر عن ابن فروة عن

عبد الرحمن بن أبي ليلى عن زيد بن ثابت قال كنت أكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت أكتب براءة فاني لو اضع القلم على أذني إذا أمرنا بالقتال فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر ما ينزل عليه أذناه أعمى فقال كيف بي يا رسول الله وأنا أعمى فنزلت ليس على الضعفاء الآية وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس أن يبعثوا غازين معه فجاءته عصابة من أصحابه فيهم عبد الله بن مغفل بن مقرن المزني فقالوا يا رسول الله اجلسنا فقال لهم والله لأجد ما أجلكم عليه فقولوا وهم يبكون وعز عليهم أن يجلسوا عن الجهاد ولا يجربون نفقة ولا يحملوا رأى الله حرصهم على محبته ومحبة رسوله أنزل عندهم في كتابه فقال ليس على الضعفاء الآية ففهم لا يعلمون وقال مجاهد في قوله ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم نزلت في بني مقرن من مزينة وقال محمد بن كعب كانوا سبعة نفر من بني عمرو

والعين حق فأمرهم أن يدخلوا من أبواب متفرقة وكان لمدينة مصر يومئذ أربعة أبواب وقال السدي أراد الطرق لا الأبواب ولم يأمرهم بالتفرق في الكرة الأولى لأنهم كانوا مجهولين في الكرة الأولى ولم يكتب بقوله لا تدخلوا من باب واحد من قوله وادخلوا من أبواب متفرقة لأنهم لو دخلوا من بابين مثلاً كانوا قد أمثلوا النهي عن الدخول من باب واحد ولكنه لما كان في الدخول من بابين مثلاً نوع اجتماع يخشى معه أن تصيبهم العين أمرهم أن يدخلوا من أبواب متفرقة قال النخعي أحب يعقوب أن يلقى أحمه في خلوة قليل وكان قد علم أن ملأ مصر هو وولده يوسف إلا أن الله لم يأذن له في اظهاره ذلك فلما بعث أبناءه اليه قال لهم ذلك القول والأول أولى أعني أنه ساف عليهم العين وبه قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وجهور المفسرين وقد أنكروا بعض المعتزلة كابي على الجبائي واتباعه ان العين تأثير انكار بالبعث والميز كروا في انكاره شبهة فضلاً عن حجة وليس هذا يستنكر من هؤلاء فقد صار دفع أدلة الكتاب والسنة بمجرد الاستبعادات العقلية دأبهم ودينتهم وأي مانع من اصابة العين بتقدير الله سبحانه لذلك وقد وردت الاحاديث الصحيحة بان العين حق وأصيب بها جماعة في عصر النبوة ومنهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأعجب من انكار هؤلاء لما وردت به نصوص هذه الشريعة ما يقع من بعضهم من الازراء على من يعمل بالدليل المخالف لمجرد الاستبعاد العقلي والتنطع في العبارات كالنخشي في نفسه به فانه في كثير من المواطن لا يقف على دفع دليل الشرع بالاستبعاد الذي يدعيه على العقل حتى يضم الى ذلك الوقاحة في العبارة على وجه يوقع المتصيرين في الاقوال الباطلة والمذاهب الزائفة وبالجملة فقول هؤلاء مدفوع بالأدلة المتكاثرة واجماع من يعتد به من هذه الامة سلطنا وخلصنا وما هو مشاهد في الوجود فكم من شخص من هذا النوع الانساني وغيره من أنواع الحيوان هلك بهم هذا السبب وقد اختلف العلماء فيمن عرف بالاصابة بالعين فقال قوم يمنع من الاتصال بالناس دفعا لضرره بحبس أو غير ذلك من لزوم يتسه وقيل يتنى وأبعد من قال انه يقتل الا اذا كان يتعمد ذلك ويتوقف اصابته على اختياره وقصد ولم ينزجر عن ذلك فانه اذا قتل كان له حكم القاتل ثم قال يعقوب لاولاده (وما أغنى عنكم من الله من شيء) أي لا تدفع عنكم ضررا ولا أجلب اليكم نفعاً بتدبيرى هذا بل ما قضاه الله عليكم فهو واقع لا محالة قال الزجاج وابن التبراري لوسبق في علم الله ان العين تهلكهم

ابن عوف بن سالم بن عوف ومن بني واقف حرمي بن عمرو ومن بني مازن بن النجار عبد الرحمن بن كعب ويكنى أبا ليلى ومن بني المعلى فضل الله ومن بني سلمة عمرو بن عتبة وعبد الله بن عمرو المزني وقال محمد بن اسحق في سياق غزوة تبوك ثم ان رجالات المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الباقون وهم سبعة نفر من الانصار وغيرهم من بني عمرو بن عوف بن سالم بن عمير وعبد بن زيد أخو بني حارثة وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب أخو بني مازن بن النجار وعمرو بن الحمام بن الجوح أخو بني سلمة وعبد الله بن المغفل المزني وبعض الناس يقول بل هو عبد الله بن عمرو المزني وحرمي بن عبد الله أخو بني واقف وعياض بن سارية الفزاري فاستحموا رسول الله

صلى الله عليه وسلم وكانوا أهل حاجة فقال لأجد ما أجلكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً إلا يجدوا ما يشفقون وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو بن الأودي حدثنا وكيع عن الربيع عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد خلقتم بالمدينة أقواماً ما أنفقتم من نفقة ولا قطعتم وادبوا ولا نلتهم من عدوئنا إلا وقد شرر كوكبكم في الأجر ثم قرأوا على الذين إذا ما أتوك لتعملهم قلت لا أجد ما أجلكم عليه الآية وأصل الحديث في الصحيحين من حديث (١) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن بالمدينة أقواماً ما قطعتم وادبوا ولا سرتهم سيرة الأوهام (٥٦) معكم قالوا وهم بالمدينة قال نعم حسبهم العذر وقال الإمام أحمد حدثنا

وكيع حدثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد خلقتم بالمدينة رجالاً ما قطعتم وادبوا ولا سلكتم طريقاً إلا أشركوكم في الأجر حسبهم المرض ورواه مسلم وابن ماجه من طرق عن الأعمش به ثم رد تعالى السلامة على الذين يسئرون في التعود وهم أغنياء وإنهم في رضاهم بأن يكفونوا مع النساء الخوالف في الحال وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون (يعتذرون إليكم إذا رجعت إليهم قل لا تعتذروا إن مؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون سيخلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم هم أحرصهم على ماؤاهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يخلفون لكم لتعرضوا عنهم فإن تعرضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) أخبر تعالى عن المنافقين بأنهم إذا رجعوا إلى المدينة أنهم يعتذرون

مع الاجتماع لكان تفرقهم كاجتماعهم وقال آخرون ما كان يغني عنهم يعقوب شيئاً قط حيث أصابهم ما أصابهم مع تفرقهم من إضافة السرقة إليهم قال أبو السعود ولم يرد عليه السلام الغاء الحذر بالمرة كيف لا وقد قال تعالى ولا تفلخوا بأيديكم إلى التهلكة وقال تعالى خذوا حذركم بل أراد بيان أن ما وصاهم به ليس مما يستوجب المراد لا محالة بل هو تدبير في الجملة وإنما التأثير وترتب المنفعة عليه من العزيز القدير وأن ذلك ليس بمدافعة للقدر بل هو استعانة بالله وهرب منه إليه ثم صرح يعقوب بأنه لأحكم الله سبحانه فقال (إن الحكم الله) وحده لا غيره ولا يشاركه فيه مشارك (عليه) لا على غيره (توكلت) أي اعتمدت ووثقت في كل إيراد وصادر (وعليه) لا على غيره (فليستوكل المتوكلون) على العموم ويدخل فيه أولاده دخولاً وأوليا (ولمادخلوا) المدينة (من حيث أمرهم أبوهـم) أي من الأبواب المتفرقة ولم يجتمعوا داخلين من باب واحد وجواب لما (ما كان يغني عنهم) ذلك الدخول أو رأى يعقوب واتباعهم له (من الله) أي من جهته (من شيء) من الأشياء مما قدره الله عليهم أي الذي أراد وقوعه فقد نسبوا للسرقة وأخذ منهم بنيامين وتضاعفت المصيبة على يعقوب لأن الحذر لا يدفع القدر والاستثناء بقوله (الاحاجة في نفس يعقوب قضاها) منقطع والمعنى ولكن حاجة كانت في نفسه وهي شفقتهم عليهم ومحبتهم لسلامتهم أظهرها يعقوب لهم ووصاهم بها غير معتقدان للتدبير الذي دبره لهم تأثيراً في دفع ما قضاه الله عليهم وقيل أنه خطر بيال يعقوب أن الملائكة إذا رآهم مجتمعين مع ما يظهر فيهم من كمال الخلق وسيم الشجاعة أوقع بهم حسداً وحقدًا وخوفاً منهم فأمرهم بالتفرق لهذه الهملة وقد اختار هذا الخامس وقال لا معنى للعين هنا وفيه أن هذا لو كان السبب لأمرهم بالتفرق لم يخض النهي عن ذلك بالاجتماع عند الدخول من باب واحد لأن هذا الحسد والخوف يحصل باجتماعهم داخل المدينة كما يحصل باجتماعهم عند الدخول من باب واحد وقيل إن الفاعل في قضاها ضمير يعود إلى الدخول لا إلى يعقوب والمعنى ما كان الدخول يغني عنهم من جهة الله شيئاً ولكنه قضى ذلك الدخول حاجة في نفس يعقوب لوقوعه حسب إرادته (وأنه) أي وإن يعقوب (لذو علم) جليل (لما علمناه) أي لتعليمنا بالوحي ونصب الأدلة حيث لم يعتقد أن الحذر يدفع القدر وأن التدبير له حظ من التأثير حتى تبين الخلل

إليهم قل إن مؤمن لكم أي لن نصدقكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله سيظهر أعمالكم للناس في الدنيا ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون أي فيخبركم بأعمالكم خيرها وشرها ويجزيكم عليها ثم أخبر عنهم أنهم سيخلفون لكم معتذرين لتعرضوا عنهم فلا تؤنبوهم فأعرضوا عنهم احتقارا لهم أنهم رجس أي خبث نجس بواطنهم واعتقاداتهم ومأواهم في آخرتهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون أي من الآثام والخطايا وأخبر أنهم إن رضوا عنهم بحلفهم لهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين أي الخاسرين عن طاعة الله وطاعة رسوله فإن

النسوق هو الخروج ومنه سميت الفارة فويسقة لخروجها من حجرها للافساد ويقال فسقت الرطبة اذا خرجت من اكلها
 (الاعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق
 مغرما ويربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات
 عند الله وصلوات الرسول إلا انها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته ان الله غفور رحيم) أخبر تعالى ان في الاعراب كفارا ومنافقين
 ومؤمنين وان كفرهم ونفاقهم أعظم من غيرهم وأشد وأجدر (٥٧) أى أخرى أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله كما قال

الاعمش عن ابراهيم قال جلس
 اعرابي الى زيد بن صوحان وهو
 يتحدث أصحابه وكانت يده قد
 أصيبت يومها ونذ فقال الاعرابي
 والله ان حديثك ليحجيني وان يدك
 لتريني فقال زيد ما يريدك من يدى
 انها الشمال فقال الاعرابي والله
 ما أدري اليمين يقطعون أو الشمال
 فقال زيد بن صوحان صدق الله
 الاعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر
 أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على
 رسوله وقال الامام أحمد حدثنا عبد
 الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان
 عن أبي موسى عن وهب بن منبه
 عن ابن عباس عن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم قال من سكن البادية
 جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن
 أتى السلطان اقتن ورواه أبو داود
 والترمذي والنسائي من طريق
 عن سفيان الثوري به وقال
 الترمذي حسن غريب لا نعرفه
 الا من حديث الثوري ولما كانت
 الغلظة والحفاء في أهل البوادي لم
 يبعث الله منهم رسولا وانما كانت
 البعثة من أهل القرى كما قال
 تعالى وما أرسلنا من قبلك الا رجالا

في رأيه عند تخلف الاثر وعلم ان ما قاضاه الله سبحانه فهو كائن لا محالة وقيل غير ذلك وهذا
 أولى وفي تأكيده الجملتان واللام وتنكير العلم وتعليقه بالتعليم المسند الى ذاته سبحانه
 من الدلالة على جلالة شأن يعقوب عليه السلام وعلو مرتبة علمه ونخامته ما لا يخفى
 (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) بذلك كما ينبغي وقيل لا يعلمون ان الحد من مندوب اليه
 وان كان لا يغني من القدر شيئا والسياق يدفعه وقيل المراد باكثر الناس المشركون (ولما
 دخلوا على يوسف) أى في محل حكمه (أوى) ضم (اليه أخواه) بنيامين قيل انه أمر بانزال
 كل اثنين في منزل فبقى أخوه منفردا فضمه اليه و (قال انى أنا أخوك) يوسف قال له
 ذلك سرا من دون ان يطلع عليه اخوته (فلا تبئس) أى فلا تحزن والابتئاس
 اجتلاب الحزن والبؤس والضرو والشدة (بما كانوا يعملون) اخوتك من الاعمال
 الماضية التي عملوها وقيل انه لم يخبره بأنه يوسف بل قال له انى أنا أخوك مكان أخيك
 يوسف فلا تحزن بما كنت تلقاه منهم من الحفاء حسدا وبغيا وقيل انه أخبره بما سجد يديه
 معهم من جعل السقاية في رحله فقال لا أبلى قدس الصاع في رحله وهو المراد بالسقاية في
 قوله (فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية) وأصلها المشربة التي كان الملك يشرب بها
 جعلت صاعا يعك باله وقيل كانت تسقى بها الدواب ويكال بها الحب وقيل كانت من فضة
 وقيل من ذهب وقيل من زبرجد وقيل مرصعة بالجواهر وقيل غير ذلك وقد تقدم تفسير
 الجهاز والرحل وعبر بالفناء هنا إشارة الى طلب سرعة سيرهم وذهابهم لبلادهم لان
 الغرض منه قد حصل وقد عرفت حالهم بخلاف المرة الاولى كان المطلوب طول مدة
 اقامتهم ليتعرف الملك حالهم والمعنى انه جعل السقاية التي هي الصواع (في رحل أخيه)
 الذي هو الوعاء الذي يجعل فيه ما يشربه من الطعام من مصر (ثم) بعد ذلك (أذن)
 نادى (مؤذنا) مناد وأعلم معلم والاذان في اللغة الاعلام وكان ذلك النداء مع رفع الصوت
 مرارا كثيرة بدليل النفعيل بعد انفصالهم عن مجلس يوسف حتى انطلقوا وخر جوامن
 العمارة ثم أرسل خلفهم من استوقفهم وحسبهم كما يشير له التعبير بتم التي للتراخي بل قيل
 انهم وصلوا الى بليس وردوا من عندها (أيتمها العير) قال الزجاج معناه يا أصحاب
 العير أى الابل فهو مجاز مرسل علاقته بالمجاورة كما قاله السمين وفي المصباح العير بالكسر
 اسم للابل التي تحمل الميرة في الاصل ثم غلب على كل قافلة انتهى وكل ما استير عليه من

(٨ فتح البيان خامس) نوحى اليهم من أهل القرى ولما أهدى ذلك الاعرابي تلك الهدية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرد
 عليه أضعافها حتى رضى قال لقد هممت ان لا أقبل هدية الا من قرشي أو ثقيفي أو انصاري أو دومي لان هؤلاء كانوا يسكنون المدن
 مكة والطائف والمدينة واليمن فهم ألطف اخلاقا من الاعراب لما في طباع الاعراب من الحفاء وقوله والله عليم حكيم أى عليم بمن
 يستحق ان يعلمه الايمان والعلم حكيم فيما قسم بين عباده من العلم والجهل والايمان والكفر والنفاق لا يستل عما يفعل لعلمه وحكمته
 وأخبر تعالى ان منهم من يتخذ ما ينفق أى في سبيل الله مغرما أى غرامة وخسارة ويربص بكم الدوائر أى ينتظر بكم الحوادث

والآفات عليهم دائرة السوء أى هي منعكسة عليهم والسوء أى سميح عليهم والله سميح علم أى سميح لدعاء عباده عليهم يستحق النصر عن يستحق الخذلان وقوله ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول هذا هو القسم الممدوح من الاعراب وهم الذين يتخذون ما ينفقون في سبيل الله قربة يتقربون بها عند الله ويتغون بذلك دعاء الرسول لهم ألا انما قربة لهم أى ألا ان ذلك حاصل لهم سيدخلهم الله في رحمته ان الله غفور رحيم (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان ٥٨) رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدون

فيما أبد ذلك الفوز العظيم) يخبر تعالى عن رضاه عن السابقين من المهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان ورضاهم عنه بما أعد لهم من جنات النعيم والنعيم المقيم قال الشعبي السابقون الاولون من المهاجرين والانصار من أدرك بيعة الرضوان عام الحديبية وقال أبو موسى الأشعري وسعيد بن المسيب ومحمد بن سيرين والحسن وقتادة هم الذين صلوا الى القبليتين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن كعب القرظي مرعرب بن الخطاب برجل يقرأ هذه الآية والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار فاخذ عمر بيده فقال من أقرأك هذا فقال أبي بن كعب فقال لا تفارقني حتى أذهب بك اليه فلما جاءه قال عمر أنت أقرأت هذا هذه الآية هكذا قال نعم قال وسمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال لقد كنت أرى انارفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا فقال أبي تصديق هذه الآية في أول سورة الجمعة وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم

الابل والحبر والبغال فهو عرقه الهيم وقيل قافلة الجبر وقال أبو عبيدة العير الابل المرحولة المركوبة ثم كثر ذلك في الاستعمال حتى قيل لكل قافلة عير لانه يعير أى يذهب ويجبى (انكم لسارقون) نسبة السرق اليهم على حقيقة لان المنادى غير عالم بما دبره يوسف وقيل ان المعنى ان حالكم حال السارقين من كون الصواع صار ليدكم من غير رضا من الملك وليس في القرآن ما يدل على انهم قالوا ذلك باهم يوسف وهو الاقرب الى ظاهر الحال لانهم طلبوا السقاية فلم يجدوها ولم يكن هناك أحد غيرهم وغلب على ظنهم انهم هم الذين أخذوها فقالوا ذلك بناء على غلبة ظنهم وقيل غير ذلك وهذا أولى (قالوا) أى اخوة يوسف (وأقبلوا عليهم) أى حال كونهم مقبلين على من نادى منهم المنادى من أصحاب الملك أى التفتوا اليهم وخطبواهم بقولهم (ماذا تفقدون) أى ما الذى فقدتموه والفقده غيبة الشيء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه يقال فقدت الشيء اذا عدمته بضباع أو شحوه فكأنهم قالوا ماذا ضاع عليكم وما استفهامية وصيغة المستقبل لاستحضار الصورة (قالوا) في جوابهم (تفقد صواع الملك) وقرئ بالغين المعجمة وقرئ صوع وصياح وصواع وقال الزجاج الصواع الصاع بعينه وهو يذ كرويونث وهو السقاية قال ابن عباس كل شئ شربت منه فهو صواع وقيل الصواع الذى يكال به وجعه أصوع والصواع لغة فيه وجعه صيعان وفيه قرآت كثيرة وهى ثمانية كلها لغات في هذا الحرف والمراد هنا آلة الكيل سماها نارة كذا وتارة كذا وانما اتخذ هذا الاناء ميكا لا لغيره ما يكال به في ذلك الوقت (ولمن جاء به جمل بعير) من الطعام جعله لاهل نمة تحقيق الوعد لجزمهم بامتناع وجود الشرط وعزمهم على ما لا يخفى من أخذ من وجد في رحله وهذا قول المؤذن وحده فهو الذى كفل وضمن والبعير الجمل وفي لغة بعض العرب انه الحمار والمراد بالجل ههنا ما يحمله البعير من الطعام ثم قال المنادى (وأنا به) أى يحمل البعير الذى جعل لمن جاء بالصواع قبل التفتيش للاوعية (زعيم) كقيل قاله ابن عباس أى بلسان أهل اليمن وعن سعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والخالم مثله ولعل القائل يفقد صواع الملك هو المنادى وانما نسب القول الى الجماعة لكونه واحدا منهم ثم رجع الكلام الى نسبة القول الى المنادى وحده لانه القائل بالحقيقة وهذه الآية تدل على ان الكفالة كانت صحيحة في شرعهم في ذلك الزمان (قالوا والله لقد علمت ما جئنا لنفسد في الارض)

وفي سورة الحشر والذين جاؤا من بعدهم الآية وفي الانفال والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا معكم الآية ورواه ابن جرير التاء قال وذ كر عن الحسن انه كان يقرأها برفع الانصار عطف على والسابقون الاولون فقد أخبر الله العظيم انه قدرضى عن السابقين الاولين من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان فيما ويل من أبعضهم أو سبهم أو أبغض أو سب بعضهم ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول وخبرهم وأفضلهم أعنى الصديق الاكبر والخليفة الاعظم أبابكر بن أبى تحافة رضى الله عنه فان الطائفة اتخذوه من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويغضونهم ويؤسبونهم عبادا بالله من ذلك وهذا يدل على ان عقولهم معكوسة وقلوبهم منكوسة

فأين هو إلا من الإيمان بالقرآن اذ يسبون من رضى الله عنهم وأما أهل السنة فانهم يترضون عن رضى الله عنه ويسبون من سبه الله ورسوله ويوالون من يوالى الله ويعادون من يعادى الله وهم متبعون لا مبتدعون ويقتدون ولا يبتدون ولهذا هم حزب الله المفلحون وعباده المؤمنون (ومن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم) يخبر تعالى رسوله صلوات الله وسلامه عليه ان في احياء العرب من حول المدينة منافقون وفي أهل المدينة أيضاً منافقون مردوا على النفاق أى مرنوا واستمروا عليه (٥٩) ومنه يقال شيطان مردو مارودو يقال ترد فلان

على الله أى عتا وتجبى وقوله لا تعلمهم نحن نعلمهم لا ينافى قوله تعالى ولو نشاء لأريناكمهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول لان هذا من باب التوسيم فيهم بصفات يعرفون به إلا أنه يعرف جميع من عنده من أهل النفاق والريب على التعيين وقد كان يعلم ان في بعض من يخالطه من أهل المدينة نفاقا وان كان يراه صبا حوا ومساء وشاهد هذا بالصحة مارواه الامام أحمد في مسنده حيث قال حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن النعمان بن سالم عن رجل عن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله انهم يزعمون انه ليس لنا أجر بمكة فقال لتأينكم أجوركم ولو كنتم في حجر ثعلب وأصغى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم برأسه فقال ان في أصحابي منافقين ومعناه انه قد يوح بعض المنافقين والمرحفين من الكلام بما لا صحة له ومن مثلهم صدر هذا الكلام الذى سمعته جبير بن مطعم وتقدم فى تفسير قوله وهو ما بالم ينالوا انه صلى الله عليه وسلم أعلم

التأيد من اوالقسم عند الجهور وقيل من الباء وقيل أصل نفسها وأياما كان فيه التعجب ولا تدخل الاعلى هذا الاسم الشريف دون سائر أسمائه سبحانه وقد دخلت نادرا على الرب وعلى الرحمن والكلام على هذا مستوفى فى علم الاعراب وجعلوا المقسم عليه هو علم يوسف وأصحابه بنزاهة جانبهم وطهارة ذيلهم عن التلوث بقدر الفساد فى الأرض الذى من أعظم أنواع السرقة لانهم قد شاهدوا منهم فى قدومهم عليه المرة الاولى وهذه المرة من التعفف والزهد عما هو دون السرقة بما حل ما يستفاد منه العلم الجازم بانهم ليسوا ممن يتجارى على هذا النوع العظيم من أنواع الفساد ولو لم يكن من ذلك الا رداهم لبضاعتهم التى وجدوها فى رحالهم لكننى والمراد بالارض هنا ارض مصر ثم أكدوا هذه الجملة التى أفسحوا بالله عليها بقولهم (وما كنا سارقين) لزيادة التبرى مما قد فوههم به والتزه عن هذه النقيصة الخسيسة الرذيلة الشنعاء (قالوا فاجزأوه) هذه جملة مستأنفة كما تقدم غير مرة فى نظائرها والقائلون هم أصحاب يوسف أو المنادى منهم وحده كما مر والضمير فى جزأوه للصواع على حذف مضاف أى فاجزأه سرقة الصواع عندكم أو الضمير للسارق (ان كنتم كاذبين) فيما تدعون به لانفسكم من البراءة عن السرقة وذلك بان يوجد الصواع معكم فاجزأه اخوة يوسف (قالوا جزأوه) أى جزأه سرقة الصواع أو جزأه سارق الصواع والتقدير جزأه السرقة لاه واه أخذ (من وجد فى رحله) واسترقاقه وتكون جملة (فهو جزأوه) لتأكيد الجملة الاولى وتقريرها وقال الزجاج هو زيادة فى البيان أى جزأوه أخذ السارق فهو جزأوه لا غير قال المفسرون وكان حكم السارق فى آل يعقوب ان يسترق سنة ثم يحل سبيله فلذلك استفتوه هم فى جزأه (كذلك) أى مثل ذلك الجزاء الكامل (نجزى الظالمين) لغيرهم من الناس بسرقة أمتعتهم وهذه الجملة مؤكدة لما قبلها اذا كانت من كلام اخوة يوسف ويجوز أن تكون من كلام أصحاب يوسف أى كذلك نحن نجزى الظالمين بالسرقة ثم لما ذكر وجزأه السارق أرادوا ان يفتشوا أمتعتهم حتى يتبين الامر فاقبل يوسف على ذلك (فبدأ باوعيتهم) يعنى بتفتيش أوعية اخوته العشرة وقيل ان المنادى وأصحابه هم الذين تولوا تفتيشهم وهم الذين استخرجوا الصواع من رحل بنيامين (قبيل) تفتيش (وعاء أخيه) بنيامين دفعا للثمة ورفع المادبره من الحيلة (ثم استخرجها) أى السقاية أو الصواع لانه يذكر

حذيفة بايمان أربعة عشر وخمسة عشر منافقا وهذا تخصيص لا يقتضى انه اطلع على أسمائهم وأعيانهم كما هو والله أعلم وروى الحافظ ابن عساکر فى ترجمة أبي عمر البيرونى من طريق هشام بن عمار حدثنا صدقة بن خالد حدثنا ابن جابر حدثنى شيخى بيروت يكنى أبا عمراً ظنه حدثنى عن أبي الدرداء ان رجلا يقال له حرمله أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال الإيمان ههنا وأشار بيده الى لسانه والنفاق ههنا وأشار بيده الى قلبه ولم يذكر الله الا قليلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل له لسانا ذا كرا وقلبا شاكرا وارزقه حبي وحب من يحبى وصبرا أمره الى خير فقال يا رسول الله انه كان لى أصحاب من المنافقين وكنيت رأسا فيهم أفلا آتيتك بهم

قال من اتانا استغفرنا له ومن اصر على دينه فالثمة اولى به ولا تخرفن على احد ستر اقال وكذا رواه ابواحمد الخا كم عن ابي بكر
الباغندي عن هشام بن عمار به وقال عبد الرزاق اخبرنا معمر عن قتادة في هذه الآية انه قال ما بال اقوام يتكفون علم الناس فلان
في الجنة وفلان في النار فاذا سألت احدهم عن نفسه قال لا ادري لعمري انت بصييدك اعلم من ذناحوال الناس ولقد تكلفت شيا
ما تكلفه الانبياء قبلك قال نبي الله نوح عليه السلام وما علمي بما كانوا يعملون وقال نبي الله شعيب عليه السلام بقية الله خير لكم
ان كنتم مؤمنين وما انا عليكم بحفيظ وقال الله تعالى (٦٠) لنبية صلى الله عليه وسلم لا تعلمهم نحن نعلمهم وقال السدي

عن ابي مالك عن ابن عباس في هذه
الآية قال قام رسول الله صلى الله
عليه وسلم خطيبا يوم الجمعة فقال
اخرج يا فلان فانك منافق واخرج
يا فلان فانك منافق فاخرج من
المسجد ناسا منهم فضمهم فجا عمر
وهم يخرجون من المسجد فاخترت
منهم حيا انه لم يشهد الجمعة وظن
ان الناس قد انصرفوا واخترت اهلهم
من عمرظوانه قد علم بامرهم
فجا عمر فدخل المسجد فاذا الناس
لم يصلوا فقل له رجل من المسلمين
ابشر يا عمر قد فضح الله المنافقين
اليوم قال ابن عباس فهذا العذاب
الاول حين اخرجهم من المسجد
والعذاب الثاني عذاب القبر
وكذا قال الثوري عن السدي عن
ابي مالك نحو هذا وقال مجاهد في
قوله سنعذبهم مرتين يعني القتل
والسبي وقال في رواية بالجوع
وعذاب القبر ثم يردون الى عذاب
عظيم وقال ابن جرير عذاب الدنيا
وعذاب القبر ثم يردون الى عذاب
عظيم النار وقال الحسن البصري
عذاب في الدنيا وعذاب في القبر
وقال عبد الرحمن بن زيد اما
عذاب في الدنيا فلاموال والاولاد

ويؤث (من وعاء اخيه) فنكس اخوة يوسف رؤسهم من الحياء ولا موا بنيامين
فاخذه وردوه الى يوسف (كذلك) أي مثل ذلك السكيد المحجيب (كدنا) أي دبرنا
قاله القتيبي أو أردنا قاله ابن الانباري (ليوسف) يعني علمناه اياه وأوحينا اليه واللام
زائدة واليه نحو السيوطي وفي أبي السعود ما يقتضي ان اللام للتعديل أي صنعنا له ودبرنا
لاجل تحصيل غرضه من المقدمات التي رتبها من دس الصواع وما يتلوه والكييد مبدؤه
السهي في الحيلة والخديعة ونهايته القاء الخدوع من حيث لا يشعر في أمر مكروه لا سبيل
الى دفعه وهو محمول في حق الله سبحانه على النهاية لا على البداية وقال ابن الاعرابي السكيد
التدبير بالباطل وبالحق وقيل السكيد هنا جزاء الكيد يعني كما فعلوا ليوسف في الابتداء
فعلنا بهم وقيل غير ذلك والاول اولى وفي الآية دليل على جواز التوصل الى الاغراض
الصحيحة بما صورته صورة الحيلة والمكيدة اذ لم يخالف ذلك شرعا ثابتا (ما كان)
يوسف (اي اخذ اخاه) بنيامين (في دين الملك) أي ملك مصر وفي شريعته التي كان
عليها بل كان دينه وقضاؤه ان يضرب السارق ويعرم ضعف ما سرقه دون الاستعباد سنة
كاهودين يعقوب وشريعته وحاصل ان يوسف ما كان يتمكن من اجراء حكم يعقوب على
أخيه مع كونه مخالفا لدين الملك وشريعته لولا ما كاد الله له ودبر وأراد حتى وجد السبيل
اليه وهو ما اجراء على السن اخوته من قولهم ان جزاء السارق الاسترقاق فكان قولهم
هذا هو عشيته الله وتدبيره وهذه الحيلة لتعليل لما صنع الله من الكيد ليوسف أو تفسير
له يعني ان ذلك الامر كله كان الهامان أمر الله ليوسف واخوته حتى جرى الامر على
وفق المراد وهو معنى قوله (الا ان يشاء الله) أي الاحال مشيئته واذنه بذلك وارادته
له والاستثناء منقطع اذا اخذ بنين الملك لا يشمل المراد به فالعنى ولكن اخذ به بشريعة
يعقوب (رفع درجات من نشاء) بضر وب العلم والمعارف والعطايا والكرامات كما
رفعنا درجة يوسف بذلك والآية تدل على ان العلم أشرف المقامات وأعلى الدرجات لان
الله تعالى مدح يوسف ورفع درجته على اخوته بالعلم قرى درجات بالاضافة والتنوين
وهما سبعيتان (وفوق كل ذي علم) ممن رفعه الله بالعلم من المخلوقين (عليم) أرفع رتبة
منه وأعلى درجة لا يبلغون مده ولا يرتقون شأوه وقيل معنى ذلك ان فوق كل أهل العلم
عليم الى ان ينتهي العلم الى الله وهو سبحانه فوق كل عالم عن سعيد بن جبير قال كنا

وقرأ قوله تعالى فلا تعجبك أموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا فهذه المصائب لهم عند
عذاب وهي للمؤمنين أجر وعذاب في الآخرة في النار ثم يردون الى عذاب عظيم قال الناروقال محمد بن اسحق سنعذبهم مرتين
قال هو فيما بلغني ما هم فيه من أمر الاسلام وما يدخل عليهم من غيظ ذلك على غير حصة ثم عذابهم في القبر اذا صاروا اليها ثم
العذاب العظيم الذي يردون اليه عذاب الآخرة والخلافة وقال سعيد عن قتادة في قوله سنعذبهم مرتين عذاب الدنيا وعذاب
القبر ثم يردون الى عذاب عظيم وذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم اسر الى حذيفة باثني عشر رجلا من المنافقين فقال ستة منهم

تكفهم الديلة سراج من نار جهنم يأخذ في كنف أحد هم حتى يفضى الى صدره وستة يموتون موتا واذ كرنا ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان اذا مات رجل من يرى انه منهم نظر الى حذيفة فان صلى عليه والتركه واذ كرنا ان عمر قال لحذيفة أشهدك الله أنهم انما قال لا ولا أومن منها أحد بعدك (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليه ان الله غفور رحيم) لما بين تعالى حال المنافقين المتخلفين عن الغزاة غيبة عنها وتكذيبا وشكاشع في بيان حال المذنبين الذين تأخروا عن الجهاد كسلا وميلا الى الراحة مع ايمانهم وقد صدقهم بالحق فقال (٦١) وآخرون اعترفوا بذنوبهم أى أقروا بها واعترفوا

فيما بينهم وبين ربهم ولهم أعمال فيما بينهم وبين ربهم ولهم أعمال أخر صالحة خلطوا هذه بتلك فهو لا تحت عفوا والله وغفرانه وهذه الآية وان كانت نزلت في أناس معينين الا انها عامة في كل المذنبين الخاطئين المتأولين وقد قال مجاهد انها نزلت في أبي لبابة لما قال لبنى قريظة انه الذبح وأشار بيده الى حلقه وقال ابن عباس وآخرون نزلت في أبي لبابة وجماعة من أصحابه بخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقال بعضهم أبو لبابة وخمسة معه وقيل وسبعة معه وقيل تسعة معه فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته ربطوا أنفسهم بسوارى المسجد وحلفوا لا يخلعهم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أنزل الله هذه الآية وآخرون اعترفوا بذنوبهم أطلقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعفا عنهم وقال البخارى حدثنا مؤمل ابن هشام حدثنا اسمعيل بن ابراهيم حدثنا عوف حدثنا أبو رجاء حدثنا سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا أنانى اللذة

عند ابن عباس حدث بحديث فقال رجل عندهم وفوق كل ذى علم عليم فقال ابن عباس بنس ما قالت الله العليم الخبير وهو فوق كل عالم وعن محمد بن كعب قال قال رجل لعلي بن ابي طالب فقال فيها فقال الرجل ليس هكذا ولكن كذا وكذا فقال علي أصبت واخطأت وفوق كل ذى علم عليم وعن عكرمة قال علم الله فوق كل عالم قال ابن الانباري يجب ان يتهم العالم نفسه ويستشعر ان تواضع لخواص ربه ولا يطمع نفسه بالغلبة لانه لا يتخلو عالم عن عالم فوفى الآية دليل على ان اخوة يوسف كانوا علماء وكان يوسف أعلم منهم (قالوا ان يسرق) أى بنيامين الصواع (فقد سرق أخ له من قبل) يعنون يوسف وكان غرضهم من هذا الكلام ان السنا على طريقته ولا على سيرته بل هذا وأخوه كآعلى هذه الطريقة لانهم آمنوا أم أخرى غير أمنا وقال الخفاجي أو بابكلمة ان لعدم تحققهم له بمجرد خروج السقاية من رحله وأما قولهم ان ابنك سرق فيمناء على الظاهر ويسرق لحكاية الحال الماضية والمعنى ان كان سرق فليس يبدع لسبق مثله من أخيه والعرق نزاع وقيل انهم جرموا بذلك وان مجرد الشرط انتهى وقد اختلف المتسرون في هذه السرقة التي نسبوها الى يوسف ما هي فقيل انه كان ليوسف عمه هي أكبر من يعقوب وكانت عندها منقطة استحق لكونها أسن أولاده وكانوا يتوارثونها فبأخذها الاكبر منها من ذكرا أو أنثى وكانت قد حضرت يوسف وأحبته حباً شديداً فلما تزعرع قال لها يعقوب سلمى يوسف الى فأشقت من فراقه واحتالت في بقائه لديها فجعلت المنقطة تحت ثيابه وحرمتها به ثم قالت قد سرق منقطة استحق فأنظر وامن سرقها فبحثوا عنها فوجدوها مع يوسف فاخذته عندها كما هو شرع الانبياء في ذلك الوقت من آل ابراهيم ذكره محمد بن اسحق وقد سبق بيان شريعتهم في السرقة وقيل ان يوسف أخذ منها كان لجدته أى أمه فكسره وألقاه على الطريق تغيير المنكر فعبر بذلك اخوته وقد روى معناه عن ابن عباس مرفوعا وعن سعيد بن جبير وقتادة مثله غير مرفوع وقد روى نحوه عن جماعة من التابعين وحكى عن الزجاج انه كان صنم من ذهب وقيل من فضة وقال عطية سرق في صباه ميلين من ذهب وعن ابن عباس سرق مكعبه تلخاته وقيل كان في المنزل دجاجة فاعطاها السائل قاله سفيان بن عيينة وقيل كان يخبأ الطعام من المسألة للفقراء قال ابن الانباري وليس في هذه الافعال كلها ما يوجب السرقة ولكنها تشبهها فاعبروه بها عند الغضب وحكى

أيمان فابتعنا في فانتهمنا الى مدينه مبنية بدين ذهب ولين فضة فقلنا نار جلال شطرنم خذتهم كأن حسن ما أنت راء وشطر كاقبح ما أنت راء قال لهم اذهبوا ففعلوا في ذلك التهم فوقعوا فيه ثم رجعوا اليها قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في أحسن صورة قالوا في هذه حنة عدن وهذا المنزل قالوا وأما القوم الذين كانوا شطرنمهم حسن وشطر منهم قبيح فانهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا تجاوز الله عنهم هكذا رواه البخارى مختصرا في تفسير هذه الآية (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليم ألم تعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم) أمر تعالى رسوله

صلى الله عليه وسلم بان يأخذ من أموالهم صدقة يطهرهم ويزكهم بها وهذا عام وان أعاد بعضهم الضمير في أموالهم الى الذين اعترفوا بذنوبهم وخططوا وعمالصا واخر سبأ ولهذا اعتقد بعض مانعي الزكاة من احياء العرب ان دفع الزكاة الى الامام لا يكون وانه خاص بالرسول صلى الله عليه وسلم واحتجوا بقوله تعالى خذ من أموالهم صدقة الآية وقد رد عليهم هذا التأويل والفهم الفاسد أبو بكر الصديق وسائر الصحابة وقائلوهم حتى أدوا الزكاة الى الخليفة كما كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال الصديق والله لو منعوني عناقا في رواية (٦٢) عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا فاتلنهم على منعه وقوله

الواحدى عن الزجاج انه قال قال الله أعلم أسرق أخ له أم لا وحكى القرطبي في تفسيره عنه انه قال كذبوا عليه فيما نسبوه اليه قلت وهذا أولى فها هذه الكذبة بأول كذباتهم وقد قدمنا ما يدفع قول من قال انهم قد كانوا أنبياء عند صدور هذه الامور منهم وفي البحر لابن المنير ان ما ذكر في تفسير السرة تكلف لا يسوغ نسبة مثله الى بيت النبوة ولا الى أحد من الاشراف فالواجب تركه واليه ذهب مكى وفسره بعضهم بان يسرق فقد سرق مثله من بنى آدم وذكره نظائر في الحديث قال الخفاجى وهو كلام حقيق بالقبول قال الزجاج وغيره الضمير في (فأسرهما) يعود الى الكاهنة أو الجحلة كأنه قيل فأسر الجحلة (يوسف في نفسه ولم يدها لهم) ثم فسرها بقوله (قال أنتم شركاؤها) وقد رد أبو على الفارسي هذا فقال ان هذا النوع من الاضمار على شريطة التفسير غير مستعمل وعلى هذا يكون في الكلام رجوع الضمير على متأخر لفظا ورتبة وفيه أيضا اطلاق الكاهنة على الكلام والاول سائغ في مقام التفسير كما هنا والثاني سائغ في اللغة وقيل الضمير عائدة الى اجابة أى أسر يوسف اجابتهم في ذلك الوقت الى وقت آخر وقيل أسر في نفسه قولهم ان يسرق الخ وهذا هو الاولى ويكون معنى ولم يدها لهم انه لم يدها لهم هذه المقالة التي أسرها في نفسه بان يذكر لهم صحتها وبطلانها وجحلة قال انتم شركاؤها مفسرة على القول الاول ومستأنفة على القولين الاخيرين كأنه قيل فماذا قال يوسف لما قالوا هذه المقالة اى انتم شرموا ومنزل لا يمن نسبة يوه الى السرة ورميت يوه بها وهو برى فانكم قد فعلتم ما فعلتم من القاء يوسف في الحب والكذب على أيكم وغير ذلك من أفاعيلكم ولم يكن من يوسف سرقة حقيقة ثم قال (والله أعلم بما تصفون) من الباطل بنسبة السرقة الى يوسف وانه لاحقيقة لذلك ثم أرادوا ان يستعطفوه ليطلق لهم أخاه بنيامين ويكون معهم ويرجعون به الى أيهم لما تقدم من أخذ الميثاق عليهم بان يردوه اليه (قالوا يا أيها العزيز ان له) أى لبنيامين هذا (أبا) متصفا بكونه (شخصا كبيرا) في السن لا يستطيع فراقه ولا يبصر عنه ولا يقدر على الوصول اليه وقيل كبير في القدر لانه نبى من أولاد الانبياء وفيه بعد ظاهر والاول أولى (نخذأ حدنا مكانه) يبقى لديك فان له منزلة في قلب أبيه ليست لواحد منا فلا يتضرر بفراق أحدنا كما يتضرر بفراق بنيامين ثم عللوا ذلك بقولهم (اننا نرا من المحسنين) الى الناس كافة والينا خاصة فاتم احسانك الينا باجابتنا الى هذا المطلب فاجاب عليهم يوسف و (قال معاذ الله)

وصل عليهم أى ادع لهم واستغفر لهم كما رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن أبي اوفى قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتى بصدقة قوم صلى عليهم فاتاه ابي بصدقة فقال اللهم صل على آل ابي اوفى وفي الحديث الاخر ان امرأة قالت يا رسول الله صل على وعلى زوجي فقال صلى الله عليك وعلى زوجك وقوله ان صلواتك سكن لهم قرأ بعضهم صلواتك على الجمع وآخرون قرؤا ان صلواتك على الافراد سكن لهم قال ابن عباس رجة لهم وقال قتادة وقار وقوله والله سمع اى للعائد عليم اى بن يستحق ذلك منذ ومن هو أهل له قال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا ابو العميس عن أبي بكر بن عمرو عن عتبة عن ابن الخديفة عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دعا لرجل اصابته واصابت ولده وولد ولده ثم رواه عن ابي نعيم عن مسعر عن ابي بكر بن عمرو بن عتبة عن ابن الخديفة قال مسعرو قد ذكره مرة عن خديفة ان صلاة النبي صلى الله عليه وسلم

تدرك الرجل وولده وولد ولده وقوله أعلم يعلمون ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وياخذ الصدقات هذا تميم الى اى النوبة والصدقة اللتين كل منهما يحيط الذنوب ويمحصها ويحجتها واخبر تعالى ان كل من تاب اليه تاب عليه ومن تصدق بصدقة من كسب حلال فان الله تعالى يتقبلها بيمينه فيرهبها الى صاحبها حتى تصير التمرة مثل احد كما جاء بذلك الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال الترمذى وكيع كلاهما عن عباد بن منصور عن القاسم بن محمد انه سمع ابا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل الصدقة وياخذها بيمينه فيرهبها الى احدكم كما يرهبها الى احدكم مهره حتى ان التمرة لتسكون مثل احد وتصدق عليه

ذلك في كتاب الله عز وجل ألم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وقوله يعق الله الربا ويربي الصدقات وقال الثوري والاعمش كلاهما عن عبد الله بن السائب عن عبد الله بن ابي قتادة قال قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ان الصدقة تقع في يد الله عز وجل قبل ان تقع في يد السائل ثم قرأ هذه الآية ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وقد روى ابن عساکر في تاريخه في ترجمة عبد الله بن الشاعر السكسكي الدمشقي وأصله حصي وكان احد الفقهاء روى عن معاوية وغيره وحكى عنه حوشب بن سيف السكسكي الحصى قال غزا الناس (٦٣) في زمن معاوية رضى الله عنه وعليهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد فغل رجل من المسلمين

مائة دينار رومية فلما قفل الجيش ندبم وأتى الامير فابى ان يقبلها منه وقال قد تفرق الناس ولن اقبلها منك حتى تأتى الله بها يوم القيامة فجعل الرجل يأتى الصفاة فيقولون له مثل ذلك فلما قدم دمشق ذهب الى معاوية ليقبلها منه فابى عليه فخرج من عنده وهو يبكي ويسترجع فرب عبد الله بن الشاعر السكسكي فقال له ما يبكيك فذكر له امره فقال له او مطيعي انت فقال نعم فقال اذهب الى معاوية فقل له اقبل مني خمسين فادفع اليه عشرين ديناروا وانظر الى الثمانين الباقية فتصدق بها عن ذلك الجيش فان الله يقبل التوبة عن عباده وهو أعلم بأسمائهم ومكانهم ففعل الرجل فقال معاوية رضى الله لان اكون اقيمت بها احب الى من كل شئ املكه احسن الرجل (وقل اعلموا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) قال مجاهد هذا وعيد يعنى من الله تعالى

أى نعوذ بالله معاذاً فهو مصدر والمستعبد بالله هو المستعصم به (أن) أى من أن (ناخذ الامن وجدنا متاعنا عنده) وهو بنيامين لانه الذى وجد الصواع في رحله فقد حل اما استعباده بقتواكم التى افتمتونا بقولكم جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه ولم يقل من سرق تخزاعن الكذب لانه يعلم ان آخاه ليس بسارق وفيه جواز التوصل الى الاغراض بالحيل اذ الم تخالف شرعية ولا هدمت أصلاً ولعل الله أمر يوسف بذلك تشديداً للمعصية على يعقوب ونهاه عن الفعور والصفح وأخذ البديل كما أمر صاحب موسى بقتل من لوبقى اطغى وكفر قاله ابن عادل في الباب في علوم الكتاب وحزم صاحب الكشاف بان هذه الواقعة كانت بوحى كما مر مرارا (انا اذا) أى اذا اخذنا غير من وجدنا متاعنا عنده (لظالمون) في دينكم وما تقتضيه فتواكم (فلما استبأسوا منه) أى يسوا من يوسف واجابته اياهم وامعافهم منه الى مطلبهم الذى طلبوه والسبين والتاء للمبالغة قاله الزنجشمرى والبيضاوى قال ابن اسحق أى يسوا منه ورأوا شدته في امره قال أبو عبيدة استبأسوا أى استمقنوا ان الاخ لا يرد عليهم وقيل أى يسوا من أخيه ان يرد اليهم والاول أولى (خلصوا نجياً) أى انفردوا عن الناس واعتزلوا مجلسه وانجازوا على حدة حال كونهم متباحين متعدين فيما بينهم ليس فيهم غيرهم في التشاور في امر هذه القضية وهو مصدر يقع على الواحد والجمع كقوله وقربناه نجياً قال الزجاج معناه انفردوا وليس معهم أخوهم متباحين فيما يعملون به في ذهابهم الى أبيهم من غير أخيه وقال قتادة وحدهم (قال كبيرهم) قيل هوروى قيل لانه الاسن وهو الذى كان نهاهم عن قتله وكان أكبر القوم في الميلاد قاله قتادة وقيل كبيرهم في العقل والعلم لافى السن وقيل بهوذا لانه الا وفر عقلا وقيل شعون لانه رئيسهم (ألّم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا) أى عهدا (من الله) في حفظ ابنه وردده اليه ومعنى كونه من الله انه باذنه ذكره الخاس وغيره (ومن قبل ما فرطتم في يوسف) أى وألم تعلموا ان تفرطكم في أمر يوسف كائن من قبل تفرطكم في بنيامين أو من قبل أخذكم العهد في شأنه على ان ما مصدرية ويجوز ان تكون زائدة والاول أولى والمعنى قصرتم في شأنه ولم تحفظوا عهداً بيكم فيه (فلن أبرح الارض) يقال برح ابرح ورحا أى زال فاذا دخله النقي صار مثبتاً أى لن أبرح من أرض مصر بل أرتها ولا أفرقها ولا أزال مقيماً فيها على ان أبرح هتامة (حتى يأذن لي أبى)

للمخالفين و امره بأن اعمالهم ستعرض عليه تبارك وتعالى وعلى الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين وهذا كائن لا محالة يوم القيامة كما قال يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية وقال تعالى يوم تبلى السرائر وقال وحصل ما في الصدور وقد يظهر الله تعالى ذلك للناس في الدنيا كما قال الامام احمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن ابى الهيثم عن ابى سعيد مرفوعاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو أن احدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لا يخرج الله عمله للناس كائناً ما كان وقد ورد أن اعمال الاحياء تعرض على الاموات من الاقرباء والعشائر في البرزخ كما قال ابوداود الطيالسي حدثنا

الصلت بن دينار عن الحسن بن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اعمالكم تعرض على اقرباكم وعشائركم في قبورهم فان كان خيرا استبشروا به وان كان غير ذلك قالوا اللهم اهلهم ان يعلموا بطاعتك وقال الامام اجدنا نبأنا عبد الرزاق عن سفيان عن سمع انسا يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم ان اعمالكم تعرض على اقرار بكم وعشائركم من الاموات فان كان خيرا استبشروا به وان كان غير ذلك قالوا اللهم لاتتمهم حتى تهديهم كما هدينا وقال البخاري قالت عائشة رضی الله عنها اذا اعجبك حسن عمل امرئ (٦٤) فقل اعلموا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون وقد ورد في الحديث

شبهه بهذا قال الامام احمد حدثنا يزيد بن حماد ثنا حماد بن عمار عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا عليكم ان تعجبوا باحد حتى تنظروا به يحتم له فان العامل يعمل زمانا من عمره او برهة من دهره بعمل صالح لومات عليه دخل الجنة ثم يتحول فيعمل عملا سيئا وان العبد ليعمل البرهة من دهره بعمل سيئ لومات عليه دخل النار ثم يتحول فيعمل عملا صالحا واذا اراد الله بعبده خيرا استعمله قبل موته قالوا يا رسول الله وكيف يستعمله قال يوفقه لعمل صالح ثم يقبضه عليه تقر به الامام احمد من هذا الوجه (واخرون مرجون لامر الله اما بعدنهم وما يتوب عليهم والله عليم حكيم) قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك وغير واحد من الثلاثة الذين خلفوا الى عن التوبة وهم مرارة بن الربيع وكعب بن مالك وهلال بن امية قعدوا في غزوة تبوك في جملة من قعد كسلا وميلا الى الدعة والحفظ وطيب الثمار والظلال لاشكاوتنقافا فكانت منهم طائفة ربطوا انفسهم بالسوارى كما فعل اوليا به واصحابه

في مفارقتها والخروج منها بالعود اليه وانما قال ذلك لانه يستحي من ابيه ان ياتي اليه بغير ولده الذي اخذ عليهم الميثاق بارجاعه اليه الا ان يحاط بهم كما تقدم (أو يحكم الله لي) بمفارقتها والخروج منها وقيل المعنى أو يحكم الله لي بخلاص أخي من الاسر حتى يعود الي أي وأعود معه وقيل المعنى أو يحكم الله لي بالنصر على من اخذ أخي فاجاز به واخذ أخي منه أو اعجز فانصرف بعد ذلك قال مجاهد اقاتل بسيفي حتى أقتل وعن أبي صالح نحوه (وهو خير الحاكمين) لان احكامه لا تجري الا على ما وافق الحق ويطابق الصواب ومراده بهذا الكلام الالتجاء الى الله في اقامة عذره الى والده يعقوب ثم قال كبيرهم مخاطبا لهم (ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابا نانا ابنك سرق) على البناء للفاعل وذلك لانهم قد شاهدوا استخراج الصواع من وعائه وقرئ على البناء للمفعول قال الزجاج ان سرق يحتمل معنيين أحدهما علم منه السرقة والاخر اتهم بالسرقة أمرهم بهذه المقالة مبالغته في ازالة التهمة عن انفسهم عند ابيهم لانهم كانوا متهمين عنده بسبب وقعة يوسف (وما شهدنا الا بما علمنا) من استخراج الصواع من وعائه وقيل المعنى ماشهدنا عند يوسف بان السارق يسترق الاجماع لنا من شريعتك وشريعة آباءك (وما كلالغيب حافظين) حتى يتضح لنا هل الامر على ماشهدناه أو على خلافه فان الغيب لا يعلمه الا الله فلعل الصواع دم في رحله ونحن لانعلم بذلك وقيل المعنى ما كنا وقت اخذنا له منك ليخرج معنا الى مصر للغيب حافظين بانه سيقع منه السرقة الذي اقتضينا به وقيل الغيب هو الليل ومرادهم انه سرق وهم نيام وقيل مرادهم انه فعل ذلك وهو غائب عنهم فخفي عليهم فعله قال عكرمة ما كنا علم ان ابنك يسرق وعن قتادة نحوه وقال ابن عباس ما كلاله ونهاره ومجيبته وذهابه حافظين (واسأل القرية التي كافيها) أي قولوا لا يتيكم اسأل القرية أي مصر قاله قتادة وابن عباس وقيل هي قرية من قرى مصر نزلوا فيها او امارا ومنها جري فيها حديث السرقة والتفتيش قال المنسرون المراد أهلها وقيل المعنى واسأل القرية نفسها وان كانت جنادا فانك نبي الله والله سبحانه سينطقها فتجيبك ومما يؤيد هذا انه قال سيبويه لا يجوز كهم هند او أنت تريد غلام هند قبل والاول أولى لان مثل هذا النوع من الجاز مشهور في كلام العرب وتعبه الحافظ بن القيم في البديع وقال انما يضر المضاف حيث يتعين ولا يصح الكلام الابتغاده للضرورة كما اذا قيل أكلت الشاة

فان وطائفة لم يفعلوا ذلك وهم هؤلاء الثلاثة المذكورون قبلت توبة اولئك قبل هؤلاء وأرجأ هؤلاء عن التوبة حتى نزلت فان الآية الآتية وهي قوله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الآية وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت الآية كما سأتى بيانه في حديث كعب بن مالك وقوله اما بعدنهم وما يتوب عليهم أي هم تحت عفوا لله ان شاء فعل بهم هذا وان شاء فعل بهم ذالوا لكن رحمة تغلب غضبه وهو عليم حكيم من يستحق العقوبة عن يستحق العفو وحكيم في افعاله واقواله لاله الا هو ولا رب سواه (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من

قبل وليعلم ان اردنا الاحسنى والله يشهد انهم كاذبون لا تقم فيه ابد المسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق ان تقوم فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين) سبب نزول هذه الآيات الكريكات انه كان بالمدينة قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها رجل من الخزرج يقال له أبو عامر الراهب وكان قد تنصر في الجاهلية وقرأ أهل الكتاب وكان فيه عبادة في الجاهلية وله شرف في الخزرج كبير فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجر الى المدينة واجتمع المسلمون عليه وصارت للاسلام كلمة عالية وأظهرهم الله يوم بدر شرق العين (٦٥) أبو عامر بريقه وبارز بالعداوة وظاهر بها وخرج فارا الى كفار مكة من مشركي قريش

يما لهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا بن وافقهم من أحياء العرب وقدموا عام أحد فكان من أمر المسلمين ما كان وامتحنهم الله عز وجل وكانت العاقبة للمتقين وكان هذا الفاسق قد حفر حفرا في ما بين الصنفين فوقع في احدها ن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصيب ذلك اليوم فخرح وجهه وكسرت ربا عيته النبي السفلى وشج رأسه صلوات الله وسلامه عليه وتقدم أبو عامر في أول المبارزة الى قومه من الانصار فخطبهم واستمالهم الى نصره وموافقته فلما عرفوا كلامه قالوا لا نرى الله بك عينا يا فاسق يا عدو الله ونالوا منه وسبوه فرجع وهو يقول والله لقد أصاب قومي بعدى شر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعاه الى الله قبل فراره وقرأ عليه من القرآن فاني ان يسلم وتمرد فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يموت بعدا طريدا فئاته هذه الدعوة وذلك انه لما فرغ الناس من أحد ورأى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم

فان المفهوم من ذلك أكات لجهها خذف المضاف لا يلبس ونظائره كثيرة وليس منه قوله تعالى واستل القرية وان كان أ كثر الاصل ولين يمثلون به فان القرية باسم للسكان في مسكن مجتمع فاعما تطلق القرية باعتبار الامر من كالكاس لما فيه الشراب والذئوب للدول الملائن ماء والخوان للمائدة اذا كان عاها اطعام ونظائره ثم لكثرة استعمالهم هذه اللفظة ودورانها في كلامهم اطلقوها على السكان نارة وعلى المسكن نارة بحسب سياق الكلام وسباقه وانما يفعلون هذا حيث لا لبس فلا ضمار في ذلك ولا حذف فتأمل هذا الموضوع الذي خفي على القوم مع وضوحه انتهى (والغير التي أ قبلنا فيها) أي أصحابها وكانوا قوما معروفين من حيران يعقوب من كنعان جل العير هنا على الدواب نفسها وهذا هو المعنى الحقيقي لها فاحتاج الى تقدير المضاف وفيما سبق على المعنى المجازي وهو نفس أصحابها فاستغنى عن تقدير المضاف (وانا الصادقون) فيما قلنا جازا به هذه الجملة مؤكدة هذا التأكيد لان ما قد تقدم منهم مع أيهم يعقوب يوجب كمال الرية في خبرهم هذا عند السامع وهذا آخر الكلام الذي علمه لهم أخوهم الكبير فلما قالوا هذا يعقوب (قال بل سولت) زينت أو خيلت (لكم أنفسكم أمرا) لأصل له والامر هنا قولهم ان ابنك سرق وما سرق في الحقيقة وقيل المراد بالامر اخر اجهم بنيامين والمضى به الى مصر طلبا للمنفعة فعاد ذلك بالمضرة وقيل هذا الامر قباهم بان السارق يؤخذ بسرقته والاضراب هنا هو باعتبار ما أثبتوه من البراءة لانفسهم لا باعتبار أصل الكلام فانه صحيح والجملة مستأنفة مبنية على سؤال مقدر كغيرها (فصبر جميل) أي فامر صبر أو فصبر جميل أجل بي وأولى لي والصبر الجميل هو الذي لا ييوح صاحبه بالشكوى بل يفوض أمره الى الله ويسترجع وقد ورد ان الصبر عند أول الصدمة (عسى الله ان يأتيهم جميعا) أي ييوسف وأخيه بنيامين والآخر الثالث الباقي بعصره وهو كبيرهم كما تقدم وانما قال هكذا على سبيل حسن الظن بالله عز وجل لانه قد كان عنده ان ييوسف لم يمت وانه باق على الحياة وان غاب عنه خبره واذا اشتد البلاء وعظم كان أسرع الى الفرج قال تعالى سيجعل الله بعد عسر يسرا (انه هو العليم) بحالي (الحكيم) فيما يقضى به (وتولى) أي أعرض (عنهم) وقطع الكلام معهم حين بلغوه خبر بنيامين (و) لما سأل عنه واشتد بلاؤه وبلغ جهده وهاج غمه (قال يا أبا سفيان على يوسف) قال

(٩ فتح البیان خامس) في ارتفاع وظهور زهاب الى هرقل ملك الروم يستنصره على النبي صلى الله عليه وسلم فوعده ومناه وأقام عنده وكتب الى جماعة من قومه من الانصار من أهل النفاق والريب يعدهم ويمنهم انه سيقدم بجيش يقاتل به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويغلبه ويرده عما هو فيه وأمرهم ان يتخذوا له معقلا يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لاداء كتبه ويكون مرصدا له اذا قدم عليهم بعد ذلك فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباهم فبنوه وأحكموه وفرغوا منه قبل خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك وجاءوا فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي اليهم فيصلي في مسجدهم ليجتنبوا بصلاته فيه على تقريره

واثباته وذكروا أنهم انما بنوه للضعفاء منهم وأهل العلة في الليلة الساتية فعصمه الله من الصلاة فيه فقال ان اعلى سقر ولكن اذا رجعنا ان شاء الله فلما قفل عليه السلام راجعا الى المدينة من تبوك ولم يبق بينه وبينها الا يوم أو بعض يوم نزل عليه جبريل بخبر مسجد الضرار وما اعتد به بنوه من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم مسجد قباء الذي أسس من أول يوم على التقوى فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ذلك المسجد من هدمه قبل مقدمه المدينة كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية هم أناس من الانصار بنوا مسجدنا فقال لهم (٦٦) أبو عامر بنوا مسجدنا واستعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب

الى قيصر ملك الروم فاتى بجنود من الروم وأخرج محمد وأصحابه فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا قد فرغنا من بناء مسجدنا فحسب ان تصلى فيه وتدعوننا بالبركة فانزل الله عز وجل لا تقم فيه أبدا الى قوله الظالمين وكذا روى عن سعيد بن جبير ومجاهد وعروة بن الزبير وقتادة وغير واحد من العلماء وقال محمد بن اسحق بن يسار عن الزهري ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمرو بن قتادة وغيرهم قالوا أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى من تبوك حتى نزل بنى أو ان بلدينه وبين المدينة ساعة من نهار وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله اننا قد بنينا مسجدنا الذى العلة والحاجة واليسه المطيرة والدية الساتية وانحسب ان تأتينا قمصلى لنا فيه فقال انى على جناح سفر وحال شغل او كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو قد قدمنا ان شاء الله تعالى أتيناكم فصلينا لكم فيه فلما نزل بنى أو ان أتاه

الزجاج الاصل يا أسقى فابدل من الماء الفالحفة الفحة والاسف شدة الجزع وقيل شدة الحزن عن ابن عباس أى يا حزننا وعن قتادة مشله وعن مجاهد يا حزننا قال يعقوب هذه المقالة لما بلغ منه الحزن غاية ما بلغه بسبب فراقه ليو سف وانضمام فراقه لاختيه بنيامين وبلوغ ما بلغه من كونه أسير اعند ملك مصر فقتضت احزانه وهاج عليه الوجد القديم بما أتاه من الخبر الاخير وقدرى عن سعيد بن جبير ان يعقوب لم يكن عنده ما ثبت فى شريعتنا من الاسترجاع والصب على المصائب ولو كان عنده ذلك لما قال يا أسفا على يوسف يعنى ان الاسترجاع خاص بهذه الامة ومعنى المناذلة الاسف طلب حضوره كأنه قال تعال يا أسقى وأقبل على وفيه شكوى الى الله لانه (وابيضت عيناه من الحزن) أى انقلب سواد عينه بياضا من كثرة البكاء قيل انه زال ادراكه بحاسة البصر بالمرّة قال مقاتل لم يبصر شيئا ست سنين والترمه بعضهم بناء على جواز مثل هذا على الانبياء بعد التبليغ وقيل كان يدرك ادراك ضعيفا قال بعض أهل اللغة الحزن بالضم والسكون البكاء ويفتحين ضد الفرح وقال أكثر أهل اللغة هما الغتان بمعنى والبكاء بالمد رفع الصوت وبالقص زول الدمع من غير صوت وهو المناسب هنا وهو أحد قولين والذى جرى عليه المصباح والقاموس انه لا فرق بينهما فى ان كلا يستعمل فى كل ما وقد قيل فى توجيه ما وقع من يعقوب عليه السلام من هذا الحزن العظيم المقضى الى ذهاب بصره كلا أو بعضا انه انما وقع منه ذلك لانه علم ان يوسف حتى تخاف على دينه مع كونه بأرض مصر وأهلها حينئذ كفار وقيل ان مجرد الحزن ليس محرما وانما المحرم ما يفضى منه الى الولة وشق الثياب والتكلم بما لا ينبغي قال أبو السعود وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند النوائب فان الكف من ذلك مما لا يدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ولده ابراهيم وقال تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخن الرب واناعليك يا ابراهيم لحزنون انتهى ويؤيد هذا قوله (فهو كظيم) أى مكظوم فان معناه انه مملوء من الحزن ممسك له لا يبته ومنه كظم الغيظ وهو اخفاؤه فالكظوم المسدود عليه طريق حزنه من كظم السقاء اذا سدده على ما فيه والكظم بالفتح مخرج النفس يقال أخذنا كظامة وقيل الكظيم بمعنى الكاظم أى المشتمل على حزنه المسك له ومنه الكاظمين الغيظ وقال الزجاج معنى كظيم محزون

خبر المسجد فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم أخا بنى عوف ومعين بن عدى وأخاه عامر ابن عدى أخا بلجبلان فقال انطلقا الى هذا المسجد النظام أهله فاهدماه وحرقا فخر جاسر يعين حتى أتيا بنى سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم فقال مالك لعن انظرنى حتى أخرج اليك بنار من أهلى فدخل أهله فاخذ سعدا من الخيل فاشعل فيه ناراً ثم خرجا يشتدان حتى دخلا المسجد وفيه أهله فحرقا وهدماه وتفرقا عنه ونزل فيهم من القرآن ما نزل والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا الى آخر القصة وكان الذين بنوه اثني عشر رجلا خدام بن خالد بن بنى عبد بن زيد أخا بنى عمرو بن عوف ومن داره أخرج

مسجد الشقاق وتعليه بن حاطب من بني عبيدومو الى بني أمية رهط أبي لبابة بن عبد المنذر وقوله وليحلفن أي الذين بنوه ان أردنا
 الاحسنى أي ما أردنا بيننا من الاخير اورفقنا بالناس قال الله تعالى والله يشهد انهم لكاذبون اي فيما قصدوا وفيما نواوا وانما بنوه ضارا
 لمسجد قباء وكفر بالله وتفر يقابن المؤمنين وارصاد المن حارب الله ورسوله من قبل وهو أبو عامر الفاسق الذي يقال له الراهب
 لعنه الله وقوله لا تقم فيه أبدانهم له صلى الله عليه وسلم والامة تبع له في ذلك عن ان يقوم فيه اي يصلي أبدأ ثم حثه على الصلاة
 بمسجد قباء الذي أسس من أول يوم بنيانه على التقوى وهي طاعة الله (٦٧) وطاعة رسوله وجعل كلمة المؤمنين ومعقلا وموثلا

للاسلام وأهله ولهذا قال تعالى
 لمسجد أسس على التقوى من
 أول يوم أحق ان تقوم فيه والسياق
 انما هو في معرض مسجد قباء
 ولهذا جاء في الحديث الصحيح ان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
 يزور مسجد قباء راكبا ومشيا وفي
 الحديث ان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم لما بناه وأسس أول
 قدمه ونزوله على بني عمرو بن
 عوف كان جبريل هو الذي عين له
 جهة القبلة قالته أعلم وقال أبو
 داود حدثنا محمد بن العلاء حدثنا
 معاوية بن هشام عن يونس بن الحرث
 عن ابراهيم بن أبي ميمونة عن أبي
 صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه
 عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
 نزلت هذه الآية في أهل قباء فيه
 رجال يحبون أن يتطهروا قال
 كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم
 هذه الآية ورواه الترمذي وابن
 ماجه من حديث يونس بن الحرث
 وهو ضعيف وقال الترمذي غريب
 من هذا الوجه وقال الطبراني
 حدثنا الحسن بن علي العمري
 حدثنا محمد بن حميد الرازي حدثنا
 سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق

وعن ابن عباس قال كظيم حزين وعن قتادة قال كظم على الحزن وحزنه في جوفه فلم يقل
 الاخيرا وعن عطاء الخراساني قال مكروب وعن عكرمة مشله وعن الخالد الكظيم
 الكمد وعن مجاهد نحوه قال الحسن كان بين خروج يوسف من حجر أبيه الى يوم التقيا
 ثمانون سنة ولم تجف فيها عيناي بعقوب وما على وجه الارض يومئذ كرم على الله منه
 والله أعلم (قالوا تالله تفتؤنذ كرىوسف) أي لا تفتؤنذ حرف النفي لعدم اللبس
 قال القراء ان لامضمة قال النحاس والذي قال صحيح وعن الخليل وسيبويه مثل قول
 القراء قال الكسائي فتأت وقتيت أفعل كذا أي ما زلت وعن ابن عباس تفتأ أي لا تزال
 تذكري يوسف ولا تفتعن حبه (حتى تكون حرضا) أي دنفا من المرض قاله ابن عباس
 وقال قتادة همر ما والخرض مصدر يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والصفة
 المشبهة حرض بكسر الراء كدنف ودف وأصل الحرض الفساد في الجسم أو العقل من
 الحزن أو العشق أو الهرم حتى ذلك عن أبي عبيدة وغيره وقيل الحرض مادون الموت وقيل
 الحارض البالي الدائر وقال القراء الحارض الفاسد الجسم والعقل وكذا الحرض وقال
 المؤرج هو الذائب من الهرم ويقال رجل محرض قال النحاس وحكي أهل اللغة أحرضه
 الهم اذا أسقمه ورجل حارض أي أحق وقال الاخفش الحارض الذاهب وقال ابن
 الانباري هو الهالك وفي المصباح حرض حرضا من باب تعب أشرف على الهلاك والاولى
 تفسير الحرض هنا بغير الموت والهلاك من هذه المعاني المذكورة لقوله (أو تكون من
 الهالكين) أي من الميتين قاله مجاهد وغيرهم منع بعقوب من البكاء والحزن والاسف
 شفقة عليه وان كانوا هم سبب احزانه ومنشأ همومه ونغمومه (قال انما أشكو ابني
 وحزني) بضم الحاء وسكون الزاي وقرئ بفتحهم ما (الى الله) هذه الجملة مستأنفة
 كأنه قيل فما قال يعقوب لما قالوا له ما قالوا والبث ما ردد على الانسان من الاشياء التي
 تعظم حزن صاحبها حتى لا يقدر على اخفائها كذا قال أهل اللغة وهو مأخوذ من ينثته
 أي فرقته فسميت المصيبة بنا مجازا قال ابن قتيبة البث أشد الحزن وقد ذكر المفسرون
 أن الانسان اذا قدر على كتم ما نزل به من المصائب كان ذلك حزا وهم ما وان لم يقدر على
 كتمه وذكروه لغيره كان ذلك بثا فالبث على هذا أعظم الحزن وأصعبه وقيل البث الهم
 وقيل الحاجة وعلى هذا يكون عطف الحزن على البث واضح المعنى وأما على تفسير البث

عن الاعش عن مجاهد عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية فيه رجال يحبون ان يتطهروا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
 عويم بن ساعدة فقال ما هذا الطهور الذي أتني الله عليكم فقال يا رسول الله ما خرج من ارجل ولا امرأته من الغائط الا غسل فرجه
 أو قال مقعدته فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو هذا وقال الامام أحمد حدثنا حسن بن محمد حدثنا أبو أويس حدثنا شرحبيل عن
 عويم بن ساعدة الانصاري انه حدثه ان النبي صلى الله عليه وسلم أتاهم في مسجد قباء فقال ان الله تعالى قد أحسن عليكم النماء في
 الطهور في قصة مسجدكم فاعهدوا الطهور الذي تطهرون به فقالوا والله يا رسول الله ما نعلم شيئا الا انه كان لنا جبر من اليهود فكانوا

يغسلون أديبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا ورواه ابن خزيمة في صحيحه وقال هشيم عن عبد الحميد المدني عن ابراهيم بن المعلى الانصاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعويم بن ساعدة ما هذا الذي اثنى الله عليكم فيه رجال يحبون ان يتطهروا الآية قالوا يا رسول الله انا نغسل اديبارنا بالماء وقال ابن جرير حدثني محمد بن عمار الاسدي حدثنا محمد بن سعد عن ابراهيم بن محمد عن شرجيل بن سعد قال سمعت خزيمة بن ثابت يقول نزلت هذه الآية فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال كانوا يغسلون أديبارهم من الغائط حديث آخر (٦٨) قال الامام أحمد بن حنبل حدثنا يحيى بن آدم حدثنا مالك بن يحيى بن مغول سمعت

سيار ابا الحكم عن شهر بن حوشب عن محمد بن عبد الله بن سلام قال لقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعنى قبا فقال ان الله عز وجل قد اثنى عليكم في الطهور وخيرا أفلا تتخبرون يعنى قوله فيه رجال يحبون ان يتطهروا فقالوا يا رسول الله انا نجد مكتوبا علينا في التوراة الاستنجاء بالماء وقد صرح بانه مسجد قبا جماعة من السافروا على ابن ابي طلحة عن ابن عباس ورواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة بن الزبير وقاله عطية العوفي وعبد الرحمن بن زيد ابن اسلم والشعبي والحسن البصري ونقله البغوي عن سعيد بن جبير وقاتدة وقد ورد في الحديث الصحيح ان مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي في جوف المدينة هو المسجد الذي أسس على التقوى وهذا صحيح ولا منافاة بين الآية وبين هذا لانه اذا كان مسجد قبا قد أسس على التقوى من أول يوم فمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الاولى والاخرى ولهذا قال الامام أحمد بن حنبل في مسنده

بالحزن العظيم فكانه قال انما أشكو حزننى العظيم ومادونه من الحزن القليل الى الله لا الى غيره من الناس ولا اليكم وعن مسلم بن يسار يرفعه قال من بث لم يصبر ثم قرأ هذه الآية آخره ابن جرير وعبد الرزاق قال ابن عباس بنى همدى (وأعلم من الله) أى من لطفه واحسانه وثوابه على المصيبة (ملا تعلمون) انتم وانه يأتي بالفرج من حيث لا أحسب وقيل أراد علمه بان يوسف حتى لكنه لم يعرف أين هو وقيل أراد علمه بان رؤياه صادقة وانى لا يسجد له قاله ابن عباس وقيل اعلم من اجابة المضطر الى الله (يا بنى اذهبوا فحسبوا) التحسس بمهمات طلب الشيء بالحواس مأخوذ من الحس أو من الاحساس أى اذهبوا فتعرفوا (من) خبر (يوسف وأخيه) بالخاصة كالبصر والسمع وتطلبوه وقرئ بالجمع وهو أيضا التطلب وقيل بالخاصة في الخير وبالجمع في الشر ومنه الجاسوس ومن هنا عني عن لانه لا يقال تحسست من فلان بل عن فلان وهى للتبعض أى تحسسوا وخبر من اخبارهما ولم يقل وأخوه لانه كان يعلم ان الثالث مقيم بمصر فليس حاله مجهول اعنده بخلافهما (ولا تئسوا من روح الله) أى لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه ورجته قال الاصمعي الروح ما يجده الانسان من نسيم الهواء فيسكن اليه والتركيب يدل على الحركة والهزة فكل ما يهتز الانسان بوجوده ويلتذبه فهو روح وحكى الواحدى عنه أيضا الروح الاستراحة من غم للقلب وقال أبو عمرو الروح الفرج وعن ابن زيد قال من فرج الله يفرج عنكم الغم الذى أنتم فيه وقال ابن عباس الروح الرحمة يعنى انه استعير الروح للرحمة وقيل انه مصدر بمعنى الرحمة (انه لا يئس من روح الله الا القوم الكافرون) لكونهم لا يعلمون بقدرة الله سبحانه وعظيم صنعه وحقى أظافه والمؤمن يصبر عند البلاء وينتظر الفرج والرحمة فينال به خيرا ويحمد الله عند الرخاء والكافر بضد ذلك (فلما دخلوا عليه) أى على يوسف والتقدير فذهبوا كما أمرهم أبوههم الى مصر ليحسسوا من يوسف وأخيه فلما دخلوا على يوسف (قالوا يا أيها العزيز) أى الملك الممتنع القادر وكان العزيز لقب ملك مصر يومئذ (مسنأ وأهلنا الضر) أى الجوع والحاجة قال قاتدة الضر فى المعيشة وعدلوا الى الشكوى لان المتحسس يتوصل الى مطلوبه بجميع الطرق والاعتراف بالمجزؤى يدوشدة الحاجة مما يرقق القلب فقالوا اشتمت به هذه الامور فان رقق قلبه لناذ كرنا المقصود والاشكونا وفيه دليل على انه

حدثنا أبو نعيم حدثنا عبد الله بن عامر الاسلمى عن عمران بن ابي أنس عن سهل بن سعد عن ابي بن كعب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال المسجد الذى أسس يجوز على التقوى مسجدى هذا انفرده احد حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا ربيعة بن عثمان التميمي عن عمران بن ابي أنس عن سهل بن سعد الساعدي قال اختلف رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد الذى أسس على التقوى فقال أحدهما هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الآخر هو مسجد قبا فانما النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فقال هو مسجدى هذا انفرده أحد أيضا حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا ثابث عن عمران بن ابي أنس عن سعيد

ابن أبي سعيد الخدري قال تبارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم فقال أحدهما هو مسجد قباء وقال الآخر هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا تفرد به أحد طريق أخرى قال الامام أحمد حدثنا اسحق بن عيسى حدثنا ثني عمران بن أبي أنس عن ابن أبي سعيد عن أبيه انه قال تبارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم فقال رجل هو مسجد قباء وقال الآخر هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو مسجدى وكذا رواه الترمذى والنسائى عن (٦٩) قتيبة عن الليث وصححه الترمذى ورواه مسلم كما سياتى

طريق أخرى قال الامام أحمد حدثنا يحيى عن أنيس بن أبي يحيى حدثنا يحيى قال سمعت أبا سعيد الخدري قال اختلف رجلان رجل من بني خديرة ورجل من بني عمرو بن عوف في المسجد الذي أسس على التقوى فقال الخدري هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال العمري هو مسجد قباء فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن ذلك فقال هو هذا المسجد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال في ذلك يعنى مسجد قباء طريق أخرى قال الامام أحمد حدثنا يحيى عن أنيس قال أبو جعفر بن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا حنيفة الخراط المدني سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن أبي سعيد فقلت كيف سمعت أبا بكر يقول في المسجد الذي أسس على التقوى فقال انى أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه في بيت لبعض نسائه فقلت يا رسول الله أين المسجد الذي أسس على التقوى قال فأخذ كفا من حصياء فضرب به الارض ثم قال هو مسجدكم هذا ثم قال سمعت

يجوز الشكوى عند الضرورة اذا خاف من اصابته على نفسه كما يجوز للعليل ان يشكو الى الطبيب ما يجده من العلة وعبارة أبي السعود وانما يريد وأما أمر وابه استجلا بالرافة والشفقة ليعموا بما قدموا من رقة الحال رقة القلب والحنوانة حتى وهذه المرة التى دخلوا فيها مصر هي المرة الثالثة كما يفيد ما تقدم من سياق الكتاب العزيز (وجئنا ببضاعة من جاة) البضاعة هي القطعة من المال يتصدق بها بشراء شئ يقال ابضعت الشئ واستبضعته اذا جعلته بضاعة وفي المثل كاستبضع التمر الى هجر والازياء السوق بدفع وقال الواحدى في اللغة السوق والدفع قليلا قليلا ومنه قوله تعالى ألم تر أن الله يرحم بني سحبابا والمعنى انها بضاعة تدفع ولا يقبلها التجار قال نعلب البضاعة المزجة الناقصة غير التامة قال أبو عبيد انما قيل للدراهم الرديئة من جاة لانها مردودة مدفوعة غير مقبولة قال ابن عباس دراهم من جاة أى كاسدة وعنه أيضا من جاة رثة المتاع خلفة الجبل والغرارة والشئ وأيضا الورق الزيوف التى لا تنفق حتى يوضع منها وفي القاموس زجاء ساقه ودفعه ومن جاة قليله أو لا يتم صلاحها وفي الصباح زججته بالثقل دفعته برفق واختلف في هذه البضاعة ما هي فقيل كانت قديدا وحيدا وقيل صوف وسمن وقيل الحبة الخضراء والصنوبر وقيل دراهم رديئة زيوف وقيل النعال والأدم ثم طلبوا منه بعد أن أخبروه بالبضاعة التى معهم ان يوفى لهم الكيل أى يجعله تاما لانقص فيه وان يتصدق عليهم فقالوا (فأوف لنا الكيل وتصدق علينا) اما بزيادة يدها لهم على ما يقابل بضاعتهم أو بالانخفاض عن رداءة البضاعة التى جاؤا بها وان يجعلها كالبضاعة الجيدة فى ابقاء الكيل لهم بها وهذا قال أكثر المفسرين وقد قيل كيف يطلبون التصديق عليهم وهم أنبياء والصدقة محرمة عليهم واجيب باختصاص ذلك بنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقال ابن جرير معنى قولهم اردد علينا أغانا وبه قال الضحاك وقال ابن التبارى وكان الذى يسألونه من المسامحة يشبهه الصدقة لانفس الصدقة (ان الله يجزى المتصدقين) بما يجعله لهم من الثواب الاخرى أو التوسيع عليهم فى الدنيا قال الضحاك ولم يقولوا ان الله يجزىك لانهم لم يعلموا انه مؤمن ولما قالوا ذلك لم يمالئ يوسف ان عرفهم نفسه حيث (قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه) الاستفهام للتوبيخ والتقرير وقد كانوا ملين بذلك ولكنه أراد ما ذكرناه ويستناد منه تعظيم الواقعة لكونه فى قوة ما أعظم

أبا بكر يذكره رواه مسلم منفردا به عن محمد بن حاتم عن يحيى بن سعيد به ورواه عن أبي بكر بن أبي شيبة وغيره عن حاتم بن اسمعيل عن حميد الخراط به وقد قال بانه مسجد النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من السلف والخلف وهو مروى عن عمر بن الخطاب وابنه عبد الله وزيد بن ثابت وسعيد بن المسيب واختاره ابن جرير وقوله لمسجد أسس على التقوى من أول يوم احق أن تقوم فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين دليل عن استحباب الصلاة فى المساجد القديمة المؤسسة من أول بناءها على عبادة الله وحده لا شريك له وعلى استحباب الصلاة مع الجماعة الصالحين والعباد العالمين المحافظين على اسباغ الوضوء والتمتع عن ملابسة

القاذورات وقد قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن عبد الملك بن عمير سمعت شيبا أبا روح يحدث عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم الصبح فقرا الروم فيها فاهوهم فلما انصرف فقال انه يلبس علينا القرآن ان أقواما منكم يصلون معنا لا يحسنون الوضوء في شهد الصلاة معنا فليحسن الوضوء ثم رواه من طريقين آخرين عن عبد الملك بن عمير عن شيب أبي روح من ذى الكلاع انه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم فذكره فدل هذا على ان اكمل الطهارة يسهل القيام في العبادة ويعين على اتقانها (٧٠) وكالها والقيام عشر وعاتها وقال أبو العالسة في قوله تعالى والله

يجب المطهري ان الطهور بالماء الحسن ولكنهم المطهرون من الذنوب وقال الاعمش التوبة من الذنوب والتطهر من الشرك وقد ورد في الحديث المروى من طرق في السنن وغيرها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاهل قباة قد آتني الله عليكم في الطهور فإذا تصنعون فقالوا استنجي بالماء وقد قال الخافظ أبو بكر البزار حدثنا عبد الله بن شيب حدثنا ابن محمد بن عبد العزيز قال وجدته في كتاب أبي عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في أهل قباة فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان اتبع الحجارة بالماء رواه البزار ثم قال تفرد به محمد بن عبد العزيز عن الزهري ولم يرو عنه سوى انه قلت وانما ذكرته بهذا اللفظ لانه مشهور بين الفقهاء ولم يعرفه كثير من المحدثين المتأخرين أو كلهم والله أعلم (أخبر أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان

الامر الذي ارتكبتم من يوسف وأخيه وما أقبح ما أقدمتم عليه كما يقال للمذنب هل تدري من عصيت والذي فعله يوسف هو ما تقدم مما قصه الله سبحانه علينا في هذه السورة وأما ما فعلوا بأخيه فقال جماعة من المنسرين هو ما دخلوه عليه من الغم بفراق أخيه يوسف وما كان يناله منهم من الاحتقار والاهانة ولم يستفهمهم عما فعلوا بهم يعقوب مع انه قد ناله منهم ما قصه الله فيما سبق من صنوف الاذى قال الواحدى ولم يذكر أباه يعقوب مع عظيم ما دخل عليه من الغم بفراقه تعظيما له ورفع من قدره وعلم بان ذلك كان بلاءه من الله عز وجل ليزيد في درجته عنده تعالى (إذا أنتم جاهلون) فني عنهم العلم وأثبت لهم صفة الجهل لانهم لم يعملوا بما يقتضيه العلم وقيل انه أثبت لهم صفة الجهل لقصد الاعتذار عنهم وتخفيف الامر عليهم فكأنه قال انما أقدمتم على ذلك الفعل القبيح المنكروقت عدم علمكم بما فيه من الاثم وقصوم معارفكم عن عقابته وما يترتب عليه أو أراد انهم عند ذلك في أو ان الصبا وزمان الصغرا اعتذار الهيم ودفعا لما يدهمهم من الخجل والحيرة مع علمه وعلمهم بانهم كانوا في ذلك الوقت كبارا وهذه الآية تصديق لقوله تعالى وأوحينا اليه لتبينتهم يا مرهم هذا وهم لا يشعرون (قالوا أنثك لانت يوسف) قرئ بالاستفهام التقريرى وبدونه وكان ذلك منهم على طريق التعجب والاستغراب وقيل سبب معرفتهم له بمجرد قوله ما فعلتم يوسف وأخيه انهم لما قال لهم ذلك تنبهوا وفهموا انه لا يخاطبهم بمثل هذا الا هو وقيل انه لما قال لهم هذه المقالة وضع التاج عن رأسه فعرفوه وقيل انه تبسم فعرفوا شياها (قال أنابوسف) أجابهم بالاعتراف بما سأله عنده قال ابن الانبارى أظهر الاسم فقال انابوسف ولم يقل اناهو تعظيما لما وقع له من ظلم اخوته كأنه قال انا المظلوم المستحل منه المحرم المراد قتله فاكتفى بإظهار الاسم عن هذه المعاني وقال (وهذا أخي) مع كونهم يعرفونه ولا ينكرونه لان قصده وهذا أخي المظلوم كظلمى (قدمت الله علينا) بالخلاص عما يتلناه وقيل من الله علينا بكل خير في الدنيا والآخرة وقيل بالجمع بيننا بعد التفرق وقيل بالسلامة في ديننا ودنيانا ولا مانع من ارادة جميع ذلك (انه من يتق ويصبر) قرئ بالجزم على ان من شرطية وقرئ بانباء الياء في يتق وقيل من موصولة لا شرطية وهو بعيد والمعنى من يفعل التقوى أو يفعل ما يتقيه من الذنوب ويصبر على المصائب وقيل يتق الزنا ويصبر على العزوبة وقيل يتق المعصية ويصبر على السجن وقيل

يتق خيرا من أسس بنيانه على شفاعر هارفا نهار بى نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين لا يزال بنيانهم

الذي بنوا ريبه في قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم والله عليم حكيم) يقول تعالى لا يستوى من أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان ومن بنى مسجدا ضارا وكفرا وتفر يقابن المؤمنين وارصاد المن حارب الله ورسوله من قبل فأتنا بني هؤلاء بنيانهم على شفاعر هارأى طرف حفيرة مثالة في نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين أى لا يصلح عمل المفسدين قال جابر بن عبد الله رأيت المسجد الذي بنى ضارا يخرج منه الدخان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن جرير ذكرنا ان رجلا حفر

فوجدوا الدخان يخرج منه وكذا قال قتادة وقال خلف بن ياسين المكون في رأيت مسجد المنافقين الذي ذكره الله تعالى في القرآن وفيه حجر يخرج منه الدخان وهو اليوم مزبلة رواه ابن جرير رحمه الله وقوله تعالى لا يزال بنياهم الذي بنوا ريمة في قلوبهم أي شكوا ونفاقا بسبب اقدامهم على هذا الصنيع الشنيع أو رثهم نفاقا في قلوبهم كما أشرب عبدوا العجل حبه وقوله الا ان تقطع قلوبهم أي يموتهم قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وزيد بن أسلم والسدي وحبيب بن أبي ثابت والضحالك وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم وغير واحد من علماء السلف والله عليهم أي بأعمال خلقه حكيم (٧١) في مجازاتهم عنهما من خير وشر (ان الله اشترى من

المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فمقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى به هدمه من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) يخبر تعالى انه عاوض من عبادة المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم اذ بذلوا في سبيل الجنة وهذا من فضله وكرمه واحسانه فانه قبل العوض عما يملككم بما تفضل به على عبده المطيعين له ولهذا قال الحسن البصري وقتادة بايعهم والله فاعل عنهم وقال شمر بن عطية ما من مسلم الا والله عز وجل في عنقه بيعة وفيها أوامات عليها ثم تلا هذه الآية ولهذا يقال من حمل في سبيل الله بايع الله أي قبل هذا العقد وفيه وقال محمد بن كعب القرظي وغيره قال عبيد الله بن رواحة رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعني لبله العقبه اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال اشترط لربى ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسى ان تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم

يتقى الله بآدائه فرائضه و يصبر عما حرم الله وقيل يتقى الفحشاء و يصبر على الطاعة والعموم أولى ولا وجه لتخصيص نوع دون نوع (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) على العموم فيدخل فيه ما يفيد السباق ودخولا وليا وجاما بالظاهر وكان المقام مقام المضر أي أجرهم للدلالة على ان الموصوفين بالتقوى موصوفون بصفة الاحسان (قالوا والله لقد آثرنا اختارنا وفضلنا) (الله علمنا) بما خصنا به من صفات الكمال أو بالعلم والعقل أو بالملك قاله الضحالك أو بالصبر قاله أبو صالح أو بالحلم والصفح أو بالحسن وقيل بالسبوة وقيل بسائر الفضائل التي أعطاها الله له دون اخوته واللفظ أوسع من ذلك ويدخل فيه ما ذكره دخولا وليا وهذا اعتراف منهم بفضله وعظيم قدره وقيل ولا يلزم من ذلك أن لا يكونوا أنبياء فان درج الانبياء متفاوتة قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ويستعازون بالفضل والايثار للفضل (وان كنا خاطئين) أي وان الشأن كذلك قال أبو عبيدة خطأ وأخطأ واحد وقال الأزهرى الخاطئ من أراد الصواب فصار الى غيره ومنه قولهم المجتهد يخطئ ويصيب والخاطي من تعمد ما لا ينبغي قالوا هذه المقالة المتضمنة للاعتراف بالخطأ والذنب استجبالا بالعموم واستجبالا بالصفحة وقيل آثر لفظ خاطئين على مخطئين موافقة لرؤس الآتى (قال لا تريب) التريب التعمير والتويج أي لا لوم (عليكم اليوم) قال الاصمعي تربت عليه قصت عليه فعله وقال الزجاج المعنى لا افساد لما بيني وبينكم من الحرمة وحق الاخوة ولكم عندي الصفع والعمو وأصل التريب الافساد وهي لغة أهل الحجاز وقال ابن الانباري معناه قد انقطع عنكم توبيخي عند اعترافكم بالذنب قال ثعلب ترب فلان على فلان اذا عدد عليه ذنوبه وأصل التريب من الترب وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش ومعناه ازالة التريب كما ان التجليد والتقريع ازالة الجلد والقرع أي لا تريب مستقروا ثابت عليكم وقد جوز الاخفش الوقف على عليكم فيكون اليوم متعلقا بالفعل الذي بعده وقد ذكر مثل هذا ابن الانباري عن عكرمة قال لا تريب لا تعبير وأخرج أبو الشيخ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال لما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة التفت الى الناس فقال ماذا تقولون وماذا اتظنون فقالوا ابن عم كريم فقال لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم ثم دعاهم بقوله (يعفر الله لكم) على تقدير الوقف على اليوم وهو بمنزلة التعليل أو أخبرهم بان الله قد غفر لهم ذلك

واموالكم قالوا وانما اذا فعلنا ذلك قال الجنة قالوا ربح البيع لان قيل ولا نستقبل فنزلت ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم والايه وقوله يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون أي سوا وقتلوا او قتلوا واجتمع لهم هذا وهذا فقد وجبت لهم الجنة ولهذا جاء في الصحيحين وتكفل الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا جهاد في سبيلي وتصدق بقرسلي بان يوفاه ان يدخله الجنة او يرجعه الى منزله الذي خرج منه نائلا ما نال من اجر او غنمة وقوله وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن تأكيده لهذا الوعد واخباره بان قد كتبه على نفسه الكريمة واتزله على رسوله في كتبه السكاروهي التوراة المترلة على موسى والانجيل المترل على عيسى والقرآن المترل

على محمد صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وقوله ومن اوفى بعهد من الله فانه لا يخلف الميعاد هذا كقوله ومن اصدق من الله حديثا ومن اصدق من الله قيلا ولهذا قال فاستبشر وابيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم اى فليستبشر من قام بعتقى هذا العقد ووفى بهذا العهد بالفوز العظيم والنعيم المقيم (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) هذا نعت المؤمنين الذين اشترى الله منهم انفسهم واموالهم بهذه الصفات الجميلة والخلال (٧٤) الجميلة التائبون من الذنوب كلها التاركون للفواحش العابدون اى القائمون

بعبادة ربهم محافظين عليها وهى الاقوال والافعال فمن اخص الاقوال الحمد فلهذا قال الحامدون ومن افضل الاعمال الصيام وهو ترك الملاذ من الطعام والشراب والجماع وهو المراد بالسياحة ههنا ولهذا قال السائحون كما وصف ازواج النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فى قوله تعالى سائحات اى صائمات وكذا الر كوع والسجود وهما عبارة عن الصلاة ولهذا قال الراكعون الساجدون وهم مع ذلك يتفجعون خلق الله ويرشدونهم الى طاعة الله بامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر مع العلم بما ينبغى فعله ويجب تركه وهو حفظ حدود الله فى تحليله وتحريمه علما وعلا فقاموا بعبادة الحق ونصح الخلق ولهذا قال وبشر المؤمنين لان الايمان يشمل هذا كله والسعادة كل السعادة لمن اتصف به بيان ان المراد بالسياحة الصيام قال سفيان الثورى عن عاصم عن ذر عن عبد الله بن مسعود قال السائحون الصائمون وكذا روى عن سعيد بن جبيرة والوعوفى عن ابن عباس وقال

اليوم على تقدير الوقف على عليكم (وهو ارحم الراحمين) يرحم عباده رحمة لا يترجون بها فيما بينهم فيجازى محسنهم ويعفو لمسيئتهم قال عطاء الخراسانى طلب الخواص الى الشباب أسهل منها عند الشيوخ ألم ترى قول يوسف لا تريب عليكم اليوم وقال يعقوب سوف استغفر لكم ربى أقول وفى هذا الكلام نظر فانهم طلبوا من يوسف ان يعفو عنهم لقولهم لقد آثرنا الله علينا فقال لا تريب عليكم اليوم لان مقصودهم صدور العفو منسفة عنهم وطلبوا من أبيهم يعقوب ان يستغفر الله لهم وهو لا يكون الا بطلب ذلك منه الى الله عز وجل و بين المقامين فرق فلم يكن وعدي يعقوب لهم بخلا عليهم بسؤال الله لهم ولا سيما اذا صح ما تقدم من انه آخر ذلك الى وقت الاجابة فانه لو طلبه لهم فى الحال لم يحصل له علم بالقبول وأخرج الحكيم الترمذى وأبو الشيخ عن وهب بن منبه قال لما كان من أمر اخوة يوسف ما كان كتب يعقوب الى يوسف وهو لا يعلم انه يوسف بسم الله الرحمن الرحيم من يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الى عزيز آل فرعون سلام عليك فانى أجد اليك الله الذى لا اله الا هو أباعدنا أهل بيت مولع بنا أسباب البلاء كان جدى ابراهيم خليل الله ألقى فى النار فى طاعة ربه فجعلها الله عليه بردا وسلاما وأمر الله جدى ان يذبح له أبى ففداه الله بمافداه وكان لى ابن وكان أحب الناس الى ففقدته فاذهب حزنى عليه نور بصرى وكان له أخ من أمه كنت اذا ذكرته ضمته الى صدرى فاذهب عني بعض وجدى وهو المحبوس عندك فى السرة وانى أخبرك لم أسرق ولم ألدسار فالمأقر يوسف الكتاب بكي وصاح وقال (اذهبوا بقميصى) الباء للتعدية أو اذهبوا معكم قميصى (هكذا) نعت له أو بيان أو بديل قيل هو التميمى الذى ألبسه الله ابراهيم لما ألقى فى النار وكساه ابراهيم اسحق وكساه اسحق يعقوب وكان يعقوب أدرج هذا التميمى فى قصب وعلقه فى عنق يوسف لما كان يخاف عليه من العين فاخبر جبريل يوسف ان يرسله الى يعقوب ليعود عليه بصره لان فيه ریح الجنة لا يقع على سقيم الا شقى ولا مبتلى الا عوفى قال ابن عباس ولو علم اخوته اذا لقوه فى الحب لاخذوه فلما أراد الله ان يرد يوسف على يعقوب وكان بين رؤياه وتعبيره أربعون سنة أمر البشير ان يبشره من ثمان مراحل فوجد يعقوب ريحا وليس يقع شئ من الجنة على عاهة من عاهات الدنيا الا أبرأها باذن الله (فالقوه على وجهه أبى يأت بصيرا) المعنى يصير بصيرا على ان يأت هى التى من اخوات

كان

على بن ابى طلحة عن ابن عباس كل ما ذكر الله فى القرآن السياحة هم الصائمون وكذا قال الضحاك رحمه

الله وقال ابن جرير حدثنا احمد بن اسحق حدثنا ابو اسحق حدثنا ابراهيم بن يزيد عن الوليد بن عبد الله عن عائشة رضى الله عنها قالت سياحة هذه الامة الصيام وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبيرة وعطاء وعبد الرحمن السلمى والضحاك بن مزاحم وسفيان بن عيينة وغيرهم ان المراد بالسائح الصائمون وقال الحسن البصرى السائحون الصائمون شهر رمضان وقال ابو عمر والعبدى السائحون الذين يديمون الصيام من المؤمنين وقد ورد فى حديث مرفوع نحو هذا وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع

حدثنا حكيم بن حزام حدثنا سليمان عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السائحون هم الصائمون وهذا الموقوف أصح وقال أيضا حدثني يونس بن مهران عن عمر بن الخطاب عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن السائحين فقال هم الصائمون وهذا أمر سهل جسد وهذا أصح الأقوال وأشهرها وجاء ما يدل على أن السياحة الجهاد وهو ما روى أبو داود في سننه من حديث أبي امامة أن رجلا قال يا رسول الله أئذ لي في السياحة فقال النبي صلى الله عليه وسلم السياحة أمتي الجهاد في سبيل الله وقال ابن المبارك عن ابن لهيعة (٧٣) أخبرني عمار بن غزيرة أن السياحة ذكرت

عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبدلنا الله بذلك الجهاد في سبيل الله والتكبير على كل شرف وعن عكرمة أنه قال هم طلبة العلم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هم المهاجرون رواهما ابن أبي حاتم وليس المراد من السياحة ما قد يفهمه بعض من يتعبد بجرد السياحة في الأرض والتفرج في شواطئ الجبال والكهوف والبراري فإن هذا ليس بمشروع إلا في أيام الفتن والزلازل في الدين كائنت في صحیح البخاري عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوشك أن يكون خير مال الرجل غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يقر بدينه من الفتن وقال العوفي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله والحافظون لحدود الله قال القائلون

كان قال الفرير جمع بصير أو قال السدي يعود بصيرا ويشهد له فارتد بصيرا قبل كان ذلك بوحى الله وقيل بعث اليه قيصة ليزول بكأوه وينشرح صدره قال هوذا أنا أعمل قميص الشفاء كما ذهبت بقميص الجفاء قيل جده وهو حاف حاسر من مصر إلى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا وقيل معناه يأت إلى مصر وهو بصير قد ذهب عنه العمى ويؤيده قوله (وأوتيتي باهلكم أجمعين) أي جميع من شمله لفظ الأهل من النساء والزراري قيل كانوا نحو سبعين وقيل ثلاثة وتسعين (وإنما فصلت العير) أي خرجت منطلقا من عريش مصر أو من مصر إلى الشام يقال فصل فصولا وفصلته فصلا لازم ومتعدو يقال فصل من البلد فصولا إذا انفصل عنه وخرج منه وجاء زحيطانه (قال أبوهم) يعقوب لمن عنده في أرض كنعان من أهله (أني لأجد ريح يوسف) أي أدركها بحاسة الشم أي أشمها أي ريح الجنة من قميص يوسف فالإضافة لادنى ملابسة قيل إنها حاجت ريح فصفت القمص ففاحت روائح الجنة في الدنيا فحلت ريح القمص إلى يعقوب مع طول المسافة فأخبرهم بما وجد قال ابن عباس وجد ريح من مسيرة ثمانية أيام وقيل من مسيرة عشرة أيام وقيل من مسيرة ثمانين فرسخا ثم قال (لولا أن تفقدون) أي لولا أن تنسبوني إلى الهند وهو ذهاب العقل من الهرم يقال أفند الرجل إذا خرف وتغير عقله قال مجاهد وقال أبو عبيدة لولا أن تسفهون فجعل الفند السفه وقال الزجاج وابن عباس لولا أن تجهلون فجعل الفند الجهل وقال أبو عمرو والشيباني التفتيد التفتيح وقيل هو الكذب قاله ابن عباس وقال ابن الأعرابي لولا أن تضعفوا رأيي وروى مثله عن أبي عبيدة وقال الأخفش التفتيد اللوم وضعف الرأي وكل هذه المعاني راجع إلى التهجيز وتضعيف الرأي يقال فسده تفتيدا إذا أعجزه وأفند إذا تكلم بالخطأ والفند الخطأ من الكلام وعن الربيع قال لولا أن تحمقون أخبرهم بعتوب بن الصبأ قد حلت إليه ريح حبيبه وأنه لولا ما نخشا من التفتيد لما شئت في ذلك

فإن الصبار ينج إذا ما تنفت * على نفس مهموم تجلت همومها
إذا قلت هذا حين أسلو يهيجني * نسيم الصبام حيث ما يطلع الفجر
ولقد تهبت لي الصبام أرضها * فيلذ من هبوبها ويطيب
قيل إن ريح الصبا استأذنت ربها في أن تأتي يعقوب بن يوسف قبل أن يأتيه البشير

بطاعة الله وكذا قال الحسن البصري وعنه رواية الحافظون لحدود الله قال لفرأى الله وفي رواية القائلون على أمر الله (ما كان للنبي والذين آمنوا أن

(١٠ فتح البيان خامس) يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قرى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم وما كان استغفار إبراهيم لآبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ان إبراهيم لأواه حليم) قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبيه قال لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقال أي عم قل لا اله الا الله كلمة أوحى لك بها عند الله عز وجل فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية قبا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فقال أنا على ملة عبد المطلب فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تستغفرون للمسلمين انه عنك فيزلت

ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى من بعد ما تبين لهم انهم أصحاب الجحيم قال ونزلت فيه انك
لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء اخر جاهد وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن آدم أخبرنا سفيان عن أبي اسحق عن أبي
الخليل عن علي رضي الله عنه قال سمعت رجلا يستغفر لابي وهما مشركان فقلت ايستغفر الرجل لابي وهما مشركان فقال
اولم يستغفرا برأيه فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين الآية
قال لمسامت فلا أدري قاله سفيان أو قاله اسراييل (٧٤) أو هو في الحديث لمسامت قلت هذا ثابت عن مجاهد انه قال لمسامت

قال أهل المعاني ان الله أوصل اليه ریح يوسف عند انقضاء مدة المحنة من المكان البعيد
ومنع من وصول خبره اليه مع قرب احدي البلدين من الاخرى في مدة ثمانين سنة وذلك
يدل على ان كل سهل فهو في مدة المحنة صعب وكل صعب فهو في زمان الاقبال سهل
(قالوا) أي قال الحاضر ون عندهم من أهله (تالله انك) يا يعقوب (لنني ضللتك)
ذهابك (القديم) عن طريق الصواب الذي كنت عليه قديما من افراط حبك ليوسف
ورجاء لقائه على بعد العهد لا تنساه ولا تغتر عنه ولسان حال يعقوب يقول لهم
لا يعرف الشوق الا من يكابده * ولا الصبابة الا من يعانها
لا تعذل المشفق في اشواقه * حتى تكون حشاك في أحشائه

وقيل الضلال الجنون قاله سعيد بن جبيرة وقيل انك في محبتك القديمة قاله مجاهد وقال
ابن عباس في خطبته القديم قالوا له ذلك لانه لم يكن قد بلغهم قدوم البشير وكان عندهم
ان يوسف قدمات وهلك (فلما ان جاء البشير) بين يدي العير قال ابن عباس البشير
البر يدعون الضحالك مثله قال المفسرون البشير هو يهوذا بن يعقوب قال لاخته انا جئته
بالقميص ملطخا بالدم فأعطني اليوم قميصك لا خبره انك حتى فافرحه كما أفرحت به قال
سفيان (ألقاه على وجهه) أي ألقى البشير قميص يوسف على وجهه يعقوب أو ألقاه
يعقوب على وجه نفسه (فارتد) الارتداد انقلاب الشيء الى حال قد كان عليها والمعنى
عاد (بصيرا) ورجع الى حاله الاولي من صحة بصره وقوته وسروره عن الحسن قال
لسان جاء البشير الى يعقوب فالتى عليه القميص قال علي أي دين خلفت يوسف قال علي
الاسلام قال الآن تمت النعمة (قال) يعقوب لمن كان عنده من أهله الذين قال لهم
اني لاجدر ریح يوسف (ألم أقل لكم) هذا القول فقلت ما قلتم ويكون قوله (اني
أعلم من الله ما لا تعلمون) كلاما مبتدأ لا يتعلق بالقول ويجوز ان تكون الجملة مقول
القول ويريد بذلك اخبارهم بما قاله لهم سابقا انما أشكوبني وحرزني الى الله والمعنى أعلم
من الله ما لا تعلمون من حياة يوسف وان الله يجمع بيننا (قالوا يا انا سئستغفر لنا ذنوبنا
انا كنا خاطئين) طلبوا منه ان يستغفر لهم واعترفوا بالذنب وفي الكلام حذف
والتقدير لما رجعوا من مصر ووصلوا الى أبيهم قالوا هذا القول اعتذارا عما حصل منهم
فوعدهم بما طلبوه منه و (قال سوف أستغفر لكم ربي) قال الزجاج أراد يعقوب ان

وقال الامام أحمد حدثنا الحسن
ابن موسى حدثنا زهير حدثنا
زيد بن الحرث البجلي عن محارب
ابن دينار عن ابن بريدة عن أبيه
قال كأمع النبي صلى الله عليه وسلم
ونحن في سفر فنزل بنا رشمقن قريب
من ألف راكب فصلى ركعتين
ثم أقبل علينا بوجهه وعيناه
تذرفان فقام اليه عمر بن الخطاب
وفدما بالاب والام وقال يا رسول
الله مالك قال اني سألت ربي عز
وجل في الاستغفار لامي فلم يأذن
لي فدمعت عينا رجمة لها من
النار واني كنت نهيتكم عن ثلاث
نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها
لتذكركم زيارتها خيرا ونهيتكم
عن لحوم الاضاحي بعد ثلاث
فكلوا أو أمسكوا ما شئتم ونهيتكم
عن الاشرية في الاوعية فاشربوا
في أي وعاء شئتم ولا تشربوها مسكرا
وروى ابن جرير من حديث علقمة
ابن مرثد عن سليمان بن بريدة عن
أبيه ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما قدم مكة أتى رسم قبر جلس
اليه فجعل يخاطب ثم قام مستعبرا
فقلنا يا رسول الله انارأينا ما صنعت

يستغفر

قال اني استأذنت ربي في زيارة قبر ابي فاذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي فخارت بايكا

أكثر من يومئذ وقال ابن أبي حاتم في نفسه حدثنا أبي حدثنا ابن خداس حدثنا عبد الله بن وهب عن ابن جريح عن أيوب
ابن هانئ عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما الى المقابر فاتبعناه فيما حتى جلس
الى قبر منها فناجاه طويلا ثم بكى فبكينا ثم قام فقام اليه عمر بن الخطاب فدعاه ثم دعانا فقال ما أبكاكم فقلنا بكينا لباك قال ان
القبر الذي جلست عنده قبر آمنه واني استأذنت ربي في زيارتها فاذن لي ثم أوردته من وجه آخر ثم ذكر من حديث ابن مسعود

قريباً منه وفيه واني استأذنت ربي في الدعاء لها فلم يأذن لي وأُنزل علي ما كان للنبي والذين آمنوا الآية فاخذني ما يأخذ الوالد للوالدو كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكرا الآخرة حديث آخر في معناه قال الطبراني حدثنا محمد بن علي المروزي حدثنا أبو الدرداء عبد العزيز بن شبط حدثنا اسحق بن عبد الله بن كيسان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أقبل من غزوة تبوك واعتمر فلما هبط من ثنية عسفان أمر أصحابه استسندوا الى العقبة حتى ارجع اليكم فذهب فنزل على قبراه فنبأ جريه بطويلا ثم انه بكى فاستد بكاؤه (٧٥) وبكى هو لالمكائه وقالوا ما بكى نبي الله بهذا المكان

الاوقداً حدث في أمته شيء لا تطيقه فلما بكى هو لالمكائه قام فرجع اليهم فقال ما يبكيكم قالوا يا نبي الله بكينا لبكائك فقلنا العلاء حدث في أممك شيء لا تطيقه قال لا وقد كان بعضه ولكن نزلت علي قبر أمي فسألت الله ان يأذن لي في شفاعتهم يا يوم القيامة فاني الله ان يأذن لي فرجتها وهي أمي فبكت ثم جاءني جبريل فقال وما كان استغفار ابراهيم لا يسه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه فبكر أنت من أمك كما تبرأ ابراهيم من أبيه فرجتها وهي أمي ودعوت ربي ان يرفع عن أمي ارفع عنهم اثنيتين وأبي ان يرفع عنهم اثنيتين دعوت ربي ان يرفع عنهم الرجم من السماء والغرق من الارض وان لا يلبسهم شيئا وان لا يذيق بعضهم بأس بعض فرفع الله عنهم الرجم من السماء والغرق من الارض وأبى الله ان يرفع عنهم القتل والهرج وانما عدل الى قبراه لانها كانت مدفونة تحت كفا وكانت عسفان لهم وهذا حديث

يستغفر لهم في وقت السحر لانه أخلق باجابة الدعاء لانه يجزل عليهم بالاستغفار قاله ابن مسعود وقال ابن عباس آخرهم الى السحر وكان يصلي بالسحر لان دعاء السحر مستجاب وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عنه أيضاً قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قصة هو قول أخى يعقوب لابنيه سوف استغفر لكم ربي يقول حتى تأتي ليلة الجمعة قيل أخره الى ليلة الجمعة لانها أشرف الاوقات وقيل أخره الى ان يستحل لهم من يوسف ولم يعلم انه قد عفا عنهم أو ليعرف حالهم في صدق التوبة ووجهه (انه هو الغفور الرحيم) تعليل لما قبلها (فلما دخلوا على يوسف) لعل في الكلام محذوفاً مقدر وهو فرحل يعقوب وأولاده وأهله الى مصر فلما دخلوا على يوسف وهم يومئذ اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة وقال مسروق كانوا ثلاثة وسبعين قيل وكان دخولهم يوم عاشوراء وكانوا حين خرجوا من مصر مع موسى ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهجرى وكانت الذرية ألف ومائتي ألف قاله القرطبي فقد بورك فيهم كئير احتي بلغوا هذا العدد في مدة موسى مع ان بينه وبين يوسف اربعمائة سنة كما في التخيير قال أبو هريرة دخل يعقوب مصر في ملك يوسف وهو ابن مائة وثلاثين سنة وعاش في ملكه ثلاثين سنة ومات يوسف وهو ابن مائة وعشرين سنة قال أبو هريرة وبلغني انه كان عمر ابراهيم خليل الله مائة وخمسة وتسعين سنة (أوى اليه ابيه) اي ضمهما وأزلهما عنده قال المفسرون المراد بالابوين هنياعقوب وزوجته حالة يوسف لان أمه قد كانت ماتت في ولادتها لانيه بنيامين وقيل أحى الله له أمه تحققاللرؤيا حتى سجدت له وبه قال قتادة وسفيان بن عيينة قال الخازن والاول هو المعتمد وهذا سبني على انه تزوج راحيل في حياة اختها ليا قال الحنفياوى وهذا قول ضعيف وان الراجح ان ليامات قبل ان يتزوج راحيل وعلى هذا فلعلة كانت لهم ما أخت ثالثة تزوجها يعقوب بعدها وأدركت هذه القضية انتهى وقيل كانت أمه باقية فلا حاجة الى التأويل وهو الاول بظاهر النظم القرآني (وقال ادخلوا مصر) أي للاقامة بها (ان شاء الله آمين) على أنفسكم وأهلكم مما تكرهونه من القحط وأصناف المكاره وقد كانوا فيما مضى يخافون ملوك مصر ولا يدخلونها الا بجوار منهم قيل والتقييد بالمشيئة عائد الى الدخول مع الامن ولا مانع من عوده الى الجميع لان دخولهم لا يكون الا بمشيئة الله سبحانه كما أنهم لا يكونون آمنين الا بمشيئته وقيل ان

غريب وسباق عجيب وأغرب منه وأشد نكارة مارواه الخطيب البغدادي في كتاب السابق واللاحق بسند مجهول عن عائشة في حديث فيه قصة ان الله أحيا أمه فأمنت ثم عادت وكذلك مارواه السهيلي في الروض بسنده فيه جماعة مجهولون ان الله أحياه أباه وأمهم فأمنابه وقد قال الخافظ ابن دحية في هذا الاسناد دلالة بما حصله ان هذه حياة جديدة بكر جعت الشمس بعد غيبوبتها وصل الى على العصر قال الطحاوى وهو حديث ثابت يعنى حديث الشمس قال القرطبي فليس احياؤها ما تمتنع عقلا ولا شرعا قال وقد سمعت ان الله أحيا عمه أباطالب فأمن به قلت وهذا كله متوقف على صحة الحديث فاذا صح فلا مانع منه

والله أعلم وقال العوفي عن ابن عباس في قوله ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين الا آية ان النبي صلى الله عليه وسلم أراد ان يستغفر لامة فنهاه الله عز وجل عن ذلك فقال ان ابراهيم خليل الله صلى الله عليه وسلم قد استغفر لايه فأنزل الله وما كان استغفار ابراهيم لايه الا عن موعدة وعدها اياه الاية وقال علي ابن ابي طلحة عن ابن عباس في هذه الاية كانوا يستغفرون لهم حتى نزلت هذه الاية فامسكوا عن الاستغفار لامواتهم ولم ينهوا ان يستغفروا للاحياء حتى يموتوا ثم أنزل الله وما كان استغفار ابراهيم لايه (٧٦) الاية وقال قتادة في الاية ذكر لنا ان رجالا من أصحاب النبي

صلى الله عليه وسلم قالوا يا بني الله ان من آياتنا من كان يحسن الجوار ويصل الارحام ويفك العاني ويوفى بالذمم أفلا نستغفر لهم قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلى والله اني لاستغفر لاي كما استغفر ابراهيم لايه فأنزل الله ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين حتى بلغ قوله الجحيم ثم عذر الله تعالى ابراهيم عليه السلام فقال وما كان استغفار ابراهيم لايه الاية قال و ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال قد أوحى الله الى كلمات فدخلن في اذني وقرن في قلبي أمرت ان لا أستغفر لمن مات مشركا ومن أعطي فضل ماله فهو خير له ومن أمسك فهو شر له ولا يلوم الله على كفاف وقال الثوري عن الشيباني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال مات رجل يهودي وله ابن مسلم فلم يخرج معه فذكر ذلك لابن عباس فقال فكأن ينبغي له ان يمشي معه ويدفنه ويدعوه بالصلاة مادام حيا فاذا مات وكأه الى شأنه ثم قال

التقدم بالمشيئة راجع الى قوله سوف استغفر لكم ربي وهو بعيد جدا وظاهر النظم القرآني ان يوسف قال لهم هذه المقالة أعني ادخلوا مصر قبل دخولهم وقد قيل في توجيه ذلك انه تلقاهم الى خارج مصر فوقف منتظر لهم في مكان أو خيمة فدخلوا عليه فأوى اليه أبويه وقال ادخلوا مصر فلما دخلوا مصر دخلوا عليه دخولا آخر في المكان الذي له بمصر فهذا الدخول غير الاول ولمصر فضائل كثيرة ذكرها المقرزي في الخطط منها ان الله عز وجل ذكرها في كتابه العزيز بنوعا وعشرين مرة نارة بصريح الذكرو تارة ايماء وقال ابن عباس سميت مصر بالارض كلها في عذرة مواضع من القرآن وقد جاء في فضل مصر أحاديث أوردها المقرزي في تاريخه ومن أراد ان يذكر القردوس أو ينظر الى مثلها في الدنيا فلينظر الى ارض مصر حين يخضر زرعها وتنور ثمارها ومن شاء ان يطالع على مواقع مصر وما جرى بآثارها عليه ان ينظر في الخطط وفي حسن المحاضرة للسيوطي (ورفع أبويه على العرش) أي أجلسهم امامه على السرير الذي يجلس عليه كما هي عادة الملوك قال ابن عباس العرش السرير والرفع النقل الى العلو (وخروا) أي الابوان والاخوة (له) أي ليوسف (سجدا) وكان ذلك جائزا في شربتهم منزلا منزلا التحية وقيل لم يكن ذلك سجودا بل هو مجرد ايماء وانحناء وكانت تلك تحيتهم وهو يخاف معنى خروا له سجدا فان الخروا في اللغة المقيد بالسجود لا يكون الا بوضع الوجه على الارض وقيل الضمير في له راجع الى الله سبحانه أي وخروا لله سجدا وهو بعيد جدا وقيل ان الضمير لموسى واللام للتعليل أي وخروا لوجه وفيه أيضا بعد قال عدى بن حاتم في الاية كانت السجدة تحية من كان قبلكم فاعطاكم الله السلام مكانها وعن قتادة نحوه وعن ابن زيد قال ذلك سجود تشرفة كما سجدت الملائكة تشرفا لا دم وليس سجود عبادة وكان ذلك بامر الله للتحقيق روياه (وقال) يوسف (يا أبت هذا تأويل روياني) التي تقدم ذكرها (من قبل) أي من قبل هذا الوقت في حال الصغر (قد جاءها ربي حقا) أي صدقا بوقوع تأويلها في القطة على ما دلت عليه قيل وكان بين الرويا والتأويل أربعون سنة أو ثمانون أو ست وثلاثون أو ثنتان وعشرون وقيل خمس وثلاثون وقيل سبعون حتى هذه الاقوال كلها ابن الجوزي والله أعلم كم كان بينهما (وقد أحسن بي) الاصل ان يتعدى فعل الاحسان بالي وقد يتعدى بالياء كما في قوله وبالوالدين احسانا ويقال بي والى بمعنى واحد وقيل انه

وما كان استغفار ابراهيم لايه الى قوله تبرأ منه لم يدع ورشه له بالصحة مارواه أبو داود وغيره وعن علي رضي الله عنه قال لما مات أبو طالب قال يا رسول الله ان عمك الشيخ الضال قدمات قال اذهب فواره ولا تتحدثن شيئا حتى تأتيني فذكر تمام الحديث وروى انه صلى الله عليه وسلم لما صرت به جنازة فمأبى طالب قال ووصلتكم رحم ياعم وقال عطاء بن أبي رباح ما كنت لادع الصلاة على أحد من أهل القبلة ولو كانت حبشية حبل من الزنلان لم أسمع الله سبحانه بالصلاة الا عن المشركين يقول الله عز وجل ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين الاية وروى ابن جرير عن ابن وكيع عن أبيه

ضمن

عن عصمة بن رامل عن أبيه قال سمعت أبا هريرة يقول رحم الله رجلا استغفر لابي هريرة ولا مة قلت ولا يسه قال لا قال ان ابني مات مشركا وقوله فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه قال ابن عباس ما زال ابراهيم يستغفر لايه حتى مات فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه وفي رواية لما مات تبين له انه عدو لله وكذا قال مجاهد والضحاك وقتادة وغيرهم رحمهم الله وقال عبيد بن عمير وسعيد ابن جبير انه تبرأ منه يوم القيامة حين يأتي اياه وعلى وجهه ابيه القفرة والغبرة فيقول يا ابراهيم اني كنت أعصيك وانى اليوم لأعصيك فيقول اى رب ألم تعدنى ان لا تخزنى يوم تبعثون (٧٧) فاي خرى اخرى من ابي الابعد فيقال انظر الى

ما وراءك فاذا هو يد مخرج متلطخ اى قد مسخ صبعا ثم يسحب بقوامه ويلقى في النار وقوله ان ابراهيم لاواه حلیم قال سفيان الثوري وغير واحد عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن عبد الله ابن مسعود انه قال الاواه الدعاء وكذا روى من غيره عن ابن مسعود وقال ابن جرير حدثني المنى حدثنا الخاج بن منهل حدثني عبد الحميد بن بهرام حدثنا شهر بن حوشب عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالس قال يا رسول الله ما الاواه المتضرع قال ان ابراهيم لاواه حلیم ورواه ابن ابي حاتم من حديث بن المبارك عن عبد الحميد ابن بهرام به ولقظه قال الاواه المتضرع الدعاء وقال الثوري عن سلمة بن كهيل عن مسلم البطين عن ابي الغدير انه سئل ابن مسعود عن الاواه فقال هو الرحيم وبه قال مجاهد وابي ميسرة عمر بن شرحبيل والحسن البصري وقتادة وغيرهما اى الرحيم بعباد الله

ضمن أحسن معنى لطف اى لطف بحسنا (اذا خرجني من السجن) بعدما ابتليت به ولم يذكر اخر اجبه من الحب لان في ذكروه نوع تريب وتخييل للاخوة وقد قال لا تريب عليكم اليوم وقد تقدم سبب سجنه ومدة بقائه فيه وقد قيل ان وجهه عدم ذكرا اخر اجبه من الحب ان المنة كانت في اخر اجبه من السجن أكبر من المنة في اخر اجبه من الحب لان دخوله الحب كان بحسد اخوته ودخوله السجن بسبب تهمة المرأة فاخر اجبه من السجن كان لرواى التهمة عنه وكان ذلك من أعظم نعمه سبحانه عليه وفيه بعد وضعف وقيل لان اخر اجبه من السجن كان سببا لوصوله الى الملك أولان مصيبة السجن عنده كانت أعظم لطول مدتها ولما حبة الاوباش وأعداء الدين فيه بخلاف مصيبة الحب لقصر مدتها ولكون المؤنس له فيما اجره بل عليه السلام وغيره من الملائكة (وجاء بكم من البدو) اى البادية وهى أرض كنعان بالشام وكانوا أهل مواشى وبرية فسكنوا البادية وقيل ان يعقوب عليه السلام تحول الى البادية بعد النبوة لأن الله لم يعث نبيا من البادية وان المكان الذى كان فيه يعقوب يقال له بدو فيه ونظر البدو هو البسيط من الارض والبدو خلاف الحضرة والبادية خلاف الحاضرة قال الخفاجى البادية والبدو والبدا بمعنى قيل سميت به لان ما فيها يبدو وللناظر لعدم ما يواريه (من بعد ان نزع الشيطان بيني وبين اخوتي) اى بعد ان أفسد بيننا وجل بعضنا على بعض يقال نزعها اذا تخسسه وأصله من نخس الدابة ليقوى مشيها وأحال يوسف ذنب اخوته على الشيطان تكرامانه وتادبا (ان ربى لطيف) قال الازهرى هو من اسماء الله تعالى معناه الرفيق بعباده يقال لطف فلان بقلان اللطف اذ رفق به وقال عمرو بن ابي عمرو اللطيف الذى يوصل المليك أربك فى لطف قال الخطابي اللطيف هو البر بعباده الذى يلطف بهم من حيث لا يعلمون ويسبب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون وقيل اللطيف العالم بدقائق الامور قال قتادة لطف يوسف وصنع له حين اخرجه من السجن وجاء باهله من البدو ونزع من قلبه نزع الشيطان وتحريره على اخوته (لما يشاء) اى لاجل ما يشاء حتى يحجى على وجه الصواب (انه هو العليم) باسمه (الحكيم) فى افعاله ولما اتم الله نعمته على يوسف عليه السلام بما خلصه من الحن العظيمة وبما خوله من الملك وعلمه من العلم ناقت نفسه الى الخير الاخرى الدائم الذى لا ينقطع فقال (رب قد آتيتنى من الملك) من للتبعيض اى بعض الملك لانه

وقال ابن المبارك عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس قال الاواه الموقن بلسان الحبشة وكذا قال العوفي عن ابن عباس انه الموقن وكذا قال مجاهد والضحاك وقال على بن ابي طلحة ومجاهد عن ابن عباس الاواه المؤمن زاد على بن ابي طلحة عنه هو المؤمن التواب وقال العوفي عنه هو المؤمن بلسان الحبشة وكذا قال ابن جرير هو المؤمن بلسان الحبشة وقال الامام أحمد حدثنا موسى حدثنا ابن لهيعة عن الحرث بن يزيد عن على بن رباح عن عقبه بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل يقال له ذوالنجان انه اواه وذلك انه رجل كان اذا ذكر الله فى القرآن رفع صوته بالدعاء ورواه ابن جرير وقال سعيد بن جبير والشعبي الاواه

المسيح وقال ابن وهب عن معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية عن جبيرة بن نفير عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال المحفوظ على سجة الضحى الاواه وقال شفي بن مانع عن أبي أيوب الاواه الذي اذا ذكر خطاياہ استغفر منها وعن مجاهد الاواه الحفظ الوجيل يذنب الذنب سراً ثم يتوب منه سرّاً كذلك كاه ابن أبي حاتم رحمه الله وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا الحاربي عن حجاج عن الحكم عن الحسن بن مسلم بن بيان ان رجلاً كان يكثر ذكر الله ويسبح فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال انه اواه وقال أيضاً (٧٨) حدثنا أبو كريب حدثنا ابن هاني حدثنا المنهال بن خليفة عن حجاج بن

أرطاة عن عطاء عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم دفن ميتاً فقال رجلك الله ان كنت لاواها يعني تلاء للقرآن وقال شعيب عن أبي يونس الباهلي قال سمعت رجلاً بمكة وكان أصله روميًا وكان قاصياً يحدث عن أبي ذر قال كان رجل يطوف بالبيت الحرام ويقول في دعائه أوه أوه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال انه أوه قال فخر جت ذات ليله فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفن ذلك الرجل ليلا ومعه المصباح هذا حديث غريب رواه ابن جرير وروى عن كعب الاحبار انه قال سمعت ان ابراهيم لاواه قال كان اذا ذكر النار قال أوه من النار وقال ابن جرير عن ابن عباس ان ابراهيم لاواه قال فقيهه قال الامام أبو جعفر بن جرير وأولى الاقوال قول من قال انه الدعاء وهو المناسب للسياق وذلك ان الله تعالى لما ذكر ان ابراهيم انما استغفر لايه عن موعده وعداها اياه وقد كان ابراهيم كثير الدعاء حائماً عن ظلمه واناله مكرها

لم يوت كل الملك انما اوتى ملكاً خاصاً وهو ملك مصر في زمن خاص وقيل زائدة وقيل لبيان الجنس والملك عبارة عن الاتساع في النبي المقدور لمن له السياسة والتدبير ولم يملك جميع اقطار الارض الا اربعة اثنان مسلمان اسكندر وسليمان واثنان كافران بختنصر وشداد ابن عاد قلت وسيملك خامس وهو عيسى بن مريم حين ينزل من السماء الى الارض كما وردت به الاحاديث الصحيحة (وعلمتني من تأويل الاحاديث) اي بعضها لانه لم يعط جميع علم التأويل سواء اريد به مطلق العلم والفهم او مجرد تأويل الروايات وقيل من الجنس كما في قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان وقيل زائدة كما تقدم (فاطر السموات والارض) اي يفاطرهما او منتصب باضمار اعني او على انه صفة قلب او بدل او بيان والفاطر الخالق والمنشئ والمخترع والمبدع (انت وليي) اي ناسرى ومتولى اموري (في الدنيا والآخرة) تتولاني فيهما (توفني مسلماً) اي على الاسلام لا يفارقني حتى أموت قيل انه دعاء بذلك مع علمه بان كل نبي لا يموت الا مسلماً اظهرا للعبودية والافتقار وشدة الرغبة في طلب سعادة الخاتمة وتعليل غيره وهذه حاله زائدة على الاسلام الذي هو ضد الكفر والمطلوب ههنا هو الاسلام بهذا المعنى قاله الرازي والخطيب والكرخي قال ابن عباس ما سأل نبي الوفاة غير يوسف اشتاق الى لقاء الله وأحب ان يلحقه وبأبائه فدعا الله ان يتوفاه (و) قال (الحقني بالصالحين) من الذين من آباءني وغيرهم فأظفر بنو ابيهم منك ودرجاتهم عندك قال الضحاك يعني ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب وقال عكرمة يعني اهل الجنة قيل انه لما دعا بهذا الدعاء توفاه الله عز وجل ولم يأت عليه أسبوع بعد هذا الدعاء قيل كان عمره عند ان التقي في الحب سبع عشرة سنة وكان في العبودية والسجن والملك ثمانين سنة الى قدوم أبيه يعقوب ثم عاش بعد اجتماع شملهم حتى كمل عمره المقدر الذي سيأتي وتوفاه الله وليس في اللفظ ما يدل على انه طلب الوفاة في الحال ولهذا ذهب الجمهور الى انه لم يتم الموت بهذا الدعاء في الحال وانما ادعاه ان يتوفاه على دين الاسلام ويلحقه بالصالحين من عبادته عند حضوره وادعاه بعد ذلك سنين كثيرة وولده من امرأة العزيز ثلاثة اولاد افراتيم وميشا ورجمة امرأة أيوب ولما مات دفنوه في أعلى النيل في صندوق من رخام وقيل من حجارة المرمر لتمام البركة بجانبه فبحان من لانه قضاء الملك فبقي اربع مائة سنة الى ان آخر جبه موسى وجمعه معه حتى دفنه بقرب آباءه

ولهذا استغفر لايه مع شدة آذاه في قوله أرغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم لئن لم تنته لارجنك واهجرني بالسام ملياً قال سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حفياء فلم عنه مع آذاه ودعاه واسـ تغفر ولهذا قال تعالى ان ابراهيم لاواه حلیم) وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ان الله بكل شئ عليم ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) يقول تعالى مخبراً عن نفسه الكريمة وحكمه العادل انه لا يضل قوماً الا بعد ابلاغ الرسالة اليهم حتى يكونوا قد قامت عليهم الحجة كما قال تعالى وأما عمود فهديناهم الآية وقال مجاهد في قوله تعالى وما كان الله ليضل

قوما بعد اذ هداهم الآية قال بيان الله عز وجل للمؤمنين في ترك الاستغفار للمشركين خاصة وفي بيانه لهم في معصيته وطاقته عامة فافعلوا واذروا وقال ابن جرير يقول الله تعالى وما كان الله ليقضى عليكم في استغفاركم لموتكم المشركين بالضللال بعد اذ رزقكم الهداية ووفقكم للايمان به وبرسوله حتى يتقدم اليكم بالنهي عنه فتركوها فاقبل ان يبين لكم كراهة ذلك بالنهي عنه فلم تضيعوا نهيته الى ما نهاكم عنه فانه لا يحكم عليكم بالضللال فان الطاعة والمعصية انما يكونان من المأمور والنهي واما من لم يؤمر ولم ينه فغير مكاتب مطيعا وعاصيا فيما لم يؤمر به ولم ينه عنه (٧٩) وقوله تعالى ان الله له ملك السموات والارض يحيي

ويعيت ومالككم من دون الله من ولي ولا نصير قال ابن جرير هذا تحريض من الله تعالى لعباده المؤمنين في قتال المشركين ومولوك الكفر وانهم يثقوا بنصر الله مالك السموات والارض ولم يرهبوا من أعدائه فانه لا ولي لهم من دون الله ولا نصير لهم سواه وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن ابي دلامة البغدادي حدثنا عبد الوهاب بن عطاء حدثنا سعيد بن قتادة عن صفوان بن محرز عن حكيم بن حزام قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه اذ قال لهم هل تسمعون ما أسمع قالوا ما نسمع من شيء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لا أسمع أطيط السماء وما تلام ان تتط وما فيها من موضع شبر الا وعليه ملك ساجد أو قائم وقال كعب الاحبار ما من موضع خرمه ابرة من الارض الا وملك موكل بها يرفع علم ذلك الى الله وان مسلائكة السماء لا أكثر من عدد التراب وان حمله العرش ما بين كعب أحداهم الى مخه مسيرة مائة عام (لقد تاب الله على النبي

بالشام في الارض المقدسة فهو الا نهنك) (ذلك) المذكور من امر يوسف اى قصته وما جرى له مع اخوته وما صار اليه من الملك بعد الرق (من أبناء الغيب) اخباره (نوحية اليك) خبر ثمان قال الزجاج ويجوز ان يكون ذلك بمعنى الذي اى الذي من ابناء الغيب نوحية اليك والمعنى الاخبار من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم بان هذا الذى قصه عليه من امر يوسف واخوته من الاخبار التى كانت غائبة عنه فاوحاه الله اليه وأعلمه به ولم يكن عنده قبل الوحي شيء من ذلك وفيه تعريض ساطع بكفار قريش لانهم كانوا كاذبين له صلى الله عليه وآله وسلم بما جاء به بخود او عن اعداء او حسد امع كونهم يعلمون حقيقة الحال ودليل قاطع على صحة نبوته صلى الله عليه وآله وسلم لانه كان أميا مجتال يقرأ الكتب ولم يلق العلماء ولم يسافر الى غير بلده الذى نشأ فيه ومع ذلك أتى بهذه القصة الطويلة على أحسن تركيب وأفصح عبارة فعلم ان آياته بها ووحى من الله سبحانه وتعالى (وما كنت لديهم) أى لدى اخوة يوسف وهو تعليل لكل من الخبيرين (اذ أجعوا امرهم) اجماع الامر العزم عليه أى اذ عزموا جميعا على القائه فى الحب (وهم) أى بنو يعقوب فى تلك الحالة (يمكرون) يسوسون فى هذا الفعل الذى فعلوه به ويغونه الغوائل أو يمكرون يعقوب حين جاءه بقميص ملطخا بالدم وقالوا أكله الذئب واذالم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لديهم عند ان فعلوا ذلك اتقى علمه بذلك مشاهدة ولم يكن بين قوم لهم علم باحوال الامم السالفة ولا خالطهم ولا خالطوه فانتفى علمه بذلك بطريق الرواية عن الغير فلم يبق بعلمه بذلك طريق الا مجرد الوحي من الله سبحانه فهذا يستلزم الايمان بما جاء به فلما لم يؤمن بذلك من عاصره من الكفار قال الله سبحانه ذا كرا لهذا (وما أكرم الناس ولو حرصت) على هدايتهم وبالغت فى ذلك (بمؤمنين) بالله لتصميمهم على الكفر الذى هودين آباؤهم يقال حرص يحرص من مثل ضرب يضرب وفى لغة ضعيفة مثل حميد حمدا وحرص طلب الشيء باجتهاد والاسم الحرص بالكسر وحرص حرصا من باب تعب لغة اذ رغب رغبة مذمومة وقال الزجاج معناه ما أكثر الناس بمؤمنين ولو حرصت على ان تهديهم لانك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء قال ابن الانبارى ان قريشا واليهود سألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن قصة يوسف واخوته فنشرها نشر حاشافيا وأتى بها على وفق ما عندهم فى التوراة وهو يأمل

والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعدما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم) قال مجاهد وغير واحد نزل هذه الآية فى غزوة تبوك وذلك انهم خرجوا اليها فى شدة من الامر فى سنة مجديته وحرص شديد وعسر من الراد والماء قال قتادة خرجوا الى الشام عام تبوك فى لهبان الحر على ما يعلى الله من الجهد أصابهم فيها جهد شديد حتى لقد ذكر لنا ان الرجلين كانا يشقان القرة بينهما وكان النفر يتمدا ولون القرة بينهما ثم يشرب عليها ثم يصهاها هذا ثم يشرب عليها فتب الله عليهم وأقبلهم من غزوتهم وقال ابن جرير حدثني يونس بن عبد الأعلى اخبرنا ابن وهب اخبرني عمرو بن الحرث عن سعيد

ابن أبي هلال عن عتبة بن أبي عتبة عن نافع بن جبير بن مطعم عن عبد الله بن عباس انه قيل لعمر بن الخطاب في شأن العسرة فقال
 عمر بن الخطاب خر جثام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك في قبض شديد فترانا منزلا فاصابنا فيه عطش حتى ظننا ان رقابنا
 ستقطع حتى ان الرجل ليخبر بغيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقى على كعبه فقال أبو بكر الصديق يا رسول الله ان الله
 عز وجل قد عودك في الدعاء خيرا فادع لنا فقال تحب ذلك قال نعم فرفع يديه فلم يرجعهما حتى سالت السماء فاهطلت ثم سكنت
 فلو امامهم ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت (٨٠) العسرة وقال ابن جرير في قوله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار

الذين اتبعوه في ساعة العسرة أى
 من النفقة والظهور والراد والمناه
 من بعدما كاد يربغ قلوب فريق
 منهم أى عن الحق ويشك في دين
 الرسول صلى الله عليه وسلم ويرتاب
 للذي نالهم من المشقة والشدة في
 سفرهم وغزورهم ثم تاب عليهم يقول
 ثم رزقهم الابابة الى ربهم
 والرجوع الى النبت على دينه
 انه بهم رؤوف رحيم (وعلى الثلاثة
 الذين خلفوا حتى اذا ضاقت
 عليهم الارض بما رحبت وضاقت
 عليهم أنفسهم وظنوا ان لا ملجأ
 من الله الا اليه ثم تاب عليهم
 استوبوا ان الله هو التواب الرحيم
 يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا
 مع الصادقين) قال الامام أحمد
 حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا
 ابن أخي الزهري محمد بن عبد الله
 عن عمه محمد بن مسلم الزهري
 أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله
 ابن كعب بن مالك أن عبيد الله بن
 كعب بن مالك وكان قائد كعب بن
 بنيه حين عمى قال سمعت كعب بن
 مالك يحدث حديثه حين تخلف
 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

أن يكون ذلك سببا لاسلامهم فخالفوا ظنه ولم يسلموا فخرن رسول الله صلى الله عليه وآله
 وسلم لذلك فعزاه الله بقوله وما أكره الناس الا آية (وماتسألهم عليه) أى على القرآن
 و ماتلوه عليهم منه أو على الايمان وحرصك على وقوعه منهم أو على ما تحذوهم به من هذا
 الحديث (من أجر) من مال يعطونك اياه ويجمعونه لك كما ينفه أجباهم (ان هو)
 أى القرآن أو الحديث الذي حدثهم به (الأذكر للعالمين) كفاقة قاطبة لا يختص بهم
 وحدهم وهذا كالتعليل لما قبله لان الوعد العام ينافى أخذ الاجر من البعض (وكان
 من آية) قال الخليل وسيبويه ان كآين أصلها أى دخل عليها كفى التشبيه لكنه انما
 عن الحرفين المعنى الافرادى وصارا لجموع باسم واحد بمعنى كم الخسيرة التكميرية
 والا كثر ادخال من في غيره وهو يتميز عن الكاف لانه أى كفى مثلك رجلا والمعنى كم
 من آية كآنة (في السموات) من كونها منصوبة بغير عمد منة بالكواكب النيرة السيارة
 والشوابة (والارض) من جبالها وقفارها وبحارها ونباتها وحيواناتها تدلهم على
 توحيد الله سبحانه وانه الخالق لذلك والرازق له المحي المميت قال الضحاك كم من آية في
 السماء يعنى شمسها وقرها ونجومها وسحابها وفى الارض ما فيها من الخلق والانهار
 والجبال والمدائن والقصور ولكن أكثر الناس (يرون عليها) أى على هذه الآيات غير
 متأملين لها ولا متفكرين فيها ولا ملتمتين الى ما تدل عليه من وجود خالقها وانه المتفرد
 بالالوهية مع كونهم مشاهدين لها وفى محصف عبد الله يشون عليها والمراد ما يرون فيها من
 آثار الامم الهالكة وغير ذلك من الآثار والمعبر (وهم عنها معرضون) وان نظروا اليها
 باعيانهم فقد أعرضوا عما هو الثمرة للنظر بالمدققة وهى التفكير والاعتبار والاستدلال
 (وما يؤمن) أى ما يصدق (أكثرهم) أى أكثر الناس (بالله) من كونه الخالق
 الرازق المحي المميت (الاولهم مشركون) بالله يعبدون معه غيره أقول ان ايضاح
 ما تضمنه هذه الآية يتوقف على ايضاح ما ذكره أهل التفاسير المعتبرة وينحصر ذلك فى وجوه
 اثني عشر وينضم الى ذلك ما ذكرته انا فىكون الوجوه ثلاثة عشر الاول ان أهل الجاهلية
 كانوا يقولون بان الله سبحانه خالقهم ورازقهم ويعبدون غيره من أصنامهم وطواغيتهم
 قال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض
 ليقولن الله لكنهم كانوا يشبهون له شركاء فاعبدونهم ليقربوهم الى الله كما قالوا ما نعبدهم

فى غزوة تبوك فقال كعب بن مالك لم تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة غزاه قاط الا فى
 غزاة تبوك غير انى كنت تخلفت فى غزاة بدر ولم يعاتب أحد تخلف عنها وانما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عير قريش
 حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين توافقنا على الاسلام
 وما أحب ان لي بها مشهد بدر وان كانت بدر اذ كرى فى الناس منها لو أشهر وكان من خبرى حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فى غزوة تبوك انى لم أكن قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنه فى تلك الغزاة والله ما جعلت قبلها را حلتين قط حتى جمعتهما

في تلك الغزاة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلمير يدغزوة يغزوها الاورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة فغزاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرسيد واستقبل سفر ابعيد او معاوز واستقبل عدوا كثيرا انقل للمسلمين امرهم ليتأهبوا أهبة عدوهم فاخبرهم وجهه الذي يريد والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير لا يحجمهم كتاب حافظ يريد الديوان قال كعب فقل رجل ير أن يتغيب الاطن ان ذلك سيخفي عليه ما لم ينزل فيه وحى من الله عز وجل وغزار رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزاة حين طابت الثمار والظلال وانا اليها أصغر فجهز اليها رسول الله (٨١) صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه فطفقت أعذولكى أتجهز

معهم فارجع ولم أقض من جهازى شيئا فقول لى نفسى انا قادر على ذلك اذا أردت فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى استمر بالناس الجدف اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا والمسلمون معه ولم أقض من جهازى شيئا وقلت أتجهز بعد يوم أو يومين ثم الحقه فغدوت بعد ما صلا لا أتجهز فرجعت ولم أقض من جهازى ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئا فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو فهممت ان ارتحل فالحقهم وليتني انى فعلت ثم لم يقدر ذلك لى فطفقت اذا خرجت فى الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزننى انى لا أرى الارجل مغموصا عليه فى النفاق أو رجلا ممن عذره الله عز وجل ولم يذكرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ قبوك فقال وهو جالس فى القوم بتبوك ما فعل كعب بن مالك فقال رجل من بنى سلمة حبسه يا رسول الله برداه والنظر فى عطفه فقال معاذ بن جبل بنسما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه الا خيرا فسكت

الا ليقربونا الى الله زلفى وممثل هؤلاء الذين اتخذوا احوارهم اربابا من دون الله والمعتدون فى الاموات بانهم يقدرون على ما لا يقدر عليه الا الله سبحانه كما يفعله كثير من عباد القبور فهذا الاقرار الصادر منهم بان الله عز وجل خالقهم ورازقهم هو يصدق عليه انه ايمان بالمعنى الاعم أى تصديق بالالمعنى الاخص أعنى ايمان المؤمنين فهذا الايمان الصادر منهم واقع فى حال الشرك فقد آمنوا حال كونهم مشركين والى هذا الوجه ذهب جمهور المفسرين ولكنهم لم يذكروا ما ذكرناه ههنا من تقريره بكونه ايمانا بالمعنى الاعم ولا بد من ذلك حتى يستقيم الكلام ويصدق عليه مسمى الايمان الوجه الثانى ان المراد بالآية المنافقون لانهم كانوا يظهرون الايمان ويبطنون الشرك فاصحابنا يؤمنون ظاهرا الا وهم مشركون باطنا وروى هذا عن الحسن البصرى الوجه الثالث انهم أهل الكتاب يؤمنون بكتابهم ويقلدون علماءهم فى الكفر بغيره ويقولون المسيح ابن الله وعزير ابن الله فهم يؤمنون بما أنزل الله على أنبيائهم حال كونهم مشركين الوجه الرابع ان المقصود بذلك ما كان يقع فى تلبية العرب من قولهم لبيك لا شريك لك الا شريكاهو لك فقد كانوا فى هذه التلبية يؤمنون بالله وهم مشركون روى نحو ذلك عن ابن عباس الوجه الخامس ان المراد بهذه الآية المرأون من هذه الامة لان الربا وهو الشرك المشار اليه بقوله صلى الله عليه وآله وسلم الشرك أخفى فى أمتى من ديب القمل فالمرأون آمنوا بالله حال كونهم مشركين بالربا وأخرج أحمد فى المسند من حديث محمود بن لبيد ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان أخوف ما أخوف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال الربا يقول الله الربا يقول الله يوم القيامة اذا جرى الناس باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم ترأون فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء الوجه السادس ان المراد بالآية من نسي ربه فى الرخاء وذكروه عند الشدة روى ذلك عن عطاء وفيه انه لا يصدق على ذلك انه آمن بالله حال كونه مشركا الا ان يجعل مجرد نسيان الذكرو والدعاء عند الرخاء شركا مجازا كأنه بنسيانه وترك الدعاء قد عبد الهيا آخر وهو بعيد على انه لا يمكن اجتماع الامرين لانه حال الذكرو والدعاء غير متصف بالنسيان وترك الذكرو قد تقرر ان الحال قيد فى عاملها الا ان يعتبر بما كان عليه الشئ فان ذلك أحد العلاقات المصححة للتجاوز ويدل عليه قوله تعالى فاذا ركبو فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البراداهم

(١١ فتح البيان خامس) رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كعب بن مالك فلما بلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه فاقلامن تبوك حضرنى بنى وطفقت أتذكر الكذب وأقول بما أخرج من سخطته عدا واستعين على ذلك بكل ذى رأى من أهلى فلما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظلم فادمازاح عنى الباطل وعرفت انى لم أنج منه بشئ أبدا فاجعت صدقه فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اذا قدم من سفر يدا بالمسجد فصلى ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المتخلفون فطفنقوا بعتدون اليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فيقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم ويستغفر

لهم وبكل سر أترهم إلى الله تعالى حتى جئت فلما سلمت عليه تبسم تبسم الم غضب ثم قال لي تعال جئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال لي ما خلفك ألم تكن قد اشتريت ظهر افقات يا رسول الله اني لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت ان أخرج من سخنه بعد ان أعطت جدلا ولكني والله لعد علمت لئن حدثتكم اليوم بحديث كذب رضى به عنى ليوشكن الله ان يسخطك على ولئن حدثتكم بصدق تجد على فيه انى لا ترجو عقبى ذلك من الله عز وجل والله ما كان لي عذر والله ما كنت قط أفرغ ولا أيسر منى حين تخلفت عنك قال فقال رسول الله (٨٢) صلى الله عليه وسلم أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضى الله فيك فقامت

وقام إلى رجال من بنى سلمة واتبعونى فقالوا لى والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا ولقد عجزت الآن تكون اعترفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر به المتخلفون فقد كان كافيك من ذنبك استغنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لك قال فوالله ما زالوا يؤنبونى حتى أردت ان أرجع فاذب نفسي قال ثم قلت لهم هل لى معى هذا أحد قالوا نعم لى معى رجلان قالوا مثل ما قلت وقيل لهما مثل ما قيل لك فقلت فى هما قالوا امرارة بن الربيع العامرى وهلال بن أمية الواقفى فذكروا لى رجلين صالحين قد شهدا بدرالى فى معاصرة قال غضيت حين ذكروهما لى فقال ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا أىها الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس وتغير والناحتى تنكرت لى فى نفسى الارض فما هى بالارض التى كنت أعرف قلبنا على ذلك خمسين ليلة فاما صاحبى فليستكنا وقعدا فى بيوتهما يبكيان وأما نأفكنت

بشر كون الوجه السابع ان المراد من أسلم من المشركين فانه كان مشركا قبل ايمانه حكم بذلك الحاكم فى تفسيره وتقريره انه ما يؤمن أحدهم بالله الا وقد كان مشركا قبل ايمانه والكلام فيه كالكلام فى الوجه الذى قبله والجواب الجواب الوجه الثامن ان المراد بالشرك ههنا ما يعرض من الخواطر والاحوال حال الايمان قاله الواسطى كما حكاه عنه البقاعى وفيه ان هذه الخواطر والاحوال ان كانت مما يصدق عليه الشرك الاكبر أو الاصغر فذلك وان كانت خارجة عن ذلك فهو فاسد الوجه التاسع انهم الذين يشبهون الله بخلقه رواه الكشاف عن ابن عباس وتقريره انهم آمنوا بالله حال تشبيههم له بما يكون شركا أو يؤل إلى الشرك الوجه العاشر هو ما تقوله القدرة من اثبات القدرة للعبد حكاه النسفى فى مدارك التنزيل وتقريره انهم آمنوا بالله حال اثباتهم ما هو مختص به لغيره وهو شرك أو منزل منزلة الشرك الوجه الحادى عشر ما قاله محبى الدين بن عربى فى تفسيره ان أكثر الناس انما يؤمنون بغير الله ويكفرون بالله دعما فى بعض الاحيان بشر كون الله سبحانه مع ذلك الاله الذى هم مؤمنون به فلا يؤمن أحدهم بالله الا حال كونه مشركا وفيه ان ظاهر النظم القرآنى ان الايمان بالله والشرك بغيره معه لا يكون الا بتشرىك مع غيره وبين المعنيين فرق الوجه الثانى عشر ذكره ابن كثير فى تفسيره وهو ان ثمة شركا خفيا لا يشعر به غالب الناس من يفعله كما روى عن حذيفة انه دخل على مريض يزوره فرأى فى عضده سيرا فقتطعه وانزعه ثم قال وما يؤمن أحدكم بالله الا وهم مشركون وفى الحديث الذى رواه الترمذى وحسنه عن ابن عمر مرفوعا من حلف بغير الله فقد أشرك وأخرج أحمد وأبو داود ومن حديث ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الرقى والتمائم والتولة شرك وفى لفظ لهما الطيرة شرك وما منا الا ولكن الله يذهب به بالتوكل وروى أحمد فى المسند عن عبد بن عبد الرحمن قال دخلت على عبد الله بن حكيم وهو مريض فقيل له لو تعلقت فقال أتعلق شيئا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من تعلق شيئا وكل إليه ورواه النسائى عن أبى هريرة وفى المسند عن عقبه بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من علق تميمة فقد أشرك وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول الله أنا غنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه غيرى تركته وشركه ورؤى أحمد وغيره من

أشد القوم وأجلدهم فكنت أشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف بالاسواق فلا يكلمنى أحدوا أتى رسول الله صلى الله عليه حديث وسلم وهو فى مجلسه بعد الصلاة فاسلم وأقول فى نفسى أحرك شفتيه برد السلام على أم لأم أصلى قري يمانه وأسارقه النظر فاذا أقبلت على صلاتى نظر الى فاذا التفت نحوه أعرض عنى حتى اذا طال على ذلك من هجر المسلمين مشيت حتى تسورت حائط أبى قتادة وهو ابن عمى وأحب الناس الى فسلمت عليه فوالله ما رد على السلام فقلت لى بأبى قتادة أنشدك الله هل تعلم أنى أحب الله ورسوله قال فسكت قال فعدت له فنشده فسكت فعدت له فنشده فسكت فقال الله ورسوله أعلم قال ففاضت عيناى وتوليت حتى تسورت الجدار

فبيناً أنا أمشي بسوق المدينة إذا أنا ببطي من أبط الشام من قدم بطعام يبيعه بالدينه يقول من يدل علي كعب بن مالك قال
فظنني الناس يشيرون له الى حتى جاء فدفن الى كتابا من ملك غسان وكنت كاتباً فاذا فيه أما بعد فقد بلغنا ان صاحبك قد جفاك
وان الله لم يجعلك في دارهوان ولا مضبعة فالحق بنا نواسك قال فقلت حين قرأته وهذا أيضاً من البلاء قال قيميته به التنور فسجرت به
به حتى اذا مضت أربعون ليلة من الخمسين اذ برسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي بي يقول يا مارك رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان تعزل امرأتك قال فقلت أطلقها أم ماذا أفعل فقال بل اعتزلها (٨٣) ولا تقربها قال وأرسل الى صاحبني بمثل ذلك قال فقلت

لامرأتني الحقة في باهسك فكوني
عندهم حتى يقضى الله في هذا الامر
ما يشاء قال فجات امرأة هلال بن
أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقات يارسول الله ان هلالا شيخ
ضعيف ليس له خادم فهل تكبره ان
أخدمه قال لا ولكن لا يقربك
قالت وانه والله ما به من حركة الى شيء
وانه والله ما زال يبكي منذ كان من
أمره ما كان الى يومه هذا قال فقال
لي بعض أهلي لو استأذنت رسول
الله صلى الله عليه وسلم في امرأتك
فقد أذن لامرأة هلال بن أمية ان
تخدمه قال فقلت والله لا استأذن
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما أدري ما يقول فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا استأذنه وأنا
رجل شاب قال فلبنا عشر ليال
فكملت لنا خمسون ليلة من حين
نهى عن كلامنا قال ثم صليت صلاة
الصبح صباح خمسين ليلة على ظهر
بيت من بيوتنا فيمينا نا جالس على
الحال التي ذكر الله تعالى مناقد
ضاققت على نفسي وضاققت على
الارض بما رحبت سمعت صارخا
أوفى على جبل سلع يقول باعلى
صوته أبشريا كعب بن مالك قال

حديث غيره وفي المسند أيضاً من رده الطيرة من حجة فقد أشرك قالوا يارسول الله
ما كفارة ذلك قال ان يقول أحدكم اللهم لا خير الا خيرك ولا طير الا طيرك ولا اله غيرك
وأخرج أحمد من حديث أبي موسى قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات
يوم فقال يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه اخفى من ديب النمل ثم قالوا له كيف
نجنبه وهو اخفى من ديب النمل قال قولوا اللهم اننا نعوذ بك ان نشرك بك شيئاً نعلمه
ونستغفر لك لما لا نعلمه وقد روى من حديث غيره اذا عرفت ما تضمنته كتب التفسير من
الوجوه التي ذكرناها وعرفت تقريرها على الوجه الذي قررناه فاعلم ان هذه الاقوال انما
هي اختلاف في سبب النزول وأما النظم القرآني فهو صالح لجملة على كل ما يصدق عليه
مسمى الايمان مع وجود مسمى الشرك والاعتبار بما يفيد اللفظ لا بخصوص السبب
كما هو مقرر في مواطنه فيقال مثلاً في أهل الشرك انه ما يؤمن أكثرهم بان الله هو
الخالق الرازق الا وهو مشرك بالله بما يعبد من الاصنام ويقال فيمن كان واقفاً في شرك
من الشرك الخفي وهو من المسلمين انه ما يؤمن بالله الا وهو مشرك بذلك الشرك الخفي
ويقال مثلاً في سائر الوجوه نحو هذا على التقرير الذي قررناه سابقاً وهذا يصلح ان يكون
وجهاً مستقلاً وهو أو وجهها أو وجهها فيما أحسب وان لم يذكروا أحد من المفسرين فما
قيل من انه يشكل وجود اتصافهم بالايمان في حال تلبسهم بالشرك استشكل واقع
موقعه وسؤال حال محله وجوابه قد ظهر مما سبق فانه يقال مثلاً ان أهل الجاهلية كان
ايمانهم المجمع للشرك هو مجرد الاقرار بان الله هو الخالق الرازق وهو لا ينافي ما هم عليه
من الشرك وكذلك يقال ان أهل الاسلام كان شرك من وقع منهم في شيء من الشرك الخفي
الا صغر غير مناف لوجود الايمان منهم لان الشرك الا صغر لا يخرج به فاعله عن مسمى
الايمان ولهذا كانت كفارته ان يعوذ بالله من ان يشرك وان يقول في الطيرة اللهم لا طير
الا طيرك ولا اله غيرك فقد صح بهذا انه اجتمع الايمان الحقيقي والشرك الخفي في بعض
المؤمنين واجتمع الايمان بالمعنى الاعم والشرك الحقيقي في أهل الجاهلية وكذا يقال في
أهل الكتاب انه اجتمع فيهم الايمان بما أنزل الله على أنبيائهم والاشراك يجعل بعض
الخلوقين أبناء الله عز وجل وهكذا في بقية الوجوه (أفانموا أن تأتيهم غاشية من عذاب
الله) الاستفهام للانكار والغاشية ما يغشاهم ويغمرهم من العذاب كقوله يوم يغشاهم

فخررت ساجدا وعرفت ان قد جاء الفرج من الله عز وجل بالتوبة علينا فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا حين
صلى الفجر فذهب الناس يبشروننا وذهب قبل صاحبنا يبشرون وركض الى رجل فرسا وسعى ساع من أسلم وأوفى على الجبل
فكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرنى نزعته له ثوبي فكسوتهما اياه يبشارته له والله ما أملاك
يومئذ غيرهما واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت أوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلقاني الناس فوجافوا جبهوني بتوبة الله
يقولون ليهنك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد والناس حوله فقام الى طلحة

ابن عبد الله يهرول حتى صاحني وهناني والله ما قام الى رجل من المهاجرين غيره قال فكان كعب لا ينساها الطلحة قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك قال قلت أمن عندك يا رسول الله أمن من عند الله قال لا بل من عند الله قال ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سراسنار وجهه حتى كأنه قطعة قرح حتى يعرف ذلك منه فلما جاست بين يديه قلت يا رسول الله ان من توبتي ان أنخلع من مالي صدقة الى الله والى رسوله قال أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك قال فقلت فاني (٨٤) أمسكهم مني الذي بخير وقت يا رسول الله انما خجاني الله بالصدق وان

من توبتي ان لا أحدث الا صدقا ما بقيت قال فوالله ما أعلم أحدا من المسلمين أبلاه الله من الصدق في الحديث منذ كرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن مما أبلاني الله تعالى والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومى هذا وانى لأرجو ان يحفظني الله عز وجل فيما بقى قال وأزل الله تعالى لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كذبوا بغير قلوب فر يق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضافت عليهم أنفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين الى آخر الآيات قال كعب فوالله ما أتع الله على من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ

العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقيل هي الساعة وقيل الصواعق والقوارع وقيل وقية تغشاهم قاله قتادة وقيل نعمة تشملهم ولا مانع من الخلل على العدم (أو تاتيهم الساعة بغتة) أى فجأة من غير سابقة علامة والنصب على الحال قال المبرد جاء عن العرب حال بعد نكرة وهو قولهم وقع أمر بغتة يقال بغتتم الامر بغتا وبغتة اذا فاجأهم (وهم لا يشعرون) باتيانها قيل تهيج الصحيحة بالناس وهم في أسواقهم غير مستعدين لها (قل) يا محمد للمشركين (هذه) الدعوة التي أدعو اليها والطريقة التي أنا عليها (سبيلي) طريقى وسنتى وفسر ذلك بقوله (ادعوا الى الله على بصيرة) أى على حجة واضحة والبصيرة المعرفة التي تتميز بها الحق من الباطل (انا ومن اتبعنى) أى ويدعو اليها من اتبعنى واهتدى به ديتي قال الفراء والمعنى ومن اتبعنى يدعوا الى الله كما أدعوا في هذ دليل على ان كل متبع لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى عليه ان يقتدى به في الدعاء الى الله أى الدعاء الى الايمان به وتوحيده والعمل بما شرعه لعباده قال ابن الانبارى ويجوز ان يتم الكلام عند قوله أدعوا الى الله ثم ابتدأ فقال على بصيرة أنا ومن اتبعنى قال قتادة على بصيرة أى على هدى (و) أسبح (سبحان الله) أى وأئززه فتزبها له عما لا يليق بجلاله من جميع النقائص والشركاء والاضداد والانداد (وما أنا من المشركين) بالله الذين يتخذون من دونه أندادا (وما أرسلنا من قبلك) هذارى على من قال لولا أنزل عليه ملك أى لم نبعث من الانبياء الى من قبلهم (الارجالا) لا لانه أى ليسوا من أهل السماء كما ظنهم قاله ابن عباس فكيف يشكرون ارسالنا اياك وتدل الآية على ان الله سبحانه لم يبعث نبيا من السماء ولا من الجن وهذا يرد على من قال ان فى النساء أربع نبيات حواء وآسية وام موسى ومريم وقد كان بعثة الانبياء من الرجال دون النساء أمر معروف عند العرب حتى قال قيس بن عاصم في سباج المتنبهة

أضحت نبيتنا التي فطيف بها * وأصحت أنبياء الله ذكرا
فلعنسة الله والاقوام كلهم * على سباج ومن باللوم اغرانا

(نوحى اليهم) كأنوحى اليك وقرئ بالياء مبنيا للمفعول (من أهل القرى) أى المدائن والامصار دون أهل البادية لغلبة الجفاء والقسوة على البدو ولكون أهل الامصار أتم عقلا وأكمل حلمانا وحسن علما وأجل فضلا قال قتادة ما نعلم ان الله أرسل رسولا قط

أن لا يكون كذبه فاهلك كاهلك الذين كذبوه فان الله تعالى قال للذين كذبوه حين أنزل لوحى شرم ما قال لاحد فقال الله الامن تعالى سيخلقون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم انهم رجس وماؤهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لتعرضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين قال وكأياها الثلاثة الذين خلفنا عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خلفوا فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله أمرنا حتى قضى الله فيه فذلك قال الله عز وجل وعلى الثلاثة الذين خلفوا وليس تخليفه ايانا وارجأوه أمرنا الذي ذكر بما خفنا تخلفنا عن الغزوة انما هو عن خلافه واعتذر

اليه فقبل منه هذا حديث صحيح ثابت متفق على صحته رواه صاحب الصحيح البخاري ومسلم من حديث الزهري نحوه فقد تضمن هذا الحديث تفسير هذه الآية الكريمة باحسن الوجوه وأبسطها وكذا روى عن غيره واحد من السلف في تفسيرها كما رواه الامش عن ابي سفيان عن جابر بن عبد الله في قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا قال هم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن ربيعة وكلهم من الانصار وكذا قال مجاهد والضحاك وقادة والسدي وغير واحد وكلهم قال مرارة بن ربيعة وفي رواية عن سعيد ابن جبير ربيع بن مرارة وقال الحسن البصري ربيع بن مرارة و (٨٥) مرار بن ربيع وفي رواية عن الضحاك مرارة بن

الامين أهل القرى لانهم كانوا أعلم وأعلم من أهل المعمور وقال الحسن لم يبعث نبي من بدو ولا من الجن ولا من النساء (أفلم يسروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) أفلم يسروا هؤلاء المشركون لنسبة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فينظروا الى مصارع الامم الماضية فيعتبروا بهم وما حل بهم من عذاب الله حتى ينزعوا عما هم فيه من التكذيب قال الحسن أي كيف عذب الله قوم نوح وقوم لوط وقوم صالح والامم التي عذبها (ولدار) الساعة (الآخرة) أو الخلة الآخرة أو الخيمة الآخرة على حذف الموصوف وقال القراء ان الدار هي الآخرة وأضيف الشيء الى نفسه لاختلاف اللفظ كيوم الجمعة وصلاة الاولى ومسجد الجامع والكلام في ذلك مبين في كتب الاعراب والمراد بهذه الدار الجنة وقرئ للدار الآخرة (خير) من دار الدنيا (الذين اتقوا أفلا تعقلون) على الخطاب وقرئ بالتحية أي يتفكرون ويعتبرون بهم فيؤمنوا (حتى) غاية لحذف دل عليه الكلام وتقديره وما أرسلنا من قبلك يا محمد الا رجالا ولم نعجل لهم الذين لم يؤمنوا بما جاؤا به بالعقوبة حتى (اذا استياس الرسل) عن النصر بعقوبة قومهم أو حتى اذا استياسوا من ايمان قومهم لانهم في الكفر وقدره القرطبي الا رجالا ثم لعاقب أمتهم حتى اذا وقدره ابن الجوزي الا رجالا فدعوا قومهم فكذبوهم وطال دعواؤهم وتكذيب قومهم حتى اذا وقدره الزمخشري الا رجالا افترا حتى نصرهم حتى وأحسنها ما قدمته وقال الواحدى حتى هنا من حروف الابتداء يستأنف بعدها (وظنوا انهم قد كذبوا) قرأ جماعة من الصحابة وتابعهم والكسائي والقراء بالتخفيف مبنيا لانه فعول أي ظن القوم ان الرسل قد كذبوهم فيما أخبروا به من العذاب ولم يصدقوا وقيل المعنى ظن القوم ان الرسل قد كذبوا فيما ادعوا من النصر وقيل المعنى وظن الرسل انها قد كذبتهم أنفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون عليهم أو كذبهم رجاءوهم النصر وقرأ الباقون كذبوا بالتشديد والمعنى عليها واضح أي ظن الرسل بان قومهم قد كذبوهم فيما وعدوهم به من العذاب ويجوز في هذا ان يكون فاعل ظن القوم المرسل اليهم على معنى انهم ظنوا ان الرسل قد كذبوا فيما جاؤا به من الوعد والوعد وقرأ مجاهد وجميد قد كذبوا بالتخفيف معروفا على معنى وظن قوم الرسل ان الرسل قد كذبوا وقد قيل ان الظن في هذه الآية بمعنى اليقين لان الرسل قد تيقنوا ان قومهم كذبوهم وليس ذلك مجرد ظن منهم

الريبع كما وقع في الصحيحين وهو الصواب وقوله فسموا رجلين شهدا بدرا قيل انه خطأ من الزهري فانه لا يعرف شهود واحد من هؤلاء الثلاثة بدرا والله أعلم ولما ذكر تعالى ما فرج به عن هؤلاء الثلاثة من الضيق والكرب من هجر المسلمين اياهم فحوامن خسين ليلة بايامها وضاعت عليهم أنفسهم وضاقت عليهم الارض بما رحبت أى مع سعتها فسددت عليهم المسالك والمذاهب فلا يهتدون ما يصنعون فصبروا لامر الله واستكانوا لامر الله وثبتوا حتى فرج الله عنهم بسبب صدقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في تخلفهم وانه كان عن غير عذر فعوقبوا على ذلك هذه المدة ثم تاب الله عليهم فكان عاقبة صدقهم خيرا لهم وتوبة عليهم ولهذا قال يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين أى اصدقوا والزمو الصدق تكمونوا من أهله وتجوامن المهالك ويجعل لكم فرجا من أموركم ومخرجا وقد قال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية

حدثنا الامش عن شقيق عن عبد الله هو ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فوعا عليكم بالصدق فان الصدق يهدى الى البروان البر يهدى الى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا واما الكذب فان الكذب يهدى الى الفجور وان الفجور يهدى الى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا آخر جاء في الصحيحين وقال شعبة عن عمرو بن مرة سمع ابا عبيدة يحدث عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه انه قال الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل اقرؤا ان شئتم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين هكذا قرأها ثم قال فهل تجدون

لا حد فيه رخصة وعن عبد الله بن عمر في قوله اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال مع محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقال الضحاك مع أبي بكر وعمر وأصحابهما وقال الحسن البصري ان أردت ان تكون مع الصادقين فعليك بالزهد في الدنيا والتكف عن أهل الملة (ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا شح في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا يتألمون من عدو نبلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع أجر المحسنين) يعاتب تبارك وتعالى المتخلفين عن (٨٦) رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك من أهل المدينة ومن حولها

من أحياء العرب ورغبتهم بانفسهم عن مواساته فيما حصل له من المشقة فانهم تقصوا انفسهم من الاجر لانهم لا يصيبهم ظمأ وهو العطش ولا نصب وهو التعب ولا شح في سبيل الله وهي الجماعسة ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار اى يتألمون من زلزال يهيب عدوهم ولا يتألمون منه ظفرا وغلبة عليه الا كتب لهم بهذه الاعمال التي ليست داخله تحت قدرهم وانما هي ناشئة عن أفعالهم أعمالا صالحة وثوابا جزيل ان الله لا يضيع أجر المحسنين كقوله انما لنضيع أجر من أحسن عملا (ولا يتفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون) يقول تعالى ولا يفتق هؤلاء الغزاة في سبيل الله نفقة صغيرة ولا كبيرة أى قليلا ولا كثيرا ولا يقطعون واديا أى في السير الى الأعداء الا كتب لهم ولم يقل ههنا به لان هذه أفعال صادرة عنهم ولهذا قال ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون وقد حصل لامير المؤمنين عثمان بن

والذي ينبغي ان يفسر الظن باليقين في مثل هذه الصورة ويفسر بمعناه الاصل فيما يحصل فيه مجرد ظن فقط من الصور السابقة وقد أطال الخازن والخفاجي في بيان معنى هذه الآية بما ليس في ذكره كثير فائدة وفيما ذكرناه من منع وبلاغ (جاءهم نصرنا) أى نجاه الرسل نصر الله سبحانه نجاة أو جاء قوم الرسل الذين كذبواهم نصر الله له بايقاع العذاب على المكذبين وأخرج البخاري وغيره من طريق عروة انه سأل عائشة عن قول الله سبحانه حتى اذا استأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا قال قلت ا كذبوا ام كذبوا اعني هل هذه الكلمة مخففة أو مشددة فقالت بل كذبوا اعني بالشد لا شدي قلت والله لقد استيقنوا ان قومهم كذبواهم فاهو بالظن قالت أجل اعمرى لقد استيقنوا بذلك فقلت لعلها وظنوا انهم قد كذبوا مخففة قالت معاذ الله لم تكن الرسل لتظن ذلك برهم اقلت فها هذه الآية قالت هم اتباع الرسل الذين آمنوا بهم وصدقوهم وطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر حتى اذا استأس الرسل من كذبهم من قومهم وظنت الرسل ان اتباعهم قد كذبواهم جاءهم نصر الله عند ذلك وقال ابن عباس كذبوا مخففة يقول أخلفوا وكانوا ابشرا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله قال عروة عن عائشة انها خالفت ذلك وأبته وقالت والله ما وعد الله رسوله من شئ الا علم انه سيكون قبل ان يموت ولكنه لم يزل البلاء بالرسول حتى ظنوا ان من معهم من المؤمنين قد كذبواهم وكانت تقرأها منقولة وعن عائشة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرأ وظنوا انهم قد كذبوا مخففة أخرجه ابن مردويه من طريق عكرمة وعن ابن عباس ايضا انه كان يقرأ قد كذبوا مخففة وقال يدس الرسل من قومهم ان يستجيبوا لهم وظن قومهم ان الرسل قد كذبواهم بما جاءهم به جاءهم نصرنا أى الرسل وها قرأ ابن مسعود قال استأس الرسل من ايمان قومهم ان يؤمنوا بهم وظن قومهم حين ابطاء النصر انهم قد كذبوا وقال حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سورة يوسف انهم قد كذبوا مخففة والسلف في هذا كلام يرجع الى ما ذكرناه من الخلاف عن الصحابة (فتجي من نساء) من عبادة عند نزول العذاب بالكافرين والذين نجاهم الله هم الرسل ومن آمن معهم وهلك المكذبون (ولا يرد بأسنا) أى عذابنا عند نزولنا (عن القوم المنجربين) المنسركين قال ابن عباس وذلك ان الله بعث الرسل يدعون قومهم فاخبروهم ان من أطاع الله نجح ومن أعرض عذب وغوى وفيه بيان من نساء الله نجاهته من العذاب وهم من

عقاب رضى الله عنه من هذه الآية الكريمة حظ وافر ونصيب عظيم وذلك انه أنفق في هذه الغزوة النفقات الجليله عدا والاموال الجزيلة كما قال عبد الله ابن الامام أحمد حدثنا أبو موسى الغنوي حدثنا عبد السميد بن عبد الوارث حدثني سليمان بن المغيرة حدثني الوليد بن أبي هشام عن فرقد بن أبي طلحة عن عبد الرحمن بن حباب السلمي قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت على جيش العسرة فقال عثمان بن عفان رضى الله عنه على مائة بعير باحلاسها وأقتابها قال ثم حدث فقال عثمان على مائة بعير اخرى باحلاسها وأقتابها قال فرأيت

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بيده هكذا يحركها فاخرج عبد الصمد بن عبد الله بن عثمان ما عمل بعد هذا وقال عبد الله
 أيضا حدثنا هرون بن معروف حدثنا حمزة بن عبد الله بن شاذب عن عبد الله بن القاسم عن كثير بن عبد الرحمن بن سمرة عن
 عبد الرحمن بن سمرة قال جاء عثمان رضي الله عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم بالنفدي ينار في نوبه حتى جهز النبي صلى الله عليه وسلم
 جيش العسرة قال فصحباني حجر النبي صلى الله عليه وسلم فأرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقلبها بيده ويقول ماض ابن عثمان ما عمل بعد
 اليوم يرددها مرارا وقال قتادة في قوله تعالى ولا يقطعون واديا الا كتب لهم (٨٧) الآية ما ازاد اقوم في سبيل الله بعد امن أهلهم

الا ازادوا و اقربا من الله (وما كان
 المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر
 من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا
 في الدين ولينذروا قومهم اذا
 رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) هذا
 بيان من الله تعالى لما أراد من
 تفسير الاحياء مع الرسول صلى
 الله عليه وسلم في غزوة تبوك فإنه
 قد ذهب طائفة من السلف الى
 انه كان يجب النفر على كل مسلم
 اذا خرج رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ولهذا قال تعالى انفروا
 خفافا وثقالا وقال ما كان لاهل
 المدينة ومن حولهم من الاعراب
 الآية قال فسرخ ذلك بهذه الآية
 وقد يقال ان هذا بيان لمراده تعالى
 من تفسير الاحياء كلها وشرذمة من
 كل قبيلة ان لم يخرجوا معهم ليتفقهوا
 الخارجون مع الرسول بما ينزل
 من الوحي عليه وينذروا قومهم
 اذا رجعوا اليهم بما كان من أمر
 العدو فيجتمع لهم الامر ان في
 هذا التفير المعين وبعده صلى الله
 عليه وسلم تكون الطائفة النافرة
 من الحى اما التفقه واما اللجهاد فإنه
 فرض كفاية على الاحياء وقال على

عدا هؤلاء الجرمين (لقد كان في قصصهم) أى قصص الرسل ومن بعثوا اليهم من
 الامم أو في قصص يوسف واخوته وأبيه قاله مجاهد (عبارة) هى الفكرة والبصيرة
 الخالصة من الجهل والحيرة وقيل هى نوع من الاعتبار وهى العبور من الطرف المعلوم الى
 الطرف المجهول (لاولى الالباب) هم ذوو العقول السليمة الذين يعتبرون بعقولهم
 فيدرون ما فيه مصالح دينهم وانما كان هذا القصص عبرة لما اشتمل عليه من الاخبارات
 المطابقة للواقع مع بعد المدة بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبين الرسل الذين قص
 حديثهم ومنهم يوسف واخوته وأبوه مع كونه لم يطلع على اخبارهم ولا اتصل باخبارهم
 وعبارة الكرخى وجه الاعتبار بقصصهم انه قال فى أول السورة نحن نقص عليك أحسن
 القصص ثم قال ههنا لقد كان في قصصهم عبرة لاولى الالباب وذلك تبييه على ان حسن هذه
 القصة انما هو لاجل حصول العبرة منها ومعرفة الحكمة والقدرة (ما كان) هذا
 المقصود الذى يدل عليه ذكر القصص أو القرآن المشتمل على ذلك المتقدم ذكره فى قوله
 انما أنزلناه قرآنا عربيا (حديثنا يفتري) قال قتادة القرية الكذب (ولكن تصديق الذى بين
 يديه) من الكتب المنزلة كالتوراة والانجيل والزبور وقيل هو تصديق ذلك كله ويشهد
 عليه ان جميعه حق من عند الله (وتفصيل كل شئ) من الشرائع المجمل المحتاجة الى
 تفصيلها لان الله سبحانه لم يفرط فى الكتاب من شئ من الاحكام والحدود والقصص
 والمواعظ والامثال وغير ذلك وقيل تفصيل كل شئ من قصة يوسف مع اخوته وأبيه وقيل
 وليس المراد به ما يقتضيه من العموم بل المراد به الاصول والقوانين وما يؤول اليها قال قتادة
 فصل الله بين حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته وقيل ما من شئ من أمر ديني الا وله
 مستند فى القرآن بواسطة أو بغير واسطة (وهدى) فى الدنيا يهتدى به كل من أراد
 هدايته (ورحمة) فى الآخرة يرحم الله بها عباده العاملين بما فيه بشرط الايمان
 الصحيح ولهذا قال (لقوم يؤمنون) أى يصدقون به وبما تضمنه من الايمان بالله
 وملائكته وكتبه ورسله وشرائعه وقدره وأمان عداهم فلا ينتفع به ولا يهتدى بما اشتمل
 عليه من الهدى فلا يستحق ما يستحقونه

* (سورة الرعد وهى ثلاث وقيل أربع أو خمس أو ست وأربعون آية) *

ابن أبى طلحة عن ابن عباس فى الآية وما كان المؤمنون لينفروا جميعا وبتروا النبي صلى الله
 عليه وسلم وحده فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة يعنى عصابة يعنى السرايا ولا يسيروا الا بذنه فاذا رجعت السرايا وقد أنزل بعدهم قرآنا
 تعلمه القاعدون مع النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا ان الله قد أنزل على نبيكم قرآنا وقد تعلمناه فتكث السرايا يتعلمون ما أنزل الله على
 نبيهم بعدهم ويبحث سرايا اخرى فذلك قوله ليتفقهوا فى الدين يقول ليتعلموا ما أنزل الله على نبيهم ولتعلموا السرايا اذا رجعت اليهم
 لعلهم يحذرون وقال مجاهد نزلت هذه الآية فى اناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا فى البوادي فاصابوا من الناس

المعروف ومن الخصب ما ينتفعون به ودعوا من وجدوا من الناس الى الهدى فقال الناس لهم ما نراكم الا وقد تركتم اصحابكم
 وحيثمونا فوجدوا في انفسهم من ذلك تحرجا واقلوا من البادية حتى دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله عز وجل فلولا
 نفر من كل فرقة منهم طائفة ليغنون الخير لستفقهوا في الدين وليستعوا ما في الناس وما أنزل الله فعذرهم ولينذروا قومهم انهم
 اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون وقال قتادة في الآية هذا اذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيوش أمرهم الله ان يغزوا
 بنبيه صلى الله عليه وسلم وتقيم طائفة مع (٨٨) رسول الله تتفقه في الدين وتنطلق طائفة تدعوا قومها وتحذروهم وقائع الله فيمن

خـ لا قبلهم وقال الضحالك كان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
 غزا بنفسه لم يحل لاحد من المسلمين
 ان يتخلف عنه الا أهل الاعذار
 وكان اذا أقام وأسرى السرايل لم يحل
 لهم ان ينطلقوا الا باذنه وكان
 الرجل اذا أسرى فقتل بعده قرآن
 وتلاه نبي الله صلى الله عليه وسلم على
 أصحابه القاعد بن معه فاذا رجعت
 السرية قال لهم الذين أقاموا مع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
 الله أنزل بعدكم على نبيه قرآنا
 فيقرؤنهم ويفقهونهم في الدين
 وهو قوله وما كان المؤمنون
 لينفروا كافة يقول اذا أقام رسول
 الله فلولا نفر من كل فرقة منهم
 طائفة يعني بذلك انه لا ينسفي
 للمسلمين ان ينفروا جميعا ونبي الله
 صلى الله عليه وسلم قاعد ولكن
 اذا قعد نبي الله فسرت السرايا وقعد
 معه عظم الناس وقال علي بن أبي
 طلحة أيضا عن ابن عباس في الآية
 قوله وما كان المؤمنون لينفروا
 كافة انها ليست في الجهاد ولكن
 لما دعا رسول الله صلى الله عليه
 وسلم على مضر بالسنتين اجدت

وقد وقع الخلاف هل هي مكية أو مدنية ومن ذهب الى الاول سعيد بن جبير والحسن
 وعكرمة وعطاء وجابر وابن زيد والي الثاني ابن الزبير والكلبي ومقاتل والقول الثالث انها
 مدنية الا آيتين فانهم ما نزلت بمكة وهما قوله تعالى ولوان قرأ ناسرت بها الجبال وقيل قوله
 ولا يزال الذين كفروا وتصيهم بما صنعوا قارعة وقيل هو الذي ير يكتم البرق الى قوله له دعوة
 الحق وعن جابر بن زيد كان يستحب اذا حضر الميت ان يقرأ عنده سورة الرعد فان ذلك
 يخفف عن الميت وأنه أهون لقبضه وأيسر لشأنه

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(المر) قد تقدم الكلام في الحروف الواقعة في أوائل السور بما يغني عن الاعادة قال ابن
 عباس المعنى انا الله أرى وقال مجاهد فواتح يفتح بها كلامه والحق ان الله تعالى أعلم
 بمراده أو هو اسم للسورة والتقدير هذه السورة اسمها هذا (تلك) أي آيات هذه السورة
 وقيل اشارة الى ما قص عليه من أنباء الرسل وقيل الى آيات القرآن وعليه جرى الزمخشري
 وجهه والمفسرين (آيات الكتاب) والمراد بالكتاب السورة أي تلك آيات السورة
 الكاملة العجيبة الشأن والاضافة بمعنى من وقال مجاهد الكتاب التوراة والانجيل
 (والذي أنزل اليك من ربك) المراد به القرآن كله فله قتادة وغيره أي هو (الحق) البالغ
 في اتصافه بهذه الصفة لا شك فيه (ولكن أكثر الناس) يعني مشركي مكة (لا يؤمنون)
 بهذا الحق الذي أنزل الله اليك قال الزجاج لما ذكر انهم لا يؤمنون ذكر الدليل الذي
 يوجب التصديق بالخالق فقال (الله الذي رفع السموات بغير عمد) العمدة الاساطين
 والدعائم جمع عماد أي على غير قياس والقياس ان يجمع على عمد بضم العين والميم وقيل
 ان عمد اجمع عماد في المعنى أي انه اسم جمع لاجع صناع وهو صادق بان لا عمد أصلا
 وهذا هو أصح القولين أي قائمات بغير عمد تعمدها وقيل لها عمد ولكن لانها وهذا
 قول مجاهد وعكرمة قال الزجاج العمدة قدرته التي يسكن بها السموات وهي غير مرتبة لنا
 وقرئ عمد على انه جمع عمود وعمده أي بسند اليه وجملة (ترونها) مستأنفة استتماد
 على رؤيتهم لها كذلك وقيل هي صفة للعمد وهو أقرب مذكور ووجه الزمخشري وقيل في
 الكلام تقديم وتأخير والتقدير رفع السموات ترونها بغير عمد ولا ملجئ الى مثل هذا

بلادهم وكانت القبيلة منهم تقبل باسرها حتى يحلوا بالمدينة من الجهدو يعتلوا بالاسلام وهم كاذبون التكلف
 فضيقوا على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجهدوهم فانزل الله يخبر رسوله انهم ليسوا مؤمنين فردهم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم الى عشائرهم وحذر قومه ان يفعلوا فعلهم فذلك قوله ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم الآية وقال العوفي عن ابن
 عباس في هذه الآية كان ينطلق من كل حي من العرب عصابة فيأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيسألونه عما يريدون من أمر دينهم
 ويتفقهون في دينهم ويقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ما تأمرنا ان نفعله وأخبرنا بما تأمر به عشائرنا اذا قدمنا عليهم قال فيأمرهم

نبي الله صلى الله عليه وسلم بطاعته واطاعة رسوله وبيعتهم الى قومهم بالصلاة والزكاة وكانوا اذا اتوا قومهم قالوا ان من اسلم فهو منا وينذرونهم حتى ان الرجل ليفارق ابيه وامه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يخبرهم وينذرهم قومهم فاذا رجعوا اليهم يدعونهم الى الاسلام وينذرونهم النار ويشرحونهم بالجنة وقال عكرمة لما نزلت هذه الآية الاتنفروا يعذبكم عذاباً أليماً وما كان لاهل المدينة الآية قال المنافقون هالك أصحاب البدو الذين تخلقوا عن محمد ولم ينفروا معه وقد كان ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا الى البدو الى قومهم يفتقونهم فانزل الله عز وجل وما كان المؤمنون (٨٩) لينفروا كافة الآية ونزلت والذين

يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجهم داخضة عند ربهم وعابهم غضب ولهم عذاب شديد وقال الحسن البصري في الآية ليتفتته الذين خرجوا بغيرهم الله من الظهور على المشركين والنصرة وينذروا قومهم اذ رجعوا اليهم (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين) أمر الله تعالى المؤمنين ان يقاتلوا الكفار وألأفاؤالا اقرب فالاقرب الى حوزة الاسلام ولهذا بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال المشركين في جزيرة العرب فلما فرغ منهم وفتح الله عليه مكة والمدينة والطائف واليمن واليمامة وهجر وخيبر وحضرموت وغير ذلك من أقاليم جزيرة العرب ودخل الناس من سائر أحياء العرب في دين الله أفواجا شرع في قتال أهل الكفار فجهز لغزو الروم الذين هم أقرب الناس الى جزيرة العرب وأولى الناس بالدعوة الى الاسلام لانهم أهل كتاب فبلغ تبوك فرجع لاجل جهد الناس وجذب البلاد

التكلف قال ابن عباس وما يدريك لعلها بعد لا ترونها وقال يقول لها عدوا ~~كن~~ لا ترونها يعني الاعمال قال اياس بن معاوية السماء مقببة على الارض مثل القبة وبه قال الحسن وقتادة وجهور المفسرين وعن ابن عباس قال السماء على أربعة أملاك كل زاوية موكل بها ملك قال السمين في هذا الكلام وجهان أحدهما اتقاء العمدة والرؤية جميعا أي لا عمد فلرؤية يعني لا عمد لها فلا ترى واليه ذهب الجمهور والثاني ان لها عمدا ولكن غير مرئية (ثم) هنا مجرد العطف لالتزيب لان الاستواء عليه غير مرتب على رفع السموات (استوى على العرش) استواء يليق به هذا مذهب السلف وقال المعتزلة استوى عليه بالحفظ والتدبير واستوى أمره وأقبل على خلق العرش وقدمه تقدم الكلام على هذا مستوفى والحق ان الاستواء على العرش صفة لله سبحانه بلا كيف كما هو مقرر في موضعه من علم الكلام (وسخر الشمس والقمر) أي ذللها لما أراد منهما من منافع الخلق ومصالح العباد فالحركة المستمرة على حد من السرعة تنفع في حدوث الكائنات وبقائها (كل) من الشمس والقمر (يجرى لاجل مسمى) أي الى وقت معلوم معين وهو فناء الدنيا وزوالها وقيام الساعة التي تتكور عندها الشمس وينخسف القمر وتتكدر النجوم وتنتثر وقيل المراد بالاجل المسمى درجاتها ومنازلها التي ينتمي ان إليها لا يجاوزها وهي سنة للشمس وشهر للقمر لا يختلف جرى واحد منهما ما قبل وهذا هو الحق في تفسير الآية (يدبر الامر) أي أمر العالم العلوي والسفلي يعني يقضيه ويمضيه وحده قاله مجاهد والمعنى يصرفه على ما يريد وهو أمر ملكوته وربوبيته يدبره على أكل الاحوال وأتم الافعال لا يشغله شأن عن شأن وقيل يدبر الامر بالايجاد والاعداد والاحياء والاماتة ولا وجه للتخصيص بشئ دون شئ فان اللفظ أوسع من ذلك قال الكرخي وجمل التدبير على العموم أولى من جملة على نوع من أحوال العالم كما جرى عليه جمع من المفسرين وهذا التدبير والانتفاذ والامضاء هو من فوق العرش وهو ظاهر نظم القرآن الكريم (يفصل) أي يبين (الآيات) الدالة على كمال قدرته وربوبيته ومنها ما تقدم من رفع السماء بغير عمد وتسخير الشمس والقمر وجرهما لاجل مسمى والمراد بهذا تنبيه العباد على ان من قدر على هذه الاشياء فهو قادر على البعث والاعادة ولهذا قال (لعلكم) عند مشاهدة هذه الآيات (بما كنتم توفقون) لانتم تكونون

(١٢ فتح البيان خامس) وضيق الحال وذلك سنة تسع من هجرته عليه السلام ثم اشتغل في السنة العاشرة بحجة الوداع ثم عاجلته المنية صلوات الله وسلامه عليه بعد حجته باحدى وعشرين يوماً فاختاره الله لما عنده وقام بالامر بعده وزيره وصديقه وخليفته أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقدمال الدين ميله كاد ان يجعل فثبته الله تعالى به فاطر القواعد وثبت الدعائم ورد شارح الدين وهو راغم ورد أهل الردة الى الاسلام وأخذ الزكاة ممن منعها من الطغمان وبين الحق لمن جهل وأدى عن الرسول ما حمله ثم شرع في تجهيز الجيوش الاسلامية الى الروم عبدة الصليبان والى القرس عبدة النيران ففتح الله بركة سفارته البلاد وأرغم أنف كسرى

وقبصر ومن أطاعهم - ما من العباد وأتفق كنوزهما في سبيل الله كما أخبر بذلك رسول الله وكان تمام الامر على يدي ووصيه من بعده وولى عهده الفاروق الاواب شهيد المحراب أبي حفص عمر بن الخطاب رضى الله عنه فارغم الله به أنوف الكفرة المخسدين وقع الطغاة والمنافقين واستولى على الممالك شرقا وغربا ووجلت اليه خزائن الاموال من سائر الاقاليم بعد او قربا ففرقها على الوجه الشرعى والسبيل المرضي ثم لما مات شهيدا وقدمت عليه جسد اجمع الصحابة من المهاجرين والانصار على خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه (٩٠) شهيدا دارفكسى الاسلام رياسة حلة سابعة وامتدت

فيه ولا تترون في صدقه ولما ذكر الدلائل السماوية أتبعها بذكر الدلائل الارضية فقال (وهو الذى مد الارض) على وجه الماء قال الفراء بسطها طولا وعرضها تثبت عليها الاقدام ويتقلب عليها الحيوان وقال الاصم ان المدهو والبسط الى ما لا يدرك منه ما زاد الكرخى فقولته مد الارض يشعر بأنه تعالى جعل الارض حجما عظيما لا يقع البصر على منتهى انتهى قبل وهذا المد الظاهر للبصر لا ينافى كرىتها في نفسها التباعد اطرافها وبه قال أهل الهيئة والله أخبرنا مد الارض وانه دحاها وبسطها وانه جعلها فراشا وكل ذلك يدل على كونها مسطحة كالأفك وهو اصدق قولا وبين دليلان من أصحاب الهيئة وفي الجامع الصغبر حديث رواه البيهقي عن ابن عباس ولفظه أول بقعة وضعت من الارض موضع البيت ثم مدت منها الارض وان أول جبل وضعه الله على وجه الارض أبو قبيس ثم مدت منه الجبال وعن ابن عمر وقال الدنيا مسيرة خمسمائة عام أو ربعمائة عام خراب ومائة عمران في ايدي المسلمين من ذلك مسيرة سنة وقدرى عن جماعة من السلف في ذلك تقريرات لم يأت عليهم ادليل يصح وعن علي بن ابي طالب قال لما خلق الله الارض قصت وقالت أي رب تجعل على بني آدم يعملون على الخطايا ويجعلون على الخبيث فارسل الله فيهما من الجبال ماترون ومالاترون فكان اقرارها كاللحم تخرج (وجعل فيها) جبالا (رواسي) اي ثوابت تسكها عن الاضطراب واحدها راسية لان الارض ترسوبها أي تثبتت والرسو الثبوت (وأأنهارا) أي مياها جارية في الارض فيها منافع الخلق أو المراد جعل فيها مجارى الماء (ومن كل الثمرات) متعلق بجعل في قوله (جعل فيها زوجين اثنين) أي اثنيانية حقيقة وهما الفردان اللذان كل منهما زوج الآخر وأكذبه الزوجين لثلا يفهم ان المراد بذلك الشفعان اذ يطلق الزوج على المجموع ولكن اثنيانية ذلك اثنيانية اعتبارية أي جعل من كل نوع من أنواع ثمرات الدنيا صنفين اما في اللونية كالبياض والسواد ونحوهما أو في الطعمية كالحلو والحامض ونحوهما أو في القدر كالصغر والكبر أو في الكيفية كالحر والبرد وما أشبه ذلك ويجوز أن يتعلق بجعل الاول ويكون الثاني استثناء فالبيان كيفية ذلك الجعل قاله أبو السعود قال الفراء يعني بالزوجين هنا الذكر والانثى من كل صنف ومثله عن مجاهد والاول أولى (يعشى الليل النهار) أي يلبسه مكانه فيمصر أو سود مظلما بعدما كان أبيض منيرا شبه ازالة نور الجوى بالظلمة بتغطية

الدعوة في سائر الاقاليم على رقاب العباد حجة الله الباغية فظهر الاسلام في مشارق الارض ومغاربها وعلت كلمة الله وظهر دينه وبلغت الملة الخنيفة من أعداء الله غاية مأربها وكلموا أمة انتقلوا الى من بعدهم ثم الذين يلونهم من العتاة الفجار امتثالا لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وقوله تعالى وليجدوا فيكم غلظة أي غلظة عليهم في قتالكم لهم فان المؤمن الكامل هو الذى يكون رفيقا لا يخيه المؤمن غليظا على عدوه الكافر كقوله تعالى فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أدلة على المؤمنين أعززة على الكافرين وقوله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رجاء بينهم وقال تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا الضحوك القتال يعني أنه ضحوك في وجهه ولبه قتال لهامة عدوه وقوله واعلموا ان الله مع المتقين أي

الاشياء

قاتلوا الكفار وتوكلوا على الله واعلموا ان الله معكم اذا اتقيتموه وأطعتموه وهكذا الامر

لما كانت القرون الثلاثة الذين هم خير هذه الامة في غاية الاستقامة والقيام بطاعة الله تعالى لم ير الواضحين على عدوهم ولم تزل الفتوحات كثيرة ولم تزل الاعداء في سفال وخسار ثم لما وقعت الفتنة والاهواء والاختلافات بين الملوك طمعت الاعداء في اطراف البلاد وتقدموا اليها فلم يمانعوا الشغل الملوك بعضهم ببعض ثم تقدموا الى حوزة الاسلام فاخذوا من اطراف بلدانا كثيرة ثم لم يزالوا حتى استحوذوا على كثير من بلاد الاسلام والله سبحانه الامر من قبل ومن بعد فكما قام ملك من ملوك الاسلام

وأطاع أو امر الله فتح الله عليه من البلاد واسترجع من الأعداء بحسبه وبقدر ما فيه من ولاية الله والله المسئول المأمول ان
يمكن المسلمين من نواصي أعدائه الكافرين وان يعلى كلمتهم في سائر الأقاليم انه كريم جواد (واذا ما أنزلت سورة فتنهم من
يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى
رجسهم وما تواتوا هم كافرين) يقول تعالى واذا ما أنزلت سورة فمننا من لا يملك لنفسه نصيبا الا بما آتاه الله وقدره
ايكم زادته هذه السورة ايمانا قال الله تعالى فاما الذين آمنوا فزادتهم (٩١) ايمانا وهم يستبشرون وهذه الآية من

أ كبر الدلائل على ان الايمان يزيد
ويُنقص كما هو مذهب اكثر السلف
والخلف من أئمة العلماء بل قد حكي
غير واحد الاجماع على ذلك وقد
يسط الكلام على هذه المسئلة في
أول شرح البخارى رحمه الله وأما
الذين في قلوبهم مرض فزادتهم
رجسا الى رجسهم أى شكالى
شكهم وريسا الى ريبهم لقوله تعالى
وتنزل من القرآن ما هو شفاء
الاية وقوله تعالى قل هو الله
آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون
فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى
أؤانسك ينادون من مكان بعيد
وهذا من جملة شقائهم ان ما يهدى
القلوب يكون سببا لضلالهم
ودمارهم كما ان سبي المزاج لو غذى
بما غذى به لا يزيد الا خبلا ونقصا
(أولايرون انهم يقتنون فى كل
عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون
ولا هم يذكرن واذا ما أنزلت سورة
نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من
أحدث انصرفوا صرف الله قلوبهم
بانهم قوم لا يفقهون) يقول تعالى
أولايرى هؤلاء المنافقون انهم
يقتنون أى يختبئون فى كل عام
مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم

الاشياء الحسية بالاغطية التى تسترها أى يستر النهار الليل والتركيب وان احتمل العكس
أيضا بالحل على تقديم المفعول الثانى على الاول فان ضوء النهار أيضا سائر لظلمة الليل
الا ان الانسب بالليل ان يكون هو الغاشى وعدهذا فى تضاعف الآيات السنبلية وان
كان تعلقه بالآيات العلوية ظاهرا باعتبار ظهوره فى الارض فان الليل انما هو ظلها
وفىما فوق موقع ظلها لا ليل أصل ولان الليل والنهار لهما تعلق بالثمرات من حيث العقد
والانضاج على انهما أبيضان متقابلان مثلها وقرى يغشى من التغمية وقد سبق
تفسير هذا فى الاعراف (ان فى ذلك) المذكور من مدا الارض وثابتها بالجبال وما جعله
الله فيهما من الثمرات المتزاوجة وتعاقب النور والظلمة (لايات) بينة (لقوم يتفكرون)
أى للناظرين المتفكرين المعبرين فيستدلون بالصنعة على الصانع وبالسبب على المسبب
والفكر هو تصرف القلب فى طلب الاشياء وقال صاحب المفردات الفكرة قوة مطروقة
للعلم الى المعلوم والتكفر حريان تلك القوة بحسب نظر العقل وذلك للانسان دون
الحيوان ولا يقال الا فيما يمكن ان يكون له صورة فى القلب ولهذا روى تفكروا فى آلاء
الله ولا تفكروا فى الله اذ الله منزوع ان يوصف بصورة (وفى الارض قطع متجاورات)
أى بقاع مختلفة وهذا كلام مستأنف مشتق على ذكروا آخر من أنواع الآيات قيل
وفى الكلام حذف أى قطع متجاورات وغير متجاورات كما فى قوله سرايل تقيمكم الحزأى
والبرد وقيل المتجاورات المدن وما كان عامرا وغير المتجاورات الصحارى وما كان غير
معمور وقيل معنى متجاورات متدانيات تراها واحدا وماؤها واحدا وقيل زرع وجنات
ثم تتفاوت فى الثمار فيكون البعض حلوا والبعض حامضا والبعض طيبا والبعض غير طيب
وبالبعض يصلح فيه نوع والبعض الاخر نوع آخر وعن ابن عباس قال يريد الارض
الطيبة العذبة التى يخرج نباتها بذنربها تجاورها السبخة القبيحة المالحة التى لا يخرج
منها نباتها وهما أرض واحدة وماؤها شئ واحد ملح أو عذب ففصلت احدهما على
الآخرى قال قتادة قرئ متجاورات قريب بعضها من بعض وقال ابن عباس الارض تنبت
حلوا والارض تنبت حامضا وهى متجاورات تسقى بماء واحد وقيل متلاصقات فمنها طيب
وسبخ وقليل الربع وكثيره وهو من دلائل قدرته تعالى سبحانه (و) فى الارض
(جنات) أى بساتين وعلى النصب تقديره جعل فيها جنات والجنة كل بستان ذى شجر

يذكرن أى لا يتوبون من ذنوبهم السالفة ولا هم يذكرن فيما يستقبل من أحوالهم قال مجاهد يمتحنون بالسنة والجوع وقال
قتادة بالغزو فى السنة مرة أو مرتين وقال شريك عن جابر عن الجعنى عن أبى الضحى عن حذيفة فى قوله أولايرون انهم يقتنون
فى كل عام مرة أو مرتين قال كنا نسمع فى كل عام كذبة أو كذبتين فيفضل بها فثام من الناس كثير رواه ابن جرير فى الحديث عن أنس
لا يزداد الامر الا شدة ولا يزداد الناس الا شحا وما من عام الا والذى بعده شر منه سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم وقوله واذا
ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من أحدث انصرفوا صرف الله قلوبهم بانهم قوم لا يفقهون هذا أيضا اخبار عن

المنافقين انهم اذا أنزلت سورة على رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينظروا بعضهم الى بعض أي تلفتوا هل يراكم من أحد ثم انصرفوا أي تولوا عن الحق وانصرفوا عنه وهذا حالهم في الدنيا لا يثبتون عند الحق ولا يقبلونه ولا يفهمونه كقوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حرم مستنفرة فرت من قسورة وقوله تعالى فما للذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين أي ما لهؤلاء القوم يتقلبون عنك عينا وشمالا هروبا من الحق وذهابا الى الباطل وقوله ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم كقوله فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم بانهم قوم لا يفقهون (٩٢) أي لا يفهمون عن الله خطا با ولا يتصدون لفهمه ولا يريدونه بل هم في شغل

عنه ونشور منه فلهذا صاروا الى ما صاروا اليه (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فان تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) يقول تعالى تمتاعلى المؤمنين بما أرسل اليهم رسولا من أنفسهم أي من جنسهم وعلى لغتهم كما قال ابراهيم عليه السلام ربنا وبعث فيهم رسولا منهم وقال تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم وقال تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم أي منكم وبلغتكم كما قال جعفر بن أبي طالب للنجاشي والمغيرة بن شعبة لرسول كسرى ان الله بعث فينا رسولا منا عرف نسبه وصفته ومدخله ومخرجه وصدقه وأمانته وذكر الحديث وقال سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه في قوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم قال لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية وقال صلى الله عليه وسلم خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح وقد وصل هذا من وجه آخر

من نخيل وأعناب وغير ذلك سمي جنة لانه يستبرأ بشجاره الارض واليه الاشارة بقوله (من أعناب) جمع عنب (وزرع ونخيل) ذكر سبحانه الزرع بين الاعناب والنخيل لانه يكون في الخارج كثيرا كذلك ومثله في قوله سبحانه جعلنا الاحداهما جنتين من أعناب وحققناهما ما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً والنخل والنخيل بمعنى الواحد نخلة لكن النخل يذكر ويؤنث والنخيل مؤنث لا غير (صنوان وغير صنوان) قرئ بالرفع في الأربعة عطف على جنات وبالجر عطف على أعناب وبضم الصاد وكسرها وهما العتقان والاولى لغة قيس وتيم والثانية لغة العامة وقرئ بفتحها وهو اسم جمع لاجمع تكسير لانه ليس من اينية فعلان بالفتح ونظير صنوان بالفتح سعدان قال أبو عبيدة جمع صننو وهو أن يكون الاصل واحدا ثم يتفرع فيصير نخيلا ثم يحمل وهذا قول جميع أهل اللغة والتفسير فالصنوان جمع صنورهى النخلات يجمعها أصل واحد وتشعب فروعها فالصنوا المفرد واحد هذه النخلات قال ابن الاعرابي الصنوا المثل ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم لم عم الرجل صنواً بيه فمعنى الآية على هذا ان أشجار النخيل قد تكون متماثلة وقد لا تكون قال في الكشاف جمع صننو وهى النخلة لها رأسان وأصلها واحد وقيل الصنوان المجمع وغير الصنوان المتفرق قال النحاس وهو كذلك في اللغة يقال للنخلة اذا كانت فيها نخلة أخرى أو أكثر صنوان والصنو المثل ولا فرق بين التثنية والجمع الا بكسر النون في المنثى وبما يقتضيه الاعراب في الجمع عن البراء بن عازب قال الصنوان ما كان أصله واحدا وهو متفرق وغير الصنوان التى تثبت وحدها وفي لفظ الصنوان النخلة في النخلة ملتصقة وغير الصنوان النخل المتفرق وعن ابن عباس هى مجتمع النخل في أصل واحد وغيرها المتفرق وفي السمين والصنوا الفرع يجمعه وفرعا آخر أصل واحد والمثل وفي المختار اذا خرج نخلتان أو ثلاث من أصل واحد فكل واحدة منهن صنو والانتان صنوان بكسر النون والجمع صنوان برفعها (يسقى) بالتحسية أى يسقى ذلك كله يعنى أشجار الجنة وزروعها (بماء واحد) والماء جمع رقيق ما نعبه حياة كل نام وقيل فى حده هو جوهر سميال به قوام الارواح وقرئ تسقى بالنوعية بارجاع الضمير الى جنات وقال أبو عمرو والتأنيث أحسن لقوله (ونفضل بعضها على بعض فى الاكل) أى فى الطعام ما بين الخلو والحامض وغير ذلك من الطعام ولم يقل بعضه قرئ بالنون على تقدير ونحن

كما قال الحافظ أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي فى كتابه الفاصل بين الراوى والواعى حدثنا أبو أحمد يوسف بن هرون بن زياد حدثنا ابن أبي عمير حدثنا محمد بن جعفر بن محمد قال أشهد على أبي الحدثنى عن أبيه عن جده عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم الى ان ولدنى أى وأمى لم يسقى من سفاح الجاهلية شىء وقوله تعالى عزيز عليه ما عنتم أى يعز عليه الشىء الذى بعنت امته ويشق عليه ولهذا جاء فى الحديث المروى من طرق عنه انه قال بعنت بالحنيفية السمجة وفى الصحيح ان هذا الدين يسر وشريعته كراهة سمجة كراهة يسيرة على من يسرها الله تعالى

عليه حريص عليكم أي على هدايتكم ووصول النفع النبوي والآخرى اليكم وقال الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ حدثنا سفيان بن عيينة عن قطن عن أبي الطميلة عن أبي ذر قال تر كآرسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يقبل جناحيه في الهواء الا وهويذ كر لنا منه علما قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بقي شيء يقرب من الجنة ويباعد من النار الا وقد بين لكم وقال الامام أحمد حدثنا قطن حدثنا المسعودي عن الحسن بن سعد عن عمدة الهزلي عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يحرم حرمة (٩٣) الا وقد علم انه سيطلعها منكم مطلقا الا وانى

أخذ بحجزكم ان تهافتوا في النار كتهافت الفراس والذباب وقال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد ابن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اناه ملكا فيما يرى النائم فعدأ حدهما عند رجليه والآخر عند رأسه فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه اضرب مثل هذا ومثل أمته فقال ان مثله ومثل أمته كمثل قوم سفراء انتهوا الى رأس مفازة ولم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المفازة ولا ما يرجعون به فيبئهاهم كذلك اذا تأهم رجل في حلة حبرة فقال أرايتم ان وردت بكم رياض معشبة وحياضاروا تتبعوني قالوا نعم قال فانطلق بهم فاوردهم رياض معشبة وحياضاروا فاكلوا وشربوا وسمنوا فقال لهم ألم ألقكم على تلك الحال فجعلتم ان وردت بكم رياض معشبة وحياضاروا ان تتبعوني فقالوا بلى فقال فان بين أيديكم رياض هي أعشب من هذه وحياضاهي أروى من هذه

تفضل وقرى بالياء متى قرى الاول بالياء في الثاني الباء والنون ومتى قرى الاول بالياء تعين في الثاني النون لا غير فالقرآت ثلاثة لا أربعة كما توهم وكها سبعة قال الكرخي قرى بالتحية ليطابق قوله يدبر وقرى بنون العظمة وأنت خير بان القراء يتبعون فيما اختاروه من القرآت الا ترى الراءى فانه لا مدخل له فيها أخرج الترمذي وحسنه والبرار وابن جرير وابن المنذر عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الآية قال الدقل والغراسي والحلوا والحامض وقال مجاهد هذا كمثل بني آدم صالحهم وخبيثهم وابوهم واحده عن ابن عباس قال هذا حامض وهذا حلوا وهذا دقل وهذا فارسى والاكل يضمين واسكان الثاني للتخفيف المأكول والمراد به ما يؤكل منها وهو الثمر والحب فالثمر من التمثيل والاعناب والحب من الزرع كانه قال وتفضل الحب والتمر بعضهما على بعض طعما وشكلا ورائحة وقدر او لاوة وحوضه وغضاضة وغير ذلك من الطعوم وفضلها أيضا في غير ذلك كاللون والنفع والضرر وانما اقتصر على الاكل لانه أعظم المنافع (ان في ذلك المذكور (آيات) دلالات على بديع صنعه وعظيم قدرته فان القطع المتجاورة والجنات المتلاصقة المشتهة على أنواع النبات مع كونها تسقى بماء واحد وتفاضل في الثمرات في الاكل فيكون طعم بعضها حلوا والاخر حامضا وهذا في غاية الجودة وهذا ليس بجيد وهذا فائق في حسنه وهذا غير فائق مما يقطع من تفكر واعتبر ونظر نظر العقلاء ان السبب المقتضى لا اختلافها ليس الاقدرة الصانع الحكيم جل سلطانه وتعالى شأنه لان تأثير الاختلاف فيما يخرج منها ويحصل من غراتها الا يكون في نظر العقلاء اللسبيين اما اختلاف المكان الذي هو المنبت أو اختلاف الماء الذي تسقى به فاذا كان المكان متجاورا وقطع الارض متلاصقة والماء الذي تسقى به واحد لم يبق سبب للاختلاف في نظر العقل الا تلك القدرة الباهرة والصنع العجيب (قوم يعقلون) أي يعملون على قضية العقل وما يوجب غير مهملين لما يقتضيه من التفكير في الخلق والاعتبار في العبر الموجودات أي يستعملون عقولهم بالتفكير فيها خص هذا بالعقل والاول بالتفكير لان الاستدلال باختلاف النهار أسهل ولان التفكير في الشيء سبب لتعقله والسبب مقدم على المسبب فناسب تقديم التفكير على التعقل قال الحسن هذا مثل ضرب به الله لقلوب بني آدم فان الناس خلقوا من آدم فينزل عليهم من السماء تذكرة فترق قلوب قوم وتخشع وتخضع فاتبعوني فقالت طائفة صدق والله لتبغنه وقالت طائفة قدر ضينا بهذا نقيم عليه وقال البراز حدثنا سلمة بن شبيب وأحمد بن منصور قال حدثنا ابراهيم بن الحكم بن أبان حدثنا أبي عن عكرمة عن أبي هريرة رضى الله عنه أن أعرايا جاءه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعنه في شيء قال عكرمة أراه قال في دم فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ثم قال أحسنت اليك قال الاعرابي لا ولا أجملت فغضب بعض المسلمين وهموا ان يقوموا اليه فاشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم ان كفوا فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ الى منزله دعا الاعرابي الى البيت فقال انك انما جئتنا تسألنا فاعطيناك فقلت ما قلت فزاده رسول الله صلى الله

عليه وسلم وبلغ الى منزله دعا الاعرابي الى البيت فقال انك انما جئتنا تسألنا فاعطيناك فقلت ما قلت فزاده رسول الله صلى الله

عليه وسلم شياً وقال أحسنت الدين فقال الاعرابي نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً قال النبي صلى الله عليه وسلم انك جئتنا فسألنا فاعطيناك فقلت ما قلت وفي أنفسي أصحابي عليك من ذلك شيء فاذا جئت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب عن صدورهم قال نعم فلما جاء الاعرابي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان صاحبكم كان جافاً فأسألنا فاعطيناه فقال ما قال وانا قد دعونا فاعطيناه فزعم انه قد رضى كذلك يا اعرابي قال الاعرابي نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان مثلي ومثلي هذا الاعرابي كمثل رجل كانت له (٩٤) ناقة فشردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فقال لهم صاحب

ونفس وقلوب قوم فتلوه ولا تسمع وقال أيضا والله ما جالس القرآن أحد الا قام من عنده بزيادة أو نقصان قال الله تعالى ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خساراً (وان تعجب) يا محمد من تكذيبهم لك بعد ما كنت عندهم من الصادقين (فحجب) أي فأعجب منه (قولهم) أي تكذيبهم به بالبعث والله تعالى لا يجوز عليه التعجب لانه تغير النفس بشيء يتخفى أسبابه وذلك في حق الله تعالى محال قاله القرطبي وقيل العجب تغير النفس برؤية المستبعد في العادة وانما ذلك كقولك لي عجب منه رسوله وأتباعه قال الزجاج أي هذا موضع عجب أيضا منهم أنكروا البعث وقد تقرر في النفوس من خلق السموات والارض ما يدل على ان البعث أسهل في القدرة وقد تقرر في النفوس ان الاعادة أهون من الابداء فهذا موضع التعجب وقيل الآية في منكري الصانع مع الأدلة الواضحة بان المتغير لا بد له من غير فهو محل التعجب والاول أولى لقوله (انذا كنا تراباً انما لفي خلق جديد) والجملة في محل الرفع أو النصب والعجب على الاول كلامهم وعلى الثاني تكلمهم بذلك أو لا يرون انه خلقته من نطفة فانطلق منها أشد من الخلق من تراب وعظام والعامل في اذنا بعث أو نعاد والاستفهام منهم لانكار المفيد لكل الاستبعاد وفي هذا الاستفهام المكرر اختلاف القراء فانه يشر او هو في أحد عشر موضعا في تسع سور من القرآن ولا بد من تعيينها فأولها هنا والثاني والثالث في الاسماء بلنظ واحد انذا كأعظاما وورفانا انما المبعثون خلقا جديدا والرابع في المؤمنون انذا متنا وكأترابا وعظاما انما المبعوثون والخامس في النمل انذا كنا ترابا وآباءنا انما المخرجون والسادس في العنكبوت انتمكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم من أحد من العالمين انتمكم لتأتون الرجال والسابع في الم السجدة انذا ضلنا في الارض انما لفي خلق جديد والثامن والتاسع في الصافات انذا متنا وكأترابا وعظاما انما المبعوثون وانما المدينون والعاشر في الواقعة مثل الصفات والحادى عشر في النازعات انما لردودون في الحافرة انذا كأعظاما منخرة فهذه هي المواضع المختلف فيها ثم الوجه في قراءة من استفهم في الاول والثاني المبالغة في الانكار فأتى به في الجملة الاولى وأعاد في الثانية تأكيداً والوجه في قراءة من أتى به مرة واحدة حصول المقصود لان كل جملة مرتبطة بالآخرى فاذا أنكر في احدهما حصل الانكار في الاخرى ذكر السمين وتقديم الطرف في قوله لفي خلق لتأكيد الانكار بالبعث وكذلك

الناقة خلوا بيني وبين ناقتي فانا أرفق بها وأنا أعلم بها فتوجه اليها وأخذها من قشام الارض ودعاها حتى جاءت واستجابت وشد عليها رحلها واني لو أظمتكم حيث قال ما قال لدخل النار رواه البزار ثم قال لانعلم به يروى الامن هذا الوجه قلت وهو ضعيف بحال ابراهيم بن الحكم بن أبان والله أعلم وقوله بالؤمنين رؤوف رحيم كقوله واخفض جناح لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك فقل اني بري مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم وهكذا أمره تعالى في هذه الآية الكريمة وهي قوله تعالى فان تولوا أي تولوا عما جئتهم به من الشريعة العظيمة المطهرة الكاملة الشاملة فقل حسبي الله لا اله الا هو أي الله كافي لا اله الا هو عليه توكلت كما قال تعالى رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا وهو رب العرش العظيم أي هو مالك كل شيء وخالقه لانه رب العرش العظيم الذي هو سقف المخلوقات وجميع الخلائق من السموات والارضين وما فيها وما

بينهما تحت العرش مقهورين بقدرة الله تعالى وعلمه محيط بكل شيء وقدره نافذ في كل شيء وهو على كل شيء قدير

وكيل قال الامام أحمد حدثنا محمد بن أبي بكر حدثنا بشر بن عمر حدثنا شعبة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنه ما عن أبي بن كعب قال آخر آية تزلت في القرآن هذه الآية لقد جاءكم رسول من أنفسكم الى آخر السورة وقال عبد الله بن الامام أحمد حدثنا روح حدثنا عبد المؤمن حدثنا عمر بن شقيق حدثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العافية عن أبي بن كعب رضي الله عنه انهم جمعوا القرآن في مصاحف في خلافة أبي بكر رضي الله عنه فكان رجال يكتبون

ونزل عليهم أي بن كعب فلما انتهوا إلى هذه الآية من سورة براءة ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم الآية فظنوا أن هذا آخر ما نزل من القرآن فقال لهم أي بن كعب إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأني بعدها آيتين لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخر السورة قال هذا آخر ما نزل من القرآن فتم بما فتح به الله الذي لا اله الا هو وهو قول الله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون وهذا غريب أيضا وقال أحمد حدثنا علي بن بحر حدثنا علي بن محمد بن سلمة عن محمد بن اسحق عن يحيى بن عباد عن أبيه عباد بن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال أتى الحرث بن خزيمة (٩٥) بهاتين الآيتين من آخر براءة لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى عمر بن

الخطاب فقال من معك على هذا قال لا أدري والله اني لا شهد لسمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيتها وحفظتها فقال عمر وأنا أشهد لسمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لو كانت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة فأنظر واسورة من القرآن فضعوها فيها فوضعوها في آخر براءة وقد تقدم الكلام ان عمر بن الخطاب هو الذي أشار على أبي بكر الصديق رضي الله عنهما بجمع القرآن فامر زيد بن ثابت فجمعه وكان عمر يحضرهم وهم يكتبون ذلك وفي الصحيح ان زيدا قال فوجدت آخر سورة براءة مع خزيمية بن ثابت أو ابى خزيمية وقد قدمنا ان جماعة من الصحابة نذروا ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال خزيمية بن ثابت حين ابتدأهم بها والله أعلم وقد روى أبو داود عن يزيد بن محمد عن عبد الرزاق بن عمر وقال كان من ثقات المسلمين من المتعبدين عن مدرك بن سعد قال يزيد شيخ ثقة عن يونس بن ميسرة عن أم الدرداء عن أبي الدرداء يقول ما من عبد يقول حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات الا كفاه الله ما أهمه وقدره ابن عساكر في ترجمة عبد الرزاق عن عمر هذا من رواية أبي زرعة الدمشقي عنه عن أبي سعد مدرك بن أبي سعد الفزاري عن يونس بن ميسرة بن حليس عن أم الدرداء سمعت أبا الدرداء يقول ما من عبد يقول حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات صادقاً كان بها أو كاذباً الا كفاه الله ما أهمه وهذه زيادة غريبة ثم رواه في ترجمة عبد الرزاق أبي محمد عن أحمد بن عبد الله بن عبد الرزاق عن جده عبد الرزاق بن عمر بسنده فرفعه فذكر مثله بالزيادة وهذا

تكرير الهمزة في قوله أننا والمعنى أي نعاد خلقا جديدا بعد الموت كما كنا قبله ولم يعلموا ان القادر على انشاء الخلق وما تقدم على غير مثال قادر على اعادةهم ثم لما حكي الله سبحانه ذلك عنهم حكم عليهم بأمر ثلاثة الاول (أولئك الذين كفروا ببرهم) أي أولئك المنكرون لقد ربه سبحانه على البعث هم المتعادون في الكفر الكاملون فيه وفيه دليل على كفر منكري البعث (و) الثاني (أولئك الاغلال في أعناقهم) الاغلال جمع غل بالضم وهو طوق من حديد يجعل في العنق أو تشد به اليد الى العنق أي يغلقون بها يوم القيامة كما يقاد الاسير ذليلا بالغل وقيل الاغلال أعمالهم السيئة التي هي لازمة لهم لزوم الاطواق للاعناق (و) الثالث (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) لا ينفكون عنها بحال من الاحوال وفي توسيط ضمير الفصل دلالة على تخصيص الخلود بمنكري البعث (و) يستعملونك بالسيدة قبل الحسنة) نزل في استعجابهم العذاب استهزاء والسيدة العقوبة المهلكة والحسنة العافية والسلامة قالوا هذه المقالة لقرط انكارهم وشدة تصميمهم (وقد دخلت من قبلهم المثالات) جمع مثله كسيرة وهي العقوبة الفاضحة سميت بذلك لما بين العقاب والمعاقب عليه وهو الذنب من المماثلة في ان كلا منهما مذموم قال ابن الانباري المثلة العقوبة التي تبقى في المعاقب شيئا بتغيير بعض خلقه من قولهم مثل فلان بفلان اذا شان خلقه بقطع أنفه وسمل عينيه وبقر بطنه وقرى بفتح الميم واسكان الثاء تخفيفا لثقل الضمة قبل وهي لغة الخجاز وفي لغة تميم بضم الميم والثناء جميعا واحدهما على لغتهم مثله مثل غرفة وغرفات وقرى بفتحهما وقيل المثلة نقمة تنزل بالانسان فيجعل مثلا لا يرتدع غيره به قال قتادة المثالات العقوبات يعني وقائع الله في الامم فمن خلا قبلكم وقال ابن عباس المثالات ما أصاب القرون الماضية من العذاب والمعنى ان هؤلاء يستعملونك بانزال العقوبة بهم وقد مضت من قبلهم عقوبات أمثالهم من المكذبين فما لهم لا يعتبرون بهم ويحذرون من حلول ما حل بهم وهذا الاستعجال من هؤلاء هو على طريقة الاستهزاء كقواهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية (وان ربك لذو مغفرة) أي لذو تجاوز عظيم والمراد بها الامهال وتأخير العذاب (للناس على) أي مع (ظلمهم) باقترافهم الذنوب ووقوعهم في المعاصي ان تابوا عن ذلك ورجعوا الى الله سبحانه والجارو والمجرور في محل نصب على الحال أي حال كونهم ظالمين وفي الآية بشارة

منكر والله أعلم آخر تفسير سورة براءة قوله الحمد والمنة * (تفسير سورة يونس عليه السلام وهي مكية) * (بسم الله الرحمن الرحيم) *
 (الرتك آيات الكتاب الحكيم أ كان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق
 عند ربهم قال الكافرون ان هذا ساحر مبین) أما الحروف المقطعة في أوائل السور فقد تقدم الكلام عليها في أوائل سورة
 البقرة وقال أبو الضحى عن ابن عباس في قوله تعالى الرأي أنا الله أرى وكذا قال الضحاک وغيره تلك آيات الكتاب الحكيم أي
 هذه آيات القرآن المحكم المبين وقال مجاهد (٩٦) الرتك آيات الكتاب الحكيم (١) وقال الحسن التوراة

والزبور وقال قتادة تلك آيات
 الكتاب قال الكتب التي كانت
 قبل القرآن وهذا القول لا يعرف
 وجهه ولا معناه وقوله أ كان
 للناس عجباً الآية يقول تعالى
 منكرنا على من تعجب من الكفار
 من ارسال المرسلين من البشر كما
 أخبرته تعالى عن القرون الماضية
 من قولهم أ بشرهم وتناو قال هود
 وصالح لقومهم أ وعجبتم ان جاءكم
 ذكر من ربكم على رجل منكم
 وقال تعالى مخبراً عن كفار قريش
 انهم قالوا أ جعل الآلهة الها
 واحدا ان هذا الشئ عجب وقال
 الضحاک عن ابن عباس لما بعث
 الله تعالى محمد صلى الله عليه وسلم
 رسولا أنكرت العرب ذلك أومن
 أنكروهم فقالوا الله أعظم من ان
 يكون رسوله بشرا مثل محمد قال
 فانزل الله عز وجل أ كان للناس عجباً
 الآية وقوله أن لهم قدم صدق عند
 ربهم اختلفوا فيه فقال علي بن أبي
 طلحة عن ابن عباس في قوله وبشر
 الذين آمنوا ان لهم قدم صدق يقول
 سبقت لهم السعادة في الذكر الاول
 وقال العوفي عن ابن عباس ان لهم

عظيمة ورجاء كبير لان من المعلوم ان الانسان حال اشتغاله بالظلم لا يكون تابياً فيجوز العفو
 قبل التوبة ولهذا قيل انها في عصاة الموحدين خاصة وقيل المراد بالمغفرة هنا تأخير العقاب
 الى الآخرة كما تقدم ليطابق ما حكاها الله من استعجال الكفار للعقوبة وكما يفيد قوله
 تعالى (وان ربك لشديد العقاب) فيعاقب من يشاء من العصاة المكذبين من الكافرين
 عقاباً شديداً على ما تقتضيه مشيئته في الدار الآخرة فتأخير ما استعجلوه ليس للاهمال
 عن سعيدين المسيب قال لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لولا
 عفو الله وتجاوز ما هنأ لأحد العيش ولولا وعيده وعقابه لانكل كل أحد (ويتول
 الذين كفروا) من أهل مكة (لولا) هلا (أنزل عليه) أي على محمد صلى الله عليه
 وآله وسلم (آية من ربه) غير ما قد جاء به من الآيات كالعصا واليد والناقة وهؤلاء
 القائلون هم المستعجلون للعذاب وانما عدل عن الاضمار الى الموصول ذمالمهم بكفرهم
 بآيات الله التي تجر لها الجبال حيث لم يرفعوا لها رأساً ولم يعتدوا من جنس الآيات وهذا
 مكابرة من الكفار وعنادوا لا فقد أنزل الله على رسوله من الآيات ما يغني البعض منه قال
 الزجاج طلبوا غير الآيات التي أتى بها فالتمسوا مثل آيات موسى وعيسى فقال الله تعالى
 (انما أنت منذر) تنذره بالنار وليس اليك من الآيات من شئ وفيه ازالة لرغبته صلى
 الله عليه وآله وسلم في حصول مقترحهم فانه كان شديد الرغبة في ايجاب مقترحاتهم لشدة
 التفاته الى ايمانهم فانه الخطيب وجاء في انما أنت بصيغة الحصر لبيان انه صلى الله عليه
 وآله وسلم سئل لانداز العباد وبيان ما يحذرون عاقبته وليس عليه غير ذلك وقد فعل
 ما هو عليه وانذر أبلغ انداز ولم يدع شيئاً مما يحصل به ذلك الا أتى به وأوضحه وكرره فجاءه الله
 عن أمته خيراً (ولكل قوم هاد) أي نبي يدعوهم الى ما فيه هدايتهم ورشادهم بما يعطيه
 من الآيات لا بما يقتضون وان لم تقع الهداية لهم بالفعل ولم يقبلوها وآيات الرسل مختلفة
 هذا بآيات بآية وآيات لم يأت بها الاخر بحسب ما يعطيه الله منها ومن طلب من بعضهم
 ما جاء به البعض الاخر فقد بلغ في التعنت الى مكان عظيم فليس المراد من الآيات الا
 الدلالة على النبوة لكونها مميزة خارجة عن القدرة البشرية وذلك لا يختص بفردها
 ولا بأفراد معينة قال الرازي فهذا هو الوجه الذي قرره القاضي وهو الوجه الصحيح الذي
 يبقى الكلام معه منتظماً انتهى وقيل ان المعنى ولكل قوم هاد هو الله سبحانه عز وجل

قدم صدق عند ربهم يقول أ جراحنا بما قدموا وكذا قال الضحاک والربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم فانه
 وهذا كقوله تعالى لينذر بأساً شديداً الآية وقال مجاهد أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الاعمال الصالحة صلاتهم ووصومهم
 وصدقهم وتسيبهم قال ومحمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم وكذا قال زيد بن أسلم ومقاتل بن حيان وقال قتادة سلف
 صدق عند ربهم واختار ابن جرير قول مجاهد انها الاعمال الصالحة التي قدموها كما يقال له قدم في الاسلام كقول حسان
 لنا القدم العليا اليك وخلفنا * لا ولنا في طاعة الله تابع وقول ذي الرمة (١) يياض بالاصل

لكم قدم لا ينكر الناس انها * مع الحسب العادي طمت على البحر وقوله تعالى قال الكافرون ان هذا الساحر مبین أي مع
انبعثنا اليهم رسول منهم رجلا من جنسهم بشيرا ونذيرا قال الكافرون ان هذا الساحر مبین أي ظاهر وهم الكاذبون في ذلك (ان
ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم
فاعبدوه افلاتنكرون) يخبر تعالى انه رب العالم جميعه وانه خلق السموات والارض في ستة ايام قيل كهذه الايام وقيل كل يوم
كالف سنة مما تعدون كما سيأتي بيانه ثم استوى على العرش والعرش (٩٧) أعظم المخلوقات وسقفها قال ابن أبي حاتم حدثنا حجاج

ابن حمزة حدثنا أبو أسامة حدثنا
اسماعيل بن أبي خالد قال سمعت سعديا
الطائي يقول العرش يا قوته جراء
وقال وهب بن منبه خلقه الله من
نوره وهذا غريب وقوله يدبر الامر
أي يدبر أمر الخلائق لا يعزب عنه
مئقال ذرة في السموات ولا في
الارض ولا يشغله شأن عن شأن
ولا تغلظه المسائل ولا يتبرم بالحاج
المخين ولا يلهيه تدبير الكبير عن
الصغير في الجبال والبحار والعرمان
والقنار وما من دابة في الارض الا
على الله رزقها الآية وما نسقط من
ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات
الارض ولا رطب ولا يابس الا في
كتاب مبين وقال الدراوردي عن
سعد بن اسحق بن كعب بن عجرة
انه قال حين نزات هذه الآية ان
ربكم الله الذي خلق السموات
والارض الآية لتبهم ركب عظيم
لا يرون الا أنهم من العرب فقالوا
لهم من أنتم قالوا من الجن خرجنا
من المدينة أخر جنتنا هذه الآية
رواه ابن أبي حاتم وقوله ما من
شفيع الا من بعد اذنه كقوله تعالى
من ذا الذي يشفع عنده الا اذنه

فانه القادر على ذلك وليس على أنبيائه الا مجرد الانذار قال ابن عباس هاد أي داع وقال
مجاهد المنذر محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولكل قوم هاد نبي يدعوهم الى الله وعن سعيد
ابن جبير ومجاهد وابن عباس نحوه وعنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو المنذر
وهو الهادي أخرجه ابن مردويه وعن عكرمة وأبي الخثمي نحوه وقيل الهادي هو العمل
الصالح وقيل الهادي هو القائد الى الخير لا الى الشر وهو يعم الرسل وأتباعهم الى آخر
الدهر وعن ابن عباس قال لمنازلت هذه الآية وضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده
على صدره فقال أنا المنذر وأما بيده الى منكب علي فقال أنت الهادي يا علي بك يمتدى
المهتدون من بعدى أخرجه ابن جرير وأبو نعيم في المعرفة والدليلي وابن عساكر وابن
النجار قال ابن كثير في تفسيره وهذا الحديث فيه نكارة شديدة وجملة (الله يعلم ما تحمل
كل اثنى) مستأنفة مسوقة لبيان احاطته سبحانه بالعلم وعلمها بالغيب الذي هذه الامور
منه وقيل الاسم الشريف خبر أي لكل قوم هاد هو الله وجملة يعلم ما تحمل كل اثنى تفسير
لهاد وهذا بعيد جدا والعلم هنا متعدوا احد بمعنى العرفان وما موصولة أي يعلم الذي
تحمله كل اثنى في بطنها من علقة أو مضغة أو ذكرا أو اثنى أو صبيح أو قبيح أو سعيد أو شقي
أو طويل أو قصير أو تام أو ناقص أو استفهامية أي يعلم أي شئ في بطنها وعلى أي
حال هو أو مصدريه أي يعلم حملها (وما تغيض الارحام وما تزداد) وما في الموضعين
محذوفه للاوجه المتقدمة وغاض وازداد سمع تعديهما وازداد سمع تعديهما وازداد سمع تعديهما
العائد على القول بتعديهما وان تجعل ماصدريه على القول بلزومهما والغرض
النقص وعليه أكثر المفسرين أي يعلم الذي تغيضه الارحام أي تنقصه ويعلم ما تزداده
لا يخفى عليه شئ من ذلك ولا من أوقاته وأحواله فقيل المراد نقص خلقه الجملة وزيادته
كمنقص أصبع أو زيادتها وقيل ان المراد نقص مدة الحمل عن تسعة أشهر
أو زيادتها وقيل اذا حاضت المرأة في حال حملها كان ذلك نقصا في ولدها قاله ابن عباس
وإذا لم تحض يزداد الولد وينمو فالنقصان نقصان خلقه الولد بخروج الدم والزيادة تمام
خلقه باستسالك الدم وقال سعيد بن جبير الغيظ ما تنقصه الارحام من الدم والزيادة
ما تزداده منه وقال الضحاك ما تغيض السقط وما تزداد ما تزداد في الحمل على ما غاضت
حتى ولدته تماما وذلك ان من النساء من تحمل عشرة أشهر ومنهن من تحمل تسعة

(١٣ فتح البيان خامس) وكقوله تعالى وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى
وقوله ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له وقوله ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلاتنكرون أي أفردوه بالعبادة وحده لا شريك له أفلا
تذكرون أي أيها المشركون في أمركم تعبدون مع الله غيره وأنتم تعلمون انه المنفرد بالخلق كقوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم
ليقولن الله وقوله قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله قل أفلاتنقون وكذا الآية التي قبلها والتي بعدها
(اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا انه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزى الذين آمنوا و عملوا الصالحات بالقسط والذين كفرنا هم شراب

من جحيم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) يخبر تعالى أن إليه مرجع الخلائق يوم القيامة لا يترك منهم أحدا حتى يعينه كما بدأ ثم ذكر تعالى أنه كما بدأ الخلق كذلك يعيده وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط أي بالعدل والجزاء الأوفى والذين كفروا لهم شراب من جحيم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون أي بسبب كفرهم بعد يوم القيامة بأنواع العقاب من سحوم وجحيم وظل من يحموم وهذا قيل مذوقوه جحيم وغساق وآخر من شكله أزواج هذه جهنم التي يكذب بها الجحيمون يطوفون فيها وبين جحيم آن (٩٨) هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب

ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون أن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض لا آيات لقوم يتقون) يخبر تعالى عما خلق من الآيات الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه وأنه جعل الشعاع الصادر عن جرم الشمس ضياءً وجعل شعاع القمر نورا هذافن وهذا فن آخر ففاوت بينهم ما مثلًا يستبها وجعل سلطان الشمس بالنهار وسلطان القمر بالليل وقدر القمر منازل فأول ما يبدو صغيرا ثم يتزايد نوره وجرمه حتى يستوسق ويكمل ابداره ثم يشرع في النقص حتى يرجع إلى حالته الأولى في تمام شهر كقوله تعالى والقمر قد رآه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون وقوله تعالى والشمس والقمر حسبانا الآية وقوله في هذه الآية الكريمة وقدره أي القمر منازل لتعلموا عدد السنين والحساب فبالشمس تعرف الأيام وبسفر القمر تعرف الشهور والأعوام ما خلق الله ذلك إلا بالحق أي لم يخلقه عبثا بل له حكمة

أشهر ومنهم من تنقص فذلك الغيض والزيادة التي ذكر الله وكل ذلك يعلمه الله وقال مجاهد الغيض خروج الدم والزيادة استمساكه ومدة الحمل أكثرها عند قوم سنتان وبه قالت عائشة وأبو حنيفة وقيل إن الضحاك ولد لستين وقيل أكثرها أربع سنين واليه ذهب الشافعي وقيل خمس سنين وبه قال مالك وأقلها ستة أشهر وقد يولد لهذه المدة ويعيش (وكل شيء) من الأشياء التي من جلتها الأشياء المذكورة (عنده) سبحانه (بقدر) هو القدر الذي قدره الله وهو معنى قوله سبحانه أنا كل شيء خلقناه بقدر أي كل الأشياء عند الله سبحانه جارية على قدره الذي قد سبق وفرغ منه لا يخرج عن ذلك شيء وهذا مذهب السلف وقال الكرخي هذه عندية علم أي يعلم كيفية كل شيء ويكتبه على الوجه المفصل المبين ويحتمل أن يكون المراد بالعندية أنه تعالى خصص كل حادث بوقت معين وحالة معينة بمشيئته الأزلية وإرادته السرمدية ويدخل في هذه الآية أفعال العباد وأحوالهم وخواطيرهم وهي من أدل الدلائل على بطلان قول المعتزلة (عالم الغيب والشهادة) أي عالم كل غائب عن الحس وكل مشهود حاضر أو كل معدوم وموجود وقال الضحاك عالم السر والعلانية ولا مانع من حمل الكلام على ما هو أعم من ذلك (الكبير المتعال) أي العظيم الذي كل شيء دونه المتعال عما يقوله المشركون أو المستعمل على كل شيء بقدرته وعظمته وقهره أو المتعال عن الخلق باستوائه على عرشه ومباينته عن خلقه وهو الأولى ثم لما ذكر سبحانه أنه يعلم تلك الغيبات لا يغادر شيئا منها بين أنه عالم بما يسرونه في انفسهم وما يجهرون به لغيره تعالى وإن ذلك لا يتفاوت عنده فقال (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به) فهو يعلم ما أسر الإنسان كعلمه بما جهر به من خير أو شر أي سواء ما أسرته القلوب أو نطقت به اللسان وسر من أسر وجهه من جهر (ومن هو مستخف بالليل) أي مستتر في الظلمة الكائنة في الليل المتواري عن الأعين يقال خفي الشيء واستخفى أي استتر وتواري (وسار بالليل) قال الكسائي سرب يسرب يسرب يسروا إذا ذهب وقال القتيبي أي متصرف في حوائجه بسرعة من قولهم أسرب الماء قال الأصمعي حل سربه أي طريقته والسرب بالكسر النفس يقال هو واسع السرب أي رخي البال والسرب بفتحين بيت في الأرض لا منفذ له وهو الوكر وقال الزجاج معنى الآية الجاهر بنطقه والمضمر في نفسه والظاهر في الطرقات والمستخفي

عظيمة في ذلك وحجة بالغة كقوله تعالى وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا في من النار وقال تعالى أفسبتم أم ما خلقناكم عبثا وأنكم التبالاترجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم وقوله تفصل الآيات أي نبي الخلق والأدلة لقوم يعلمون وقوله إن في اختلاف الليل والنهار أي تعاقبهما إذا جاء هذا ذهب وإذا ذهب هذا جاء هذا لا يتأخر عنه شيئا كقوله تعالى يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا وقال لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر الآية وقال تعالى فالق الاصبح وجعل الليل سكنا الآية وقوله وما خلق الله في السموات والأرض أي من الآيات الدالة على

عظمته تعالى كما قال وكأين من آية في السموات والارض الآيه وقوله قل انظر وماذا في السموات والارض وما تغني الآيات
والنذر عن قوم لا يؤمنون وقال أفلم يرؤا الما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض وقال ان في خالق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار آيات لاؤلى الالباب أى العتول وقال ههنا آيات لقوم يتقون أى عقاب الله وسخطه وعذابه (ان الذين
لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بآياتنا فقلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون) يقول
تعالى مخبر عن حال الاشقياء الذين كفروا بلقاء الله يوم القيامة ولا يرجون في لقاءه (٩٩) شيأ ورضوا بهذه الحياة الدنيا واطمأنوا

اليها أنفسهم قال الحسن والله
ما زينوها ولا رفعوها حتى رضوا
بها وهم غافلون عن آيات الله
الكونية فلا يتفكرون فيها
والشرعية فلا يأترون بها فان
مأواهم يوم ميعةادهم النار جزاء
على ما كانوا يكسبون في دنياهم
من الآثام والخطايا والاجرام
مع ما هم فيه من الكفر بالله ورسوله
واليوم الآخر (ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات يهديهم ربهم
بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار
في جنات النعيم دعواهم فيها
سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام
وأخر دعواهم أن الحمد لله رب
العالمين) وهذا اخبار عن حال
السعداء الذين آمنوا بالله وصدقوا
المرسلين وامتثلوا ما أمر به فعملوا
الصالحات بأنه سيهديهم بإيمانهم
يحمل أن تكون الباء ههنا سببية
فتقديره أى بسبب إيمانهم في
الدينا يهديهم الله يوم القيامة على
الصراط المستقيم حتى يجزوه
ويخلصوا الى الجنة ويحمل أن
تكون للاستعانة كما قال مجاهد
في قوله يهديهم ربهم بإيمانهم قال

في التظلمات علم الله فيهم جميعا سواء وهذا الصق بمعنى الآيه كما تفيد المقابلة بين المستخفي
والسارب فالمستخفي المستتر والسارب البار الظاهر ولنع ما قال بعضهم

يا من ترى مد البعوض جناحها * في ظلمة الليل البهيم الأليل

وترى عروقها يناطها في فخرها * والمخ في ذلك العظام النحل

اغفر رابع دتاب من فرطاته * ما كان منه في الزمان الأول

وقيل مستخفرا كبر رأسه في المعاصي وسارب ظاهره بالنهار بالمعاصي وعن ابن عباس
قال هو صاحب ربيبة مستخف بالليل واذ اخرج بالنهار رأى الناس انه برى من الاثم (له)
الضمير ارجع الى من في قوله من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف أى لكل من
هؤلاء (معقبات) هي المتناوبات التي يخلف كل واحد منها صاحبه ويكون بدلامنه
وهم الحفظة من الملائكة تعقبه في قول عامة المفسرين قال الزجاج المعقبات ملائكة
يأتى بعضهم يعقب بعض قبلهم خمسة بالليل وخمسة بالنهار وفي الخطيب انهم عشرون
لكل انسان عشرة بالليل وعشرة بالنهار وهو الذي في شرح الجوهرية وانما قال معقبات
مع كون الملائكة ذكورا لأن الجماعة من الملائكة يقال لها معقبة ثم جمع معقبة على
معقبات ذكر معناه الفراء كما قيل أبنوات سعد ورجال بكر وقيل أنت لكثرة ذلك منهم
نحو نسابة وعلامة قال الجوهرى والتعقب العود بعد البدء قال الله تعالى ولى مدبر اولم
يعقب وقرى معاقب جمع معقب وعن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
قال يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة العجر وصلاة
العصر الحديث بطوله أخرجه الشيخان وقال ابن عباس هذه للنبى صلى الله عليه وآله

وسلم خاصة قلت العموم أولى ويدخل فيه سبب النزول دخولا أوليا (من بين يديه ومن
خلفه) أى من بين يدي من له المعقبات والمراد أن الحفظة من الملائكة يتعاقبون من
جميع جوانبه وقيل المراد بالمعقبات الاعمال ومعنى من بين يديه ومن خلفه ما تقدم منها وما
تأخر (يحفظونه من) أجل (أمر الله) وقيل يحفظونه من بأس الله اذا أذن بالاستمهال
له والاستغفار حتى يتوب وقيل يحفظون عليه الحسنات والسيئات وقيل من شر
طوارق الليل والنهار قال الفراء في هذا قولان أحدهما انه على التقديم والتأخير أى له
معقبات من أمر الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه والثانى ان كون الحفظة يحفظونه

يكون لهم نوراً يمشون به وقال ابن جرير في الآيه يمثل له عمله في صورة حسنة ويرج طيبة اذا قام من قبره يعارض صاحبه ويشره
بكل خير فيقول له من أنت فيقول أنا عملك فيجعل له نورا من بين يديه حتى يدخله الجنة فذلك قوله تعالى يهديهم ربهم بإيمانهم
والكافر يمثل له عمله في صورة سيئة ويرج متنتة فيلزم صاحبه ويلاده حتى يقذفه في النار وروى نحوه عن قتادة مر سلا فآله أعلم وقوله
دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وأخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين أى هذا حال أهل الجنة قال ابن جرير أخبر بأن
قوله دعواهم فيها سبحانك اللهم وذلك دعواهم فيها سبحانك اللهم قال اذا أمر بهم الطير دعوا الله فيأْتهم الملائك بما يشتهونه فيسلم عليهم

فردون عليه فذلك قوله وتحييتهم فيها سلام قال فاذا كواجدوا الله ربهم فذلك قوله واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وقال مقاتل بن حيان اذا اراد اهل الجنة ان يدعوا اجدهم بالطعام قال اجدهم سبحانك اللهم قال فيقوم على اجدهم عشرة آلاف خادم مع كل خادم صحيفة من ذهب فيها طعام ليس في الاخرى قال فيما كل منهم كهن وقال سفيان الثوري اذا اراد اجدهم ان يدعوا بشئ قال سبحانك اللهم وهذه الآية فيها شبه من قوله تحييتهم يوم يلقونه سلام الآية وقوله لا يسمعون فيها الغوا ولا تأثما الا قبيلا سلاما سلاما وقوله سلام قول من رب رحيم وقوله والملائكة (١٠٠) يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم الآية وقوله واخر دعواهم ان الحمد

لله رب العالمين هذا فيه دلالة على انه تعالى هو المحمود ابدا المعبود على طول المداول وهذا حمد نفسه عند ابتداء خلقه واستمراره في ابتداء كتابه وعند ابتداء تنزيله حيث يقول تعالى الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب الذي انزل في غير ذلك من الاحوال التي يطول بسطها وانه المحمود في الاولى والاخرة في الحياة الدنيا وفي الاخرة في جميع الاحوال ولهذا جاء في الحديث ان اهل الجنة يلهمون التسبيح والحمد كما يلهمون النفس وانما يكون ذلك كذلك لما يرون من تزايد نعم الله عليهم فتكرروا وتعد وتزداد فليس لها انقضاء ولا امد فلا اله الا هو ولا رب سواه (ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى اليهم اجلهم فئذ لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون) يخبر تعالى عن حلمه ولطفه بعباده انه لا يستجيب لهم اذا دعوا على انفسهم او اموالهم او اولادهم في حال ضجرهم وغضبهم وانه يعلم منهم عدم القصد بالنشر الى ارادة ذلك فلماذا لا يستجيب لهم والحالة هذه

هو مما امر الله به قال الزجاج المعنى حفظهم اياه من امر الله أي مما امرهم به لانهم يقدر ان يدعوا امر الله قال ابن الانباري وفي هذا قول آخر وهو ان من بمعنى الباء أي يحفظونه بامر الله واعاثة واستظهره السفاقي وقيل ان من بمعنى عن أي يحفظونه عن امر الله بمعنى من عند الله لان عند انفسهم كقوله اطعمهم من جوع أي عن جوع وقيل يحفظونه عن ملائكة العذاب وقيل يحفظونه من الجن والانس فهي على بابها واختار ابن جرير ان المعقبات المواكب والحراس والجلالوزة بين ايدي الامراء في حول السلطان على معنى ان ذلك لا يدفع عنه القضاء وقال ابن عباس ذلك الحفظ من امر الله بامر الله وباذن الله لانه لا قدرة للملائكة ولا لاجلهم من الخلق ان يحفظوا احد من امر الله وما قضاه الله عليه الا بامر الله واذنه وعن قتادة مثله وعنه ايضا قال ولي السلطان يكون عليه الحراس يحفظونه من بين يديه ومن خلفه يقول يحفظونه من امرى فاني اذا اردت بقوم سواء فلا مرد له وقال ايضا الملوكة يتخذون الحرس يحفظونهم من امامهم وعن خلفهم وعن شمالهم يحفظونهم من القتل ألم تسمع ان الله يقول اذا اراد الله بقوم سواء فلا مرد له أي اذا اراد سواء لم تكن الحرس عنه شيا وعن عكرمة قال هؤلاء الامراء وعن ابن عباس قال هم الملائكة تعقب بالليل تكتب على ابن آدم ويحفظونه من بين يديه ومن خلفه فاذا جاء قدر الله خلوا عنه وعن علي قال ليس من عبد الا ومعه ملائكة يحفظونه من ان يقع عليه حائط او يتردى في بئر او يأكله سبع او يغرق او يحرق فاذا جاء القدر خلوا بينه وبين القدر وقد ورد في ذكر الحفظة الموكلين بالانسان احاديث كثيرة مذكورة في كتب الحديث (ان الله لا يغير ما بقوم) من النعمة والعافية (حتى يغيروا ما بانفسهم) من طاعة الله والحالة الجيلة بالحالة القبيحة والمعنى انه لا يسلب قوما نعمة انعم بها عليهم حتى يغيروا الذي بانفسهم من الخير والاعمال الصالحة او يغيروا الفطرة التي فطرهم الله عليها قيل وليس المراد انه لا ينزل بأحد من عباده عقوبة حتى يتقدم له ذنب بل قد تنزل المصائب بذنوب الغير كما في الحديث انه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سائل فقال انهمك وفيما الصالحون قال نعم اذا كثرت الخيبت (واذا اراد الله بقوم سواء) أي هلاكا وعذابا (فلا مرد) أي فلا راد (له) وقيل المعنى اذا اراد بقوم سواء أعنى قلوبهم حتى يختاروا ما فيه البلاء (وما لهم من دونه من وال) يلي

لطفا ورحمة كما يستجيب لهم اذا دعوا لانفسهم او اموالهم او اولادهم بالخير والبركة والنماء ولهذا قال امرهم ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى اليهم اجلهم الآية أي لو استجاب لهم كمال دعوه به في ذلك لاهلكهم ولكن لا ينبغي الاكثار من ذلك كما جاء في الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البرزاني مسنده حدثنا محمد بن معمر حدثنا يعقوب بن محمد حدثنا حاتم بن اسمعيل حدثنا يعقوب بن مجاهد أبو جزة عن عباد بن الوليد حدثنا جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدعوا على انفسكم لا تدعوا على اولادكم لا تدعوا على اموالكم لا توافقوا من الله ساعة فيها اجابة فيستجيب لكم ورواه

أبو داود من حديث حاتم بن اسمعيل به قال البرار وتفرديه عبادة بن الوليد بن عباد بن الصامت الانصاري لم يشاركه أحد فيه وهذا
كقوله تعالى ويدع الانسان بالشردعاء بالخير الآية وقال مجاهد في تفسيره هذه الآية ولو يجعل الله للناس الشر استجبالهم
بالخير الآية وهو قول الانسان لولده أو ماله اذا غضب عليه اللهم لا تبارك فيه والعنه فلو يجعل لهم الاستجابة في ذلك كما يستجاب
لهم في الخير لا هلكهم (واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر
مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون) يخبر تعالى عن الانسان (١٠١) وضجره وقلقه كقوله واذا مسه الشر فذودعاه

عريض أي كثير وهم في معنى واحد وذلك لانه اذا أصابته شدة قلق لها وجزع منها وأكثرت الدعاء عند ذلك فدعا الله في كشفها ورفعها عنه في حال اضطجاعه وعوده وقيامه وفي جميع أحواله فاذا فرج الله شدته وكشف كربته أعرض ونأى بجانبه وذهب كأنه ما كان به من ذلك شيء مَرَّ كأن لم يدعنا الى ضره ثم ذم تعالى من هذه صنته وطر يقه فقال كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون فأما من رزقه الله الهداية والسداد والتوفيق والرشاد فانه مستثنى من ذلك كقوله تعالى الا الذين صبروا وعملوا الصالحات وكقول رسول الله صلى الله عليه وسلم عجايب امر المؤمن لا يقضى الله له قضاء الا كان خيرا له ان أصابته ضراء فصر كان خيرا له وان أصابته سراء فشكر كان خيرا له وليس ذلك لأحد الا للوثنين (واقداً هلكا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا يؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين ثم جعلناكم

أمرهم ويلتجئون اليه فيدفع عنهم ما ينزل بهم من الله سبحانه من العقوبات أو من ناصر ينصرهم ويمنعهم من عذاب الله والمعنى انه لا يراد له عذاب الله ولا ناقض لحكمه ولما خوف سبحانه عباده بانزال ما امره له أتبعه بامور ترجى من بعض الوجوه وتخاف من بعضها وهي البرق والسحاب والرعد والصاعقة وقدم في أول البقرة تفسير هذه الالفاظ وأسبابها فقال (هو الذي يركم البرق) هو لمعان يظهر من خلال السحاب وعن علي ابن أبي طالب قال البرق مخاريق من نار بأيدي ملائكة السحاب يزجرون به السحاب وروى عن جماعة من السلف ما يوافق هذا ويخالفه (خوفا وطعاً) أي لتخافوا خوفاً ولتطمعوا واطمئنا وقيل النصب على العلة بتقدير ارادة الخوف والطمع أو على الحالية من البرق أو من المخاطبين بتقدير ذوى خوف وقيل غير ذلك مما لا حاجة اليه قيل والمراد بالخوف هو الحاصل من الصواعق والطمع هو الحاصل بالمطر وقال الزجاج الخوف للمسافر لما يتأذى به من المطر والطمع للعاصر لانه اذا رأى البرق طمع في المطر الذي هو سبب الخصب قال قتادة خوفاً للمسافر يخاف اذا هدمشقتة وطمعاً للمقيم يطمع في رزق الله ويرجو بركة المطر ومنفعته وعن الحسن خوفاً لاهل البحر وطمعاً لاهل البر وعن الضحالك قال الخوف ما يخاف من الصواعق والطمع الغيث (وينشئ السحاب النقال) التعريف للجنس والواحدة سحابة والنقال جمع ثقيل والسحاب الغيم المنسحب في الهواء والمراد أن الله سبحانه يجعل السحاب التي ينشئها ثقلاً بما يجعله فيها من الماء (ويسج الرعد) نفسه متلبساً (بجمده) وليس هذا مستبعد ولا مانع من ان ينطقه الله بذلك وان من شيء الا يسج بجمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وأما على تفسير الرعد بملك من الملائكة فلا استبعاد بذلك ويكون ذكره على الانفراد مع ذكر الملائكة بعده لمزيد خصوصية له وعناية به والمسعود لما منه هون نفسه صوته اذا سجد التسبيح المذكور وقيل هو صوت الآلة التي يضرب بها السحاب أي الصوت الذي يتولد عند الضرب وقيل المراد ويسج سامعوا الرعد أي يقولون سبحان الله وبحمده والاول أولى أخرج أحمد عن شيخ من بني غفار قد صحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان الله ينشئ السحاب فينطق أحسن النطق ويضحك أحسن الضحك وقيل والمراد بنطقها الرعد ويضحكها البرق وقد ثبت عند أحمد والترمذي

خلات في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون) أخبر تعالى عما حل بالقرون الماضية في تكذيبهم الرسل فيما جاؤهم به من البينات والحجج الواضحات ثم استخلف الله هؤلاء القوم من بعدهم وأرسل اليهم رسولا لينظر طاعتهم له واتباعهم رسوله وفي صحيح مسلم من حديث أبي نصره عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدنيا حولة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فان أول فتنة بني اسرائيل كانت من النساء وقال ابن جرير حدثني المثنى حدثنا زيد بن عوف أبوربيعة بهذا أنبا ناجاد عن ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ان عوف بن مالك قال لابي بكر رأيت فيما يرى

النائم كأن شيادى من السماء فانتشط رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أعيد فانتشط أبو بكر ثم ذرع الناس حول المنبر ففضل عمر بثلاث أذرع حول المنبر فقال عمر دعنا من رؤياك لأرب لنا فيها فلما استخلف عمر قال يا عوف رؤياك قال وهل لك في رؤياي من حاجة أولم تنتهري قال ويحك انى كرهت ان تنعى خلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه فقص عليه الرؤيا حتى اذا بلغ ذرع الناس الى المنبر بهذه الملائكة الثلاث الاذرع قال أما احدها فان كان خليفة وأما الثانية فانه لا يخاف في الله لومة لائم وأما الثالثة فانه شهيد قال فقال يقول الله تعالى ثم جعلناكم (١٠٢) خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون فقد استخلفت يا ابن

أم عمر فانظر كيف تعمل وأما قوله فاني لأخاف في الله لومة لائم فيما شاء الله وأما قوله شهيد فاني لعمر الشهادة والمسلمون سيطيعون به (واذا أتتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لى ان أبدله من تلقاء نفسه ان اتبع الامايوحى الى انى أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به فقد لبنت فيكم عرمان قبله أفلا تعقلون) يخبر تعالى عن تعنت الكفار من مشركى قريش الجاحدين المعرضين عنه انهم اذا قرأ عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم كتاب الله وحججه الواضحة قالوا له انت بقرآن غير هذا أى رد هذا وجئنا بغيره من نخط آخر أو بدله الى وضع آخر قال الله تعالى لنيه صلى الله عليه وسلم قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسه أى ليس هذا الى انما ناعدا مأمور رسول مبلغ عن الله ان اتبع الامايوحى الى انى أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم ثم قال محتجا عليهم

والناساى في اليوم والليلة والحاكم في مستدركه من حديث ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا سمع الرعد والصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وأخرج العقيلي وضعفه وابن مردويه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينشى الله السحاب ثم ينزل فيه الماء فلا شئ أحسن من سخكه ولا شئ أحسن من نطقه ومنطقه الرعد وسخكه البرق وأخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله ان خزيمه بن ثابت وليس بالانصارى سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن منشا السحاب فقال ان ملكا موكل باليم القاصية ويلجم الدانية بيده مخراق فاذا رفع برقت واذا زجر رعدت واذا ضرب صعقت وعن ابن عباس قال أقبلت يهودا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا اخبرنا ما هذا الرعد قال ملك من ملائكة الله سبحانه موكل بالسحاب بيده مخراق من نار يزجر به السحاب بسوقه حيث أمره الله قالوا فما هذا الصوت الذى يسمع قال صوته قالوا صدقت أخرجه الترمذى وغيره وأخرج البخارى في الادب المفرد وابن أبى الدنيا فى المطر وابن جرير عن ابن عباس انه كان اذا سمع صوت الرعد قال سبحانه الذى سبحته وقال ان الرعد ملك ينطق بالغيث كما ينطق الراعى بغمه وقد روى نحوه هذا عنه من طرق وعن أبي هريرة ان الرعد صوت الملك وعن ابن عمر نحوه وعن ابن عباس قال الرعد ملك اسمه الرعد وصوته هذا تسبيحه فاذا اشتد زجره احتك السحاب واضطرم من خوفه فتخرج الصواعق من بينه وعن أبي عمران الجوني قال ان بحورا من نار دون العرش تكون منها الصواعق وعن السدي قال الصواعق نار (و) يسبح (الملائكة من خيفته) سبحانه أى هيبته وجلاله وقيل من خيفة الرعد وقد ذكر جماعة من المفسرين ان هؤلاء الملائكة هم أعوان الرعد وأن الله سبحانه جعل له اعوانا (ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) من خلقه فيهلكه وسياق هذه الامور هنا للغرض الذى سبقته له الآيات التى قبلها وهو الدلالة على كمال قدرته والصواعق جمع صاعقة وهى العذاب النازل من البرق وقيل هى الصوت الشديد النازل من الجوّ ثم يكون فيه نار أو عذاب أو موت وهى فى ذاتها شئ واحد وهذه الاشياء تنشأ منها قال الكرخى وأمر الصاعقة عجيب جدا لانها تارتد وتولد فى السحاب واذا نزلت من السحاب فربما غاصت فى البحر وأخرقت الحيتان قال محمد بن على الباقر الصاعقة تصيب

فى صحة ما جاءهم به قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به أى هذا انما جئتكم به عن اذن الله فى ذلك ومشيئته المسلم وارادته والدليل على انى لست أقول به من عندى ولا افتريته انكم عاجزون عن معارضته وانكم تعملون صدق وأمانى منذ نشأت بينكم الى حين بعثنى الله عز وجل لانتقدون على شيا تغمصوني به ولهذا قال فقد لبنت فيكم عرمان قبله أفلا تعقلون أى أفليس لكم عقول تعرفون بها الحق من الباطل ولهذا المسأل هرقل ملك الروم أباس سفيان ومن معه فيما سأله من صفة النبي صلى الله عليه وسلم قال هرقل لابي سفيان هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال قال أبو سفيان فقلت لا وكان أبو سفيان اذ ذاك رأس

الكفرة وزعيم المشركين ومع هذا اعترف بالحق * والفضل ما شهدت به الاعداء * فقال له هرقل فقد اعرف انه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله وقال جعفر بن ابي طالب للنجاشي ملك الحبشة بعث الله فينا رسولا نعرف صدقه ونسبه وأماته وقد كانت مدته مقامة عليه السلام بين أظهرنا قبل النبوة أربعين سنة وعن سعيد بن المسيب ثلاثا وأربعين سنة والصحيح المشهور الاول (فن أظلم ممن افترى على الله كذبا وكذب بآياته انه لا يفلح الجرمون) يقول تعالى لا أحد أظلم ولا أعتى ولا أشد اجراما ممن افترى على الله كذبا وتقول على الله وزعم ان الله أرسله ولم يكن (١٠٣) كذلك فليس أحدا كبيرا جرما ولا أعظم ظلما من هذا

ومثل هذا لا يخفى أمره على الاغبياء فكيف يشبه حال هذا بالانبياء فان من قال هذه المقالة صادقا أو كاذبا فلا بد أن الله ينصب عليه من الأدلة على بره أو فجوره ما هو أظهر من الشمس فان الفرق بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين مسيئة الكذاب لمن شاهدتهما أظهر من الفرق بين وقت الضحى وبين نصف الليل في خندس الظلماء فن شيم كل منهم ما وفعالته وكلامه يستدل من له بصيرة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم وكذب مسيئة الكذاب وسجاح والاسود العنسي

قال عبد الله بن سلام لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس فكنت فيمن انجفل منه فلما رأيته عرفت ان وجهه ليس بوجه رجل كذاب قال فكان أول ما سمعته يقول يا أيها الناس افسحوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الارحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلون الجنة بسلام ولما قدم وفد ضماد ابن ثعلبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه بنى سعد بن بكر

المسلم وغير المسلم ولا تصيب اذا كر (وهم) أي الكفار المخاطبون في قوله وهو الذي يريدكم البرق (يجادلون في شأن الله) فينكرون البعث تارة ويستجلبون بالعذاب اخرى ويكذبون الرسل ويعصون الله وقيل الضمير راجع الى من واعاد عليها الضمير جمع باعتبار معناها ثم المجادلة المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة وأصله من جدات الحبيل اذا أحكمت فتله وبالجملة مستأنفة (وهو شديد المحال) أي الماحلة والمكايذة لاعدائه من محل بفلان اذا كاده وعرضه للهلاك ومنه تجمل اذا تكلف استعمال الحيلة ولعل أصله المحل بمعنى القمط والجملة حامية من الجلالة الكريمة ويضعف استئنافها قال ابن الاعرابي المحال المكروه والمكرم من الله التدبير بالحق وقال النحاس المكرم من الله ايصال المكروه الى من يستحقه من حيث لا يشعرو وقال الأزهرى المحال فعال من المحل بمعنى القوة والشدة والميم أصلية وما حلت فلا نامحالا أي نأشد وقال أبو عبيدة المحال العقوبة والمكروه قال الزجاج يقال ما حلت محالا اذا قاوته حتى يتبين أيكأشد والمحل في اللغة الشدة قال ابن قتيبة أي شديد الكيد وأصله مفعول من الحول أو الحيلة جعل الميم كيم المكان وأصله من الكون ثم يقال تمكنت فاعل على غير قياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعول من حال يحول اذا احتال قال الأزهرى غلط ابن قتيبة ان الميم فيه زائدة بل هي أصلية واذا رأيت الحرف على مثال فعال أوله ميم مكسورة فهي أصلية مثل مهاد وملا ومهراس وغير ذلك من الحروف وفي القاموس المحال ككتاب الكند وروم الامر بالحيل والتدبير والقدرة والجدال والعذاب والعقاب والعداوة والمعادلة كالماحلة والقوة والشدة والهلاك والاهلاك ومحل به مثل الحاء محلا ومحالا كاده بسعاية الى السلطان وما حله مما حله ومحالا فواؤه حتى يتبين أيهما أشد انتهى وللصحابة والتابعين في تفسير المحال هنا أقوال ثمانية الاول العداوة الثاني الحول الثالث الاخذوبه قال ابن عباس الرابع الحقد الخامس القوة السادس الغضب السابع الهلاك الثامن الحيلة (له دعوة الحق) الاضافة للملابسة أي الدعوة للملابسة للحق المختصة به التي لا مدخل للباطل فيها بوجه من الوجوه كما يقال كلمة الحق والمعنى انها دعوة مجابة واقعة في موقعها لا كدعوة من دونه وقيل الحق هو الله سبحانه والمعنى ان الله سبحانه دعوة المدعو الحق وهو الذي يسمع فيجيب وقيل المراد بدعوة الحق ههنا كلمة التوحيد والاخلاص والمعنى لله من خلقه

قال رسول الله فيما قال له من رفع هذه السماء قال الله قال ومن نصب هذه الجبال قال الله قال ومن سطح هذه الارض قال الله قال فبالذي رفع هذه السماء ونصب هذه الجبال وسطح هذه الارض آله أرسلنا الى الناس كلهم قال اللهم نعم ثم سأله عن الصلاة والزكاة والحج والصيام ويحلف عند كل واحدة هذه اليمين ويحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له صدقت والذي بعثت بالحق لا أزيد على ذلك ولا أنقص فاكتفى هذا الرجل بمجرد هذا وقد أيقن بصدقه صلوات الله وسلامه عليه بما رأى وشاهد من الدلائل الدالة عليه وقال حسان بن ثابت لو لم تكن فيه آيات مبنية * كانت بديهة فأتيتك بالخبر وأمام مسيئة فن شاهد من ذوى

البصائر علم أمره لا محالة بأقواله الركيكة التي ايسر بصحة واقفاله غير الحسنه بل القبيحة وقرآنه الذي يخلد به في النار يوم
الحسرة والفضيحة وكم من فرق بين قوله تعالى لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم الى آخرها وبين قول مسيلة قبحه الله
ولعنه يا ضفدع بنت ضفدعين نقي كم تنقين للاماء تكدرين ولا الشارب تمنعين وقوله قبحه الله لقد انعم الله على الجبلى
اذا خرج منها نسمة تسمى من بين صفاق وحشى وقوله حمده الله في نار جهنم وقوله القيل وما أدراك ما النيل له خرطوم طويل
وقوله أبعد الله عن رحمة والعاجنات بمننا (١٠٤) والخابزات خبزاً واللاقيات لقمات اهالة وسمننا ان قريش اقوم بعتدون الى

ان يوحدوه ويخلصوا له وقيل معنى كونها تعالى انه شرعها او امر بها وجعلها افتتاح
الاسلام بحيث لا يقبل بدونها وقيل دعوة الحق دعاؤه سبحانه عند الخوف فانه لا يدعى فيه
سواه كما قال تعالى ضل من تدعون الا اياه وقيل الدعوة العبادة فان عبادة الله هي الحق
والصدق (و) الآلهة (الذين يدعون) بالامم متواترة وبالتماشاة لامن السبعة
ولامن العشرة وعليها فية قرأ بكاسط بالتنوين ويكون في قوله الا تى لا يستحيون التفات
(من دونه) أى غير الله عز وجل وهم الاصنام (لا يستحيون) أى لا ينجسون (لهم بشئ)
مما يظلمونه منهم كأنما كان (الا بكاسط كفيه الى الماء) أى استجابة كاستجابة الماء
لمن بسط كفيه اليه من بعيد فانه لا يجيبه لانه جمد لا يشعر بحاجته اليه ولا يقدر ان يجيب
دعاه ولا يدري انه طلب منه (ليبلغ فاه) بارتقاعه من البئر اليه ولهذا قال (وما هو)
أى الماء (ببالغه) أى يبلغ فيه وقيل وما الفهم يبلغ الماء اذ كل واحد منهم ما لا يبلغ
الاخر على هذه الحال وقيل وما باسط كفيه الى الماء يبلغ الماء ذكره السمين والاول اولى
أعلم الله سبحانه ان دعاهم الاصنام كدعاء العطشان الى الماء يدعوه الى بلوغه وما الماء
ببالغه وقيل انه بكاسط كفيه الى الماء ليقبض عليه فلا يحصل في كفه شئ منه وقد ضربت
العرب لمن سعى فيما لا يدركه مثلاً بالقبض على الماء وقال القراء ان المراد بالماء هنا ماء البئر
لانها معدن للماء وانه شبه بمن يتديه الى البئر بغير رضا ضرب الله سبحانه هذا مثلاً لمن
يدعو غيره من الاصنام عن على قال كان الرجل العطشان يمد يديه الى البئر ليرتفع الماء
اليه وما هو ببالغه وعن ابن عباس قال هذا مثل المشرك الذي عبد مع الله غيره فقتله كمثل
الرجل العطشان الذي ينظر الى خياله في الماء من بعيد وهو يريد ان يتناوله ولا يقدر عليه
(ومادعاء الكافرين) أى عبادتهم الاصنام أو حقيقة الدعاء والاول هو الظاهر والثانى
قول ابن عباس (الافى ضلال) أى يضل عنهم ذلك الدعاء اذا احتاجوا اليه لان
اصواتهم محجوبة عن الله تعالى فلا يجردون منه شيئاً ولا ينفعهم بوجه من الوجوه بل هو
ضائع ذاهب (ولله يسجد من فى السموات والارض) ان كان المراد بالسجود معناه
الحقيقى وهو وضع الجبهة على الارض للتعظيم مع الخضوع والتذلل فذلك ظاهر فى
المؤمنين والملائكة ومسلى الجن وأما فى الكفار فلا يصح تأويل السجود بهذا فى حقهم
فلا بد ان يحمل السجود المذكور فى الآية على معنى حق لله السجود ووجب حتى يتناول

غير ذلك من الخرافات والهذيان
التي يأنف الصبيان أن يتلفظوا
بها الاعلى وجهه السخرية
والاستهزاء ولهذا أرغم الله أنفه
وشرب يوم الحديقة حنقه
وحرق شمله ولعنه قبحه وأشدله
وقدمه اعلى الصديق تائبين وجاؤا
فى دين الله راغبين فسألهم
الصديق خليفة الرسول صلوات
الله وسلامه عليه ورضى عنه ان
يقروا عليه شيئاً من قرآن مسيلة
لعنه الله فسألوه ان يعفيهم من ذلك
فأبى عليهم الا ان يقروا شيئاً منه
ليسمعه من لم يسمعه من الناس
فيعرفوا فضل ما هم عليه من الهدى
والعلم فقرأ عليه من هذا الذى
ذكرناه وأشباهه فلما فرغوا قال
اهم الصديق رضى الله عنه ويحكم
أين كان يذهب بقولكم والله ان
هذا لم يخرج من ال وذكراً أن عمرو
ابن العاص وفد على مسيلة وكان
صديقه فى الجاهلية وكان عمرو لم
يسلم بعد فقال له مسيلة ويحك يا عمرو
ماذا أنزل على صاحبكم يعنى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فى هذه
المدة فقال لقد سمعت أصحابه يقرؤن
سورة عظيمة قصيرة فقال وماهى

فقال والعصر ان الانسان انى خسرت الى آخر السورة ففكر مسيلة ساعة ثم قال وأنا قد أنزل على مثله فقال وما هو فقال السجود
يا وبر يا وبر انما أنت اذنان وصدر وسائر كحقر نقر كيف ترى يا عمرو فقال له عمرو والله انك لتعلم أنى اعلم انك لكذاب فاذا كان
هذا من مشرك فى حال شرككم يشبهه عليه حال محمد صلى الله عليه وسلم وصدقه وحال مسيلة لعنه الله وكذبه فكيف بأولى البصائر
والنهى واصحاب العقول السليمة المستقيمة والحنى ولهذا قال الله تعالى فن أظلم من افترى على الله كذباً وقال أوحى الى ولم يوح اليه
شئ ومن قال سأزل مثل ما أنزل الله وقال فى هذه الآية الكريمة فن أظلم من افترى على الله كذباً وكذباً بآياته انه لا يفلح المجرمون

وكذلك من كذب بالحق الذي جاء به الرسل وقامت عليه الحجج لأحد أظلم منه كما جاء في الحديث أعنى الناس على الله رجل قتل نبياً وقتله نبي (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أنتنؤمنون بالله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون وما كان الناس الأمتة واحدة فاختلقوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون) ينكر تعالى على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره ظانين أن تلك الآلهة تنفعهم شفاعتها عند الله فآخبر تعالى أنها لا تضر ولا تنفع ولا تملك شيئاً ولا يقع شيء مما يرمون فيها (١٠٥) ولا يكون هذا أبداً ولهذا قال قل أنتنؤمنون

الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض وقال ابن جرير معناه أتخبرون الله بما لا يكون في السموات ولا في الأرض ثم نزه نفسه عن شركهم وكفرهم فقال سبحانه وتعالى عما يشركون ثم أخبر تعالى أن هذا الشرك حادث في الناس كأثر بعدان لم يكن وانهم كلهم كانوا على دين واحد وهو الاسلام قال ابن عباس كان بين آدم و نوح عشرة قرون كلهم على الاسلام ثم وقع الاختلاف بين الناس وعبدت الاصنام والانداد والاثوان فبعث الله الرسل بآياته وبيناته وحججه البالغة وبراهينه الدامغة ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وقوله ولولا كلمة سبقت من ربك الآية أي لولا ما تقدم من الله تعالى أنه لا يعذب أحداً الا بعد قيام الحجية عليه وأنه قد أجل الخلق الى أجل معدود لقضى بينهم فيما اختلفوا فيه فأسعد المؤمنين وأعنت الكافرين (ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله فانتظروا الى معكم من

السجود بالفعل وغيره أو يفسر السجود بالاقتداء بالانكسار وان لم يسجد والله سبحانه فهم مذنبون لا مبررة وحكمة فيهم بالصحة والمرض والحياة والموت والفقر والغنى وجاء بين تغليباً للعقلاء على غيرهم ولا يكون سجود غيرهم تبعاً لسجودهم ومما يؤيد جعل السجود على الانقياد ما يفيد تقديم الله على الفعل من الاختصاص فان سجود الكفار لاصنامهم معلوم ولا يتقادون لهم كاتقيادهم لله في الامور التي يقرون على أنفسهم بأنهم امن الله كخالق والحياة والموت وغير ذلك وأيضا يدل على ارادة هذا المعنى قوله (طوعاً وكرهاً) فان الكفار يتقادون كرهاً كما يتقاد المؤمنون طوعاً وهما من متصبان على المصدرية أي انقياد طوعاً وانقياد كره أو على الخلال أي طائعين وراضين وكرهين غير راضين وقال الفراء الآية خاصة بالمؤمنين فانهم يسجدون طوعاً وبعض الكفار يسجدون اكرهاً بالسيف وخوفاً كالمناقبين فالآية محمولة على هؤلاء وقيل الآية في المؤمنين فمنهم من يسجد طوعاً لا يتقبل عليه السجود ومنهم من يتقبل عليه لان التزام التكليف مشقة ولكنهم يتحملون المشقة ايما نأبوا لله واخلاصه أو المراد بالسجود هو الاعتراف بالعظمة والعبودية وكل من فيها من ملك وأنس وجن فانهم يقرون له بالعبودية والتعظيم ويدل عليه قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله والاول وأولى (وظلالهم) جمع ظل والمراد به من له ظل منهم كالانسان لا الجن ولا الملك اذ لا ظل له وما والمعنى سجوده حقيقة تبعاً لصاحبه حيث صار لازماً لا يتفعل عنه قال الزجاج جاء في التفسير ان الكافر يسجد لغير الله فظله يسجد لله وقال ابن الانباري ولا يعبدان يخلق الله تعالى للظلال عقولاً وأفهاماً تسجد به الله سبحانه كما جعل للجمال أفهاماً حتى اشتغلت بتسيجه فظل المؤمن يسجد لله طوعاً وظل الكافر يسجد لله كرهاً وقيل المراد بالسجود ميلان الظلال من جانب الى جانب آخر وطولها تارة وقصرها أخرى بسبب ارتفاع الشمس ونزولها والاول أولى (بالغدو والآصال) أي البكر والعشايا وخصهما بالذكر لانه يزاد ظهور الظلال فيهما وهما ظرف للسجود المقدر أي ويسجد ظلّالهم في هذين الوقتين وقيل لانه ما طرف النهار فيدخل وسطه فيما بينهما والغدو بالضم من طلوع الفجر الى طلوع الشمس والغدوة والغداة أول النهار وقيل الى نصف النهار والآصال جمع أصبل وهو العشية والآصال العشايا جمع عشية وهي ما بين صلاة العصر الى غروب الشمس وقد تقدم نفس الغدو والآصال في

(١٤ فتح البیان خامس) المتطرين) أي ويقول هؤلاء الكفرة المكذبون المعاندون لولا أنزل على محمد آية من ربه يعنون كما أعطى الله عمود الناقة أو ان يحول لهم الصفا ذهباً أو يريح جبال مكة ويجعل مكانها بساتين وأنهاراً وأنحو ذلك مما الله عليه قادر ولكنه حكيم في أفعاله وأقواله كما قال تعالى تبارك الذي ان شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً بل كذبوا بالساعة وأعدنا لمن كذب بالساعة سعيراً وكذبت بالآيات الا ان كذب بها الاولون الآية يقول تعالى ان سئتي في خلقى انى اذا آتيتهم ما سألو افا ان آمنوا والاعاجلهم بالعقوبة ولهذا ماخير رسول الله صلى الله

عليه وسلم بين اعطاهم ما سألوا فان آمنوا والاعذبوا وبين انظارهم اختار انظارهم كما حلهم غير مرة صلى الله عليه وسلم
ولهذا قال تعالى ارشاد النبي صلى الله عليه وسلم الى الجواب عما سألوا فقل انما الغيب لله أي الامر كله لله وهو يعلم العواقب
في الامور فانتظروا اني معكم من المنتظرين أي ان كنتم لا تؤمنون حتى تشاهدوا ما سألتم فانتظروا حكم الله في فيكم هذا
مع انهم قد شاهدوا من آياته صلى الله عليه وسلم اعظم مما سألوا حين أشار بحضرتهم الى القمر ليلة ابداره فانتظروا انتمين فرقة من
وراء الجبل وفرقة من دونه وهذا اعظم من سائر (١٠٦) الآيات الارضية مما سألوا وما لم يسألوا ولو علم الله منهم انهم سألوا ذلك

الاعراف أيضا وفي معنى هذه الآية قوله سبحانه أو لم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفياظلاله
عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون قيل وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة
فيسن للقارئ والمستمع ان يسجد عند قراءته واستماعه لهذه السجدة (قل من رب
السموات والارض) أي خالقهما ومتولى أمورهما أمر الله سبحانه رسوله ان يسأل
الكفار من ربهم ما سألوا تقرير ثم لما كانوا يقولون بذلك ويعترفون به كما حكاها الله سبحانه في
قوله ولستين سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم وقوله ولئن
سألتهم من خلقهم ليقولن الله أمر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يجيب فقال (قل
الله) فكانه حكي جوابهم وما يعتقدونه لانهم ربما (١) تعلموا في الجواب حذرا مما
يلزمهم ثم أمره بان يلزمهم الحجة ويبيحهم فقال (قل أفألتخذتم الاستفهام للانكار
أي اذا كان رب السموات والارض هو الله كما تقررون بذلك وتعتفون به كما حكاها سبحانه
عنكم بقوله قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله فبأبناكم
اتخذتم لانفسكم بعد اقراركم هذا (من دونه اولياء) عاجزين (لا يمكنون لانفسهم
نفعا ولا ضرا) يضررون به غيرهم أو يدفعونه عن انفسهم فكيف ترجون منهم النفع
والضروهم لا يمكنونهم لانفسهم ثم ضرب الله سبحانه لهم مثلا أمر رسوله صلى الله
عليه وآله وسلم ان يقول لهم فقال (قل هل يستوي الاعمى) في دينه وهو الكافر
(والبصير) فيه وهو الموحد فان الاول جاهل لما يجب عليه وما يلزمه والثاني عالم بذلك
قال ابن عباس يعني المزمع والكافر (أم هل) أم هذه هي المنقطعة فتقديره
والهمزة عند الجمهور وييل وحدها عند بعضهم وقد يتقوى بهذه الآية من يرى تقديرها
ييل فقط بوقوع هل بعدها وأجيب بان هل هنا بمعنى قد واليه ذهب جماعة وقيل
استفهامية للتقرير والتوبيخ وهو الظاهر (تستوى) قرئ بالتاء والياء والوجهان
واضحان (الظلمات) أي الكفر (والنور) أي الايمان أي كيف يكونان مستويين
وبينهما من التفاوت ما بين الاعمى والبصير وما بين الظلمات والنور ووجد النور ووجد
الظلمات لان طريق الحق واحدة لا تختلف وطرائق الباطل كثيرة غير منحصرة (أم) هي
المنقطعة التي بمعنى بل والهمزة أي بل (جعلوا لله شركاء) والاستفهام لانكار الوقوع
قال ابن الانباري معناه أ جعلوا لله شركاء (خلقوا خلقه) أي مثل خلق الله يعني سموات

استرشادا وتنبها لا جابهم ولكن
علم انهم انما يسألون عنادا وتعتنا
فتركههم فيما راى وعلم انهم
لا يؤمن منهم أحد كقوله تعالى ان
الذين حقت عليهم كلمة ربك
لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية
وقوله تعالى ولو اتنازلنا اليهم
الملائكة ولكلهم الموتي وحشرنا
عليهم كل شيء قبلما كانوا يؤمنوا
الا ان يشاء الله الآية ولما فهم من
المكابرة كقوله تعالى ولو فتحنا
عليهم بابا من السماء الآية وقوله
تعالى وان يروا كسفا من السماء
ساقطا الآية وقال تعالى ولو نزلنا
عليك كتابا في قرطاس فلنسهوه
بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا
الاسحار مبین فمثل هؤلاء أقل من
ان يجابوا الى ما سألوا لانه لا فائدة
في جوابهم لانه اذا رعى تعنتهم
وعنادهم لكثرة جورهم وفسادهم
ولهذا قال فانتظروا اني معكم
من المنتظرين (واذا أدقنا الناس
رحمة من بعد ضراء مستهم اذا لهم
مكر في آياتنا قل الله أسرع مكرا
ان رسلنا يكتبون ما تمكرون هو
الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا

كنتم في الفلك وجرن بهم برح طيبة وفرحوا بها جاءتهم نار عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا
انهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما أنجاهم اذا هم يغفون في الارض بغير
الحق يأبىها الناس انما بغيبكم على انفسكم متاع الحياة الدنيا ثم اليانما جمعكم فنبتسكم عما كنتم تعملون) يخبر تعالى انه اذا أذاق
الناس رحمة من بعد ضراء مستهم كالرشاء بعد الشدة والحصب بعد الجذب والمطر بعد القحط ونحوه اذا لهم مكر في آياتنا قال
(١) لعنم فيه لعنة وتلعنتم تمكث وتوقف وتأنى أو نكص عنه وتبصره اه قاموس

بجاهد استهزأه وتكذيب كقوله واذا مس الانسان الضر دعا بالجنه أو قاعدا أو قائما الآية وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم الصبح على اثر سماء كانت من الليل أي مطر ثم قال هل تدرون ماذا قال ربكم الليلة قالوا الله ورسوله أعلم قال قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب وقوله قل الله أسرع مكرا أي أشد استدرجا وأمهالها حتى يظن الظان من المجرمين انه ليس بمعذب وانما هو في مهلة ثم يؤخذ على غرة منه والكايتون (١٠٧) الكرام يكتبون عليه جميع ما يفعله ويحسونه ثم يعرضونه على عالم الغيب والشهادة

وأرضوا شمساً وقرأوا جبلاً ووجاراً ووجنا وانسا (فتشابه الخلق عليهم) أي فتشابه خلق السموات والارض والجن والانس في ذلك حتى يشتمه الامر عليهم بل اذا فكروا بعقولهم وجدوا الله هو المتفرد بالخلق وسائر السموات والارض لا يخلقون شيئا والمعنى انهم لم يجعلوا الله شركاء متصفين بانهم خلقوا كخلقهم فتشابه بهما السبب الخلق عليهم حتى يستحقوا بذلك العبادة منهم بل انما جعلوا له شركاء الاصنام ونحوها بمحض سفه وجهل وهي بعزل ان تكون كذلك لانه لم يصدر عنها فعل ولا خلق ولا اثر البتة ثم أمره الله سبحانه وتعالى بان يوضح لهم الحق ويرشدهم الى الصواب فقال (قل الله خالق كل شيء) كأننا ما كان ليس لغيره في ذلك مشاركة بوجه من الوجوه فلا شريك له في العبادة قال الزجاج والمعنى انه خالق كل شيء مما يصح ان يكون مخلوقا الا ترى انه تعالى شيء وهو غير مخلوق (وهو الواحد) أي المتفرد بالربوبية مقول القول أو مستأنفة (القهار) لما عداه فكل ما عداه مر بوب مقهور مغلوب ثم ضرب سبحانه مثلا آخر للحق وذوويه وللباطل ومتحديه فقال (أنزل من السماء ماء) مطرا يعني من جهتها والتسكير للتكثيرا ولتنوعه (فسالن أودية) جمع واد وهو كل منفرج بين جبلين أو نحوهما يسيل الماء فيه بكثرة فالتسع فيه واستعمل للماء الجاري فيه وتكثيرها لان المطر ياتي على تناوب بين البقاع واذا انزل لا يميم جميع الارض ولا يسيل في كل الاودية بل ينزل في أرض دون أرض ويسيل في واد دون واد قال أبو علي الفارسي لانعلم فاعلاج جمع على أفعاله الا هذا وكأنه جعل على فاعيل مثل جرب وأجرية كأن فاعيل جعل على فاعل فجمع على افعال مثل يتيم وإيتام وشريف وأشرف كصاحب وأنصار في صاحب وناصر قال وفي قوله أودية توسع أي سال ماؤها قال ومعنى (بقدرها) بقدر ما لها لان الاودية ما سالن بقدر انفسها قال الواحدى والقدر مبلغ الشيء والمعنى بقدرها من الماء فان صغر الوادى قل الماء وان اتسع كثر قال ابن عباس الصغير قدر صغره والكبير قدر كبره ونحوه قال ابن جرير وقال في الكشف بقدرها الذي يعرف الله انه نافع للممطور عليهم غير ضار وقيل بقدر ما ملأها أي ما ملأها كل واحد بحسبه صغرا وكبرا والباء للملابسة قال ابن الانباري شبه نزول القرآن الجامع للهدى والبيان بنزول المطر اذ نفع نزول القرآن يعم كعموم نفع نزول المطر وشبه الاودية بالقلوب اذ الاودية يستكن فيها الماء كما يستكن

يعرضونه على عالم الغيب والشهادة فيجازيه على الجليل والحقير والتقير والقظير ثم أخبر تعالى انه الذي يسير كم في البر والبحر أي يحيط بكم ويكلاكم بحر اسماسته حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها أي بسر عتسبهم رافقين فيبيناهم كذلك اذ جاءتها أي تلك السفن ربح عاصف أي شديدة وجاءهم الموج من كل مكان أي اعتم البحر عليهم وظنوا انهم أحيط بهم أي هلكوا دعوا الله مخلصين له الدين أي لا يدعون معه صنما ولاوثنا بل يفردونه بالدعاء والابتهال كقوله تعالى واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الاياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان ككفورا وقال هناد دعا الله مخلصين له الدين لئن أشجيتنا من هذه أي هذه الحال لنكونن من الشاكرين أي لانشرلك بك أحدا ولنفردنك بالعبادة هناك كما أفردناك بالدعاء ههنا قال الله تعالى فلما أنجاهم أي من تلك الورطة اذ هم يبغون في الارض بغير الحق أي كأن لم يكن من ذلك شيء كأن لم يدعنا الى ضر مسه ثم قال تعالى يا أيها الناس انما بغيتكم على أنفسكم أي انما يدق وبال هذا البغي أنتم أنفسكم ولا تضرون به أحد غيركم كما في الحديث ما من ذنب أجدر من ان يعجل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدخر الله لصاحبه في الآخرة من البغي وقطعة الرحم وقوله متاع الحياة الدنيا أي انما لكم متاع الحياة الدنيا الحقيقية ثم ينما رجعكم أي مصيركم وما لكم فتنبئكم أي فنجبركم بجميع أعمالكم ونوفيككم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه (انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا أخذت الارض

زخرفها وازينت وطن أهلها انهم قادرون عليها أتاها أمر نالها أو نهارا فجعلناها حصيرا كان لم تغن بالامس كذلك تفصل الآيات لقوم يتفكرون والله يدعوا الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم) ضرب تبارك وتعالى مثلا لزهرة الحياة الدنيا وزينتها وسرعة انقضاءها وزوالها بالتسبات الذي أخرجه الله من الارض بما أنزل من السماء من ماء مما يأكل الناس من زروع وغار على اختلاف أنواعها وأصنافها وما تأكل الانعام من آب وقضب وغير ذلك حتى اذا أخذت الارض زخرفها أى زينتها القانية وازينت أى حفت بمخارج (١٠٨) في رباها من ظهور نضرة مختلفة الاشكال والالوان فظن أهلها الذين زرعوها

وغرسوها انهم قادرون عليها أى على جذائها وحصادها فينتها هم كذلك اذ جاءتها صاعقة أو ريح شديدة باردة فأيدبت أوراقها وأتلفت غمارها ولهذا قال تعالى أتاها أمر نالها أو نهارا فجعلناها حصيرا أى يابس بعد الخضرة والنضارة كأن لم تغن بالامس أى كأنها ما كانت حينما قبل ذلك وقال قتادة كأن لم تغن كأن لم تنم وهكذا الامور بعد زوالها كأنها لم تكن ولهذا جاء في الحديث يؤتى بأنعم أهل الدنيا فيغمس في النار خمسة فيقال له هل رأيت خيرا قط هل مررتك نعيم قط فيقول لا ويؤتى بأشد الناس عذابا في الدنيا فيغمس في النعيم خمسة ثم يقال له هل رأيت بؤسا قط فيقول لا وقال تعالى كان لم يغنوا فيها ثم قال تعالى كذلك تفصل الآيات أى نبين الحجج والادلة لقوم يتفكرون فيعتبرون بهذا المثل في زوال الدنيا عن أهلها سر يعامع اعزازهم بها وتمكنهم وثقتهم وعوا عيدها ونقلتها عنهم فان من طبعها الهرب عن طلبها

القرآن والايان في قلوب المؤمنين (فاحتمل السيل) احتمل بمعنى حمل فافعل بمعنى الجرد وانما نكر الاودية وعرف السيل لان المطر ينزل على المناوبة والسيل قد فهم من الفعل قبله وهو فسالت (زبداريا) الزبد هو الايض المرتفع المنتفخ على وجه السيل ويقال له الغشاء والرغوة وكذلك ما يعلو على القدر عند غليانها وقيل الزبد وضرب الغليان والوضر بفتح السين وسخ الدم ونحوه وهو مجاز عما يعيلو الماء من الغشاء والراني العالى المرتفع فوق الماء قال الزجاج هو الطافي فوق الماء وقال غيره هو الزائد بسبب انتفاخه من ريار يوارى او اذ ارد المراد من هذا تشبيه الكفر بالزبد الذى يعيلو الماء فإنه يضمحل ويعلق بجنبيات الوادى وتدفعه الرياح فكذلك يذهب الكفر ويضمحل وعن أبى موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلاء والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشروا منها وسقوا ووعوا أو أصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثنى الله به فتعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به أخرجه البخارى ومسلم وقد تم هنا المثل الاول ثم شرع سبحانه في ذكر المثل الثانى فقال (ومما يؤقدون عليه فى النار) من لا يتدأ الغاية أى ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء وللتبعيض بمعنى وبعضه زبد مثله والضمير للناس أضم مع عدم سبق الذكر لظهوره هذا على قراءة التحسية واختاره أبو عبيد وقرى بالفوقية على الخطاب والمعنى ومما يؤقدون عليه فى النار فيمدوب من الاجسام المتطرفة الذائبة وفي المصباح وقدرت النار وقد ا من باب وعد ووقودا والوقود بالفتح الحطب وأوقدها يقاد او منه على الاستعارة كلما أوقدوا نار الحرب والوقد بفتح التين النار نفسها والوقود موضع الوقود (ابتغاء) أى لطلب اتخاذ (حلية) يتزينون بها ويتجملون كالذهب والفضة (أو) لطلب (متاع) آخر يتمتعون به من الاواني والآلات المتخذة من الحديد والفضة والتماس والرصاص (زيد مثله) المراد بالزبد هنا الخبث فإنه يعيلو فوق ما أذيب من تلك الاجسام كما يعيلو الزبد على الماء فالضمير في مثله يعود الى زبد اربا يوارى بمتدأ وخبره مما يؤقدون ووجه المماثلة ان كلامهم ما نشأ من الاكدار (كذلك) الضرب البديع (يضرب) أى يبين

والطلب لمن هرب منها وقد ضرب الله تعالى مثل الدنيا بنبات الارض في غير ما آية من كتابه العزيز فقال في سورة (الله) الكهف واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه بالريح وكان الله على كل شئ مقمدا وكذا في سورة الزمر والحديد يضرب بذلك مثل الحياة الدنيا وقال ابن جرير حدثني الحارث حدثنا عبد العزيز حدثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عبد الرحمن بن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال سمعت عمر وان يعنى ابن الحكم يقرأ على المنبر وطن أهلها انهم قادرون عليها وما كان الله ليهلكهم الا بنوب أهلها قال قد قرأها اولدست في المحجف فقال عباس

ابن عبد الله بن عباس هكذا يقرأها ابن عباس فأرسلوا إلى ابن عباس فقال هكذا أقراني ابن كعب وهذه قراءة غيره وكأنها
زيدت للتفسير وقوله تعالى والله يدعوا إلى دار السلام الآية لما ذكر تعالى الدنيا وسرعة زوالها ورغب في الجنة ودعا إليها وسماها
دار السلام أي من الآفات والنقائص والتسكيات فقال والله يدعوا إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم قال
أيوب عن أبي قلابة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قيل لي لئن عيناك وليعقل قلبك ولتسمع أذنك فنامت عيني وعقل قلبي
وسمعت أذني ثم قيل لي (١) سيد بنى داراتهم مآدبة (١٠٩) وأرسل داعيا فبنى أجاب الداعي دخل الدار وأكل

من المآدبة ورضى عنه السيد ومن
لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم
يأكل من المآدبة ولم يرض عنه
السيد والله السيد والدار الإسلام
والمآدبة الجنة والداعي محمد صلى
الله عليه وسلم وهذا حديث مرسل
وقد جاء متصلا من حديث الليث
عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي
هلال عن جابر بن عبد الله
رضي الله عنه قال خرج علينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوما فقال اني رأيت في المنام كأن
جبريل عند رأسي وميكائيل عند
رجلي يقول أحدهما لصاحبه
اضر به مثلا فقال اسمع سمعت
أذنك واعقل عقل قلبك انما مثلك
ومثل أمك كمثل ملك اتخذ دارا
ثم بنى فيها بيتا ثم جعل فيها مآدبة ثم
بعث رسولا يدعو الناس إلى
طعامه فنهض من أجاب الرسول
ومنهم من تركه فأنه الملك والدار
الإسلام والبيت الجنة وأنت
يا محمد الرسول فبنى أجابك دخل
الإسلام ومن دخل الإسلام دخل
الجنة ومن دخل الجنة أكل منها
رواه ابن جرير وقال قتادة حدثني

(الله) المثل (الحق) أي الإيمان (و) المثل (الباطل) أي الكفر فالحق هو الماء والجوهر
الصافي الثابت والباطل هو الزبد الطافي الذي لا ينتفع به ثم شرع في تبيين المثل فقال
(قالما الزبد) بقسميه (فيذهب جفأ) باطلا مياها به يقال جفأ الوادي غثا جفأ إذا رمى
به أي يرميه الماء إلى الساحل ويرمي به الكبر فلا ينتفع به والجفأ بمنزلة الغناء وكذا قال
أبو عمرو بن العلاء وحكي أبو عبيدة أنه سمع روبة يقرأ جفأ قال أبو حاتم لا يقرأ بقراءة روبة
إذا قذفت بزبدتها وأجفأت الريح السحاب إذا قطعت عنه قال أبو حاتم لا يقرأ بقراءة روبة
لأنه كان يأكل القارو والمعنى يذهب باطلا ضاعا أي ان الباطل وان علا في وقت فانه
يضعل ويذهب وقيل الجفأ المتفرق قاله ابن الأنباري يقال جفأت الريح السحاب أي
قطعت وفرقت ووجه المماثلة بين الزبد في الزبد الذي يحمله السيل والزبد الذي يعلم
الاجسام المتفرقة ان تراب الأرض لما خالط الماء وجد معه صار زبدا رايافوقه وكذلك
ما يوقد عليه في النار حتى يذوب من الاجسام المتفرقة فان أصله من المعادن التي تنبت في
الأرض فيخالطها التراب فاذا أذيت صار ذلك التراب الذي خالطها خبثا مرتفعا فوقها
(وأما ما ينفع الناس) منها وهو الماء الصافي والجوهر الجيد من هذه الاجسام المذابة
والذائب الخالص من الخبث (فيمكث في الأرض) أي يثبت فيها ويبقى ولا يذهب أما
الماء فانه يسلك في عروق الأرض فينتفع الناس به وأما ما أذيت من تلك الاجسام فانه
يصاغ حلية وأمتعة وهذا ان مثلان ضربهما الله سبحانه للحق والباطل يقول ان الباطل
وان ظهر على الحق في بعض الاحوال وعلاه فان الله سبحانه سيمحقه ويبطله ويجعل
العاقبة للحق وأهله كالزبد الذي يعلم الماء فيلقبه الماء ويضعل وكخبث هذه الاجسام
فانه وان علا عليها فان الكبر يقذفه ويدفعه فهذا مثل الباطل وأما الماء الذي ينفع
الناس وينبت المراعي فيمكث في الأرض وكذلك الصقون من هذه الاجسام فانه يبقى خالصا
لا شوب فيه وهو مثل الحق قال الزجاج فمثل المؤمن واعتقاده ونفع الإيمان كمثل هذا
الماء المنتفع به في نبات الأرض وحياة كل شيء وكمثل نفع الفضة والذهب وسائر الجواهر
لأنها كلها تبقى منتفعا بها ومثل الكافر وكفره كمثل الزبد الذي يذهب جفأ وكمثل خبث
الحديد وما يخرج من النار من وسخ الفضة والذهب الذي لا ينتفع به وقد حكينا عن ابن
الأنباري فيما تقدم أنه شبه نزول القرآن إلى آخر ما ذكرناه جعل ذلك مثلا ضرب به الله

خلد العصرى عن أبي الدرداء مر فوعا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم طاعت فيه الشمس الا ويحنيها الملك
يناديان بسمعه خلق الله كلهم الا الثقلين يأبى الناس هلموا إلى ربكم ان ما قل وكفى خير مما كثر وألهى قال وأنزل في قوله يأبى
الناس هلموا إلى ربكم والله يدعوا إلى دار السلام الآية رواه ابن أبي حاتم وابن جرير (لذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق
وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) يخبر تعالى ان لمن أحسن العمل في الدنيا بالإيمان والعمل الصالح
الحسنى في الدار الآخرة كقوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان وقوله وزيادة هي تضعف ثواب الاعمال بالحسنة

عشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف وزيادة على ذلك وبمثل ما يعظمهم الله في الجنان من القصور والحور والرضاع عنهم وما أخفاه لهم من قرة عين وأفصح له وأعلاه النظر إلى وجهه الكريم فإنه زيادة أعظم من جميع ما أعطوه لا يستحقونه بعملهم بل بفضل ورحمة وقدروى تفسير الزيادة بالنظر إلى وجهه الكريم عن أبي بكر الصديق وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن عباس وسعيد بن المسيب وعبد الرحمن بن أبي ليلى وعبد الرحمن بن سابط ومجاهد وعكرمة وعامر بن سعد وعطاء والشمك والحسن وقتادة والسدي ومحمد بن اسحق وغيرهم من السلف والخلف وقد وردت فيه (١١٠) أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فمن ذلك ما رواه الامام

أحمد حدثنا عفان أخبرنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وقال اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد أن يجزيكموه فيقولون وما هو ألم ينقل موازيننا ألم يبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويرزقنا من النار قال فكشف لهم الخجاب فنظروا اليه فوالله ما أعطاهم الله شيئا أحب اليهم من النظر اليه ولا أقر لآعينهم وهكذا رواه مسلم وجماعة من الأئمة من حديث حماد بن سلمة به وقال ابن جرير أنبا ابن وهب أنبا ناشيب وأبان بن أبي عميرة الهجيمي انه سمع أبا موسى الأشعري يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبعث يوم القيامة مناديا ينادى يا أهل الجنة (٣) بصوت يسمع أولهم وآخرهم ان الله وعدكم الحسنى وزيادة الحسنى الجنة والزياة النظر إلى وجه

القرآن (كذلك) الضرب العجيب (بضرب الله الامثال) في كل باب لكل العناية بعباده واللفظ بهم في الارشاد والهداية وفيه تفخيم لشأن هذا التتميل وتأكيد لقوله كذلك يضرب الله الحق والباطل اما باعتبار ابتناء هذا على التتميل الاول أو يجعل ذلك اشارة اليهما جميعا ثم بين سبحانه من ضرب له مثل الحق ومثل الباطل من عباده فقال فيمن ضرب له مثل الحق (الذين استجابوا لربهم) خبر مقدم أى أجابوا دعوته اذ دعاهم إلى توحيدهم وتصدق بآيائه والعمل بشرائعه (الحسنى) مبتدأ مؤخر أى المثوبة الحسنى وهى الجنة وبه قال جمهور المفسرين وقيل الحسنى هى المنفعة العظمى الخالصة الخالية عن شوائب المضرة والانقطاع والاول اولى وهو قول ابن عباس وقال سبحانه فيمن ضرب له مثل الباطل (والذين لم يستجيبوا لله) أى لدعوته إلى مادعاهم اليه وهم الكفار الذين استمروا على كفرهم وشركهم وما كانوا عليه والموصول مبتدأ أخبر عنه بثلاثة أخبار الاول الجملة الشرطية وهى (وان لهم ما فى الارض جميعا) من أصناف الاموال التى تملكها العباد ويجمعونها بحيث لا يخرج عن ملكهم منها شئ (ومثله معه) أى مثل ما فى الارض جميعا كأنما معه ومنضمما اليه (لاقتدوا به) أى بمجموع ما ذكر وهو ما فى الارض ومثله والمعنى يخلصوا به مما هم فيه من العذاب الكبير والهول العظيم ثم بين سبحانه ما عدلهم فقال (أولئك) يعنى الذين لم يستجيبوا وهو خبر ثان للموصول (لهم سوء الحساب) من اضافة الصفة للموصوف أى الحساب السي وهو ان يحاسب الرجل بذنبه كله ولا يغفر له منه شئ قال الزجاج لان كفرهم أحبط أعمالهم وقال غيره هو المناقشة فيه وفى الحديث من نوقش الحساب عذب (وما أوأهم جهنم) أى مرجعهم اليها (وبئس المهاد) أى المستقر الذى يستقرون فيه أو القراش الذى يفرض لهم فى جهنم والخصوص بالذم محذوف وهو خبر ثالث للموصول المتقدم (أقن بعلم) الهمة فلا تنكار على من يتوهم الممانحة بين من يعلم وبين من هو أعمى لا يعلم ذلك ولا يؤمن به (انما أنزل اليك من ربك الحق) أى ما أنزل الله سبحانه إلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من الحق الذى لا شك فيه ولا شبهة وهو القرآن (كن هو أعمى) فان الحال بينهما متباعد جدا كالمتباعد الذى بين الماء والزبد وبين الخميث والخالص من تلك الاجسام قيل نزل فى جزه وأبى جهل ومع هذا فالاولى جل الآية على العموم

الرحمن عز وجل ورواه أيضا ابن أبي حاتم من حديث أبي بكر الهذلي عن أبي عميرة الهجيمي به وقال ابن جرير وان أيضا حدثنا ابن حميد حدثنا ابراهيم بن المختار عن ابن جريج عن عطاء بن كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال النظر إلى وجه الرحمن عز وجل وقال أيضا حدثنا ابن عبد الرحيم حدثنا عمر بن أبي سلمة سمعت زهيراً عن سمع أبا العالية حدثنا أبو بن كعب انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة والزياة النظر إلى وجه الله عز وجل ورواه ابن أبي حاتم أيضا من حديث زهير به وقوله تعالى ولا يرهق (٣) قوله يا أهل الجنة بصوت الخ كذا فى النسخ وحرر الرواية ٥٥ معجمه

وجوههم قتر أي قنار وسواد في عرصات المحشر كما يعتري وجوه الكفرة الفجرة من القفرة والغبرة ولا ذلة أي هوان ووصف غار أي
لا يحصل لهم اهانة في الباطن ولا في الظاهر بل هم كما قال تعالى في حقهم فوقهم لولا أنهم في ذلك اليوم ولتأثم نضرة وسرور أي نضرة في
وجوههم وسرور أي قلوبهم جعلنا الله منهم بفضلهم ورحمته آمين (والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من
الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلماً أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) لما أخبر تعالى عن حال السعداء
الذين يضاعف لهم الحسنات ويزدادون على ذلك عطف بذكر حال (١١١) الأشقياء فذكر تعالى عدله فيهم وأنه يجازيهم على

السيئة بمثلها لا يزيدهم على ذلك
وترهقهم أي تعثر بهم وتعلوهم
ذلة من معاصيهم وخوفهم منها
كما قال وترهقهم يعرضون عليها
خاشعين من الذل الآية وقال
تعالى ولا تحسبن الله غافلاً عما
يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم
تشخص فيه الأبصار مهطعين
مقنعي رؤسهم الآيات وقوله ما لهم
من الله من عاصم أي مانع ولا واق
يقيم العذاب كقوله تعالى يقول
الإنسان يومئذ أين المفر كلالا
وزر إلى ربك يومئذ المستقر وقوله
كأنما أغشيت وجوههم الآية
أخبار عن سواد وجوههم في الدار
الآخرة كقوله تعالى يوم تبيض
وجوه وتسود وجوه فاما الذين
أسودت وجوههم أسكفرتهم
بعد إيمانكم فذوقوا العذاب
بما كنتم تكفرون وأما الذين
ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم
فيها خالدون وقوله تعالى وجوه
يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة
ووجوه يومئذ عليها غبرة الآية
(ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول
للذين أشركوا مكانكم أنتم
وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال
شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون فكفي بالله شهيدا بيننا وبينكم أن كل من عبدتكم لغافلين هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت ورددوا
إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون) يقول تعالى ويوم نحشرهم أي أهل الأرض كلهم من جن وانس وبروقا جر
كقوله وحشرناهم فلم نغنا: رمنهم أحد ثم نقول للذين أشركوا الآية أي الزموا أنتم وهم مكاننا معنا امتاز وافيسه عن مقام
المؤمنين كقوله تعالى وامتازوا اليوم أيها المجرمون وقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يفرقون وفي الآية الأخرى يومئذ يصدعون
أي يسيرون صدعين وهذا يكون إذا جاء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء ولهذا قيل ذلك (١) يستخرج المؤمنون إلى

وان كان السبب خاصا والمعنى لا يستوى من يبصر الحق ويتبعه ومن لا يبصره ولا يتبعه
وعن قتادة قال هؤلاء قوم اتفقوا بما سمعوا من كتاب الله وعقلوه ووعوه وهو لا يمكن هو
أعنى عن الحق فلا يبصره ولا يعقله (انما يتذكر أولو الألباب) أي انما يقف على
تفاوت المترتئين وتباين الرتبين أو يعظ أهل العقول الصحيحة ثم وصفهم بالأوصاف
المادحة فقال (الذين يوفون بعهد الله) أي بما عقده من العهود فيما بينهم وبين
ربهم أو فيما بينهم وبين العباد (ولا ينقضون الميثاق) الذي وثقوه على أنفسهم
وأكدوه بالإيمان ونحوها وهذا تعميم بعد التخصيص لانه يدخل تحت الميثاق كل
ما أوجب العبد على نفسه كالندور ونحوها ويجوز ان يكون الامر بالعكس فيكون من
التخصيص بعد التعميم على ان يراد بالعهد جميع عهد الله وهي أوامره ونواهيها التي
وصى بها عبده على السنة الرسل في الكتب الالهية ويدخل في ذلك الالتزامات التي
يلزم بها العبد لنفسه ويراد بالميثاق ما أخذ الله على عباده حين أخرجهم من صلب آدم
في عالم الذر المذكور في قوله سبحانه واذ أخذ ربك من بنى آدم الأية بأن يؤمنوا اذا وجدوا
في الخارج ولا يكفروا قال قتادة ان الله ذكر الوفاء بالعهد والميثاق في بضع وعشرين آية
من القرآن (والذين يصلون ما أمر الله به ان يوصل) ظاهره شمول كل ما أمر الله بصلته
ونهى عن قطعه من حقوق الله وحقوق عباده ومنه الايمان بجميع الكتب والرسل
ولا يفرق بين أحد منهم ويدخل تحت ذلك صلة الارحام دخولا أو ليا ويدخل فيه وصل
قراية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووصل قراية المؤمنين الثابتة بسبب الايمان انما
المؤمنون اخوة بالاحسان اليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم
وافشاء السلام وعبادة المرضى ومنه مراعاة حق الاحباب والخدم والجيران والرفقاء
في السفر الى غير ذلك وقد قصره كثير من المفسرين على صلة الرحم واللفظ أوسع من ذلك
أخرج الخطيب وابن عساکر عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ان البر والصلة ألحقتان سوء الحساب يوم القيامة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
والذين يصلون إلى سوء الحساب وقد ورد في صلة الرحم وتحرير قطعها أحاديث كثيرة
(ويحشون ربهم) خشية تحملهم على فعل ما وجب واجتناب ما لا يحل والخشية
خوف يشوبه تعظيم واجلال وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه (ويحافون

الله تعالى ان يأتي لفصل القضاء ويربحنا من مقامنا هذا وفي الحديث الاخر نحن يوم القيامة على كوم فوق الناس وقال الله تعالى في هذه الآية الكريمة اخبار اعميأمر به المشركين وأوثانهم يوم القيامة مكانكم أتم وشركاؤكم فزبلنا بينهم الآية أنهم أنكروا عبادتهم وتبرؤا منهم كقوله كلا سيكفرون بعبادتهم الآية وقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وقوله ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهو عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء الآية وقوله في هذه الآية اخبارا عن قول الشركاء فيما راجعوا فيه عابدينهم عند (١١٢) ادعائهم بعبادتهم فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم الآية أي ما كنا نشعر بها ولا نعلم

بها وانما كنتم تعبدون من حيث لا ندري بكم والله شهيد بيننا وبينكم انما ادعوناكم الى عبادتنا ولا أمرناكم بها ولا رضينا منكم بذلك وفي هذا تبكيت عظيم للمشركين الذين عبدوا مع الله غيره ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنهم شيأ ولم يأمرهم بذلك ولا رضى به ولا أراد به بل تبرأ منهم وقت أحوج ما يكونون اليه وقد تروا عبادة الخلق القبيوم السميع البصير القادر العليم بكل شئ وقد أرسل رسوله وأنزل كتبه أمر بعبادته وخذله لا شريك له ناهيا عن عبادة ما سواه كما قال تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة وقال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون وقال واسئلكم من أرسلنا من قبلك من رسلنا ان جعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون والمشركون أنواع وأقسام كثيرون قد ذكرهم الله في كتابه وبين أحوالهم وأقوالهم ورد عليهم قيامهم فيه أتم رد قوله تعالى هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت اي في موقف الحساب يوم القيامة تحتبكل نفس وتعلم ما سلفت من قصر عملها من خير وشرك قوله تعالى يوم تبلى السرائر وقال تعالى نبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر وقال تعالى ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وقد قرأ بعضهم هنالك تملوا كل نفس ما سلفت وفسرها بعضهم بالقراءة وفسرها بعضهم بمعنى تتبع ما قدمت من خير وشرك وفسرها بعضهم بتبع كل امة ما كانت تعبد فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت الحديث وقوله وردوا الى

سوء الحساب) وهو الاستقصاء فيه والمناقشة للعبد فن نوقش الحساب عذب ومن حق هذه الخيفة ان يحاسبوا أنفسهم قبل ان يحاسبوا (والذين صبروا) قيل مستأنف وقيل معطوف على ما قبله والتعبير عنه بلفظ المنضى للتبسيه على انه ينبغي تحققة والمراد بالصبر الصبر على الاتيان بما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه وقيل على الرزايا والمصائب وقيل عن الشهوات والمعاصي والاولى حمله على العموم (ابتغوا وجه ربهم) أي ثوابه ورضاه معناه ان يكون خالصا له لا شائبة فيه لغيره كأن يصبر ليقال ما كمل صبره وأشد قوته على تحمل النوازل ولاجل ان لا يعاب على الجزع ولاجل ان لا يشمت به الاعداء (وأقاموا الصلاة) أي فعلواها في أوقاتها على ما شرع الله سبحانه في أذكارها وأركانها مع الخشوع والاخلاص والمراد بها الصلوات المفروضة وقيل أعم من ذلك (وأنفقوا) في الطاعة (مما رزقناهم) أي بعضه (سرا وعلانية) المراد بالسرا صدقة النفل وبالعلانية صدقة الفرض وقيل السر لمن لم يعرف بالمال ولا يتهم بترك الزكاة والعلانية لمن كان يعرف بالمال أو يتهم بترك الزكاة والحمل على العموم أولى (ويدرون بالحسنة السيئة) أي يدفعون سيئة من أساء اليهم بالاحسان اليه كما في قوله تعالى ادفع بالتي هي أحسن أو يدفعون بالعمل الصالح السي فيمحوه أو يدفعون الشر بالخير أو المنكر بالمعروف أو الظلم بالعرف أو الذنب بالتوبة أو الحرمان بالاعطاء أو القمع بالوصل أو الهرب بالانابة ولا مانع من حمل الآية على جميع هذه الامور (اولئك) الموصوفون بالصفات المتقدمة (لهم عقبي الدار) العقبي مصدر كالعاقبة والاضافة على معنى في أي العقبي المحمودة فيها قال الخطيب العقبي الانتهاء الذي يؤدي اليه الابتداء من خير أو شر والمراد بالدار الدنيا وعقبها الجنة وقيل المراد دار الآخرة وعقبها الجنة له طبعين والنار للعصاة (جنات عدن يدخلونها) أي لهم جنات عدن والعدن أصله الاقامة ثم صار علم الجنة من الجنان واسم المكان معدن مثال مجلس لان أهله يقيمون عليه الصيف والشتاء أولان الجوهر الذي خلقه الله فسمه عدن به قال القشيري وجنات عدن وسط الجنة وقصبتها وسقتها عرش الرحمن ولكن في صحيح البخاري وغيره اذا سألت الله فاسأله الفردوس فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة وعن ابن مسعود قال جنات عدن بطنان الجنة أي وسطها وعن الحسن ان عمر قال لكعب ما عدن قال هو قصر

قصر

الله مولا لهم الحق أى ورجعت الأمور كلها إلى الله الحكيم العدل ففصلها وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ورضل عنهم أى ذهب عن المشركين ما كانوا يفترون أى ما كانوا يعبدون من دون الله افتراء عليه (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن بملك السمع والابصار ومن يخرج الخي من الميت ويخرج الميت من الخي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون فذللكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون) يخرج تعالى على المشركين باعترافهم بوحدة نبوته وربوبيته على وحدانية الآلهة فقال تعالى قل من يرزقكم (١١٣) من السماء والأرض أى من ذا الذى

ينزل من السماء المطر فيشق الأرض شقا بقدرته ومشيئته فيخرج منها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحداائق غلبا وفاكهة وأباأله مع الله فسيقولون الله أمن هذا الذى يرزقكم ان أمسك رزقه وقوله أمن بملك السمع والابصار أى الذى وهبكم هذه القوة السامعة والقوة الباصرة ولو شاء لذهب بها ولسلبكم إناها كقوله تعالى قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والابصار الآية وقال قل رأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم الآية وقوله ومن يخرج الخي من الميت ويخرج الميت من الخي أى بقدرته العظيمة ومنته العميمة وقد تقدم ذكر الخلاف فى ذلك وان الآية عامة لذلك كله وقوله ومن يدبر الأمر أى من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه وهو المتصرف الحاكم الذى لا معقب لحكمه ولا يستل عما يفعل وهم يسئلون يسأله من فى السموات والأرض كل يوم هوفى شأن المالك كله العلوى والسفلى

قصر فى الجنة لا يدخله إلا نبى أو صديق أو شهيد أو حكم عدل وأخرج ابن مردويه عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جنة عدن قضيب غرسه الله بيده ثم قال له كن فكان (ومن صلح) أى آمن فى الدنيا قاله مجاهد (من أبائهم) أى أصولهم وهى تشمل الآباء والأمهات ومن لبسان الجنس (وأزواجهم) اللاتى متنى فى عصمتهم (وذرياتهم) أى ويذللها هؤلاء الفرق الثلاثة وان لم تعمل بأعمالهم تكرم لهم قاله ابن عباس ورجحه الواحدى قال الرازى وليس فيه ما يدل على التمييز بين زوجة وزوجة والعمل الأولى من مات عنها وماتت عنه وذكر الصلاح دليل على أنه لا يدخل الجنة إلا من كان كذلك من قربات وأثامك ولا ينفع مجرد كونه من الآباء والأزواج والأذرية بدون صلاح (والملائكة يدخلون عليهم) فى قدر كل يوم وليس له ثلاث مرات للثبته وقيل بل هوفى أول دخولهم قاله السيوطى قال فى الجمل والتقييد بهذا المزمع لغيره من المفسرين بل فى كلام غيره ما يدل على عدمه (من كل باب) أى من جميع أبواب القصور والمنازل التى يسكنونها أى من كل باب من أبواب الجنة أى من كل باب من أبواب التحف والهدايا من الله سبحانه (سلام عليكم) أى قائلين سلام عليكم فأضمر القول هنا للدلالة الكلام عليه أى سلمت من الآفات وأدامت لكم السلامة وقيل دعاء لهم من الملائكة أى سلمكم الله تعالى (بما صبرتم) أى بسبب صبركم فى الدنيا على الآفات وهو متعلق بالسلام أى انما حصلت لكم هذه السلامة بواسطة صبركم أو متعلق بعليتكم أو بمعدوق أى هذه الكرامة بسبب صبركم وبذل ما احتمتم من مشاق الصبر (فتم عقبى الدار) أى نعم ما عقبكم الله من الدنيا الجنة أخرج أحمد والبخارى وابن جرير وابن أبى حاتم وابن حبان وأبو الشيخ وابن مردويه والحاكم وصححه وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى شعب الإيمان عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أول من يدخل الجنة من خلق الله فقراء المهاجرين الذين تسديهم الثغور وتقى بهم المكارة ويموت أحدهم وحاجته فى صدره لا يستطيع لها قضاء فيقول الله لمن يشاء من ملائكته اتموهم خيوهم فتقول الملائكة ربنا نحن سكان سمائك وخيرتك من خلقك أفتأمرنا ان نأتى هؤلاء فنسلم عليهم قال الله ان هؤلاء عبادى كانوا يعبدونى ولا يشركون بى شئ وتسديهم الثغور وتقى بهم المكارة ويموت أحدهم وحاجته فى صدره لا يستطيع لها قضاء فتأتىهم الملائكة

(١٥ فتح البيان خامس)

وما فهمما من ملائكة وانس وجان فقرون اليه عبيده خاضعون لديه فسيقولون الله اى هم يعلمون ذلك ويعترفون به فقل أفلا تتقون أى أفلا تتخافون منه ان تعبدوا معه غيره بأرائكم وجهلكم وقوله فذللكم الله ربكم الحق الآية أى فهذا الذى اعترفتم به فاعل ذلك كما هو ربكم والى الحكم الحق الذى يستحق ان يقر بالعبادة فماذا بعد الحق إلا الضلال أى فى كل معبود سواه باطل لا اله الا هو واحد لا شريك له فأنى تصرفون أى فكيف تصرفون عن عبادته الى عبادة ما سواه وأنتم تعلمون ان الرب الذى خلق كل شئ والمتصرف فى كل شئ وقوله كذلك حقت كلمة ربك على الذى فسقوا

الآية أي كما كفر هؤلاء المشركون واستروا على شركهم وعبادتهم مع الله غيرهم انهم يعترفون بأنه الخالق الرازق المتصرف في الملك وحده الذي بعث رسوله بتوحيده فلهذا حقت عليهم كلمة الله انهم أشقياء من سا كفى النار كقوله قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين (قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فإني توّفكون قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي الا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون وما يتبع أكثرهم الا الظن ان الظن (١١٤) لا يغني من الحق شيأ ان الله علم بما يفعلون) وهذا ابطال لدعواهم

فيما أشركوا بالله غيره وعبدوا من الاصنام والانداد قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده أي من بدأ خلق هذه السموات والارض ثم ينشئ ما فيها من الخلائق ويفرق أجرام السموات والارض ويبدلها ما يقنا ما فيها ثم يعيد الخلق خلقا جديدا قل الله هو الذي يفعل هذا ويستقل به وحده لا شريك له فإني توّفكون أي فكيف تصرفون عن طريق الرشد الى الباطل قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق أي أنتم تعلمون ان شركاءكم لا تقدر على هداية ضال وانما يهدي الجبار أو الضلال ويقلب القلوب من الحق الى الرشد الله الذي لا اله الا هو أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي الا أن يهدي أي أفيتبع أن يهدي لعماء وبكمه كما قال تعالى اخبارا عن ابراهيم انه قال يا بت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيأ وقال لقومه أنعبدون ما تخبتون والله خلقكم وما تعملون الى غير ذلك من الآيات وقوله فما لكم كيف

عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب قائلين لهم سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وفي القرطبي عن عبد الله بن سلام وعلى بن الحسين اذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقيم أهل الصبر فقوم ناس من الناس فيقال لهم انطلقوا الى الجنة فتلقاهم الملائكة فتقول الى أين فيقولون الى الجنة قالوا قبل الحساب قالوا نعم فيقولون من أنتم فيقولون نحن أهل الصبر قالوا وما كان صبركم قالوا صبرنا أنفسنا على طاعة الله وصبرناها عن معاصي الله وصبرناها على البلاء ونحن في الدنيا قال على بن الحسين فتقول لهم الملائكة سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار أي نعم عاقبة الدار التي كنتم فيها وعلمتم فيها ما أعقبكم هذا الذي أنتم فيه فالعقبى على هذا اسم والدار هي الدنيا وقال أبو عمر ان الجوفى أي الجنة عن النار بضم الجيم وعنه الجنة عن الدنيا وبالجملة فقد جاء سبحانه بهذه الجملة المتضمنة لمذم ما أعطاهم من عقبى الدار المتقدم ذكرها للترغيب والتشويق ثم أتبع أحوال السعداء بأحوال الأشقياء فقال (والذين يتقون عهد الله من بعد ميثاقه) من بعد ما وثقوه به من الاعتراف والقبول بقولهم بلى (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) من الايمان والرحم وغير ذلك وقد مر تفسير عدم النقص وعدم القطع فعرف منهما ما تفسير النقص والقطع ولم يتعرض لنق الخشمية والخوف عنهم وما بعدهما من الاوصاف المتقدمة لدخولها في النقص والقطع (ويفسدون في الارض) بالكفر وارتكاب المعاصي والاضرار بالنفس والاموال (أولئك) الموصوفون بهذه الصفات الذميمة (لهم) بسبب ذلك (اللعنة) أي الطرد والابعاد من رحمة الله سبحانه (ولهم سوء الدار) أي سوء عاقبة دار الدنيا وهي النار وأعذاب جهنم فأنها دارهم (الله يبسط الرزق) أي يوسعه (لمن يشاء) أي لمن كان كافرا استمدراجا (ويقدر) أي ويقدر على من كان مؤمنا ابتلاء وامتحانا وتكفير الذنوب ولا يدل البسط على الكرامة ولا القبض على الاهانة ومعنى يقدر يضيق ومنه ومن قدر عليه رزقه أي ضيق وقيل معنى يقدر يعطى بقدر الكفاية وقرأ السبعة يقدر بكسر الدال وهو أفصح واستعمل بالضم أيضا على ما في المصباح ومعنى الآية انه الفاعل لذلك وحده القادر عليه دون غيره (وفرحوا) أي مشركو مكة (بالحياة الدنيا) فرح بطر لا فرح سرور والفرح لذة تحصل في القلب عند حصول المشتهى وجهلوا ما عند الله والجملة مستأنفة لبيان قبح أفعالهم مع ما وسعه

تحكمون أي ما بالكم أن يذهب بعقولكم كيف سو بين الله وبين خلقه وعدلتم هذا وهذا وهذا عليهم أفردتم الرب جل جلاله المالك الحاكم الهادي من الضلالة بالعبادة وحده وأخلصتم اليه الدعوة والابانة ثم بين تعالى انهم لا يتبعون دليلا ولا برهانا وانما هم وطن منهم أي توهم وتخيل وذلك لا يغني عنهم شيأ ان الله علم بما يفعلون تهديد لهم ووعد شديد لانه تعالى أخبر انه سيجازيهم على ذلك أتم الجزاء (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا لمن استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين بل كذبوا

بما لم يحيطوا بعلمه وما يأتيهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين) هذا بيان لا يحجاز القرآن وأنه لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله ولا بعشر سور ولا بسورة من مثله لانه بفصاحته وبلاغته ووجازته وحلاوته واشتماله على المعاني الغزيرة النافعة في الدنيا والآخرة لا تكون الا من عند الله الذي لا يشبهه شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وأقواله وكلامه لا يشبهه كلام الخلق وللهذا قال تعالى وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله أي مثل هذا القرآن لا يكون الا من عند الله ولا يشبهه (١١٥) هذا كلام البشر ولكن تصديق الذي بين

يديه اي من الكتب المتقدمة ومهما علمه ومينما ما وقع فيها من التحريف والتأويل والتعديل وقوله وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أي وبيننا الاحكام والحلال والحرام بياناً شافياً كافياً حقلاً لا مريبة فيه من الله رب العالمين كما تقدم في حديث الحرث الاعور عن علي بن أبي طالب فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وفصل ما بينكم أي خبر عما سلف وعما يأتي وحكم فيما بين الناس بالشرع الذي يحبه الله ويرضاه وقوله أم يقولون افترأه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين أي ان ادعيتهم واقتريتهم وشككتهم في ان هذا من عند الله وقلتم كذبوا مينا ان هذا من عند محمد فمحمد بعشر مثلكم وقد جاء فيما زعمتم بهذا القرآن فأتوا آتم بسورة مثله أي من جنس القرآن واستعينوا على ذلك بكل من قدرتم عليه من انس وجان وهذا هو المقام الثالث في التحدي فانه تعالى تحداهم ودعاهم ان كانوا صادقين في دعواهم انه من

عليهم وفيه دليل على ان الفرح بالدنيا والفرح بالديار كونه اليها حرام قبل وفي هذه الآية تقديم وتأخير والتقدير ويفسدون في الارض وفرحوا بالحياة الدنيا والاول اولى لانه ماض وما قبله مستقبل وقيل العطف على ينقضون ولا يصح لانه يستلزم تحلل الفاصل بين أبعاض الصلة (وما الحياة الدنيا في الآخرة) أي بالنسبة اليها وفي جنبها في هنالكم مقايسة وهي الداخلة بين منقول سابق وفاضل لاحق وليست نظراً للحياة ولا للدنيا لانهم ما يكونون في الآخرة (الامتاع) أي ما هي الا شئ يستمتع به وقيل المتاع واحد الامتعة كالتصعة والسكرجة ونحوها وما وقيل المعنى شئ قليل ذاهب من متع النهار اذا ارتفع فلا يد من زوال وقيل زاد كزاد الركب يتزودونه منها الى الآخرة وقال عبد الرحمن بن سابط كزاد الراعي بزوده أهله الكنى من التمر أو الشئ من الدقيق أو الشئ يشرب عليه اللبن وعن ابن عباس قال كان الرجل يخرج في الزمان الاول في ابلة أو غنم فيقول لأهله متعوني فمتعونه فلقية الحبز أو التمر فهذا مثل ضربه الله للدنيا وأخرج الترمذي وصححه عن ابن مسعود قال نام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على حصير فقام وقد أثر في جنبه فقلنا يا رسول الله لو اتخذنا لك فقال مالي وللدنيا ما أتاني الدنيا الا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها وأخرج مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه عن المستورد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما الدنيا في الآخرة الا كمثل ما يجعل أحدكم اصبعه هذه في اليم فلينظر يرجع وأشار بالسبابة (ويقول الذين كفروا) أي المشركون من أهل مكة (لولا) هـ لا (أنزل عليه) أي على محمد (آية) أي معجزة مثل معجزة موسى وعيسى عليهما السلام (من ربه) كالعصا واليد والناقة وقد تقدم تفسير هذا قريبا وتكرر في مواضع (قل ان الله يضل من يشاء) أمره الله سبحانه ان يجيب عليهم بهذا وهو ان الضلال بمشيئة الله سبحانه من شاء أن يضل فاضل هؤلاء القائلون لولا أنزل عليه آية من ربه ولا ينفعه نزول الآيات وكثرة المعجزات ان لم يهد الله عز وجل وان أنزلت كل آية فان ذلك في أقصى مراتب المكابرة والعناد وشدة الشكيمة والغلو في الفساد فلا سبيل له الى الاهتداء (ويهدى اليه) أي الى الحق وإلى الاسلام وإلى جنبه عز وجل (من أناب) أي رجع الى الله بالتوبة والاقلاع عما كان عليه وأصل الانابة الدخول في نوبة الخير كذا قال النيسابوري (الذين آمنوا) منصوب على البدل من أناب

عند محمداً فلتعارضوه بتظاير ما جاء به وحده واستعينوا بمن شئتم واخبرناهم لا يقدر على ذلك ولا سبيل لهم اليه فقال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ثم تقاصر معهم الى عشر سور منه فقال في أول سورة هوداً أم يقولون افترأه قل فأتوا بعشر سور مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين ثم تنازل الى سورة فقال في هذه السورة أم يقولون افترأه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين وكذا في سورة البقرة وهي مدنية تحداهم بسورة منه واخبرناهم لا يستطيعون ذلك ابد افقال فان لم تفعلوا وان تفعلوا فأتوا النار الآتية

هذا وقد كانت الفصاحة من سبحاياتهم وأشعارهم ومعلقاتهم اليها المنتهى في هذا الباب ولو كان جاءهم من الله ما قبلوا حديثه ولهذا آمن من آمن منهم بما عرف من بلاغته فكانوا أعلم الناس به وأفهمهم له وأتبعهم له وأرشدتهم له انقيادا كما عرف السحرة لعلمهم بقنون السحرة ان هذا الذي فعله موسى عليه السلام لا يصدر من مؤيد مسدد الا عن امر من الله وان هذا لا يستطاع لبشر الا باذن الله وكذلك عيسى عليه السلام بعث في زمان علماء الطب ومعالجة المرضى فكان يبرئ الائمة والابصر ويحيي الموتى باذن الله ومثل هذا المدخل (١١٦) للعلاج والدواء فيه فعرف من عرف منهم انه عبد الله ورسوله ولهذا جاء في

الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من نبي من الانبياء الا وقد اوتى من الآيات ما امن على مثله البشر وانما كان الذي اوتيته وحياء ووحاه الله الى فارجو ان اكون أكثرهم تابعا وقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تأويله يقول بل كذب هؤلاء بالقرآن ولم يفهموه ولا عرفوه ولما ياتهم تأويله أي ولم يحصلوا ما فيه من الهدى ودين الحق الى حين تكذيبهم به جهلا وسفها كذلك كذب الذين من قبلهم أي من الامم السالفة فانظر كيف كان عاقبة انظارهم الى فانظر كيف أهلكناهم بتكذيبهم رسلنا طالما وعولوا وكفروا وعنادوا وجهلا فاحذروا أيها المكذبون ان يصيبكم ما أصابهم وقوله ومنهم من يؤمن به الآية أي ومن هؤلاء الذين بعث اليهم يا محمد من يؤمن بهذا القرآن ويتبعك وينتفع بما أرسلت به ومنهم من لا يؤمن به بل يموت على ذلك ويبعث عليه وربك أعلم بالفسادين أي وهو أعلم عن يتحقق الهداية فيهم يدونه من يستحق

والمعنى انهم هم الذين هداهم الله وانابوا اليه أو خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين آمنوا (وتطمئن قلوبهم - مبدئ كراثة) أي تسكن عن القلق والاضطراب وتستأنس بذكره سبحانه بأسنتهم كتلاوة القرآن والتسبيح والحمد والتكبير والتوحيد أو بسماع ذلك من غيرهم عبر بالمضارع لان الظمانينة تتجدد بعد الايمان حينما بعد حين قاله الشهاب وقال الكرخي المضارع قد لا يلاحظ فيه زمان معين من حال أو استقبال فيدل اذ ذلك على الاستمرار ومنه الآية انتهت في قول الجمل وهذا ينفع في مواضع كثيرة وقد سمي الله سبحانه القرآن ذكرا قال وهو - ذاذ كرمبارك انزلناه وقال انما نحن نزلنا الذكرا قال الزجاج أي اذ انزل الله وحده آمنوا به غير شاكين بخلاف من وصف بقوله واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وقيل الذكرا هنا الطاعة وقيل بوعده الله وقيل بالخلف بالله فاذا حلف خصمه بالله سكن قلبه قال السدي وقيل بذكر رحمة وقيل بذكر دلائله الدالة على توحده وقال قتادة هشت اليه واستأنست به وقال مجاهد محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ولا مانع من حمل الآية على جميعها (الأبذ كراثة) وحده دون غيره من الامور التي تميل اليها النفوس من الدنياويات (تطمئن القلوب) والنظر في مخلوقات الله سبحانه ويدافع صنعها وان كان يفيد ظمانينة في الجملة لكن ليست كهذه الظمانينة وكذلك النظر في المعجزات من الامور التي لا يطيقها البشر فليس افادتها للظمانينة كفاذة ذكر الله فهذا وجه ما يفيد هذا التركيب من القصر واما قوله تعالى في الانتقال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والوجل ضد الاطمئنان فالعنى انهم اذا ذكروا العقوبات وجلوا واذا ذكروا المثوبات سكنوا أخرج أبو الشيخ عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا صحابه حين نزلت هذه الآية هل تدررون ما معنى ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال من أحب الله ورسوله وأحب أحب الله ورسوله وأحب أحب الله عليه وآله وسلم لما نزلت هذه الآية قال ذلك من أحب الله ورسوله وأحب أهل بيته صادق غير كاذب وأحب المؤمنين شاهدا وعاوبا الأبذ كراثة يتحابون (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) مبتدأ خبره جملة (طوبى لهم) وجزا ابتداء بطوبى اما لانها علم شئ بعينه واما لانها انكرت في معنى الدعاء كسلام عليك وويل له قال أبو عبيدة والزجاج وأهل اللغة طوبى فعلى من الطيب فهو ياتى وأصله طيبى قال ابن الأنبارى

الضلالة فيضله وهو العادل الذي لا يجوز بل يعطى كلاما يستحقه تبارك وتعالى وتندس وتنزه لاله الا هو وتاويلها (وان كذبوا فقللى عملى ولكم عذابكم انتم بريئون مما عملوا وانبارى مما تعمالون ومنهم من يستعملون اليك أفانت تسمع الصم ولو كانوا اليعاقبون ومنهم من ينظر اليك أفانت تهدي العمى ولو كانوا اليبصرون ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون) يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وان كذب هؤلاء المشركون فغير آمنهم ومن عملهم فقللى عملى ولكم عذابكم كقوله تعالى قل يا أيها الكافرون لا عبدنا تعبدون الى آخرها وقال ابراهيم الخليل وأتباعه لقومهم المشركين انبارى انتم وما تعبدون

من دون الله الآية وقوله ومنهم من يستمعون اليك أي يستمعون كلامك الحسن والقرآن العظيم والاحاديث الصحيحة الفصيحة النافعة في القلوب والاديان والابدان وفي هذا كفاية عظيمة ولكن ليس ذلك اليك ولا اليهم فانك لا تقدر على اسماع الاصم وهو الاطرش فكذلك لا تقدر على هداية هؤلاء الا ان يشاء الله ومنهم من ينظر اليك أي ينظرون اليك والى ما أعطاك الله من التوادة والسمت الحسن والخلق العظيم والدلالة الظاهرة على نبوتك لا ولي البصائر والنهي وهؤلاء ينظرون كما ينظر غيرهم ولا يحصل لهم من الهداية شيء كما يحصل لغيرهم بل المؤمنون ينظرون اليك بعين الوفا وهؤلاء (١١٧) الكفار ينظرون اليك بعين الاحتمار واذا رأوك ان يتخذونك الالهة والاية

وتأويلها الحال المستطابة وقيل طوبى شجرة في الجنة وقيل هي الجنة وقيل هي البستان بلغة الهند وقيل هي اسم الجنة بالحبشية وقيل معناه حسنى لهم وقيل خير لهم وقيل كرامة لهم وقيل غبطة لهم قال النحاس وهذه الاقوال متقاربة واللام في لهم للبيان مثل سقياك ورعيالك قال الازهرى تقول طوبى لك وطوبى لحن لا تقوله العرب وهو قول أكثر النحويين وقيل هو مصدر من طاب كبشرى ورجعى وزلنى فالصدر قد يجي على وزن فعلى ومعناه أصبت خيرا وطيبا وقيل هي شجرة في جنة عدن تظل الجنان كما هو قال ابن عباس طوبى له - مفرح لهم وقره أعين وقال عكرمة نعى لهم وقدرى عن جماعة من الساف نحو ما قدمنا ذكره من الاقوال والاربع نفس الاية بما روى مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما أخرجه أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه والبيهقي عن عتبة بن عبد قال جاء أعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله في الجنة فاكهة قال نعم فيها شجرة تدعى طوبى الحديث وأخرج أحمد وأبو يعلى وابن جرير وابن أبي حاتم وابن حبان والخطيب في تاريخه عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان رجلا قال يا رسول الله طوبى لمن رأى لك وآمن بك قال طوبى لمن آمن بي وراى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني فقال رجل وما طوبى قال شجرة في الجنة مسيرة مائة عام ثياب أهل الجنة تخرج من أكمها وفي الباب أحاديث وآثار عن السلف وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة اقرؤا ان شتم وظل مدود وفي بعض الالفاظ انها شجرة الخلد وفي بعضها شجرة غرسها الله بيده (وحسن ما ب) من آب اذار جمع أي ولهم حسن مرجع وهو الدار الآخرة وهي الجنة قال السدي حسن منقلب وعن الضحاك مثله (كذلك) أي مثل ذلك الارسال العظيم الشأن المشتمل على المعجزة الباهرة (أرسلناك) يا محمد ارسالنا له شأن وقيل شبه الانعام على من أرسل اليه محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالانعام على من أرسل اليه الانبياء قبله وقيل كما هدى الله من آتاك كذلك أرسلناك وقال ابن عطية الذي يظهر لي ان المعنى كما أجرنا العادة بان الله يضل ويهدي لا بالآيات المقترحة فكذلك أيضا فعلنا في هذه الامة أرسلناك اليها يوحى لا بالآيات المقترحة وقال أبو البقاء كذلك الامر كذلك وقال الحوفي

ثم أخبر تعالى انه لا يظلم أحدا شيئا وان كان قد هدى به من هدى وبصر به من العمى وفتح به أعينا عميا واذانها وقلوبها غلغا وأضل به عن الايمان آخر من فهو الحاكم المتصرف في حكمه بما يشاء الذي لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون لعلمه وحكمته وعدله ولهذا قال تعالى ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون وفي الحديث عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا الى ان قال في آخره يا عبادي انما هي أعمالكم أحصياها لكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد غير خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه رواه مسلم بطوله (ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بقاء الله وما كانوا مهتدين) يقول تعالى مذكرا للناس قيام الساعة وحشرهم من أجدانهم الى عرصات القيامة ويوم يحشرهم الآية كقوله كأنهم

يرون مايو عدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار وكقوله كأنهم يوم يرونهم وهم لم يلبثوا الا عشيبة أو ضحاها وقال تعالى يوم ننفخ في الصور ونحشر الجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشر ايامن أعلم بما يقولون اذ يقول أمثالهم طرية ان لبثتم الا يوما وقال تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة الايتين وهذا كله دليل على استقصار الحياة الدنيا في الدار الآخرة كقوله كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا البتة ايواما وبعض يوم فاسئل العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون الايتين وقوله يتعارفون بينهم أي يعرف الابناء الآباء والقربان بعضهم لبعض كما كانوا في الدنيا ولكن كل مشغول بنفسه فاذا انفخ

في الصور فلا انساب بينهم الآية وقال تعالى ولا يسأل جيم جيم الايات وقوله قد خسر الذين كذبوا بقاء الله وما كانوا مهتدين
كقوله تعالى ويل للذين كذبوا بالذي كان لهم حسرة وانفسهم واهليهم يوم القيامة الا ذلك هو الخسران المبين ولا خسارة اعظم من خسارة من
فرق بينه وبين احبته يوم الحسرة والندامة (واما زينك بعض الذي نعدهم وتوفينك فاليانهار جمعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون
ولكل امة رسول فاذا جاء رسوله من قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون) يقول تعالى مخاطبا لرسوله صلى الله عليه وسلم واما زينك
بعض الذي نعدهم اي ننتقم منهم في حياتك (١١٨) لتقر عينك منهم وتوفينك فاليانهار جمعهم اي مصيرهم ومن قبلهم والله شهيد

على افعالهم بعدك وقد قال الطبراني
حدثنا عبد الله بن احمد حدثنا عقبه
ابن مكرم حدثنا ابو بكر الحنفي حدثنا
داود بن الجارود عن ابى السليل
عن حذيفة بن اسيد عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال عرضت
على امي الباردة لدى هذه الحجرة
اولها واخرها فقال رجل يا رسول
الله عرض عليك من خاق فكيف
من لم يخلق فقال صور الى في
الطين حتى اني لاعرف بالانسان
منهم من احكم بصاحبه ورواه
محمد بن عثمان بن ابى شيبة عن
عقبه بن مكرم عن يونس بن بكير
عن زياد بن المنذر عن ابى الطفيل
عن حذيفة بن اسيد بنحوه وقوله
ولكل امة رسول فاذا جاء رسوله من
قضى بينهم بالقيامة قضي
بينهم بالقسط الآية كقوله تعالى
واشرقت الارض بنورها الآية
فكل امة تعرض على الله بحضرة
رسوله او كتاب اعماله من خير وشر
موضوع شاهد عليهم وحفظتهم
من الملائكة شهودا ايضا بعد
امة وهذه الامة الشريفة وان
كانت آخر الامم في الخلق الا انها
اول الامم يوم القيامة يفصل بينهم

اي كنعنا الهداية والاضلال والاشارة بذلك الى ما وصف به نفسه من ان الله يضل من
يشاء ويهدي من يشاء وكل ذلك فيه تكلف وبعثه والاول اظهره واولى (في امة) اي
قرن (قد خلت) مضت (من قبلها) اي قبل الامة (آمم) قرون او في جماعة من
الناس كثيرة قد مضت من قبلها جماعات (لتتلوا) لتقرأ (عليهم الذي اوحينا اليك)
اي القرآن (و) الحال ان (هم يكفرون) او استثناف وهم عائد على امة من حيث
المعنى ولو عاد على لفظها القيل وهي تكفر وقيل على امة وعلى امم وقيل على الذين قالوا لولا
انزل (بالرحن) اي بالكثير الرحمة لعباده ومن رحمته لهم ارسال الرسل اليهم وانزال
الكتب عليهم كما قال سبحانه وما ارسلناك الا رحمة للعالمين عن قتادة قال ذكرونا ان
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زمن الحديبية حين صالح قريشا كتب في الكتاب
بسم الله الرحمن الرحيم فقالت قريش اما الرحمن فلا نعرفه وكان اهل الجاهلية يكتبون
باسمك اللهم فقال اصحابه دعنا نقالتهم فقال لا ولكن اكتبوا كما يريدون وعن ابن جريج
في هذه الآية نحوه وقيل حيث قالوا المأمر وانا السجود له وما الرحمن كما ذكر في سورة
الفرقان بقوله واذا قيل لهم اسجدوا للرحن قالوا وما للرحن فهذه الآية متقدمة على
ما هنا في النزول وان تأخرت عنها في المحقق والتلاوة وقيل غير ذلك (قل هو ربي)
مستأنفة بتقدير سؤال كانوا قالوا وما للرحن فقال سبحانه قل يا محمد هو ربي اي الرحمن
الذي انكرتم معرفته ربي وخالقي (لا اله الا هو) اي لا يستحق العبادة له والايمان به
سواه (عليه توكلت) في جميع اموري (واليه) لاني غيره (متاب) اي توبتي
قاله مجاهد رفيه تعريض بالكفار وحث لهم على الرجوع الى الله والتوبة من الكفر
والدخول في الاسلام (ولو ان قرآنا سيرت به) اي بانزاله وقرآنه (الجبال) عن محل
استقرارها وانتقلت عن اما كنهها واذ هبت عن وجه الارض قيل هذا متصل بقوله لولا
انزل عليه آية من ربه وان جماعة من الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ان يسير لهم جبال مكة حتى تنفسح فانها ارض ضيقة فامرهم الله سبحانه بان يجيب عليهم
بهذا الجواب المتضمن لتعظيم شأن القرآن وفساد رأى الكفار حيث لم يقنعوا به وأصروا
على تعنتهم وطههم ما لوقعه الله سبحانه لم يبق ما تنقضه الحكمة الا الهية من عدم انزال
الايات التي يؤمن عندها جميع العباد (أو قطعته بالارض) اي صدعت وشقت

ويقضى بينهم كما جاء في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نحن الاخرون السابقون يوم القيامة حتى
المقضى لهم قبل الخلاق فائمة انما حازت قب السبق بشر ف رسولها صلوات الله وسلامه عليه الى يوم الدين (ويقولون متى
هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لا املك لنفسي ضرا ولا لنفعا الا ما شاء الله لكل امة اجل اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة
ولا يستقدمون قل ارايتم ان اناكم عذابه بيانا ونهارا ماذا يستعجل منه المجرمون انم اذا ما وقع امنتم به الا ن وقد كنتم به
تستعجلون ثم قيل للذين ظلموا ووقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون) يقول تعالى مخبرا عن كفر هؤلاء المشركين

في استعجالهم العذاب وسؤالهم عن وقته قبل التعمين مما لا فائدة لهم فيه كقوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق اى كائنة لا محالة وواقعة وان لم تعلموا وقتها علينا ولهذا ارشد تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم الى جوابهم فقال قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الاية اى لا أقول الاماعلى ولا أقدر على شئ مما استأثر به الا ان يطلعنى عليه فانا عبده ورسوله اليكم وقد أخبرتكم بحجى الساعة وانها كائنة ولم يطلعنى على وقتها ولكن لكل أمة أجل اى لكل قرن مدة من العمر مقدره فاذا انقضت أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون (١١٩) كقوله وان يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها الاية

ثم أخبر ان عذاب الله سيأتهم بغنة فقال قل أرايتم ان آتاكم عذابه بيانا أو نهارا اى ليلا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون ثم اذا ما وقع آمنتم به الا ان وقد كنتم به تستعجلون يعنى انهم اذا جاءهم العذاب قالوا ربنا أنصربنا وسمعنا الاية وقال تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا الابالله وحده وكفنا بما كنا شركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون ثم قيل للذين ظلموا ذر قوا عذاب الخلد اى يوم القيامة يقال لهم هذات بيكتا وتقر بها كقوله يوم يدعون الى نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم بها تكذبون أفصحر هذام أم أنتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا أو لاتصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون (ويستنبونك أحق هو قل اى وربى انه لخلق وما أنتم بمعجزين ولو أن لكل نفس ظلمت ما فى الارض لافتمت به وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون) يقول تعالى ويستخبرونك أحق هو اى العباد

حتى صارت قطعاً متفرقة من خشية الله عند قراءته وجعلت أنهاراً أو عيوناً (أو كالم به الموتى) اى صاروا أحياء بقراءته عليهم فكانوا يفهمونه عند تكليمهم به كما يفهمه الاحياء وقد اختلف في جواب لو ف قيل لكان هذا القرآن وقيل لكفروا بالرحن اى لو فعل بهم هذا وقيل لما آمنوا كما سبق في قوله وما كانوا يؤمنوا الا ان يشاء الله وقيل التقدير وهم يكفرون بالرحن لو ان قرأنا الخ وكثيرا ما تحذف العرب جواب لو اذا دل عليه سياق الكلام وتذكير كما خاصة دون التعلين قبله لان الموتى تشتمل على المذكور الحقيقي والتغليب له فكان حذف التاء أحسن والخيال والارض ليستا كذلك قاله الكرخي قال ابن عباس قالوا للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ان كان كما تقول فأرنا شيئا من الاول من الموتى نكلمهم وافصح لنا هذه الجبال فنزلت هذه الاية وعن عطية العوفى قال قالوا لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم لو سيرت لنا جبال مكة حتى تتسع فحرت فيها وقطعت لنا الارض كما كان سليمان عليه السلام يقطع لقومه بالريح او احببت لنا الموتى كما كان يحيى عيسى الموتى لقومه فانزل الله هذه الاية (بل لله الامر جميعا) اى لو ان قرأنا فعل به ذلك لكان هذا القرآن ولكن لم يفعل بل فعل ما عليه الشأن الا ان فلو شاء ان يؤمنوا لا آمنوا اذ لم يشأ ان يؤمنوا لم ينفع تسمية الجبال وسائر ما اقترحوه من الآيات فالاضراب متوجه الى ما يؤدى اليه كونه الله سبحانه ويستلزمه من توقف الامر على ما تقتضيه حكمته ومشيئته ويدل على ان هذا هو المعنى المراد من ذلك قوله (أفلم يأس الذين آمنوا) قال الكلبي يعنى ألم يعلم وهى اغة النخع قال فى الصحاح وقيل هى لغة هو ازن وبهذا قال جماعة من السلف قال ابو عبيدة أفلم يعلموا ويتبينوا قال الزجاج وهو محجاز لان اليأس من الشئ علم بانه لا يكون نظيره استعمال الرجاء فى معنى الخوف والنسيان فى الترتلنضمهما اياهما وقرأ جماعة من الصحابة والتابعين أفلم يتبين بطريق التفسير فى الآية على هذا أفلم يعلموا (ان) اى انه (لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) من غير ان يشاهدوا الآيات ولكن لم يفعل ذلك لعدم تعلق المشيئة باهتدائهم وكلمة لو تفيد اتقاء الشئ لاتقاء غيره والمعنى انه تعالى لم يهد جميع الناس لعدم مشيئته لذلك وقيل ان الاياس على معناه الحقيقي اى أفلم يأس الذين آمنوا من ايمان هؤلاء الكفار لعلمهم ان الله تعالى لو أراد هدايتهم لهداهم لان المؤمنين آمنوا نزول الآيات التى

والقيامة من الاجداث بعد صبر ورة الاجسام ترابا قل اى وربى انه لخلق وما أنتم بمعجزين اى ليس صبر ورتكم ترابا معجزا عن اعادتكم كما بدأكم من العدم فانما قوله اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون وهذه الاية ليس لها نظير فى القرآن الا آيتان اخريان بأمر الله تعالى رسوله أن يقسم به على من أنكر المعاد فى سورة سبأ وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم وفى التغابن زعم الذين كفروا ان لن يعموا قل بلى وربى لتبعن ثم لتبئن بما علمتم وذلك على الله يسير ثم أخبر تعالى أنه اذا قامت القيامة يود الكافر لو افتدى من عذاب الله بملء الارض ذهباً وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضى بينهم بالقسط اى بالخلق وهم لا يظلمون (الا ان الله

ما في السموات والارض إلا ان وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون هو يحيى ويميت واليه ترجعون) يخبر تعالى أنه مالك السموات والارض وان وعده حق كائن لا محالة وأنه يحيى ويميت واليه مرجعهم وان القادر على ذلك العليم بما تفرق من الاجسام وتمزق في سائر أقطار الارض والبحار والقفار (يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لمن في الصدور ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) يقول تعالى تمتنا على خلقه بما أنزله من القرآن العظيم على رسوله الكريم يا أيها الناس (١٤٠) قد جاءكم موعظة من ربكم أي زاجر عن الفواحش وشفاء لمن في الصدور

اي من الشبهة والشكوك وهو إزالة ما فيها من رجس وندس وهدى ورحمة أي يحصل به الهداية والرحمة من الله تعالى وانما ذلك للمؤمنين به والمصدقين الموقعين بما فيه كقوله تعالى ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا وقوله قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء الآية وقوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون أي بهذا الذي جاءهم من الله من الهدى ودين الحق فليفرحوا فإنه أولى ما يفرحون به هو خير مما يجمعون أي من حظام الدنيا وما فيها من الزهرة الثمينة الذاهية لا محالة كما قال ابن أبي حاتم في تفسير هذه الآية وذكر بسنده عن ببيعة بن الوليد عن صفوان بن عمرو سمعت أبا يعقوب بن عبد الكلاعي يقول لما قدم خراج العراق الى عمر رضي الله عنه خرج عمر ومولى له فجعل عمر يعد الابل فإذا هي أكثر من ذلك فجعل عمر يقول الحمد لله تعالى قل بفضل الله ورحمته ويقول مولاه هذا والله من فضل الله ورحمته

اقترحها الكفار طمعا في ايمانهم قال ابن عباس لا يصنع من ذلك الامايش ولم يكن ليفعل وقال يباس يعلم وعن ابن زيد نحوه وعن ابى العالية قديس الذين آمنوا ان يهدوا ولوشاء الهدى الناس جميعا وفيه دلالة على ان الله لم يشأ هداية جميع الخلائق (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة) هذا وعيد للكفار على العموم ولكفار مكة على الخصوص اي لا يزال تصيبهم بسبب ما صنعوا من الكفر والتكذيب للرسول والاعمال الخبيثة ذاهية تفجؤهم وتملكهم وتشتأصلهم يقال قرعه الامر اذا اصابه والجمع قوارع والاصل في القرع الضرب والقارعة الشديدة من شدائد الدهر وهي الداهية والمعنى ان الكفار لا يزالون كذلك حتى تصيبهم نازلة وداهية مهلكة من قتل أو أسراً أو جذب أو حرب أو نحو ذلك من العذاب وقد قيل ان القارعة النكبة وقيل الطلائع والسرايا قاله ابن عباس ولا يخفى ان القارعة تطلق على ما هو اعم من ذلك (او تحل) القارعة (قريما من دارهم) فيفزعون منها ويأشاهدون من آثارها ما ترجف له قلوبهم وترعد منه بوادهم وقيل ان الضمير في تحل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى أو تحل أنت يا محمد مكانا قريما من دارهم محاسنهم أخذوا يخافونهم كما وقع منه صلى الله عليه وآله وسلم لاهل الطائف والاول أبى وأظهر (حتى يأتي وعد الله) وهو موتهم او قيام الساعة عليهم فإنه اذا جاء وعد الله المحتوم وحل بهم من عذابه ما هو الغاية في الشدة وقيل المراد بوعده الله هنا الاذن منه بقتال الكفار والنصر والفتح وظهور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودينه وقال ابن عباس فتح مكة وكان في الثامنة ورجح في العاشرة ولم ينجح غيرها والاول أولى (ان الله لا يخلف الميعاد) فاجرى به وعده فهو كائن لا محالة (ولقد استهزئ برسول) التنكير للتكثير اي برسول كثيرة (من قبلك) كما استهزئ بك وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم (فاملت للذين كفروا) الاملاء الامهال مدة طويلة من الزمان في دعة وأمن وقد مر تحقيقه في آل عمران (ثم أخذتهم) في الدنيا بالعذاب الذي أنزلته بهم من القحط والقتل والاسروفي الآخرة بالنار (فكيف كان عقاب) الاستفهام للتقريع والتهديد اي فكيف كان عقابى لهؤلاء الكفار الذين استهزؤا بالرسول فاملت لهم ثم أخذتهم هل كان ظلمنا لهم او كان عدلاى هو واقع موقعه فكذلك أفعل بمن استهزأ بك ثم استفهم سبحانه استفهما ما آخر للتوبيخ والتقريع يجرى

فقال عمر كذبت ليس هذا هو الذي يقول الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته الآية وهذا مما يجمعون وقد أسنده مجرى الحافظ أبو القاسم الطبراني فرواه عن أي زرة الدمشقي عن حيوة بن شريح عن ببيعة فذكره (قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله أذن لكم أم على الله تفترون وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة ان الله لن يوفق على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون) قال ابن عباس ومجاهد والضحك وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم نزلت انكارا عن المشركين فيما كانوا يفعلون ويحرمون من البحائر والسوائب والوصايل كقوله تعالى وجعلوا الله مآذرا من الحرث والانعام

نصيها الآيات وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي اسحق سمعت أبا الاحوص وهو عوف بن مالك بن نضلة
يحدث عن أبيه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرث الهبة فقال هل لك مال قلت نعم قال من أي المال قال قلت
من كل المال من الابل والرقيق والخيل والغنم فقال اذا آتاك الله مالا فليرك عليك وقال هل تنبج ابلك صحاحا اذا نمت فتمعد الى موسى
فتمقطع اذا نمت فقول هذه بجر وثشق جلودها وتقول هذه صرم وتحرمها عليك وعلى أهلك قال نعم قال فانما آتاك الله لك حل
ساعد الله أشد من ساعدك وموسى الله أحسن من وسالوذكرك تمام الحديث (١٢١) ثم روه عن سفيان بن عيينة عن أبي الزعراء

عمر بن عمرو عن عمه أبي الاحوص
وعن بهز بن أسد عن حماد بن سلمة
عن عبد الملك بن عمير عن أبي
الاحوص به وهذا حديث جيد
قوى الاسناد وقد أنكر الله تعالى
على من حرم ما أحل أو أحل
ما حرم بمجرد الآراء والاهواء
التي لا مستند لها ولا دليل عليها ثم
توعدهم على ذلك يوم القيامة فقال
وما ظن الذين يفترون على الله
الكذب يوم القيامة أي ما ظنهم
أن يصنع بهم يوم مرجعهم اليها
يوم القيامة وقوله ان الله لذو فضل
على الناس قال ابن جرير في تركه
معاجلتهم بالعقوبة في الدنيا قلت
ويحتمل ان يكون المراد ذو فضل
على الناس فيما أباح لهم مما خلقه
من المنافع في الدنيا ولم يحرم عليهم
الاما هو ضار لهم في دنياهم أو دينهم
ولكن أكثرهم لا يشكرون بل
يحرمون ما أنعم الله به عليهم
ويضيعون على أنفسهم فيجعلون
بعضا حلالا وبعضا حراما وهذا
قد وقع فيه المشركون فيما شرعوه
لأنفسهم وأهل الكتاب فيما
ابتدعوه في دينهم وقال ابن أبي

مجرى الخجاج للكفار واستر كل صنعمهم والازراء عليهم فقال (أفمن هو قائم على كل
نفس بما كسبت) القائم الحفيظ والمتولى للامور وأراد سبحانه نفسه فانه المتولى
لامور خلقه المدير لحوالهم بالآجال والارزاق واحصاء الاعمال على كل نفس من
الانفس كائنا ما كانت والجواب محذوف أي أفمن هو بهذه الصفة كمن ليس بهذه الصفة
من معبوداتكم التي لا تنفع ولا تضر قال القراء كانه في المعنى أفمن هو قائم على كل نفس
بما كسبت كشر كائهم الذين اتخذوهم من دون الله والمراد من الآية انكار المماثلة
بينها وقيل المراد بالقائم الملائكة الموكولون ببني آدم والاولى وبه قال ابن عباس وقال
عطاء الله قائم بالقسط والعدل على كل نفس (و) قد جعلوا لله شركاء استنما وهو الظاهر
بجبه للدلالة على الخبر المحذوف كما تقدم وقيل الواو للعال وقيم الظاهر مقام المضمرة
تقرير اللالهيية وتصر يحاها وقيل عطف على استنما أي ولقد استنموا وجعلوا وقال
أبو البقاء معطوف على كسبت أي وجعلهم لله شركاء والاولى أولى (قل - هوهم) أي
عينوا وحققتهم من أي جنس ومن أي نوع أي وما أسمى وأهمهم وفي هذا تنبيه لهم وتوبيخ
لانه انما يقال هكذا في الشيء المستحق الذي لا يستحق أن يثبت اليه فيقال سمع ان
شئت يعني انه أحقر من ان يسمى وقيل ان المعنى صفوهم وينو أو صافهم بما يتحققون
ويستأهلون به ثم انظر واهل هي أهل لان تعبد وقيل المعنى هوهم بالالهة كما تزعمون
فيكون ذلك تهديدهم (أم تبتون) أي بل أنتبتون الله (بما لا يعلم في الارض) من
الشركاء الذين تعبدونهم مع كونه العالم بما في السموات والارض وانما خص الارض بنبي
الشريك عنها وان لم يكن له شريك في غير الارض أيضا لانهم ادعوا الله شريكا فيها (أم)
أي بل أنتهونهم شركاء (بظاهر من القول) من غير ان يكون له حقيقة كسمية
الزنجي كافتورا وقيل المعنى قل لهم أنتبتون الله بباطن لا يعلمه بظاهر يعلمه فان قالوا
بباطن لا يعلمه فقد جاوبه عوى باطله وان قالوا بظاهر يعلمه فقل لهم هوهم فاذا سموا اللات
والعزى ونحوها فقل لهم ان الله لا يعلم لنفسه شريكا وقيل المعنى أم برائل من القول
باطل قاله مجاهد وقيل بكذب من القول وقيل بظن باطل لاحتماله في الباطن وقيل
المعنى بجملة من القول ظاهره على زعمهم قال الطائي في هذه الآية احتجاج بليغ مبنى
على فنون من علم البيان أولها أفمن هو قائم الخ احتجاج عليهم وتوبيخهم على القياس

(١٦ فتح البيان خامس) حاتم في تفسير هذه الآية حدثنا أبي حدثنا أحمد بن أبي الحواري حدثنا رباح حدثنا عبد الله
ابن سليمان حدثنا موسى بن الصباح في قوله عز وجل ان الله لذو فضل على الناس قال اذا كان يوم القيامة يوتى باهل ولاية الله
عز وجل فيقومون بين يدي الله عز وجل ثلاثة أصناف فيوتى برجل من الصنف الاول فيقول عبدى لماذا علمت فيقول يارب
خلقت الجنة وأشجارها وغارها وأنهارها وحورها ونعيمها وما أعددت لاهل طاعتك فيها فاسهرت ليلي واظمأت نهارى شوفا
الها قال فيقول الله تعالى عبدى انما علمت للجنة هذه الجنة فادخلها ومن فضلى عليك قد اعتقتك من النار ومن فضلى عليك أن

أدخلك جنتي فيدخل هو ومن معه الجنة قال ثم يؤتى برجل من الصنف الثاني فيقول عبدى لماذا عملت فيقول يارب خلقت ناراً وخلقت اغلالها وسعيرها وسمومها ويحومها وما أعددت لاعدائك وأهل معصيتك فيها فاسهرت ليلي وأظلمات نهاري خوفاً منها فيقول عبدى انما عملت ذلك خوفاً من نارى فانى قدأعتقدك من النار ومن فضلى عليك ان أدخلك جنتى فيدخل هو ومن معه الجنة ثم يؤتى برجل من الصنف الثالث فيقول عبدى لماذا عملت فيقول رب حبالك وشوقاك اليك وعزتك لقد أسهرت ليلي وأظلمات نهاري وشوقاك اليك وحبالك فيقول (١٢٢) تبارك وتعالى عبدى انما عملت حبالي وشوقاك الى فيتعجب له الرب جل جلاله

ويقول ها انا ذافانظر الى ثم يقول من فضلى عليك ان أعتقدك من النار وأبيحك جنتى وازيرك ملائكتى وأسلم عليك بنفسى فيدخل هو ومن معه الجنة (وما تكون في شأن وماتت لومنه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين) يخبر تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم انه يعلم جميع أحواله وأحوال أمته وجميع الخلائق فى كل ساعة وأن لحظة وانه لا يعزب عن علمه وبصره مثقال ذرة فى حقارتها وصغرها فى السموات ولا فى الارض ولا أصغر منها ولا أكبر الا فى كتاب مبين كقوله وعندده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تنسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين فاخبر تعالى انه يعلم حركة الاشجار وغيرها من الجمادات وكذلك الدواب السارحة

الفاصل فقد اجهة الجامعة لها ثانياً وجعلوا لله شركاء وفيه وضع المظهر موضع المضمر للتنبه على انهم جعلوا شركاء لمن هو فرد واحد لا يشركه أحد فى اسمه ثالثاً هائل سمومهم أى عينوا أسماءهم فقولوا فلان وفلان فهو انكار لوجودها على وجه برهاني كما تقول ان كان الذى تدعيه موجوداً فسمه لان المراد بالاسم العلم رابعها أم تنبؤونه بما لا يعلم احتجاج من باب نفي الشئ أعنى المعلوم بنفى لازمه وهو العلم وهو كناية خامسها أم بظاهر من القول احتجاج من باب الاستدراج والهمزة للتقرير بلعنتهم على التفكير المعنى أتقولون بافوا همكم من غير روية وأنتم ألباء فتفكروا فيه هل تنفقوا على بطلانه سادسها التدرج فى كل من الاضرابات على لطف وجهه وحيث كانت الآية مشتملة على هذه الاساليب البديعة مع اختصارها كان الاحتجاج المذكور منادياً على نفسه بالاجاز وانه ليس من كلام البشر انتهى (بل) اضراب عن محاجتهم بالكلمة فكأنه قيل دع ذا فانه لا فائدة فيه لانه (زين للذين كفروا) قرأ ابن عباس زين على البناء للفاعل على ان الذى زين لهم ذلك هو (مكرهم) وقرأ غيره على البناء للمفعول والمزين هو الله سبحانه أو الشيطان بالقاء الوسوسة ويجوز أن يسمى المكركف الان مكرهم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان كفراً وأمامعناه الحقيقى فهو الكيد والتويه بالباطيل أى كيدهم للاسلام بشركهم (وصدوا عن السبيل) أى صداهم الله أو صداهم الشيطان وقرئ بالبناء للفاعل أى صدوا وغيرهم عن الايمان قراءة ان سبعين وقد يستعمل صدلاً زماً بمعنى أعرض (ومن يضل الله) أى يجعله ضالاً ويقتضى مشيئته اضلاله (فخاله من هاد) يهديه الى الخير وقرأ الجمهور هاد من دون اثبات الياء على اللغة الكثيرة القصيدة وقرئ باثباتها على اللغة القليلة وهما سبعين ثم بين سبحانه ما يستحقونه فقال (لهم عذاب فى الحياة الدنيا) بما يصابون به من القتل والاسر وأنواع المحن (ولعذاب الآخرة أشق) عليهم من عذاب الحياة الدنيا وأشدوا غلظ لان المشقة غلظ الامر على النفس وشدته مما يكاد يصدع القلب من شدته فهو من الشق الذى هو الصدع (وما لهم من الله من واق) يقيم عذابه ولا عاصم بعضهم منه ثم لما ذكر سبحانه ما يستحقه الكفار من العذاب فى الاولى والاخرى ذكر ما أعده للمؤمنين فقال (مثل الجنة) أى صفقتها العجيبة الشأن التى هى فى الغرابة كالمثل قال ابن قتيبة المثل الشبه فى أصل اللغة ثم قد

فى قوله وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم أمثالكم الآية وقال تعالى وما من دابة فى الارض يبصر الا على الله رزقها الآية واذا كان هذا علمه بحركات هذه الاشياء فكيف بحركات المكلفين المأمورين بالعبادة كما قال تعالى وتوكل على العزيز الرحيم الذى يرا الحين تقوم وتقلبك فى الساجدين ولهذا قال تعالى وما تكون فى شأن وماتت لومنه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا علىكم شهودا اذ تفيضون فيه أى اذا تأخذون فى ذلك الشئ نحن مشاهدون لكم راؤون سامعون ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لساأله جبريل عن الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك (ألان أو اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون

الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) يخبر تعالى ان أولياءهم الذين آمنوا وكانوا يتقون كما فسره لهم فكل من كان تقيا كان لله وليا فلا خوف عليهم أي فيما يستقبلونه من الآخرة ولا هم يحزنون على ما وراءهم في الدنيا وقال عبد الله بن مسعود وابن عباس وغير واحد من السلف وأولياء الله الذين اذاروا ذكر الله وقد ورد هذا في حديث مرفوع كما قال البزار حدثنا علي بن حرب الرازي حدثنا محمد بن سعيد بن سابق حدثنا يعقوب بن عبد الله الأشعري وهو القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير (١٢٢) عن ابن عباس قال قال رجل يا رسول الله

من أولياء الله قال الذين اذاروا ذكر الله ثم قال البزار وقد روى عن سعد مرسل وقال ابن جرير حدثنا أبو هشام الرافعي حدثنا أبو فضيل حدثنا أبي عن عمارة ابن القعقاع عن أبي زرعة بن عمرو ابن جرير الجبلي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله عبادا يغبطهم الانبياء والشهداء قيل من هم يا رسول الله لعلمنا نجهم قال هم قوم تحابوا في الله من غير أموال ولا أنساب وجوههم نور على منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ الان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ثم رواه أيضا أبو داود من حديث جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله وهذا أيضا اسناد جيد الا انه منقطع بين أبي زرعة وعمر بن الخطاب والله أعلم وفي حديث الامام أحمد عن أبي النضر عن

بصير بمعنى صورة الشيء وصفته يقال مثلت لك كذا أي صورته ووصفته فاراد هنا بمثل الجنة صورتها ووصفتها وجران الانهار من تحتها كما تفسر للمثل قال سيبويه وتقديره فيما قصنا عليك مثل الجنة وقال القراء المثل مقعما للتأكيده والمعنى الجنة (التي وعد المتقون تجرى من تحتها الانهار) والعرب تنعمل ذلك كثيرا وقال الخليل وغيره ان مثل الجنة مبتدأ والخبر تجرى وقال الزجاج انه تمثيل للغائب بالشاهد ومعناه مثل الجنة الجنة تجرى من تحتها الانهار وقال عكرمة نعت الجنة ليس للجنة مثل وقيل ان فائدة الخبر ترجع الى قوله (أكلها) أي ما يוכל فيها (دائم) أي لا يتفادع أبدا ولا ينفى ومثله قوله تعالى لا مقطوعة ولا ممنوعة قال ابراهيم التيمي لذاتها دائم في أفواههم وقيل دائم بحسب نوعه فكل شيء كل يتجدد غيره لا بحسب شخصه اذ عين الماء كولا ترجع (وظلها) كذلك دائم لا يتفادع ولا ينسخه الشمس لانه ليس في الجنة شمس ولا قمر ولا ظلمة بل ظل ممدود لا ينقطع ولا يزول وفي الآخرة رد على جهنم وأصحابه فانهم يقولون ان نعيم الجنة ينفى وينقطع وفيها دليل على ان حر كات أهل الجنة لا تنتهي الى سكون دائم كما يقوله أبو الهذيل واستدل عبد الجبار المعتزلي بهذه الآية على ان الجنة لم تخلق بعد وورده قوله تعالى أعدت للمتقين الى غير ذلك من الآيات والاحبار الصحيحة (قلك) الجنة الموصوفة بالصفات المتقدمة وهو مبتدأ أخبره (عقبى) أي عاقبة (الذين اتقوا) المعاصي أي ما لهم ومنتهى أمرهم (وعقبى الكافرين النار) ليس لهم عاقبة ولا منتهى الا ذلك (والذين آتيناهم الكتاب) أي التوراة والانجيل (يفرحون بما أنزل اليك) يا محمد وهم أهل الكتابين مطلقا ومن أسلم منهم ليكون ذلك موافقا لما في كتبهم مصدقا له وعلى الاخير يكون المراد بقوله (ومن الأحزاب من ينكربعضه) من لم يسلم من اليهود والنصارى وعلى الاول يكون المراد به المشركين من أهل مكة ومن يماثلهم أو يكون المراد به بعض أهل الكتابين أي من أحزابهم ما فهم أنكروا وما اشقل عليه من كونه ناخلا نشر أئمتهم فيتوجه فرح من فرح به منهم الى ما هو موافق لما في الكتابين وانكار من أنكروا منهم الى ما خالفهم وقيل المراد بالكتاب القرآن والمراد بمن يفرح به المسلمون والمراد بالأحزاب المتحزون على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المشركين واليهود والنصارى والمراد بالبعض الذي أنكروه ما خالف ما يعتقدونه على

عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن أبي مالك الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي من أفناء الناس وبوازع القبائل قوم لم يتصل بينهم أرحام متتارية تحابوا في الله وتصافوا في الله يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها يفرح الناس ولا يفرحون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والحديث مطول وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا سفيان عن الأعمش عن ذكوان بن أبي صالح عن رجل عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة قال الرويا الصالحة يراها المسلم أو ترى له وقال ابن جرير

حدثني أبو السائب حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن عطاء بن يسار عن رجل من أهل مصر عن أبي الدرداء في قوله لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة قال سألت رجلاً من أهل الدرداء عن هذه الآية فقال لقد سألت عن شيء ما سمعت أحداً سأل عنه بعد رجل سأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل المسلم أو ترى له بشره في الحياة الدنيا وبشره في الآخرة ثم رواه ابن جرير عن سفیان عن ابن المنكدر عن عطاء بن يسار عن رجل من أهل مصر أنه سأل أبا الدرداء عن هذه الآية فذكره فمؤامراً قدّم ثم قال بن جرير حدثني المثنى (١٢٤) حدثني الحجاج بن منهال حدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن أبي

اختلاف اعتقادهم واعترض على هذا بان فرح المسلمين بنزول القرآن معلوم فلا فائدة في ذكره واجيب عنه بان المراد زيادة القرع والاستبشار بما يتجدد من الاحكام والتوحيد والنسب والنبوة والحشر بعد الموت وقال كثير من المفسرين ان عبد الله بن سلام والذين آمنوا هم من أهل الكتاب ساءهم قلة ذكر الرحمن في القرآن مع كثرة ذكره في التوراة فانزل الله قـل ادعوا الله واعوا الرحمن ففرحوا بذلك قال قتادة الذين يفرحون أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم فرحوا بكتاب الله وصداقوه وبرسوله والاحزاب اليهود والنصارى والنجوس وقال ابن زيد هو لا آمن من آمن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أهل الكتاب يفرحون بذلك ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به ثم لما بين ما يحصل بنزول القرآن من القرع للبعث والانكار للبعث صرح بما عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمره ان يقول لهم ذلك فقال (قل انما أمرت أن أعبد الله وحده (ولا أشرك به) بوجه من الوجوه أى قل لهم يا محمد ذلك الزاماً للعبادة ورداً للانكار انما أمرت فيما أنزل الى عبادة الله وتوحيده وهذا أمر اتفقت عليه الشرائع وتطابقت على عدم انكاره جميع الممال المقدمية بالرسول (اليه) أى الى الله لا الى غيره (أدعو) أو الى ما أمرت به وهو عبادة الله وحده والاول وأولى لقوله (واليه مآب) فان الضمير لله سبحانه أى اليه وحده لا الى غيره مر جى يوم القيامة للجزاء قال قتادة اليه مصير كل عبد ثم ذكر بعض فضائل القرآن وأعد على الاعراض عن اتباعه مع التعريض لرد ما أنكره من اشتماله على نسخ بعض شرائعهم فقال (وكذلك) الانزال البديع (أزلناه) أى القرآن مشقلا على اصول الشرائع وفروعها وتبيل المعنى وكما أنزلنا الكتب على الرسل بلغاتهم ولسانهم كذلك أنزلنا عليك القرآن بلسان العرب (حكيم عربياً) يريد بالحكم ما فيه من الاحكام والنقض والابرام أو انزلناه حكمة عربية مترجمة بلسان العرب ولغتها ليسهل عليها فهمها وحفظها وتحميمها بين الناس فيما يقع لهم من الحوادث الفرعية وان خالفت ما في الكتب القديمة اذ لا يجب عليك توافق الشرائع (ولئن) اللام هي الموطئة للقسم (اتبعت اهلها) التي يطلبون منك موافقتهم عليها كالاستمرار منك على التوجه الى قبلتهم وعدم مخالفتك لشيء مما يعتقدونه (بعد ما جاءك من العلم) الذى علمك الله اياه (مالك) سادسـهـد جواب القسم والشرط (من الله)

صالح قال سمعت أبا الدرداء سئل عن الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فذكره فمؤامراً قدّم ثم قال بن جرير حدثني المثنى (١٢٤) حدثني الحجاج بن منهال حدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن أبي الدرداء في قوله لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة فقال لقد سألت عن شيء ما سألتني عنه أحد من أمي أو أحد قبلك تلك الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له وكذا رواه أبو داود الطيالسي عن عمران القطان عن يحيى بن أبي كثير ورواه الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير به فذكره ورواه علي بن المبارك عن يحيى بن أبي سلمة قال بنينا عن عبادة بن الصامت سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فذكره وقال ابن جرير حدثني أبو جهميد الحصى حدثني يحيى بن سعيد حدثنا عمر بن عمرو بن عبد الاحوسى (١) عن حماد بن عبد الله المزني قال اتى رجل عبادة بن الصامت فنال آية في كتاب الله أسألت عنها قول

الله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا فقال عبادة ما سألتني عنها أحد قبلك سألت عنها نبي الله فقال منى الله ذلك ما سألتني عنها أحد قبلك الرؤيا الصالحة يراها العبد المؤمن في المنام أو ترى له ثم رواه من حديث موسى بن عبيدة عن أيوب بن خالد بن صفوان عن عبادة بن الصامت انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة فقد عرفنا بشرى الآخرة الجنة فما بشرى الدنيا قال الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له وهي جزء من أربعة وأربعين جزءاً أو سبعين جزءاً من النبوة وقال الامام أحمد أيضاً حدثنا حماد بن زيد حدثنا أبو عمران عن عبادة بن الصامت عن أبي ذر انه قال يا رسول الله (١) قوله الاحوسى كذا بالاصل الذى بايد تناوحره

الرجل يعمل العمل ويحمده الناس عليه و ينتون عليه به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك عاجل بشرى المؤمن رواه مسلم وقال أحمد أيضا حدثنا حسن يعني الأشيب حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لهم البشرى في الحياة الدنيا في الآخرة قال الرؤيا الصالحة يبشرها المؤمن من تسعة وأربعين جزءا من النبوة فمن رأى فينجب بها ومن رأى سوى ذلك فانهما هو من الشيطان ليحزنه فلينبث عن يساره ثلاثا وليكبر ولا ينجب بها أحد الميخرجوه وقال ابن جرير حدثني يونس أنبأنا (١٢٥) ابن وهب حدثني عمرو بن الحرث ان دراجا أبا

السمع حدثه عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لهم البشرى في الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يبشرها المؤمن بجزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة وقال أيضا ابن جرير حدثني محمد ابن حاتم المؤدب حدثنا عمار بن محمد حدثنا الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لهم البشرى في الحياة الدنيا وهي في الآخرة قال في الدنيا الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له وهي في الآخرة الجنة ثم رواه عن أبي كريب عن أبي بكر ابن عياش عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة انه قال الرؤيا الحسنة بشرى من الله وهي من المبشرات هكذا رواه من هذه الطريق موقوفوا وقال أيضا حدثنا أبو كريب حدثنا أبو بكر حدثنا هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الحسنة هي البشرى يراها المسلم أو ترى له وقال ابن جرير حدثني أحمد بن

أى من جنابه (من ولى) يلى أمرك وينصرك (ولا واق) يقيمك من عذابه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعريض لامتة لان من هو أرفع منزلة وأعظم قدرا وأعلى رتبة اذا حذر كان غيره ممن هو دونه بطريق الاولى (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية) أى ان الرسل الذين أرسلناهم من جنس البشر لهم أزواج من النساء ولهم ذرية توالدوا منهم ومن أزواجهم ولم نرسل الرسل من الملائكة الذين لا يتزوجون ولا يكون لهم ذرية وفي هذا رد على من كان ينكر على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تزوجه النساء أى ان هذا شأن رسل الله المرسلين قبل هذا الرسول فما بالكم تنكرون عليه ما كانوا عليه فانه قد كان أسلميان ثلثمائة امرأة وسبع مائة مرة فلم يقدح ذلك في نبوته وكان لا يسهو داود مائة امرأة وكانوا ينكحون ويأكلون ويشربون فكيف يجعل هذا قاذفا في نبوتك وعن الحسن عن سمرة قال نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن التبتل أخرجه ابن ماجه والطبراني وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه وعن سعد بن هشام قال دخلت على عائشة وقلت انى أريد أن أتبتل قالت لا تفعل أما سمعت الله يقول ولقد أرسلنا رسلا الاية أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه وقد ورد في النهى عن التبتل والترغيب في النكاح ما هو معروف وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبعة أولاد أربع اناث وثلاثة ذكور وكانوا في الترتيب في الولادة هكذا التاسم فزنيب فريمسة ففاطمة فام كلثوم فعبدة الله ويلقب بالطيب والظاهر فابراهيم وكلهم من خديجة الابراهيم في مارية القبطية وما نوا جميعا في حياتها الا فاطمة فعاشت بعدد ستمة أشهر (وما كان) أى لم يكن (لرسول) من الرسل (ان يأتى بآية) من الآيات (الاباذن الله) سبحانه فان شاء أظهر وان شاء لم يظهرها وليس ذلك الى الرسول لان الرسل مر بوبون ومقهرون ومغلوبون محكوم عليهم من متصرف فيهم بتدبير أمرهم (لكل أجل كتاب) أى لكل أمر مما قضاه الله لكل وقت من الاوقات التي قضى الله بوقوع امر فيها كتاب الله يكتبه على عبادته ويحكمهم به فيهم وقال القرأفة منه تقديم وتأخير والمعنى لكل كتاب أجل أى لكل امر كتبته الله أجل مؤجل ووقت معلوم كقوله سبحانه لكل نمامة تقرو ليس الامر على ارادة الكفار واقتراحتهم بل على حسب ما يشاء الله ويختاره وفيه رد لاسمجة الهام الآجال والاعمار واتيان المعجزات والعذاب فقد كان

جمادى الاولى حدثنا سفيان عن عبيد الله بن أبي يزيد عن أبيه عن سباع بن ثابت عن أم كريب الكعبية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وهكذا روى عن ابن مسعود وأبي هريرة وابن عباس ومجاهد وعروة ابن الزبير ويحيى بن أبي كثير وابراهيم الخثعمي وعطاء بن أبي رباح وغيرهم أنهم فسر واذلك بالرؤيا الصالحة وقيل المراد بذلك بشرى الملائكة للمؤمن عند احتضاره بالجنة والمغفرة كقوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم اسلمت اموالهم واتممت عليهم الملائكة ألا يخافوا ولا يحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي

انفسكم ولكم فيها تدعون نزل من غفور رحيم وفي حديث البراء رضى الله عنه ان المؤمن اذا حضره الموت جاءه ملائكة
بيض الوجوه بيض الثياب فقالوا اخرجي ايتها الروح الطيبة الى روح وريحان ورب غير غضبان فتخرج من فيه كما تسيل القطرة
من قم السقاء واما بشر اهم في الآخرة كما قال تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون
وقال تعالى يوم تزي المؤمنين والمؤمنات يسبحونهم بين ايديهم واما ما نهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ذلك هو الفوز العظيم وقوله لا تبديل (١٢٦) لكلمات الله اى هذا الوعد لا يبدل ولا يخلف ولا يغير بل هو مقرره مثبت

كائن لا محالة ذلك هو الفوز العظيم
(ولا يحزنك قولهم ان العزة لله
جميعا هو السميع العليم الا ان الله
من في السموات ومن في الارض
وما يتبع الذين يدعون من دون
الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان
هم الا يخرسون هو الذى جعل
لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار
مبصرا ان في ذلك لايات لقوم
يسمعون) يقول تعالى لرسوله
صلى الله عليه وسلم ولا يحزنك قول
هؤلاء المشركين واستمع يا الله عليهم
وتوكل عليه فان العزة لله جميعا اى
جميعها له ورسوله وللمؤمنين هو
السميع العليم اى السميع لا قول
عبادة العليم باحوالهم ثم اخبر
تعالى ان له ملك السموات والارض
وان المشركين يعبدون الاصنام
وهي لا تغل شيئا لاضر ولا تنفع ولا
دليل لهم على عبادتها بل انما يتبعون
في ذلك ظنونهم وتخمينهم وكذبهم
وافكهم ثم اخبر انه الذى جعل
لعباده الليل لتسكنوا فيه اى
يستريحون فيه من نصيبهم وكلاهم
وحر كاتم والنهار مبصرا اى

يخوفهم بذلك فاستجابوه عند افراد الله عليهم ذلك والمراد بالاجل هنا الزمنة الموجودات
فلكل موجود زمان يوجد فيه محدود لا يزداد عليه ولا ينقص والمراد بالكتاب صحف
الملائكة التى تنسخها من اللوح المحفوظ والالوح نفسه (يعو الله ما يشاء ويثبت) اى يعو
من ذلك الكتاب ويثبت ما يشاء منه يقال محوت الكتاب محو اذا ذهبت أثره قرئ محذفا
ومشدا وعن مجاهد ر قال قالت قريش حين انزل هذه الآية ما نزلنا بمحمد تلك من شيء
ولقد فرغ الامر فانزات هذه الآية تخويفا لهم ووعيد لهم انا ان شئنا احدثنا له من
امرنا ما شئنا ويحدث الله في كل رمضان فيمحو ما يشاء ويثبت من ارزاق الناس ومصائبهم
وما يعطيهم وما يقسم لهم وقال ابن عباس ينزل الله في كل شهر رمضان الى سماء الدنيا فيدبر
امر السنة الى السنة فيمحو ما يشاء ويثبت الا الشقاوة والسعادة والحياة والموت وعنه
قال هو الرجل يعمل الزمان بطاعة الله ثم يعود لعصية الله فيوت على ضلالة فهو الذى
يعو والذى يثبت الرجل يعمل بعصية الله وقد سبق له خير حتى يموت على طاعة الله وقال
ايضا ما كان يبيع الله ما يشاء من احدثه ما ويثبت وظاهر النظم القرآنى العموم في كل
شيء مما فى الكتاب فيمحو ما يشاء محوه من شقاوة او سعادة او رزق او عمر او خير او شر ويبدل
هذا بهذا ويجعل هذا مكان هذا لا يستعمل عيانا يفعل وهم يستعملون والى هذا ذهب عمر بن
الخطاب وابن مسعود وابن عباس وابو وائل وقنادة والضحاك وابن جرير وغيرهم وقيل
الآية خاصة بالسعادة والشقاوة وقيل محو ما يشاء من ديوان الخفظة وهو ما ليس فيه ثواب
ولا عقاب ويثبت ما فيه الثواب والعقاب وقيل محو ما يشاء من الرزق وقيل من الاجل
وقيل من الشر اى فينسخه ويثبت ما يشاء فلا ينسخه وقيل محو ما يشاء من ذنوب عباده
ويترك ما يشاء وقيل محو ما يشاء من الذنوب بالتوبة ويترك ما يشاء منها مع عدم التوبة
وقيل محو الآباء ويثبت الابناء وقيل محو القمر ويثبت الشمس كقوله فحونا آية الليل
وجعلنا آية النهار بمصره وقيل محو ما يشاء من الارواح التى يقبضها حال النوم فيميت
صاحبه ويثبت ما يشاء فيرده الى صاحبه وقيل محو ما يشاء من القرون ويثبت ما يشاء
منها وقيل محو الدنيا ويثبت الآخرة وقيل غير ذلك مما لا حاجة الى ذكره والاول اولى كما
ينفذه ما فى قوله ما يشاء من العموم مع تقدم ذكر الكتاب فى قوله لكل اجل كتاب ومع
قوله (وعندهم الكتاب) اى جعله الكتاب قاله ابن عباس والمعنى اصله وهو اللوح

المحفوظ

مضيفا لمعاشهم وسعيهم وأسفارهم ومصالحهم ان في ذلك لايات لقوم يسمعون اى يسمعون هذه

الحجج والادلة فيعتبرون بها ويستدلون على عظمة خالقها ومقدرها ومسيرها (قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغنى له ما فى
السموات وما فى الارض ان عندكم من سلطان بهذا تقولون على الله ما لا تعلمون قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون
متاع فى الدنيا ثم ينصرونهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) يقول تعالى منكر اعلى من ادعى ان له
ولدا سبحانه هو الغنى اى تقدر عن ذلك هو الغنى عن كل ما سواه وكل شيء فقيرا ليه له ما فى السموات وما فى الارض اى فكيف

يكون له ولد مما خلق وكل شيء مملوك له عبده ان عندكم من سلطانهم هذا أي ليس عندكم دليل على ما تقولون من الكذب
 والبهتان أتقولون على الله ما لا تعلمون انكار ووعيداً كيدوتهم ديدشديد كقولته تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم
 شيئاً ادراكاً للسوات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدأ أن دعوا للرحمن ولداً وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً ان
 كل من في السموات والارض الأتقى الرحمن عبداً لقد أحصاهم وعددهم عدوا كلهم آتية يوم القيامة فرداً ثم تودتعالى
 الكاذبين عليه المفترين ممن زعم انه له ولداً بانهم لا يفلحون في الدنيا (١٢٧) ولا في الآخرة فأما في الدنيا فانهم اذا

استدرجهم واملى لهم متعهم
 قليلاً ثم يضطرهم الى عذاب غليظ
 ثم قال تعالى ههنا متاع في الدنيا
 اى مدة قريبة ثم البنا مرجعهم
 اى يوم القيامة ثم يذيقهم العذاب
 الشديد اى الموضع المؤلم بما كانوا
 يكفرون اى بسبب كفرهم
 واقتراهم وكذبهم على الله فيما
 ادعوه من الافك والزور (واتل
 عليهم نبأ نوح اذا قال لقومه يا قوم
 ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري
 بآيات الله فعلى الله توكلت فاجعوا
 امركم وشركاءكم ثم لا يكن امركم
 عليكم غمّة ثم اقضوا الى ولا
 تنظرون فان توليتم فاسألتكم
 من اجر ان اجري الاعلى الله
 وامرت ان اكون من المسلمين
 فكذبوه فنجينا ومن معه في الفلك
 وجعلناهم خلائف واغرقنا
 الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف
 كان عاقبة المنذرين) يقول
 تعالى لنبينه صلوات الله وسلامه
 عليه واتل عليهم اى اخبرهم
 واقصص عليهم اى على كفار مكة
 الذين يكذبونك ويخالفونك نبأ
 نوح اى خبره مع قومه الذين

المحفوظ والام اصل الشئ والعرب تسمى كل ما يجري مجرى الاصل للشئ اماله ومنه ام
 الرأس للدماغ وأم القرى لمكة فالمراد من الآية انه يحوم ما يشاء بما في اللوح المحفوظ فيكون
 كالعدم ويثبت ما يشاء مما فيه فيجرب فيه قضاؤه وقدره على حسب ما يقتضيه مشيئته
 وهذا الاينافي ما ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم من قوله جف القلم عما هو كائن وذلك لان
 المحو والاثبات هو من جملة ما قضاه الله سبحانه وقيل ان ام الكتاب هو علم الله تعالى بما
 خلق وما هو خالق قال ابن عباس ان الله لو احاط محفوظ ما سيرته خمسمائة عام من درة بيضاء له
 دفتان من ياقوتة والدفتان لو احاط الله فيه في كل يوم ثلاثمائة وستون لحظة يحوم الله ما يشاء
 ويثبت وعند ام الكتاب وعن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان
 الله ينزل في ثلاث ساعات تبقي من الليل فيفتح الذكر في الساعة الاولى منها ينظري الذكر
 الذي لا ينظر فيه احد غيره فيجمعو الله ما يشاء وينبت الحديث اخرجه الطبراني وابن ابي
 حاتم وغيرهما واخرج الطبراني باسناد قال السيوطي ضعيف عن ابن عمر سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم يقول يحوم الله ما يشاء وينبت الا الشقاوة والسعادة والحياة
 والممات وعن ابن عباس قال لا يتفح الحد من القدر ولكن الله يحوم بالدعاء ما يشاء من
 القدر وقال قيس بن عباد العاشم من رجب هو يوم يحوم الله فيه ما يشاء وعن عمر بن
 الخطاب انه قال وهو يطوف بالبيت اللهم ان كنت كتبت على شقوة أو ذنباً فامحه فانك
 تحوم ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب واجعله سعادة ومغفرة وعن ابن مسعود نحوه وقيل
 أم الكتاب الذ ذكره ابن عباس وقد استتدت الرافضة على مذهبهم في البدع هذه الآية
 وهو ان يعتقد شيأ ثم يظهر له ان الامر بخلاف ما اعتقده وقالوا انه جائز على الله وهو ظاهر
 الفساد لان علمه سبحانه صفة قديمة أزلية لا يتطرق اليه التغيير والتبديل والمحو والاثبات
 من معلوماته الازلية وليس من البدع في شئ وقد علم ما هو خالق وما خلقه وما هم يعملون
 (واما نرى نيك) ما زائدة واصله وان نرك (بعض الذي نعدهم) به من العذاب في حياتك
 كما وعدناهم بذلك بقولنا لهم عذاب في الحياة الدنيا وبقولنا ولا يزال الذين كفروا نصيبهم
 بما صنعوا قارعة والمراد آري نالك بعض ما نعدهم قبل موتك وجواب الشرط محذوف أي
 فذالك شافيك من أعدائك ودليل على صدقك (أو توفينك) أي أو توفيناك قبل اراءتك
 لذلك وجوابه أيضاً محذوف أي فلا تقصير منك وللولم عليك وقوله (فانما عليك البلاغ)

كذبوه كيف اهلكهم الله ودمرهم بالغرق اجمعين عن آخرهم ليحذر هؤلاء ان يصيبهم من الهلاك والدمار ما أصاب أولئك اذا قال
 لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم اى عظم عليكم مقامي اى فيكم بين أظهركم وتذكيري اياكم بآيات الله اى بجمعها وبراهينه
 فعلى الله توكلت اى فاني لا أبالي ولا أكف عنكم سواء عظم عليكم أم لا فاجعوا أمركم وشركاءكم اى فاجتمعوا أنتم وشركاءكم
 والذين تدعون من دون الله من صنم ووسن ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة اى ولا تتجملوا امركم عليكم ملتبسابل افضلوا
 حالكم معي فان كنتم تزعمون انكم محققون فاقضوا الى ولا تنظرون اى ولا تأخرن ساعة واحدة اى مهة اقدرتم فافعلوا فاني

لا يبالكم ولا يخاف منكم انكم استم على شيء كما قال هو دلوقته انه اني اشهد الله واشهدوا اني بري مما نشر كون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على الله ربي وربكم الآية وقوله فان توأبتم اي كذبتم وادبرتم عن الطاعة فمأسألتكم من اجر اي لم اطلب منكم على نصحي اياكم شيئا ان اجري الا على الله وامرت ان اصكون من المسلمين اي وانامتثل ما امرت به من الاسلام لله عز وجل والاسلام هو دين الانبياء جميعا من اولهم الى آخرهم وان تنوعت شرائعهم وتعددت مناهلهم كما قال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا (١٢٨) قال ابن عباس سيدنا وسنة فهذا نوح يقول وامرت ان اصكون من

المسلمين وقال تعالى عن ابراهيم الخليل اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنه ويعقوب باي ان الله اصطفى لكم الدين فلا تتون الا وانتم مسلمون وقال يوسف رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطس السموات والارض انت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين وقال موسى يا قوم انكم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين وقالت السحرة ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وقالت بلقيس رب اني ظلمت نفسي واسلمت مع سليمان لله رب العالمين وقال تعالى انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا وقال تعالى واذا وحيت الى الحوارين ان آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنوا واشهد باننا مسلمون وقال خاتم الرسل وسيد البشر صلى الله عليه وسلم ان صلاتي ونسبي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لاشريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين اي من هذه الامة ولهذا قال في

تعليل لهذا المحذوف والبلاغ اسم اقيم مقام التبليغ اي ليس عليك الاتليغ احكام الرسالة ولا يلزمك حصول الاجابة منهم لما باغته اليهم (وعلمنا الحساب) اي محاسبتهم اذا صاروا النبي يوم القيامة باء اليهم ومحجازاتهم عليها وليس ذلك عليك وهذا تسليمة من الله سبحانه لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم واخباره انه قد فعل ما امره الله به وليس عليه غيره وان لم يجب دعوته ويصدق نبوته فالتة سبحانه محاسبه على ما اجترم واجترى عليه من ذلك (اولم يروا) يعني اهل مكة والاستفهام للانكار والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي ان انكروا ونزل ما وعدناهم واشكوا واولم ينظروا وفي ذلك لم يروا (انا اناتي الارض) اي ارض الكفر ككة (تنقصها من اطرافها) بالفتوح على المسلمين منها شيئا فشيئا بما ينقص من اطراف المشركين ويزيد في اطراف المؤمنين قال الزجاج اعلم الله ان بيان ما وعد المشركين من قهرهم قد ظهر يقول اولم يروا وانا فتحنا على المسلمين من الارض ما قد تبين لهم فكيف لا يعتبرون وهذا قول قتادة وجماعة من المفسرين وقيل ان معنى الآية تنقصها موت العلماء والصالحين وقال ابن عباس موت علمائها وفقهائها وذهاب خيار اهلها وعن مجاهد نحوه قال القشيري وعلى هذا فالاطراف الاشراف وقد قال ابن الاعرابي الطرف الرجل الكريم قال القرطبي وهذا القول بعيد لان مقصود الآية انا اري نهاهم النقصان في امرهم ليعلموا ان تأخير العقاب عنهم ليس عن عجز الان يحتمل على موت اخبار اليهود والنصارى قال الواحدى التفسير الاول اولى لان هذا القول وان صح فلا يليق به هذا الموضوع وبه قال الرازي وقيل المراد خراب الارض المعمورة حتى يكون العمران في ناحية منها قاله ابن عباس وبه قال مجاهد وعكرمة والشعبي وعطاء وجماعة من المفسرين اي تخريب اهلها اهلها فلا تخافون ان يفعل بكم ذلك وقيل المراد بالآية هلاك من هلك من الامم وقيل المراد جوار ولاتها حتى تنقص وقال ابن عباس نقصان اهلها وبركتها وعنه انما تنقص النفس والثمرات واما الارض فلا تنقص (والله يحكمكم) ما يشاء في خلقه فيرفع هذا ويضع هذا ويحيي هذا ويميت هذا ويعني هذا ويفقر هذا وفي الالتفات من التكلم الى الغيبة وبناء الحكم على الاسم الشريف والعلم الجليل من الدلالة على الفخامة وتربية المهابة وتحقيق مضمون الخبر بالاشارة الى العلة ما لا يخفى على ذي بصيرة (لامعقب حكمكم) اي لاراد لقضائه

الحديث الثابت عنه فمخن معاشر الانبياء اولاد علات وديننا واحد اي وهو عبادة الله وحده لا شريك له وان تنوعت شرائعنا وذلك معنى قوله اولاد علات وهم الاخوة من امهات شتى والاب واحد وقوله تعالى فكذبوه فخيبناه ومن معه اي على دينه في الفلأ وهي السفينة وجعلناهم خلائف اي في الارض واغرقتنا الذين كذبوا باياتنا وقوله فانظرك كيف كان عاقبة المنذرين اي يا محمد كيف انجينا المؤمنين واهلكنا المكذبين (ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاءوهم فجاؤهم ليوثنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين) يقول تعالى ثم بعثنا من بعد قوم نوح رسلا الى قومهم فجاءوهم

والمعقب

بالبينات أى بالحجج والأدلة والبراهين على صدق ما جاؤهم به فما كانوا يؤمنوا بما كذبوا به من قبل أى فما كانت الامم لتؤمن بما
جاءتهم به رسلاً يسبب تكذيبهم اياهم أول ما أرسلوا اليهم كتوله تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم الآية وقوله كذلك نطبع على
قلوب المعتدين أى كما طبع الله على قلوب هؤلاء فما آمنوا بسبب تكذيبهم المتقدم هكذا يطبع الله على قلوب من أشبههم من
بعدهم ويختتم على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم والمراد أن الله تعالى أهت الامم المكذبة للرسول وأنجي من آمن بهم
وذلك من بعد نوح عليه السلام فان الناس كانوا من قبله من زمان آدم (١٢٩) عليه السلام الى ان أحدث الناس عبادة

الاصنام فبعث الله اليهم نوحا
عليه السلام ولهذا يقول له
المؤمنون يوم القيامة أنت أول
رسول بعثه الله الى أهل الارض
وقال ابن عباس كان بين آدم ونوح
عشرة قرون كلهم على الاسلام
وقال الله تعالى وكم أهلنا من
القرون من بعد نوح الآية وفى
هذا انذار عظيم لمشركى العرب
الذين كذبوا سيد الرسل وخاتم
الانبياء والمرسلين فانه اذا كان قد
أصاب من كذب بتلك الرسل
ما ذكره الله تعالى من العذاب
والسكال فماذا ظن هؤلاء وقد
ارتكبوا أكبر من أولئك (ثم
بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى
فرعون وملئه باياتنا فاستكبروا
وكانوا قومًا مجرمين فلما جاءهم الحق
من عندنا قالوا ان هذا السحر مبين
قال موسى أتقولون للعقاب ما جاءكم
أسحر هذا ولا يفلح الساحرون قالوا
أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه
آبائنا وتكون لنا الكبرياء فى
الارض وما نحن لك يا مؤمنين
يقول تعالى ثم بعثنا من بعد تلك
الرسول موسى وهرون الى فرعون

والمعقب الذى يكر على الشئ فيمطله وحقيقته الذى يقفبه بالرد والابطال قال الفراء
معناه لاراد لحكمه قال والمعقب الذى يتبع الشئ فيستدركه ولا يستدرك أحد عليه
ومنه قيل اصحاب الحق معقب لانه يتعقب غيره بالطلب يعنى انه حكم للاسلام بالاقبال
وعلى الكفر بالادبار وذلك كائلا يمكن تغييره ومحمل الامع المنفى النصب على الحال أى
يحكم نافذا حكمه خالدا من المدافع والمعارض والمنازع لا يتعقب أحد حكمه سبحانه
بنقض ولا تغيير قال ابن زيد ليس أحد يتعقب حكمه فيرده كما يتعقب أهل الدنيا بعضهم
حكم بعض فيرده (وهو سريع الحساب) أى الانتقام فيحاسبهم بعد زمن قليل فى الآخرة
بعد ما عذبهم بالقتل وأخرجهم من ديارهم فى الدنيا فلا تستبطى عقابهم فانه آت لا محالة
وكل آت قريب وقد تقدم الكلام فى معناه قبل هذا والمعنى فيجازى المحسن باحسانه
والمسي باسائه على السرعة (وقدمكر الذين من قبلهم) أى قدمكر الكفار الذين من
قبل كفار مكة بمن أرسله الله اليهم من الرسل فكادوهم وكثروا بهم والمكر اىصال المكروه
الى الانسان المكور به من حيث لا يشعر مثل مكر فرعون وديارهم وفرعون بموسى وهود
بعيسى وهذا نسليه من الله سبحانه لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم حيث أخبره ان هذا
دين الكفار من قديم الزمان مع رسل الله سبحانه ثم أخبره بأن مكرهم هذا كعدم
ولان تأثره وأن المكر كاله لا اعتداد بمكر غيره فقال (فقل للمكر جميعا) يعنى عند الله
جزاء مكرهم وفيه نسليه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمان له من مكرهم وقال الواحدي
يعنى جميع مكر الماكرين له ومنه أى هو من خلقه واراذه فالمكر جميعا مخلوق له بيده
الخير والشر واليه النفع والضر والمعنى أن المكر لا يضر الا بذنه واراذه فاتبائه لهم باعتبار
الكسب ونفيه عنهم باعتبار الخلق ثم فسر سبحانه هذا المكر النابت له دون غيره فقال
(يعلم ما تكسب كل نفس) من خير وشر فيجازيها على ذلك ومن علم ما تكسب كل نفس
وأعد لها جزاءها كان المكر كله لانه يا تيهم من حيث لا يشعرون (وسيعلم الكفار)
جميعهم وقرئ الكافر على التوحيد أى جنس الكافر وقيل المراد بالكافر أبو جهل (لمن
عقبى الدار) أى العاقبة المحمودة من الفريقين فى دار الدنيا وفى دار الآخرة وفيها
(ويقول الذين كفروا) أى المشركون أو جميع الكفار خطا باوشها هالك (لست)
يا محمد (مرسلا) الى الناس من عند الله فأمره الله سبحانه بأن يجيب عليهم فقال (قل)

(١٧ فتح البيان خامس) وملئه أى قومه باياتنا أى حججنا وبراهيننا فاستكبروا وكانوا قومًا مجرمين أى استكبروا عن
اتباع الحق وكانوا قومًا مجرمين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا السحر مبين كأنهم قبحهم الله أقسموا على ذلك وهم يعلمون
ان ما قالوه كذب وبهتان كما قال تعالى وحججوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا الآية قال لهم موسى منكر اعلمهم أتقولون
للعقاب ما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون قالوا أجئتنا لتلفتنا أى تنسينا عما وجدنا عليه آباءنا أى الذى كانوا عليه وتكون
لكم أى لك ولهارون الكبرياء أى العظمة والرئاسة فى الارض وما نحن لك يا مؤمنين وكثيرا ما يذكر الله تعالى قصة موسى مع فرعون

في كتابه العزيز لانها من أعجب القصص فانه حذر من موسى كل الحذر فسخره القدر ان ربي الذي يحذره على فراشه ومائده بمنزلة
الولاد ثم ترعرع وعقد الله له سببا آخر جه من بينهم ورزقه النبوة والرسالة والتكليم وبعثه اليه ليدعوه الى الله تعالى ليعبده
ويرجع اليه هذا مع ما كان عليه فرعون من عظمة المملكة والسطان فخاه برسالة الله تعالى وليس له وزير سوى أخيه هرون عليه
السلام فتمرد فرعون واستكبر وأخذته الحية والنفس الخبيثة الاية وقوى رأسه وتولى برصه والدعي ما ليس له ويتجهرم
على الله وعتا وبغى وأهان حرب الايمان (١٣٠) من بني اسرائيل والله تعالى يحفظ رسوله موسى وأخاه هرون ويحفظهما

بغنايته ويحرسهما بعينه التي
لا تنام ولم تزل المحاجة والمجادلة
والآيات تقوم على يد موسى شيئا
بعدي شيئا ومرة بعد مرة مما يهبر
العقول ويدهش الالباب مما لا يقوم
له شيء ولا يأتي به الا من هو مؤيد من
الله وماتت منهم من آية الالهى أكبر
من أختها وصهم فرعون وملؤه
فجهم الله على التكذيب بذلك كله
والجد والعناد والمكابرة حتى أحل
الله بهم بأسه الذي لا يردوا غرقهم
في صيحة واحدة فقطع دابر القوم
الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين
(وقال فرعون ائتموني بكل ساحر
علم فلما جاء السحرة قال لهم موسى
ألقوا ما أنتم ملقون فلما ألقوا قال
موسى ما جئتم به السحر ان الله
سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين
ويحق الله الحق بكلماته ولو كره
المجرمون) ذكر سبحانه قصة
السحرة مع موسى عليه السلام في
سورة الاعراف وقد تقدم الكلام
عليها هنا وفي هذه السورة وفي
سورة طه وفي الشعراء وذلك ان
فرعون لعنه الله أراد أن يهزم
على الناس ويعارض ما جاء به

كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) فهو يعلم صحة رسالتي وصدق دعواي ويعلم كذبكم (و) كذا
يعلم ذلك (من عنده علم الكتاب) أى علم جنس الكتاب السماوى كالتوراة والانجيل
فان أهلها العالمين بهما كانوا يعلمون صحة رسالة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد
أخبر بذلك من أسلم منهم كعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وكعب الاحبار وتميم الداري
ونحوهم وقد كان المشركون من العرب يسألون أهل الكتاب ويرجعون اليهم فأرشدهم
الله سبحانه في هذه الآية الى ان أهل الكتاب يعلمون ذلك وقيل المراد بالكتاب القرآن ومن
عنده علم منه هم المسلمون فانهم يشهدون أيضا على نبوته أو المراد من عنده علم اللوح
المحفوظ وهو الله سبحانه قاله مجاهد وبه قال الحسن ومثله عن ابن عمر بسند ضعيف
واختار هذا الزجاج وقال لان الاشبه ان الله لا يستشهد على خلقه بغيره عن جندب قال
جاء عبد الله بن سلام حتى أخذ بعض ادنى باب المسجد ثم قال أنشدكم بالله أن تعلمون انى الذى
أنزل فيه ومن عنده علم الكتاب قالوا اللهم نعم وعن ابن عباس هم أهل الكتاب من اليهود
والنصارى يشهدون بالحق ويعرفونه منهم ابن سلام والجارود وعن الشعبي ما نزل في ابن
سلام شيء من القرآن وعن سعيد بن جبيرة أنه سئل عن الآية أهو ابن سلام فقال كيف
وهذه السورة مكية وعبد الله أسلم بالمدينة وعنه قال هو جبريل وهذه السورة مدارها كما
في الكشف على حقيقة الكتاب المجيد واشتماله على ما فيه صلاح الدارين وأن السعيد
من تمسك بحبله والشقي من أعرض عنه الى آخر ما فصله وهنا أقول ما قاله الخفاجي اللهم
اجعلنا من تمسك بعروته الوثقى واهتدى بهداه حتى لا يضل ولا يشقى ببركة من أنزل
عليه صلى الله عليه وآله وسلم ثم أقول يا بركة النبي تعالى وانزلى ثم لا ترتحل

* (سورة ابراهيم عليه السلام) *

هى مكية قاله ابن عباس والزبير والحسن وعكرمة وجابر بن زيد وقتادة الايتين منها
وقيل الاثلاث آيات نزلت في الذين حاربوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهى قوله ألم
ترالى الذين بدلوا نعمة الله كفرا الى قوله فان مصيركم الى النار وعن ابن عباس قال هى
مكية سوى آيتين منها نزلت فى قلبى بدر من المشركين وهى اثنتان وخمسون آية
* (بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر) قد تقدم الكلام فى امثال هذا وبيان قول من قال انه متشابه وبيان قول من قال

موسى عليه السلام من الحق المبين بزخارف السحرة والمشعبدين فانعكس عليه النظام ولم يحصل له ذلك
المرام وظهرت البراهين الالهية فى ذلك المحفل العام وألقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون فظن
فرعون ان ينتصر بالسحار على رسول عالم الاسرار فخاب وخسر الجنة واستوجب النار وقال فرعون ائتموني بكل ساحر علم
فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون وانما قال لهم ذلك لانهم لما اصطفوا وقد وعدوا من فرعون بالتقريب والعتاء
الجزيل قالوا يا موسى اما أن تلقى واما أن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا فأراد موسى ان تكون البسادة منهم ليرى الناس

ما صنعوا ثم يأتي بالحق بعده فدمغ باطلهم ولهذا ما ألقوا سحرهم وأعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم فأوحس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف أنك أنت الأعلى وألقى ما في يمينك تلقف ما صنعوا كما سحر ولا يفلح الساحر حيث أتى فعند ذلك قال موسى لما ألقوا ما جئتم به السحر إن الله سيضلنهم الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله بكلماته ولو كره المجرمون وقال ابن أبي الدنيا حدثنا محمد بن عمار بن الحرث حدثنا عبد الرحمن يعني الدمشقي أخذ بن أبي جعفر الرازي عن ليث وهو ابن أبي سليم قال بلغني أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر (١٣١) بإذن الله تعالى تقرأ في أنافه ماء ثم يصب على رأس

المسحور الآية التي من سورة يونس المسحور الآية التي من سورة يونس فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيضلنهم الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله بكلماته ولو كره المجرمون والآية الأخرى فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون إلى آخر أربع آيات وقوله انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى رواه ابن أبي حاتم (فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم ان يفتنهم وان فرعون لعال في الأرض وانهم من المسرفين) يخبر تعالى انه لم يؤمن مع موسى عليه السلام مع ما جاء به من الآيات البينات والحجج القاطعات والبراهين الساطعات الا قليل من قوم فرعون من الذرية وهم الشباب على وجل وخوف منه وملئهم ان يردوهم الى ما كانوا عليه من الكفر لان فرعون لعنه الله كان جبارا عنيدا مسرفا في التمرد والعنق وكانت له سطوة ومهابة تخاف رعيته منه خوفا شديدا قال العوفي عن ابن عباس فما آمن لموسى

انه غير متشابه (كتاب) خبر مبتدأ محذوف اي هذا القرآن (أنزلناه اليك) يا محمد (لتخرج الناس) بدعائك اياهم الى اتباع ما تضمنه الكتاب من التوحيد وغيره واللام في تخرج للعرض والغاية والتعريف في الناس للجنس والمعنى انه صلى الله عليه وآله وسلم يخرج الناس بالكتاب المشتمل على ما شرعه الله لهم من الشرائع مما كانوا فيه من الظلمات) أي من ظلمات الكفر والجهل والاضلالة (الى) ماصاروا اليه من (النور) أي نور الايمان والعلوم والهداية قال الرازي فيه دليل على ان طريق الكفر والبدعة كثيرة وطريق الحق ليس الا واحد الا انه عبر عنها بالظلمات وهي صيغة جمع وعبر عن الحق بالنور وهو لفظ مفرد جعل الكفر بمنزلة الظلمات والايمان بمنزلة النور على طريق الاستعارة وقيل ان الظلمة مستعارة للبدعة والنور مستعار للسنة وقيل من الشك الى اليقين والامان من ارادة جميع هذه الامور وأسند الفعل الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم لانه الداعي والهادي والمنذر (باذن ربهم) أي بامرهم وعلمهم وتيسيره وتسهيله قال الزجاج أي بما أذن لك من تعليمهم ودعائهم الى الايمان (الى صراط العزيز الحميد) بدل من قوله الى النور بتكرير العامل كما يقع مثله كثيرا أي لتخرج الناس من الظلمات الى صراط العزيز الحميد وهو طريق الله الواضحة التي شرعها الله لعباده وأمرهم بالمصير اليها والدخول فيها ويجوز ان يكون مستأنفا كأنه قيل ما هذا النور الذي أخرجهم اليه فقيل صراط العزيز الحميد لانه نور في نفسه طريق للخلافة في الجنة المؤبد وازداده الصراط الى الله تعالى لانه المظهر له وأفهم بتخصيص الوصفين انه لا يرسل سالكة ولا يخيب قاصده والعزيز هو القادر الغالب الغني عن جميع الحاجات والحميد هو الكامل في استحقاق الحمد (الله الذي له ما في السموات وما في الأرض) قرأ الجمهور بالجر على انه عطف بيان لكونه من الاعلام الغالبة فلا يصح وصف ما قبله به لان العلم لا يوصف به وقيل يجوز ان يوصف به من حيث المعنى وقرأ نافع وابن عامر بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف أي هو الله المتصف بما فيه ما خلقوا وملكوا وعبيدوا وكان يعقوب اذا وقف على الحميد رفع واذا وصل خفض قال ابن الانباري من خفض وقف على وما في الأرض ثم نوء من لا يعترف بربوبيته فقال (وويل للكافرين من عذاب شديد) معد لهم في الآخرة وقد تقدم بيان معنى الويل

الاذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم ان يفتنهم قال فان الذرية التي آمنت لموسى من اناس غير بني اسرائيل من قوم فرعون يسير منهم امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون وخازن فرعون وامرأة خازنه وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله فما آمن لموسى الا ذرية من قومه يقول بنو اسرائيل وعن ابن عباس والضحاك وقتادة الذرية القليل وقال مجاهد في قوله الا ذرية من قومه قال هم اولاد الذين ارسل اليهم موسى من طول الزمان ومات آباؤهم واختار ابن جرير قول مجاهد في الذرية انها من بني اسرائيل لان قوم فرعون لهود الضمير على اقرب المذكورين وفي هذا نظر لانه أراد بالذرية الاحداث والشباب

وانهم من بني اسرائيل فالمعروف ان بني اسرائيل كلهم آمنوا بموسى عليه السلام واستبشروا به وقد كانوا يعرفون نعمته وصفته
 والبشارة به من كتبهم المتقدمة وان الله تعالى سينقذهم به من أسر فرعون ويظهرهم عليه ولهذا المبلغ هذا فرعون حذر كل الحذر
 فلم يجد عنه شيئا ولما جاءهم موسى آذاهم فرعون أشد الأذى وقالوا أؤذي ناسا من قبل أن تأتي نار من بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن
 يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون وإذا تقرر هذا فكيف يكون المراد الأذرية من قوم موسى وهم
 بنو اسرائيل على خوف من فرعون وملئهم (١٣٢) أي واشراق قومه أن يفنهم ولم يكن في بني اسرائيل من يخاف منه أن

يفتن عن الايمان سوى قارون
 فانه كان من قوم موسى فسبحي
 عليهم لكنه كان طاويا الى فرعون
 متصلا به متعلقا بحباله ومن قال
 ان الضمير في قوله وملئهم عائدا الى
 فرعون وعظام الملك من أجل
 اتباعه او بجدف آل فرعون واقامة
 المضاف اليه مقامه فقد أبدعوا
 كان ابن جرير قد حكاها عن
 بعض النحاة وعما يدل على انه لم
 يكن في بني اسرائيل الامؤمن
 قوله تعالى (وقال موسى يا قوم
 ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا
 ان كنتم مسلمين فقالوا على الله
 توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم
 الظالمين ونجنا برحمتك من القوم
 الكافرين) يقول تعالى مخبرا
 عن موسى انه قال لبني اسرائيل
 يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه
 توكلوا ان كنتم مسلمين أي فان
 الله كاف من توكل عليه أليس
 الله بكاف عبده ومن يتوكل على
 الله فهو حسبه وكثيرا ما يقرن الله
 تعالى بين العبادة والتوكل كقوله
 تعالى فأعبده وتوكل عليه قل هو
 الرحمن أمانه وعليه توكلنا رب

وأصله **النصب** كسائر المصادر ثم رفع للدلالة على الثبات قال الزجاج هي كلمة تقال
 للذئاب والهلكة فدعا سبحانه وتعالى بذلك على من لم يخرج من الكفار به داية رسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم بما نزل الله عليه مما هو فيه من ظلمات الكفر الى نور الايمان قيل
 والويل هو تقيض لوال أي النجاة وقيل الويل وادفي جهنم ومن سيانية وقيل الويل
 بمعنى التأوهن والتعدية أي يولولون وبضخون من العذاب الشديد الذي صاروا فيه قائلين
 يا ويله ثم وصف هؤلاء الكفار بقوله (الذين يستحبون الحياة الدنيا) أي يورثونها
 نجبتهم لها (على الآخرة) الدائمة والنعيم الابدی (وبصدون) أي يصرفون الناس
 (عن سبيل الله) أي عر دينه الذي شرعه لعباده (ويغوونها) أي السبيل (عوجا)
 أي يطلبون لها زبعا وميلا وعدولا وانحرافا عن الحق لموافقة أهوائهم وقضاء حاجاتهم
 واغراضهم وقيل الهاء راجعة الى الدنيا أي يطلبونها على سبيل الميل عن الحق والميل الى
 الحرام والعوج بكسر العين في المعاني وبفتحها في الايمان وقد سبق تحقيقه واجتماع
 هذه احوال نهاية الضلال ولهذا وصف صلاتهم بالبعد عن الحق فقال (أولئك) يعني
 من هذه صفتهم (في ضلال بعيد) عن طريق الحق أي بالغ في ذلك غاية الغايات القاصية
 أو ذى بعد أو فيه بعد لأن الضال قد يضل ويبعد عن الطريق مكانا قريباً وقد يضل بعيدا
 والبعيد ان كان من صفة الضال لكنه يجوز وصف الضلال به مجازا القصد المبالغة كجد
 جده وداهية دهيا ثم لما من على المكلفين بانزال الكتاب وارسال الرسول ذكر من كمال تلك
 النعمة ان ذلك المرسل بلسان قومه فقال (وما أرسلنا من رسول الا) متلبسا (بلسان
 قومه) متكلما بلغتهم لانه اذا كان كذلك فهم عنه المرسل اليهم ما يقوله لهم ويدعوهم
 اليه وسهل عليهم ذلك بخلاف ما لو كان بلسان غيرهم فانهم لا يدرون ما يقول ولا يفهمون
 ما يخاطبهم به حتى يتعلموا ذلك اللسان دهر اطويلا ومع ذلك فلا بد أن يصعب عليهم فهم
 ذلك بعض صعوبة وهذا علل سبحانه ما امتن به على العباد بقوله (ليسين) أي ليوضح
 لهم) ما أمرهم الله به من الشريعة التي شرعها لهم ووحى اللسان لان المراد بها اللغة
 عن ابن عباس ان الله فضل محمدا على أهل السماء وعلى الانبياء قبله فضلا على أهل
 السماء قال ان الله قال لأهل السماء ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك شجر به جهنم
 وقال لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فكتب له براءة

المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذوه كيدا وأمر الله تعالى المؤمنين ان يقولوا في كل صلواتهم مرات متعددة
 من
 اياك نعبد واياك نستعين وقد امتثل بنو اسرائيل ذلك فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين أي لا تنظرهم
 بنا وتسلطهم علينا فيظنوا انهم اغما سلطوا لانهم على الحق وتحن على الباطل فيفتنونوا بذلك هكذا روى عن أبي مجلز وأبي الضحى
 وقال ابن أبي نجيح وغيره عن مجاهد لا تعذبنا يا بدي آل فرعون ولا بعداب من عندك فيقول قوم فرعون لو كانوا على حق ما عذبوا
 ولا سلطنا عليهم فيفتنوننا وقال عبد الرزاق أنبأنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين

لاتسلطهم علينا فيقمنونا وقوله ونجنا أي خلاصنا برحمة منك واحسان من القوم الكافرين أي الذين كفروا بالحق وستروه
ونحن قد آمننا بك وتوكلنا عليك (وأوحينا إلى موسى وأخيه أن يتوآ القوم كما يصرونا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة
وبشر المؤمنين) يذكر تعالى سبب انجائه بني اسرائيل من فرعون وقومه وكيفية خلاصهم منهم وذلك ان الله تعالى
أمر موسى وأخاه هرون عليهما السلام ان يتبوآ أي يتخذوا القومها بمصر بيوتنا واختلاف المنسرون في معنى قوله تعالى واجعلوا
بيوتكم قبلة فقال الثوري وغيره عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس (١٣٣) واجعلوا بيوتكم قبلة قال أمر وان

يتخذوها مساجد وقال الثوري
أيضا عن ابن منصور عن ابراهيم
واجعلوا بيوتكم قبلة قال كانوا
خائفين فأمروا ان يصلوا في بيوتهم
وكذا قال مجاهد وأبو مالك
والربيع بن أنس والبخاري وعبد
الرحمن بن زيد بن أسلم وأبو زيد
ابن أسلم وكان هذا والله أعلم لما
اشتبهم البلاء من قبل فرعون
وقومه وضيقوا عليهم أمر وا
بكثر الصلاة كقوله تعالى يا أيها
الذين آمنوا استعينوا بالصبر
والصلاة في الحديث كان رسول

الله صلى الله عليه وسلم اذا حز به
أمر صلى أخرجه أبو داود ولهذا
قال تعالى في هذه الآية واجعلوا
بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة
وبشر المؤمنين أي بالثواب والنصر
القريب وقال العوفي عن ابن
عباس في تفسير هذه الآية قال
قالت بنو اسرائيل لموسى عليه
السلام لا نستطيع ان نظهر صلاتنا
مع الفراعنة فأذن الله تعالى لهم
ان يصلوا في بيوتهم وأمروا ان
يجعلوا بيوتهم قبل القبلة وقال
مجاهد واجعلوا بيوتكم قبلة قال

من النار قيل فافضله على الانبياء قال ان الله يقول وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه
وقال محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما أرسلنا الا كافة للناس فأرسله الى الانس والجن
وقال عثمان بن عفان نزل القرآن بلسان قريش وعن مجاهد مثله وقد قيل في هذه الآية
اشكال لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أرسل الى الناس جميعا بل الى الجن والانس
ولغاتهم متباينة وألسنتهم مختلفة وأجيب بأنه صلى الله عليه وآله وسلم وان كان مرسله الى
الثقلين كما مر لكن لما كان قومه العرب وكانوا أخص به وأقرب اليه كان إرساله بلسانهم
أولى من إرساله بلسان غيرهم وهم يبينونه لمن كان على غير لسانهم ويوضحونه حتى يصير
فاهمه كفههم اياه ولو نزل القرآن بجميع لغات من أرسل اليهم وبينه رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم لكل قوم بلسانه لكان ذلك مظنة للاختلاف وفتح الباب للتنازع
لأن كل أمة قد تدعى من المعاني في لسانها ما لا يعرفه غيرها وربما كان ذلك أيضا مفضيا
الى التحريف والتخصيف بسبب الدعاوى الباطلة التي يقع فيها المتعصبون قال في الجمل
والاولى ان يحمل القوم على من أرسل اليهم الرسول أيا كان وهم بالنسبة لغير سيدنا محمد
خصوص عشيرة رسولهم وبالنسبة اليه كل من أرسل اليه من سائر القبائل وأصناف
الخلق وهو صلى الله عليه وآله وسلم كان يخاطب كل قوم بلغتهم وان لم يثبت انه تكلم
باللغة التركية لانه لم يتفق انه خاطب أحدا من أهلها ولو خاطبه لكلمه بها تأمل انتهى
(فيصل الله من يشاء) اضلاله فيه التفات عن التكلم الى الغيبة (ويهدى من يشاء)
هدايتيه والجملة متأنفة قال الفراء اذا ذكر فعل وبعده فعل آخر فان لم يكن النسق مشا كلا
للاول فالرفع على الاستئناف هو الوجه يعني لا يجوز نصبه عطفا على ما قبله لان المعطوف
كالمعطوف عليه في المعنى والرسل أرسلت للبيان لا للاضلال وقال الزجاج لو قرئ بنصبه
على ان اللام لام العاقبة جاز والمعنى على الاول وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه لبيان
لهم تلك الشرائع باللغة التي أفقوها وفهموها ومع ذلك فان المضل والهادى هو الله عز
وجل والبيان لا يوجب حصول هداية الا اذا جعله الله سبحانه واسطة وسببا وتقديم
الاضلال على الهداية لانه متقدم عليها اذ هو ابقاء على الاصل والهداية انشاء ما لم يكن
(وهو العزيز) الذي لا يغالبه مغالب في ملكه (الحكيم) الذي تجرى أفعاله على
مقتضى الحكمة في صنعه ثم لما بين ان المقصود من بعثة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم هو

لما خاف بنو اسرائيل من فرعون ان يقتلوا في الكائن الجماعة أمروا ان يجعلوا بيوتهم مساجد مستقبلة للكعبة يصلون
فيها سرا وكذا قال قتادة والبخاري وقال سعيد بن جبيرة واجعلوا بيوتكم قبلة أي يقابل بعضها بعضا (وقال موسى ربنا انك آتيت
فرعون وملائسته وأموالنا في الحياة الدنيا ربنا لضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على قلوبهم فلا يؤمنوا
حتى يروا العذاب الاليم قال قد أجبت دعوتكم كما فاستقيموا ولا تتبععان سبيل الذين لا يعلمون) هذا اخبار من الله تعالى عما
دعا به موسى عليه السلام على فرعون وملائته لما أبوا قبول الحق واستمروا على ضلالهم وكفروهم معاندين جاحدين ظلما وعلاوا

وتكبروا وعتوا قال ربنا انك آتيت فرعون وملائه زينة اى من اناث الدنيا ومتاعها واما الال اى جزيلة كثيرة في هذه الحياة الدنيا ربنا الضالوا عن سبيلك بفتح الباء اى اعطيتهم ذلك وانت تعلم انهم لم لا يؤمنون بما ارسلتني به اليهم اس- تدرا جامنك لهم- كقوله تعالى لنفنتهم- فيه وقرأ آخرون ليض- لوباضم الياء ليفتنن بما اعطيتهم من شئت من خلقك ليظن من اغويته انك انما اعطيتهم هذا الحبيب اياهم واعتنائك بهم- ربنا اطمس على اموالهم- قال ابن عباس ومجاشع اى اهلكها وقال الضحاك وابو العالدية والربيع بن انس (١٣٤) جعلها الله حجارة منقوشة كهيئة ما كانت وقال قتادة

بلغنا ان زروعهم تحولت حجارة وقال محمد بن كعب القرظي جعل سكرهم حجارة وقال ابن ابي حاتم حدثنا اسمعيل بن ابي الحرث حدثنا يحيى بن ابي بكير عن ابي معشر حدثني محمد بن قيس ان محمد بن كعب قرأ سورة يونس على عمر بن عبد العزيز وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملائه زينة واما الال في الحياة الدنيا الى قوله ربنا اطمس على اموالهم الاية فقال عمر اياها جزء اى شىء اطمس قال عادت اموالهم كلها حجارة فقال عمر بن عبد العزيز لغللام له ائتني بكيس فاذا فيه حصص وبيض قد قطع قد تحول حجارة وقوله واشدد على قلوبهم قال ابن عباس اى اطبع عليها فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم وهذه الدعوة كانت من موسى عليه السلام غضب الله ولدينه على فرعون وملائه الذي تبين له انه لا خير فيهم ولا يحيى منهم شىء كما دعاه على الام فقال رب لا تذر على الارض من الكافر دينار انك ان تذرهم

اخراج الناس من الظلمات الى النور اراد ان يبين ان الغرض من ارسال الانبياء لم يكن الا ذلك وخص موسى بالذكور لان امة اكثر الامم المتقدمة على هذه الامة المحمدية فقال (ولقد ارسلنا موسى) متلبسا (باياتنا) التسع الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والعصاويد والسنين ونقص من الثمرات فانه مجاهد وعطاء وعبيد ابن عمير (ان اخرج قومك من الظلمات الى النور) المعنى قلنا لموسى اخرج لان الارسال فيه معنى القول او بان اخرج بنى اسرائيل بعد ملك فرعون من الكفر والجهل الذي قالوا بسببه اجعل لنا الها كالهة الى الايمان والعلم (وذكرهم بايام الله) اى بوقائعه قال ابن السكيت العرب تقول الايام فى معنى الوقائع يقال فلان عالم بايام العرب اى بوقائعهما وقال الزجاج نعم الله عليهم وبنقهم ايام الله التى اتهم فيها من قوم نوح وعاد وثور والمعنى عظمهم بالترغيب والترهيب والوعود والوعيد واخرج النساءى والبيهقى وغيرهما عن ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ذكروهم بنعم الله وآلائه وبه قال ابن عباس وقال الربيع بوقائع فى القرون الاولى ويتبرح تفسير ايام الله ببلائه ونعمه وفى تفسير ابن جرير بايام الله اى بانواع عقوباته الفاضلة ونعمه الباطنة التى افاضها على القرون السالفة واللاحقة فمن اخط علمه بذلك عظم خوفه وفى القاموس وايام الله نعمه ويوم اى يوم شديد واخر يوم فى الشهر وفى المختار ورر بما عبروا عن الشدة باليوم (ان فى ذلك) التذكير بايام الله اى فى نفس ايام الله (لايات) اى لدلالات عظيمة دالة على التوحيد وكمال القدرة (لكل صبار) كثير الصبر على المحن والمنح (شكور) كثير الشكر للنعم التى انعم الله بها عليه لانه اذا سمع بما نزل على من قبله من البلاء وافيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل المراد بذلك كل مؤمن وعبر عنه بالوصفين لانهم ماملوك الايمان وعنوان المؤمن وقدم الصبار على الشكور لكون الشكر عاقبة الصبر قال قتادة فى الاية نعم العبد اذا ابته صبر واذا اعطى شكروا واما خص الصبار والشكور وان كان فيها عبرة للكافة لانهم المستفوعون بها دون غيرهم (واذ قال موسى) اى اذ كروقت قول موسى (لقومه) والمعنى اذ كرىا محمد لقومك ما ذكر لعلمهم بعتبرون (اذ كروا نعمة الله) اى انعامه (عليكم اذ انجاكم) اى وقت انجائه لكم (من آل فرعون بسوء منكم) اى ييغونكم يقال

يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا اوله- هذا استجاب الله تعالى لموسى عليه السلام فيهم هذه سامه الدعوة التى آمن عليها اخوه هارون فقال تعالى قد اجيب دعوتك قال ابو العالدية وابوصالح وعكرمة ومحمد بن كعب القرظي والربيع بن انس دعا موسى وامن هرون اى قد اجبنا كما فيما لتامن تدمير آل فرعون وقد يفتح بهم- هذه الاية من يقول ان يؤمن المؤمن على قراءة الفاتحة ينزل منزلة قراءتها لان موسى دعا هارون امن وقال تعالى قد اجيب دعوتك فاستقم اى على امرى قال ابن جرير يعجب عن ابن عباس فاستقم افاضيا لامرى وهى الاستقامة قال ابن جرير يعجبونك ان فرعون مكث

بعده هذه الدعوة أربعين سنة وقال محمد بن كعب وعلى بن الحسين أربعين يوماً (وجاوزنا بني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فالיום نخيك بيدك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا الغافلون) يذكر تعالى كيفية اغراق فرعون وجنوده فان بني إسرائيل لما خرجوا من مصر صحبة موسى عليه السلام وهم في قارب ستمائة ألف مقاتل سوى الذرية وقد كانوا استعاروا من القبط حليما كثيرا فخرجوا به (١٣٥) معهم فاشتد حق فرعون عليهم فأرسل في المسدات طائرين يجتمعون له

جنوده من أقاليمه فركب وراءهم في أمهة عظيمة وجيوش هائلة لما يريد الله تعالى بهم ولم يتخلف عنه أحد ممن له دولة وسلطان في سائر مملكته فلحقوههم وقت شروق الشمس فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى اننا لم ندر كون وذلك انهم انتهوا الى ساحل البحر وفرعون وراءهم ولم يبق الا ان يتقاتل الجمعان وألح أصحاب موسى عليه السلام عليه في السؤال كيف المخلص ممن نحن فيه فيقول اني أمرت ان أسلك ههنا كلان معي ربي سيهدين فعند ما ضاق الامر اتسع فأمره الله تعالى ان يضرب البحر بعصاه فضربه فانفلق البحر فكان كل فرق كالطود العظيم أي كالجبل العظيم وصار اثني عشر طر يقال لكل سبط واحد وأمر الله الربيع فنشفت أرضه فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركاً ولا تخشى ونحرق الماء بين الطرق كهيمة الشياطين ليري كل قوم الآخرة ثلاثا يظنوا أنهم هلكوا وجاوزت بنو إسرائيل

سامه ظلما أي أولاده ظلما وأصل السوم الذهب في طلب الشيء (سوء العذاب) مصدر ساء يسوء والمراد جنس العذاب السيئ وهو استعبادهم واستعمالهم في الاعمال الشاقة (ويذبحون أبناءكم) المولودين لقول بعض الكهنة ان مولودا يولد في بني إسرائيل يكون سبب ذهاب ملك فرعون وعطف يذبحون على يسومونكم سوء العذاب وان كان التذبيح من جنس سوء العذاب اخر اجاله عن مرتبة العذاب المعتاد حتى كأنه جنس آخر لمسا فيه من الشدة ومع طرح الواو كما في الآية الاخرى يكون التذبيح تفسير سوء العذاب (ويستحيون نساءكم) أي يتركونهن في الحياة لاهانتهم واذلالهن ولذلك عد من جملة البلاء وزاد الكرخي كانوا يستخذمونهن بالاستعباد ويفردونهن عن الأزواج وذلك من أعظم المضار (وفي ذلكم) أي في انجائكم أو في أفعالهم المذكورة (بلاء) أي ابتلاء لكم بالتعزم أو بالعذاب فالتعالى يجتبر عباده تارة بالنعم وتارة بالشدائد كما قال وبلوناهم بالחסنات والسيئات اعلمهم برجعون (من ربكم عظيم) وقد تقدم تفسير هذه الآية في البقرة مستوفى (واذ تاذن) بمعنى اذن قاله الفراء قال في الكشف ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في أفعل كأنه قيل واذا أذن (ربكم) ايذا نابذ غائتني عنده الشكوك وتنزاح الشبهة والمعنى واذا تاذن ربكم فقال لئن شكرتم وأجرى تاذن مجرى قال لانه ضرب من القول انتهى وهذا من قول موسى لقومه أي واذا كروا حين تاذن ربكم وقيل هو من قول الله سبحانه أي اذ كرايتم اذ تاذن ربكم وقرئ واذا قال ربكم والمعنى واحد كما تقدم واللام في (لئن شكرتم) هي الموطئة للقسم والخطاب لبني إسرائيل وقوله (لا يزيدنكم) ساد مسد جوابي الشرط والقسم والمعنى لئن شكرتم انعمي عليكم بما ذكر وما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالايمان الخالص والعمل الصالح لا يزيدنكم نعمة الى نعمة تفضلا مني وقيل من طاعتى قاله الحسن وقيل من الثواب والاول أظهر فالشكر سبب المزيد قال الربيع أخبرهم موسى عن ربه انهم ان شكروا النعمة زادهم من فضله وأوسع لهم من الرزق وأظهرهم على العالم وقال سفيان الثوري في الآية لا تذهب أنفسكم الى الدنيا فانها أهون عند الله من ذلك ولكن يقول لئن شكرتم لا يزيدنكم من طاعتى (ولئن كفرتم ان عذابي لشديد) لمن كفر نعمتي فلا بد ان يصيبكم منه ما يصيب وهو ساد مسد الجوابين أيضا وقيل الجواب محذوف أي ولئن

البحر فلما خرج آخرهم منه انتهى فرعون وجنوده الى حافته من الناحية الاخرى وهو في مائة ألف أدهم سوى بقية اللوان فلما رأى ذلك حاله وأحجم وهاب وهم بالرجوع وهيهات ولات حين مناص نفذ القدر واستجيب الدعوة وجاء جبريل عليه السلام على فرس وديق حائل فخر الى جانب حصان فرعون فمخم اليها واقتم جبريل البحر فاقتم الحصان وراءهم ولم يبق فرعون يملك من نفسه شيئا فجلد لأمرائه وقال لهم ليس بنو إسرائيل بأحق بالبحر منا فاقتموهما كلهم عن آخرهم وميكائيل في ساقهم لا يترك منهم أحدا الا ألحقهم فلما استوسقوا فيه وتكاملوا وهم أولهم بالخروج منه أمر الله القدير البحر ان ينظم عليهم فارتطم عليهم فلم ينج منهم أحد

وجعلت الامواج ترفعهم وتخضعهم وتراكت الامواج فوق فرعون وغشيته سكرات الموت فقال وهو كذلك آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل واثامن المسلمين فآمن حيث لا ينفعه الايمان فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرا بما كانه مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لمأرا واثامننا سنة الله التي قد دخلت في عباده وخسر هنالك الكافرون وهكذا قال الله تعالى في جواب فرعون حين قال ما قال آلا آن وقد عصيت قبل أي أهدأ الوقت تقول وقد عصيت الله قبل هذا فيما بينك وبينه وكنت من المفسدين أي في الارض الذين أضلوا الناس (١٣٦) وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون وهذا الذي

حكى الله تعالى عن فرعون من قوله هذا في حاله ذلك من أسرار الغيب التي أعلم الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال فرعون آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل قال قال لي جبريل لورايتي وقد أخذت من حال البحر فدسسته في فيه مخافة ان تناله الرحمة ورواه الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم في تناسيرهم من حديث حماد بن سلمة وقال الترمذي حديث حسن وقال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن عدي بن ثابت وعطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي جبريل لورايتي وأنا آخذ من حال البحر فأدسه في فم فرعون مخافة أن تدركه الرحمة وقد رواه أبو عيسى الترمذي أيضا وابن جرير أيضا من غير وجه عن شعبة به فذكره وقال الترمذي

كفرتم ذلك وحمدوه لآعذب بنكم دل عليه ان عذابي اشد وبأعذابنا حذف هنا وصرح به في جانب الوعد لان من عادة الكرام التصريح بالوعد والتعريض بالوعد فما ظنك يا كرم الاكرمي (وقال موسى ان تكفروا أنتم ومن في الارض جميعا) أي وجميع الخلق من الثقلين نعمته تعالى ولم تشكروا وها وجواب الشرط محذوف أي فما أضرتكم بالكفر الا أنفسكم حيث حرمتوهما من مزيد الانعام وعرضتوهما للعذاب الشديد (فان الله سبحانه لغني) عن شكركم لا يحتاج اليه ولا يلحقه بذلك نقص (حميد) أي مستوجب للحمد لذاته لكثرة انعامه وان لم تشكروا أو يحمدوه غيركم من الملائكة وتنطق بنعمه ذرات الكائنات ولعله عليه السلام انما قال هذا عند ما عين منهم دلائل العناد ومخائل الاصرار على الكفر والفساد وتيقن انه لا ينفعهم الترفع ولا التعريض بالترهيب، أخرج البخاري في تاريخه والاضياء في المختارة عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ألهم خمسة لم يحرم خمسة وفيها من ألهم الشكر لم يحرم الزيادة وعن أبي هريرة مرفوعا من أعطى الشكر لم يمنع الزيادة أخرجه الحكيم الترمذي في النوادر ولا وجه لتقسيد الزيادة بالزيادة في الطاعة بل الظاهر من الآية العموم كما يفيد جعل الزيادة جزاء الشكر فمن شكر الله على ما رزقه وسع الله عليه في رزقه ومن شكر الله على ما أقره عليه من طاعته زاد من طاعته ومن شكره على ما أنعم عليه من الصحة زاده الله صحة الى غير ذلك (ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم) استفهام تقرير يحتمل ان يكون هذا خطابا من موسى لقومه فيكون داخل تحت التذكير بآيات الله ويحتمل أن يكون من كلام الله سبحانه ابتداء خطابا بالقوم موسى وتذكيرهم بالقرون الاولى واخبارهم بحجج ورسول الله اليهم ويحتمل انه ابتداء خطاب من الله تعالى لقوم محمد صلى الله عليه وآله وسلم تحذيرا لهم عن مخالفتهم والسبأ الخبير والجمع الانبياء (قوم نوح وعاد وثمود) بدل من الموصول أو عطف بيان (والذين من بعدهم) أي من بعدهم لآأم الماضية الثلاثة (لا يعلمهم) أي لا يحصى عددهم ومقاديرهم ولا يحيط بهم علما (الا الله) سبحانه والجملة معترضة وعدم العلم من غير الله امان يكون راجعا الى صفاتهم وأحوالهم وأخلاقهم ومدد أعمارهم أي هذه الامور لا يعلمها الا الله ولا يعلمها غيره أو يكون راجعا الى ذاتهم أي انه لا يعلم ذوات أولئك الذين من بعدهم الا الله سبحانه ولم يبلغنا خبرهم أصلا وعن ابن

حسن غريب صحيح ووقع في رواية عند ابن جرير عن محمد بن المثني عن غندر عن شعبة عن عطاء مسعود وعدي عن سعيد عن ابن عباس رفعه أحدهما وكان الآخر لم يرفع فآله أعلم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد الأحمر عن عمر بن عبد الله بن يعلى السقيني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما غرق الله فرعون أشار بأصبعه ورفع صوته آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل قال فخاف جبريل ان تسبق رجة الله فيه غضبه فجعل يأخذ الحبال بينما حسه فيضرب به وجهه فيرمسه وكذا رواه ابن جرير عن سفیان بن وكيع عن ابن أبي خالد به موقوفا وقدرى من

حدثت أبي هريرة أيضا فقال ابن جرير حدثنا ابن جريح حدثنا حكام عن عبيدة عن كثير بن زاذان عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي جبريل يا محمد لو رأيتني وأنا أعطه وأدس من الخال في فيه تخافة ان تدرك رجما لله فيغفر له يعني فرعون كثير بن زاذان هذا قال ابن معين لا يعرفه وقال أبو زرعة وأبو حاتم مجهول وباقي رجاله ثقات وقد أرسل هذا الحديث جماعة من السلف قتادة وابراهيم التيمي وميمون بن مهران ونقل عن الضحاك بن قيس انه خطب بهذا الناس فالثاء أعلم وقوله فاليوم نجيكم بيدك لتكون لمن خلفك آية (١٣٧) قال ابن عباس وغيره من السلف ان بعض

بنو اسرائيل شكوا في موت فرعون فأمر الله تعالى الجبرئيل بقلبه مجسده سويا بالروح وعليه درعه المعروفة على نجوة من الارض وهو المكان المرتفع ليحققه وهو موتة وهلاكه ولهذا قال تعالى فاليوم نجيكم أي نرفعك على نشر من الارض بيدك قال مجاهد بجسدك وقال الحسن بجسم لاروح فيه وقال عبد الله ابن شداد سويا صحيفا أي لم يتمزق ليحققوه ويعرفوه وقال أبو صخر بدرعك وكل هذه الاقوال لامنافة بينها كما تقدم والله أعلم وقوله لتكون لمن خلفك آية أي لتكون لبي اسرائيل دليله على موتك وهلاكك وان الله هو القادر الذي ناصية كل دابة بيده وانه لا يقوم لغضبه شيء ولهذا قرأ بعضهم لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون أي لا يتعظون بها ولا يعتبرون بها وقد كان اهلا كههم يوم عاشوراء كما قال البخاري حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن

مسعود انه كان يقرأ والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله ويقول كذب النسايون وعن عمرو ابن ميمون مثله وعن أبي جازع قال قال رجل لعلي بن أبي طالب أنا أنسب الناس قال انك لا تنسب الناس فقال بلى فقال له علي آرايت قوله عاد او نمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا قال أنا أنسب ذلك الكثير قال آرايت قوله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله فسكت وعن عمرو بن الزبير قال ما وجدنا أحدا يعرف ما وراء معد بن عدنان وعن ابن عباس قال ما بين معدنان واسماعيل ثلاثون أبالا يعرفون (جاءتهم رسلكم بالبينات) أي المعجزات الظاهرة والدلالات الباهرة والشرائع الواضحة مستأنفة وهذا في المعنى تفسير لتبأ الذين من قبلهم (فردوا أيديهم) أي جعلوا أيدي أنفسهم (في أفواههم) ليعضوها غيظا لما جاءت به الرسل كافي قوله تعالى عضوا عليكم الأبال من الغيظ لان الرسل جاءتهم بتسفيهم أحلامهم وشتم أصنامهم وقيل ان المعنى انهم أشاروا بأصابعهم الى أفواههم لما جاءتهم الرسل بالبينات أي اسكتوا واتركوا هذا الذي جئتم به تكذبا لهم وردا لقولهم وقيل المعنى انهم أشاروا الى ألسنتهم وما يصدر عنها من قوله أنا أكثرنا بما أرسلتم به أي لاجواب لكم سوى هذا الذي قلناه لكم بالنسنا هذه قيل وضعوا أيديهم على أفواههم استهزاء وتجبجا كما يفعل من غلبه الضحك من وضع يده على فيه وقيل المعنى ردوا على الرسل قولهم وكذبوهم بأفواههم فالضمير الاول للرسل والثاني للكنار وقيل جعلوا أيديهم في أفواه الرسل رد القولهم فالضمير الاول على هذا للكنار والثاني للرسل وقيل معناها أمموا الى الرسل أن اسكتوا وقيل أخذوا أيدي الرسل ووضعوها على أفواه الرسل ليسكتوهم ويقطعوا كلامهم والمراد بهم على هذا هاتان الجارحتان المعلوماتان وقيل ان الأيدي هنا النعم أي ردوا عن الرسل بأفواههم أي بالنطق والتكذيب والمراد بالنعم هنا ما جاؤهم به من الشرائع وقال أبو عبيد لدة ونعم ما قال هو ضرب مثل أي لم يؤمنوا ولم يجيبوا والعرب تقول للرجل اذا أمسك عن الجواب وسكت قدر ريدته في فيه وهكذا قال الاخفش واعترض على ذلك القتيبي فقال لم يسمع أحد من العرب يقول ريدته في فيه اذا ترك ما أمر به وانما المعنى عضوا على الأيدي خنقا وغيظا وهذا هو القول الذي قدمناه على جميع هذه الاقوال وبه قال ابن مسعود وهو أقرب التفسير للاية ان لم يصح عن العرب ما ذكره الاخفش وأبو عبيدة فان صح ما ذكره فتفسير الآية به أقرب (وقالوا)

(١٨ فتح البيان خاص) جبر عن ابن عباس قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة واليهود تصوم يوم عاشوراء فقالوا هذا يوم ظهر فيه موسى على فرعون فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم لأصحابه أتم أحق موسى منهم فصوموه (ولقد بنوا بني اسرائيل مبوا صدق ورزقناهم من الطيبات فاختلّفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يرضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) يخبر تعالى عما أنعم به على بني اسرائيل من النعم الدينية والدنيوية وقوله مبوا صدق قيل هو بلاد مصر والشام مما يلي بيت المقدس ونواحيه فان الله تعالى لما أهلك فرعون وجنوده استقرت يد الدولة الموسوية على بلاد مصر بكالها كما قال الله

تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها وعتت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا ودرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون وقال في الآية الاخرى فاخرجناهم من جنات وعميون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بنى اسرائيل وقال كم تركوا من جنات وعميون الايات ولكن استمر وامع موسى عليه السلام طالبين الى بلاد بيت المقدس ببلاد الخليل عليه السلام وكان فيه قوم من العمالة فنسكل بنو اسرائيل عن قتالهم فشردهم الله تعالى في التيه اربعين سنة ومات فيه هرون (١٣٨) ثم موسى عليهما السلام وخر جوا بعدهما مع يوشع بن نون ففتح

الله عليهم بيت المقدس واستقرت ايديهم عليها الى ان اخذها منهم يختصر حينما من الدهر ثم عادت اليهم ثم اخذها ملوك اليونان وكانت تحت احكامهم مدة طويلة وبعث الله عيسى بن مريم عليه السلام في ثلاث المدة فاستعانت اليهود قبيحهم الله على معادة عيسى عليه السلام بملوك اليونان وكانت تحت احكامهم ووشوا عندهم وأوحوا اليهم ان هذا يفسد عليكم الرعايا فبعثوا من يقبض عليه فرفعه الله اليه وشبه لهم بعض الحوار بين بشيئة الله وقدره فاخذوه فصلموه واعتقدوا انه هو وماقتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكما ثم بعد المسيح عليه السلام نحو ثلثمائة سنة دخل قسطنطين أحد ملوك اليونان في دين النصرانية وكان فيلسوفا قبل ذلك فدخل في دين النصارى قبل تقيته وقيل حيلة ليفسده فوضعت له الاساقفة منهم قوانين وشرعية بدعوها وأحدثوها فبني لهم الكنائس والبسج الكبار

أى الكفار للرسول (انا كفرناحما أرسلتم به) من البيئات على زعمكم (وانا فى شك) عظيم (مما تدعوننا اليه) من الايمان بالله وحده وترك ما سواه (مرسب) أى موجب للريب يقال اربته اذا فعلت أمرا أو جبر ريبية وشكاً والريب قلق النفس وعدم سكونها وان لا تطمئن الى شئ وقد قيل كيف صرحوا بالكفر ثم بنوا أمرهم على الشك وأجيب بانهم أرادوا انا كافرون برسالتكم وان نزلنا عن هذا المقام فلا أقل من اننا شك في صحة نبوتكم ومع كمال الشك لا مطمع في الاعتراف بنبوتكم وقيل كانوا فرقتين احدهما جزمت بالكفر والاخرى شككت وقيل ان كفرهم بالمعجزات وشكهم في التوحيد فلا تخالف (قالت لرسولهم) جلة مستأنفة كأنه قيل فإذا قالت لهم الرسول فأجيب بانهم قالوا انهم كبرين عليهم ومتمسكين من مقالتهم الحقاء (أفى الله شك) والاستنهام للتقريع والتوبيخ والانكار أى أفى وحدانيتته سبحانه شك وهى في غاية الوضوح والجلالة ثم ان الرسل ذكروا بعد انكارهم على الكفار ما يؤكدهم ذلك الانكار من الشواهد الدالة على عدم الشك في وجوده سبحانه ووحدايته فقالوا (فاطر السموات والارض) أى خلقهم ما وخرت عنهم ما ومبدعهم ما وموجدهم ما وما فيهم ما بعد العدم (يدعوكم) الى الايمان به وتوحيده ما والى الايمان بارساله ايانا لا تأندعوكم اليه من تلقاء انفسنا كما لوهمه قولكم مما تدعوننا اليه (ليغفر لكم من ذنوبكم) أى لاجل غفران ذنوبكم اذا آمنتم وصدقتم أو اللام للتعدي كقولك دعوتك لزيد قال أبو عبيدة من صلة زائدة في الايجاب ووجه ذلك قوله في موضع آخر ان الله يغفر الذنوب جميعا وأجازه الاخفش وقال سيديويهى للتبعيض ويجوز أن يذكر البعض ويراد منه الجميع وقيل التبعيض على حقيقته ولا يلزم من غفران جميع الذنوب لامة محمد صلى الله عليه وآله وسلم غفران جميعها غيرهم وبهذه الآية احتج من جوز زيادة من فى الايات وجهور البصريين لا يجوزون زيادتها الا فى النقي اذا جرت نكرة ومن ثم جعلها بعضهم للبدل وقال ليست بزائدة ولا تبعيضية أى ليكون المغفرة لا من عقوبة الذنوب ويحتل ان يضمن يغفر معنى يخلص أى يخلصكم من ذنوبكم ويكون مقتضاه غفران جميع الذنوب وهو أولى من دعوى زيادتها (ويؤخركم) بلاعذاب (الى أجل) أى وقت (مسمى) عنده سبحانه وهو الموت فلا يذبكم فى الدنيا (قالوا ان) أى ما أنتم

والصغار والصوامع والهيما كل والمعابد والقلايات وانما شر دين النصرانية فى ذلك الزمان واشتهر على ما فيهم من الابدال وتغيير وتعريف ووضع وكذب ومخالفة لدين المسيح ولم يبق على دين المسيح على الحقيقة منهم الا القليل من الرهبان فاتخذوا لهم الصوامع فى البرارى والمهام والقفار واستحوذت يد النصارى على مملكة الشام والجزيرة وبلاد الروم وبنى هذا المذكور مدينة قسطنطينية واقامة بيت لحم وكنائس بيت المقدس ومدن حوران كبرى وغيرها من البلدان سأت هائله محكمة وعبدوا الصليب من حينئذ وصلوا الى الشرق وصوروا الكنائس وأحلوا لحم الخنزير وغير ذلك مما أحدثوه من الفروع فى دينهم

والاصول ووضووه الامانة الكبيرة الحقية التي يسمونها الكبيرة وصنفوا له القوانين و بسط هذا والغرض ان يدهم لم تزل على هذه البلاد الى ان اتزعجها منهم الصحابة رضى الله عنهم وكان فتح بيت المقدس على يدى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولله الحد والمنة وقوله ورزقتاهم من الطيبات أى الحلال من الرزق الطيب النافع المستطاب طبعوا وشرا وقوله فما اختلفوا حتى جاءهم العلم أى ما اختلفوا فى شئ من المسائل الامن بعدما جاءهم العلم أى ولم يكن لهم أن يختلفوا وقدين الله لهم وأزال عنهم اللبس وقد ورد فى الحديث أن اليهود اختلفوا على احدى وسبعين فرقة (١٣٩) وان النصرارى اختلفوا على اثنتين وسبعين فرقة

وستفرق هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة منها واحدة فى الجنة وثنتان وسبعون فى النار قيل من هم يارسول الله قال ما انا عليه وأصحابى رواه الحما كفى مستدركه بهذا اللفظ وهو فى السنن والمسائيد ولهذا قال الله تعالى ان ربك يقضى بينهم أى يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون (فان كنت فى شك مما أنزلنا لك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكون من المتحيزين ولا تكون من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ان الذين حققت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم) قال قتادة بن دعامة بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا أشك ولا أسأل وكذا قال ابن عباس وسعيد بن جبيرة والحسن البصرى وهذا فيه تثبيت للامة واعلام لهم ان صفة نبيهم صلى الله عليه وسلم موجودة فى الكتب المتقدمة التى بايدي أهل الكتاب

الابشر مثلنا) فى الهيئة والصورة تأكون وتشر بون كما ناكل ونشرب فلا فضل لكم علينا ولستم ملائكة (تريدون أن تصدونا) وصفوهم بالبشر أو لا ثم بارادة الصلحهم (عما كان بعد آتونا) أى أبأؤهم نائبا أى تريدون أن تصرفونا عن معبودات آباؤنا من الاصنام ونحوها (فأوتونا) ان كنتم صادقين بانكم مرسلون من عند الله (بسلطان مبين) أى حجة ظاهرة واضحة تدل على صحة ما ندعونه من المزية والنبوة وقد جاؤهم بالسلطان المبين والحجة الظاهرة ولكن هذا نوع من تعنتاتهم ولون من تلواناتهم (قالت لهم رسلكم) مسلمين مشاركتهم فى الجنس (ارننن الابشر مثلكم) أى فى الصورة والهيئة كما قلتم لا تشكر ذلك (ولكن الله يعين) ويتفضل (على من يشاء من عباده) بالنبوة والرسالة وقيل بالتوفيق والهداية جعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله تعالى وفيه دليل على ان النبوة أمر وهى لا كسبى كما يزعمه جهلة المتفلسفة والحكماء (وما كان) أى ما صح (لنا) ولا استقام (أن نأتىكم بسلطان) أى بحجة من الحجج وقيل المراد بالسلطان هنا هو ما يطلبه الكفار من الآيات على سبيل التعنت وقيل أعم من ذلك فان ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن (الاباذن الله) أى بعيشته وارادته وليس ذلك فى قدرتنا وقيل بامرنا بالآيات أى اذنه لنا فيه والاول أولى (وعلى الله) وحده (فليستوكل المؤمنون) فى دفع شرور أعدائهم عنهم وفى الصبر على معاداتهم وهذا أمر منهم لاهم ومؤمنين بالتوكل على الله دون من عداه وكان الرسل قصدا وهذا الأمر للمؤمنين الامر لهم أنفسهم قصدا وليا ولهذا قالوا (ومالنا) أى أى مانع وعذر لنا فى (أن لا نتوكل على الله) سبحانه فى دفع شروركم عنا فيه التفات عن الغيبة الى التكلم والاستفهام للانكار (وقد هدانا سبيلا) بضم الباء وسكونها سبعيتان أى والحال انه قد فعل بنا ما يوجب التوكل عليه ويستدعيه من هدايتنا الى الطريق الموصل الى رحمة وهو ما شرعه لعباده وأوجب عليهم سلكه وعرفنا طريق النجاة وبين لنا الرشيد وحيث كانت أذية الكفار مما يوجب القلق والاضطراب القادح فى التوكل قالوا على سبيل التوكيد القسمى مظهرين لكل العزيمة (و) الله (لنصبرن على ما آذيتونا) من وقوع التكذيب لنا منكم والعناد والاقترحات الباطنة وغير ذلك مما لا خير فيه وما مصدرية أو موصولة اسمية (وعلى الله) وحده دون من عداه (فليستوكل المتوكلون)

كما قال تعالى الذين يتبعون الرسول النبى الاسمى الذى يجذونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل الآية ثم مع هذا العلم الذى يعرفونه من كتبهم كما يعرفون أبناءهم يلبسون ذلك ويحرفونه ويبدلونه ولا يؤمنون به مع قيام الحجة عليهم ولهذا قال تعالى ان الذين حققت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم أى لا يؤمنون ايمانا يتفهمهم بل حين لا ينفع نفسا ايمانا ولهذا ما دعا موسى عليه السلام على فرعون وملئه قال ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم كما قال تعالى ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا يؤمنوا الا أن يشاء

الله ولكن أكثرهم يجهلون ثم قال تعالى (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين) يقول تعالى فهلا كانت قرية آمنت بكلها من الأمم السالفة الذين بعثنا إليهم الرسل بل ما أرسلنا من قبلك يا محمد من رسول إلا كذبه قومه أو أكثرهم كقوله تعالى يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا يستهزؤن كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون (١٤٠) وفي الحديث الصحيح عرض على الأنبياء فجعل النبي يمزومه

النشام من الناس والنسب معه الرجل والنسب معه الرجل لأن النبي ليس معه أحد ثم ذكر كثرة اتباع موسى عليه السلام ثم ذكر كثرة أمته صلوات الله وسلامه عليه كثرة سدت الخافقين والشرقي والغربي والغرض أنه لم يوجد قرية آمنت بكلها بنبيهم من سلف من القرى الأقوم نس وهـم أهل ينوى وما كان إيمانهم إلا تخوفا من وصول العذاب الذي أنذرهم به رسولهم بعد ما عاينوا أسبابه وخرج رسولهم من بين أظهرهم فعند ما جأروا إلى الله واستغاثوا به وتضرعوا والديه واستكانوا واحضروا أطفالهم ودوابهم ومواشيهم وسألوا الله تعالى أن يرفع عنهم العذاب الذي أنذرهم به بنبيهم فعند ما رحمهم الله وكشف عنهم العذاب وأخروا كما قال تعالى الأقوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين واختلف المفسرون هل كشف عنهم العذاب الآخرى مع الذنوبى أو كما كشف عنهم في الدنيا فقط

قيل المراد بالتوكل الأول استعداده وانشاؤه وبهذا السعي في بقائه وثبوته فالتوكلان مختلفان وقيل معنى الأول ان الذين يطلبون المعجزات يجب عليهم ان يتوكلوا في حصولها على الله سبحانه لا على ما شاء سبحانه أظهرها وان شاء لم يظهرها ومعنى الثاني ابتداء التوكل على الله في دفع شر الكفار وسفاهتهم (وقال الذين كفروا) هم طائفة من المتمردين عن اجابة الرسل (لرسولهم) واللام في (لتخرجنكم) هي الموطئة للقسم أى والله لتخرجنكم (من أرضنا) ولتعودن في ملتنا) لم يقموا برد ما جاءت به الرسل وعدم امثالهم بالدعوة اليه حتى اجترأوا عليهم بهذا وخيروهم بين الخروج من أرضهم أو العود في ملتهم الكفرية وقد قيل ان أو بمعنى حتى أو بمعنى الان كما قاله بعض المفسرين ورد بأنه لا حاجة إلى ذلك بل أو على بابها للتخيير بين أحد الأمرين قيل والعود هنا بمعنى الصيرورة أى لتصيرن داخلين في ديننا أى في الشرك لعصمة الانبياء عن ان يكونوا على مله الكفر قبل النبوة وبعدها وقيل ان الخطاب للرسول ولان آمن بهم فغلب الرسل على اتباعهم وقد تقدم تفسير الآية في سورة الاعراف (فاوحى اليهم) أى إلى الرسل بعد هذه المخاطبات والمحاورات (ربهم لنهلك الظالمين) الكافرين (ولنفسكنكم الارض) أى أرض هؤلاء الكفار الذين تواعدوكم بما تواعدوكم من الاخراج أو العود (من بعدهم) أى بعدهم وهم ومنزل هذه الآية قوله سبحانه وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقال وأورثناكم أرضهم وديارهم عن ابن عباس قال كانت الرسل والمؤمنون يستضعفهم قومهم ويتهزؤنهم ويكذبونهم ويدعونهم الى ان يعودوا في ملتهم فابى الله لرسوله والمؤمنين ان يعودوا في مله الكفر وأمرهم ان يتوكلوا على الله وأمرهم ان يستفتحوا على الجبابرة ووعدهم ان يسكنهم الارض من بعدهم فأنجزلهم ما وعدهم واستفتحوا كما أمرهم الله ان يستفتحوا وعن قتادة قال وعدهم النصر في الدنيا والجنة في الآخرة فين الله من يسكنهم من عباده فقال ولما خاف مقام ربه جنتان وان الله مقامها هو قائمه وان أهل الايمان خافوا ذلك المقام فنصبوا ودأبوا الليل والنهار (ذلك) أى ما تقدم من اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين في مساكنهم (لمن خاف مقامى) أى موقفي وذلك يوم الحساب فانه موقف الله سبحانه والمقام يفتح الميم مكان الاقامة وبالضم فعيل الاقامة وقيل ان المقام هنا صدر به في القيام أى لمن خاف قيامى

عليه على قولين أحدهما انما كان ذلك في الحياة الدنيا كما هو مقيد في هذه الآية والقول الثاني فيه ما قوله تعالى وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فمتعناهم إلى حين فاطلاق عليهم الايمان والايمان منقذ من العذاب الاخرى وهذا هو الظاهر والله أعلم وقال قتادة في تفسير هذه الآية لم ينفع قرية كفرت ثم آمنت حين حضرها العذاب فتركت الاقوم يونس لما فقدوا نبيهم وظنوا أن العذاب قد دنا منهم فذف الله في قلوبهم التوبة ولبسوا المسوح وفرقوا بين كل بهيمة وولدها ثم عجزوا إلى الله أربعين ليلة فلما عرف الله منهم الصدق من قلوبهم والتوبة والتدابة على ماضي منهم كشف عنهم العذاب بعد ان تدلى عليهم قال قتادة

وذكر أن قوم يونس ينسبون أرض الموصل وكذا روى عن ابن مسعود ومجاهد وسعيد بن جبير وغيرهم من السلف وكان ابن مسعود يقرأها فهلا كانت قرية آمنت وقال أبو عمران عن أبي الجلد قال لما نزل بهم العذاب جعل يدور على رؤسهم كتقطع الليل المظلم فسوا إلى رحيل من علمهم فقالوا لعاد عابده لعل الله أن يكشف عنا العذاب فقال قولوا يا حي حين لا حي يا حي محيي الموتى يا حي لا اله الا أنت قال فكشف عنهم العذاب وتام القصة سيأتي مفصلا في سورة والصفات ان شاء الله (ولو شاء ربك لا آمن من في الارض كلهم جميعا أفانت تذكره الناس حتى يكونوا مؤمنين (١٤١) وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله يجعل الرجس

على الذين لا يعقلون) يقول تعالى ولو شاء ربك يا محمد لإذن لأهل الارض كلهم في الايمان بما جئتهم به فآمنوا كلهم وان كان له حكمه فيما يشاء الله تعالى اذ يقول ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وقال تعالى أقلم بيأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولهدا قال تعالى أفانت تذكره الناس أي تلمزهم حتى يكونوا مؤمنين أي ليس ذلك عليك ولا اليك بل الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ليس عليك هدايتهم ولكن الله يهدي من يشاء لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين انك لاتهدي من أحببت وانما عليك البلاغ وعلينا الحساب فذكري انما أنت مذكرة عليهم بصمط الى غير ذلك من الآيات الدالة على ان الله تعالى هو الفعال لما يريد الهادي من يشاء المضل لمن يشاء لعله وحكمته وعدله

عليه ومر اقبل له قوله تعالى أفن هو قائم على كل نفس بما كسبت وقال الاخفش مقامي بمعنى عذابي (وخاف وعيد) أي خشي وعيدى بالعذاب وقيل بالقرآن وزواجه وقيل هو نفس العذاب الموعود للكفار والوعيد اسم من الوعد وهذه الآية تدل على ان الخوف من الله غير الخوف من وعده لان العطف يقتضي التغير قاله الكرخي (واستغصوا) أي استنصروا بالله على أعدائهم أو سألوا الله القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة بين الخصمين ومن الاول قوله ان تستغصوا فعداءكم الفتح ومن الثاني قوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا أي احكمهم والضمير في استغصوا للرسل وقيل للكفار وقيل للفرقيين وقيل لقريش لانهم في سنى الجذب استظروا فلم يعطروا وهو على هذام استأنف والاول أولى وقرئ استغصوا بكسر التاء الثانية على لفظ الامر أمر الرسل بطلب النصرة فنصروا وسعدوا وربحوا (ونخب) أي خسرو وقيل هلك (كل جبار) هو المتكبر الذي لا يرى لاحد عليه حقا هكذا حكاه الخاس عن أهل اللغة وقيل من تجبر بنفسه بادعاء منزلة عالية لا يتحتتها وهو صفة مذم في حق الانسان وقيل الذي لا يرى فوقه أحدا وقيل المتعظم في نفسه المتكبر على أقرانه والمعاني متقاربة (عنيد) هو المعاند للحق والمجانب له قاله مجاهد وهو مأخوذ من العند وهو الناحية أي أخذ في ناحية معرضا قال الزجاج العنيد الذي يعدل عن القصد ويمثله قال الهروي وقال أبو عبيد هو الذي عند ربه وقال ابن كيسان هو الشاخب بانفذه وقيل المراد به العاضى وقيل الذي أي ان يقول لا اله الا الله قاله قتادة وقيل العنيد الناكب عن الحق قاله ابراهيم الضبي وقال مقاتل المتكبر وقال ابن عباس هو المعرض عن الحق وقيل هو المحجج بما عنده وقيل هو الذي يعاند ويخالف ومعنى الآية انه خسرو وهلك من كان متصفا بهذه الصفة (من ورائه) أي من بعده (جهنم) والمراد بعده هلا كه على ان ورائه ما يعنى بعده ومثله قوله تعالى ومن ورائه عذاب غليظ أي من بعده كذا قال القرطبي وقيل من ورائه أي من امامه قال أبو عبيد هو من أسماء الاضداد لان أحدهما ينقلب الى الآخر ومنه قوله تعالى وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا أي امامهم وبه قال قطرب وقال الاخفش هو كما يقال هذا الامر من ورائك أي سوف يأتيك وأنا من وراء فلان أي في طلبه وقال الخاس من ورائه أي من امامه وليس من الاضداد اولئك من توارى أي استتر فصارت

ولهذا قال تعالى وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس وهو الخبال والضلال على الذي لا يعقلون أي حجج الله وأدلته وهو العادل في كل ذلك في هدايته من هدى واضلال من ضل (قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون هل ينتظرون الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا اني معكم من المستظنين ثم نجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علمنا نبي المؤمنين) يرشد تعالى عباده الى التفكير في آلائه وما خلق الله في السموات والارض من الآيات الباهرة لذوي الالباب محافي السموات من كواكب نيرات ثوابت وسيارات الشمس والقمر والليل والنهار واختلافهم وابلح أحدهما

في الآخر حتى يطول هذا ويقصر هذا ثم يقصر هذا ويطول هذا وارتفاع السماء وانساعها وحسنها وزينتها وما أنزل الله منها من مطر فأحياه الأرض بعد موتها وأخرج فيها من افانين الثمار والزروع والازاهير وصورف النبات وما ذرا فيها من دواب مختلفة الاشكال ولاوان والمنافع وما فيها من جبال وسهول وقفار وعمران وخراب وما في البحر من العجائب والامواج وهو مع هذا مذلل للسالكين يحمل سفنهم ويجري بها برق القدير لا اله الا هو ولا رب سواه وقوله وما نغني الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون أي وأي شيء نغني الايات السماوية والارضية (١٤٢) والرسل باياتها وحججها وبراهينها الدالة على صدقها عن قوم

لا يؤمنون كما قوله ان الذين حنت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون الاية وقوله فهل ينتظرون الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم أي فهل ينتظر هؤلاء المكذبون لك يا محمد من النعمة والعذاب الا مثل أيام الله في الذين خلوا من قبلهم من الامم الماضية المكذبة لرسالهم قل فانتظروا الي معكم من المنتظرين ثم نبي رسلنا والذين آمنوا أي ونهلك المكذبين بالرسول كذلك حقا علينا نبي المؤمنين أي حقا أو حبه الله تعالى على نفسه الكريمة كقوله كتب ربكم على نفسه الرحمة وكما جاء في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتي سبقت غضبي (قل يا أيها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين وان أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكون من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذامن الظالمين وان يمسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم) يقول تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم قل يا أيها الناس ان كنتم في شك من صحة ما جئتكم به من الدين الحنيف الذي أوحاه الله الي فانالوا عبدوا الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبدوا الله وحده لا شريك له وهو الذي يتوفاكم كما أحياكم ثم اليه مرجعكم فان كانت الهتمكم التي تدعون من دون الله حقا فانالوا أعبدوا الله وحده لا شريك له وان الله يقول لا يقضى عليهم فيموتوا وقال ميون بن مهران المعنى من كل عظم وعرق

جهنم من ورائه لانها الاترى وحكي مثله ابن الانباري وقال ثعلب هو اسم لما توارى عنك سواء كان خلفك أو قد املك (ويسقي من ماء صديد) أي يلقي فيها ويسقي والصد يد ما يسيل من جلود أهل النار ولحومهم واشتقاقه من الصدا لانه يصد الناظرين عن رؤيته وهو دم مختلط بقمح يسيل من جلد الكافر ولحمه وقال عكرمة هو القيح والدم وقال محمد بن كعب القرظي هو ما يسيل من فروج الزناة يسقاه الكافر والصد يد صفة ماء أو بدل منه وقيل عطف بيان له (يتجرعه) التجرع التحصي أي يتحساه مرة بعد مرة لاهمرة واحدة لمرارة وحرارته وتنتسه وكرهه وقيل يكاف تجرعه ويقهر عليه ولم يذكر الزمخشري غيره وقيل انه دال على المهلة أي يتناوله شيئا فشيئا وقيل انه يعني جرعه المجرى (ولا يكاد يسيغه) يقال ساغ الشراب في الخلق يسوغ سوغا اذا كان سهلا والمعنى لا يقارب ان يسيغه ويتلعه فكيف يكون الا ساغته بل بغضه بعد التسيان التي فيشر به جرعة بعد جرعة فيطول عذابه بالحرارة والعطش تارة وبشره على هذه الحالة أخرى فان السوغ انحدار الشراب في الخلق بسهولة وقبول نفس ونفيه لا يوجب نفى ما ذكره جميعا وقيل لا يكاد يذخره في جوفه وعبر عنه بالاساغته لانها المعهودة في الاثربة وقيل انه يسيغه بعد شدة واطباء كقوله وما كادوا ينهلون أي يفعلون بعد ابطاء كابدل عليه قوله تعالى في آية أخرى بصبر به ما في بطونهم قيل كاد صله وقال الزمخشري للمباغعة وقيل معناه لا يجيزه أخرج أحمد والترمذي واستغربه والنسائي وابن أبي الدنيا وأبو يعلى وابن مردويه والبيهقي وأبو نعيم في الحليسة وصححه عن أي امامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الاية قال يقرب الي فيه فيكرهه فاذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شرب به قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره يقول الله وسقوا ماء حميما قطع امعاءهم وقال وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفعنا (ويأتيه الموت) أي أسبابه (من كل مكان) أي من كل جهة من الجهات من قدامه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله أو من كل موضع من مواضع بدنه وقال الاخفش المراد بالموت هنا البلايا التي تصيب الكافر في النار سماها موتا لشدتها قال ابن عباس يعني أنواع العذاب وليس منها نوع الا الموت يأتيه منه لو كان يوت ولكنه لا يموت لان الله يقول لا يقضى عليهم فيموتوا وقال ميون بن مهران المعنى من كل عظم وعرق

وعصب فعلت فانك اذامن الظالمين وان يمسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم) يقول تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم قل يا أيها الناس ان كنتم في شك من صحة ما جئتكم به من الدين الحنيف الذي أوحاه الله الي فانالوا عبدوا الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبدوا الله وحده لا شريك له وهو الذي يتوفاكم كما أحياكم ثم اليه مرجعكم فان كانت الهتمكم التي تدعون من دون الله حقا فانالوا أعبدوا الله وحده لا شريك له وان الله يقول لا يقضى عليهم فيموتوا وقال ميون بن مهران المعنى من كل عظم وعرق

أقم وجهك للدين حنيفاً الآية أي أخلص العبادة لله وحده حنيفاً أي منحرفاً عن الشرك ولهذا قال ولا تكونن من المشركين وهو معطوف على قوله وأمرت أن أكون من المؤمنين وقوله وإن عسسك الله بضر الآية فيه بيان لأن الخير والشر والنفع والضرائع ما هو راجع إلى الله تعالى وحده لا يشاركه فيما ذكر أحد فهو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له روى الخافظ ابن عساكر في ترجمة صفوان بن سليم من طريق عبد الله بن وهب أخبرني يحيى بن أيوب عن عيسى بن موسى عن صفوان بن سليم عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **اطلبوا (١٤٣) الخير** دهركم كله وتعرضوا للنفعات ربكم

فإن الله نفحات من رحمة يصيب بها من يشاء من عباده وأسأله أن يستر عوراتكم ويؤمن روعاتكم ثم رواه من طريق الليث عن عيسى ابن موسى عن صفوان عن رجل من أشجع عن أبي هريرة مرفوعاً عنه سواء وقوله وهو الغلغلة نور الرحيم أي لمن تاب إليه ولو من أي ذنب كان حتى من الشرك به فإنه يتوب عليه (قل يا أيها الناس قد جاءكم من الله ربكم فمَنِ اهْتَدَى فَاغْنِيهِ تَدْيَ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَاتَّعَا بِضَلِّهِ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ) يقول تعالى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يخبر الناس أن الذي جاءهم به من عند الله هو الحق الذي لا مبرية فيه ولا شك فيه فمن اهتدى به واتبعه فإنا ما نعدنفع ذلك الاتباع على نفسه ومن ضل عنه فإنا ما يرجع وبال ذلك عليه وما أنا عليكم بوكيل أي وما أنا مؤكل بكم حتى تؤمنوا به إنما أنا نذير لركم والهداية على الله تعالى وقوله واتبع ما يوحى إليك وهو خير

وعصب وعن محمد بن كعب بنحوه وعن إبراهيم التيمي قال من موضع كل شعرة في جسده (وما هو عيت) أي والحال أنه لم يمت حقيقة فيستريح وقيل تعلق نفسه في حنجرته فلا يخرج من فيه فيموت ولا ترجع إلى مكانه من جوفه فيحيا ومثله قوله لا يموت فيها ولا يحيى وقيل المعنى وما هو عيت لتناول شدة الموت به وامتداد سكراته عليه والأولى نفس الآية بعدم الموت حقيقة لما ذكرنا من قوله سبحانه لا يموت فيها ولا يحيى وقوله لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها (ومن ورائه) أي من امامه أو من بعده أو من بين يديه قاله البيضاوي وقيل الضمير عائذ على كل جبار كما في السمين (عذاب غليظ) أي شديد يستقبل في كل وقت عذاباً أشد مما هو عليه قيل هو الخلود في النار قاله إبراهيم التيمي وقيل حبس الأنفاس قاله فضيل بن عياض (مثل الذين كفروا بربههم) كلام مستأنف منقطع عما قبله قال سيبويه تقديره فبأيتي عليكم مثل الذين والمثل مستعار للقصة التي فيها غرابة وقال الزجاج والقراء التقدير مثل أعمال الذين وروى عنه أنه قال بالغام مثل وقيل مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم قيل (أعمالهم) الصالحة كالصدقة وصلة الأرحام وفك الأسير وإقراء الضيف وبر الوالدين ونحو ذلك أو عبادتهم الأصنام في عدم الانتفاع بها والأعمال التي أشركوا فيها غير الله تعالى (كراماد) أي باطله غير مقبولة والرماد ما يبق بعد احتراق الشيء وهو ما يسقط من الحطب والفحم بعد احتراقه بالنار ووجهه في الكثرة على رمده في القلعة على أرمده (اشتدت به الريح) حملته بشدة وسرعة فسفته وطيرته ولم تنق منه شيئاً (في يوم عاصف) العصف شدة الريح ووصف به زمانها بالغة كما يقال يوم حار يوم بارد والبرد والحرف فيها لا منها والاسناد فيه تجوز ووجه الشبهان الريح العاصفة تطير الرماد وتفرق اجزائه بحيث لا يبقى له أثر في ذلك كفرهم أبطل أعمالهم وأحبطها بحيث لا يبقى لها أثر وقد بين محصله بقوله (لا يقدرون مما كسبوا) من قبح الأعمال الباطلة (على شيء) منها ولا يرون له أثر في الآخرة يجازون به ويثابون عليه بل جميع ما عملوه في الدنيا باطل ذاهب كذهاب الريح بالرماد عند شدة هبوبه وهو فذلك التمثيل وعن ابن عباس لا يقدرون على شيء من أعمالهم ينتفعهم كما لا يقدر على الرماد إذا أرسل في يوم عاصف (ذلك) أي ما دل عليه التمثيل من هذا البطلان لأعمالهم وذهاب أثرها (هو الضلال) الهلاك

واصبر أي عسك بما أنزل الله عليك وأوحاه واصبر على مخالفة من خالفك من الناس حتى يحكم الله أي يفتح بينك وبينهم وهو خير الحاكمين أي خير القاضين بعدله وحكمته

* (تفسير سورة هود عليه السلام وهي مكية) * قال الخافظ أبو يعلى حدثنا خلف بن هشام البزار حدثنا أبو الاحوص عن أبي اسحق عن عكرمة قال قال أبو بكر سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شئتني هود الواقعة وعم يسألون وإذا الشمس كورت وقال الترمذي حدثنا أبو بكر بن حريز حدثنا معاوية بن هشام عن شيبان عن أبي اسحق عن عكرمة عن ابن عباس قال قال أبو بكر يا رسول

الله قد شئت قال شيتني هود والواقعة والمرسلات وعم يسألون واذا الشمس كورت وفي رواية هود واخواتها وقال الطبراني حدثنا
عبدان بن أحمد حدثنا شيخنا الحسن بن الحسن بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي حازم عن سهل بن سعد قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم شيتني هود واخواتها الواقعة والواقعة واذا الشمس كورت وفي رواية هود واخواتها وقدرى من حديث ابن
مسعود فقال الخافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني في معجمه الكبير حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا أحمد بن طارق
الرابضي حدثنا عمرو بن ثابت عن أبي اسحق (١٤٤) عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ان أبابكر قال يا رسول الله ما شيتك
قال هود والواقعة عمرو بن ثابت

متروك وأبو اسحق لم يذكر ابن
مسعود والله أعلم

* (بسم الله الرحمن الرحيم)*
(الركاب أحكمت آياته ثم فصلت
من لدن حكيم خبير ألا تعبدوا
الا الله انى لكم منه نذير وبشير
وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه
يتعكم متاعا حسنا الى أجل مسمى
ويؤت كل ذى فضل فضلوه وان تولوا
فانى أخاف عليكم عذاب يوم كبير
الى الله مرجعكم وهو على كل شى
قدير) قد تقدم الكلام على حروف
الجماع في أول سورة البقرة بما أغنى
عن اعادته هنا والله التوفيق
وأما قوله أحكمت آياته ثم فصلت
أى هى محكمة في لفظها مفصلة
في معناها فهو كامل صورة ومعنى
هذا معنى ماروى عن مجاهد وقتادة
واخبره ابن جرير وقوله من لدن
حكيم خبير أى من عند الله الحكيم
في أقواله وأحكامه اخبر بهواقب
الامور ألا تعبدوا الا الله أى نزل
هذا القرآن المحكم المفصل لعبادة
الله وحده لا شريك له كقوله تعالى
وما أرسلنا من قبلك من رسول الا
نوحى اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون

(البعيد) عن طريق الحق المخالف لمنهج الثواب أو عن فعل الثواب ولما كان هذا
خسرا انا لا يمكن تداركه ولا يرجى عوده سماه بعيدا (ألم تر أن الله خلق السموات
والارض) الرواية هنا هى القلبية والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعريضا
لأتمته أو الخطاب لكل من يصلح له (بالحق) أى بالوجه الصحيح الذى يحق أن يخلقها عليه
ليستدل بها على كمال قدرته لا باطلا ولا عسنا والباء للمصاحبة ثم بين كمال قدرته سبحانه
واستغناؤه عن كل أحد من خلقه فقال (ان يشأ يذهبكم) أيها الناس (ويأت بخلق
جديد) سواكم فيعدم الموجودين ويوجد المعدومين ويهلك العصاة ويأتى عن طبيعه
من خلقه لان القادر لا يصعب عليه شىء وانه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون
مقدور والمقام يحتمل ان يكون هذا الخلق الجديد من نوع الانسان ويحتمل ان يكون
من نوع آخر (وما ذلك) أى الأذهاب والاتيان باعدام الموجود ويجاد المعدوم (على
الله يعزبن) أى بمنع وتعتذر لانه سبحانه قادر على كل شىء وفيه أن الله تعالى هو الحقيق
بأن يرجى ثوابه ويخاف عقابه فلذلك أتبعه بذكر أحوال الآخرة فقال (وبرزوا لله
جميعا) أى الخلائق من قبورهم يوم القيامة والبروز اظهور والبراز بالفتح المكان
الواسع لظهوره ومنه امر أمة برزوا ولم يبرزوا لانهم كانوا يستترون عن العيون عند
بان يظهر بذاته كما هغنى برزوا ظهر وامن قبورهم وعبر بالماضى عن المستقبل تنبيها
على تحقيق وقوعه كما هو مقررى علم المعاني وانما قال وبرزوا لله مع كونه سبحانه عالما
بهم لا يخفى عليه شىء من أحوالهم برزوا ولم يبرزوا لانهم كانوا يستترون عن العيون عند
فعلهم للمعاصى ويظنون ان ذلك يخفى على الله تعالى فالكلام خارج على ما يهتقدونه
(فقال الضعفاء الذين استكبروا) أى قال الاتباع الضعفاء فى رأى للرؤساء الاقوياء
المتكبرين بما هم فيه من الرياسة (انا كلكم تبعاً) فى الدين فى الدين والاعتقاد فكذبنا
الرسول وكفرنا بالله متابعا لكم والتبع جمع تابع مثل خادم وخدم وحارس وحرس
وراضد ورضد ومصدر وصف به للمباغسة أو على تقدير ذوى تبع قال الزجاج جمعهم
فى حشرهم فاجتمع التابع والمتبوع فقال الضعفاء للذين استكبروا ان كبرهم وقادتهم
عن عبادة الله انا كلكم تبعاً (فهل أئتم) فى هذا اليوم والاستهتاهم للتوبيخ (مغنون)
أى دافعون (عنا) يقال اغنى عنه اذا دفع عنه الاذى وأغناه اذا أوصل اليه النفع

وقال ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقوله انى لكم منه نذير وبشير أى انى
لكم نذير من العذاب ان حالتموه وبشير بالثواب ان أطعتموه كما جاء فى الحديث الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد
الصفا فدا بطون قريش الاقرب ثم الاقرب فاجتمعوا فقال يا معشر قريش أرايتم لو أخبرتكم ان خيلا تصيحبكم ألستم مصدق
فقالوا ما جربنا عليك كذبا قال فانى نذير لكم بين يدي عذاب شديد وقوله وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يتعكم متاعا حسنا الى
أجل مسمى ويؤت كل ذى فضل فضلوه أى وأمركم بالاستغفار من الذنوب السالفة والتوبة منها الى الله عز وجل فيما

تستقبلونه وان تستقروا على ذلك بتعكم متاعا حسنا أي في الدنيا الى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله أي في الدار الآخرة قاله
قتادة كقوله من عمل صالحا من ذكرا أو أنثى وهو مؤمن فلنجيبه حياة طيبة الآية وقد جاء في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لسعد وانك ان تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله الأجرت بها حتى ماتت في في امرأتك وقال ابن جرير حدثني المسيب بن شريك
عن أبي بكر عن سعيد بن جبيرة عن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله ويؤت كل ذي فضل فضله قال من عمل سيئة كتبت عليه سيئة
ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات فان عوقب بالسيئة التي كان (١٤٥) عملها في الدنيا بقيت له عشر حسنات وان لم

يعاقب بها في الدنيا أخذ من
الحسنات العشر واحدة وبقيت
له تسع حسنات ثم يقول هلك من
غلب آحاده على اعشاره وقوله
وان تولوا فاني أخاف عليكم عذاب
يوم كبير هذا تهديد شديد لن تولى
عن أو امر الله تعالى وكذب رساله
فان العذاب يناله يوم القيامة
لا محالة الى الله مرجعكم
أي معادكم ومرجعكم يوم القيامة
وهو على كل شيء قدير أي وهو
القادر على ما يشاء من احسانه الى
أوليائه وانتقامه من أعدائه
واعادة الخلائق يوم القيامة وهذا
مقام الترهيب كان الاول مقام
ترغيب (الانهم يتنون صدورهم
ليستخفوا منه الا حين يستغشون
ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون
انه عليهم بذات الصدور) قال ابن
عباس كانوا يكرهون ان يستقبلوا
السماء بفروجهم وحال وقاعهم
فانزل الله هذه الآية يروي البخاري
من طريق ابن جرير عن محمد بن
عباد بن جعفر ان ابن عباس قرأ الا
انهم تنون صدورهم الآية فقلت
يا أبا العباس ما تنون صدورهم

(من عذاب الله من شيء) أي بعض الشيء الذي هو عذاب الله فمن الاولى للبيان والناية
للتبعيض قاله الزمخشري وقيل هما للتبعيض معا قاله في الكشف أيضا وقيل الاولى
تتعلق بمحذوف والثانية مزيدة (قالوا) أي قال المستكبرون مجيبين عن قول المستضعفين
(لو هدانا الله) الى الايمان في الدنيا (لهديناكم) اليه ولكن لما أضلنا وضلنا
دعوناكم الى الضلالة وأضلناكم واخترناكم ما اخترناه لانفسنا والجله مستأنفة
كأنه قيل كيف أجابوا وقيل المعنى لو هدانا الله الى طريق الجنة لهديناكم اليها وقيل
لو نجانا الله من العذاب لنجيناكم منه (سواء علمنا أجزعنا أم صبرنا) أي مستوعبنا
الجزع والصبر والجزع أبلغ من الحزن لانه يصرف الانسان عما هو بصدده ويقطعه
عنه والهمزة ولام لتأكيد التسوية كما في قوله تعالى سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم
(مالنا من محيص) أي نجاة ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول على جهة
القرار يقال حاص فلان عن كذا أي فتر وزاغ يحيص حيصا وحيصا وحيصانا والمعنى
مالنا وجه تتباعده عن النار ويجوز ان يكون هذامن كلام الزريقين وان كان الظاهر
انه من كلام المستكبرين وفي محي كل جله مستأنفة من غير عاطف دلالة على ان كلا
من المعاني مستقل بنفسه كافي في الاخبار وقال زيد بن أسلم جزعوا مائة سنة وصبروا مائة
سنة وأخرج الطبراني وابن أبي حاتم وابن مردويه عن كعب بن مالك يرفع الى النبي
صلى الله عليه وآله وسلم قال يقول أهل النار هلوا فلنصبر فيصبرون خمسة مائة عام فلما رأوا
ذلك لا ينفعهم قالوا هلوا فلنجزع فبكموا خمسة مائة عام فلما رأوا ذلك لا ينفعهم قالوا سواء
علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص والظاهر ان هذه المراجعة كانت بينهم بعد
دخولهم النار كما في قوله تعالى واذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا
انا كنا لكم تبع فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا انا كل فيما ان
الله قد حكم بين العباد (وقال الشيطان) للزريقين (لما قضى الامر) أي دخل أهل
الجنة الجنة وأهل النار النار على ما سيأتي بيانه في سورة مريم ان الله وعدكم وعد الحق
فصدق في وعده وهو وعده سبحانه بالبعث والحساب ومجازاة المحسن باحسانه والمسيئ
باساءته قال القراء وعد الحق هو من اضافة الشيء الى نفسه كقولهم مسجد الجامع
وقال البصريون وعدكم وعد اليوم الحق (ووعدتكم) وعد ابا طالبانه لا بعث ولا حساب

(١٩ فتح البيان خامس) قال الرجل كان يجامع امرأته فيسبني أو يتخلى فيسبني فترت الانهم تنون صدورهم وفي
لنظ آخره قال ابن عباس اناس كانوا يستحيون ان يتخلوا فنقضوا الى السماء وان يجامعوا نساءهم فنقضوا الى السماء فنزل ذلك
فيهم ثم قال حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمر وقال قرأ ابن عباس الانهم يتنون صدورهم ليس تخفوا منه الا حين يستغشون
ثيابهم قال البخاري وقال غيره عن ابن عباس يستغشون يغطون رؤسهم وقال ابن عباس في رواية أخرى في تفسير هذه الآية يعني
به الشك في الله وعمل السيئات وكذا روى عن مجاهد والحسن وغيرهم أي انهم كانوا يتنون صدورهم اذا قالوا شيئا أو عملوا فيظنون

انهم يستخفون من الله بذلك فاخبرهم الله تعالى انهم حين يستغشون ثيابهم عند منامهم في ظلمة الليل يعلم ما يسرون من القول وما يعلنون انه عليهم بذات الصدور اى يعلم ما تكن صدورهم من النيات والضمائر والسرائر واما احسن ما قال زهير بن ابي سلمى في معلقته المشهورة
 فلا تكتن الله ما في قلوبكم * ليخفي ومههما يكتن الله يعلم
 بوخر فيوضع في كتاب فيدخر * ليوم حساب أو يعجل فينقم
 فقد اعترف هذا الشاعر الجاهل بوجود الصانع (١٤٦) وعلمه بالجزئيات وبالاعداد بالجزء وبكتابة الاعمال في الصحف ليوم القيامة

وقال عبد الله بن شداد كان احدهم اذا امر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وغطى رأسه فانزل الله ذلك وعود الضمير الى الله اولى لقوله الا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون وقرأ ابن عباس الا انهم تنوون صدورهم برفع الصدور على الفاعلية وهو قريب المعنى (وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستورها ومستودعها كل في كتاب مبين) اخبر تعالى انه متكفل بارزاق المخلوقات من سائر دواب الارض صغيرها وكبيرها بجزئها وبربها وانه يعلم مستورها ومستودعها اى يعلم أين منتهى سيرها في الارض وأين تأوى اليه من وكرها وهو مستودعها وقال علي بن ابي طلحة وغيره عن ابن عباس ويعلم مستورها اى حيث تأوى ومستودعها حيث تموت وعن مجاهد مستورها في الرحم ومستودعها في الصلب كالتى في الانعام وكذا روى عن ابن عباس والخنالك وجماعة وذكرا بن ابي حاتم اقوال المنسرين ههنا كما

ولاجنة ولا نار (فاخلفتكم) ما وعدتكم به من ذلك (وما كان لى عليكم من سلطان) اى نسلط عليكم باظهار حجة على ما وعدتكم به وزينته لكم (الا ان دعوتكم) اى مجرد دعائى لىكم الى الغواية والضلال بلا حجة ولا برهان ودعوتهم لىست من جنس السلطان حتى يستثنى منه بل الاستثناء منقطع اى لىكن دعوتكم وقيل المراد بالسلطان هنا القهر اى ما كان لى عليكم من قهر يضطركم الى اجابتي وقيل هذا الاستثناء هو من باب تحمية بينهم ضرب وجيع مبالغته فى نفيه للسلطان عن نفسه كانه قال انما يكون لى عليكم سلطان اذا كان مجرد الدعاء من سلطان وليس منه قطعا (فاستجيبتم لى) اى فسارعت لى اجابتي (فلا تلو موني) بما وقعت فيه بسبب وعدى لىكم بالباطل واخلافى هذا الموعد فان من صرح بالعداوة لا يلام بامثال ذلك (ولو موأ نفسكم) باستجابتكم لى بمجرد الدعوة التى لى لى سلطان عليها ولا حجة فان من قبل المواعيد الباطلة والدعوى الزائغة عن طريق الحق فعلى نفسه جنى ولما رنه قطع ولا سيما ودعوى هذه الباطلة وموعدى الفاسد وقعا معارضين لوعده الله لىكم وهو الحق ودعوتهم لىكم الى دار السلام مع قيام الحجة التى لا تخفى على عاقل ولا تنس الا على مخذول وقريب من هذمان يقتدى بآراء الرجال المخالفة لما فى كتاب الله ولما فى سنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ويؤثرها على ما فهم ما فانه قد استجاب للباطل الذى لم تقم عليه حجة ولادل عليه برهان وترك الحجة والبرهان خلف ظهره كما يفعله كثير من المقتدين بالرجال المقلدين لهم المتسكين عن طريق الحق بسوء اختيارهم اللهم غفرا (ما انا بصرخكم وما انا بصرخى) يقال صرخ فلان اذا استغاث بصرخ صراخا وصراخا واستصرخ بمعنى صرخ والصراخ المغث والمستصرخ المستغث يقال استصرخنى فاصرخته والصراخ صوت المستصرخ والصراخ ايضا الصراخ وهو المغيث والمستغث وهو من اسماء الاضداد كما فى الصحاح قال ابن الاعرابى الصراخ المستغث والمصرخ المغيث ومعنى الآية ما انا بصرخكم ومنقذكم مما اتم فيه من العذاب وما اتم بصرخى ولا منقذى مما انا فيه وفيه ارشاد لهم الى ان الشيطان فى تلك الحالة مبتلى بما ابتلوا به من العذاب محتاج الى من يغثه ويخلصه مما هو فيه فكيف يطعمون فى اغاثته من هو محتاج الى من يغثه قال ابن عباس المعنى ما انا بصرخكم وما اتم بنافعى وقال الشعبي فى هذه الآية خطيبان يقومان يوم القيامة ابليس وعيسى فاما

ذكره عند تلك الآية فانه اعلم وان جميع ذلك مكتوب فى كتاب عند الله مبين عن جميع ذلك كقوله وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحه الا امم امانا لىكم ما فرطنا فى الكتاب من شىء ثم الى ربهم يحشرون وقوله وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين (وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام وكان عرشه على الماء لىلواكم اىكم احسن عملا ولئن قلت انكم معوثون من بعد الموت لىقولن الذين كفروا ان هذا الا سحرمين ولئن اخرجنا عنهم العذاب الى امة معدود لىقولن ما يحبسه الا يوم يأتىهم لىس

ابليس

مضر وفاعلهم وحقا بهم ما كانوا يستهزؤن) يخبر تعالى عن قدرته على كل شيء وأنه خلق السموات والارض في ستة ايام
وان عرشه كان على الماء قبل ذلك كما قال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن جامع بن شداد عن صفوان بن يحيى عن
عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبلوا البشرى يا بئى تميم قالوا قد بشرتنا فاعطنا قال اقبلوا البشرى يا أهل اليمن
قالوا قد قبلنا فاجبرنا عن أول هذا الامر كيف كان قال كان الله قبل كل شيء وكان عرشه على الماء وكتب في اللوح المحفوظ ذكركل
شيء قال فأتاني آت فقال يا عمران انحلت ناقتك من عقالها قال فخرجت (١٤٧) في اثرها فلا أدري ما كان بعدى وهذا الحديث

مخبر حتى صحبى البخارى ومسلم
بالفاظ كثيرة فيها قالوا جئناك
نسألك عن أول هذا الامر فقال
كان الله ولم يكن شئ قبله وفي رواية
غيره وفي رواية معه وكان عرشه على
الماء وكتب في الذكركل شئ ثم
خلق السموات والارض وفي صحيح
مسلم عن عبد الله بن عمرو بن
العاص قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله قدر مقادير
الخلايق قبل ان يخلق السموات
والارض بخمسين ألف سنة وكان
عرشه على الماء وقال البخارى في
تفسير هذه الآية حدثنا أبو اليمان
أخبرنا شعيب أخبرنا أبو الزناد
عن الأعرج عن أبي هريرة رضى
الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال قال الله عز وجل
أنفقنا نفقنا على الماء وقال الله
ملائى لا يعجزها نفقة الماء الليل
والنهار وقال أقرأتم ما أنفق منذ خلق
السموات والارض فانه لم يغض
ما في يمينه وكان عرشه على الماء
ويده الميزان يخنض ويرفع وقال
الامام أحمد حدثنا يزيد بن هرون
أخبرنا حماد بن سلمة عن يعلى بن

ابليس فيقول في حربه فيقول القول المذكور في الآية وأما عيسى فيقول ما قلت لهم
الامام أمرتني به ان اعبدوا الله ربى وربكم وكنتم عليهم شهيذا ما دمت فيهم فلما توفيتني
كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد وقال قتادة المعنى ما أنا بعبديكم (انى
كفرت بما أشركتمون من قبل) وقد ذهب جمهور المفسرين الى ان ما مصدرية اى
باشرا ككم اياى مع الله في الطاعة لانهم كانوا يطيعونه في اعمال الشر كما يطاع الله في
اعمال الخير فلا لشر الك استعارة بتشبيه الطاعة به وتنزيلها منزلة أولانهم لما أشركوا
الاصنام ونحوها بايقاعهم في ذلك فسكنهم أشركوه وقيل موصولة على معنى انى كفرت
بالذى أشركتونه وهو الله عز وجل ويكون هذا حكاية لكفره بالله عند ان أمره بالسجود
لآدم ولما كشف لهم القناع بانه لا يغنى عنهم من عذاب الله شيئا ولا ينصرهم بنوع من
أنواع النصر صرح لهم بانه كافر باشرا كهم له مع الله في الربوبية من قبل هذا الوقت
الذى قال لهم الشيطان فيسه هذه المقالة وهو ما كان منهم في الدنيا من جعله شريكا لقد
قام لهم الشيطان في هذا اليوم مقاما يقصم ظهورهم ويقطع قلوبهم فوضح لهم أولان
مواعيده التي كان يعدهم بها في الدنيا باطلة معارضة لوعده الحق من الله سبحانه وانه
أخلفهم ما وعدهم من تلك المواعيد ولم يف لهم بشئ منها ثم أوضح لهم ثانيا بانهم قبلوا
قوله بما لا يوجب القبول ولا ينفق على عقل عاقل لعدم الحجية التي لا بد للعاقل منها في قبول
قول غيره ثم أوضح لهم ثالثا بانه لم يكن منه الا مجرد الدعوة العاطلة عن البرهان الخالية عن
أي سر شئ مما يتسلبه العقل ثم نبى عليهم رابعا ما وقعوا فيه ودفع لومهم له وأمرهم بان
يلوموا أنفسهم لانهم هم الذين قبلوا الباطل البحت الذى لا يتبس بطلانه على من له أدنى
عقل ثم أوضح لهم خامسا بانه انصر عدوه ولا اغانة ولا يستطيع لهم نفعا ولا يدفع عنهم
ضرا بل هو منلهم في الوقوع في البلية والعجز عن التخلص عن هذه الخنة ثم صرح لهم
سادسا بانه قد كفر بما اعتقدوه فيه واثبتوه له فتضاعفت عليهم الحسرات وتوالت عليهم
المصائب واذا كان جملة (ان الظالمين لهم عذاب اليم) من تنمة كلامه كما ذهب اليه البعض
فهو نوع سابع من كلامه الذى خاطبهم به فابنت لهم انظلم ثم ذكر ما هو جزاؤهم عليه من
العذاب الليم لا على قول من قال انه ابتداء كلام من جهة الله سبحانه ولما أخبر سبحانه
بحال أهل النار أخبر بحال أهل الجنة فقال (وادخل) قراءة الجمهور على البناء له نفعول

عطاء عن وكيع بن عدس عن عمه أبي رزين واسمه لقيط بن عامر بن المنفق العقيلي قال قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل ان يخلق
خالقه قال كان في عمامة ما تحتها هواء وما فوقه هواء ثم خلق العرش بعد ذلك وقدره الترمذى في التفسير يروى ما جده في السنن من
حديث يزيد بن هرون به وقال الترمذى هذا حديث حسن وقال مجاهد وكان عرشه على الماء قبل ان يخلق شيئا وكذا قال وهب بن
منبه وضمة وقتادة وابن جرير وغير واحد وقال قتادة في قوله وكان عرشه على الماء يذبكم كيف كان بدء خلقه قبل ان يخلق
السموات والارض وقال الربيع بن أنس وكان عرشه على الماء فلما خلق السموات والارض قسم ذلك الماء قسمين فجعل نصفها

تحت العرش وهو البحر المسجور وقال ابن عباس انما سمى العرش عرشا لارتفاعه وقال اسمعيل بن ابي خالد سمعت سعد الطائي يقول العرش يا قوته حراء وقال محمد بن اسحق في قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء فكان كما وصف نفسه تعالى اذ ليس الا الماء عليه العرش وعلى العرش ذوا الجلال والاكرام والعزة والسلطان والملئ والطهارة والحلم والعلو والرحمة والنعمة الفعالم لا يريد وقال الاعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبيرة قال سئل ابن عباس عن قول الله وكان عرشه على الماء على اى شئ كان الماء قال (١٤٨) على متن الريح وقوله تعالى ليلوكم ايامكم احسن عملا اى خلق السموات

وقرى بالبناء على الفاعل اى وانما دخل (الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار) ثم ذكر سبحانه خلودهم في الجنات وعدم انقطاع نعيمهم فقال (خالدين فيها) ثم ذكر ان ذلك (بذن ربهم) اى بتوفيقه ولطفه وهدايته هذا على القراءة الاولى وفيه تعظيم لذلك الاجر واما على الثانية فيكون باذن ربهم متعلقا بقوله (تحتهم فيها) اى تحية الملائكة في الجنة (سلام) باذن ربهم وقد تقدم تفسير هذا في سورة يونس ولما ذكر سبحانه مثل اعمال الكفار وانها كرماد اشتدت به الريح صرغ ثم ذكر نعيم المؤمنين وما جازاهم الله به من ادخالهم الجنة خالدين فيها وتحية الملائكة لهم ذكر تعالى ههنا مثالا للكلمة الطيبة وهى كلمة لا سلام اى لا اله الا الله واما هو اعم من ذلك من كلمات الخير وذكروا لالكلمة الخبيثة وهى كلمة الشرك واما هو اعم من ذلك من كلمات الشر فقال مخاطبا لرسوله صلى الله عليه وآله سلم اول من يصلح للخطاب (المتر) بعين قلبك فتعلم علم يقين باعلامى اياك (كيف ضرب الله مثلا) اى اختار مثلا وضعه فى موضعه اللائق به والمثل قول سائر يشبهه فيه حال الناني بالاول (كلمة طيبة) وهى قول لا اله الا الله عند الجمهور او كل كلمة حسنة كالتمجيح والتحميد والاستغفار والتوبة والدعوة قاله الزمخشري (كشجرة طيبة) اى طيبة الثمر نعت لكلمة ووبه بدأ الزمخشري واخبره مبتدا محذوف اى هى قاله ابن عطية ثم وصف الشجرة بقوله (اصلها ثابت) اى راسخ آمن من الانقلاب بسبب ثقلها من الارض بعروقها (وفرعها فى السماء) اى فى اعلاها هذا ذهب الى جهة السماء مرتفع فى الهواء ثم وصفها سبحانه بانها (تؤتى اكلها) اى ثمرها (كل حين) اى كل وقت والحين فى اللغة الوقت يطلق على القليل والكثير واختلفوا فى تقديره كما سياتى (بذن ربها) اى بارادة ومشيئته وامره قيل وهى النخلة كذلك كلمة الايمان ثابتة فى قلب المؤمن وعمد له يصعد الى السماء وتناثر بركته وثوابه كل وقت واخر ج احمد وابن مردويه قال السيوطى بسند جيد عن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال هى التى لاتتقص ورقها النخلة واخرج البخارى وغيره من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم لا يحاسبه اى شجرة من الشجر لا يطرح ورقها مثل المؤمن قال فوقع الناس فى شجر اليوادى ووقع فى قلبى انها النخلة فاستحييت حتى قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هى النخلة وفى لفظ للبخارى اخبرونى عن شجرة كل جبل

والارض لتفجع عباده الذين خلقهم ليعبدوه ولا يشركوا به شيا ولم يخلق ذلك عبثا كقولهم وما خلقتنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار وقال تعالى انفسهم انما خلقناكم عبثا وانفسهم ينالون فترجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم وقال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون الا اية وقوله ليلوكم اى ليجتبركم اياكم احسن عملا ولم يقل اكثر عملا بل احسن عملا ولم يكن العمل حسنا حتى يكون خالصا لله عز وجل على شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فمضى فقد العمل واحدا من هذين الشرطين حبط وبطل وقوله ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت الا اية يقول تعالى ولئن اخبرت يا محمد هؤلاء المشركين ان الله سيعذبهم بعذابهم كما بدأهم مع انهم يعلمون ان الله تعالى هو الذى خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر لربنا الله وهم مع هذا ينكرون البعث والمعاد يوم

القيامة الذى هو بالنسبة الى التدرية هون من البداية كما قال تعالى وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وقال تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وقولهم ان هذا الاصح من اى يقولون كفرا وعنادا ما صدقك على وقوع البعث وما تذكرك الامن بحرفه ويجمعك على ما تقول وقوله ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة الا اية يقول تعالى ولئن اخرنا العذاب والمواخذة عن هؤلاء المشركين الى اجل معدود ورامد محصورا وعدناهم الى مدة مضروبة ليقولن تكذبا واستحجابا لا يحبسهم اى يؤخر هذا العذاب عنا فان سبحانه اياهم قد الفت الكذب والشك فلم يبق لهم محيص عنه

ولا يحيد والامة تستعمل في القرآن والسنة في معان متعددة فيراد بها الامد كقوله في هذه الآية الى امة معدودة وقوله في يوسف
وقال الذي نجما منهما وات كر بعد امة وتستعمل في الامام المقتدى به كقوله ان ابراهيم كان امة فأتاه حنيفا ولم يك من المشركين
وتستعمل في الملته والدين كقوله اخبارا عن المشركين انهم قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون وتستعمل
في الجماعة كقوله ولما ورد ما مدين وجد عليه امة من الناس يسقون وقوله ولقب بعشنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله
واجتنبوا الطاغوت وقال تعالى ولكل امة رسول فاذا جاء رسول فاذ جا رسولهم قضى بينهم (١٤٩) بالقسط وهم لا يظلمون والمراد من الامة

ههنا الذين يبعث فيهم الرسول
مؤمنهم وكافرهم كما في صحيح مسلم
والذي نفسى بيده لا يسمع بي أحد
في هذه الامة يهودى ولا نصرانى
ثم لا يؤمن بى الا دخل النار واما
أمة الاتباع فهم المصدقون للرسول
كما قال تعالى كنتم خيرا امة
أخرجت للناس وفي الصحيح فاقول
امتى وتستعمل الامة في
الفرقة والطائفة كقوله تعالى ومن
قوم موسى امة يهدون بالحق وبه
يعدلون وكقوله من أهل الكتاب
امسة قائمة الآية (ولئن أدقنا
الانسان منا رجحة ثم نزعناها منه
انه ليؤس كنور ولئن أدقناه نعماء
بعد ضراء مسته ليقولن ذهب
السيات عنى انه لفرح نخور الا
الذي صبر وواعى الصالحات
أو لئن لم يغفر لهم مغفرة وأجر كبير
يخبر تعالى عن الانسان وما فيه من
الصفات الذميمة الامن رحم الله
من عباده المؤمنين ان اذا أصابته
شدة بعد نعمة حصلت له اياها
وقنوط من الخير بالنسبة الى
المستقبل وكفرو بوجود لماضى
الحال كأنه لم ير خيرا ولم يرح

المسلم لا يتحات ورقها وتؤتى أكلها كل حين فذكر نحوه وفي لفظ ابن جرير وابن مردويه
من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هل تدرون ما الشجرة
الطيبة ثم قال هي الخلة وروى نحو هذا جماعة من الصحابة والتابعين وقيل غيرها والمراد
تؤتى أكلها كل ساعة من الساعات من ليل أو نهار في جميع الاوقات من غير فرق بين شتاء
وصيف قاله ابن عباس وقيل المراد في اوقات مختلفة من غير تعيين وقيل كل غدوة وعشمة
وقيل الحين هنا سنة كاله لان الخلة تنثر في كل سنة مرة وقيل كل شهر وقيل كل سنة
أشهر قاله ابن عباس وسعيد بن جبيرة وقتادة والحسن بن علي من وقت طلوعها الى حين
صرامها وقال علي بن أبي طالب ثمانية أشهر وقيل أربعة أشهر من حين ظهور جملها الى
ادراكها وقال سعيد بن المسيب شهران قال النخاس وهذه الاقوال متقاربة غير متناقضة
لان الحين عند جميع أهل اللغة الامس شذمتهم بمعنى الوقت يقع لقليل الزمان وكثيره
وقد ورد الحين في بعض المواضع يراد به أكثر كقوله هل أتى على الانسان حين من الدهر
وقد تقدم بيان أقوال العلماء في الحين في سورة البقرة وقال الزجاج الحين الوقت طال أم
قصر عن ابن عباس في قوله تعالى تؤتى أكلها كل حين قال يكون أخضر ثم يكون أصفر
وعنه قال كل حين جداد الخلة وقرئ عن جماعة من السلف في هذا أقوال كثيرة
ووجه الحكمة في تمثيل الايمان بالشجر على الاطلاق ان الشجرة لا تسمى شجرة الا
بثلاثة أشياء عرق راسخ وأصل ثابت وفرع ثابت وكذلك الايمان لا يتم الا بثلاثة أشياء
تصدق بالقلب وقول بالله وان وعمل بالابان والاركان وقيل غير ذلك وعن ابن عباس
الحكمة الطيبة شهادة أن لا اله الا الله والشجرة الطيبة المؤمن وأصلها الثابت قول لا اله
الا الله ثابت في القاب وفرعها في السماء يقول يرفع عمل المؤمن الى السماء وقرئ
نحو هذا عن جماعة من التابعين ومن بعدهم (ويضرب الله الامثال للناس لعلهم
يتذكرون) أحوال المبدأ والمعاد وبدايع صنع سبحانه الدائى وجوده ووحده وانته
وفي ضرب الامثال زيادة نذ كبروتهم وتصوير الامعانى وتقريبها من الحس ومواعظ
لمن تذكروا تعظ (ومثل كلمة خبيثة) قد تقدم تفسيرها وتغيير الاسلوب حيث لم يقل
وضرب الله مثلا كلمة خبيثة للايدان بذلك غير متصوفا بالضرب والبيان (كشجرة)
أى كشل شجرة (خبيثة) قيل هي شجرة الحظل وقيل هي شجرة النؤم وقيل الكفاة

بعد تلك فرجا وهكذا ان أصابته نعمة بعد نعمة لقولن ذهب السيات عنى أى يقول ما ينالني بعد هذا ضيم ولا سوء الله لفرح
نخور أى فرح بما في يده بطرف نخور على غيره قال الله تعالى الا الذين صبروا على الشدايد والمكاره وعملوا الصالحات أى في الرخاء
والعافية أو لئن لم يغفر لهم مغفرة أى بما يصيبهم من الضراء راجر كبير بما أسلنوه في الرخاء كما في الحديث الذي نفسى بيده لا يصيب المؤمن
هم ولا غم ولا نصب ولا وصب ولا حزن حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله عنه بها من خطاياهم وفي الصحيحين والذي نفسى بيده لا يقضى
الله للمؤمن قضاء الا كان خيرا له ان أصابته سراء فسد كركر كان خيرا له وان أصابته ضراء فصر كان خيرا له وليس ذلك الا لخير المؤمن

ولهذا قال الله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وقال تعالى ان الانسان خلق هلو عا الآيات (فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدورك ان يقولوا لو لا انزل عليه كتابا و جاء معه ملك انما أنت نذير والله على كل شيء وكيل أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل أنتم مسلمون) يقول تعالى مسليا رسوله صلى الله عليه وسلم عا كان يعنت به (١٥٠) المشركون فيما كانوا يقولونه عن الرسول كما أخبر تعالى عنهم في قوله وقالوا

ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لو لا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كتابا أو تكون له جنه يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا فامر الله تعالى رسوله صلوات الله تعالى وسلامه عليه وأرشدته ان لا يضيق بذلك منهم صدره ولا يصدنه ذلك ولا ينشيه عن دعائهم الى الله عز وجل آتاء الليل وأطراف النهار كما قال تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدورك بما يقولون الآية وقال ههنا فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدورك ان يقولوا أي لقولهم ذلك فاعلم أنت نذير ولك اسوة يا خوانك من الرسل قبلك فانهم كذبوا وأوذوا فصبروا حتى أتاهم نصر الله عز وجل ثم بين تعالى اعجاز القرآن وانه لا يستطيع أحد ان يأتي بمثله ولا بعشر سور مثله ولا بسورة من مثله لان كلام الرب تعالى لا يشبه كلام المخلوقين كما ان صفاته لا تشبه صفات المحدثات وذاته لا يشبهها شيء تعالى وتقدس وتنزه لا اله الا هو ولا رب سواه ثم قال تعالى فان لم يستجيبوا لكم

وقيل الطحلبة وقيل هي كشوث بالضم وآخره مثلثة وهي شجرة لا ورق لها ولا عروق في الارض (اجتنت) أي استوصلت واقتلعت وقطعت من أصلها قال المورج أخذت جنثها وهي نفسها وذاتها والجثمة شخص الانسان قاعدا وناثما يقال جنثه قلعه واجنثه اقتاعه كأنها اجتنت وكانها غير ثابتة بالكلية وكانها ملقاة على وجه الارض ومعنى (من فوق الارض) انه ليس لها أصل راسخ وعروق متمكنة من الارض (مالها) أي لهذه الشجرة (من قرار) أي من استقرار وقيل من ثبات لانها ليس لها أصل ثابت تغوص في الارض بل عروقها في وجهها ولا فرع لها صاعد الى السماء بل ورقها يعتمد على الارض كشجرة البطيخ وثمرها ردي كما ان الكافر وكلنه لا حجة له ولا نبات فيه ولا خيرا يأتي منه أصلا ولا يصعد له قول طيب ولا عمل صالح وفي الحقيقة تسميتها شجرة مجاز لان الشجر مالها ساق والنجم مالها ساق له وهي من النجم فتسميتها شجرة للمشاكلة قال ابن عباس الكامة الخبيثة الشرك والشجرة الخبيثة الكافر يعني الشرك ليس له أصل يأخذه الكافر ولا يبرهان ولا يقبل الله مع الشرك عملا وقد روى فهو هذا عن جماعة من التابعين ومن بعدهم (يثبت الله) راجع للمثل الاول (الذين آمنوا بالقول الثابت) أي بالحجة الواضحة عندهم وهي الكامة الطيبة المتقدمة ذكرها وقد ثبت في الصحيح انها كلمة الشهادة يقولها المؤمن اذا قعد في قبره قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذلك قوله تعالى يثبت الله الآية وقيل معنى تثبيت الله لهم هو ان يدوموا عليه (في الحياة الدنيا) ويسمروا حتى اذا فتسوا في دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتسوا هم أصحاب الاخذود وغير ذلك (وفي الآخرة) أي في القبر بتلقين الجواب وتمكين الصواب قاله الجمهور وقيل يوم القيامة عند البعث والحساب وقيل المراد بالحياة الدنيا وقت المسئلة في القبر وفي الآخرة وقت المسئلة يوم القيامة والمراد انهم اذا سئلوا عن معتقدتهم ودينهم أو ضحوا بذلك بالقول الثابت من دون تلعم (١) ولا تردد ولا جهل كما يقول من لم يوفق لأدري فيقال له لا دريت ولا تليت وأخرج البخاري ومسلم وأهل السنن وغيرهم عن البراء بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال المسلم اذا سئل في القبر يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا الآية وعن البراء قال اذا جاء الملك ان الرجل في القبر فقال لمن ربك فقال ربى الله وقالوا ما دينك قال دينى الاسلام وقالوا

أي فان لم يتواصوا بما دعوتهم اليه فاعلموا انهم عاجزون عن ذلك وان هذا الكلام منزل من عند الله متضمن علمه من وأمره ونهيهم وانه لا اله الا هو فهل أنتم مسلمون (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) قال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية ان أهل الريا يعطون بحسناتهم في الدنيا وذلك انهم لا يظلمون نفيرا يقول من عمل صالحا التماس الدنيا عموما أو صلاة أو تهجد بالليل لا يعمل الا التماس الدنيا يقول الله تعالى أو فيه الذى التمس في الدنيا من المثابة وحبط عمله الذى كان يعمل له التماس الدنيا (١) التلعم التوقف اه قاموس اه منه

وهو في الآخرة من الخاسرين وهكذا يرى عن مجاهد والضحاك وغير واحد وقال انس بن مالك والحسن نزلت في اليهود والنصارى وقال مجاهد وغيره نزلت في أهل الرباء وقال قتادة من كانت الدنيا همه ونيتته وطلبته جازاه الله بحسنته في الدنيا ثم يفضى الى الآخرة وليس له حسنة يعطى بها جزاءه وأما المؤمن فيجازى بحسنته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة وقد ورد في الحديث المرفوع نحو من هذا وقال تعالى من كان يريد العاجلة جعلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا (١٥١) كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء

ربك محظورا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض والآخرة أكبر درجات وكبر تفضيلاً وقال تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزله في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤنه منها وما له في الآخرة من نصيب (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كذب موسى اماما ورحمة أولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده فلانك في صريته منه انه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) يخبر تعالى عن حال المؤمنين الذين هم على فطرة الله تعالى التي فطر عليها عباده من الاعتراف له بأنه لا اله الا هو كما قال تعالى فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها الاية وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فاولواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تولد الهميمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء الحديث وفي صحيح مسلم عن عياض ابن حماد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى اني خلقت عبادي حنفاء فخانهم

من نبيك قال نبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فذلك التثبيت في الحياة الدنيا وعن ابن عباس نحوه وعن أبي سعيد قال في الآخرة القبر وأخرج ابن مردويه عن عائشة قالت قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا في القبر وأخرج البزار عنها أيضاً قالت قلت يا رسول الله تتبلى هذه الآخرة في قبورها فكيف بي وأنا امرأة ضعيفة قال ثبت الله الذين آمنوا الآية وعن عثمان بن عفان قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال استغفر والايحيم واسألوا الله التثبيت فانه الا ان يسئل أخرجه أبو داود وقد وردت أحاديث كثيرة في سؤال الملائكة للميت في قبره وفي جوابه عليهم وفي عذاب القبر وفنته وايس هذا موضع بسطها وهي معروفة نسأل الله التثبيت في القبر وحسن الجواب وتسهيله بفضل الله انه على كل شيء قدير وبالاجابة جدير (ويضل الله الظالمين) راجع للمثل الثاني أي يضلهم عن حجتهم التي هي القول الثابت فلا يقدر على التكلم بها في قبورهم ولا عند الحساب كما أضلهم عن اتباع الحق في الدنيا قبل والمراد بالظالمين هنا الكفرة وقيل لكل من ظلم نفسه ولو بمجرد الاعراض عن البيئات الواضحة فانه لا يثبت في مواقف النفس ولا يهتدى الى الحق (ويجعل الله ما يشاء) من التثبيت للمؤمنين والخذلان للظالمين لاراد حكمه ولا اعترض عليه قال القراء أي لا تنكر له قدرة ولا يسئل عما يفعل والاطهار في محمل الاضمار في الموضوعين تربية المهابة (المتر) هذا خطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو لكل من يصلح له تعجيباً بما صنع الكفرة من الاباطيل التي لا تكاد تصد عن له أدنى ادراك (الى الذين بدلوا نعمة الله عليهم (كفراً) أي جعلوا بديل شكرها الكفر بها وذلك بتكذيبهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم حين بعثه الله منهم وأنعم عليهم به وقيل انهم بدلوا نعمة النعمة كفرًا بالتبديل على الاول تغيير في الوصف والنعمة باقية لكنهما وصفوه بالكفران وعلى الثاني تغيير في الذات والنعمة زائلة بمبدل الكفر فانهم لما كفروا سلبت عنهم فصاروا تاركين لها محصلين للكفر بدلها ولفظ ابن عباس هم كفار أهل مكة أخرجه البخاري والنسائي وبه قال جمهور المفسرين قيل نزلت في الذين قاتلوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر قال علي هم النجاري من قريش كفيتم يوم بدر أخرجه النسائي وقد روى عنه في تفسير هذه الآية من طرق نحو هذا وعن عمر بن الخطاب قال هم الاخفران من قريش بنو المغيرة

الشياطين فاجتالهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحلت لهم وأمرتهم ان يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا وفي المسمد والسنت كل مولود يولد على هذه الفطرة حتى يعرب عنه لسانه الحديث فالمؤمن باق على هذه الفطرة وقوله ويتلوه شاهد منه أي وجاءه شاهد من الله وهو ما أوحاه الى الانبياء من الشرائع المطهرة المسكلة المعظمة الختمة بشريعة محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ولهذا قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبو العالية والضحاك وابراهيم الخنزي والسدي وغيره احدث في قوله تعالى ويتلوه شاهد منه انه جبريل عليه السلام وعن علي رضي الله عنه وقتادة هو محمد صلى الله عليه وسلم وكلاهما قريب في المعنى لان كلام من

جبريل ومحمد صلوات الله عليهم ما بلغ رسالة الله تعالى جبريل الى محمد ومحمد الى الامة وقيل هو على وهو ضعيف لا يثبت له فائل والاول والثاني هو الحق وذلك ان المؤمن عنده من الفطرة ما يشهد للشرية من حيث الجملة والتفاصيل تؤخذ من الشريعة والفطرة تصدقها وتؤمن بها ولهذا قال تعالى أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه وهو القرآن بلغه جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم وبلغه النبي محمد صلى الله عليه وسلم الى امته ثم قال تعالى ومن قبله كتاب موسى اى ومن قبل القرآن كتاب موسى وهو التوراة اماما ورحمة اى أنزله الله تعالى الى تلك الامة اماما (١٥٢) لهم وقدوة يقتدون بها ورحمة من الله بهم فمن آمن بها حق الايمان فاده

ذلك الى الايمان بالقرآن ولهذا قال تعالى أو لم يك يوم نون به ثم قال تعالى متوعد لمن كذب بالقرآن أو بشئ منه ومن يكفر به من الاحزاب فالتارة وعده اى ومن كفر بالقرآن من سائر أهل الارض مشركهم واهل الكتاب وغيرهم من سائر طوائف بني آدم على اختلاف ألوانهم وأشكالهم وأجناسهم عن بلغه القرآن كما قال تعالى لانذركم به ومن بلغ وقال تعالى قل يا أيها الناس ائني رسول الله اليكم جميعا فالنار موعده وفي صحيح مسلم من حديث شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الامة يهوى أو يضرائى ثم لا يؤمن بي الا دخل النار وقال أبو بوب السخيتاني عن سعيد بن جبير قال كنت لأسمع بحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه الا وجدت مصداقه أو قال تصديقه في القرآن فبلغنى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يسمع بي أحد من

وبنوا مية فاما بنو المغيرة فكفيتهم يوم بدر وأما بنو أمية فتعوا الى حين وعن علي نحوه أيضا وعن ابن عباس قال هم جبه له بن اليمهم والذين تبعوه من العرب فلحقوا بالروم أخرجه ابن أبي حاتم وفيه نظر فان جبه له وأصحابه لم يسلموا الا في خلافة عمر بن الخطاب وقيل انها عامة في جميع المشركين (واحد) اى أنزلوا (قومهم) بسبب ما زينو لهم من الكفر (دار البوار) وهى جهنم قيل هم قادة قريش اهلهم هم يوم بدر اهل الهلاك وهو المقتل الذى اصيبوا به والاول اولى لقوله (جهنم) فانه عطف بيان لدار البوار يقال بار الشئ يوربوا بالضم هلك وبار الشئ يوروا كسد على الاستعارة لانه اذا ترك صار غير مستغقبه فاشبه الهالك من هذا الوجه (يصلونها) مسانعة لبيان كيفية حلولهم فيها اى داخلين فيها مقاييس لحرها (وبئس القرار) اى قرارهم فيها أو وبئس المقر جهنم فالخصوص بالذم محذوف (وجعلوا لله اندادا) اى أمثالا وأشباهها اى شركاء فى الربوبية أو فى التسمية وهى الاصنام قال قتادة يعنى أشركوا بالله وليس له تعالى شريك ولا ند ولا شبهة تعالى عن ذلك علوا كبيرا (ليصلوا) بفتح الياء أنفسهم (عن سبيله) اى عن سبيل الله اللام للعاقبة بطريق الاستعارة التبعية اى ليتعقب جعلهم لله اندادا ضلالهم لان العاقل لا يرضى لفساد نفسه وحسن استعمال لام العاقبة هنا لانها تشبه الغرض والغاية من جهة حصولها فى آخر المراتب والمشاكلة أحد الامور المحيطة للمجاز وقري بضم الياء اى ليعوقوا قومهم فى الضلال عن سبيل الله فهذا هو الغرض من جعلهم لله اندادا والقراءتان سبعينان ثم هددهم سبحانه فقال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم (قل تمتعوا) فى الدنيا بما أنتم فيه من الشهوات وما زينة لكم أنفسكم من كفران النعم واضلال الناس أياما قلائل وفى التهديد بصيغة الامر ايدان بان المهدي عليه السلام كالمطلوب لافضائه الى المهدي (فان مصيركم) اى مردكم ومخرجكم فى الآخرة (الى النار) ولما كان هذا حالهم وقد صاروا انقرطها اليهم عليه وانهم ما كانهم فيه لا يقلعون عنه ولا يقبلون فيه نصح الناصحين جعل الامر بما شرته مكان النهى عن قربانه ايضا لما تكون عليه عاقبتهم وانهم لا محالة صائر الى النار فلا بد لهم من تعاطى الاسباب المقدضية لذلك فجعله فان مصيركم الى النار تعليل للامر بالتمتع وفيه من التهديد ما لا يقدر قدره أو المعنى فان دمتم على ذلك فان مصيركم الى النار والاول اولى والنظم القرآنى عليه

هذه الامة يهودى ولا نصرانى فلا يؤمن بي الا دخل النار جعلت أقول أين مصداقه فى كتاب الله قال وقيل أدل

ما سمعت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وجدت له تصديقا فى القرآن حتى وجدت هذه الاية ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده قال الملل كلها وقوله فلانك فى مرتبة منه انه الحق من ربك الاية اى القرآن حق من الله لا مريية ولا شئ فيه كما قال تعالى الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين وقال تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه وقوله ولكن أكثر الناس لا يؤمنون كقوله تعالى وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وقال تعالى وان تطع أكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله وقال تعالى ولقد

صدق عليهم الميس ظنه فاتبعوه الا فرى يقامن المؤمنين (ومن اظلم من افترى على الله كذبا اولئك يعرضون على ربهم ويقول
الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويغونهم اعوجا وهم بالآخرة هم
كافرون اولئك لم يكونوا معجزين في الارض وما كان لهم من دون الله من اولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع
وما كانوا يبصرون اولئك الذين خسروا انفسهم وفضل عنهم ما كانوا يفترون لاجرم انهم في الآخرة هم الاخسرون) يبين
تعالى حال المقترين عليه وفضيحتهم في الدار الآخرة على رؤس الخلائق من (١٥٢) الملائكة والرسل وسائر البشر والجان كما قال

الامام أحمد حدثنا به زوعفان قال
أخبرنا همام حدثنا قتادة عن
صفوان بن محرز قال كنت أخذنا
بيد ابن عمر عرض له رجل قال
كيف سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول في التجوي يوم
القيامة قال سمعته يقول ان الله
عز وجل يدني المؤمن فيضع عليه
كفيه ويستتره من الناس ويقرره
بذنوبه ويقول له أتعرف ذنب كذا
أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا
حتى اذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه
انه قد هلك قال فاني قد سترتها عليك
في الدنيا وانى أغفرها لك اليوم ثم
يعطى كتاب حسنة واما الكفار
والمناقون فيقول الاشهاد هؤلاء
الذين كذبوا على ربهم
اللعنة الله على الظالمين الآية
أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين
من حديث قتادة به وقوله الذين
يصدون عن سبيل الله ويغونهم
اعوجا أي يردون الناس عن اتباع
الحق وسلك طريق الهدى الموصلة
الى الله عز وجل ويحبونهم الجنة
ويغونهم اعوجا أي ويريدون أن
يكون طريقهم اعوجا غير معتدلة

أدل كما يقال لمن سعى في مخالفة السلطان اصنع ما شئت من المخالفة فان مصيرك الى السيف
(قل لعبادي) بثبوت الياء مفتوحة وبجذوها النقط لا خطأ والقراءتان سبعيان ويجريان
في خمس مواضع من القرآن هذا وقوله في سورة الانبياء ان الارض يرثها عبادي
الصالحون وقوله في العنكبوت باعبادي الذين آمنوا وقوله في سبأ وقليل من عبادي
الشكور وفي سورة الزمر قل يا عبادي الذين آمنوا فوا (الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا
مما رزقناهم) لما أمره بان يقول للمبدين نعمة الله كفر الجاعلين له أندادا ما قاله لهم
أمره سبحانه ان يقول للطائفة المقابلة لهم وهي طائفة المؤمنين هذا القول والمقول
مخروف دل عليه المذكور أي قل لهم أقيموا الصلاة الواجبة واقامتها اتمم أركانها
وأنفقوا أي أخرجوا الزكاة المفروضة وقيل أراد به جميع الانفاق في جميع وجوه الخير
والبر والجل على العموم أولى ويدخل فيه الزكاة دخولا أوليا (سرا وعلائية) قال القراء
أي مسرين ومعلنين أو انفاق سرا وعلائية أو وقت سرا وعلائية فالانفاق على الحال
أو المصدرا أو الظرف قال الجمهور السر ما خفي والعلائية ما ظهر وقيل السر التطوع
والعلائية القرض وقد تقدم بيان هذا عند تفسير قوله ان تبدوا الصدقات فنعمنا هي
(من قبل ان يأتي يوم لا يبغ فيه ولا خلال) قال أبو عبيدة السبع ههنا القداء والخلال
المخالفة وهو مصدر قال الواحدى هذا قول جميع أهل اللغة وقال أبو علي الفارسي جمع خلة
مثل قله وقلال وبرمة وبرام وعلبة وعلاب والمعنى ان يوم القيامة لا يبغ فيه حتى يفترى
المقصر في العمل نفسه من عذاب الله بدفع عوض عن ذلك وليس هناك مخالفة حتى يشفع
الخليل لخليله وينقده من العذاب فامرهم سبحانه بالانفاق في وجوه الخير مما رزقهم الله
سبحانه ماداموا في الحياة الدنيا قادرين على انفاق أموالهم من قبل ان يأتي يوم القيامة
فانهم لا يقدرون على ذلك بل لا مال لهم اذ ذلك فالجمله لتأكيدهم مضمون الامر بالانفاق مما
رزقهم الله ويمكن أن يكون فيها أيضا تكيدهم مضمون الامر باقامة الصلاة وذلك لان تركها
كثيرا ما يكون بسبب الاشتغال بالبيع ورعاية حقوق الاخلاء قيل هذه الآية الدالة على
نفي الخلة محمولة على نفيها بسبب ميل الطبيعة وشهوة النفس والآية الدالة على حصول
الخلة وثبوتها كقوله سبحانه في الزخرف الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
محمولة على الخلة الحاصلة بسبب محبة الله أترأه أثبتا للمتقين فقط ونفاها عن غيرهم

(٢٠ فتح البيان خامس) وهم بالآخرة هم كافرون أي جاحدون بهم امكذبون بوقوعها وكونها اولئك لم يكونوا معجزين
في الارض وما كان لهم من دون الله من اولياء أي بل كانوا تحت قهره وغلبيته وفي قبضته وساططانه وهو قادر على الانتقام منهم في
الدار الدنيا قبل الآخرة ولكن يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار وفي الصحيحين ان الله ليل للظالم حتى اذا أخذه لم يقبله ولهذا
قال تعالى يضاعف لهم العذاب الآية أي يضاعف عليهم العذاب وذلك ان الله تعالى جعل لهم سمعا وبصارا وأفئدة فاعنى عنهم
سمعهم ولا ابصارهم ولا أفئدتهم بل كانوا اصمعا عن سماع الحق عميا عن اتباعه كما أخبر تعالى عنهم حين دخولهم النار كقوله وقالوا

لو كما سمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير وقال تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب الآتي ولهذا يعذبون على كل أمر تركوه وعلى كل شيء ارتكبوه ولهذا كان أصح الأقوال أنهم مكفون بفروع الشرائع أمرها ونهها بالنسبة إلى الدرر الآخرة وقوله أولئك الذين خسروا أنفسهم وفضل عنهم ما كانوا يفترون أي خسروا أنفسهم لأنهم دخلوا ناراً حامية فهم معذبون فيها لا يفترون عنهم من عذابها طرفه عين كما قال تعالى كلما خبت زدناهم سعيراً وفضل عنهم ما كانوا يفترون من دون الله من الأنداد والأصنام فلم تجدد عنهم شيئاً (١٥٤) بل ضررتهم كل الضرر كما قال تعالى وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء

وقيل إن ليوم القيامة أحوالاً مختلفة ففي بعضها يشتغل كل خليل عن خليله وفي بعضها يتعاطف الاخلاء بعضهم على بعض إذا كانت تلك الخلة لله تعالى في محبته وقد تقدم تفسير البيع والخلال (الله الذي خلق السموات والأرض) أي أبدعها واختراعها على غير مثال سبق وخلق ما فيها من الأجرام العلوية والسفلية وانما أبدأ بخلقها لأنها أعظم الخلق والشاهدة الدالة على وجود الصانع الخالق القادر المختار رزق لهذا الموصول سبع صلات تشتمل على عشرة أدلة على وحدانية الله تعالى وعلمه وقدرته (وأرسل من السماء ماء) المراد بالسماء هنا جهة العلو فإنه يدخل في ذلك الفلك عند من قال إن ابتداء المطر منه ويدخل فيه السحاب عند من قال إن ابتداء المطر منها ويدخل فيه الأسباب التي تثير السحاب كالرياح قيل إن المطر ينزل من السماء إلى السحاب ومن السحاب إلى الرياح ومن الرياح إلى الأرض وتنكسر المياه هنا للنوعية أي نوعاً من أنواع الماء وهو ماء المطر (فأخرج به) أي بذلك الماء (من الثمرات) المتنوعة (رزقناكم) أي لبني آدم يعيشون به ومن للبيان كقولك أنفقت من الدراهم وقيل للتبعيض لأن الثمرات منها ما هو رزق لبني آدم ومنها ما هو ليس برزق لهم وهو ما لا يكون ولا يتفنعون به والثمار يسقى على ما يحصل من الشجر وقد يقع على الزرع أيضاً كقوله تعالى كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده وقيل المراد به ما يشمل المطعم والملبوس (وسخر لكم الفلك) أي السفن الجارية على الماء جفرت على إرادتكم لأجل الانتفاع بها في جلب ذلك الرزق الذي هو الثمرات وغيرها من بلد إلى بلد آخر فاستعملتوها في مصالحكم ولذا قال (لتجربن في البحر) كما تريدون وعلى ما تطلبون بالركوب والحمل ونحو ذلك (بأمره) أي بأمر الله ومشيئته وأذنه وقد تقدم تفسير هذا في البقرة (وسخر لكم الأنهار) بكل فائدة قاله مجاهد أي دللها لكم بالركوب عليها والأجر إليها إلى حيث تريدون وهو من أعظم نعم الله على عباده (وسخر لكم الشمس والقمر) لتتفنعوا بهما وتستضيئوا بوضوئهما (دائمين) الدؤب مرور الشيء في العمل على عادة جارية والدأب العادة المستمرة دائماً على حالة واحدة ودأب في السير دائم عليه ودأب في عمله جاد وتعب وبأبه قطع وخضع فهو دأب بالالف لا غير والدأبان الدليل والنهار والدأب يسكون الهمزة العادة والشأن وقد يحرك ومعنى دأبين يجريان دائماً في إصلاح ما يصالحانه من النبات والحيوان وإزالة الظلمة لأن الشمس سلطان النهار وبها يعرف فصول السنة والقمر سلطان الليل وبه يعرف انقضاء الشهر وكل ذلك بتسخير الله عز وجل

وكانوا بعبادتهم كافرين وقال تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدًا وقال الخليل لقومه انما اتخذتم من دون الله آوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً وماؤاكم النار وما لكم من ناصرين وقوله أذتبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب إلى غير ذلك من الآيات الدالة على خسرتهم ودمارهم ولهذا قال لأجرم انهم في الآخرة هم الاخسرون يخبر تعالى عن ما أهم انهم أخسر الناس صفقة في الدار الآخرة لأنهم استبدلوا الدرجات عن الدرجات واعتاضوا عن نعيم الجنان بجميم آن وعن شرب الرحيق المختوم بسهم وجميم وظل من يحموم وعن الحور العين بطعام من غسليين وعن القصور العالية بالهاوية وعن قرب الرحمن ورويته يغضب الديان وعقوبته فلاجرم انهم في الآخرة هم الاخسرون (ان الذين آمنوا

وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل القر يقين كالاعشى والاصم والبصير وانعامه والسميع هل يستويان مثلاً أفلا تذكرون) لماذا كرتعالى حال الاشقياء ثم بذكر السعداء وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات فآمنت قلوبهم وعملت جوارحهم الأعمال الصالحة قولاً وفعلًا من الاتيان بالطاعات وترك المنكرات وبهدايتهم إلى الجنة المشقة على الغرف العاليات والسرر المصفوفات والتطوف الدائيات والفرش المرتفعات والحسان الخسريات والقوا كه المتنوعات والمساكن المشتهيات والمشارب المستلذات والنظر إلى خالق الأرض والسموات وهم في ذلك خالدون لا يموتون ولا يهرمون ولا يمرضون

ولا ينامون ولا يتغوطون ولا ييصقون ولا يتخبطون ان هو الا رشح مسك يعرقون ثم ضرب تعالى مثل الكافرين والمؤمنين فقال
 مثل الفريقين أي الذين وصفهم أو بالاشقاء والمؤمنين بالعبادة فأولئك كالأعمى والاصم وهؤلاء كالصير والسميع فالكافر أعمى
 عن ربه الحق في الدنيا وفي الآخرة لا يهتدى إلى خير ولا يعرفه أصم عن سماع الحجج فلا يسمع ما ينتفع به ولو علم الله فيهم خيرا
 لاسمعهم الآية وأما المؤمن فنظن ذلك لييب بصير بالحق غير يبينه وبين الباطل فيتبع الخير ويترك الشر سميع للجمعة يفرق بينها
 وبين الشبهة فلا يروح عليه باطل فهل يستوى هذا وهذا (١٥٥) أفلاتذكرون أفلاتعتبرون فتشرقون بين هؤلاء وهؤلاء

كما قال في الآية الأخرى لا يستوى
 أصحاب النار وأصحاب الجنة
 أصحاب الجنة هم القائلون وكذوله
 وما يستوى الأعمى والبصير ولا
 الظلمات والنور ولا الظل ولا
 الحرور وما يستوى الأحياء
 ولا الأموات ان الله يسمع من يشاء
 وما أنت بمسمع من في القبور ان
 أنت الا نذير انا أرسلناك بالحق
 بشيراً ونذيراً وان من أمة الا خلا
 فيها نذير (ولقد أرسلنا نوحاً الى
 قومه اني لكم نذير مبين ألا تعبدوا
 الا الله اني أخاف عليكم عذاب يوم
 أليم فقال المشركون الذين كفروا من
 قومه ما نراك الا بشر امثلنا وما
 نراك اتبعك الا الذين هم آرادنا
 بادى الرأي وما نرى لنا لك علمنا
 من فضل بل نظنك كاذبين يخبر
 تعالى عن نوح عليه السلام وكان
 أول رسول بعثه الله الى أهل
 الارض من المشركين عمدة
 الاصنام انه قال لقومه اني لكم
 نذير مبين أي ظاهر النذارة لكم
 من عذاب الله ان أنتم عبدتم غير
 الله ولهذا قال ان لا تعبدوا الا الله
 وقوله اني أخاف عليكم عذاب يوم

وانعامه على عباده وقيل دأبين في السير امتثالاً لامر الله قال ابن عباس دؤبهما في طاعة
 الله والمعنى يجريان الى يوم القيامة ولا يفتران ولا ينقطع سيرهما في فلكهما ما هو السماء
 الرابعة للشمس وسماء الدنيا للقدرة الى آخر الدهر وهو انقضاء عمر الدنيا وذهايمها (ويحضر
 لكم الليل والنهار) يتعاقبان فالنهار لسعيكم في أمور وعاشكم وما تحتاجون اليه من
 أمور دنيا كم والليل لتسكنوا فيه كما قال سبحانه ومن رحمة الله جعل لكم الليل والنهار
 لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولم يقصر على النعم المقدمة بل (واتاكم من كل)
 نوع ووصف (ماسألتوه) قال الاخفش اي أعطاكم من المنافع والمراد مالاً يأتي
 على بعضها العدو والحصر وقيل المعنى من كل ماسألتهم ومن كل ما لم تسألوهم قاله ابن انباري
 لان نعمه علينا أكثر من ان تحصى وقيل من زائدة وبه قال الاخفش اي آتاكم كل
 ماسألتوه وقيل للتبعية اي بعض ماسألتوه وهو رأي سيبويه قال عكرمة أي من كل
 شيء رغبت اليه فيه وعن مجاهد مثله وعن الحسن من كل الذي سألتوه وقرئ من كل
 بتوئين وعلى هذا ما نافية حرفية أي آتاكم من جميع ذلك حال كونكم غير سائلين له
 أو مصدرية أو موصولة اسمية (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) أي وان تعرضوا
 لتعداد النعم التي أنعم الله تعالى بها عليكم اجمالاً لافضلها عن التخصيص لا تطيقوا احصاءها
 بوجه من الوجوه ولا تقوموا بحصرها على حال من الاحوال وفي السمين النعمة هنا بمعنى
 المسموعة وأصل الاحصاء ان الحاسب اذا بلغ عقد معينان عقود الاعداد وضع حصة
 ليحفظه بها ومن المعلوم انه لو دام فرد من افراد العباد ان يحصى ما أنعم الله به عليه في خلق
 عضوه من أعضائه أو حاسة من حواسه لم يقدر على ذلك قط ولا أمكنه أصلاً فكيف بما عدا
 ذلك من النعم في جميع ما خلقه الله في بدنه فكيف بما عدا ذلك من النعم الواصلة اليه في
 كل وقت على تنوعها واختلاف أجناسها اللهم اننا نشكرك على كل نعمة أنعمت بها
 علينا مما لا يعلم الا أنت ومما علمناه مشكراً لا يحيط به حصر ولا يحصره عد وعدد ما شكرك
 الشاكرون بكل اسنان في كل زمان قال سليمان التيمي ان الله أنعم على العباد على قدره
 وكفهم الشكر على قدرهم وعن بكر بن عبد الله المزني قال يا ابن آدم ان أردت ان تعلم قدر
 ما أنعم الله عليك فغمض عينيك وعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال من لم يعرف
 نعمة الله عليه الا في مطعمه ومشربه فقد قل علمه وحضر عذابه وعن أبي أيوب القرشي

أليم أي ان استمررت على ما أنعم عليه عليك الله عذاباً أليماً وجمعها شاق في الدار الآخرة فقال الملائكة الذين كفروا من قومه والملائكة
 هم السادة والكبراء من الكافرين منهم ما نراك الا بشر امثلنا أي لست بملك ولا كنت بشراً فكيف أوسى اليك من دوننا ثم ما نراك
 اتبعك الا الذين هم آرادنا كالباعة والحالكة واشباههم ولم يتبعك الاشراف ولا الرساء ثم هؤلاء الذين اتبعوك لم يكن عن ترو
 منهم ولا فخر ولا تطر بل بمجرد ما دعوتهم أجابوك فاتبعوك ولهذا قالوا اما نراك اتبعك الا الذين هم آرادنا بادى الرأي اي في أول
 بادى الرأي ثم ما نرى لكم علينا من فضل ية ولون ما رأينا لكم علينا فضيلة في خلق ولا خلق ولا رزق ولا حال لما دخلتم في دينكم

هذا بل تظنكم كاذبين أي فيما تدعونكم من البر والصالح والعبادة والسعادة في الدار الآخرة إذ صرتم اليها هذا اعتراض الكافرين على نوح عليه السلام وأتباعه وهو دليل على جهلهم وقلة علمهم وعقلهم فإنه ليس بعار على الحق رذالة من اتبعه فإن الحق في نفسه صحيح سواء اتبعه الأشراف أو الأراذل بل الحق الذي لا شذوذ فيه أن أتباع الحق هم الأشراف ولو كانوا فقراء والذين يأتونه هم الأراذل ولو كانوا أغنياء ثم الواقع غالباً أن ما يتبع الحق ضعفاء الناس والغالب على الأشراف والكبراء مخالفتهم كما قال تعالى وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها (١٥٦) أنا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون ولما سأل هرقل ملك

الروم أباسقيان صخر بن حرب عن صفات النبي صلى الله عليه وسلم قال له فيما قال أشراف الناس اتبعوه أو ضعفاؤهم قال بل ضعفاؤهم فقال هرقل هم أتباع الرسل وقولهم يادى الراى ليس بمذمة ولا عيب لان الحق اذا وضح لا يبقى الراى ولا للفكر مجال بل لا بد من اتباع الحق والحالة هذه لكل ذى ركة وذكاء بل لا يفكر ههنا الاغبي أو عبي والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين انما جاؤا بأمر جلى واضح وقد جاء في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مادعوت أحدنا الى الاسلام الا كانت له كبوة غير أرى بكر فإنه لم يتعلم أى ما تردد ولا تروى لانه رأى أمر اجلياً عظيماً واخفاً فبادر اليه وسارع وقولهم وما نرى لكم علمين ان فضلهم لا يرون ذلك لانهم سمعوا عن الحق لا يسمعون ولا يصرون بل هم في ريبهم يترددون في ظلمات الجهل يعمهون وهم الأفاككون الكاذبون الأذولون الأراذلون وفي الآخرة هم الاخسرون (قال ياقوم أرايتم

قال قال داود عليه السلام رب اخبرني ما أدنى نعمتك على قارح اليه ياد او تنفس فتفس فقال هذا أدنى نعمتي عليك (ان الانسان الظالم) لنفسه باغفاله لشكر نعم الله عليه وقيل الظالم الشاكر غير من أنعم عليه فيضع الشكر في غير موضعه وظاهره شمول كل انسان وقال الزجاج ان الانسان اسم جنس يقصد به الكافر خاصة كما قال ان الانسان لفي خسر وقيل يريد بأب جهل والاول أولى (كفار) أى شديد كفران نعم الله عليه جاحد لها غير شاكر لله سبحانه عليها كما ينبغي ويجب عليه عن عمر بن الخطاب قال اللهم اغفر لي ظلمي وكفري فقال قائل بأمر المؤمنين هذا الظالم فبال الكفر قال ان الانسان لظالم كفار وقيل الظالم في الشدة يشكرو ويحجز عن كنفار في النعمة يجمع وينع (واذ قال ابراهيم) أى واذا كروا قوله واعل المراد بسياق ما قاله ابراهيم عليه السلام في هذا الموضوع بيان كفر قريش بالنعم الخاصة بهم وهي اسكانهم مكة بعدما بين كفرهم بالنعم العامة وقيل ان ذكر قصة ابراهيم ههنا للمثال الكلمة الطيبة وقيل لقصد الدعاء الى التوحيد وانكار عبادة الاصنام وهذه القصة كانت بعدما وقع له من الالتقاء في النار وفي تلك لم يبال ولم يدع بل اكنى بعلم الله بحاله وفي هذه قد دعا وتضرع ومقام الدعاء اجل وأعلى من مقام تركه اكتفاء بعلم الله كما قاله العارفون فيكون ابراهيم قد ترقى واتقل من طور الى طور من أطوار الكمال (رب اجعل هذا البلد) أى مكة (آمناً) أى ذا امن الى قرب القيامة وخراب الدنيا وقدم طلب الامن على سائر المطالب المذكورة بعده لانه اذا اتى الامن لم يفرغ الانسان شئاً آخر من أمور الدنيا والدين وقد تقدم نفسه مثل هذه الآية في البقرة عند قوله تعالى رب اجعل هذا بلداً آمناً والفرق بين ما هنا وما هنا ان المطالب ههنا مجرد الامن للبلد والمطالب ههنا للبلدية والامن وفي الجمل فسر الشارح البلد ههنا بمكة وفي سورة البقرة بالمكان فيقتضى ان هذا الدعاء وقع مرتين مرة قبل بنائها ومرته بعده ولذلك كتب الكرخي هناك مانصه ذكر البلد ههنا وعرفه في ابراهيم لان الدعوة ههنا كانت قبل جعل المكان بلداً فطلب من الله ان يجعله آمناً وبعده كان بعد جعله بلداً انتهى وقال الزمخشري سألت في الاول ان يجعله من جملة البلاد التي يامن أهلها ولا يخافون وفي الثاني ان يخرجهم من صفة كان عليها من الخوف الى ضد ما من الامن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمناً انتهى قلت والمعاني متقاربة والمراد من الدعاء جعل

ان كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم ان لم يكتموها وانتم لها كارهون) يقول تعالى مكة مخبراً عما رده نوح على قومه في ذلك أرايتم ان كنت على بينة من ربي أى على يقين وأمر جلي ونبوة صادقة وهي الرحمة العظيمة من الله به وبهم فعميت عليكم أى خفيت لكم فتمت تدوا اليها ولا عرفتم قدرها بل بادرتم الى تكذيبها ووردها انتم كتموها أى بعضكم يقبلها وانتم لها كارهون (ويا قوم لا أسألكم عليه ما لان أجرى الاعلى الله وما أنا بدارك الذين آمنوا انهم ملاقون ربهم ولكنى أراكم قوماً تجهلون ويا قوم من نصرني من الله ان طردتكم أفلا تدكرون) يقول اقوموا لا أسألكم على نصحي لكم

مالاجرة أخذها منكم انما بتغى الاجر من الله عز وجل وما نابطار الذين آمنوا كأنهم طلبوا منة ان يطرد المؤمن عن
احتشام او نفاسة منهم ان يجاسوا معه كسأل أمثالهم خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم ان يطرد عنهم جماعة من الضعفاء ويجلس
معهم مجلسا خاصا فانزل الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الآية وقال تعالى وكذلك فتنا بعضهم ببعض
ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله باعلم بالشاكرين الآية (ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا
أقول انى ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم ان يؤتيمهم الله خيرا الله أعلم (١٥٧) بما فى أنفسهم انى اذلمن الظالمين) يخبرهم

انه رسول من الله يدعو الى عبادة
الله وحده لا شريك له باذن الله له فى
ذلك ولا يسألهم على ذلك اجرا
بل هو يدعو من اقبله من شريف
ووضيع فن استجاب له نجوا يخبرهم
انه لا قدرة له على التصرف فى
خزائن الله ولا يعلم من الغيب الا
ما أطلع الله عليه وليس هو بعلمك
من الملائكة بل هو بشر مؤيد
بالمعجزات ولا أقول عن هؤلاء
الذين تحتقرونهم وتزدرونهم انهم
ليس لهم عند الله ثواب على
اعمالهم الله أعلم بما فى أنفسهم
فان كانوا مؤمنين باطنا كما هو
الظاهر من حالهم فلهم جزاء الحسى
ولو قطع لهم احد بشر بعد ما آمنوا
لكان ظالما قائلا ما اعلم له به
(قالوا يا نوح قد جادنا فاكثرت
جدالنا فاتنا بما تعدنا ان كنت
من الصادقين قال انما يا تيكم به
الله ان شاء وما أنتم بمعجزين ولا
ينفعكم نصي ان أردت ان أنصح
لكم ان كان الله يريد ان يغويكم
هوربكم واليه ترجعون) يقول
تعالى مخبرا عن استعجال قوم نوح
نقمة الله وعذابه وسخطه والبلاء

مكة آمنة من الخراب وهذا موجود بحمد الله ولم يقدر احد على تخريبها وانما جماعة
من الجبارة عليهم أو أخافوا أهلها وقيل هو عام مخصوص بقصة ذى السويقتين من الحبشة
على ما فى الصحيحين فلا تعارض بين النصين والمراد جعل أهل هذا البلد آمنين وهذا
الوجه عليه أكثر المفسرين وغيرهم وهذا الامن حاصل بحمد الله بمكة وحرمة الى
الآن قال السبوطى وقد أجاب الله دعاءه فجعله حرما لا يسفك فيه دم انسان ولا يظلم فيه
أحد ولا يصاد صيده ولا يحتل خلاه (واجنبى وبى أن نعبد الاصنام) يقال جنبته
كذا واجنبته أى باعدته عنه فلا شياور باعما وهى لغة نجد وجنبه اياه مشددا وهى لغة
الجزاز وهو المنع وأصله من الجانب كأنه سأل ان يبعده عن جانب الشرك بالظاف منه
وأسباب خفية والمعنى باعدنى وباعد بنى عن عبادة الاصنام قيل أراد بنيه من صلبه وكانوا
ثمانية وقيل أراد من كان موجودا حال دعوته من بنيه وبى بنيه وقيل أراد جميع ذريته
ما تناسلوا قيل وبؤيد ذلك ما قيل من انه لم يبعده أحد من أولاد ابراهيم صنما والصنم هو
التمثال الذى كانت تصنعه أهل الجاهلية من الاجار وشحوها في عبادة وتأييده هذا
يستقيم على القولين الاولين وأما القول الثالث فلا يستقيم فقريش من أولاد ادم عمل
وقد عبدوا الاصنام بلا شك وقال الواحدى المعنى وبى الذين أذنت لى فى دعاء لهم وقد
كان من بنيه من عبد الصنم فيكون هذا الدعاء من العام المخصوص وقيل هذا مختص
بالمؤمنين من أولاده بدليل قوله فى آخر الآية فن تعنى فانه منى وذلك يفيد ان من لم يتبعه
على دينه فليس منه وعن مجاهد قال فاستجاب الله لاراهيم دعوته فى ولده فلم يبعده أحد
من ولده صنما بعد دعوته واستجاب الله له وجعل هذا البلد آمنا ورزق أهله من الثمرات
وجعله اما ما رجعت من ذريته من يقيم الصلاة وتقبل دعاءه فاراه مناسكة وتاب عليه قيل
هو دعاء لنفسه فى مقام الخوف أو قصد به الجمع بينه وبين بنيه ليستجاب لهم ببركته والمراد
طلب الثبات والدوام على ذلك (رب انهن أضلان كثيرا من الناس) أسند
الاضلال الى الاصنام مع كونها جادات لا تعقل لانها سبب اضلالهم فكأنها أضلتهم
وهذه الجملة لتعليل لدعائه لربه واعداد النداء لتأكيد النداء وكثرة الابتهاج والتضرع
وهذا التركيب مجاز كقولهم فقتلتم الدنيا وغرتهم وانما فتناوبها واغترتوا بسببها ثم قال
(فن تعنى) أى من تبع دينى من الناس فصار مسلما وحدا (فانه منى) أى من أهل

موكل بالمنطق قالوا يا نوح قد جادنا فاكثرت جدالنا أى حاجتسا فاكثرت من ذلك ونحن لا نتبعك فاتنا بما تعدنا أى من النقمة
والعذاب ادع علمنا بما شئت فلما اتنا ما تدعو به ان كنت من الصادقين قال انما يا تيكم به الله ان شاء وما أنتم بمعجزين أى انما الذى
يعاقبكم ويجعل لكم الله الذى لا يعجزه شى ولا ينفعكم نصي ان أردت ان أنصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم أى شى يجبى
عليكم ابلاغى لكم وانذارى اياكم ونصي ان كان الله يريد ان يغويكم أى اغواءكم ودماركم هوربكم واليه ترجعون أى هو مالك
أزمة الامور المتصرف الحاكم العادل الذى لا يجوز له الخلق وله الامر وهو المبدئ المعيد مالك الدنيا والاخرة (ام يقولون افتراه

قل ان افتريته فعلى اجرائى وانابرى مما تجرمون) هذا كلام معترض في وسط هذه القصة مؤكداً لهما مقررها يقول تعالى لمجد صلى الله عليه وسلم أم يقول هؤلاء الكافرون الجاحدون افتري هذا وافتعله من عنده قل ان افتريته فعلى اجرائى أى قائم ذلك على وانابرى مما تجرمون أى ليس ذلك مفتعلاً ولا مفترى لاني أعلم ما عند الله من العقوبة لمن كذب عليه (وأوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قدامن فلا تبئس بما كانوا يفعلون واصنع الفنت باعيننا ووحنا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون وبصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان (١٥٨) تسخروا منا فاننا نسخر منكم كما نسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب

يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم) يخبر تعالى انه أوحى الى نوح لما استجبل قومه فعمه الله بهم وعذابه لهم فذاع عليهم دعوتهم التي قال الله تعالى مخبراً عنه انه قال رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً فدعاه ربى انى مغلوب فاتصر فعند ذلك أوحى الله اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قدامن فلا تحزن عليهم ولا يهمنك أمرهم واصنع الفلك يعنى السفينة باعيننا أى برأى منا ووحينا أى تعالينا لك ما ذاتصنعها ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون فقال بعض السلف أمره الله تعالى ان يغرز الخشب ويقطعه ويبسه فكان ذلك في مائة سنة ونحوها في مائة سنة اخرى وقيل أربعين سنة والله أعلم وذكر ابن اسحق عن التوراة ان الله أمره ان يصنعها من خشب الساج وان يجعل طولها ثمانين ذراعاً وعرضها خمسين ذراعاً وان يطلى باطنها وظاهرها بالقار وان يجعل لها جوجاً ووزوراً يشق الماء وقال قتادة كان طولها ثمانمائة ذراعاً وعن ابن عباس طولها ألف ومائتا ذراعاً في عرض ستمائة

دنى جعل أهل ملته كنفسه مبالغة (ومن عصاني) فلم يتابعنى ولم يدخل في ملتى

(فأنك غفور رحيم) قادر على ان تغفر له قيل قال هذا قبل ان يعلم ان الله لا يغفر ان

يشرك به كما وقع منه الاستغفار لآبيه وهو مشرك قاله ابن الانبارى وقيل المراد عصيانه

هنا في ادون الشرك قاله مقاتل وقيل ان هذه المغفرة مقيدة بالتوبة من الشرك قاله

السدى وقيل تغفر له بان نقله من الكفر الى الايمان والاسلام وتهديه الى الصواب

والاولى أولى ثم قال (ربنا انى أسكنت من ذريتي) قال الفراء من للتبعيض أى بعض

ذريتي وقال ابن الانبارى انها زائدة أى أسكنت ذريتي والاولى لأنه انما أسكن اسمعيل

وهو بعض ولده وامه هاجر (وواد) هو المنخفض بين الجبلين (غير ذى زرع) أى

لا زرع فيه قط وهو وادى مكة أو لا يصلح للانبات لأنه ارض حجرة لا تنبت شيئاً ان

يكون اسكانهم لاجل الزراعة (عند يمتك المحرم) أى الذى كان قبل الطوفان وأما

وقت دعائه فلم يكن وإنما كان تلامن الرمل وأما البيت فقد رفع الى السماء من حين

الطوفان ولو جعل التجوز باعتبار ما يؤول لكان صحيحاً أيضاً يعنى انه سيعمره أو يبتدئ

الذى جرى في سابق علمك انه سيحدث في هذا المكان وسمى محرماً لان الله حرم التعرض

له والتهاون به وجعل ما حوله حرماً لمكانه أو لانه حرم على الطوفان أى منع منه كما سمي

عتيقاً لانه أعتق منه وقيل انه محرم على الجبابرة وقد تقدم في سورة المائدة ما يغنى عن

الاعادة أخرج الواقدي وابن عساکر من طريق عامر بن سعد عن أبيه قال كانت سارة تحت

ابراهيم فكثت تحته دهر الا تزرق منه ولداً فلما رأته ذلك وهبت له هاجر امة لها قبضة

فولدت له اسمعيل فغارت من ذلك سارة ووجدت في نفسها وعبت على هاجر فخلقت ان

يقطع منها ثلاثة أطراف فقال لها ابراهيم هل لك ان تبرى عيماً قالت كيف أصنع قال

اثقبى اذنيها واخفضها والخصها هو الختان ففعلت ذلك بها فوضعت هاجر في اذنيها

قرطين فازدادت بهما حسنة فاقالت سارة انى انما زدتها جالاً فلم تقاره على كونه معها

ووجدتها ابراهيم وجد اشديد فنقلها الى مكة فكان يزورها في كل يوم من الشام على

البراق من شغفه بها وقله صبره عنها ثم قال (ربنا ليقيموا الصلاة) اللام لام كي أى

ما أسكنتهم بهذا الوادى الخالى من كل مرتفع ومرترق الاقامة الصلاة فيه متوجهين

اليه متبركين به وخصها دون سائر العبادات لما زيد فضلها ولعل تكبر بالنداء وتوسيطه

وقيل طولها ألفا ذراعاً وعرضها مائة ذراعاً فالثلاثة علم قالوا كلهم وكان ارتفاعها في السماء ثلاثين ذراعاً ثلاث طبقات لاظهار كل طبقة عشرة أذرع فالسفلى للدواب والوحوش والوسطى للانس والعليا للطيور وكان بابها في عرضها وله عطاء من فوقها مطبق عليها وقد ذكر الامام ابو جعفر بن جرير اثر اغرياب من حديث علي بن زيد بن جذعان عن يوسف بن مهرة عن عبد الله بن عباس انه قال قال الخواريون لعيسى بن مريم لو بعث لنا رجلاً شهد السفينة فحدثنا عنها قال فانطلق بهم حتى انتهى الى كنيب من تراب فاخذ كفاً من ذلك التراب بكفه فقال آندرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا كعب حام بن نوح قال فضرب الكنيب بعصاه

قال قم بادن الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه قد شاب قال له عيسى عليه السلام أهكذا هلكت قال لا ولكني مت وأنا شاب
ولكني ظننت انها الساعة فن شئت قال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت
ثلاث طبقات فطبقة فيها الدواب والوحوش وطبقة فيها الانس وطبقة فيها الطير فلما كثرت الدواب أوحى الله عز وجل الى نوح
عليه السلام ان اغمز ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة فاقبل على الروث فلما وقع الفأر بجوف السفينة يقرضها وحبها
أوحى الله اليه ان اضرب بين عيني الاسد فضرب فوق سنور وسنورة (١٥٩) فاقبل على الفأر فقال له عيسى عليه السلام

كيف علم نوح ان البلاد قد غرقت
قال بعث الغراب يأتيه بالخبر فوجد
جيفة فوق عليها فدعا عليه بالخوف
فذلك لا يأنف البيوت قال ثم
بعث الحمامة فجاءت بورق زيتون
بمقارها وطين برجلها فعلم ان
البلاد قد غرقت قال فطوقها
الخنصرة في عنقها ودعا لها ان
تكون في أنس وأمان فن ثم تألف
البيوت قال فقلنا يا رسول الله الا
تظلمني به الى أهلية فيجلس معنا
ويحدثنا قال كيف يتبعكم من
لارزقه قال فقال له عد بادن الله
فعد ترابا وقوله ويصنع الفلك
وكلم امر عليه ملا من قومه تسخروا
منه أي هم يتزؤون به ويكذبون بما
يتوعدهم به من العرق قال ان
تسخروا منا فاننا نسخركم منكم الآية
وعد شديد وتهديدا كيد من يأتيه
عذاب يجزيه أي يهينه في الدنيا
ويحل عليه عذاب مقيم اي دائم
مستمر أبدا (حتى اذا جاء أمرنا
وفار التنور قلنا احمل فيها من كل
زوجين اثنين وأهلك الامن سبق
عليه القول ومن آمن وما آمن
معه الا قليل) هذه موعدة من الله

لاظهار العناية الكاملة بهذه العبادة وللإشعار بانها المقصودة بالذات من اسكانهم ثم
والمقصود من الدعاء توفيقهم لها وقيام الامام الامر والمراد الدعاء لهم باقامة الصلاة
كأنه طلب منهم الاقامة وسأل من الله ان يوفقه لها اثبت ان الاقامة عنده للعبادة وقد
نفي كونها للكسب بخلاف الحصر (فاجعل أئمة) الا فتنة جمع فؤاد وهو القلب عبر به عن
جميع البدن لانه أشرف عضويه وقيل هو جمع وفد والاصل أوفدة فكانت له قال واجعل
وفودا (من الناس تهوى اليهم) من للتبعض وقيل زائدة ولا يلزم منه ان يمحج اليهود
والنصارى لدخولهم تحت لفظ الناس لان المطلوب توجيه قلوب الناس اليهم للاسكون
معهم والجلب اليهم لانتوجهها الى الحج ولو كان هذا مراد القائل تهوى اليه وقيل من
للإبتداء كقوله القلب منى سقيم تريد قلبي ومعنى تهوى اليهم تنزع اليهم وقيل تسرع وتميل
وتحن اليهم لزيارته يبتك لالذواتهم وأعيانهم وفي هذا بيان ان حنين الناس اليهم انما هو
لطلب حج البيت لا لأعيانهم يقال هوى شحوه اذا مال وهوت الناقة تهوى هوى هوى هوى
اذا عدت عدوا شديدا كأنها تهوى في بئر ويحتمل ان يكون المعنى تجي اليهم وتسرع اليهم
وقيل تحن وتطير وتشتاق اليهم وأصله ان يتعدى باللام وانما تعدى بالي لانه ضمن معنى
تميل قال السدي أي أمل قلوبهم الى هذا الموضع وقيل تريدهم قاله الفراء وقيل تخط
اليهم وتخدر وتنزل وهذا قول أهل اللغة والمعاني متقاربة قال ابن عباس لو قال أئمة
الناس لارزجت عليه فارس والترك والروم والهند والحج اليهود والنصارى والناس كلهم
ولكنه قال أئمة من الناس فخص به المؤمنين أخرجه البيهقي قال السيوطي بسند حسن
وفيه دعاء للمؤمنين بان يرزقهم حج البيت ودعاء لاسكان مكة من ذرية بانهم ينتفعون به
يأتى اليهم من الناس لزيارته البيت فقد جمع ابراهيم في هذا الدعاء من أمر الدين والدنيا
ما ظهر بيانه وعمت بركته (وارزقهم) أي ذريتي الذين أسكنتهم هنالك أربابهم ومن
يساكنهم من الناس (من) أنواع (الثمرات) التي تنبت فيه كما رزقت سكان القرى ذوات
الماء والزرع فيكون المراد عمارة قرى بقرب مكة لتحصل تلك الثمار والمراد جلب الثمرات
الى مكة بطريق القل والتجارة لقوله تعالى تجي اليه ثمرات كل شيء وهذا أولى (لعلمهم
يتسكرون) نعمت التي أنعمت بها عليهم قال محمد بن مسلم ان ابراهيم لما دعا للحرم نقل
الله الطائف من فلسطين وعن الزهري قال ان الله نقل قرية من قرى الشام فوضعها

تعالى لنوح عليه السلام اذا جاء أمر الله من الامطار المتتابعة والهتان الذي لا يقلع ولا يقتر بل هو كما قال تعالى ففتحنا أبواب
السماء جماعا منهم وجرنا الارض عيوننا فالتقى الماء على أمر قد قدر ورجلناه على ذات ألواح ودسر تجري باعيننا جرائم لمن كان كفورا وما
قوله وفار التنور فعن ابن عباس التنور وجه الارض أي صارت الارض عيوننا تنور حتى فار الماء من التنوير التي هي مكان النار
صارت تنورا وهذا قول جمهور السلف وعلماء الخلف وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه التنور فلق الصبح وتنوير الفجر وهو
ضياؤه وإشراقه والاول أظهر وقال مجاهد والشعبي كان هذا التنور بالكوفة وعن ابن عباس عين بالهند وعن قتادة عين بالجزيرة

يقال لها عين الوردية وهذه أقوال غريبة حينئذ أمر الله نوحا عليه السلام ان يحمل معه في السفينة من كل زوجين اثنين من صنوف الخيل وقات ذوات الارواح قيل وغيرهما من النباتات اثنين ذكرا واثني فقيل كان أول من أدخل من الطيور الدرّة وآخر من أدخل من الحيوانات الحمار فتعلق ابليس بذنبه فدخل بيديه وجعل يريدان ينهض فيثقله ابليس وهو متعلق بذنبه فجعل يقول له نوح عليه السلام مالك ويحك ادخل فينهض ولا يقدر فقال ادخل وان كان ابليس معك فدخل في السفينة وذكر بعض السلف انهم لم يستطيعوا ان يحمله لخواصهم الاسد (١٦٠) حتى ألقيت عليه الحصى وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن صالح

كاتب الليث حدثني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما حمل نوح في السفينة من كل زوجين اثنين قال أحسبها وكيف تظمتن المواشي ومعها الاسد فسلط الله عليه الحصى فكان أول حصى نزلت في الارض ثم شكوا الفأرة فقالوا الفؤ يسقة نفسه دعنا نطعمنا ومتاعنا فوحي الله الى الاسد فعمس فخرجت الهرة منه فخبأت الفأرة منها وقوله وأهلك الامن سبق عليه القول أى واجل فيها أهلك وهم أهل بيته وقرابته الامن سبق عليه القول منهم من لم يؤمن بالله فكان منهم ابنه يام الذى انعزل وحده او امرأة نوح وكانت كافرة بالله ورسوله وقوله ومن آمن أى من قومك وما آمن معه الا قليل أى نزر يسير مع طول المدة والمقام بين أظهرهم ألف سنة الاخسرين عاما فعن ابن عباس كانوا ثمانين نفسا منهم نساء وهم وعن كعب الاحبار كانوا اثنين وسبعين نفسا وقيل كانوا عشرة وقيل ان ما كانوا نوح وبنوه الثلاثة سام وحام ويافتش وكانته الاربع نساء هؤلاء

بالطائف لدعوة ابراهيم وأما اجابة قوله فاجعل أفئدة الخ فدخلت بحجرهم وقد استمر قصد الخجاج والعمار لهذا البيت كل عام الى آخر الزمان (ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن) أى ما نكتمه وما نظهره لان الظاهر والمضمر بالنسبة اليه سبحانه سيات لا تفاوت فيهما قيل والمراد هنا ما نخفي ما يقابل ما نعلن فالمعنى ما نظهره وما لا نظهره وقدم الاخفاء على الاعلان للدلالة على انها ممتنعان في علم الله سبحانه وظاهر النظم القرآنى عموم كل ما يظهره وما لا يظهره من غير تقييد بشئ معين من ذلك وقيل المراد ما يخفيه ابراهيم من وحده باسمه وعلمه حيث أسكنه بنو ادغير ذى زرع وما يعلنه من ذلك وقيل ما يخفيه ابراهيم من الوجود ويعلنه من البكاء والدعاء والنجىء بضمير الجماعة يشعر بان ابراهيم لم يرد نفسه فقط بل أراد جميع العباد فكان المعنى ان الله سبحانه يعلم بكل ما يظهره العباد وبكل ما لا يظهره (وما يخفى على الله من شئ في الارض ولا في السماء) قال جمهور المفسرين هو من كلام الله سبحانه تصديقا لما قاله ابراهيم من انه سبحانه يعلم ما يخفيه العباد وما يعلنونه فقال سبحانه ما يخفى عليه شئ من الاشياء الموجودة كائنا ما كان وانما ذكر السموات والارض لانهم المشاهدان للعباد والافعله سبحانه محيط بكل ما هو داخل في العالم وكل ما هو خارج عنه لا يخفى عليه خافية قيل ويحتمل ان يكون هذا من قول ابراهيم بتحقيقا لقوله الاول وتعميما بعد التخصيص فان قيل بالاول فهو اعتراض بين كلامى ابراهيم وان قيل بالثاني ففيه وضع الظاهر موضع المضمر ثم حمد الله سبحانه على بعض نعمه الواصلة اليه فقال (الحمد لله الذى وهب لى على الكبر) أى على كبر سنى وسن امرأتى (اسماعيل واسحق) قيل ولد له اسمعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة واثناعشرة سنة وقيل على هنا بمعنى مع أى مع كبرى ويأسى عن الولد عن سعيد بن جبير قال بشر ابراهيم بعد سبع عشرة ومائة سنة وشبهه الولد في هذا السن من أعظم المن لان سن اليأس فلهذا شكر الله على هذه المنة وهذا قاله ابراهيم في وقت آخر لاعتقيب ما تقدم من الدعاء لان الظاهر انه دعا بذلك الدعاء المتقدم أول ما قدمه باجر وابنها وهى ترضعه ووضعها عند البيت واسحق لم يولد في ذلك الوقت قال الكرخى وزمان الدعاء والحمد مختلف فان الدعاء في طفولة اسمعيل ولم يكن اسحق حينئذ (ان ربى لسميع الدعاء) أى ليجيب الدعاء من قولهم سمع كلامه اذا أجابه واعتدبه وعمل بمقتضاه وهو من اضافة

الثلاثة وامرأة ايام وقيل بل امرأة نوح كانت معهم في السفينة وهذا فيه نظر بل الظاهر انها هلكت الصفة لانها كانت على دين قومها فاصابها ما اصابهم كما اصاب امرأتها لوط ما اصاب قومها والله اعلم واحكم (وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها ان ربى لغفور رحيم وهى تجرى بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يابى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال ساوى الى جبل يعصنى من الماء قال لا عصم اليوم من امر الله الامن رحم وحال بينهم الما الما الما من المغربين) يقول تعالى اخبار عن نوح عليه السلام انه قال للذين أمر بحملهم معه في السفينة اركبوا فيها بسم الله

مجرىها ومرساها اي بسم الله يكون جريها على وجه الماء وبسم الله يكون منتهى سيرها وهورسوها وقرأ أبو رباح العطاردي بسم الله مجرىها ومرساها وقال الله تعالى فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجاك من القوم الظالمين وقل رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلات ولهذا تستحب التسمية في ابتداء الامور عند الزكوب على السفينة وعلى الدابة كما قال تعالى والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والانعام مآثر كيون لتستووا على ظهوره الآية وجاءت السنة بالحث على ذلك والندب اليه كما يأتي في سورة الزخرف ان شاء الله وبه الثقة (١٦١) وقال ابو القاسم الطبراني حدثنا ابراهيم بن

هاشم البغوي حدثنا محمد بن أبي

بكر المقدي وحدثنا زكريا بن يحيى

الساجي حدثنا محمد بن موسى

الحري قال حدثنا عبد الحميد بن

الحسن الهلالي عن نيشل بن

سعيد عن الضحاك عن ابن عباس

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال

أمان أمتي من الغرق اذا ركبوا

في السفن ان يتولوا بسم الله

المالك وما قدروا الله حق قدره

الآية بسم الله مجرىها ومرساها

ان ربي لغفور رحيم وقوله ان ربي

لغفور رحيم مناسب عند ذكر

الانتقام من الكافرين باغراقهم

أجمعين فذكرانه غفور رحيم كقوله

ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور

رحيم وقال وان ربك لذو مغفرة

لناس عن ظلمهم وان ربك لشديد

العقاب الى غير ذلك من الآيات التي

يقرن فيها بين رحمة وانتقامه وقوله

وهي تجري بهم في موج كالجبال

أي السفينة سائرة بهم على وجه

الماء الذي قد تطبق جميع الارض

حتى طفف على رؤس الجبال وارتفع

عليها بنحو خمسة عشر ذراعا وقيل بمائتين

ملا وهذه السفينة جارية على وجه

الماء سائرة باذن الله وتحت كنفه

الصفة المتضمنة للمباغاة الى المفعول والمعنى انك لكثيرا جابه الدعاء لمن يدعوك وكان ابراهيم قد دعاه به فسأله الولد بقوله رب هب لي من الصالحين فلما استجاب الله دعاه قال الحمد لله الخ ثم سأله سبحانه بان يجعله مقيم الصلاة محافظا عليها غير مهمل لشيء منها فقال (رب اجعلني مقيم الصلاة) اي بمن يقمها باركانها ويحافظ عليها في أوقاتها ثم قال (ومن ذريتي) اي اجعلني واجعل بعض ذريتي مقيمين للصلاة وانما خص البعض من ذريته لانه علم ان منهم من لا يقمها كما ينبغي ثم سأله سبحانه ان يتقبل دعاه على العموم فقال (ربنا وتقبل دعاء) ويدخل في ذلك دعاؤه في هذا المقام دخولا وأما قيل والمراد بالدعاء هنا العبادة فيكون المعنى وتقبل عبادتي التي أعبدك بها ثم طلب من الله سبحانه أن يغفر له ما وقع منه مما يستحق ان يغفره الله وان لم يكن كبير المأهول معلوم من عصمة الانبياء عن الكفار فقال التجأ الى الله وقطعا للطمع من كل شيء الا من فضله وكرمه واعترافا بالعبودية لله والاتسكال على رحمته (ربنا اغفر لي ولوالدي) قيل انه دعاهما بالمغفرة قبل ان يعلم انهما عدوان الله سبحانه وقيل بشرط الاسلام وقيل كانت أمه مسلمة والاول أولى وقيل أراد ابو الديه آدم وحواء وفيه بعد وقرئ شادا ولولدي يعني اجمعين والحق وأنكرها الخ بدرى بان في مصحف ولا يورى فهي منسرة لقراءة العامة (وللمؤمنين) ظاهره شمول كل مؤمن سواء كان من ذريته أم لم يكن منهم وقيل أراد المؤمنين من ذريته فقط والاول أولى والله تعالى لا يرد دعاء خليفه بشارته عظيمة لجميع المؤمنين والمؤمنات بالمغفرة اللهم اغفر لي مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبا واني من ذرية خايلك ابراهيم فأغفر لي ولن أخلفه من المؤمنين (يوم يقوم الحساب) اي يوم يثبت حساب المكلفين في المحشر استعمله لفظ يقوم الذي هو حقيقة في قيام الرجل للدلالة على انه في غاية الاستقامة وقيل ان المعنى يوم يقوم الناس للحساب وقيل يبدو ويظهر فيه الحساب والاول أولى (ولا تحسبن) بفتح السين وكسر هاء اقرأان سبعيتان أي لا تظنن (الله عافيا عما يعمل الظالمون) خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو تعريض لامته فكأنه قال ولا تحسبن أمتك يا محمد ويجوز أن يكون خطابا لكل من يصلح له من المكلفين وان كان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم من غير تعريض لامته فمعناه التثبيت على ما كان عليه من عدم الحساب كقوله ولا تكونن من المشركين ونحوه وقيل المراد ولا تحسبنه

(٢١ فتح البيان خامس) وعنايته ورحمته وامتنانه كما قال تعالى انما اطغى الماء حملنا كم في الجارية لنجها لهما لكم تذكرة وتعيها اذن واعية وقال تعالى وحملناه على ذات ألواح ودسر تجري بأعيننا جرائم من كان كفر واقدرت كآها آية فهل من مدكر وقوله ونادى نوح ابنه الآية هذا هو الابن الرابع واسمه يام وكان كافرا دعاه أبوه عند ركوب السفينة أن يؤمن ويركب معهم ولا يغرق مثل ما يغرق الكافرون قال سآوى الى جبل يعصمني من الماء وقيل انه اتخذ له مركبا من زجاج وهذا من الاسرائيليات والله أعلم بحمته والذي نص عليه القرآن انه قال سآوى الى جبل يعصمني من الماء اعتقد بجهله ان الطوفان لا يبلغ الى رؤس الجبال

وانه لو تعلق في رأس جبل لنجاه ذلك من الغرق فقال له أبوه نوح عليه السلام لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم أي ليس شيء يعصم اليوم من أمر الله وقيل ان عاصم بمعنى معصوم كما يقال طاعم وكامى بمعنى مطعوم ومكسو وحال بينهم ما الموج فكان من المغرقين (وقيل يا أرض ابلي ماءك ويا سما أظلي وغض الماء وقضى الامر واستوت على الجودى وقيل بعد اللقوم الظالمين) يخبر تعالى انه لما غرق أهل الارض كلهم الا أصحاب السفينة أمر الارض أن تلع ماءها الذي نبع منها واجتمع عليها وأمر السماء أن تطلع عن المطر وغض الماء أي شرع (١٦٢) في المنقوص وقضى الامر أي فرغ من أهل الارض قاطبة ممن كفر بالله لم يبق

منهم ديار واستوت السفينة بمن فيها على الجودى قال مجاهد وهو جبل بالجزيرة تشاخصت الجبال يومئذ من الغرق وتطاوات وتواضع هو لله عز وجل فلم يغرق وأرست عليه سفينة نوح عليه السلام وقال قتادة استوت عليه شهرا حتى نزولها قال قتادة قد أبقى الله سفينة نوح عليه السلام على الجودى من أرض الجزيرة عبرة وآية حتى رأها أوائل هذه الامة وكمن سفينة قد كانت بعدها فهلكت وصارت رمادا وقال الضحاك الجودى جبل بالموصل قال بعضهم هو الطور وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن رافع حدثنا محمد بن عبيد عن نوبة بن سالم قال رأيت زرين حبيش يصلى في الزاوية حين يدخل من أبواب كندة على يمينك فسألته انك لكثير الصلاة ههنا يوم الجمعة قال بلغني ان سفينة نوح أرست من ههنا وقال علي بن أحمد عن عكرمة عن ابن عباس قال كان مع نوح في السفينة ثمانون رجلا معهم أهلوهم وانهم كانوا فيها مائة وخمسين يوما وان الله وجه السفينة

يعاملهم معاملة العاقل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم أو يكون المراد بالنهي عن الحساب الايدان بانه عالم بذلك لا تخفى عليه منه خافية قال ميمون بن مهران في الآية هي تعزية للمطلوع ووعيد للنظام وعن سفیان بن عيينة نحوه والغفلة بمعنى يسمع الانسان من الوقوف على حقائق الامور وقيل حقيقة الغفلة سهو يعتري الانسان من قوله التحفظ والتسقط وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واعلام للمشركين بان تأخير العذاب عنهم ليس للرضا بل لفعالهم بل سنة الله سبحانه في اهمال العصاة (انما يؤخرهم) أي يؤخر جزاءهم وعذابهم ولا يؤاخذهم بظلمهم وهذه الجملة استئناف وقع تعليلا للنهي السابق (ليوم) أي لاجل يوم فاللام للعلو وقيل بمعنى الى التي للغاية (تشخص فيه الابصار) أي أبصارهم فلا تقر في أما كنهنا قال الفراء المعنى ترفع فيه أبصار أهل الموقف ولا تغمض من هول ما تراه في ذلك اليوم شخص شخص البصر حدة النظر وعدم استقراره في مكانه يقال شخص سمعه وبصره وأشخصه ما صاحبه ما وأشخص بصره أي لم يظرف جفنه ويقال شخص من بلدته أي بعدد والشخص سواد الانسان المرئي من بعيد والمراد ان الابصار بقيت مفتوحة لا تتحرك من شدة الخيرة والدهشة قال قتادة شخصت فيه والله أبصارهم فلا ترد اليهم قيل ال للعهد وقيل لوجع على العموم كأن أبلغ في التحويل وأسلم من التكرير (مهطعين) أي مسرعين قاله قتادة وزاد في الجمل الى الداعى وهو اسرافيل وقيل هو جبريل والنافخ اسرافيل قال الثمالي وهو الاصح كادلت عليه الاسرار وقيل المهطع الذي يديم النظر قاله مجاهد قال أبو عبيدة قد يكون الوجهان جميعا يعني الاسراع مع اقامة النظر وقيل المهطع الذي لا يرفع رأسه وقال نعلب المهطع الذي ينظر في ذل وخضوع وقيل هو الساكت قال النخاس والمعروف في اللغة أذاع إذا أسرع وبه قال أبو عبيدة قال ابن عباس يعني بالاهطاع النظر من غير ان يظرف (مقتضى رؤسهم) اقناع الرأس رفعه وأقنع صوته اذا رفعه قال ابن عباس الاقناع رفع الرأس والمعنى انهم يومئذ يرفعون رؤسهم الى السماء ينظرون اليها نظرفزع وذلل ولا ينظر بعضهم الى بعض وقيل ان اقناع الرأس نكسه وقيل يقال أقنع اذا رفع رأسه وأقنع رأسه اذا طأه ذله وخضوعا والآية محمولة للوجهين قال المبرد والقول الاول أعرف في اللغة (لا يرد اليهم طرفهم) أي لا ترجع اليهم أبصارهم من شدة الخوف وأصل الطرف تحريك الاجفان وسميت العين طرفا لانه

الى مكة فطافت بالبيت أربعين يوما ثم وجهها الله الى الجودى فاستقرت عليه فبعث نوح الغراب ليأتيه بخبر يكون الارض فذهب فوقع على الجيف فأبطأ عليه فبعث الحمامة فاتته بورق الزيتون فلطخت رجليها بالطين فعرف نوح عليه السلام أن الماء قد نضب فهبط الى أسفل الجودى فأبنتى قربة وسماها ثمانين فأصبحو اذات يوم وقد تبللت أسنتهم على ثمانين لغة احرها اللسان العربي فكان بعضهم لا يفقه كلام بعض فكان نوح عليه السلام يعبر عنهم وقال كعب الاحبار ان السفينة طافت ما بين المشرق والمغرب قبل ان تستقر على الجودى وقال قتادة وغيره ركبوها في عاشر شهر رجب فساروا مائة وخمسين يوما واستقرت بهم

على الجودي شهر او كان خروجهم من السفينة في يوم عاشوراء من المحرم وقد ورد نحو هذا في حديث مرفوع رواه ابن جرير وانهم صاموا يومهم ذلك قاله أعلم وقال الامام أحمد حدثنا أبو جعفر حدثنا عبد الصمد بن حبيب الأزدي عن أبيه حبيب بن عبد الله عن شبل عن أبي هريرة قال قال من النبي صلى الله عليه وسلم بأناس من اليهود وقد صاموا يوم عاشوراء فقالوا ما هذا الصوم قال هذا اليوم الذي نجي الله موسى وبنى اسرائيل من الغرق وغرق فيه فرعون وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودي فصام نوح وموسى عليهما السلام شكر الله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم (١٦٣) أنا أحق بموسى وأحق بصوم هذا اليوم فصام

وقال لاصحابه من كان أصبح منكم صائما فليتم صومه ومن كان أصاب من غدا أهله فليتم بقية يومه وهذا حديث غريب من هذا الوجه ولبعضه شاهد في الصحيح وقوله وقيل بعد اللقوم الظالمين أي هلاكاً وخساراً لهم وبعد من رحمة الله فانهم قد هلكوا عن آخرهم فلم يبق لهم بقية وقد روى الامام أبو جعفر ابن جرير والخبير أبو محمد بن أبي حاتم في تفسيرهما من حديث يعقوب بن مويى الزمعي عن قائد مولى عبيد الله بن أبي رافع بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن أبي ربيعة أخبره ان عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لورحم الله من قوم نوح أحد الرحمة أم الصبي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان نوح عليه السلام مكث في قومه ألف سنة الا خمسين عاماً يعني وعرس مائة سنة الشجر فعظمت وذهبت كل مذهب ثم قطعها ثم جعلها سفينة ويعرون عليه ويستخرون منه ويقولون تعمل سفينة في البر فكيف تجري قال سوف تعلمون فلما فرغ ونبع الماء وصار في السكك

يكون لها وقال ابن عباس يعني شاخصة ابصارهم قد شغلهم ما بين أيديهم (وأفندتهم هواء) الهواء في اللغة الجوف الخالي الذي لم تشغله الاجرام والمعنى ان قلوبهم خالية عن العقل والفهم لما شاهدوا من الفزع والحيرة والدهش وجعلها نفس الهواء مبالغته ومنه قيل للاحق والحبان قلبه هواء أي لا رأى فيه ولا قوة وقيل معنى الآية انها خرجت قلوبهم عن مواضعها فصارت في الخناجر لا تخرج من أفواههم ولا تعود الى أمانها وقيل هواء بمعنى مترددة تهوى في أجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه وقيل المعنى ان أفئدة الكفار في الدنيا خالية عن الخير قال ابن عباس ليس فيها شيء من الخير فهي كالخربة قال قتادة ليس فيها شيء تخرجت من صدورهم فنسبت في حلقوقهم وعن مرة قال منخرقة لاني شأ وقيل المعنى وأفندتهم ذات هواء ومما يقارب معنى هذه الآية قوله تعالى وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً أي خاليه من كل شيء الامن هم موسى عليه السلام والحاصل ان التلويح يومئذ ان الله عن أمانها والابصار شاخصة والرؤس مرفوعة الى السماء من هول ذلك اليوم وشدة (وأفندتهم) هذا رجوع الى خطاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمره الله سبحانه بان ينذرهم والمراد الناس على العموم وقيل المراد كفار مكة وقيل الكفار على العموم والاول أولى لان الانذار كما يكون للكافر يكون أيضاً للمسلم ومنه قوله تعالى انما تنذرن من اتبع الذك (يوم يأتيهم العذاب) أي يوم القيامة قاله مجاهد أي خوفهم يوم اتيان العذاب وانما اقتصر على ذكر اتيان العذاب فيه مع كونه يوم اتيان الثواب أيضاً لان المقام مقام تهديد وقيل المراد به يوم موتهم فانه أول أوقات اتيان العذاب وقيل المراد يوم هلاكهم بالعذاب العاجل (فيقول الذين ظلموا) المراد بهم هنا هم الناس أي فيقولون والعدول الى الاظهار مكان الاضمار للاشعار بان الظلم هو العلة فيما نزل بهم هذا اذا كان المراد بالناس هم الكفار وعلى تقدير كون المراد بهم من يعي المسلمين فالمعنى فيقول الذين ظلموا منهم وهم الكفار (ربنا آخرنا) أي أمهلنا (الى أجل قريب) أي أمهلنا من الزمان معلوم غير بعيد (فبج دعوتك) لعبادك على ألسن أنبيائك الى توحيدك (وتبج الرسل) المرسلين منك الينا فنعمل بما بلغوه اليان من شرائعك وتدارك ما فرط منا من الاهمال وانما جاع الرسل لان دعوتهم الى التوحيد متفقة فاتباع واحد منهم اتباع الجميع وهذا

خشيت أم الصبي عليه وكانت تحبه حباً شديداً فخرجت الى الجبل حتى بلغت ثلثه فلما بلغها الماء ارتفعت حتى بلغت ثابته فلما بلغها الماء خرجت به حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء رقبته ارتفعت يديها فغرقا فلورحم الله منهم أحد الرحمة أم الصبي وهذا حديث غريب من هذا الوجه وقد روى عن كعب الاحبار ومجاهد بن جبير قصة هذا الصبي وأمه بنحو من هذا (ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من أهلي وان وعدك الحق وانت أحكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم اني أعظك ان تكون من الجاهلين قال رب اني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم والاعتفري في وترجني أكن من

الخاسرين) هذا سؤال استعمال وكشف من نوح عليه السلام عن حال ولده الذي غرق قال رب ان ابني من أهلي أي وقد وعدتني ووعدك الحق الذي لا يلف فكيف غرق قال يا نوح انه ليس من أهلك الذين وعدت انجاهم لاني انما وعدت نجاة من آمن من أهلك ولهذا قال وأهلك الامن سبق عليه القول منهم فكان هذا من سبق عليه القول بالغرق لكفره وقد نص غير واحد على تحطئة من ذهب الى أنه ليس بابنه وانما كان ابن زينة ويحكي القول انه ليس بابنه وانما هو ابن امرأته عن مجاهد والحسن وقال ابن عباس وغير واحد من السلف (١٦٤) ما زلت امرأة نبي قط قال وقوله ليس من أهلك أي الذين وعدتك بنجاتهم وقول

منهم سؤال للرجوع الى الدنيا لما ظهر لهم الحق في الآخرة ولوردوا لعاد والمناهن واعنه ثم حكي الله سبحانه ما يجاب به عنهم عند ان يقولوا هذه المقالة فقال (أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال) أي فقال لهم هذا القول تو بخاوتهم بعبادتهم قبل الله أو الملائكة والاستفهام تقريرى قال ابن عباس من زوال عما أنتم فيه الى مائة ولون وقال السدي بعث بعد الموت أي ألم تكونوا أقسمتم من قبل هذا اليوم ما لكم من زوال من دار الدنيا وقيل انه لا قسم منهم حقيقة وانما كان اسان حالهم ذلك لاستغراقهم في الشهوات واخلاصهم الى الحياة الدنيا وقيل قسمهم هذا هو ما حكاه الله عنهم في قوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من موت وجواب القسم ما لكم من زوال وانما جاءه بافظ الخطاب في ما لكم امرأة أقسمتم ولولا ذلك لقال ما لنا من زوال (وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) أي استقررتهم يقال سكن الدار وسكن فيها وهي البلاد ودونهم من الكفار الذين ظلموا أنفسهم بالكفر بالله والعصيان له وقال الحسن علمتم بمثل أعمالهم (وتبين لكم) بمشاهدة الآثار وتواتر الاخبار (كيف فعلنا بهم) من العقوبة والعذاب الشديد بما فعلوا من الذنوب وكيف منسوب بما بعده من الفعل وليس الجملة فاعلا لتبين كما قاله بعض الكوفيين بل فاعله ما دلته هي عليه دلالة واضحة أي فعلنا العجيب بهم وقيل فاعله مضمرة دلالة الكلام عليه أي حالهم وخبرهم وهلاكهم (وضربناكم الامثال) في كتب الله وعلى ألسن رسله ايضا حالكم وتقريراً وتكميلاً للعجبة عليكم (وقدمكروا) أي فعلنا بهم ما فعلنا والحال انهم قدمكروا في رد الحق واثبات الباطل (مكروهم) العظيم الذي استفرغوا فيه وسعهم وقيل المراد كفار قريش الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين هموا بقتله ونفيه كما ذكر في سورة الانفال والاول أولى (وعند الله مكروهم) أي علمه أو جزاؤه أو مكتوب مكروهم فهو مجازيهم أم وعند الله مكروهم الذي يكروهم به على ان يكون المكروم مضافاً الى المفعول وقيل المراد ما وقع من التمرد حيث حاول الصعود الى السماء فاتخذ لنفسه تابوتاً وربط قوائمه باربعة نسور وروى عن علي بن أبي طالب رضی الله تعالى عنه باطول من هذا وروى نحو هذه القصة ليجنصر والتمرد من طرق ذكرها في الدر المنثور واستبعدها بعض أهل العلم وقال ان الخطر فيه عظيم ولا يكاد عاقل ان يقدم على مثل هذا الامر العظيم الذي ذكره وليس فيه خبر صحيح بعد عليه ولا مناسبة

ابن عباس في هذا هو الحق الذي لا يحمد عنه فان الله سبحانه أعز من أن يمكن امرأة نبي من الناحشة ولهذا غضب الله على الذين ردوا عائشة قال عكرمة في بعض الحروف انه عمل عملاً غير صالح ولهذا قال الامام أحمد حدثنا يزيد ابن هرون حدثنا جاد عن ثابت عن شهر عن أسماء بنت يزيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ انه عمل غير صالح وسمعه يقول يا عبداي الذين أسرفوا على أنفسهم الآية وقال عبدالرزاق أنبأنا الثوري عن ابن عيينة عن موسى بن أبي عائشة عن سليمان بن (١) بعث ابن عباس

سئل عن قوله نجاتهم ما قال اما انه ليس بالزنا ولكن كانت هذه تخبر الناس انه مجنون وكانت هذه تدل على الاضيق ثم قرأ انه عمل غير صالح قال ابن عيينة وأخبرني عمارة الذهبي انه سأل سعيد بن جبيرة عنه فقال كان ابن نوح ان الله لا يكذب قال ونادى نوح ابنه قال وقال بعض العلماء ما تجرت امرأة نبي قط وكذا روى عن مجاهد ايضا وهو اختيار

ابن جرير وهو الصواب (قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات علينا وعلى أمم ممن معك وأمم سمعتهم ثم يمسهم منا لهذه عذاب اليم) يخبر تعالى عما قيل لنوح عليه السلام حين أرسلت السنين على الجودي من السلام عليه وعلى من معه من المؤمنين وعلى كل مؤمن من ذريته الى يوم القيامة كما قال محمد بن كعب دخل في هذا السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وكذلك في العذاب والمتاع كل كافر وكافرة قال ابن اسحق لما أراد الله أن يكف الطوفان أرسل ريحا على وجه الارض فسكن الماء وانبت ينابيع الارض (٢) العمر الاكبر وأبواب السماء يقول الله تعالى وقيل يا أرض اباي ماء الاية فجعل الماء ينقص ويبغض ويدير (١) يبايض بالاصل (٢) قوله يبايض الارض العمر الاكبر الخ هكذا في الاصل وحرره اه

وكان استواء الفلك على الجودي فيما يزعم أهل التوراة في الشهر السابع لسبع عشرة ليلة مضت منه في أول يوم من الشهر العاشر رأى رؤس الجبال فلما مضى بعد ذلك أربعون يوماً فتح كوة الفلك التي ركب فيها ثم أرسل الغراب لينظر ما صنع الماء فلم يرجع إليه فأرسل الحمامة فرجعت إليه لم تجد لها موضعا فبسط يده للحماءة فاخذها فادخلها ثم مضى سبعة أيام ثم أرسلها لتنظر له فرجعت حين أمست وفيها ورق زيتون فعلم نوح ان الماء قد قل عن وجه الارض ثم مكث سبعة أيام فأرسلها فلم ترجع فعلم ان الارض قد برزت فلما مكثت السنة كشف نوح غطاء الفلك وقيل يا نوح (١٦٥) اهبط بسلام منا الآية (تلك من أنباء الغيب نوحيها

اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين) يقول تعالى انبياءه صلى الله عليه وسلم هذه القصة واسماهاها من أنباء الغيب يعني من اخبار الغيوب السالفة نوحيها اليك على وجهها كأنك شاهدتها نوحيها اليك أي نعلمك بها وحيانا ما نالك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا أي لم يكن عندك ولا عند أحد من قومك علم بها حتى يقول من يكذب أبك تعلمها منه بل أخبرك الله بها كما تشهد به كتب الانبياء قبلك فاصبر على تكذيبهم وأذا هم فأناس نصرنا فجعل العاقبة لك ولا تباعد في الدنيا والآخرة كما فعلنا بالمرسلين (والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من الله غيرة ان أنتم الاممقرنون يا قوم لا أسألكم عليه أجر ان أجرى الاعلى الذي فطرنى أفلا تعقلون ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين) يقول تعالى ولقد أرسلنا الى عاد أخاهم هودا أمرهم بعبادة الله وحده لا شريك

لهذه القصة بتأويل الآية البتة (وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) وقرئ كاد موضع كان وقرئ لتزول بفتح اللام على امهالام الابتداء وقرأ الجمهور بكسر هاء على انها لام الجحود قال ابن جرير والمختارة هي الاخيرة وان هي الخفيفة من الثقيلة واللام هي الفارقة وزوال الجبال مثل لعظم مكرهم وشده أي وان الشأن كان مكرهم معد لذلك قال الزجاج وان كان مكرهم م يبلغ في الكيد الى ازالة الجبال فان الله ينصردينه وعلى قراءة الجمهور يحتمل وجهين أحدهما ان تكون ان هي الخفيفة من الثقيلة والمعنى كما مر والثاني ان تكون نافية واللام المكسورة لتأكيده النفي كقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم والمعنى وشال ان تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل آيات الله وشرائعه الثابتة على حالها مدى الدهور المشبهة بما في القرار والبقاء وقال ابن عباس مكرهم شركهم والمراد بالجبال هنا قيل حقيقة ثم اوقيل المراد بالمكر كفرهم ويناسبه تكاد السموات يقطرن منه وتنشق الارض وتتجزأ الجبال هذا (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) المعنى مخلف رسله وعده قال القتيبي هو من المقدم الذي يوضعه التأخير والمؤخر الذي يوضعه التقديم وسواء في ذلك مخلف وعده رسله ومخلف رسله وعده وقال الزمخشري قدم الوعد لي علم انه لا يخلف الوعد أصلا فقوله ان الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليؤذن انه اذا لم يخلف وعده أحدا وليس من شأنه اخلاف الوعايد فكيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته والمراد بالوعد هنا هو ما وعدهم سبحانه بقوله اننا لننصر رسلانا وكتب الله لاغلبن أنا ورسلي (ان الله عزيز) غالب لا يغالبه أحد (ذواتنقام) ينقم من أعدائه لا وليا له والجملة تعليل للنهي وقد مر تفسيره في أول آل عمران قال قتادة عزيز والله في أمره يئى وكيدته متبين ثم اذا اتقم اتقم به بقدرة (يوم) أي اذ كروا تقب يوم (تبدل الارض) المشاهدة (غير الارض) والتبديل قديكون في الذات كما في بدلت الدراهم بالدنانير وقد يكون في الصفات كما في بدلت الخلقه خاتما والاية تحتتمل الامرين وبالثاني قال الاكثر (والسموات) أي وتبدل السموات غير السموات لدلالة ما قبله عليه على الاختلاف الذي مر وتقدم تبديل الارض لقرانها ولوكون تبديلها أعظم أثر بالنسبة اليها أخرج مسلم وغيره من حديث ثوبان قال جاء رجل من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال أين يكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض فقال

له ناهياهم عن الاوثان التي افتروها واختلفوا اسماءها وأخبرهم انه لا يريد منهم اجرة الى هذا النصح انما يغني ثوابه من الله الذي فطره أفلا تعقلون من يدعوك الى ما يصلحكم في الدنيا والآخرة من غير اجرة ثم أمرهم بالاستغفار الذي فيه تكفير الذنوب السالفة والتوبة عما يستقبلون ومن اتصف بهذه الصفة يسر الله عليه رزقه وسهل عليه أمره وحفظ شأنه ولهذا قال يرسل السماء عليكم مدرارا وفي الحديث من لزم الاستغفار جعل الله له من كل فجاءة رزقا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب (فالواياهود ماجئتنا بيينة وما نحن بتاركي آلهمتنا عن قولك وما نحن للاب مؤمنين ان نقول الاعتراب بعض آلهتنا بسوء قال انى أشهد الله

واشهدوا اني بري مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو اخذ
بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم) يخبر تعالى انهم قالوا النبيهم ما جئتنا بيينة اى بحجة وبرهان على ما تدعيه وما نحن بتاركي
آلهتنا عن قولك اى بمجرد قولك انهم كوهم نتر كهم وما نحن للبعوثين بصديقين ان تقولوا الاعتراك بعض آلهتنا بسوء يقولون
ما نظن الا ان بعض الآلهة أصابك بجنون وخبل فى عقلك بسبب نبيك عن عبادتها وعيبك لها قال انى أشهد الله واشهدوا
انى بري مما تشركون من دونه يقول انى بري (١٦٦) من جميع الابدان فكيدوني جميعا انتم وآلهتم ثم لا تنظرون وقوله

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى القبلية دون الجسر وأخرج مسلم أيضا وغيره من
حديث عائشة قالت أنا أول من سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الآية
قلت أين الناس يومئذ قال على الصراط والصحيح على هذا ازالة عين هذه الارض وأخرج
الزاروا بن المنذر والطبرانى فى الاوسط والبيهقى وابن عساکروا بن مردويه عن ابن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى قول الله يوم تبدل الارض غير الارض قال
أرض بيضاء كأنها فضة لم يسفك فيها دم حرام ولم يعمل بها خطيئة قال البيهقى والموقوف
أصح وفى الباب روايات وقد روى نحو ذلك عن جماعة من الصحابة وثبت فى الصحيحين
من حديث سهل بن سعد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يقول يحشر
الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة نقي وفيها أيضا عن حديث أبى سعيد
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تكون الارض يوم القيامة خبزة واحدة
يتكئونها الجبار بيده الحديث وقد أطل القُرطبي فى بيان ذلك فى تفسيره وفى تذكرته
وحاصله ان هذه الاحاديث نص فى ان الارض والسموات تبدل وترال ويخلق الله أرضا
اخرى تكون عليها الناس بعد كونهم على الجسر وهو الصراط لا كما قال كثير من الناس
ان تبدل الارض عبارة عن تغيير صفاتها وتسوية آكامها ونسف جبالها ومد أرضها ثم
قال وزكريا بن ابراهيم فى كتاب الافصاح انه لا تعارض بين هذه الآثار وانها
تبدلان كرتين احدها هذه الاولى قبل نفخة الصعق والثانية اذا وقعوا فى المحشر وهى
أرض عفراء من فضة لم يسفك عليها دم حرام ولا جرى عليها ظلم ويقوم الناس على الصراط
على متن جهنم ثم ذكر فى موضع آخر من التذكرة ما يقتضى ان الخلائق وقت تبدل الارض
تكون فى أيدي الملائكة رافعين لهم عنها قال فى الجمل قهصل من مجموع كلامه ان
تبدل هذه الارض بارض اخرى من فضة يكون قبل الصراط وتكون الخلائق اذ ذلك
مر فوعة فى أيدي الملائكة وان تبدل الارض بارض من خبز يكون بعد الصراط
وتكون الخلائق اذ ذلك على الصراط وهذه الارض خاءة بالمؤمنين عند دخولهم
الجنة (وبرزوا) أى العباد والنظامون كما يفيد السياق أى ظهورهم من قبورهم
ليستوفوا جزاء أعمالهم وهذه هى علة الخروج أو ظهورهم من أعمالهم ما كانوا يكتونه والتعبير
عن المستقبل بالماضى للتنبية على تحقق وقوعه كفى قوله ونفخ فى الصور (لله الواحد

ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها اى
تحت قهره وهو الذى لا يجوز فانه
على صراط مستقيم قال الوليد
ابن مسلم عن صفوان بن عمرو عن
أيقع بن عبد الكلاعى فى قوله
تعالى ما من دابة الا هو اخذ
بناصيتها الآية قال يأخذ بناصية
عباده فيلقن المؤمن حتى يكون
له أشفق من الوالد بولده ويقول
ماغرك ربك الكريم وهذه حجة
بالغة على صدق ما جاءهم به
وبطلان ما هم عليه من عبادة
الاصنام فانما يستحق اخلاص
العبادة لله وحده الذى بيده
الملئولة التصرف وما من شئ الا
تحت قهره لا اله الا هو (فان تولوا
فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم
ويستخلف ربي قوم ما غيركم ولا
تضره شئ ان ربي على كل شئ
حفيظ ولما جاء أمرنا نجينا هودا
والذين آمنوا معه برحمة منا
ونجيناهم من عذاب غليظ وتلك
عاد سجودايات ربهم وعصوا
رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد
وأتبعوا فى هذه الدنيا العنة ويوم
القيامة الا ان عادا كفر واربعهم
الابعد العاد قوم هود) يقول لهم

هود فان تولوا عما جئتهم به فقد قامت عليكم الحجة بالبلاغى اياكم ويستخلف الله قوم ما غيركم يعبدونه وحده (القهار)
ولا يالى بكم فانكم لا تضره وبكفركم بل يعود وبال عليكم ان ربي على كل شئ حفيظ اى شاهد حافظ لا قول عباده وأفعالهم ولما
جاء أمرنا وهو الريح العقيم فاهلكهم الله عن آخرهم ونجى هودا وأتباعه من عذاب غليظ برحمة تعالى واطفئه وتلك عاد سجودا
بايات ربهم كفروا بهم وعصوا رسل الله وذلك أن من كفر بنبي فقد كفر بالانبياء فاللهذا أتبعوا فى هذه الدنيا العنة من الله ومن عباده
المؤمنين كلما ذكروا وينادى عليهم يوم القيامة على رؤس الاشهاد الا ان عادا كفروا ربهم الآية قال السدى ما بعث نبي بعد عاد
الا لغنوا على لسانه (والى عودا حاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها

فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب) يقول تعالى ولقد ارسلنا الى عمودا خاهم صالحا فرهم بعبادة الله وحده واهذا قال هو انشاءكم من الارض اى ابتدا خلقكم منها خلق منها اباكم آدم واستعمركم فيها جعلكم فيها عمارا تعمرونها وتستغلونها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب (فالوايا صالح قد كنت فيما مرجوا قبل هذا انها ان نعبده ما يعبد آباؤنا واننا لنفك شك مما تدعوننا اليه مريب قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله ان عصيته فآزيتوني غير تخسير) يذكر تعالى ما كان من الكلام بينه (١٦٧) وبين قومه وقولهم قد كنت فيما مرجوا

قبل هذا اى كثر جولو في عقابك قبل ان تقول ما قلت اتها نانا نعبده ما يعبد آباؤنا وما علمه اسلافنا واننا لنفي شك مما تدعوننا اليه مريب اى شك كثير قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي فيما ارسلني به على يقين وبرهان فن ينصرني من الله ان عصيته وتركت دعوتكم الى الحق وعبادة الله وحده فلو تر كتمه لما نفعتموني ولما زدتموني غير تخسير اى خسارة (ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تا كل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب قريب فعقروها فقالتموه في داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب فلما جاء امرنا شجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ ان ربك هو القوي العزيز واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبوا في ديارهم جائعين كأن لم يغنوا فيها الا ان عمودا كفروا برهم الا بعدا لشود) تقدم الكلام عليه في سورة الاعراف بما اعنى عن اعادته (ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فلما راى

القهار) المتفرد بالالوهية الكثير القهر لمن عانده (وترى) التعبير بالمضارع لاستحضار الصورة (المجرمين) اى المشركين (يومئذ) اى يوم القيامة (مقرنين) اى مشدودين (في الاضداد) اما يجعل بعضهم مقرونا مع بعض قاله ابن قتيبة اى بحسب مشاركتهم في العباد والاعمال كقوله واذا النفوس زوجت او قروناع الشياطين كما في قوله نعمض له شيطانا فهو له قرين او مع ما كتبه بومان العتقاد الزائغة والملكات الباطلة او جعلت ايديهم مقرونة الى ارجلهم قاله ابن زيدو المقرن من جمع في القرن وهو الحبل الذي يربط به والاصفاد الاغلال والقيود قاله قتادة يقال صفدته صفدا اى قيدته والاسم الصفد بفتح السين فاذا اردت التكثير قلت صفدته ويقال صفدته واصفدته اذا اعطيتهم قال ابن عباس الكبول وعنه يقول في وثاق قال سعيد بن جبيرة السلاسل (سرايلهم) هي القمص قاله السدي وعن ابن زيد مثله واحدها سر بال يقال سر بلبته اى البسته السربال (من قطران) هو قطران الابل الذي تمنأ به قاله الحسن اى قصناهم من قطران تطلى به جلودهم حتى يعود ذلك الطلاء كالسرايل وخص القطران لسرعة اشتعال النار فيه ولذمع نثر رائحته ووحشته لونه قال جماعة هو النحاس المذاب وبه قال عمر وابن عباس قال عكرمة هذا القطران يطلى به حتى يشتمل نار او قال سعيد بن جبيرة القطر الصفرو والآن الحار وعن عكرمة نحوه والقطران فيه لغات بفتح القاف وكسر الطاء وهي قراءة العامة ووزنه سكران ووزنه سرحان وهو ما يستخرج من شجر فيطبخ ويطلى به الابل ليذهب جربها لحدته وقيل هو دهن ينحلب من شجر الابل والعرعر والتوت كل وقت تدهن به الابل اذا جربت وهو الهناء ولو اراد الله المبالغ في احراقهم بغير ذلك لقد رولكنه حذرهم بما يعرفون واخرج مسلم وغيره عن ابي مالك الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من حرب (وتغشى) اى تعلق (وجوههم النار) وتضربهم وتختلها وقلوبهم ايضا وخص الوجوه لانها اشرف ما في البدن وفيها الحواس المدركة (ليجزى) اى يفعل ذلك بهم ليجزى (الله) متعلق ببرزوا والجمل التي بينهم ما اعتراض كافي السمين (كل نفس ما كسبت) من المعاصي اى جزاء موافقا لما كسبت من خيرا وشر (ان الله سريع الحساب) لا يشغله عنه شيء ولا حساب عن

أيديهم لانصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وامرأته قائمة فضيقت فبشرناها بما سخط ومن وراء اسحق يعقوب قالت يا ويلتى األدوا بنا عجوز وهذا يعلى شيخنا ان هذا الشيء عجيب قالوا تعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد) يقول تعالى ولما جاءت الملائكة ابراهيم بالبشرى قيل تبشرنا ما سخط وقيل به لاقوم لوط قالوا سلاما قال سلام اى عليكم قال علماء البيان هذا أحسن مما حيوه به لان الرفع يدل على التبوت والدوام فالبث ان جاء بعجل حنيذ اى ذهب سر ما فاتاهم بالضيافة وهو يعجل فتى البقر حنيذ مشوى على الرضف وهي الحجارة المحيطة هذا معنى ما روى عن ابن عباس

وقد اذنه وواحد فلما رأى أيديهم لاتصل اليه نكرهم وقد تضمنت نكرهم وأوجس منهم خيفة قال السدي لما بعث الله الملائكة لقوم لوط أقبلت تمشى في صورة رجال شبان حتى نزلوا على ابراهيم فلما رأهم أجلهم فراغ الى أهله فشاء بجعل سمين فذبحه وسواه في الرضف وأتاهم به فقدمهم وقامت سارة تخدمهم فذلك حين يقول وامرأة قائمة وهو جالس في دار الضيافة (١) فن وجوه استحيب وقوله فلما رأى أيديهم لاتصل اليه نكرهم وذلك ان الملائكة لا يأتون الطعام فلما رأى حالهم وقراءة ابن مسعود فلما قره اليه -م قالوا يا ابراهيم انا (١٦٨) لانا كل طعاما الا بئس قال فان لهذا غمنا قالوا وانما قال تذكرون اسم

الله على أوله وتحمدون على آخره فمظرجه بل الى ميكائيل فقال حق لهذا ان يتخذ ربه خالفا فلما رأهم لا يأتون فزع منهم فلما نظرت سارة انه قد أكرمهم وقامت تخدمهم فحكمت وقالت عبا لا ضيافنا تخدمهم بانفسنا كرامة لهم وهم لا يأتون طعمانا وقوله قالوا لا تخف منا انا ملائكة أرسلنا الى قوم لوط لئلا نكلمهم فحكمت سارة استشارا بهم لآكلهم فلها جوزيت بالبيشارة بالولد بعد الايام وقال قتادة فحكمت وعجبت ان قوما يأتهم العذاب وهم في غفلة وقوله ومن وراء الحق يعقوب أي يولد له ولد واستبدل بهذه الآية على ان الذبيح اسمعيل لانه وقعت البيشارة به وانه سيولد له يعقوب قالت يا ويلتي ألدوا بنا عجوز وهذا يعلى شيخا الآية كما جرت به عادة النساء في أفوالهن وأفعالهن عند التعجب قالوا أتعجبين من أمر الله فانه اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فلا تعجبين وان كنت عجوزا عقيا وبعلك شيخا كبيرا فان الله قادر على ما يشاء رحمة الله وبركاته

حساب بل بحاسب جميع الخاق في قدر نصفهم من أيام الدنيا الحديث بذلك وقد تقدم تفسيره (هـ ذابلاغ) أي هذا الذي أنزل اليك تبليغ وكفاية في الموعظة والتذكير ومبلغ وموصل للناس الى مراتب السعادة قيل ان الاشارة الى ما ذكره سبحانه هنا من قوله ولا تحسبن الله غافلا الى سريع الحساب أي هذا فيه كفاية من غير ما انطوت عليه السورة وقيل الاشارة الى جميع السورة وقيل الى القرآن وبه قال ابن زيد وفيه من المحسنات رد العجز على الصدر فقد افتتحت هذه السورة بقوله كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور (لنناس) أي لا كفار أو لجمع الناس على ما قيل في قوله وانذر الناس أي أنزل تبليغهم الى ما فيه رشدهم ونفعهم أي لا يصالهم الى الخير (ولينذروا به) أي بالقرآن قاله ابن زيد وقرئ بفتح التحيية والذال المعجمة يقال نذرت بالشيء أنذرا اذا علمت به واستعددت له (وليعلموا) بالادلة التكوينية المذكورة سابقا وبالقرآن بما فيه من الحجج (انما هو اله واحد) لاشريك له (ولينذروا بالالباب) أي وليتعض أصحاب العقول السليمة والافهام الصحيحة وهذه اللامات متعلقة بمحذوف والتقدير وكذلك أنزلنا أو متعلقة بالسلاخ المذكور أي كفاية لهم في ان ينصروا وينذروا ويعلموا بما أقام الله من الحجج والبراهين وحدانيته سبحانه وانه لا شريك له وايضا يظن بذلك أبواب العقول التي تعقل وتدرئ

* (سورة الحجر) *

مكية بالاتفاق والاجماع كما قال القرطبي وعن ابن عباس وابن الزبير مثله وهي تسع وتسعون آية والحجروا بين المدينة والشام

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(الر) قد تقدم الكلام عليه في محله مستوفي مرارا (تلك) أي ما تضمنته السورة من الآيات (آيات الكتاب) التعريف للتفخيم وقيل هو الجنس والمراد جنس الكتب المنزلة المتقدمة قال مجاهد يعنى التوراة والانجيل وقيل المراد به هذه السورة والاضافة بمعنى من وقيل المراد القرآن ولا يتقدح في هذا ذكر القرآن بعد الكتاب فقد قيل انه جمع له بين الاسمين عطفنا للتغاير اللفظي لاجل التعدد في الاسم بزيادة صفة (وقرآن مبين) أي

عليكم أهل البيت انه جدي حميد (فلما ذهب عن ابراهيم الروح وجاءته البشري يجادلنا في قوم لوط ان الكامل ابراهيم لحليم أو اومنيب يا ابراهيم اعرض عن هذا انه قد جاء أمر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود) يخبر تعالى عن ابراهيم انه لما ذهب عنه الروح وهو ما أوجس من الملائكة حين لم يأتوا بشره بعد ذلك بالولد وأخبروه به لانه قوم لوط أخذ يقول كما قال سعيد بن جبيرة في الآية قال لما جاءه جبريل ومن معه قالوا له انما هم لهلكوا أهل هذه القرية قال لهم أنهم لهلكون قرية فيها ثلثمائة مؤمن قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها أربعون مؤمنا بمرأة لوط قالوا لا قال ثلاثون قالوا لا حتى بلغ خمسة قالوا لا قال أرايتكهم (١) قوله وهو جالس الى قوله فلما رأى حالهم هكذا في الاصول التي بأيدينا وفيها يابض كما ترى فخر ابراهيم

ان كان فيه ارجل واحد مسلم اتم لكونها قالوا لا فقال ابراهيم عليه السلام عند ذلك ان فيها لوطا قالوا نحن اعداء علم عن فيها النجسينه
 واهله الا امراته الانية فسكت عنهم واطمأنت نفسه وقال قتادة وغيره قريبا من هذا زاد ابن ابي عمير ان كان فيها مؤمن
 واحد قالوا لا قال فان كان فيها لوط يدفع به عنهم العذاب قالوا نحن اعداء علم عن فيها الانية وقوله ان ابراهيم الخليل اواه منيب مدح
 لابراهيم بهذه الصفات الجميلة وتقدم تفسيرها وقوله يا ابراهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك الانية أى انه قد نفذ فيهم
 القضاء (ولما جاءت رسالتنا لوطا سبيهم ومضاق بهم ذرعا) (١٦٩) وقال هذا يوم عصب وجاء قوم يهرعون اليه ومن قبل كانوا

يعملون السماوات قال يا قوم
 هؤلاء بناتى هن أطهر لكم فاتقوا
 الله ولا تخزون في ضيقي أليس
 منكم رجل رشيد قالوا القدمات
 ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم
 ما نريد (يخبر تعالى عن قدوم
 الملائكة بعد ما أعلموا ابراهيم
 بهلاكهم وفارقوه واخبروه
 باهلاك الله قوم لوط هذه الليلة
 فانطلقوا من عنده فأتوا لوطا وهو
 على ما قيل في أرض له وقيل في منزله
 وهم في أجل صررة تكون على
 هيئة شباب حسان الوجوه ابتلاء
 من الله وله الحكمة البالغة فساء
 شأنهم ومضاق نفسه بسببهم ورض
 ان لم يضيفهم أن يضيفهم أحد من
 قومه فبينما لهم بسوء وقال هذا يوم
 عصب قال ابن عباس وغير واحد
 شديد بلاؤه وذلك انه علم أنه
 سيدافع عنهم وشق عليه ذلك وذكر
 قتادة انهم أتوه وهو في أرض له
 فتضيفوه فاستحيوا منهم فانطلق
 أمامهم وقال لهم في اثناء الطريق
 كالمعرض لهم بأن ينصرفوا عنه
 انه والله يهؤلاء ما أعلم على وجه
 الارض أهل بلد أخبث من هؤلاء

الكامل الظاهر شده وهده وخبره وتنكير القرآن للتفخيم (ربما يود الذين كفروا)
 قرى ربعا التحفيف والتشديد وهما الغتان قال أبو حاتم أهل الحجاز يخفون وتميم وربيعة
 يثقلون وأصلها ان تستعمل في القليل وقد تستعمل في الكثير قال الكوفيون أى يود
 الكفار في أوقات كثيرة وقيل هى هنا للتقليل لانهم وود ذلك في بعض المواضع لاني كلها
 لشغلهم بالعذاب وقيل ان هذا التقليل أبلغ في التهديد فان الأهوال تدهشهم فلا يقفون
 حتى يتموا ذلك الا في احيان قليلة وقيل معناه يكفك قليل الندم في كونه زاجر الك عن
 هذا الفعل فكيف بكثيره قيل وما هنا لحقت رب لتهيا للدخول على الفعل وقيل نكرة بمعنى
 شئ وانما دخلت رب هنا على المستقبل مع كونها لا تدخل الاعلى الماضى لان المترقب
 في اخباره سبحانه كالواقع المتحقق فكأنه قيل ربما يود الذين كفروا بهذا الكتاب والقرآن
 فهذا امر تبط بما قبله (لو كانوا مسلمين) أى متقادين لحكمه مدعين له من جله أهله
 وكانت هذه الودادة منهم عند موتهم أو يوم القيامة والمراد هنا انكشف لهم الامر
 واتضح بطلان ما كانوا عليه من الكفر وأن الدين عند الله سبحانه هو الاسلام لادين غيره
 حصلت منهم هذه الودادة التي لا تمن ولا تخفى من جوع بل هى مجرد التمسر والتندم
 ولوم النفس على ما عرطت في جنب الله وقيل كانت هذه الودادة منهم عند معاينة حالهم
 وحال المسلمين وقيل عند خروج عصاة الموحدين من النار والظاهر أن هذه الودادة كاسة
 منهم في كل وقت مستمرة في كل لحظة بعد انكشف الامر لهم ولو صدرية أو امتناعية
 وجوابها محذوف أى لسر وابتلاك أو تخلصوا مما هم فيه والاول أولى والتعبير عن مقتناهم
 بالغيبة نظر الاخبار عنهم ولو نظر لصدوره منهم لقل لو كنا عن ابن عباس وابن مسعود
 وناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالوا واد المشركون يوم بدر حين ضربت
 أعناقهم فعرضوا على النار أنهم كانوا مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وعن ابن
 مسعود قال هذا في الجهنميين اذ أروهم يخرجون من النار وعن ابن عباس قال لا يزال
 الله يشفع ويدخل ويشفع ويرحم حتى يقول من كان مسلما فليدخل الجنة فذلك قوله
 ربما يود الذين كفروا وعن ابن عباس وناس انهم ماتوا كراهة الانية فقالوا لا حيث يجمع
 الله من أهل الخطايا من المشركين والمسلمين في النار فيقول المشركون ما أعنى عنكم
 ما كنتم تعبدون فيغضب الله لهم فيخرجهم بفضل ورحمة أخرجه البيهقي في البعث وابن

(٢٢) فتح البيان خامس) ثم مشى قليلا ثم أعاد ذلك حتى كرهه أربع مرات قال قتادة وقد كانوا أمروا أن
 لا يهلكوهم حتى يشهد عليهم بنبيهم بذلك وقال السدي خرجت الملائكة من عند ابراهيم فبلغوا نهر سدوم نصف النهار ولقوا بنات
 لوط تستقي فقالوا يا جارية هل من منزل فقالت مكانكم حتى آتيكم وفرقت عليهم من قومها فأتت أباها فقالت أدرك قيسنا على
 باب المدينة ما رأيت وجوه قوم أحسن منهم لا يأخذهم قومك وكان قومه نهوه ان يضيف رجلا قالوا اخل عنا فلنضيف الرجال
 فجاءهم فلم يعلم أحد الا أهل بيته فخرجت امرأته فآخبرت قومها فجاءوا يهرعون اليه وقوله يهرعون اليه أى يسرعون ويهرولون

من فرحهم بذلك وقوله ومن قبل كانوا يعملون السيئات أي لم ينزل هذا من رحمتهم حتى أخذوا وهم على ذلك الحال وقوله هؤلاء
بناقيهن أظهر لكم يرشدكم إلى نساءهم فإن النبي ﷺ بمنزلة الوالد الفارشد هم إلى ما هو أنفع لهم في الدنيا والآخرة وقوله في الآية
الأخرى أولم ننهك عن العالمين أي ألم ننهك عن ضيافة الرجال وقوله هن أظهر لكم قال مجاهد لم يكن بناته ولكن كل نبي أبو أمته
وكذا روى عن قتادة وغير واحد قال ابن جرير أخرجهم أن يتزوجوا النساء لم يعرض عليهم سفاحا وقوله فأنقوا الله ولا تخزون في
ضيق أي اقبلوا ما أمركم به من الاقتصار على نساءكم (١٧٠) أليس منكم رجل رشيد أي فيه خير يقبل قالوا لقد علمت ما لنا في

المبارك في الزهد وأخرج الطبراني في الأوسط بسند قال السبوطي صحیح عن جابر بن
عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن ناسا من امتي يعدون بنوهم سم
فيكونون في النار ما شاء الله أن يكونوا ثم يعيرهم أهل الشرك فيقولون ما نرى ما كنتم فيه
من تصديقتكم نفعكم فلا يفي أحد الآخر جهه الله من النار ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم هذه الآية وفي الباب أحاديث مرفوعة عن جمع من الصحابة في تعيين هذا السبب
في نزول هذه الآية (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا) هذا تهديد لهم أي خسل هؤلاء الكفرة
ودعهم عما أنت بصدد من الأمر لهم والنهي فهم لا يراعون أبدا ولا يخرجون من
باطل ولا يدخلون في حق بل مرهم بما هم فيه من الاشتغال بالأكل والمتع بزهرة الحياة
الدنيا ومن الهاء العمل لهم عن اتباعك فانهم كالانعام التي لا تهتم بالبدن ولا تستقل
بغيره وهذا الأمر لا يستعمل له ماض الا قليلا استغناء عنه بترك بل يستعمل منه
المضارع نحو ونذرهم في طغيانهم ومن مجي الماضى قوله صلى الله عليه وآله وسلم ذرروا
الحبشة ما وذررتكم وترك وذر يكونان بمعنى صبر أي ذرهم مهملين أي اترك كفار مكة
والعموم أولى (ويلههم الأمل) أي يشغلهم طول الأمل والعمر وبلوغ الوطرو واستقامة
الحال عن الإيمان والاخذ بظاعة الله تعالى يقال الهاه كذا أي شغله ولبى هو عن
الشيء يلبى والمعنى يشغلهم الأمل عن اتباع الحق وما زالوا في الآمال الفارغة والتمنيات
الباطلة حتى اسفر الصبح لذي عينين وانكشف الأمر ورأوا العذاب يوم القيامة فعند
ذلك يذوقون ما صنعوا وأكثر ما يستعمل الأمل فيما يستبعد حصوله والأفعال الثلاثة
مجزومة على انها جواب الأمر وهذه الآية منسوخة بآية السيف (فسوف يعلمون)
عاقبة أمرهم وسوء صنيعهم وفيه من التهديد والجزم ما لا يقدرون فيه تبيينه على ان
ايشار التلذذ والتنعم وما يؤدى اليه طول الأمل ليس من اخلاق المؤمنين قال بعض أهل
العلم ذرهم تهديد وفه يعلمون تهديد آخر فحقى بينهما العيش بين تهديدين قال علي بن أبي
طالب انما أخشى عليكم اثنتين طول الأمل واتباع الهوى فان الأول ينسى الآخرة
والثاني يصعد عن الحق (وما أهلككم من قريبه) من القرى بنوع من أنواع العذاب في
حال من الأحوال (الاولها) أي ولتت القرية (كأن معلوم) أي أجل وقت
مقدراها لا تتقدم عليه ولا تتأخر عنه معلوم غير مجهول ولا منسى فلا يتصور

بناتك من حق أي ان نساءنا لأرب
لنافين ولا نشتهين وانك لتعلم
ما نريد أي ليس لما غرض الا في
الذكور وانت تعلم ذلك فاي حاجة
في تكرار القول علينا في ذلك قال
لو أن لي بكم قوة أو آوى الى ركن
شديد قالوا يالوط انارسل ربك لن
يصلا اليك نأسر بأهلك بقطع من
الليل ولا يلتفت منكم أحدا الا
امر أنك انه صبيها ما أصابهم ان
موعدهم الصبح أليس الصبح
بقر يب) يقول تعالى ان لوطا
توعدهم بقوله لو أن لي بكم قوة
الآية أي افعلت بكم الا فاعيل
بنفسى وعشيري ولهذا وردني
الحديث من حديث عمرو بن علقمة
عن أبي سلمة عن أبي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
رحمة الله على لوط لقد كان يأوى الى
ركن شديد يعنى الله عز وجل فما
بعث بعده نبي الا في ثروة من قومه
فعند ذلك اخبرته الملائكة انهم
رسل الله وانهم لا وصول لهم اليه
قالوا يالوط انارسل ربك ان يصلوا
اليك وأمره ان يسرى بأهلك من
آخر الليل وأن يتبع أدبارهم أي
يكون ساقا له ولا يلتفت منكم

أحد أي اذا سمعت ما نزل بهم ولا تولسكم تلك الاصوات المنزعجة ولكن استمروا ذاهبين الامر أنك
قال الاكثرون هو استثناء من المثبت وهو قوله فأسر بأهلك الامر أنك وكذا قرأها ابن مسعود ونصب هؤلاء امر أنك فجوزوا
الرفع والنصب وذكروا هؤلاء انهم اخرجت معهم وانما سمعت الوجبة التفتت وقالت واقوماه جاءها حجر من السماء فقتلها ثم
قربوا هلا كههم بنسيرا له لانه قال اهلكوهم الساعة فقالوا ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقر يب هذا وقوم لوط وقوف على
الباب عكوف قد جاؤا بهم رعون اليه من كل جانب ولوط واقف على الباب يدافعهم وهم توعدهونه فعند ذلك خرج عليهم جبريل

فضرب وجوههم بجناحه فطمس أعينهم وقال معمر عن قتادة عن حذيفة بن اليمان قال كان إبراهيم عليه السلام يأتي قوم لوط فيقول أنها كم الله ان تعرضوا العقوبة فلم يطيعوه حتى اذ بلغ الكتاب اجله انتهت الملائكة الى لوط وهو يعمل في أرضه فدعاهم الى الضيافة فقالوا انا ضيوفنا اللبيلة وكان الله قد عهد الى جبريل ألا يعذبهم حتى يشهد عليهم لوط ثلاث شهادات فلما توجه بهم ذكرا يعمل قومه من الشرفشى معهم ساعة ثم التفت اليهم فقال أمان تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية ما أعلم على وجه الارض شرًا منهم أين اذهب بكم الى قومي وهم شر خلق الله فالتفت (١٧١) جبريل الى الملائكة فقال احفظوا هاهنا ان

اثنتان فلما انتهى الى باب الدار بكى حياء منهم وشفقة عليهم فقال ان قومي شر خلق الله أمان تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية ما أعلم على وجه الارض أهل قرية شرًا منهم فقال جبريل للملائكة احفظوا هذه ثلاث قد حق العذاب فلما دخلوا ذهب بجورهم بجور السوء فصعدت فلوححت بشوها فأتاها الفساق يهرعون سراعا قالوا ما عندك قالت ضيف لوط قوم ما رأيت قط أحسن وجوها منهم ولا أطيب ريحانهم فهرعوا يسارعون الى الباب فدعوا لوطا دخلا وهم خارج وناشدهم الله ويقول هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فقام الملك واردا بالباب يقول فسده واستأذن جبريل في عتقو بهم فاذن الله في الصورة التي يكون فيها في السماء فنشر جناحه وجبريل جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق النبايا اجلى الجبين وده حيك حبسك مثل المرجان وهو اللؤلؤ كأنه الثلج ورجلاه الى الحضرة فقال بالوط انارسل ربك

التخاف عنه بوجه من الوجوه ولو اوفيهما أوجهاً أحدها وهو الظاهر أنها ووالحال والناني انها زبدة الثالث انها دخلت على الجمل الواقعة صفة تأكد ما دونه قال الزمخشري (ما سبق من أمة) من الامم (أجلها) المضروب لها المكتوب في اللوح المحفوظ والمعنى انه لا يأتي هلاكها قبل مجيء أجلها قيل من زائدة وقيل على بابها لانها تنفيذ التبعية في هذا الحكم فيكون ذلك في افادة عموم النفي أكد (وما يستأخرون) عنه والسبب زائدة فيكون مجيء هلاكهم بعدمضى الاجل المضروب له ويراد الفعل على صيغة جمع المذكر للعمل على المعنى مع التغليب ولرعاية الفواصل ولذلك حذف الجار والمجرور والجمله مبنية لما قبلها فكأنه قيل ان هذا الامهال لا ينبغي ان يعتبر به العقلاء فان لكل امة وقتا معيناً في نزول العذاب لا يتقدم ولا يتأخر وقال الزهري نرى انه اذا حضره أجله فإنه لا يؤخر ساعة ولا يقدم وأما ما لم يحضر أجله فان الله يؤخر ما يشاء ويقدم ما شاء قلت وكلام الزهري هذا الاحاصل له ولا منافاة فيه وقد تقدم تفسير الاجل في أول سورة الانعام ثم لما فرغ من تهديد الكفار شرع في بيان بعض عقوبتهم في الكفر وتماديهم في الغي مع تضمنه لبيان كفرهم عن أنزل عليه الكتاب بعد بيان كفرهم بالكتاب فقال (وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر) أي قال كفار مكة مخاطبين لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومتهمين به حيث أتبعوا له انزال الذي كره عليه مع انكارهم لذلك في الواقع أشد انكار وتهيئة لهم له أبلغ نفي (انك) بسبب هذه الدعوى التي تدعيها من كونك رسولا لله ما موراً بتبليغ أحكامه (لجنون) فإنه لا يدعى مثل هذه الدعوى العظيمة عندهم من كان عاقلاً فقولهم هذا المحمد صلى الله عليه وآله وسلم هو كقول فرعون أن رسولكم الذي أرسل اليكم لجنون (لوما) حرف تفضيص مركب من الوافيد والفتى ومن ما المزيدي فأتاد المجموع الحث على الفعل الداخلة هي عليه قال الفراء الميم في لوما بدل من اللام في لولا وقال الكسائي لولا ولوما سواء في الخبر والاستفهام قال النحاس لوما ولولا وهلا واحد والمعنى هلا (تأنيباً بالملائكة) ليشهدوا على صدقك وقيل المعنى لوما تأنيباً بالملائكة فيعاقبوننا على تكذيبنا لك (ان كنت من الصادقين) في قولك وادعائك الرسالة والحاصل انهم قالوا مقالتين تعنتا الاولى يا أيها الذي الخ والثانية لوما تأنيباً فقال الله سبحانه مجيباً على الكفار لما طلبوا اتيان الملائكة اليهم وراى عليهم المقالتين على

ان يصلوا اليك اض بالوط عن الباب ودعى واياهم ففتح لوط عن الباب فخرج اليهم فنشر جناحه فضرب به وجوههم ضرباً شديداً أعينهم فصاروا عمالاً يعرفون الطريق ثم أمر لوط فاحتمل بأهله في ليلته قال فأسر بأهلك بقطع من الليل وروى عن محمد بن كعب وقتادة والسدي نحو هذا (فلما جاء أمرنا جعلنا عالها سافها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين يبعيد) يقول تعالى فلما جاء أمرنا وكان ذلك عند طلوع الشمس جعلنا عالها وهي سدوم سافها كقوله فغشاها ما غشى أى أمطرنا عليها حجارة من سجيل وهي بالفارسية حجارة من طين أى مستحجرة قوية شديدة وقال بعضهم مشوية وقال البخاري سجيل

الشديد الكبير بحبل وسجين الادم والنون اذ تان وقوله منضود أي تبسع بعضها بعضا في نزولها وقوله مسومة أي معلمة محتومة عليها
 أسماء أصحابها كل حجر مكتوب عليه اسم الذي ينزل عليه وقال قتادة وعكرمة مسومة مطوقه بها نضع من حرة وذكروا انها نزلت
 على أهل البلد وعلى المتفرقين في القرى مما حولها فمينا أحدهم يكون عند الناس يتحدث اذا جاءه حجر من السماء فسقط عليه من
 بين الناس فدمره فلم يبق منهم أحد وقال مجاهد أخذ جبريل قوم لوط من سرحهم ودورهم جملهم بمواشيهم ورفعهم حتى سمع أهل
 السماء نباح كلابهم ثم كفأها وكان جملهم على (١٧٢) حوا في جناحه الايمن قال ولما قلبها كان أول ما سقط منها شرفاتها وقال

سبيل اللف والنشر المشوش (ما تنزل) نحن (الملائكة الا) تنزى لا متلبسا (بالحق)
 الذي يحق عنده تنزى لنا لهم فيما تقتضيه الحكمة الالهية والمشيئة الربانية وليس هذا
 الذي اقترحه هو مما يحق عنده تنزى للملائكة وهذا دلالة ثانياة وقرئ من الانزال وقيل
 معنى بالحق بالرسالة وقيل بالقرآن وقيل بالعذاب قاله مجاهد وقيل وقت الموت (وما كانوا
 اذا منظرين) قال السدي أي وما كانوا لوزنات الملائكة منظرين من ان يعذبوا فالجمله
 المذكورة جزء للجملة الشرطية المحذوفة قال صاحب النظم اذن مركبة من اذ وان وهي
 اسم منزلة حين ثم ضم اليها ان فصارا اذ ان ثم استقلوا الهزمة فحذفوها فصارا اذن وحجى
 لفظه ان دليل على اضممار فعل بعدها والتقدير وما كانوا اذ كان ما طلبوا ثم انكر
 سبحانه على الكفار استنزههم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقولهم المذكور فقال
 سبحانه (انا نحن نزلنا الذكر) الذي أنكروه ونسبوا بسببه الى الجنون وهو القرآن
 واعتقدوا انه محتق من عندك (واناله لحافظون) عن كل ما يليق به من تصديف
 وتحريف وزيادة ونقصان ونحو ذلك فالقرآن العظيم محفوظ من هذه الاشياء كلها لا يقدر
 واحد من جميع الخلق من الانس والجن ان يزيد فيه أو ينقص منه حرفا واحدا أو كلمة
 واحدة وهذا مختص بالكتاب العزيز بخلاف سائر الكتب المنزلة فانه قد دخل على بعضها
 تلك الاشياء ولما تولى الله حفظ ذلك الكتاب بقي مصونا على الابد محروسا من الزيادة
 والنقصان وغيرهما وفيه دليل على انه منزل من عنده آية اذ لو كان من قول البشر لتطرق
 اليه الزيادة والنقصان كما يتطرق الى كل كلام سواء قيل المعنى منزله محفوظا من الشياطين
 وقيل حفظه بان جعله معجزة باقية الى آخر الدهر وقيل حفظه من المعارضة فلم يقدر أحد
 من الخلق ان يعارضه ولو بأقصر آية وقيل أعجز الله الخلق عن ابطاله وافساده بوجه من
 الوجوه فقيض له العلماء الراسخين يحفظونه ويذوبون عنه الى آخر الدهر لان دواعي
 جماعة من الملاحدة واليهود متوفرة على ابطاله وافساده فلم يقدروا على ذلك بحمد الله
 ولما نفع من حمل الآية على جميع هذه المعاني ومن أسباب حفظه حدوث العلوم الكثيرة
 الالسية التي تذب عن الدخول في أبواب افساده وابطاله وتحريفه وتصحيفه وزيادة
 ونقصانه كالصرف والتحوير والمعاني والبيان وأصول الحديث والفقه والتفسير وغير ذلك
 مما له مدخل في هذا الشأن وأخرج مسلم عن عياض عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن

قتادة بلغنا ان جبريل أخذ بعروة
 القرية الوسطى ثم ألوى بها الى جوف
 السماء حتى سمع أهل السماء ضواغى
 كلابهم ثم دمر بعضها على بعض
 ثم أتبع شذان القوم صحرا قال
 وذكر لنا انهم كانوا أربع قرى في
 كل قرية مائة ألف وفي رواية ثلاث
 قرى الكبرى منها سدوم قال
 وبلغنا ان ابراهيم عليه السلام
 يشرف على سدوم ويقول يوم مالك
 وقوله وما هي من الظالمين يعمدون
 ورد في الحديث المروى في السنن
 عن ابن عباس مر فوعان وجدته
 يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل
 والمفعول به (والى مدين أخاهم
 شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم
 من الله غيره ولا تتصوا الميكال
 والميزان انى أراكم يجنروا انى أخاف
 عليكم عذاب يوم محيط) يقول
 تعالى ولقد أرسلنا الى مدين وهم
 قبيلة من العرب كانوا يسكنون
 بين الجواز والشام قريبا من معان
 بلاد اعراف بهم يقال لهم مدين
 فارسل الله اليهم شعيبا وكان من
 أشرفهم نسبا ولهذا قال أخاهم
 يأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك

له وينهاهم عن التطفيف في الميكال والميزان انى أراكم يجنروا انى أخاف
 ان تسلبوا ما أنتم فيه بانها كركم محارم الله (ويا قوم اوفوا الميكال والميزان بالقسط ولا تبغضوا
 الارض منفسدين ببقية الله خيرا لكم ان كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ) بينهم هم أولاعن نقص الميكال والميزان اذا أعطوا
 الناس ثم أمرهم بوفاء الكيل والوزن بالقسط آخذين ومعطيين ونهاهم عن العنوف في الارض بالفساد وقد كانوا يقطعون الطريق
 وقوله ببقية الله خيرا لكم أى من يخسركم الناس وقال الربيع وصية الله خير لكم وقال ابن زيد الهلالي في العذاب والبقية في الرحمة

ربه

وقال ابن جرير بنية الله أي ما فضل عليكم من الربح بعد وفاء الكيل والوزن خير لكم من أخذ أموال الناس قال وقد روى هذا عن ابن عباس قلت يشبهه قوله تعالى قل لا يستوي الخبيث والطيب الآية وقوله وما آتاكمم بحفظ أي رقيب لا يحفظ أي افعلوا ذلك لله لا ليراكم الناس (قالوا يا شعيب أصلناك تأمرنا أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء أنك لا أنت الحلیم الرشید) يقولون على سبيل التهكم أصلناك قال الاعمش أي قراءتك تأمرنا أن نترك ما يعبد آباؤنا أي الاوثان والاصنام أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء فتركنا التطفيف هي أموالنا نفعل فيها (١٧٣) ما تريد قال الحسن أي والله ان صلواته

تأمرهم ان يتركوا ما يعبد آباؤهم وقال الثوري في قوله أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء يعنون الزكاة أنك لانت الحلیم الرشید قال ابن عباس وغير واحد يقولون ذلك على سبيل الاستهزاء (قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي ورزقي منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عن الله وما أريد الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب) يقول لهم أرأيتم يا قوم ان كنت على بينة من ربي أي على بصيرة فيما أدعوا اليه ورزقي منه رزقا حسنا قيل أرادت النبوة وقيل أرادت الرزق الحلال ويحتمل الأمرين وقال الثوري ما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عن الله أي لأنهاكم عن الشيء وأخالف أنافي السر فافعله في السر خفية عنكم كما قال قتادة يقول لم أكن أنماكم عن أمر وأركبه ان أريد الاصلاح ما استطعت أي انما مرادى اصلاحكم جهدي وطاقتي وما توفيقى الا بالله أي في اصابة الحق فيما أريده الا بالله عليه توكلت

ربه تعالى نزلت عليك قرآنا لا يغسله الماء وأيضا في الآية وعيد شديد للمكذبين به المستهزئين برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل الضمير في له لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والاول والاول أولى بالمقام قال الخطابي انما ليجمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القرآن في المصحف لما كان يتقربه من ورود ناسخ لبعض أحكامه وتلاوته فلما انقضى نزوله بوفاة صلى الله عليه وآله وسلم ألهم الله تعالى الخلفاء الراشدين ذلك وفاء بوعده الصادق بضممان حفظه على هذه الامة فكان ابتداء ذلك على يد الصادق رضي الله عنه بمشورة عمر رضي الله عنه انتهى ذكره السيوطي في الاتقان وقد بسطنا الكلام على جمع القرآن في رسالتنا المسماة بالاكسبر في أصول التفسير فليرجع اليه ثم ذكر سبحانه ان عادة أمثال هؤلاء الكفار مع أنبيائهم كذلك تسليمة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال (ولقد أرسلنا رسلا كاثرة (من قبلك) وحذف المفعول لدلالة الارسل عليه (في شيع الاولين) أي في أممهم واتباعهم وسائر فرقهم وطوائفهم قال الفراء الشيع الامة للتابعة بعضهم بعضا فيما يجتمعون عليه واصله من شاعه اذا تبعه وهم القوم المجتمعة المنفقة كلمتهم وشيعة الرجل اتباعه وقيل الشيعة من يتقوى بهم الانسان في الصباح الشيعة الاتباع والانصار وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة ثم صارت الشيعة اسما لجماعة مخصوصة والجمع شيع والاشباع جمع الجمع واصله الى الاولين من اضافة الصفة الى الموصوف عند بعض النحاة أو من حذف المضاف اليه عند آخرين منهم أي في شيع الامم الاولين وفي البيضاوي من قبيل اضافة الموصوف لصفته كقوله حق اليقين (وما) كان (ياقيمهم) أي الشيعة (من رسول) من الرسل (الا كانوا يستهزئون) كما يفعل هؤلاء الكفار مع محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (كذلك) أي مثل ذلك الذي سلكه في قلوب أولئك المستهزئين برسولهم (تسلكه) أي الذي (في قلوب الجرمين) فالاشارة الى ما دل عليه الكلام السابق من القاء الوحي مقرونا بالاستهزاء والسلك ادخال الشيء في الشيء كالحيط في الخيط قاله الزجاج والسلك النفاذ في الطريق قال والمعنى كما فعل بالجرمين الذين استهزؤا نسلنا الضلال في قلوب الجرمين وقال ابن عباس الشرك نسلكه في قلوب المشركين وعن قتادة مثله وفيه رد على القدرية والمعتزلة وهي أي بين في ثبوت القدر لمن أذعن للحق ولم يعاند قال الواحدى أضاف الله سبحانه الى نفسه ادخال الكفر في قلوب

واليه أي أربح قاله مجاهد قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا أبو قرة ع سويد بن جبر عن حكيم ابن معاوية عن أبيه ان أحاده مالكا قال يا معاوية ان محمدا أخذ جبراني فانطلق اليه فانه قد كلك وعرفنا فانطلقت معه فقال دع لي جبراني فقد كانوا أسلموا فأعرض عنه فقام مغضبا فقال أما والله ان فعلت ان الناس يزعمون أنك لتأمرنا بالامر وتختلف الى غيره فقال أو قد قالوها فلن فعلت ذلك ما ذاك الاعلى وما عليهم من ذلك شيء أرسلوا له جيرانه وقال أيضا حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر بن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال أخذ النبي صلى الله عليه وسلم ناسا من قومي في تهمة فحبسهم فجاء

رجل من قومي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بخطب فقال يا محمد علام تحبس جيرانى وقال ان ناسا ليقولون انك تنهى عن
 الشئ وتستخلى به فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما يقولون قال فجعلت أعرض بينهما كلما ما تخافون ان يسمعها فيدعوني على قومي دعوة
 لا يفلحون بعدها أبدا فلم يرزل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فهمها فقال قد قالوها وأقائلها منهم والله لو فعلت لكان على وما كان
 عليهم خلوا عن جيرانه ومن هذا الحديث الذي رواه الامام أحمد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سمعتم الحديث عنى تعرفه
 قلوبكم وتلين له اشعاركم وأبشاركم وترون انه منكم (١٧٤) قريب فأنأولا كم به واذ سمعتم الحديث عنى تذكره قلوبكم وتنفر

منه أشعاركم وأبشاركم وترون انه
 منكم بعيد فأنأ بعدكم منه اسناده
 صحيح وعن مسروق قال جاءت امرأة
 الى ابن مسعود فتيات تنهى عن
 الواصلة قال نعم قالت فعلم بعض
 نسائك فقال ما حفظت وصية العبد
 الصالح اذا ما أريد أن أخالفكم
 الى ما أنها كم عنه وقال عثمان بن
 أبي شيبة حدثنا جري عن أبي سليمان
 الضبي قال كانت تحبنا كتب عمر
 ابن عبد العزيز فيها الامر والنهى
 فيكتب في آخرها وما كنت من ذلك
 الا ما قال العبد الصالح وما توفيق
 الابا لله عليه توكلت واليه استيب
 (ويا قوم لا يجرم منكم شقاقى ان
 يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح
 أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط
 منكم بعيد واستغفروا ربكم ثم
 توبوا اليه ان ربي رحيم ودود)
 يقول لا يجرم منكم شقاقى اى
 لا تحملمكم عدواقى وبغضى على
 الاضرار على ما أنتم عليه فيصيبكم
 العذاب وقوله وما قوم لوط منكم
 بعيد قيل المراد فى الزمان قال
 فتادة يعنى انما هلكوا بين أيديكم
 بالأمس وقيل فى المكان ويحتمل
 الامران واستغفروا ربكم من

الكفار وحسن ذلك منه فن آمن بالقرآن فليست تحسنه وقال الرازى احتجوا بهذه الآية
 على انه تعالى يخلق الباطل والضلال فى قلوب الكفار (لا يؤمنون به) أى بالذكر الذى
 أنزلناه أو بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم حال من ضمير نسله أو مستأنفة لبيان ما قبلها
 وقيل ان الضمير فى نسله للاستهزاء وفى به لاذ كروهو بعيد والاولى ان الضميرين للذكر
 (وقد خلت سنة الاولين) أى مضت طريقتهم التى سنها الله فى اهلا كهتم حيث فعلوا
 ما فعلوا من التكذيب والاستهزاء وقال قتادة مضت وقائع الله فىمن خذل من الامم
 فاحذروا ان يصيبكم مثل ما أصابهم من العذاب وقال الزجاج قدمضت سنة الله فيهم بان
 سلك الكفر والضلال فى قلوبهم ثم حكى الله سبحانه اصرارهم على الكفر وتصميمهم على
 التكذيب والاستهزاء فقال (ولو فتحنا عليهم) اى على هؤلاء المعادين لمحمد صلى الله عليه
 وآله وسلم المكذبين له المستهزئين به (بابا من السماء) من أبوابها المعهودة ومكآهم من
 الصعود اليه (فظلوا فيه) اى فى ذلك الباب يقال ظل فلان يفعل كذا اذا فعله بالتهار
 (يعرجون) يصعدون بالآلة أو بغير آلة حتى يشاهدوا ما فى السماء من عجائب الملكوت
 التى لا يجدها جاحد ولا يعانده عند مشاهدتها معانده وقيل الضمير فى ظلوا للملائكة
 اى ظل الملائكة يعرجون فى ذلك الباب والكفار يشاهدونهم ويتظنون صعودهم من
 ذلك الباب قاله ابن عباس (لقلوا) اى الكفار لفرط عنادهم وزيادة عتوهم (انما سكرت
 أبصارنا) قرئ مشددا ومخففا وهما سبعتان وهو من سكر الشراب أو من السكر وهو
 سدها عن الاحساس قاله مجاهد يقال سكر النهر اذا سده وجبسه عن الجرى وعن قتادة
 شخوه قال أبو عمرو بن العلاء سكرت غشيت وغطت وبه قال أبو عبيد وأبو عبيدة وروى
 عنه أيضا انه من سكر الشراب اى غشيتهم ما غطى أبصارهم كما غشى السكران ما غطى عقله
 وعلى التخفيف بمعنى سكرت وقيل أصله من السكر يقال سكرت عينه اذا تحيرت وسكنت
 عن النظر قال النحاس وهذه الاقوال متقاربة والتشديد لاجل التكثير والمبالغة قال
 ابن عباس قريش تقوله (بل نحن) أضربوا عن قولهم سكرت أبصارنا ثم ادعوا انهم
 (قوم مسكورون) اى سكرهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وفى هذا بيان لعنادهم العظيم
 الذى لا يقلعهم عنه شئ من الاشياء كما نأما كان فانهم اذا رأوا آية توجب عليهم الايمان
 بالله وملائكته وكتبه ورسله نسبوا الى أبصارهم ان ادراكها غير حقيقى لعارض السكر

سالف الذنوب ثم توبوا اليه فيما تستقبلونه وقوله ان ربي رحيم ودود اى لمن تاب وعن أبي ليلي المكندى أو
 قال كنت مع مولاى أمسك دابته وقد أحاط الناس بعثمان اذا شرف علينا من داره فقال يا قوم لا يجرم منكم شقاقى ان يصيبكم
 مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح يا قوم لا تقتلوا قولى (٣) كنتم هكذا وشبك بين أصابعه (قالوا يا شبيب
 ما نفقه كثيرا مما تقول وانالترك فينا ضعيفا ولولا ربه لظلمنا لرجسناك وما أنت علينا بعزير قال يا قوم أرهطى أعز عليكم من الله
 واتخذتوه وراكم ظهر يا ان ربي بما تعملون محيط) يقولون يا شبيب ما نفقه ما نفقه كثيرا من قولك وانالترك فينا ضعيفا قال
 (٣) هنا يبايض فى الاصل ففر اه صححه

سعيد بن جبير والنوري وكان ضير البصر وقال الثوري كان يقال له خطيب الانبياء قال السدي وانزلنا فينا ضعيفا قال أنت واحد وقال أبو روق يعنون ذليلا لان عشيرةك ليسوا على دينك ولولا رهطك لرجناك أي قومك لولا معزتهم علينا لرجناك قيل بالحجارة وقيل لسببنا وما أنت علينا بعزير أي ليس عندنا لك معزة قال ياقوم أرهط أي أعز عليك من الله يقول تتركوني لاجل قومي ولا تتركوني اعظاما لجناب الرب تبارك وتعالى ان تناولنا بيه بمساءة وقد اتخذتم كتاب الله وراءكم ظهريا أي نبذتموه خلفكم لا تطيعونه ولا تظمونه ان ربي بمائة مليون محيط أي هو يعلم جميع أحوالكم (١٧٥) وسيجزى بكم (وياقوم اعملوا على مكاتكم

اني عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارقبوا اني معكم رقيب ولما جاء أمرنا نجينا ناسا عيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يكنوا فيها إلا بعد المدين كما بعدت ثمود لما تبس نبى الله من استجابتم قال ياقوم اعملوا على مكاتكم أي طريقتكم وهذا تهديد شديد اني عامل على طريقتي فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وقوله وارقبوا أي انتظروا وقوله جاثمين أي هامدين لاجل الجحيم وقوله كأن لم يكنوا فيها في دارهم قبل ذلك وقوله كما بعدت ثمود وكانوا جاثما منهم قريبا منهم في الدار وشبههم في الكفر وقطع الطريق وكانوا عرابا مثلهم (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملئه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشد يقدم قومه يوم القيامة فأوردتهم النار وبئس الورد المورود وأتبعوا في هذه لعنة يوم القيامة بئس الرفد المرفود) يقول تعالى يخزي

أو أن عقولهم قد سحرت فصار ادراكهم غير صحيح ومن بلغ في التعنت الى هذا الحد فلا تنفع فيه موعظة ولا يمتدى بآية وفي كفى الحصر والاضراب دلالة على البت بان ما يرويه لا حقيقة له بل هو باطل خيل اليهم بنوع من السحر ولما ذكر سبحانه كفر الكافرين وعجزهم وعجز اصنامهم ذكر قدرته الباهرة وخلقه البديع ليستدل بذلك على وحدانيته فقال (ولقد جعلنا) الجعل ان كان بمعنى الخلق فقوله (في السماء برؤيا) متعلق به وان كان بمعنى التصيير فهو خبره والبروج في اللغة القصور والحمال والطرق والمنازل والمراد بها هنا منازل الشمس والقمر والنجوم السيارة السبعة وهي الاثنا عشر المشهورة كما يدل على ذلك التجربة والعرب تعد المعرفة بمواقع النجوم ومنازلها من أجل العلوم ويستدلون بها على الطرقات والاقوات والخصب والجذب وقالوا الفلك اثنا عشر برج واسماء هذه البروج الجمل الثور الجوزاء السرطان الاسد السنبلة الميزان العقرب القوس الجدى الدلو الحوت ككل ثلاثة منها على طبيعة عنصر من العناصر الاربعه عند المشتغلين بهذا العلم ويسمون الجمل والاسد والقوس مثلثة نارية والثور والسنبلة والجدى مثلثة أرضية والجوزاء والدلو والميزان هوائية والسرطان والعقرب والحوت مائية وهذه البروج مقسومة على ثمانية وعشرين منزلا لكل برج منزلان وثلاث منزل تلك البروج منازل الكواكب السبعة السيارة المريح قوله الجمل والعقرب والزهرة ولها الثور والميزان وعظارد وله الجوزاء والسنبلة والقمر وله السرطان والشمس ولها الاسد والمشتري وله القوس والحوت وزحل وله الجدى والدلو ذكره السيوطي وهي مقسومة على ثلثمائة وستين درجة لكل برج منها ثلاثون درجة تقطعها الشمس في كل سنة مرة وبها تتم دورة الفلك ويقطعها القمر في ثمانية وعشرين يوما وأصل البروج الظهور ومنه تبرج المرأة باظهار زينتها وقال الحسن وقتادة البروج النجوم وسميت بذلك لظهورها وارتفاعها وقيل السبعة السيارة منها قاله أبو الح وقيل هي قصور بيوت في السماء فاحر من قاعد عظمة وقال مجاهد البروج الكواكب (وزينها) أي السماء بالشمس والقمر والنجوم والبروج (لناظرين) اليها أولم تفكر من المعتبرين المستدلين بها على توحيد خالقها وصانعها اذا كان من النظر وهو الاستدلال أي بابصارهم أو بآثارهم وفي السمين النظر عيني وقيل قلبى وحذف متعلقه ليعم (وحفظناها) أي السماء بالشهب (من) دخول (كل شيطان

عن ارسال موسى بآياته ودلالته الباهرة الى فرعون ملك القبط وملئه فاتبعوا أمر فرعون طريقته في النفي وما أمر فرعون برشد أي ليس فيه رشد ولا هدى كما انهم اتبعوه في الدنيا كذلك هو مقدمهم الى نار جهنم فأوردتهم اياها وله في ذلك الحظ الاوفر من العذاب وكذلك شأن المشركين كقولهم بنا آتهم ضعفين من العذاب الآية وقال الامام أحمد حدثنا هشيم حدثنا أبو الجهم عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امر القيس حامل لواء شعراء الجاهلية الى النار وقوله واتبعوا في هذه لعنة يوم القيامة الآية أي اتبعناهم زيادة على عذاب النار لعنة في الدنيا ويوم القيامة بئس الرفد المرفود قال مجاهد يزيدوا

لعنة يوم القيامة فقلنا لعنتان وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس بنس الرfid المرفود قال لعنة الدنيا والآخرة وكذلك قال الضحاك
وقادة وهو كونه وجعلناهم أمم يدعون إلى النار الآيتين (ذلك من أبناء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد وما ظلمناهم ولكن
ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من نبي لما جاء أمر ربك وما زادهم غير تنبيبه) لما ذكر تعالى خبر
الانبياء مع أممهم قال ذلك من أبناء القرى أي أخبارهم نقصه عليك منها قائم أي عامر وحصيد أي هالك وما ظلمناهم إذا هلكناهم
ولكن ظلموا أنفسهم بتكذيبهم وكفرهم بما (١٧٦) أغنت عنهم آلهتهم وأولئك من نبي ما فعلوا من شئ ما نفعوهم ولا أنفذوهم

وما زادوهم غير تنبيبه قال مجاهد
وقادة وغيرهما أي غير تخسير
وذلك ان سبب دمارهم باتباعهم
تلك الآلهة فهذه خسروا الدنيا
والآخرة (وكذلك أخذ ربك إذا
أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذها
أليم شديد) يقول تعالى وكما أهلكنا
أولئك القرون الظالمة كذلك نفعل
بأشباههم ان أخذها أليم شديد وفي
الصحيحين عن أبي موسى رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله لي لي للظالم حتى
إذا أخذهم ينزلهم ثم قرأ رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكذلك أخذ
ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة
الآية (ان في ذلك لآية لمن خاف
عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له
الناس وذلك يوم مشهود وما تؤخره
الاجل معه مدود يوم يأتي لاتكلم
نفس الاباذنه ففهم شق وسعيد)
يقول تعالى ان في اهلاكا الكافرين
وانجائنا المؤمنين لآية أي عظة
واعتيارا على صدق موعودنا في
الآخرة وقوله ذلك يوم مجموع له
الناس أي أولهم وآخرهم كقوله
خسرناهم فلم نعد ردهم أحدا

رجيم) قال أبو عبيدة الرجيم المرجوم بالنجوم كما في قوله رجوما للشياطين والرجيم في اللغة
هو الرمي بالحجارة ثم قيل للعن والطرود والبعاد رجيم لان الرمي بالحجارة يوجب هذه المعاني
وقال قتادة الرجيم الملعون (الا) أي لكن (من استرق السمع) من غير دخول وهذا وجه
الانقطاع والسمع بمعنى المسوع وذلك ان الشياطين يركب بعضهم بعضا حتى يلغوا إلى
السماء فيسترقوا السمع من الملائكة وقيل الاستثناء متصل أي الامن استرق فانها
لا تمنظ منه قال أبو السجود محله نصب على المتصل ان فسر الحفظ بمنع الشياطين من
التعرض لها على الاطلاق والوقوف على ما فيها في الجملة أو المنقطع ان فسر ذلك بالمنع من
دخولها والتصرف فيها انتهى قال ابن عباس أراد أن يخطف السمع كقوله الامن خطف
الخطفة (فأشبهه شهاب مبین) والمعنى حفظنا السماء من الشياطين ان تسمع شيئا من
الوحي وغيره الامن استرق السمع فانه تتبعه وتلقه الشهب فتقتله أو تخطفه أو تحرقه
أو تمتبه ودعنى فأتبعه تبعه ولحقه أو أدركه والشهاب الكوكب نفسه أو النار المشتعلة
الساطعة منه كما في قوله بشهاب قبس وصنيع البياضى يقتضى ان الشهاب بمعنى
الشعلة هو الحقيقة والكثير ويعنى الكوكب هو القليل وسعى الكوكب شهابا بالريقة
شبه شهاب النار وانفصالها منها والمبين الواضح الظاهر للمبصرين يروونه لا يلتبس عليهم
قال القرطبي واختلف في الشهاب هل يقتل أم لا فقال ابن عباس يجرح ويحرق ويخبل
ولا يقتل يقال خبلته خبلا من باب ضرب اذا أفسدت عضوا من أعضائه أو أذهبت عقله
واخبال بالفتح يطلق على الفساد والجنون وقال الحسن وطائفة يقتل فعلى هذا القول
في قتلهم بالشهب قبل انقاء السمع إلى الجن قولان أحدهما انهم يقتلون قبل القاءهم
ما استرقوه من السمع إلى غيرهم فلا تصل أخبار السماء إلى غير الانبياء ولذلك انقطعت
الكهانة والثاني انهم يقتلون بعد القاءهم ما استرقوه من السمع إلى غيرهم من الجن قال
ذكره الماوردي ثم قال والقول الاول أصح قال واختلف هل كان رمي بالشهب قبل
المبعث فقال الاكثرون نعم وقيل لا وانما ذلك بعد المبعث قال الزجاج والرمي بالشهب من
آيات النبي صلى الله عليه وآله وسلم مما حدث بعده ولده لان الشعراء في القديم لم يذكروا
في اشعارهم والجمع بين هذين القولين ان الرمي بالنجوم كان موجودا قبل مبعث النبي
صلى الله عليه وآله وسلم فلما بعث شد ذلك وزيد في حفظ السماء وحراسها صوتا لاخبار

وذلك يوم مشهود أي عظيم تحضره الملائكة ويجمع فيه الرسل وتحشر الخلائق بأسرهم ويحكم فيه العادل القيوب
الذى لا ينظم وقوله وما تؤخره الاجل معدود أي ما تؤخر اقامة القيامة الا انه قد سبقت كلمة الله في وجود الناس معدودين من ذرية
آدم وضرب مدة معينة اذا انقطعت وتكامل وجود المقدر خروجهم فامت الساعة يوم يأتي لاتكلم نفس الاباذنه أي يوم يأتي يوم
القيامة لا يتكلم أحد الاباذن الله كقوله لا يتكلمون الامن أذن له الرحمن وقال صوابا وقال وخشعت الاصوات للرحمن الآية وفي
الصحيحين في حديث الشفاعة ولا يتكلم يومئذ الا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وقوله ففهم شق وسعيد أي فن أهل الجمع

شقي ومنهم سعيد وعن عمر لما نزلت فنهض شقي وسعيد قلت يا رسول الله علام نعمل على شيء يقدف غمنا أم على شيء مستأنف قال بل على شيء يقدف غمنا يا عمرو جرت به الاقلام ولكن كل ميسر لما خلق له رواه أبو يعلى في مسنده ثم بين تعالى حالهم فقال (فاما الذين شقوا في النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والارض الاماشاء ربك ان ربك فعال لما يريد) قال ابن عباس في الصدر أرى لنفسه زفير (١) وآخرهم النفس شهيق خالدين فيها مادامت السموات والارض قال ابن جرير عاده العرب اذا أرادت ان تصف الشيء بالدوام أبدت قالت هذا دائم دوام السموات والارض وكذلك (١٧٧) يقولون هو باق ما اختلف الليل والنهار فخطابهم

جل ثناؤه بما يتعارفون بينهم قلت يحتمل ان المراد مادامت السموات والارض الجنس لانه لا بد في الآخرة من سموات وأرض غير هذه فمادامت تلك السموات وتلك الارض وقال ابن أبي حاتم عن سفيان بن حسين عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس في الآية قال لكل جنه سماه وأرض وقوله الاماشاء ربك ان ربك فعال لما يريد كقوله النار مشوا كم خالدين فيها الاشياء الله وقد اختلف في هذا الاستثناء على أقوال حكاه ابن الجوزي في زاد المسير وقال ابن جرير في كتابه واختار ما نقله عن خالد بن معدان والضحاك وقطادة وابن سنان ان الاستثناء عام على العصاة من الموحدين وقد ورد في تفسيرها عن بعض السلف أقوال غريبة وقال قتادة الله أعلم بنسائه وأما الذين سعدوا في الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الاماشاء ربك عطاء غير مجدود) يقول تعالى وأما الذين سعدوا وهم اتباع الرسل في الجنة خالدين فيها أي ما كثر مادامت السموات

الغيوب وعن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كالسلسلة على صفوان فاذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير فيسبحها مسترقوا السمع ومسترقوا السمع هكذا بعضهم فوق بعض ووصف سفيان بكفه فخر بها (٣) وبددين أصابعه فيسمع الكلمة فيلقها الى من تحته ثم يلقها الاخر الى من تحته حتى يلقها على لسان الساحر أو الكاهن فرجماً أدركه الشهاب قبل ان يلقها ورجماً ألقاها قبل ان يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال له أليس قد قال لنا كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء أخرج البخاري قال كثير من أهل العلم نحن نرى انقضاء الكواكب فيجوز أن يكون ذلك كما نرى ثم تصير ناراً اذا ادرك الشيطان ويجوز أن يقال يرمون بشعلة من نار الهواء فيخيل الينا انه نجم يسرى (والارض) نصب على الاشتغال ولم يقرأ بغيره لانه أخرج من حيث العطف على جملة فعلية قبلها (مدناها) أي بسطناها وفرشناها على وجه الماء كما في قوله والارض بعد ذلك دحاها وفي قوله والارض فرشناها فنعلم الماهدون وفيه رد على من زعم انها كالكرة (وألقينا) أي جعلنا ووضعنا (فيها رواسي) أي جبالاتاً ثابتة لئلا تتحرك باهلها جمع راسية كما في المختار وقد تقدم بيان ذلك في سورة الرعد (وأنبئناهم ان) تبعيضية وهو الصحيح أو مزيدة عند الكوفيين والاحفس (كل شيء موزون) أي مقدر معلوم فعبّر عن ذلك بالوزن لانه مقدار تعرف به الأشياء وقيل موزون مقسوم وقيل معدود والمقصود من الانبات الانشاء والايجاد قال ابن زيد الأشياء توزن وقيل الضمير راجع الى الجبال أي أنبتنا في الجبال من كل شيء موزون من الذهب والفضة والنحاس والكحل والرصاص ونحو ذلك وقيل موزون بوزن الحكمة ومقدر بقدر الحاجة وقيل الموزون هو المحكوم بحسبه كما يقال كلام موزون أي حسن وخص ما يوزن لانتهاء الكيل الى الوزن (وجعلنا لكم فيها) أي في الارض (معايش) تعيشون بها من المطاعم والمشارب جمع معيشة وهي ما يعيش به الانسان مدة حياته في الدنيا وقيل هي الملابس وقيل هي التصرف في أسباب الرزق مدة الحياة قال الماوردي وهو الظاهر قلت والاول أظهر قال النسفي هي بياض صريحة بخلاف الخبائث ونحوها فان تصریح البياض فيها خطأ انتهى وقرئ بالهمز على التشبيه بشمائل وقد ذكر في الاعراف وهي شاذة وقرأة الجمهور بالبياض

(٢٢ فتح البيان خامس) والارض الاماشاء ربك يعني بالاستثناء هنا أن دوامهم ليس أمر او اجاباً ذاته بل موكول الى مشيئة الله وقال الضحاك والحسن هو في حق عصاة الموحدين كانوا في النار ثم أخرجوا منها عقب ذلك يقول عطاء غير مجدود أي مقطوع قاله ابن عباس وغير واحد لا يتوهم بذلك المشيئة ان ثم انقطاع كما بين هناك ان عذاب أهل النار دائم مردود الى مشيئته وانه بعدله وحكمته عذبهم ولهذا قال ان ربك فعال لما يريد وفي الصحيحين يؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيذبح ثم يقال (١) قوله في الصدر أرى لنفسه زفير وآخرهم النفس شهيق هكذا في الاصل الذي يابى بنا وحرراه مصححه (٣) أي أمالها انتهى مجمع البحار

يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت (فلاتك في مريّة مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل
وانالموفوهم نصيبهم غير منقوص ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم وانهم انى شك منه
مريّب وان كلالنا ليو فينهم ربك أعمالهم انه بما يعملون خبير) يقول تعالى فلاتك في مريّة مما يعبد المشركون انه باطل فانه ليس لهم
مستند فيه الا اتباع الآباء وسيجزئهم الله على ذلك آتم الجزاء فيعذبهم وان كانت لهم حسنات فقد موفاهم اياها في الدنيا وقال الثوري
عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس والموفوفهم (١٧٨) نصيبهم غير منقوص قال ما وعدوا فيه من خير وشرو وقال ابن زيد نصيبهم

لانها في المفرد أصلية لان مفرده معيشة من العيش فالإباء أصلية والمد في المفرد لا يقبل
همز في الجمع الا اذا كان زائدا في المفرد قاله في الجمل (ومن لستم له برازقين) عطف على
معاش أو على محل لكم وهم المماليك والعبيد والخدم والدواب والاولاد الذين رازقهم
في الحقيقة هو الله وان ظن بعض العباد انه الرازق لهم باعتبار استقلاله بالكسب وهذا
في غاية الامتنان والمعنى على الثاني وجعلنا لمن لستم له برازقين فيها معاش وهم من تقدم
ذكره ويدخل في ذلك الدواب على اختلاف أجناسها وقيل أراد الوحش فانه منصور وقال
مجاهد الانعام وقيل الطيور ومنه قوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها (وان
من شيء الا عندنا خزائنه) ان هي النافية ومن مزيدة للتأكيده وهذا التركيب عام لوقوع
النكرة في حيز النفي مع زيادة من ومع لفظ شيء المتناول لكل الموجودات الصادق على كل
فرد منها فاذا ذلك ان جميع الاشياء عند الله خزائنها لا يخرج منها شيء والخزائن جمع خزانة
وهي المكان الذي يحفظ فيه نفائس الامور وذكر الخزائن تمثيل لاقتداره على كل
مقدور والمعنى ان كل الممكّنات مقدورة ومملوكة لله تعالى يخبر بها من العدم الى
الوجود بمقدار كيف شاء وقال جهور المفسرين ان المراد بما في الآية هو المطر لانه سبب
الارزاق والمعاش وعن ابن مسعود وابن عباس ما تنقص المطر منذ انزله الله وان كان تظطر
أرض أكثر مما تظطر أخرى ثم قرأ وما تنزله الآية قال ابن الخطيب وتخصيص قوله هذا
بالمطر تحكم محض لان قوله وان من شيء يتناول جميع الاشياء الاما خصه الدليل وقيل
الخزائن المنافع أي ما من شيء الا عندنا في السماء مفااتيحه والاولى ما ذكرنا من العموم
لكل موجود بل قد يصدق الشيء على المعدوم على الخلاف المعروف في ذلك وقيل
في العرش تمنال جميع ما خلق الله في البر والبحر وهو تأويل هذه الآية وأخرج البزار
وأبو الشيخ عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خزائن الله الكلام
فاذا أراد شيئا قال له **كن** فكان (وما تنزله) من السماء الى الارض أو فوجده
للعباد (الابقدر) أي بمقدار (معلوم) والمعنى ان الله سبحانه لا يوجب العباد شيئا
من تلك الاشياء المذكورة الا متمسكا بذلك الايجاد بقدر معين حسبما تقتضيه مشيئته
على مقدار حاجة العباد اليه كما قال تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض
ولكن ينزل بقدر ما يشاء وقد فسر الانزال بالاعطاء وبالانشاء وبالاجداد والمعنى متقارب

من العذاب ثم ذكر تعالى انه آتى
موسى الكتاب فاختلف فيه من
مؤمن به ومن كافر فالك من سلف من
الانبياء اسوة ولولا كلمة سبقت من
ربك لقضى بينهم قال ابن جرير لولا
ما تقدم من تأجيله العباد الى أجل
معلوم ويحتمل ان لا يعذب أحدا
الا بعد قيام الحجّة عليه فانه قد قال
ولولا كلمة سبقت من ربك لكان
لزاما وأجل مسمى ثم أخبر ان
الكافرين في شك مما جاء به الرسول
ثم أخبر انه سيجمع الاولين
والآخرين من الامم وسيجزئهم
بأعمالهم فقال وان كلالنا ليو فينهم
ربك أعمالهم الآية (١) وهذه
القراءة ترجع معناها الى الذي
ذكرنا (فاستقم كما أمرت ومن
تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون
بصير ولا تكنوا الى الذين ظلموا
فتمسكتم النار وما لكم من دون الله
من أولياء ثم لا تنصرون) بأمر تعالى
رسوله والمؤمنين بالثبات والدوام
على الاستقامة وذلك من أكبر
العون على النصر ونهى عن
الطغيان وهو البغي فانه مصرعة
ولو كان على مشرك وأعلم تعالى انه

بصير بأعمال العباد وقوله ولا تكنوا الى الذين ظلموا فتمسكتم النار قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس لاتداهنوا (وأرسلنا
وقال العوفى عنه هو الركون الى الشرك وقال أبو العالية لا ترضون بأعمالهم وقال ابن جرير عن ابن عباس لا تميلوا الى الذين
ظلموا فتمسكتم النار وهذا القول حسن أي لا تعينوا الظلمة فتكونوا كأنكم قد رضيت صنعهم وليس لكم من دونه ولي يتخذكم
ولانا صر يخلصكم (وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين واصبر فان الله
لا يضيع أجر المحسنين) قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس واقم الصلاة طرفي النهار يعني الصبح والمغرب وكذا قال الحسن وابن
(١) قوله وهذه القراءة ترجع معناها الى الذي ذكرنا كذا بالاصل الذي يابى يتقدم ذكر القراءة ولا المعنى الذي أشار اليه في آخره

فردوه فقرأ عليه أقم الصلاة طرفي النهار الآية فقال معاذاً له وحده قال بل للناس كافة وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن عبيد حدثنا
أبان بن صالح عن الصباح بن محمد عن مرة عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم بينكم أرزاقكم وان الله يعطى الدينار من يحب ومن لا يحب ولا يعطى الدين الامن أحب فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه والذي نفسي
بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه قلنا وما بوائقه قال غشه وظلمه ولا يكسب عبداً ما لا حراماً
فينفق منه فيسار له فيه ولا يتصدق فيقبل منه (١٨٠) ولا يتركه خلف ظهره الا كان زاده الى النار ان الله لا يعجز عن شيء

ولكن يعجز عن السيئ بالحسن وقال
الامام أحمد حدثنا يونس وعفان
حدثنا جاد يعني ابن سلمة عن علي
ابن زيد عن يوسف بن مهزيان
عن ابن عباس ان رجلاً أتى عمر
فقال ان امرأة جاءت تباعه
في سبيل الله فادخلتها الدويع
فاصب منها ما دون الجماع قال ويحك
لعلها مغيبة قال أجل قال فأتت
أبا بكر فاتاه فسأله فقال لعلها مغيبة
في سبيل الله (١)

قدرته عز وجل وانه القادر على البعث والنشور والجزاء لعباده على حسب ما يستحقونه
وتقتضيه مشيئته ولهذا قال (ويضح الوارثون) أي للارض ومن عليها لانه سبحانه
هو الباقي بعد فناء خلقه الحى الذى لا يموت الدائم الذى لا ينقطع وجوده ومصير الخلق اليه
ولله ميراث السموات والارض (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين)
المراد علمنا من تقدم ولادة وموتاً ومن تأخر فيهما وقيل من تقدم طاعة ومن تأخر فيها
وقيل من تقدم في صف القتال ومن تأخر وقيل المستقدمون هم الامم المتقدمون على
امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم من لدن آدم والمستأخرون هم امة محمد صلى الله عليه وآله
وسلم الى يوم القيامة وقيل المستقدمون من قتل في الجهاد والمستأخرون من لم يقتل وقيل
من خلق ومن لم يخلق بعد وقيل من أسلم أولاً ومن يسلم آخر أو اللفظ أوسع من ذلك واللام
في الموضوعين هي الموطئة للقسم وأخرج أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن خزيمة
وابن حبان والحاكم وصححه عن ابن عباس قال كانت امرأة تصلى خلف رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم حسنة من أحسن النساء فكان بعض القوم يتقدم حتى يكون في
الصف الاول لثلايرها ويستأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر فاذا ركع نظر من
تحت ابطنه فانزل الله هذه الآية وقدره واه عبد الرزاق وابن المنذر من قول أبي الجوزاء عن
ابن عباس قال الترمذى وهذا أشبه أن يكون أصح وقال ابن كثير في هذا الحديث نكارة
شديدة وعن ابن عباس قال المستقدمين الصفوف المتقدمة والمستأخرين الصفوف
المؤخرة وقد وردت أحاديث كثيرة في ان خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها
وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها وعن مقاتل وعطاء ان الآية في صفوف القتال
وقال الحسن المستقدمين في طاعة الله والمستأخرين في معصية الله وعن ابن عباس
يعني بالمستقدمين من مات وبالمستأخرين من هو حى لم يمت وقال أيضاً المستقدمين آدم
ومن مضى من ذريته والمستأخرين في أصلاب الرجال وعن قتادة نحوه (وان ربك هو
يحشرهم) أي هو المتولى لذلك القادر عليه دون غيره كما يفيد ضمير الفصل من الحصر
وفيه انه سبحانه يجازى الحسن باحسانه والمسي باساءته لانه الامر المقصود من الحشر
(انه حكيم) يجزى الامور على ما تقتضيه حكمته البالغة (عليم) أحاط علمه بجميع
الاشياء لا يخفى عليه شئ منها ومن كان كذلك فله القدرة البالغة على كل شئ مما وسعه علمه

ولكن يعجز عن السيئ بالحسن وقال
الامام أحمد حدثنا يونس وعفان
حدثنا جاد يعني ابن سلمة عن علي
ابن زيد عن يوسف بن مهزيان
عن ابن عباس ان رجلاً أتى عمر
فقال ان امرأة جاءت تباعه
في سبيل الله فادخلتها الدويع
فاصب منها ما دون الجماع قال ويحك
لعلها مغيبة قال أجل قال فأتت
أبا بكر فاتاه فسأله فقال لعلها مغيبة
في سبيل الله (١)

ونزل القرآن وأقم الصلاة طرفي
النهار الآية فقال يا رسول الله الى
خاصة فضرب يعني عمر صدره
وقال لا ولا نعمة عين بل للناس عامة
فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم صدق عمر ولا بن جرير بسنده
عن أبي اليسر قال أتتني امرأة
تبتاع مني بدرهم تراه فقلت ان في
هذا البيت تراه اجود من هذا
فدخلت فدخلت فاهو بيت اليها
فقبلتها فأتيت عمر (٢) فسأته فقال
اتق الله واستر على نفسك فلم أصبر
حتى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم
فاخبرته فقال أختت رجلاً غارياً
في سبيل الله في أهله بمثل هذا حتى

ظننت انى من أهل النار حتى تمت انى أسلمت اذا فاطم رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة فنزل جبريل بهذه
الآية وروى ابن جرير من حديث أبي امامة ان رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اقم في حد الله مرة أو مرتين
فاعرض عنه ثم اقم الصلاة فلما فرغ قال أين الرجل قال انا ذاق اعمت الوضوء وصليت معنا قال نعم قال فانك من خطيئتك
كجلاذك امك فلا تعد وأنزل الله اقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل الآية وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا جاد بن سلمة
(١) يياض بالاصل (٢) قوله فأتيت عمر الخ كذا بالاصل الذى بايد يناوئ الخ طيب هذا الحديث عن الترمذى عن أبي اليسر بزيادة اه

أخبرنا علي بن زيد عن أبي عثمان قال كنت مع سلمان تحت شجرة فأخذ غصنًا منه يابسًا فهزه حتى نحات ورقه ثم قال أبا عثمان لا تسأني لم أفعل هذا قلت ولم تفعله قال هكذا فعل بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن المسلم إذا توضأ فاحسن الوضوء ثم صلى الصلوات الخمس نحاتت ذنوبه كما ينحات هذا الورق وقال أقم الصلاة طرفي النهار الآية ولا تجد من معاذ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وله عن أبي ذر مر فوعا إذا علمت سيئة فاتبعها حسنة تمحها قلت يا رسول الله أمن الحسنات لاله الا الله قال هي أفضل الحسنات (١٨١) وقال أبو يعلى حدثنا هذيل بن ابراهيم حدثنا

عثمان بن عبد الرحمن الزهري عن الزهري عن أنس مر فوعا ما قال عبد لاله الا الله في ساعة من ليل أو نهار الا طهت ما في الصحيفة من السيئات حتى تسكن مثلها من الحسنات عثمان فيه ضعف واللبزار عن أنس ان رجلا قال يا رسول الله ما تركت من حاجة ولا حاجة الا قطعتها فقال له أنشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله قال بلى قال فان هذا يأتي على ذلك (فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها ماصحون) يقول تعالى فلولا وجدنا من قرن من القرون الماضية بقايا من أهل الخير ينهون عما يقع بينهم من الشرور والمنكرات وقوله الا قليلا أي قد وجدنا منهم من هذا المضرب قليلا وهم الذي انجي الله عن حلول نقمه ولهذا أمر الله هذه الامة ان يكون فيها من يأمر بالمعروف وينهى

وحرى فيه حكمه سبحانه لاله الا هو (ولقد خلقنا الانسان) أي آدم عليه السلام لانه أصل هذا النوع (من) لابتداء الغاية أو للتبعض (صلصال) أي طين يابس اذا نضب عنه الماء تشقق فاذا حرك تشقق واذ انقرته سمعت له صلصلة أي صوتا قال أبو عبيدة هو الطين الخلوط بالرمل الذي يتصلب اذا حرك فاذا طبخ بالنار فهو الفخار وهذا قول أكثر المفسرين وقال الكسائي هو الطين المتين مأخوذ من قول العرب صل اللحم وأصل اذا أنتن مطبوخا كان أو نيتا وهذا الطور آخر أطوار آدم الطينية وأول ابتداءه انه كان ترابا متفرقا الاجزاء ثم بيل فصارت طيناً ثم أنتن واسود فصارت حملاً ثم أنتن متغيراً ثم بيس فصارت صلصا وعلى هذه الاطوار والاحوال تتخرج الآيات الواردة في أطوار الطينية كما به خلقه من تراب وآية بشر من طين وهذه الآية التي نحن فيها (من) ابتدائية (حمامسون) الحما الطين الاسود المتغير أو الطين الاسود من غير تقييد بالمتغير قال ابن السكيت تقول منه حمت البئر حماً بالتراب اذا نزلت حماً حمت البئر حماً بالتراب كثر حمتها وأحمتها ألقيت فيها الحماة قال أبو عبيدة الحماة بسكون الميم مثل الحماة يعنى بالتراب والجمع حمام مثل تمر وتمر الحماة مصدر مثل الهلع والجزع ثم سمي به والمسنون قال الفراء هو المتغير وأصله من سنتت الحجر على الحجر اذا حركته وما يخرج بين الحجرين يقال له السنانة والسنين ويقال أسن الماء اذا تغير ومنه قوله لم يتسنه وقوله من ماء غير آسن وكلا الاشتقاقين يدل على التغير لان ما يخرج بين الحجرين لا يكون الامتئنا وقال أبو عبيدة المسنون المصبوب وهو من قول العرب سنتت الماء على الوجه اذا صببته والسن الصب وقال سيبويه المسنون المصور مأخوذ من سننة الوجه وهى صورته وقال الاخفش المسنون المنسوب القائم من قولهم وجه مسنون اذا كان فيه طول والحاصل على هذه الاقوال ان التراب لما بيل صار طيناً فلما أنتن صار حملاً ثم بيل صار صلصا لافصل الصلصال هو الحما المسنون ولهذا وصف بهما وعن ابن عباس قال خلق الانسان من ثلاث من طين لازب وصلصال وحمامسون فالطين اللازب اللازم الجميد والصلصال المدقق الذي يصنع منه الفخار والحما المسنون الطين الذي فيه الحماة وقال أيضا الصلصال الماء يقع على الارض الطيبة ثم يحسر عنها فتشقق ثم تصير مثل الخرف الرفاق وعنه قال الصلصال هو التراب اليابس النوى بيل بعد يبسه وقال أيضا طين خلط برمل

عن المنكر كما قال ولتكن منكم امة يدعون الى الخير الآية وقوله واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه الآية أي اسنروا على ما هم فيه من المعاصي ولم ياتفتوا الى انكارها ولتكن حتى جاءهم العذاب ثم أخبر تعالى انه لم يهلك قرية الا وهى ظالمة نفسها ولم يأت عذابه قرية مصلحة قط كقوله وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم الآية (ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم) وتمت كلمة ربك لا ملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) يخبر تعالى انه قادر على جعل الناس كلهم امة واحدة من ايمان أو كفر وانه لا يزال الخلفة بينهم في أديانهم ومداهبهم وآرائهم قال عكرمة مختلفين في الادي وقال الحسن مختلفين

في الزرق يسخر بعضهم بعضا والصحيح الاول وقوله الامن رحم ربك أي الامر حومين من اتباع الرسل الذين تسكوا بما أمروا به من الذي أخبرتهم به رسل الله اليهم ولم يزل هذا أجهم حتى كان خاتم الرسل فاتبعوه وهم الفرقة الناجية كما جاء في الحديث المروي في المسانيد والسنن من طرق يشد بعضهم بعضا ان اليهود اختلفت على احدى وسبعين فرقة وان النصارى اختلفت على ثنتين وسبعين فرقة وستتفرق هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة كما هي النار الا فرقة واحدة قالوا ومن هم يارسول الله قال ما انا عليه وأصحابي رواه الحاكم في مستدركه بهذه الزيادة (١٨٢) وقال عطاء ولا يزالون مختلفين يعني اليهود والنصارى والمجوس الامن رحم ربك يعني

الحنيفية وقال قتادة أهل رحمة الله الجماعة وان اختلفت ديارهم وأبدانهم وأهل معصيته أهل فرقة وان اجتمعت ديارهم وأبدانهم وقوله ولذلك خلقهم قال ابن ابي طلحة عن ابن عباس خلقهم فرقتين كقوله فيهم شقي وسعيد وقيل للرحمة خلقهم قال ابن وهب أخبرني مسلم بن خالد ابن ابي نجيح عن طاوس ان رجلين اختصما اليه فاكثر افعال طاوس اختلفتا وأكثرهما فقال أحدهما لذلك خلقنا فقال طاوس كذبت فقال أليس الله يقول ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم قال لم يخلقهم اختلفوا ولكن خلقهم للجماعة والرحمة كما قال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال للرحمة خلقهم ولم يخلقهم للعذاب وكذا قال مجاهد والضمك وقتادة كقوله وما خلقت الجن والانس الاية وقيل المراد للرحمة والاختلاف خلقهم كما قال الحسن في رواية عطاء والاعمش وقال ابن وهب سألت مالك عن قوله ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك

وقال أيضا الذي اذا ضربته صلصل وعنه قال الطين تعصر بيديك فيخرج الماء من بين أصابعك وقال جامسنون من طين رطب وقال من طين مننت (والجان) منصوب على الاشتغال وهو أبو الجان عند جمهور المفسرين وقال الحسن وعطاء وقتادة ومقاتل هو ابليس أبو الشياطين وسمى جانالتواريه عن الاعين يقال جن الشيء اذا ستره فالجان يستر نفسه عن أعين بني آدم وهما نوعان يجتمعهما وصف الاستتار عنا وفي الجن مسلمون وكافرون وهم يأكلون ويشربون ويحيون ويموتون كبنى آدم وأما الشياطين فليس منهم مسلمون ولا يموتون الا ذمامات ابليس أبوهم مذكرة الخازن قال ابن عباس الجن مسيخ الجن كالقردة والخنازير مسيخ الانس وقيل كان ابليس من جن الملائكة يسمعون الجان خلقوا من نار السموم وخلق الجن الذين ذكروا في القرآن من مارح من نار وخلق الملائكة من النور (خلقناه من قبل) أي من قبل خلق آدم (من نار السموم) وهي الريح الحارة النافذة في المسام لشدة لظفها وقوة حرارتها يكون بالنهار وقد يكون بالليل كذا قال أبو عبيدة وقال أبو صالح السموم نار لا دخان لها والصواعق تكون منها وهي نار تكون بين السماء وبين الجباب فاذا أحدث الله أمرا أخرقت الجباب فهوت الى ما أمرت به فالهدة التي تسمعون خرق ذلك الجباب فله الخطيب وقيل السموم نار جهنم وقيل هي جزء من سبعين جزءا من السموم التي خلق منها الجان قاله ابن مسعود وفي السمين السموم ما يقتل من افراط الحر من شمس أو ريح أو نار لانها تدخل في المسام وقيل السموم ما كان ليلا والحرور ما كان نهارا وقيل هو من باب اضافة الموصوف لصفته وذ كخلق الجن والانس في هذا الموضع للدلالة على كمال القدرة الالهية وبيان ان القادر على النساء الاولى قادر على النساء الاخرى قال ابن عباس من نار السموم من أخس النار الحارة التي تقبل وعن ابن مسعود قال السموم التي خلق منها الجان جزء من سبعين جزءا من نار جهنم وأخرجه ابن مردويه عنه رفوعا (و) اذ كر (اذ قال ربك للملائكة) بين سبحانه بعد ذلك انه خلق الانسان ما وقع له عند خلقه وقد تقدم تفسير ذلك في البقرة (اني خالق بشرا) مأخوذ من البشرية وهي ظاهر الجلد (من صلصال) قد تقدم تفسيره قريبا مستوفي وكذا تفسير (من جامسنون فاذا سويته) أي سويت خلقه وعدلت صورته الانسانية وخلقته البشرية وأكلت اجزاءه وأتمت خلقه أو سويت اجزاء

قال فريق في الجنة وفريق في السعير وعن مالك فيما روي عنه من التفسير ولذلك خلقهم قال للرحمة وللاختلاف بدنه وقوله وتمت كلمة ربك الاية يخبر تعالى انه قد سبق في قضائه ان من خلقه من يستحق الجنة ومنهم من يستحق النار وانه لا بد ان يلا من هذين النقطتين وله الحكمة البالغة والحكمة التامة وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال اختصمت الجنة والنار فقالت الجنة مالي لا يدخلني الاضعفاء الناس وسقطهم وقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتكبرين فقال الله عز وجل الجنة التي أنت رحمتي ارحم بك من أشاء وقال للنار انت عذابي انتقم بك من أشاء ولكل واحد منهما ما ملأها فالجنة فلا يزال فيها فضل حتى ينشئ الله

لها خلقا واما النار فلا تزال تقول هل من مزيد حتى يضع عليها رب العزة قدمه فتقول قط قط وعزتك (وكلا نقص عليك من انبياء
الرسول ما ثبت به فؤادك وجاء في هذه الحق وموعظة وذكري للمؤمنين) يقول تعالى وكلا نقصها عليك من انبياء الرسل مع أهمهم
وكيف جرى من المحاجات وما احتله الانبياء وكيف نصر الله المؤمنين وخذل الكافرين كل هذا ما ثبت به فؤادك بما يجد أي قلبك
ليكون لك بهم أسوة وقوله وجاء في هذه الحق أي هذه السورة قاله ابن عباس وجماعة وعن قتادة في هذه الدنيا وجاء فيهما قصص
حق وموعظة يرتدع بها الكافرون وذكري ينتفع بها المؤمنون (١٨٣) (وقل للذين لا يؤمنون أعمالوا على مكاتبتكم اننا عاملون

بذنه بتعديل طبائعه (ونفخت فيه من روحي) النفخ اجراء الريح في تجاوب جسم آخر
صالح لا مسا كها والامتلاء بما في قال ان الروح جسم لطيف كالهواء فعناها ظاهر ومن
قال انه جوهر مجرد غير متجزئ ولا حال في تحيز فبعض النفخ عنده تهيؤ البدن لتعلق النفس
الناطقة به ومن زائدة أو تبعيضية قال النيسابوري ولا خلاف في ان الاضافة في روحي
للتشريف والتكريم مثل ناقة الله وبيت الله قال القرطبي والروح جسم لطيف اجري
الله العادة بان يخلق الحياة في البدن مع ذلك الجسم وحقيقته اضافة خلق الى خالق
فالروح خلق من خلقه اضافة الى نفسه تشريفا وتكريما قال ومثله روح منه وقد تقدم
في النساء قال أبو السعود وليس ثمة نفخ ولا منفوخ فيه وانما هو تمثيل لافاضة ما به الحياة
بالفعل على المادة القابلة لها فاذا اذ كملت استعداده وأفضت عليه ما يحيي به من الروح
التي هي من أمري (ففعوا له ساجدين) الفاء تدل على ان سجودهم واجب عليهم
عقب التسوية والنفخ من غير تراخ وهو أمر بالوقوع من وقع يقع أي اسقطوا وخرأ
وفيه دليل على ان الامور به هو السجود الحقيقي أي وضع الجبهة على الارض لا مجرد
الانحناء كما قال السيوطي وهذا السجود هو سجود تحسية وتكريم لا سجود عبادة والله ان
يكرم من يشاء من مخلوقاته كيف يشاء بما يشاء وقيل كان السجود لله تعالى وكان آدم
قبله لهم تشريفا له وهذا وان كان معنى صحيحا لكن يخالفه ظاهر النظم القرآني والاولى
مادل عليه ظاهر اللفظ فالاولى والخطاب للملائكة الذين قال الله لهم اني خالق بشرا
(فسجد الملائكة كلهم أجمعون) عند أمر الله سبحانه لهم بذلك من غير تراخ قال المبرد
قوله كلهم أزال احتمال ان بعض الملائكة لم يسجد فظهر أنهم باسرهاهم سجدوا ثم عند هذا
بقي احتمال وهو أنهم هل سجدوا دفعة واحدة أو سجد كل واحد في وقت فلما قال أجمعون
ظهر أن الكل سجدوا دفعة واحدة وهو واضح لما سبق وقيل قوله أجمعون تو كيد بعد
توكيد رجع هذا الزجاج قال النيسابوري وذلك لان أجمع معرفة فلا يقع حالا ولو صح
ان يكون حالا لكان منتصبا قال الكرخي فيسه تأ كيدان لزيادة تمكين المعنى وتقريره
في الذهن ولا يكون تحصيلا للحاصل لان نسبة أجمعون الى كلهم كنسبة كلهم الى أصل
الجملة أو أجمعون فيمدمعنى الاجتماع وقيل هاتما كيدان لله بالغة وزيادة الاعتناء ثم
استثنى ابليس من الملائكة فقال (الابليس) قيل هذا الاستثناء متصل لكونه كان

سكرات الموت واعطاه من القوة لا يحسد مسلما وهذا من هذا الوجه لا يصح لضعف اسنادها كاية وقد ساقه الحافظ ابن عساکر
متابعاً من طريق القائم بن الحكم عن هرون بن كثير ومن طريق سبابة بن محمد بن عبد الواحد النضري عن علي بن زيد عن جده عن
وعن عطاء بن أبي ميمونة عن زر بن حبیش عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم فذ كرنحوه وهو منكر من سائر طرقه وروى
البيهقي في الدلائل ان طائفة من اليهود حين سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو هذه السورة أسلموا الموافقة ما عندهم وهو من
رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس * (بسم الله الرحمن الرحيم) * (الرتلك آيات الكتاب المبين اننا نزلناه قرآنا عربيا
لعلكم تعقلون نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين) أما الكلام على الحروف

المقطعة فقد تقدم في أول سورة البقرة وقوله تلك آيات الكتاب أي هذه آيات الكتاب وهو القرآن المبين أي الواضح الخلي الذي يفصح عن الأشياء المهمة ويفسر هاويينها أنا أنزلناه قرآننا عريباً بالعربية لعلهم يعقلون وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات وأيديها وأسعها وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس فلها هذا نزل أشرف الكتب بأشرف اللغات على أشرف الرسل بسفارة أشرف الملائكة وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض وأبداء انزاله في أشرف شهور السنة وهو رمضان فأكمل من كل الوجوه ولهذا قال تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص الآية وقد ورد (١٨٤) في سبب نزول هذه الآيات مارواه ابن جرير حدثني نصر بن عبد الرحمن

الأودي حدثنا حكيم الرازي عن أيوب بن عمرو وهو ابن قيس الملائي عن ابن عباس قال قالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قصصت علينا أفترت نحن نقص عليك أحسن القصص ورواه من وجه آخر عن عمرو بن قيس مرسلًا وقال أيضًا حدثنا محمد بن سعد القطان حدثنا عمرو بن محمد أخبرنا خالد الصغار عن عمرو بن قيس عن عمرو بن حمزة عن مصعب بن سعد عن أبيه قال أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن قال فقلاه عليهم زماناً فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فأنزل الله عز وجل الرثلك آيات الكتاب المبين إلى قوله لعلكم تعقلون ثم تلاه عليهم زماناً فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا فأنزل الله عز وجل الآية نزل أحسن الحديث ورواه الحاكم من حديث إسحاق بن زاهر بن عمرو بن محمد القرشي المقرئ وروى ابن جرير بسنده عن المسعودي عن عون بن عبد الله قال مل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملة فقالوا يا رسول الله حدثنا فو الق حديث ودون القرآن يعنون القصص فأنزل الله الرثلك آيات

من جنس الملائكة ولكنه (أي أن يكون مع الساجدين) استبكاراً واستعظاماً لنفسه وحسد الأدم حقت عليه كلمة الله وقيل إن لم يكن من الملائكة ولكنه كان معهم وبينهم تغلب اسم الملائكة عليه وأمر بما رواه فكان الاستثناء بهذا الاعتبار متصلاً زاد أبو السعود ما لانه كان جنياً مفرداً مغسوراً بالوف من الملائكة فعدتهم منهم تغليبا واما لان من الملائكة جنسايتا دون وهو منهم وقيل ان الاستثناء منقطع منفصل بناء على عدم كونه منهم وعدم تعليمهم عليه أي ولكن ابليس أي من السجدة وقد تقدم الكلام في هذا في سورة البقرة وهذه الجملة على الأول استثناء ميبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء لان مطلق عدم السجود قد يكون مع التردد في سببانه انه كان على وجه الإباء والاستبكار (قال ابليس) مستأنفة أيضا وهذا الخطاب له ليس للتشريف والتكريم بل على سبيل الإهانة والاذلال والتقريع والتوبيخ وظاهره يقتضي ان الله تعالى تكلم مع ابليس بغير واسطة لانه قال في الجواب لم أكن لا تسجد لبشر خلقته فقوله خلقته خطاب الحضور لا خطاب العيبه فقول بعض المتكلمين انه تعالى أوصل هذا الخطاب الى ابليس على لسان بعض رسله ضعيف قيل معنى (مالك) أي غرض لك وأي سبب جعلك على (ان لا تكون مع الساجدين) لا دم مع الملائكة وهم في الشرف وعلا المنزلة والقرب من الله بالمنزلة التي قد علمتها وعلى هذا فليست لازمة وائيه مال البيضاوي وقيل زائدة بدليل ما في سورة ص ما منعك ان تسجد (قال لم أكن لا تسجد لبشر خلقته) مستأنفة كالتي قبلها أي لا ينبغي لي ولا يصح مني ولا يليق بحالي فاللام لتأكيد النفي جعل العلة لترك سجوده كون آدم بشرا مخلوقا (من صلصال من جماد مسنون) زعمانه انه مخلوق من عنصر نار وهي أشرف من عنصر آدم عليه السلام وهو الطين المتغير المتين لانها نيرة والطين كثيف مظلم وفيه اشارة اجمالية الى كونه خير امنه وقد شرح بذلك في موضع آخر فقال أنا خير منه خلقته من نار وخلقته من طين وقال في موضع آخر أسجد لمن خلقت طينا ولم يدرك الخبيث ان الفضل فيما فضله الله تعالى قال الكرخي وحاصل كلامه ان كونه بشرا يشعر بكونه جسما كئيفا وهو كان روحانيا لطيفا فكانه يقول البشر الجسماني الكئيف أدون حال من الروحاني اللطيف فكيف يسجد الاعلى للادنى وأيضا آدم مخلوق من صلصال تولد من جماد مسنون وهذا الاصل في غاية

الكتاب المبين الى قوله من الغافلين فارادوا الحديث فدلهم على أحسن الحديث وأرادوا القصص الدناة

فدلهم على أحسن القصص وبما يناسب ذكره عند هذه الآية الكريمة المشتملة على مدح القرآن وأنه كاف عن كل ما سواه من الكتب مارواه الامام أحمد حدثنا بشر بن النعمان أخبرنا هشيم أخبرنا محمد بن جابر بن عبد الله عن عمرو بن الخطاب أي النبي صلى الله عليه وسلم بكاتب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي صلى الله عليه وسلم فغضب وقال امتهوكون فيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضا نقية لانسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبونه أو يباطل فتصدقونه والذي نفسي بيده لو ان موسى كان حيا لما وسعه الا ان يتبعني وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق

حدثنا سفيان عن جابر عن الشعبي عن عبد الله بن ثابت قال جاء عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني مررت
بأخى من قريظة فكتبى جوامع من التوراة ألا عرضها عليك قال فغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن
ثابت فقلت له ألا ترى ما بوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضينا بالله رباً وبالاسلام ديناً ومحمد رسولاً قال فسرى
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال والذي نفس محمد بيده لو أصبح فيكم موسى ثم أتبعوه وتركتوني أضلتم انكم حظى من
الام وأنا حظكم من التبيين وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا (١٨٥) عبد الغفار بن عبد الله بن الزبير حدثنا علي بن مسهر

عن عبد الرحمن بن اسحق عن خلفه
ابن قيس عن خالد بن عرطمة قال
كنت جالساً عند عمر إذ أتى برجل
من عبد القيس سكنه بالسوس
فقال له عمر أنت فلان بن فلان
العبدى قال نعم قال وأنت النازل
بالسوس قال نعم فضر به بقنات معه
قال فقال الرجل ما لي يا أمير المؤمنين
فقال له عمر اجلس فجلس فبلا عليه
بسم الله الرحمن الرحيم الرتل آيات
الكتاب المبين الى قوله لمن الغافلين
فقرأها عليه ثلاثاً وضر به ثلاثاً فقال
له الرجل ما لي يا أمير المؤمنين فقال
أنت الذي نسخت كتاب دانيال قال
مررت بأمرئ أتبعه قال فانطلق
فأحبه بالحيم والوصف الايض ثم
لا تقرأه ولا تقرئه أحد من الناس
فلئن بلغنى عندك أنك قرأته أو
أقرأته أحد من الناس لانهم كنت
عقوبة ثم قال له اجلس فجلس بين
يديه فقال انطلقت أنا فانتسخت
كتاب من أهل الكتاب ثم جئت به في
أديم فقال لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما هذا في يدك يا عمر قال
قلت يا رسول الله كتاب نسخته لتزد
به علماً الى علمنا فغضب رسول الله

الدناءة وأصل ابليس هي النار وهي أشرف العناصر فكان أصل ابليس أشرف من أصل
آدم والأشرف يقبح ان يؤمر بالسجود للادون فهذا مجموع شبه ابليس فاجاب الله
سبحانه عليه بقوله (قال فاخرج منها) أى خفيت عصيت وتكبرت فاخرج منها (فانك
رجيم) والضمير في منها قيل عائد الى الجنة وقيل الى السماء وقيل الى زمرة الملائكة والرجيم
المرجوم بالشهب وقيل معناه ملعون أى مطرود لان من يطرد رجماً بالحجارة وفي القاموس
الرجم اللعن والشتم والطرود والهجران وفي المصباح الرجيم بقحمين الحجارة والرجم القبر
هى بذلك لما يجتمع عليه من الاجحار ورجمته رجاسان باب قتل ضربته بالرجم (وان عليك
اللعنة) أى الطرد والابعاد من رحمة الله سبحانه مستقراً عليك لازم لك (الى يوم الدين)
وهو يوم القيامة والخزاء وقيل هو ملعون فى السموات والارض وجعل يوم الدين غاية للجنة
لا يمتلئ انقطاعها في ذلك الوقت لان المراد وماها من غير انقطاع وذلك يوم الدين
للمالعة كما في قوله تعالى مادامت السموات والارض أو ان المراد انه في يوم الدين وما بعده
يعذب بما هو أشد من اللعن من أنواع العذاب بما ينسى اللعن معه فكانه لا يجده ما كان
يجده قبل ان يمسه العذاب (قال رب فانظرنى) أى أخرى وأمهلى ولا تمنى (الى يوم
يعثون) أى آدم وذريته طلب ان يبق حيا الى هذا اليوم لانه لما سمع ذلك علم ان الله قد
أخر عذابه الى الدار الآخرة وكأنه طلب ان لا يموت أبداً لانه اذا أخر موته الى ذلك اليوم
وأمهلى الى يوم البعث الذى هو وقت النفخة الثانية لا يموت بعد ذلك لانقطاع الموت من
حين النفخة الاولى فهو يوم لاموت فيه وفي البضاوى أراد بهذا السؤال ان يجد فسحة
في الاغواء ونجاة عند الموت اذ لاموت بعد وقت البعث فاجابه الى الاول دون الثاني وقيل
انه لم يطلب ان لا يموت بل طلب ان يؤخر عذابه الى يوم القيامة ولا يعذب فى الدنيا (قال
فانك من المنظرين) لمسأل الانتظار اجابه الله سبحانه الى ما طلبه وأخبره بان من جملة
المنظرين من أخر آجالهم من مخلوقاته أو من جملة من أخر عقوبتهم بما اترفوا ولم يكن
اجابة الله اياه فى الامهال اكراماً له بل زيادة فى بلائه وشقائه وعذابه ثم بين سبحانه الغاية
التي أمهله اليها فقال (الى يوم الوقت المعلوم) الذى عينت وهو يوم القيامة فان يوم الدين
ويوم يعثون ويوم الوقت المعلوم كلها عبارات عن القيامة وسمى معلوماً لان ذلك لا يعلمه
الا الله سبحانه وتعالى فهو معلوم عنده وقيل ان جميع الخلائق موت فيه فهو معلوم بهذا

(٢٤ فتح البيان خامس)
صلى الله عليه وسلم حتى اجرت وحناءه ثم نودى بالصلاة جامعة فقالت الانصار اغضب نبيكم
صلى الله عليه وسلم السلاح السلاح بخاوا حتى أحدقوا بغير رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس انى قدأوتيت جوامع
الكلم وخواتيمه واختصر لي اختصاراً ولقد أتيتكم بها بيضاء نقية فلا تهموا ولا تهموا ولا تهموا ولا تهموا
رضيت بالله رباً وبالاسلام ديناً وبك رسولاً ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدره ان أبى حاتم في تفسيره مختصر من
حديث عبد الرحمن بن اسحق هو أبو شيبه الواسطي وعبد الرحمن بن اسحق ضعفه وشيخه قال البخارى لا يصح حديثه قلت وقد

رؤى له شاهد من وجه آخر فقال الحافظ أبو بكر أحمد بن إبراهيم الهماعلي أخبرني الحسن بن سفيان حدثنا يعقوب بن سفيان حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن العلاء الزبيدي حدثني عمرو بن الحرث حدثنا عبد الله بن سالم الأشعري عن الزبيدي حدثنا سليمان بن عامر أن جبير بن نفير حدثهم أن رجلا كان يجمعهم في خلافة عمر رضي الله عنه فأرسل اليه ما فبين أرسل من أهل حص وكانا قد اكتبنا من اليهود صلاصة (٣) فأخذاهما معهما يستفتيان فيها عمر يقولون ان رضينا لأمر المؤمنين زدنا فيها رغبة وان نهانا عنها رفضناها فلما قدم عليه قالوا يا بارض (١٨٦) أهل كتاب واننا نسع منهم كلاما تشعرت منه جلودنا فأخذ منه أو ترك

فقال اهلكا كتبنا منه شيئا فقال لا قال سأحدثكما انطلقت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم حتى أتيت خيبر فوجدت يهوديا يقول قولاً أعجبنى فقلت هل أنت مكتبي مما تقول قال نعم فأتيت ياديم فأخذ علي حتى كتبت في الاكراع فلما رجعت قلت يا نبي الله وأخبرته قال أنتى به فانطلقت أرغب عن المشى رجاء أن أكون جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ما يحب فلما أتيت به قال اجلس اقرأ على فقرأت ساعة ثم نظرت الى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو يتلون فحيرت من الفرق فما استطعت ان أجيز منه حرفا فلما رأى الذي بي رفعه ثم جعل يتبعه رسما رسما يحوه بريقه وهو يقول لا تتبعوا هؤلاء فانهم قد تموا وكوا وتموا حتى محى آخره حرفا فقال عمر رضي الله عنه فلو علمت انكما كتبنا منه شيئا جعلتكما نكالا لهذه الامة قالوا والله ما نكتب منه شيئا أبدا فخرجا بصلاصة ثم اخفرا الها فلم يألوا ان يعمقا وقدناها فكان آخر العهد منها وهكذا روى الثوري عن جابر

الاعتبار وقيل المراد بالوقت المعلوم هو الوقت القريب من البعث فعند ذلك يموت وقال ابن عباس هو النسخة الاولى يموت فيها ابليس وبين النسختين أربعون سنة وهي مدة موته (قال رب بما أغويتني) الباء للقسم وما مصدرية أى أقسم يا غوثك اياي واختار البضاوى فى الاعراف كونها السببية ونقل كونها للقسم بصيغة التمرىض لانه وقع فى مكان آخر قال فيعزتك والقصة واحدة الا ان أحدهما اقسام بصفة ذاته والثاني اقسام بفعله والفقهاء قالوا الاقسام بصفات الذات صحيح واختلفوا فى القسم بصفات الافعال ومنهم من فرق بينهما وان جعل الاغواء مقسما به غير متعارف قاله الكرخى قلت واقسامه هنا باغواء الله لا يتأفى اقسامه فى موضع آخر بعزة الله التى هى سلطانه وقهره لان الاغواء له هو من جملة ما يصدق عليه العزة وقال أهل العراق الحلف بصفة الذات كالقدرة والعظمة والعزيمية والحلف بصفة الفعل كالرحمة والسخط ليس يمين قيسل والاصح ان الايمان مبنية على العرف فانعارف الناس الحلف به يكون يمينا وما لا فلا وجواب القسم (لا زين لهم) اى لذرية آدم وان لم يجز لهم ذلك لعلهم (فى الارض) اى ماداموا فى الدنيا والترزين منه ما يتحسبن المعادى لهم ويقاعهم فيها أو يشغلهم بزينه الدنيا وحبها عن فعل ما أمرهم الله به فلا يلتفتون الى غيرها (ولا غوئهم أجمعين) اى لا ضللتهم عن طريق الهدى وأوقعهم فى طريق الغواية وأجلهم عليها بالقاء الوسوسة فى قلوبهم وذلك ان ابليس لما علم انه يموت على الكفر غير مغفوره حرص على اضلال الخلق بالكفر واغوائهم وفى الآية حجة على المعتزلة فى خلق الافعال وجملة على التسبب عدول عن الظاهر (الاعبادك منهم المخلصين) اى الذين استخلصتهم من العباد أو الذين أخلصوا لك العبادة والطاعة فلم يقصدوا به غيرك وانما استثناهم لانه علم ان كيدهم ووسوسته لا تعمل فيهم ولا يقبلون منه وحقبة الاخلاص فعل الشئ خالصا لله عن شائبة الغير (قال) الله تعالى (هذان صراط على مستقيم) لا عوج فيه والمعنى حق على ان أراعيه وأحظه وهو أن لا يكون لك على عبادى سلطان قال كلام على التشبيه عند أهل السنة كما فى قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين اذ لا تجب رعاية الاصل عندنا وقيل قال الكسائى هذا على الوعيد والتهديد كقولك لمن تهده طريقا على ومصيرك الى وكقولنا ان ربك لبالمرصاد فكان معنى هذا الكلام هذا طريق مرجعه الى فاجزى كلابعه له وقيل على هنا بمعنى الى وقيل المعنى على ان أدل

ابن زيد الجعفي عن الشعبي عن عبد الله بن ثابت الانصارى عن عمر بن الخطاب بنحوه وروى أبو داود فى المراسيل من على حديث اى قلابه عن عمر بنحوه والله أعلم (اذ قال يوسف لبيه يا ابت انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين) يقول تعالى اذ كركومك يا محمد فى قصصك عليهم من قصة يوسف اذ قال لبيه وأبوه يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام كما قال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم انقرد باخراجه البخارى فرواه عن عبد الله بن محمد (٣) قوله صلاصة هكذا فى الاصل وحررها اه

عن عبد الصمد به وقال البخاري أيضا حدثنا محمد بن أبي عبد الله عن عبد الله عن سعد بن أبي سعيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس أكرم قال أكرمهم عند الله أتقاهم قالوا ليس عن هذا نسألك قال فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله خليل الله قالوا ليس عن هذا نسألك قال فعن معادن العرب تسألوني قالوا نعم قال خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا ثم قال تابعه أسامة عن عبد الله قال ابن عباس رؤيا الانبياء وحى وقد تكلم المفسرون على تعبير هذا المنام الا احد عشر كوكبا عبارة عن اخوته وكانوا أحد عشر (١٨٧) رجلا والشمس والقمر عبارة عن أمه وأبيه

روى هذا عن ابن عباس والضحاك

وقمادة وسفيان الثوري وعبد

الرحمن بن زيد بن أسلم وقد وقع

تفسيرها بعد أربعين سنة وقيل

ثمانين سنة وذلك حين رفع أبويه

على العرش وهو سريره واخوته

بين يديه وخزوه المسجد او قال يآبت

هذا أقاويل رؤياي من قبل قد

جعلها ربي حقا وقد جاء في حديث

تسمية الاحد عشر كوكبا وقال

الامام جعفر بن جرير حدثني علي بن

سعيد الكندي حدثنا الحكم بن

ظهير عن السدي عن عبد الرحمن

ابن سابط قال أتى النبي صلى الله

عليه وسلم رجل من يهودي يقال له

بستانة اليهودي فقال يا محمد أخبرني

عن الكواكب التي رآها يوسف

انها ساجدة له ما سماها قال

فسكت النبي صلى الله عليه وسلم

ساعة فلم يجبه بشيء ونزل جبريل

عليه السلام فأخبره باسمائها قال

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم

اليه فقال أنت تؤمن اذا خبرتك

باسمائها قال نعم قال جريان والطارق

والذئب وذو الكتفين وقابس

ووثاب وعمودان والقلبيق

والمصبح والضروح والفرغ فقال اليهودي اي والله انها الاسماؤها ورواه البيهقي في الدلائل من حديث سعد بن منصور عن

الحكم بن ظهير وقد روى هذا الحديث الحافظان أبو يعلى الموصلي وأبو بكر البرزقي مسنديهما وابن أبي حاتم في تفسيره أما

أبو يعلى فرواه عن أربعة من شيوخه عن الحكم بن ظهير به وزاد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رآها يوسف قصها على أبيه

يعقوب فقال له أبوه هذا أمر متشئت بجمعها الله من بعد قال والشمس أبوه والقمر أمه تفرد به الحكم بن ظهير الفزاري وقد ضعفه

الإمام تركه الا كثرون وقال الجرجاني ساقط وهو صاحب حديث حسن يوسف ثم ذكر الحديث المروي عن جابر انهم يودياسأل

على الصراط المستقيم بالبيان والحجة وقيل بالتوفيق والهداية وقيل بأند إلى الاخلاص
أى ان الاخلاص طريق على والى يؤدى الى كرامتى ورضوانى قال أبو السعود والظاهر
ان ذلك رد لما وقع في عبارة ابليس حيث قال لا قعدن لهم صراطك المستقيم ثم لا تبينهم
من بين أيديهم ومن خلفهم الآية وقرئ على على انه صفة مشبهة ومعناه رفيع (ان عبادى
ليس لك عليهم سلطان) المراد بالعباد هنا هم المخلصون والمراد انه لا تسلط أنت عليهم
بايقاعهم في ذنب يهلكون به ولا يتوبون منه فلا يثاقى هذا ما وقع من آدم وحواء وشحوهما
فانه ذنب مغفور لو وقع التوبة عنه قال أهل المعاني معنى عليهم على قلوبهم وقال سفيان
ابن عيينة معناه ليس لك عليهم قوة وقدرة على ان تلقهم في ذنب يضيق عنه عقوى وهو لاء
خاصته أى الذين هداهم واجتباهم من عباده (الامن اتبعك) استثنى سبحانه من
عباده هؤلاء وهم المتبعون لابليس (من الغاوين) عن طريق الحق الواقعين في الضلال
وهو موافق لما قاله ابليس اللعين من قوله لا تخونهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين ويمكن
أن يقال بين الكلامين فرق فكلام الله سبحانه فيه نفي سلطان ابليس على جميع عباده
الامن اتبعه من الغاوين فيدخل في ذلك المخلصون وغيرهم ممن لم يتبع ابليس وكلام
ابليس اللعين يتضمن اغواء الجميع الا المخلصين فدخل فيهم ممن لم يكن مخلصا ولا تابعا
لابليس غاويا والحاصل ان بين المخلصين والغاوين التابعين لابليس طائفة لم تكن مخلصا
ولا غاوية تابعة لابليس وقد قيل ان الغاوين المتبعين لابليس هم المشركون ويدل على
ذلك قوله تعالى انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون قال أبو السعود وفيه
مع كونه تحقيقا لما قاله اللعين تفخيم لشأن المخلصين وبيان لمنزلتهم ولا تقطاع محالب
الاعواء عنهم وان اغواءه للغاوين ليس بطريق السلطان بل بطريق اتباعهم له بسوء
اختيارهم ثم قال الله تعالى متوعد الاتباع ابليس (وان جهنم لموعدهم) أى موعده المتبعين
الغاوين (أجمعين) تأكيد للضمير وأحوال (لها سبعة أبواب) يدخل أهل النار منها وانما
كانت سبعة لكثرة أهلها (لكل باب منهم) أى من الاتباع الغواة (جزء مقسوم) أى نصيب
وقدر معلوم متميز عن غيره والجزء بعض الشيء وجزأه جعلته أجزاء والمراد هنا بالجزء الحزب
والطائفة والفريق وقيل المراد بالابواب الاطباق طبق فوق طبق قال ابن جرير النار
سبع دركات وهى جهنم ثم لظى ثم الخطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية فأعلاها

والمصبح والضروح والفرغ فقال اليهودي اي والله انها الاسماؤها ورواه البيهقي في الدلائل من حديث سعد بن منصور عن

الحكم بن ظهير وقد روى هذا الحديث الحافظان أبو يعلى الموصلي وأبو بكر البرزقي مسنديهما وابن أبي حاتم في تفسيره أما

أبو يعلى فرواه عن أربعة من شيوخه عن الحكم بن ظهير به وزاد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رآها يوسف قصها على أبيه

يعقوب فقال له أبوه هذا أمر متشئت بجمعها الله من بعد قال والشمس أبوه والقمر أمه تفرد به الحكم بن ظهير الفزاري وقد ضعفه

الإمام تركه الا كثرون وقال الجرجاني ساقط وهو صاحب حديث حسن يوسف ثم ذكر الحديث المروي عن جابر انهم يودياسأل

النبى صلى الله عليه وسلم عن الكواكب التي رآها يوسف ما سماؤها وانه أجابه ثم قال تفرد به الحكيم بن ظهير وقد ضعفه الأربعة
 (قال يابني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدان الشيطان للانسان عدوميين) يقول تعالى مخبراً عن قول يعقوب
 لابنه يوسف حين قص عليه ما رأى من هذه الرؤيا التي تعبیرها خضوع اخوته له وتعظيمهم إياه تعظيماً زائداً بحيث يحترقون له ساجدين
 اذ لاواؤا كراماً واحتراماً حتى يعقوب عليه السلام أن يحدث بهذا المنام أحداً من اخوته فيمسدونه على ذلك فيبغون له الغوائل
 حسداً منهم له ولهذا قال له لا تقصص (١٨٨) رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيداً أي يحتملوا لك حيلة يردونك فيها ولهذا

ثبتت السنة عن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم قال اذا رأى
 أحدكم ما يحب فليحدث به واذا
 رأى ما يكره فليتحول الى جنبه
 الآخر واستقبل عن يساره ثلاثاً
 وليستعد بالله من شرها ولا يحدث
 بها أحد فانهم ان تضره وفي الحديث
 الآخر الذي رواه الامام أحمد
 وبعض أهل السنن من رواية
 معاوية بن جندب القشيري انه قال
 قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر
 فاذا عبرت وقعت ومن هذا يؤخذ
 الامر بكتمان النعمة حتى توجد
 وتظهر كما ورد في حديث استعينوا
 على قضاء الحوائج بكتمانها فان كل
 ذى نعمة محسود (وكذلك يجتنبك
 ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث
 ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب
 كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم
 واسحق ان ربك عليم حكيم) يقول
 تعالى مخبراً عن قول يعقوب لولده
 يوسف انه كما اختارك ربك وأراك
 هذه الكواكب مع الشمس
 والقمر ساجدة لك كذلك يجتنبك
 ربك أي يختارك ويصطفيك
 لنسبته ويعلمك من تأويل

العصاة الموحدين والثانية لليهود والثالثة للنصارى والرابعة للصابئين والخامسة للمجوس
 والسادسة للمشركين والسابعة للمنافقين فجهنم أعلى الطبقات ثم ما بعدها تحتها ثم كذلك
 كذا قيل والمعنى ان الله تعالى يجزي اتباع ابليس سبعة أجزاء فيدخل كل جزء وقسم دركة
 من النار والسبب فيه ان مراتب الكفر والمعاصي مختلفة فلذلك اختلفت مراتبهم
 في النار قال الخطيب تخصيص هذا العدد لان أهلها سبع فرق وقيل جعلت سبعة على
 وفق الاعضاء السبعة من العين والاذن واللسان والبطن والفرج والسيد والرجل لانها
 مصادر السيئات فكانت مواردها الابواب السبعة ولما كانت هي بعينها مصادر الحسنات
 بشرط النية والنية من أعمال القلب زادت الاعضاء واحداً جعلت أبواب الجنان ثمانية
 انتهى أقول الحكمة في تخصيص هذا العدد لا تنحصر فيما ذكر بل الأولى تقوي بعضها الى
 جاعلها وهو الله سبحانه الأأن يرد به خبر صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيجب
 المصير اليه وعن علي رضي الله عنه قال اطباق جهنم سبعة بعضها فوق بعض فيملا الأول
 ثم الثاني ثم الثالث حتى تملأ كلها وأخرج البخاري في تاريخه والترمذي واستغربه عن
 ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لجهنم سبعة أبواب باب منها من سل
 السيف على أمي وأخرج ابن مردويه والخطيب في تاريخه عن أنس قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم في الآية جزء أشهر كوابل الله وجزء شكوا في الله وجزء غنلوا عن الله
 وقد وردت في صفة النار وهو الهاأ حاديث وآثار كثيرة ليس ههنا موضع استقرارها (ان
 المتقين) أي الذين اتقوا الشرك بالله سبحانه كما قاله جمهور الصحابة والتابعين وهو الصحيح
 وقيل هم الذين اتقوا جميع المعاصي وبه قال الجبائي وجمهور المعتزلة والاولى وأجمعت
 الأمة على ان التقوى عن الكفر شرط في حصول الحكم بدخول الجنة وليس من شرط
 صدق الوصف بكونه متقياً أن يكون آتياً بجميع أنواع التقوى لان الآتى بفرد واحد
 من افراد التقوى يكون آتياً بالتقوى كما ان الضارب هو الآتى بالضرب ولو مرة واحدة
 والقاتل هو الآتى بالقتل ولو مرة واحدة وكل فرد من أفراد الماهية يجب أن يكون مشتملاً
 على تلك الماهية وبهذا التحقيق استدلو على ان الامر لا يفيد التكرار (في جنات) هي
 البساتين (وعيون) هي الانهار الجارية أي مستغرقة فيهما والتركيب يحتمل أن يكون
 لجميع جنات وعيون أولئك واحداً منهم جنات وعيون أي عدة منها كما قوله تعالى وان

الاحاديث قال مجاهد وغير واحد يعنى تعبیر الرؤيا ويتم نعمته عليك أي بارسالك والايحاء اليك ولهذا قال كما أتمها على
 أبويك من قبل ابراهيم وهو الخليل واسحق وولده وهو الذبيح في قوله وليس بالرجح ان ربك عليم حكيم أي هو أعلم حيث يجعل رسالته
 كما في الآية الأخرى (لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى آيينا منا ونحن عصبة ان أبانا نبي
 ضلال ميين اقلوا يوسف وأطرحوه أرضاً يحل لكم وجهه أي بيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف
 وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين) يقول تعالى لقد كان في قصة يوسف وخبره مع اخوته آيات للسائلين

أى عبارة ومواعظ للسائلين عن ذلك المستخبرين عنه فانه خبر عجيب يستحق ان يستخبر عنه اذ قالوا ليوסף وأخوه أحب الى أبنائنا
أى خلقوا فإيما يظنون والله ليوסף وأخوه يعنون بنيامين وكان شقيقه لامة أحب الى أبنائنا ونحن عصبة أى جماعة فكيف
أحب ذيك الاثنين أكثر من الجماعة ان أبانا نفي ضلال ميين يعنون في تقديمها علينا ومحبة ايعما أكثر منا واعلم انه لم يقم دليل
على نبوة أخوة يوسف وظاهر هذا السياق يدل على خلاف ذلك ومن الناس من يزعم انهم أوحى اليهم بعد ذلك وفي هذا نظر ويحتاج
مدعى ذلك الى دليل ولم يذكروا سوى قوله تعالى قولوا آمننا بالله (١٨٩) وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق

ويعقوب والاسباط وهذا فيه
احتمال لان بطون بني اسرائيل
يقال لهم الاسباط كما يقال للعرب
قبائل وللجم شعوب يذكر تعالى انه
أوحى الى الانبياء من أسباط بني
اسرائيل فذكرهم اجالا لانهم
كثيرون وان كان كل سبط من نسل
رجل من أخوة يوسف ولم يقم دليل
على أعيان هؤلاء انهم أوحى اليهم
والله أعلم اقبلوا يوسف وأطرحوه
أرضيا يخيل لكم وجهه أيبكم يقولون
هذا الذي يزاحكم في محبة أيبكم لكم
اعدموه من وجهه أيبكم ليخيل لكم
وحدكم اما بان تقتلوه أو تلقوه في
أرض من الاراضي تستر بوجوهه
وتختلوا أنتم بيبكم وتكونوا من
بعد اعدائه قوم صالحين
فاضهروا التوبة قبل الذنب قال
قائل منهم قال قتادة ومحمد بن اسحق
كأ أكبرهم واسمه رويل وقال
السدي الذي قال ذلك هو ذا وقال
مجاهد هو شعون لا تقتلوا يوسف
أى لا تضلوا في عداوته وبغضته الى
قتله ولم يكن لهم سبيل الى قتله لان
الله تعالى كان يريد منه أمر الابد من
امضائه وانما منه من الايجاء اليه
بالتبوة ومن التمكين له ببلاد مصر

خاف مقامه به جنان أولسكل واحد منهم جنة وعين تجرى في قصوره ودوره فينتفع بها هو
ومن يختص به من حوره وولده انه قال الرازي يحتمل أن يكون منها ما ذكره الله تعالى في
قوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن الآية ويحتمل أن يكون المراد
من هذه العيون منابع مغايرة لتلك الانهار (ادخلوها) أى قبل لهم ادخلوها وقرئ على انه
فعل مبني للمفعول أى أدخلهم الله اياها وقد قيل انهم اذا كانوا في جنات وعميون فكيف
يقال لهم بعد ذلك ادخلوها على قراءة الجمهور فان الامر لهم بالدخول يشعر بانهم لم يكونوا
فيها وأجيب بان المعنى انهم لماء اروافى الجنات فاذا اتقوا من بعضها الى بعض يقال لهم
عند الوصول الى التي أرادوا الانتقال اليها ادخلوها والقائل هو الله تعالى أو بعض
ملائكته (بسلام آمنين) أى بسلامة من جميع الآفات وأمن من المخافات أو من
زوال هذا النعيم أو مسلمين على بعضهم بعضاً ومسلماء عليهم من الملائكة أو من الله عز وجل
وقال الضحاك آمنوا الموت فلا يموتون ولا يكبرون ولا يستقمون ولا يعرون ولا يجوعون
(وزعنا ما في صدورهم من غل) هو الحقد والعداوة والشحناء والبغضاء والحسد وكل
ذلك مذموم داخل في الغل لانها كاسنة في القلب وقد مر تفسيره في الاعراف وعن الحسن
البصرى عن علي فينا والله أهل الجنة نزلت وعنه قال نزلت في ثلاثة أحماء من العرب
في بني هاشم وبني تميم وبني عدى وفي أبي بكر وعمر وعنه قال اني لارجو أن أكون أنا
وعثمان والزبير وطحمة فيمن قال الله وزعنا ما في صدورهم من غل وعن ابن عباس قال
نزلت في عشرة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطحمة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن
عوف وابن مسعود وفي الباب روايات (اخوانا) حال مقدرة قاله أبو البقاء يعني من
فاعل ادخلوها ولا حاجة اليه بل هي حال مقارنة من ضمير صدورهم والمعنى حال كونهم
اخوة في الدين بالتعاطف والمحبة والمودة والمخالطة وليس المراد منه اخوة النسب يروى
ان المؤمنين يحبسون على باب الجنة فيقتص بعضهم من بعض ثم يؤمر بهم الى الجنة وقد
نقبت قلوبهم من الغل والغش والحقد والحسد وصاروا اخوانا حال كونهم (على سرر)
من ذهب مكله بالزبرجد والدر والياقوت قال أبو البقاء يجوز أن يتعلق بنفس اخوانا
لانه بمعنى متصافين أى متصافين على سرر وفيه نظير من حيث تأويل جامد مشتق بعيد
منه والسر جمع سرير وهو مثل ما بين صنعاء الى الجابية وقيل هو المجلس العالي الرفيع

والحكمهم افسر فهم الله عنه بمقالة تروى يليل فيه وأشارته عليهم بان يلقوه في غياية الحب وهو أسفله قال قتادة وهي بيت المقدس
يلتقطه بعض السيارة أى المارة من المسافرين فيقتسرتيحوامنه بهذا ولا حاجة الى قتله ان كنتم فاعلمن أى ان كنتم عازمين على ما تقولون
قال محمد بن اسحق بن يسار لقد اجتمعوا على أمر عظيم من قطيعه الرحمة وعقوق الوالد وقلة الرأفة بالصغير الضرع الذي لا ذنب له
وبالكبير القاني ذى الحق والحرمة والفضل وخطره عند الله مع حق الوالد على ولده ليفرقوا بينه على كبر سنه ورقة عظيمة مع
مكانه من الله فيمن أحبه طقلا لصغيرا وبين ابنة على ضعف قوته وصغر سنه وحاجته الى لطف والده وسكونه اليه يغفر الله لهم وعشو

أرحم الراحمين فقد احتملوا أمر عظيم ارواه ابن أبي حاتم من طريق سلمة بن الفضل عنه (قالوا يا أبا مالك لا تأمننا على يوسف وانا له لناصون أرسله معنا غدائر تع ويلعب وانا له لحافظون) لما توارطوا على أخذه وطرحه في البئر كما أشار به عليهم أخوهم الكبير روييل جاؤا أباهم يعقوب عليه السلام فقالوا يا أبا مالك لا تأمننا على يوسف الآية وهذه التوطئة توطئة وسلف ودعوى وهم يريدون خلاف ذلك لما له في قلوبهم من الحسد لخب آية له أرسله معنا اي ابغضه معنا غدائر تع ولعب قرأ بعضهم بالياء ير تع ويلعب قال ابن عباس يسعي وينشط وكذا قال قتادة والسدى (١٩٠) وغيرهم وانا له لحافظون يقولون ونحن نحفظه ونحطه من اجلنا

المهيا للسرور ومنه قولهم سر الوادي لافضل موضع منه (متقابلين) اي ينظر بعضهم الى وجه بعض قال مجاهد لا يرى بعضهم قفا بعض وعن ابن عباس نحوه فاذا اجتمعوا وتلاقوا ثم أرادوا الانصراف يدور سرير كل واحد منهم به بحيث يصيرا كبه مقابلا بوجهه لمن كان عنده وقفاه الى الجهة التي يسيرها السير وهذا بلغ في الانس والاكرام وأخرج الطبراني والبعقوي وابن أبي حاتم وغيرهم عن زيد بن أبي أوفى قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتلاه هذه الآية قال المتحابون في الله في الجنة ينظر بعضهم الى بعض (لا يمسهم فيها) اي في الجنة مستأنفة أو حالية (نصب) اي تعب واعياء لعدم وجود ما يتسبب عنه ذلك في الجنة لانها نعيم خالص ولذة مخصصة تحصل لهم بسهولة وتوافيقهم مطالبهم بلا كسب ولا جهد بل بمجرد خطور شهوة الشيء بقلوبهم يحصل ذلك الشيء عندهم صفوا عنوا قال السدى النصب المشقة والاذى (وما هم منها) اي من الجنة (بمخرجين) أبدا وهذا نص من الله الكريم في كتابه العزيز على خلود أهل الجنة في الجنة والمراد منه خلود بلا زوال وبقاء بلا فناء وكما بلا نقصان وفوز بلا حرمان وفي هذا الخلود الدائم وعلمهم به تمام اللذة وكمال النعيم فان علم من هو في نعمة ولذة بانقطاعها وعدمها بعد حين موجب لتنعص نعيمه وتكدر لذته ثم قال سبحانه بعد أن قص علينا ما للمؤمنين عندهم من الجزاء العظيم والاجر الجزيل (نبي عمادى أتى) بفتح الياء فيها وسكونها فهم ما سبعة عتبان أي أخبريا محمد كل من كان معترفا بعبوديتي وهذا كما يدخل فيه المؤمن المطيع كذلك يدخل فيه المؤمن العاصي (أنا الغنور الرحيم) اي أنا الكثير المغفرة لذنوبهم الكثیر الرحمة لهم كما حكمت به على نفسي ان رحمتي سبقت غضبي اللهم اجعلنا من عبادك الذين تنصت عليهم بالمغفرة وأدخلتهم تحت واسع الرحمة أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن مصعب بن ثابت قال مر النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ناس من أصحابه يضحكون فقال اذكروا الجنة واذكروا النار فنزلت هذه الآية وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الله خلق الرحمة يوم خلقها ما بقرة رحمة فامسك عنده تسعة وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر كل الذي عند الله من رحمة لم يياس من الرحمة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار ثم ان الله سبحانه لما أمر رسوله ان يخبر عباده بهذه البشارة العظيمة أمره

(قال اني ليحزني أن تذهبوا به وأخاف ان يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون قالوا ان يأكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون) يقول تعالى مخبرا عن نبيه يعقوب انه قال ابنيه في جواب ما سألوهم ان ارسل يوسف معهم الى الرعي في الصحراء اني ليحزني ان تذهبوا به اي يشق على مفارقتهم مدة ذهابكم به الى ان يرجع وذلك لفرط محبته له لما يتوسم فيه من الخير العظيم وشمائل النبوة والكمال في الخلق واتحاق صلوات الله وسلامه عليه وقوله واخاف ان يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون يقول وأخشى ان تشتغلوا عنه بربكم وورعكم فيما به ذئب فيا كاه وأنتم لا تشعرون فأخذوا من فيه هذه الكلمة وجعلوها عذرهم فيما فعلوه وقالوا محبين عنها في الساعة الراهنة لئن أكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون يقولون لئن عدا عليه الذئب فأكله من يمتنا ونحن جماعة انا اذا هالكون عاجزون (فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب وأوحينا اليه لتنبئهم

بأمرهم هذا هم لا يشعرون) يقول تعالى فلما ذهب به اخوته من عند أبيه بعد ما اجعتهم له في ذلك وأجمعوا بان يجعلوه في غيابة الجب هذا فيه تعظيم لما فعلوه انهم اتفقوا كلهم على القائه في أسفل ذلك الجب وقد أخذوه من عند أبيه فيما يظهر وانه اكرامه وبسطا وشرحا لصدوره وادخلا للسرور عليه فقال ان يعقوب عليه السلام لما بعثه معهم ضمه اليه وقبله ودعاه له قال غيره انه لم يكن بين اكرامهم له وبين اظهار الازى له الا ان عابوا عن عين أبيه وتواروا عنه ثم شرعوا يؤذونه بالقول من شتم ونحوه والفعل من ضرب ونحوه ثم جاؤا به الى ذلك الجب الذي اتفقوا على رميه فيه فربطوه بحبل ودلوه فيه فكان اذا حلأ الى واحد منهم

لطمه وشتمه واذا تشبث بحافة البئر ضربوا على يديه ثم قطعوا به الحبل من نصف المسافة فغمره فضعه الى صحرة تكون في وسطه يقال لها الراغوفة فقام فوقها وقوله وأوحينا اليه لتنبئهم بأمرهم هذا الآية يقول تعالى ذاكر الطغاة ورجعتهم وعاندته وانزاله اليسر في حال العسر انه أوحى الى يوسف في تلك الحال الضيق تطيبها لقلبه وتثبيتا له انك لا تحزن مما أنت فيه فان لك من ذلك فرجا ونجرا حسنا وانه سينصر لك الله عليهم ويعليق ويرفع درجاتك وستخبرهم بما فعلوا معك من هذا الصنيع وقوله وهم لا يشعرون قال قتادة وهم لا يشعرون يا حياء الله اليه وقال ابن عباس ستنبئهم بصنيعهم هذا في حقه (١٩١) وهم لا يعرفونك ولا يستشعرون بك كما قال

ابن جرير حدثنا الحرث حدثنا عبد العزيز حدثنا صدقة بن عبادة الاسدي عن أبيه سمعت ابن عباس يقول لما دخل اخوة يوسف عليه فعرفهم وهم لم يسكروا قال يحيى بالصواع فوضع على يده ثم نقره فطن فقال انه يخبرني هذا الجلام انه كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف يدينه دونكم وانكم انطلقتم به فالتمتموه في غيابة الحب ثم فقره فطن قال فأتيتم أباكم فقلتم ان الذئب أكله وجئتم على قيصة بدم كذب قال فقال بعضهم لبعض ان هذا الجلام يخبره بخبركم قال ابن عباس رضي الله عنهم ما فلا تروى هذه الآية نزلت الا فيهم لتنبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون (وجاؤا آباهم عشاءا يكون قالوا يا اباانا ذهبنا نستبق وتركا يوسف عند منا عانفا كذا الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وجاؤا على قيصة بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أم أمرأصبر جميل والله المستعان على ما تصفون) يقول تعالى مخبر عن الذي اعقده اخوة يوسف بعدما ألقوه في غيابة الحب انهم رجعوا الى أبيهم في ظلمة الليل

بان يذكر لهم شيئا مما يتضمن التخويف والتحذير حتى يجتمع الرجاء والخوف ويتقابل التبشير والتحذير ليكونوا راجين خائفين فقال (وان عذابى هو العذاب الاليم) اى الكثير الاليلام وعند أن جمع الله لعباده بين هدين الامر من التبشير والتحذير صاروا في حالة وسطا بين اليأس والرجاء وخبر الامور واسطها وهى القيام على قدمى الرجاء والخوف وبين حالى الانس والهيبه قيل لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع عن حرام ولو يعلم قدر عذابه لما أقدم على ذنب وفي هذه الآية لطائف منها انه أضاف العباد الى نفسه بقوله نبي عبادى وهذا تشريف لهم وتعظيم كما أضاف في قوله أسرى بعبد له ليلالوم ليزد عليه ومنها انه أكد ذكر الرحمة والمغفرة بوجوه ثلاثه أولها قوله أنى وثانيها أنا وثالثها التعريف في الغور الرحيم وهذا يدل على تغلب جانب الرحمة والمغفرة ولم يقل في ذكر العذاب انى أنا المعذب ولم يصف نفسه بذلك بل قال على سبيل الاخبار ان عذابى هو العذاب الاليم ومنها انه أمر رسوله ان يبلغ عباده هذا المعنى فكانه أشهد رسوله على نفسه فى التزام المغفرة والرحمة ثم أتبع ذلك بقصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام ليكون سماعها مرغبيا فى العباده الموجبه للفرج بدرجات السعداء وتحذرا عن المعصية الموجبه لاستحقاق دركات الاشقياء وذكر هنا اربع قصص قصة ابراهيم ثم قصة لوط ثم قصة شعيب ثم قصة صالح وسيأتى تفصيلها وافتتح من ذلك بقصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام فقال (وبئهم عن ضيف ابراهيم) اى أخبرهم بما جرى على ابراهيم من الامر الذى اجتمع فيه له الرجاء والخوف والتبشير الذى خالطه نوع من الوجع ليعتبروا بذلك ويعلموا انها سنة الله فى عباده وايضا لما اشتملت القصة على انجاء المؤمنين واهلاك الظالمين كان فى ذلك تقرير لكونه الغفور الرحيم وان عذابه هو العذاب الاليم وأصل الضيف الميسل يقال أضفت الى كذا اذا ملت اليه والضيف من مال الدك نزولاً بك وصارت الضيافة متعارفة فى القرى وهو فى الاصل مصدر ولذلك وحدوا ان كانوا جماعة ملائكة اثني عشر أو عشرة أو ثلاثة منهم جبريل على صورة غلمان حسنا أرسلهم الله اليه ليبشروا بالولد ويهاكوا قوم لوط عليه السلام وقدمر تفسير القصة مفصلا فى سورة هود عليه السلام وسعى الضيف ضيفا لاضافته الى المضيف وقد يجمع فيقال أضياف وضيوف وضيوفان (ادخلوا) اى اذ كرلهم وقت دخولهم (عليه) فقالوا (سلاما) اى هذا اللفظ قالوه تحية لابراهيم وفى الذهاب يجوز ان يكون سلاما منصوبا

يكون ويظهر ان الاسف والخزع عليه ويتعممون لابيهم وقالوا معتذرين عما وقع فيما زعموا انا ذهبنا نستبق اى نتراعى وتركا يوسف عند منا عانفا اى عندنا بنا وتمعنا فا كذا الذئب وهو الذى كان جزع منه وحذر عليه وقوله وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين تطف عظيم فى تقرير ما يحا ولونه بقره ولون وشين نعلم انك لا تصدقوا والحالة هذه لو كنا عندك صادقين فكيف وأنت قتمنا فى ذلك لانك خشيت ان يأكله الذئب فأكله الذئب وأنت معذور فى تسكيزك لنا لغرابه ما وقع وعجب ما اتفق لنا فى أمرنا هذا وجاؤا على قيصة بدم كذب اى مكذوب مقترى وهذا من الافعال التى يأكدون بها ما قالوا عليه من المكيدة وهو انهم عمدوا الى سبخله فيما ذكره مجاهد

والسدى وغير واحد فذبحوها ولطخوا ثوبه بدمها موهمين ان هذا القيصر الذي اكله فيه الذئب وقد اصابه من دمه ولكنهم نسوا ان يحرقوه فلهذا لم يرج هذا الصنيع على نبي الله يعقوب بل قال لهم معرضا عن كلامهم الى ما وقع في نفسه من لبسهم عليه بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل اى فساأصبر صبورا جيلا على هذا الامر الذى اتفقتم عليه حتى يفرجه الله بعونه ولطفه والله المستعان على ما تصفون اى على ما تذكرون من الكذب والحال وقال الثورى عن سمك عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس وجاؤا على قيصر بدم كذب قال لو اكله السبع لحرق القميص (١٩٢) وكذا قال الشعبي والحسن وقتادة وغير واحد وقال مجاهد الصبر

الجميل الذى لا جرح فيه وروى هشيم عن عبد الرحمن بن يحيى عن حبان بن ابي حبله قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله فصبر جميل قال صبر لا شكوى فيه وهذا مرسل وقال عبد الرزاق قال الثورى عن بعض اصحابه انه قال ثلاث من الصبر ان لا تحدث بوجعك ولا بصيبتك ولا تترك نفسك وذكرك البخارى ههنا حديث عائشة رضى الله عنها فى الافك حتى ذكر قولها والله لا اجدلى واسكم مثالا الا كما قال ابو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون (وجاءت سيارة فارسى واداهم فادلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام واسروه بضاعة والله عليم بما يعملون وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين) يقول تعالى محضرا عما جرى ايوست عليه السلام فى الحب حين القاه اخوته وتركوه فى ذلك الحب فريدوا وحيدا فكشك عليه السلام فى البئر ثلاثة ايام فيما قاله ابو بكر بن عياش وقال محمد بن اسحق لما القاه اخوته فى البئر جلسوا حول البئر يوبهم ذلك ينظرون ماذا يصنع وما يصنع

بفعل مقدر اى سلمنا وسلم سلاما ويجوز نصبه بقاوا ولم تذكر هنا تحية ابراهيم لهم وقد ذكرت فى سورة هود فالقصة هنا مختصرة (قال ان انتم منكم وجلون) اى خائفون فزعون وانما قال هذا بعد ان قرب اليهم العجل فرأهم لا يأتون منه كما تقدم فى سورة هود فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة وقيل انكر السلام منهم لانه لم يكن فى بلادهم وقيل انكر دخولهم عليه بغير استئذان (قالوا) اى الملائكة (لا توجل) اى لا تخف قاله عكرمة وقرئ لا تأجل وتوجل من أوجه اى أخافه (انا بشرك بغلام سليم) مستأنفة لتعليل النهى عن الوجع لان البشر لا يخاف منه والعليم كثير العلم وقيل هو الخليم كما وقع فى موضع آخر من القرآن وهذا الغلام هو اسحق كما تقدم فى هود ولم يسمه هنا لاذكر التبشير بيعقوب اكتفا بما سلف (قال ابشرتمونى) قرئ بانف الاستفهام وبغيرها (على ان مسنى الكبر) اى مع حالة الكبر والهزم (فيم تبشرون) استفهام انكارا وتعجب كأنه عجب من حصول الولد له مع ما قد صار اليه من الهرم الذى جرت العادة بانه لا يولد لمن بلغ اليه والمعنى فبأى شىء تبشرون فان البشارة بما لا يكون عادة لا تصح (قالوا ابشرنا بالحق) اى بما يكون لا محالة أو باليقين الذى لا لبس ولا خلف فيه فان ذلك وعد الله وهو لا يخلف الميعاد ولا يستحيل عليه شىء فانه القادر على كل شىء (فلا تكن من القانطين) اى الايسين من ذلك الذى بشرنا بالذبة فانه تعالى قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجز عاقر وكان تعجب ابراهيم باعتبار العادة دون القدرة ولذلك (قال ومن يقنط من رحمة ربه) قرئ بفتح النون من يقنط وبكسرها وهما الغتان سبعيتان وحكى فيه ضم النون شاذا والقنوط اليأس وبابه جلس ودخل وطرب وسلم فهو قانط وقنوط (الا الضالون) اى المكذوبون أو المخطئون الذاهبون عن طريق الصواب والمعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله تعالى وكمال علمه وقدرته كما قال الله تعالى انه لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون اى انى انما استبعدت الولد لكبرى سننى لا لقنوطى من رحمة ربى ثم سألهم عما لاجله أرسلهم الله سبحانه (قال فما خطبكم ايها المرسلون) الخطب الامر الخطير والشأن العظيم اى فما أمركم وشأنكم وما الذى جئتم به غير ما قد بشرتمونى به وكان قد فهم ان محييتهم ليس مجرد البشارة بل لهم شأن آخر لاجله أرسلوا لانهم كانوا اعدادا والبشارة لا تحتاج الى عدد ولذلك اکتوا بالواحد فى بشارته ذكر يا مريم عليهم السلام أولانهم بشروه فى تضاعيف الحال

لازالة

به فساق الله له سيارة فترلوا قريبا من ذلك البئر وأرسلوا واداهم وهو الذى يتطلب لهم الماء فلما جاء ذلك البئر وأدلى دلوه فيها تشبث يوسف عليه السلام فيها فأخرجه واستبشر به وقال يا بشرى هذا غلام وقرأ بعض القراء يا بشرى وزعم السدى انه اسم رجلا ناداه ذلك الرجل الذى أدلى دلوه بعمله انه اصاب غلاما وهذا القول من السدى غريب لانه لم يسبق الى تفسير هذه القراءة بهذا الا فى رواية عن ابن عباس والله أعلم وانما معنى القراءة على هذا التحوير يرجع الى القراءة الاخرى ويكون قد اضاف البشرى الى نفسه وحذف يا الاضافة وهو يؤيدها كما تقول العرب يا نفس اصبرى يا غلام اقبل لحذف

حرف الاضافة ويجوز الكسر حينئذ والرفع وهذا منه وتفسرها القرارة الاخرى يا بشر اى والله أعلم وقوله وأسروه بضاعة أى وأسروه الواردون من بقية السبيارة وقالوا اشتريناه وتبضعناه من أصحاب الماء مخافة ان يشاركوهم فيه اذا علموا خبره قاله مجاهد والسدى وابن جرير هذا قول وقال العوفي عن ابن عباس قوله وأسروه بضاعة يعنى اخوة يوسف أسروا شأنه وكتبوا ان يكون أحاهم وكتب يوسف شأنه مخافة ان يقتله اخوته واختار البيهقي فذكره اخوته لو ارد القوم فنادى أصحابها يا بشرى هذا غلام يباع فباعه اخوته وقوله والله عليهم بما يعملون أى عليهم بما يفعل اخوة يوسف وستروه (١٩٣) وهو قادر على تغيير ذلك ودفعه ولكن له

حكمة وقد راسق فترك ذلك لبعضى ما قدره وقضاه ألا له الخلق والاخر تبارك الله رب العالمين وفي هذا تعريض لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم واعلام له بانى عالم باذى قومك ذلك وأنا قادر على الانكار عليهم ولكنى سامئى لهم ثم أجعل لك العاقبة والحكم عليهم كما جعلت ليوسف الحكم والعاقبة على اخوته وقوله وشروه بثمن بخس دراهم معدودة بقول تعالى وباعه اخوته بثمن قليل قاله مجاهد وعكرمة والخس هو النقص كما قال تعالى فلا يخاف بخسها ولا رهقا اى اعتاض عنه اخوته بثمن دون قليل ومع ذلك كانوا فيه من الزاهدين أى ليس لهم رغبة فيه بل لوسأله بلاشئ لا جاؤا قال ابن عباس ومجاهد والضجالة ان الضمير فى قوله وشروه عائد على اخوة يوسف وقال قتادة بل هو عائد على السبيارة استبشروا به وأسروه بضاعة ولو كانوا فيه زاهدين لما اشتروه فترج من هذا ان الضمير فى شروه انما هو لاخوته وقيل المراد بقوله بخس الحرام وقيل الظلم وهذا وان كان

لازالة الوجع ولو كانت البشارة تمام المقصود لا بدؤه بها (قالوا اننا نأرسلنا الى قوم مجرمين) أى الى قوم لهم اجرام فيدخل تحت ذلك الشرك وما هو دونه وهؤلاء القوم هم قوم لوط عليه السلام ثم استثنوا منهم من ليسوا بجرميين فقالوا (الآل لوط) وهو استثناء متصل لانه من الضمير المستكن فى مجرمين بمعنى أجرموا كلهم الآل لوط فانهم لم يجرموا ولو كان من قوم لكان منقطعاً لكونهم قد وصفوا بكونهم مجرمين وليس آل لوط بجرميين البتة ويجب فيه على هذا النصب ثم ذكر واما سيختص به آل لوط من الكرامة لعدم دخولهم مع القوم فى اجرامهم فقالوا (انما لنجومهم) اى آل لوط (أجمعين) وهم اتباعه وأهل بيته ودينه لا يمانهم قرئ من التخيبة والانتجاع ومعناها التخليص مما وقع فيه غيرهم وهذا الكلام استئناف اخبار بنجاتهم بكونهم لم يجرموا ويكسرون الارسال حينئذ شاملاً للمجرمين والآل لوط لاهلاك أولئك وانتجاع هؤلاء على تقدير الاتصال وعلى انه منقطع جرى هذا الكلام مجرى خبر لكن فى اتصاله بال لوط لان المعنى لكن آل لوط نجيمهم (الامرأته) فليست ممن نجيمه بل ممن نهى لك كفرها وهذا الاستثناء من الضمير فى لنجومهم اخراجا لها من التخيبة وقيل من آل لوط باعتبار ما حكم لهم به من التخيبة والمعنى انهم من الهالكين لان الاستثناء من النفي اثبات ومن الاثبات نفي ومنعه الزمخشري وقال كيف يكون استثناء من استثناء وقد اختلف الحكماء (قدرنا انهم الغابرين) اى قضينا وحكمنا انهم من الباقيين فى العذاب مع الكفرة والغابرين الباقي والماضى وهو من الاضداد وبابه دخل قال الزجاج معنى قدرنا درنا وهو قريب من معنى قضينا وأصل التقدير جعل الشئ على مقدار الكفاية وقرئ قدرنا بالتخفيف وبالتشديد قال الهروي هما بمعنى وقيل ضمن قدرنا معنى العلم فلذلك علق باللام مع كون التعليق من خصائص أفعال القلوب فكسرت ان وقيل هذا لا يصلح عله لكسرها انما يصلح عله لتعليقها الفعل قبلها فقط والعله فى كسرها وجود اللام ولو لاها لفتح وانما أسند التقدير الى الملائكة مع كونه من فعل الله سبحانه مجازا لما لهم من القرب عند الله وانهم رسل الله وواسطة بينه وبين خلقه (فما جاء آل لوط المرسلون) مستأنفة لبيان اهلاكه من يستحق الهلاك وتخيبة من يستحق النجاة وفى الكلام حذف أى فخرجوا من عند ابراهيم وسافروا من قريته الى قرية لوط وكان بينهما ما أربعة فراسخ ولفظة آل زائدة بدليل ولقد جاءت رسلنا لوطا (قال لوط

(٢٥ فتح البيان خامس) كذلك لكن ليس هو المراد هنا لان هذا معلوم يعرفه كل أحد ان غنمه حرام على كل حال وعلى كل أحد لانه نبي بن نبي بن خليل الرحمن فهو الكريم بن الكريم بن الكريم وانما المراد هنا بالخس الناقص أو الزئوف أو كلاهما أى انهم اخوته وقد باعوه ومع هذا بائقاص الاثمان ولهذا قال دراهم معدودة فعن ابن مسعود رضى الله عنه باعوه بعشرين درهما وكذا قال ابن عباس ونوف البكالى والسدى وقاتدة وعطمة العوفي وزاد قسموه ادرهمين درهمين وقال مجاهد اثنان وعشرون درهما وقال محمد بن اسحق وعكرمة أربعون درهما وقال الضجالة فى قوله وكانوا فيه من الزاهدين

وذلك انهم لم يعلموا نبوته ومنزلته عند الله عز وجل وقال مجاهد لما باعوه جعلوا يتبعونهم ويقولون لهم استوثقوا منه لا يأتق حتى وقوه بمصر فقال من يتاعني وليبشر فاشتره الملك وكان مسلما (وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو يتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تأويل الاحاديث والله غاب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك تجزى المحسنين) يخبر تعالى بالطافه بيوسف عليه السلام انه قبض له الذي اشتراه من مصر حتى اعتنى به وأكرمته وأوصى (١٩٤) أهله به وتوسم فيه الخير والصلاح فقال لامرأته أكرمي مثواه عسى أن

يتفعنا أو يتخذه ولدا وكان الذي اشتراه من مصر عزيزا وهو الوزير حدثنا العوفي عن ابن عباس وكان اسمه قطيفير وقال محمد بن اسحق اسمه اطفير بن روحيب وهو العزيز كان على خزائن مصر وكان الملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق قال واسم امرأته راعيل بنت راعيل وقال غيره اسمها راجنا وقال محمد بن اسحق أيضا عن محمد ابن السائب عن ابى صالح عن ابن عباس كان الذي باعه بمصر مالك بن ذعر بن قريش بن عتقان مديان ابن ابراهيم فآله أعلم وقال ابو اسحق عن ابى عبيدة عن عبد الله بن مسعود انه قال أفرس الناس ثلاثة عزيز مصر حين قال لامرأته أكرمي مثواه والمرأة التي قالت لا يبيها يا أبت استأجره الآية وأبو بكر الصديق حين استخاف عمر بن الخطاب رضى الله عنهم ما يقول تعالى كما أنقذنا يوسف من اخوته كذلك مكنا ليوسف في الارض يعنى بلاد مصر ولنعلمه من تأويل الاحاديث قال مجاهد والسدى هو تعبير الرؤيا والله غاب على أمره أى اذا أراد شيئا فلا يرده

مخاطبا لهم (انكم قوم منكرون) لا أعرفكم بل أنكركم وأخاف ان تصيدوني بمكروه ولا أعرف غرضكم ولان أى القبائل أنتم (فالوايل جئناك بما كانوا فيه يمترون) أى بالعباد الذى كانوا يشكون فيه فالاضراب هو عن مجيئهم بما ينكره كأنهم قالوا ما جئناك بما خطر يالك من المكروه بل جئناك بما فيه سرورك وهو عذابهم الذى كنت تحذرهم منه وهم يكذبونك فيه قبل مجيئه (وأنتناك) متلبسين (بالحق) أى باليقين الذى لا مرقية فيه ولا تردأ ومتامسا أنت به لا بصرك له وهو العذاب النازل بهم لا محالة (وانا لصادقون) فى ذلك الخبر الذى أخبرناك وقد تقدم تفسير قوله (فاسر يا هلك بقطع من الليل) فى سورة هود أى سرفى جزء من الليل بهم وهم يتناهى فلم يخرج من قريته الا هو وبناته وفى القرطبي فى سورة هود نخرج لوط وطوى الله له الارض فى وقته حتى نجا ووصل الى ابراهيم (واسمع أذبارهم) أى كن من وراءهم وامش خلفهم تذودهم لئلا يتخلف منهم أحد فينال العذاب أولا جل ان تطمئن عليهم وتعرف انهم ناجون (ولا يلتفت منكم أحد) أى أنت ولا أحد منهم فيرى ما نزل بهم من العذاب فيشتغل بالنظر فى ذلك ويتباطأ عن سرعة السير والبعد عن ديار الظالمين وقيل معنى لا يلتفت لا يتخلف (وامضوا حيث تؤمرون) أى الى الجهة التى أمركم الله سبحانه بالمضى اليها وهى جهة الشام وقيل مصر وقيل قريته من قري لوط وقيل أرض الخليل عليه الصلاة والسلام وقيل الأردن وزعم بعضهم ان حيث هنا ظرف زمان مستدلا بقوله بقطع من الليل ثم قال وامضوا حيث تؤمرون أى فى ذلك الزمان وهو ضعيف ولو كان كما قال لكان التركيب وامضوا حيث أمرتم على انه لوجه التركيب هكذا يمكن فيه دلالة (وقضينا اليه) أى أوحينا الى لوط عليه السلام (ذلك الامر) هو اهلاك قومه ثم فسره بقوله (ان دابر هو لاء مقطوع) الدابر هو الاخر أى ان آخر من يبقى منهم يهلك (مصحين) أى حال كونهم داخلين فى وقت الصبح ومثله فقطع دابر القوم الذين ظلموا وقدره القراء وأبو عبيدة اذا كانوا مصحين قال الكرخى فان كان تنسير معنى فصحيح وأما الاعراب فلا ضرورة تدعو اليه قال ابن عباس يعنى اتصال هلاكهم ثم ذكر سبحانه ما كان من قوم لوط عند وصول الملائكة الى قريتهم فقال (وجاء أهل المدينة) أى أهل مدينة قوم لوط وهى سدوم بسين هم حلة فذال مجمة على وزن فاعول وأخطأ من قال بهملة مدينة من مدائن قوم لوط كما سبق وتقدم ان هذا الجحى قبل قول

ولا يمانع ولا يخاف بل هو الغالب لما سواه قال سعيد بن جبير فى قوله والله غاب على أمره أى فعال لما الملائكة يشاء وقوله ولكن أكثر الناس لا يعلمون يقول لا يدرون حكمته فى خلقه وتلقفه وفعله لما يريد وقوله ولما بلغ أى يوسف عليه السلام أشده أى استكمل عقله وتم خلقه آتيناه حكما وعلميا يعنى النبوة انه حباهما بين أوامرك الاقوام وكذلك تجزى المحسنين أى أنه كان محسنا فى عمله بطاعة الله تعالى وقد اختلف فى مقدار المدة التى بلغ فيها أشده فقال ابن عباس ومجاهد وقتادة ثلاث وثلاثون وعن ابن عباس بضع وثلاثون وقال الضحاك عشرون وقال الحسن أربعون سنة وقال عكرمة خمس وعشرون سنة وقال

الاسدي ثلاثون سنة وقال سعيد بن جبير ثمانية عشر سنة وقال الامام مالك وربيعة بن زيد بن اسلم والشعبي الاشدا لحم وقيل غير ذلك والله أعلم (ورأوته التي هوفى بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي أحسن مشواى انه لا يفلح الظالمون) يخبر تعالى عن امرأة العزيز التي كان يوسف في بيتها بمصر وقد أوصاها زوجها به وبأكرامه فرأوته عن نفسه اى حاولته على نفسه ودعته اليها وذلك انها أحبته حباً شديداً الجماله وحسنه وبها انه فعملها ذلك على ان تجملت له وغاقت عليه الابواب ودعته الى نفسها وقالت هيت لك فامتنع من ذلك أشد الامتناع وقال معاذ الله (١٩٥) انه ربي أحسن مشواى وكانوا يظلمون الرب

على السيد والكبير اى ان بعلك ربي أحسن مشواى اى منزلى وأحسن الى فلأأقابه بالفاحشة في أهله انه لا يفلح الظالمون قال ذلك مجاهد والسدي ومحمد بن اسحق وغيرهم وقد اختلف القراء في قوله هيت لك فقراه كثيرون بفتح الهاء واسكان الباء وفتح التاء قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد معناه انها تدعوه الى نفسها وقال على ابن ابي طلحة والعمري عن ابن عباس هيت لك تقول هلم لك وكذا قال زر بن حبيش وعكرمة والحسن وقتادة قال عمرو بن عبسة عن الحسن وهي كلمة بالسريانية اى عليك وقال السدي هيت لك اى هلم لك وهي بالقبطية وقال مجاهد هي لغة غريبة تدعوه بها وقال البخاري وقال عكرمة هيت لك هلم لك بالخورانية هكذا ذكره معلقا وقد أسنده الامام أبو جعفر بن جرير حدثني أحمد بن سهل الواسطي حدثنا قرة بن عيسى حدثنا النضر بن عزي بن الخدرى عن عكرمة مولى ابن عباس في قوله هيت لك قال هلم لك قال هي بالخورانية وقال أبو عبد القاسم بن سلام وكان الكسافي

الملائكة فاسر باهلك في اى سورة هود على الترتيب الواقعي وما هنا على خلافه والواو لا تفيد ترتيباً قال الكرخي ذكر القصة في هود بترتيب الوقوع وهنا أخذ كرجحهم عن قول الرسل بل جئناك مع تقدمه ليدستقل الاول ببيان كيفية نصره الصابرين والثاني بتساوى الامم (يستبشرون) اى مستبشرين بأضياف لوط طمعا في ارتكاب الفاحشة منهم والاستبشار اظهار الفرح والسرور (قال) لهم لوط (ان هؤلاء ضيفي) وحده الضيف لانه مصدر كما تقدم والمراد اضيافى وسمى هم ضيفا لانه رآهم على هيئة الاضياف وقومه رأوه هم مرد احسان الوجوه في غاية الحسن ونهاية الجمال فلذلك طمعا فيهم (فلا تفخخون) يقال فضخه يفضخه فضيحة وفضخه اذا أظهر من أمره ما يلزمه العار باظهاره وفي المختار فضخه فاقضخ اى كشف مساويه وبابه قطع والاسم الفضيحة والنضوح أيضا بضمين والمعنى لا تفخخوني عندهم تعرضكم لهم بالفاحشة فيعلمون انى عاجز عن حياية من نزل بي اولا تفخخوني بفضيحة ضيفي فان من فعل ما ينضخ الضيف فقد فعل ما يفضخ المضيف (وانتقوا الله) في أمرهم من ركوب الفاحشة (ولا تخزون) يجوز ان يكون من الخزي وهو الذل والهوان اى لا تدلوني ويجوز ان يكون من الخزية وهي الحياء والخل وقد تقدم تفسير ذلك في سورة هود (قالوا) اى قوم لوط مجيبين له (أولم ننهك عن العالمين) الاستفهام للانكار والواو للعطف على مقدر اى لم تقدم اليك ونبهك عن ان تكلمنا في شأن أحد من الناس اذا قصدناه بالفاحشة وقيل نهوه عن ضيافة غرباء الناس قال قتادة يقولون أولم ننهك ان نضيف أحدا أو تؤويه في قريتنا ويجوز جعل ما في الآية على ما هو أعم من ذلك (قال هؤلاء بناتي) فترتجوهن حلالات لان أسلمتم ولا تركبو الحرام وقيل أراد ببناته نساء قومه لكون النبي بمنزلة الاب لقومه أو انه كان في شريته يحمل تزوج الكافر بالمسلمة والاول أولى وقد تقدم تفسير هذا في هود (ان كنتم فاعلين) ما عزمت عليه من فعل الفاحشة بضيفي أو ما أمركم به (اعمرلك) العمر والعمر بالفتح والضم واحد لكنهم خصوا القسم بالفتوح لا يشار الاخف فانه كثير الدور على أسنهم ذلك الزجاج وهو اسم لمدة عمارة بدن الانسان بالحياة والروح وعيشه والبقاء مدة حياته في الدنيا والمعنى لعمرلك قسمي أو يميني خذف الخبر لدلالة الكلام عليه قال القاضي عياض اتفق أهل التفسير في هذا انه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكذا حكى

يجب هذه القراءة يعنى هيت لك ويقول هي لغة لاهل حوران وقعت الى أهل الخجاز ومعناها تعال وقال أبو عبد سادات شيخنا عالما من أهل حوران فذكر انها الغتهم يعرفها واستشهد الامام ابن جرير على هذه القراءة بقول الشاعر لعلي بن أبي طالب رضى الله عنه أبلغ أمير المؤمنين * من أذى العراق اذا أتينا ان العراق وأهله * عنق اليك فهيت هيتا يقول فتعال واقرب وقرأ ذلك آخرون هيت لك بكسر الهاء والهمزة وضم التاء بمعنى نهيات لك من قول القائل هيت بالامر اهي هيتة ومن روى عنه هذه القراءة ابن عباس وأبو عبد الرحمن السلمي وأبو وائل وعكرمة وقتادة وكلهم يفسرها بمعنى هيتت لك قال ابن جرير وكان أبو عمرو

والكسائي ينكران هذه القراءة وقرأ عبد الله بن ابي حنيفة بفتح الهاء وكسر التاء وهي غريبة وقرأ آخرون منهم عامة أهل المدينة هيت بفتح الهاء وضم التاء وأنشد قول الشاعر ليس قومي بالابعدين اذا ما * قال داع من العشرة هيت قال عبد الرزاق أنبأنا الثوري عن الاعمش عن ابي وائل قال قال ابن مسعود وقد سمع القرأ متقاربين فاقرأوا كما علمتم واياكم والتنطع والاختلاف وانما هو كقول أحدكم هلم وتعال ثم قرأ عبد الله هيت لك فقال يا ابا عبد الرحمن ان ناسا يقرؤها هيت قال عبد الله ان أقرأها كما علمت أحب الي وقال ابن جرير حدثني ابن وكيع (١٩٦) حدثنا ابن عيينة عن منصور عن ابي وائل قال قال عبد الله هيت لك فقال

له مسروق ان ناسا يقرؤها هيت لك فقال دعوني فاني أقرأ كما أقرئت أحب الي وقال أيضا حدثني المنيني حدثنا آدم بن ابي اياس حدثنا شعبة عن شقيق عن ابن مسعود قال هيت لك بضم الهاء والتاء ولا تمز وقال آخرون هيت لك بكسر الهاء واسكان الياء وضم التاء قال أبو عبيد معمر بن المنني هيت لاتني ولا تجمع ولا تؤث بل يخاطب الجميع بلفظ واحد فيقال هيت لك وهيت لكم وهيت لكم وهيت لكم (ولقد همت به وهمتها لولا أن رأيت برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا الخالصين) اختلف اقوال الناس وعباراتهم في هذا المقام وقد روى عن ابن عباس ومجاهد وسعيد ابن جبير وطائفة من السلف في ذلك ما رواه ابن جرير وغيره والله أعلم وقيل المراد به ما خطرنا حديث النفس حكاة البغوى عن بعض اهل التحقيق ثم أورد البغوى ههنا حديث عبد الرزاق عن معمر بن همام عن ابي هريرة

اجماع المفسر بن علي هذا المعنى أبو بكر بن العربي فقال قال المفسرون بأجمعهم أقسم الله تعالى ههنا بحياة محمد صلى الله عليه وآله وسلم نشر يقاله قال أبو الجوزاء ما أقسم الله سبحانه بحياة أحد غير محمد صلى الله عليه وآله وسلم لانه أكرم البرية عنده وعن ابن عباس قال ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفساً أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره قال لعرك الأية يقول وحياتك يا محمد وعمرك وبقاتك في الدنيا وعيشك بها وعن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما خلق الله بحياة أحد الا بحياة محمد صلى الله عليه وسلم قال لعرك الأية أخرجه ابن مردويه كذا في الدر المنثور للسيوطي قال ابن العربي ما الذي يمنع ان يقسم الله سبحانه بحياة لوط و يبلغ به من التشر يف ماشاء وكل ما يعطيه الله سبحانه لوط من فضل يؤتي ضعفه من شرف لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم لانه أكرم على الله منه وألواته سبحانه أعطى ابراهيم الخليل وموسى التكاليم وأعطى ذلك لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم قال فاذا أقسم الله سبحانه بحياة لوط خياة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أرفع قال القرطبي ما قاله حسن فانه يكون قسمه سبحانه بحياة محمد صلى الله عليه وآله وسلم كلاماً معتزفاً في قصة لوط عليه السلام فان قيل قد أقسم الله سبحانه بالتين والزيتون وطور سينين ونحو ذلك فما فيها من فضل وأجيب بانه ما من شئ أقسم الله به الا وفي ذلك دلالة على فضله على جنسه وقيل الاقسام منه سبحانه بالتين والزيتون وطور سينين والنجم والضحى والشمس والليل ونحو ذلك هو على حذف مضاف وهو المقسم به أى وخالق التين وكذلك ما بعده وفي قوله لعرك أى وخاتك وعرك وذرك صاحب الكشاف وأتباعه ان هذا القسم هو من الملائكة على ارادة القول أى قالت الملائكة للوط لعرك ثم قال وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانه أقسم سبحانه وما أقسم بحياة أحد قط كرامة له انتهى وقد ذكره كثير من العلماء القسم بغير الله سبحانه وجاءت بذلك الاحاديث الصحيحة في النهي عن القسم بغير الله فليس لعباده أن يقسموا بغيره وهو سبحانه يقسم بما شاء من مخلوقاته لا يستل عما يفعل وهم يستلون (انهم لفي سكرتهم يعمهون) اى انهم لفي غوايتهم وشدة غلظتهم التي أزال عقولهم وتميزهم بين خطئهم والصواب الذي يشار به اليهم يتخيرون جعل الغواية لكونها تذهب بعقل صاحبها كما تذهب به الخمر سكرة والضير لقريش على ان القسم بعمد صلى الله عليه وآله وسلم والجمل

رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اذا هم عبدى بحسنة فاكتبوها اعترض له حسنة فان عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها وان هم بسيئة فلم يعملها فاكتبوها حسنة فانما تتركها من جرائ فان عملها فاكتبوها بعثلها وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وله ألفاظ كثيرة هذا منها وقيل هم بضربها وقيل تمناها ووجه وقيل هم بها لولا أن رأى برهان ربه أى فلم يتم بها وفي هذا القول نظرون حيث العربية حكاة ابن جرير وغيره وأما البرهان الذي رآه فيه أقوال أيضاً عن ابن عباس وسعيد ومجاهد وسعيد بن جبير ومحمد بن سيرين والحسين وقتادة وأبي صالح والبخاري ومحمد بن اسحق

وغيرهم رأى صورة أبيه يعقوب عاضا على اصبعه بنفمه وقيل عنه في رواية فضرِب في صدر يوسف وقال العوفي عن ابن عباس رأى خيال الملك يعنى سيده وكذا قال محمد بن اسحق فيما حكاه عن بعضهم انما هو خيال قطفير سيده حين دنا من الباب وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن أبي مودود سمعت من محمد بن كعب القرظي قال رفع يوسف رأسه الى سقف البيت فاذا كتاب في حائط البيت لا تقر بوالزنا انه كان فاحشة ومقتنا وساء سبيلا وكذا رواه أبو معشر المدني عن محمد بن كعب وقال عبد الله بن وهب أخبرني نافع بن سريدي عن أبي بصير قال سمعت القرظي (١٩٧) يقول في البرهان الذي رأى يوسف ثلاث آيات

من كتاب الله ان عليكم لحافظين الآية وقوله وما تكون في شأن الآية وقوله أفن هو قائم على كل نفس بما كسبت قال نافع سمعت أباهلال يقول مثل قول القرظي وزاد آية رابعة ولا تقر بوالزنا وقال الاوزاعي رأى آية من كتاب الله في الجدار تنهاه عن ذلك قال ابن جرير والصواب ان يقال انه رأى آية من آيات الله تزجره عما كان هم به وجاز أن يكون صورة يعقوب وجاز أن يكون الملك وجاز أن يكون مارا مكتوبا من الزجر عن ذلك ولا حجة قاطعة على تعيين شيء من ذلك فالصواب ان يطلق كما قال الله تعالى وقوله كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء أي كما أرىناه برهانا صرفه عما كان فيه كذلك نقيه السوء والفحشاء في جميع اموره انه من عبادنا المخلصين أي من المجتبيين المطهرين المختارين المصطفين الاخيار صلوات الله وسلامه عليه (واستبقا الباب وقدت قيصه من دبر) والقياسيد الذي الباب قالت ماجزء من أرادنا هلك سوا الان يسبحن أو عذاب ألم قال هي

اعتراض أول قوم لوط على ان القسم بلوط قال قتادة أي في ضلالهم يلعبون وقال الاعمش لفي غفلتهم يترددون وعه من باب تعب كافي المختار (فأخذتهم الصيحة) العظيمة أو صيحة جبريل والصيحة العذاب قال ابن جرير الصيحة مثل الصاعقة وكل شيء أهلك به قوم فهو صاعقة وصيحة (مشرقين) أي حال كونهم داخلين في وقت الشروق يقال أشرفت الشمس أي أضاءت وشرقت اذا طلعت وقيل هما الغتان بمعنى واحد وأشرق القوم اذا دخلوا في وقت شروق الشمس وقيل أراد شروق الفجر وقيل أول العذاب كان عند شروق الفجر حين أصبحوا وامتدتماه الى طلوع الشمس حين أشرقوا فلذلك قال أو لا مقطوع مصحين وقال ههنا مشرقين (فجعلنا) مرتب على أخذ الصيحة (عاليها) أي على المدينة أو على قرى قوم لوط (سافلها) وقال الزمخشري الضمير لقرى وريح الاول بانه تقدم ما يعو د اليه لفظا بخلاف الثاني والمراد بعاليها وجه الارض وما عليه رفعها جبريل الى السماء من الارض السفلى وأسقطها مقلوبة الى الارض وكانت أربعة قرى فيها أربع مائة ألف مقاتل (وأما مطرنا عليهم) أي على من كان خارجا عن قراهم بان كان غائبا في سفر أو غيره (حجارة من سجيل) أي من طين متعجرب طبع بالنار وقد تقدم الكلام مستوفى على هذا في سورة هود (ان في ذلك) المذكور من قصتهم وبيان ما أصابهم (آيات للمتوسمين) أي للمتفكرين الناظرين في الامر يستدلون بها وقال أبو عبيدة للمتبرين وقال قتادة لاهمعتبرين وقيل للمتأملين كما أنهم يعرفون باطن الشيء بسمة ظاهره وقال مجاهد للمتفكرين وأخرج البخاري في التاريخ والترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم وابن السني وأبو نعيم وابن مردويه والخطيب عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ ان في ذلك لايات للمتوسمين والفراسة على نوعين أحدهما ما يقع في قلوب الصالحاء فيعلمون بذلك أحوال الناس باصابة الحدس والنظر والظن والتثبت والثاني ما يحصل بدلائل التجارب والاختلاق وللناس في هذا العلم تصانيف قديمة وحديثة وقال ثعلب الواسم الناظر اليك من فرقك الى قدمك والمعنى متقارب وأصل التوسم التثبت والتفكير تفعل مأخوذ من الوسم وهو التأثير بحمدية في جلد البعير أو البقر وقيل أصله استقصاء التعرف يقال توسمت أي تعرفت مستقصيا ووجه التعرف وقيل هو من الوسم بمعنى العلامة (وانها

راودني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها ان كان قيصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قيصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قيصه قد من دبر قال انه من كيدك ان كيدك عن عظيم يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين) يخبر تعالى عن حالهما حين خرجا يستبقان الى الباب يوسف هارب والمرأة تطلبه ليرجع الى البيت فلحقته في أثناء ذلك فأسكت بقيصه فقته قد افضطعا يقال انه سقط عنه من ورائه فقد قد افضطعا واستمر يوسف هاربا ذاهبا وهي في اثره فالقياسيد هو زوجها عند الباب فعين ذلك خرجت مما هي فيه بكرها وكيدها وقالت له لزوجها متصلة وقاذفة يوسف بدائها

مأجراً من أراد باهلك سواء أي فاحشة إلا أن يسجن أي يحبس أو عذاب أليم أي يضرب ضرباً شديداً موحها فعند ذلك أتصر يوسف عليه السلام بالحق وتبرأ مآرسته به من الخيانة وقال باراً صادقاً هي راودتني عن نفسي وذكر أنها أتبعته تجذبه إليها حتى قادت قيصه وشهد شاهد من أهلها أن كان قيصه قد من قبل أي من قدامه فصدقت أي في قولها أنه راودها على نفسها لأنه يكون لمادعاها وأبت عليه دفعت في صدره فقادت قيصه فيصبح ما قالت وإن كان قيصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين وذلك يكون كما وقع لمأرب (١٩٨) منها وتطلبته أمسكت قيصه من ورائه لترده إليها فقادت قيصه من

ورائه وقد اختلفوا في هذا الشاهد هل هو صغير أو كبير على قولين لعلماء السلف فقال عبد الرزاق أخبرنا إسرائيل عن سمك عن عكرمة عن ابن عباس وشهد شاهد من أهلها قال ذولخية وقال الثوري عن جابر عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس كان من خاصة الملك وكذا قال مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والسدي ومحمد بن اسحق وغيرهم أنه كان رجلاً وقال زيد بن أسلم والسدي كان ابن عمها وقال ابن عباس كان من خاصة الملك وقد ذكر ابن اسحق أن زليخا كانت بنت أخت الملك الريان بن الوليد وقال العوفي عن ابن عباس في قوله وشهد شاهد من أهلها قال كان صبياً في المهدي وكذا روى عن أبي هريرة وهلال بن يساف والحسن وسعيد بن جبيرة والبخاري ابن مزاحم أنه كان صبياً في الدار واختاره ابن جرير وقد ورد فيه حديث مرفوع فقال ابن جرير حدثنا الحسن بن محمد حدثنا

لبسبيل مقبيل) يعني قرى قوم لوط أو مدينتهم على طريق ثابت أو الباء بمعنى في وهي الطريق من المدينة إلى الشام فإن السالك في هذه الطريق يعرف بتلك القرى ويشاهد ما ويرى أثر عذاب الله وغضبه لأنه لم يدثر ولم يخف ولم يزل وعن ابن عباس معنى لبسبيل لهلاك وعن مجاهد لبطريق معلم ليس يخفي وعن قتادة لبطريق واضح (أن في ذلك) المذكور من المدينة والقري أو ما أزل بهم من العذاب (لا يلة لهم ومين) يعتبرون بها فإن المؤمنين بالله والانبيا والمرسلين من العباد هم الذين يعتبرون بما يشاهدونه من الآثار ويعرفون أن ذلك إنما كان لا تقام الله من الجهال لا جمل مخالفتهم وأما الذين لا يؤمنون فيعلمونه على حوادث العالم وحصول القرانات الكوكبية والاتصالات الفلكية وجمع الآيات أو لا باعتبار تعدد ما قص من حديث لوط وضيف إبراهيم وتعرض قوم لوط لهم وما كان من أهلاكهم وقلب المدائن على من فيها وامطار الخجارة على من غاب عنها ووحدها ثانياً باعتبار وحدة قرية قوم لوط المشار إليها بقوله وانها لبسبيل مقبيل فلا يرد كيف جمع الآية أو لا ووحدها ثانياً والقصة واحدة (وان كان أصحاب الايكة) شروع في قصة شعيب وذلك ههنا مختصرة وسيأتي بسطها في سورة الشعراء الايكة الغيضة وهي جماع الشجر وجمع الشيء والجمع الايك وفي الاصل اسم للشجر الملتف والمراد بها هنا البقعة التي فيها شجر من دحم في الكلام مجاز من اطلاق الحال على المحل ويروى ان شجرهم كان دوماً وهو المقل فالمعنى وان كان أصحاب الشجر المجتمع وأرباب بقعة الاشجار باعتبار اقامتهم فيها ولازمتهم لها (الظالمين) بتكذيبهم شعيباً واقتصر الله سبحانه هناعلى وصفهم بالظلم وقد فصل ذلك الظلم فيما سبق واللام فيه للتأكيدي وقيل الايكة اسم القرية التي كانوا فيها قال أبو عبيدة ايكة وليكة مدينتهم ككة وبكة وأصحابها هم قوم شعيب وقد تقدم خبرهم وقد أخرج ابن مردويه وابن عساکر عن ابن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان مدين وأصحاب الايكة أمتان بعث الله اليهما ما شجيبا وعن ابن عباس قال أصحاب الايكة هم قوم شعيب والايكة ذات آجام وشجر كانوا فيها (فانتقمنا منهم) أي أهل كاهم بالعذاب وذلك ان الله سلط عليهم شدة الحر سبعة أيام حتى أخذوا نفاسهم وقربوا من الهلاك فبعث الله سبحانه لهم حجاباً كالظلة فالتجأ إليها واجتمعوا تحتها للتظليل يلتمسون الروح فبعث ناراً فأحرقتهم جميعاً (وانهما) الضمير يرجع

عنان حدثنا جاد هو ابن سلمة أخبرني عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلم أربعة وهم صغار فذكر فيهم شاهد يوسف ورواه غيره عن حماد بن سلمة عن عطاء بن سعيد عن ابن عباس أنه قال تكلم أربعة وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جبرئيل وعيسى بن مريم وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد كان من أمر الله تعالى ولم يكن انسياً وهذا قول غريب وقوله فلما رأى قيصه قد من دبر أي لما تحقق زوجهما صدق يوسف وكذبها فإذ فتته ورمت به قال انه من كيدك أي ان هذا البهت واللطف الذي لظنت عرض هذا الشاب به

من جملة كيدك ان كيدك عظيم ثم قال امر يوسف عليه السلام بكتمان ما وقع يوسف اعرض عن هذا أي اضرب عن هذا
صغما أي فلان ذكره لاحد واستغفري لذنبك يقول لامرأته وقد كان لبن العريكة سهلا أو انه عند رها لانها رأت ما لا صبر لها
عنه فقال لها استغفري لذنبك أي الذي وقع منك من ارادة السوء بهذا الشاب ثم قذفه بما هو بري منه انك كنت من
الخطاطين (وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا ان تراها في ضلال ميين فلما سمعت بمكرهن
أرسلت اليهن واعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكيناً (١٩٩) وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن

أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا
ان هذا الامك ككريم قالت
فذلكن الذي لم تنفي فيه ولقد
راودته عن نفسه فاستعصم ولئن
لم يفعل ما أمره لبيسجن وليكونا
من الصاغرين قال رب السجن
أحب الي مما يدعونني اليه والا
تصرف عني كيدهن أصب اليهن
وأكن من الجاهلين فاستجاب له
ربه فصرف عنه كيدهن انه هو
السميع العليم يخبر تعالى ان خبر
يوسف وامرأة العزيز شاع في
المدينة وهي مصر حتى تحدث به
الناس وقال نسوة في المدينة مثل
نساء الكبراء والامراء ينكرن
على امرأة العزيز وهو الوزير
ويعين ذلك عليها انها تراود فتاها
عن نفسه أي تحاول غلامها عن
نفسه وتدعوه الى نفسها قد
شغفها حبا أي قد وصل حبها
الى شغاف قلبها وهو غلافه قال
الضحال عن ابن عباس الشغف
الحب القاتل والشغف دون ذلك
والشغاف حجاب القلب ان تراها
في ضلال ميين أي في صنعها هذا

الى مدينة قوم لوط ومكان أصحاب الايكة أي وان المكانيين (ابامام ميين) أي لبطريق
واضح ظاهر قاله ابن عباس وقيل يعود على الخبرين خبر اهلاك قوم لوط وخبر اهلاك قوم
شعيب وقيل يعود على أصحاب الايكة وأصحاب مدين لانه مرسل اليهما فذكر أحدهما
مشعر بالآخر وأرجح الاقوال هو الاول والامام اسم لما يؤتم به ومن جملة ذلك الطريق
التي تسلك قال القراء والزجاج سمي الطريق امامالانه يؤتم به ويتبع وقال ابن قتيبة لان
المسافر يأتيه حتى يصل الى الموضع الذي يريد وقيل الضمير للايكة ومدين لان شعيبا
كان ينسب اليهما ثم ان الله سبحانه ختم القصة بقصة نوح فقال (واقعد كذب أصحاب
الحجر) قال قتادة هم أصحاب الوادي وكانوا عمود قوم صالح والحجر اسم لذي ابراهيم وقاله
الزهري وهي ما بين مكة وتبوك وقال ابن جرير هي أرض بين الحجاز والشام وآثارها
موجودة باقية يمر عليها ركب الشام الى الحجاز وبالعكس وانما قال الله سبحانه (المرسلين)
ولم يرسل اليهم الا صالحا لان من كذب واحدا من الرسل فقد كذب الباقين لكونهم
متفقين في الدعوة الى الله وقيل كذبوا صالحا ومن تقدمه من الانبياء وقيل كذبوا صالحا
ومن معه من المؤمنين (وأبيناهم آياتنا) المنزلة على نبيهم ومن جعلها الناقية فان فيها
آيات جمة كخروجها من الصخرة ودنوتها جها عن سدخر وجهها وعظمتها وكثرة لبنها وانما
أضاف الآيات اليهم وان كانت لصالح لانه مرسل اليهم بهذه الآيات (فكانوا عنها)
أي عن الآيات (معرضين) أي غير معتبرين بها ولا ملتفتين اليها بل تاركين لها ولهذا
عقروا الناقية وخالفوا أمرهم به نبيهم قال الكرخي وذلك يدل على ان النظر
والاستدلال واجب وان التقليد مذموم (وكانوا ينخسوا) النخس في كلام العرب
البري والتجريحته بنخته بالكسر نختا أي براه وفي التنزيل أتعبدون ما تنخسون أي تنجرون
وكانوا يتخذون لانفسهم (من الجبال بيوتا) بضم الباء وكسرها سبعين أي يتخذونها
في الجبال (أمينين) أي حال كونهم آمنين من الخراب ونقب اللصوص لها الشدة
احكامها أو من ان يقع عليهم الجبل أو السقف قاله القراء وقيل آمنين من الموت وقيل من
العذاب ركونا منهم على قوتها وناقتها وقال بعضهم المراد أنهم يتخذون بيوتا في الجبال
بنقرها وقطع الصخر منها بالمعاويل حتى تصير مساكن من غير بنيان (فاخذتهم الصيحة)
أي العذاب وهو الرجفة أو الزلزلة الشديدة من الارض (مصعبين) أي داخلين

من حيا فتاها ومارودتها اياه عن نفسه فلما سمعت بمكرهن قال بعضهم بقولهن وقال محمد بن اسحق بل باعهن حسن يوسف
فأحسبن ان يرينه فقلن ذلك ليتوصلن الى رؤيته ومشاهدته فعند ذلك أرسلت اليهن أي دعتهن الى منزلها لتضيفهن واعتدت لهن
متكأ قال ابن عباس وسعيد بن جبسر ومجاهد والحسن والسدي وغيرهم هو المجلس المعد فيه مفارش ومخاد وطعام فيه ما يقطع
بالسكاكين من أترج ونحوه ولهذا قال تعالى وآتت كل واحدة منهن سكيناً وكان هذا مكيدة منها ومقابلتهن في احتياهن على
رؤيته وقالت اخرج عليهن وذلك انها كانت قد خيأته في مكان آخر فلما اخرج ورأينه أكبرنه أي أعظم منه شأنه وأجلان

قدره وجعلن يقطعن أيديهن ذهبا برؤيته وهن يظنن انهن يقطعن الا ترج بالسكاكين والمراد انهن حزنن أيديهن بما قاله غير واحد
وعن مجاهد وقادة قطعن أيديهن حتى ألقينها فإله أعلم وقد ذكر عن زيد بن أسلم انها قالت لهن بعدما كن وطابت أنفسهن
ثم وضعت بين أيديهن أترجا وآت كل واحدة منهن سكيناً هل لكن في النظر إلى يوسف قلن نعم فبعثت اليه تأمره أن يخرج اليهن
فلما رأينه جعلن يقطعن أيديهن ثم أمرته ان يرجع ليرينه مقبلا ومدبراً فرجع وهن يحزنن في أيديهن فلما أحسسن بالآلم ان ذهب
جعلن يولون فقالت أنتن من نظرة واحدة (٢٠٠) فعلمت هذا فكيف آلامنا فقلن حاش لله ما هذا بشر ان هذا الاملاك كريم ثم قلن

لها وما ترى عليك من لوم بعد هذا
الذي رأين لأنهن لم يرين في البشر
شبيهه ولا قريبا منه فانه عليه
السلام كان قد أعطى شطر
الحسن كما ثبت ذلك في الحديث
الصحيح في حديث الاسراء ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم مر
بيوسف عليه السلام في السماء
الثالثة قال فاذا هو قد أعطى شطر
الحسن وقال حماد بن سلمة عن ثابت
عن أنس قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم أعطى يوسف وأمه
شطر الحسن وقال سفيان الثوري
عن أبي إسحق عن أبي الاحوص
عن عبد الله بن مسعود قال
أعطى يوسف واهه ثلث الحسن
وقال أبو إسحق أيضا عن أبي
الاحوص عن عبد الله قال كان وجهه
يوسف مثل البرق وكانت المرأة اذا
أنته لحاجة عطى وجهه مخافة ان
تفتن به ورواه الحسن البصري
مر سلا عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اعطى يوسف واهه ثلث
حسن أهل الدنيا وأعطى الناس
الثلثين أو قال أعطى يوسف وأمه
الثلثين والناس الثلث وقال
سفيان عن منصور عن مجاهد عن

في وقت الصبح وقد تقدم ذكر الصيحة في الاعراف وفي هود وقد تقدم أيضا قريبا (فما أغنى)
أى لم يدفع (عنهم) شيئا من عذاب الله (ما كانوا يكسبون) من الاموال والحصون في
الجبال أو من الشرك والاعمال الخبيثة أخرج البخاري وغيره عن ابن عمر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تصحاب الحجر لا تدخلوا على هؤلاء القوم الا ان تكونوا باكين
فان لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم ان يصيبكم مثل ما أصابهم وأخرج ابن مردويه عنه
قال نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عام غزوة تبوك بالحجر عند بيوت ثود فاستقى
الناس من مياه الابار التي كانت تشرب منها ثود وعجنوا منها ونصبوا القدور بالجم
فامرهم باهراق القدور وعلفوا العجين الابل ثم ارتحل على البئر التي كانت تشرب منها
الناقة ونهاهم ان يدخلوا على القوم الذين عذبوا فقال ائى أخشى ان يصيبكم مثل الذي
أصابهم فلا تدخلوا عليهم (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا) متلبسة
(بالحق) وهو ما فيه مامن الفوائد والمصالح ولذلك اقتضت الحكمة اهلاك أمثال هؤلاء
دفع الفسادهم وارشاد المن بقى الى الصلاح وقيل المراد بالحق مجازاة المحسن باحسانه
والمسيء باسائه كما في قوله سبحانه والله ما فى السموات وما فى الارض ليجزي الذين أساءوا بما
عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى وقيل المراد بالحق الزوال لانها مخلوقة وكل مخلوق
زائل (وان الساعة لا تية) وعند آياتها ينتقم الله من يستحق العذاب ويحسن الى من
يستحق الاحسان وفيه وعيد للعصاة وتهديد ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله
وسلم بان يصفح عن قومه فقال (فاصفح الصغى الجميل) أى تجاوز عنهم واعف عفو
حسننا وقيل فأعرض عنهم اعراضا جديلا ولا تعجل عليهم بالتقام وعاملهم معاملة
الصفوح الخليم قال على الصغى الجميل الرضا بغير عتاب وعن ابن عباس مثله وعن مجاهد
قال هذه الآية قبل القتال وعن عكرمة مثله يعنى هذا منسوخ بآية السيف وفيه بعد
لأن الله أمر نبيه ان يظهر الخلق الحسن وان يعاملهم بالعفو والصفح الخالى من الجزع
والخوف والامر بالصفح الجميل لا ينافى قتالهم (ان ربك هو الخلاق) أى الخالق للخلق
جميعا (العليم) بأحوالهم وبالصالح والطالح منهم (ولقد آتيناك سبعا من المثاني)
من للتبعيض أو للبيان على اختلاف الاقوال في المراد ذلك كرمعى ذلك الزجاج فقال هى
للتبعيض اذا أردت بالسبع الفاتحة والطوال والبيان اذا أردت الاسباع واختلف أهل

ربيعه الجرشى قال قدم الحسن نصفين فاعطى يوسف وأمه سارة نصف الحسن والنصف الآخر بين سائر العلم
الخلق وقال الامام أبو القاسم السهيلي معناه ان يوسف عليه السلام كان على النصف من حسن آدم عليه السلام فان الله خلق
آدم بيده على أكمل صورة وأحسنها ولم يكن في ذريته من يوازنه في جماله وكان يوسف قد أعطى شطر حسنه فلهذا قال
هؤلاء النسوة عند رؤيته حاش لله قال مجاهد وغيره احد ما عاذ الله ما هذا بشر او قرأ بعضهم ما هذا بشرى أى عسى ترى بشرا ان
هذا الاملاك كريم قالت فذلكن الذى لمتننى فيه تقول هذا معذرة اليهن ان هذا حقيق ان يجب لجاله وكاله ولقدر اودته عن

نفسه فاستعظم أي فامتنع قال بعضهم لما رأين جماله الظاهر أخبرتهن بصفاة الحسنه التي تخفي عنهن وهي العفة مع هذا الجمال ثم قالت تتوعده ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وإيكونا من الصاغرين فعد ذلك استعاض يوسف عليه السلام من شرهن وكيدهن وقال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه أي من الفاحشة والاعتصاف عن كيدهن أصاب اليهن أي ان وكلتني إلى نفسي فليس لي منها قدرة ولا أملاك لها خيرا ولا نفعا إلا بجلوك وقوتك أنت المستعان وعليك التكلان فلا تكلني إلى نفسي أصاب اليهن وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه الآية وذلك ان يوسف (٢٠١) عليه السلام عصمه الله عصمة عظيمة وجاه

فامتنع منها أشد الامتناع واختار السجن على ذلك وهذا في غاية مقامات السجالات انه مع شبا به وجاله وكاله تدعوه سيدته وهي امرأة عزيز مصر وهي مع هذا في غاية الجمال والمال والرياسة ويمتنع من ذلك ويختار السجن على ذلك خوفا من الله رجاء ثوابه ولهذا ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تجابيا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفق يمينه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال اني اخاف الله ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه (ثم بداهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننهم حتى حين) يقول تعالى ثم ظهر لهم من المصلحة فيما رأوا أنهم يسجنونه إلى حين أي إلى مدة وذلك بعد ما عرفوا براءته وظهرت الآيات وهي الأدلة على صدقه في عفته

العلم فيما ما ذاهي فقال جهور المفسرين انها الفاتحة قال الواحدى وأكثر المفسرين على انها فاتحة الكتاب وهو قول عمر وعلى وابن مسعود والحسن ومجاهد وقتادة والربيع والسكبي وزاد القرطبي أباهريرة وأبا العالية وزاد النيسابوري الضحاك وسعيد بن جبير وقد روى ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما سألتني بيانه فتعين المصير اليه وقيل هي السبع الطوال البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والاعراف والسابعة الانفال والتوبة لانهما كسورة واحدة اذ ليس بينهما تسمية روى هذا عن ابن عباس وقيل السابعة هي سورة يونس وقيل المراد بها السبعة الاحزاب فانها سبع صحائف وقيل هي السور التي دون الطوال وفوق المنفصل وهي المثني والمثاني جمع مثناة من التثنية وهي التكرير أو جمع مثنية وقال الزجاج ثني بما يقرأ بعددها مع فعل القول الاول يكون وجه تسمية الفاتحة مثاني انها تنفي أي تكرر في كل صلاة وعلى القول بانها السبع الطوال فوجه التسمية ان العبر والاحكام والحدود كررت فيها وعلى القول بانها السبعة الاحزاب يكون وجه التسمية هو تكرير ما في القرآن من القصص ونحوها وقد ذهب إلى ان المراد بالسبع المثاني القرآن كله الضحاك وطاوس وأبو مالك وهوراية عن ابن عباس واستدلوا بقوله تعالى كتابا متشابها مثاني وقيل المراد بالسبع المثاني أقسام القرآن وهي الامر والنهي والتبشير والانداز وضرب الامثال وتعريف النعم وأنباء القرون الماضية قاله زيد بن أبي هريرة ولا يخفى عليك ان تسمية الفاتحة مثاني لا يستلزم في تسمية غيرها بهذا الاسم وقد تقررت المرادة بهذه الآية فلا يقدر في ذلك صدق وصف المثاني على غيرها (والقرآن العظيم) المراد به سائر القرآن قاله ابن مسعود فيكون من عطف العام على الخاص لان الفاتحة بعض من القرآن وكذلك ان اريد بالسبع المثاني السبع الطوال لانها بعض من القرآن ان اريد به القدر المشترك الصادق على الكل والبعض أو من عطف الكل على البعض ان اريد به المجموع الشخصي وأما اذا اريد بها السبعة الاحزاب أو جميع القرآن أو أقسامه فيكون من باب عطف أحد الوصفين على الآخر وما يقوى كون السبع المثاني هي الفاتحة ان هذه السورة مكية وأكثر السبع الطوال مدنية وكذلك أكثر القرآن وأكثر أقسامه وظاهر قوله ولقد آتيناك الخ انه قد تقدم آيات السبع على نزول هذه الآية وقد ثبت في صحيح البخاري من حديث أبي سعيد بن المعلى انه قال له

(٢٦ فتح البيان خامس) وزايمته وكانهم والله أعلم انما سجنوه لما شاع الحديث ايها ما انفرادها عن نفسها وانهم سجنوه على ذلك ولهذا الماطلة الملك الكبير في آخر المدة امتنع من الخروج حتى قتبين براءته مما نسب اليه من الخيانة فلما تقررت ذلك خرج وهو في العرض صلوات الله عليه وسلامه وذكر السدي انهم انما سجنوه لئلا يشيع ما كان منها في حقه وتبراعرضه فيفضحها (ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما اني أراي أعصر خيرا وقال الآخر اني أراي أجمل فوق رأسي خيرا تأكل الطير منه نبشنا بتأويله اننا من المحسنين) قال قتادة كان أحدهما ساقى الملك والآخر خبازة قال محمد بن اسحق كان اسم الذي على الشرايب

بندا والاخر بجلت قال السدي كان سبب حبس الملك اياه ما انه توهم انهما تمالا على منه في طعامه وشرا به وكان يوسف عليه السلام قد اشتهر في السجن بالجود والامانة وصدق الحديث وحسن السمعت وكثرة العبادة صلوات الله عليه وسلامه ومعرفته التعبير والاحسان الى اهل السجن وعبادة مرضاهم والقيام بحقوقهم ولما دخل هذان القتيان الى السجن تألفا به واحباها حبسا شديدا وقالوا له والله لقد احببناك حببا زائدا قال بارك الله فيكما انه ما احبني احد الا دخل على من محبته ضررا حبتني عمي فدخل على الضرر بسبها واحبني ابي فاوديت بسببه واحبتي امرأة (٢٠٢) العزيز فكذلك فقالوا والله ما نستطيع الا ذلك ثم انهما رآيا منا ما فرأى

الساقى انه يعصر خجرا يعني عنبا وكذلك هي في قراءة عبد الله ابن مسعود اني اراني أعصر عنبا ورواه ابن ابي حاتم عن أحمد بن سنان عن زيد بن هرون عن شريك عن الاعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود انه قرأها أعصر عنبا وقال الضحاك في الآية في قوله اني أعصر خجرا يعني عنبا قال وأهل عمان يسمون العنب خجرا وقال عكرمة قال اني رأيت فيما يرى النائم اني غرست حبلة من عنب فنبتت فخرج فيها عناقيد ففصرتهن ثم سقيتهن الملك فقال تمكث في السجن ثلاثة أيام ثم تخرج فتسقيه خجرا وقال الاخر وهو الخباز اني اراني ارجل فوق رأسي خبزنا تأكل الطير منه نبتنا بتأويله الآية والمشهور عند الاكثرين ما ذكرناه انهما رأيا منا ما وطلبا تعبيره وقال ابن جرير حدثنا وكيع وابن حميد قال حدثنا جرير عن عمار بن القعقاع عن ابراهيم عن عبد الله بن مسعود قال ما رأيت صاحبا يوسف شيئا مما كان تحالما ليجربا (قال لا يتكلم)

النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأملك أفضل سورة قبل ان أخرج من المسجد فذهب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليخرج فذكر فقال الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم وأخرج البخاري أيضا من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ام القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم فوجب بهذا المصير الى القول بانها فاتحة الكتاب ولكن تسميتها بذلك لا ينافي تسميتها غير هابه كما قدمنا وعن الضحاك قال المثاني القرآن يذكرك الله القصة الواحدة مرارا وعن زياد بن أبي مريم في الآية قال أعطيتك سبعة أجزاء من وانه وبشر وأندر واضرب الامثال واعدد النعم واتل نبا القرآن ثم لما بين الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ما نعم به عليه من هذه النعمة الدينية نقره الله عن اللذات العاجلة الزائلة فقال (لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم) أي لا تطمح ببصرك الى زخارف الدنيا طموح رغبة فيها وتمن لها قال الواحدى انما يكون مادا عينيه الى الشيء اذا دام النظر نحوه وادامة النظر اليه تدل على استحسانه وتمنيه وقال بعضهم المعنى لا تحسدن أحد اعلى ما أوتي من الدنيا ورد بان الحسد منهي عنه مطلقا وانما قال في هذه السورة لا تمدن بغيره واولانه لم يسبقه طلب بخلاف ما في سورة طه وعن ابن عباس قال في قوله لا تمدن عينيك نهى الرجل ان يتنى مال صاحبه والازواج الاصناف قاله ابن قتيبة وقال الجوهري الازواج القرناء وقيل يعني اليهود والنصارى والنجوس وعن مجاهد في قوله ازواجا منهم قال الاغنياء الامثال والاشباه وعن سفيان بن عيينة قال من أعطى القرآن فعد عينيه الى شيء مما صغر القرآن فقد خالف القرآن ألم تسمع قوله ولقد آتيناك سبعاً من المثاني الى قوله ورزق ربك خير وأبقى وقد فسّر ابن عيينة أيضا الحديث الصحيح ليس منامن لم يتغن بالقرآن فقال ان المعنى لم يستغن به ثم لما نهاه عن الالتفات الى أموالمهم وأمتعتهم نهاه عن الالتفات اليهم فقال (ولا تحزن عليهم) حيث لم يؤمنوا وصموا على الكفر والعناد وقيل المعنى لا تحزن على ما متعوا به في الدنيا وفانك من مشاركتهم فيها فانك لا تحزنه والاول اولى روى البغوي بسنده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تغبطن فاجرا بنعمته فانك لا تدري ما هو لاق بعد موته ان له عند الله قاتلا لا يموت قبل وما هو قال النار وعنه عند مسلم مرفوعا انظروا الى من هو أسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو أجدر ان

طعام ترزقانه الانبياء تكبأ ويه قبل ان يأتى كما ذلك كما علمني ربي اني تركت له قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم لا تزددوا كافرون واتعت ملة آباءى ابراهيم واسحق ويعقوب ما كان لئان نشره بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون) يخبرهما يوسف عليه السلام انهما هما رآيا في منامهما من حلم فانه عارف بتفسيره ويخبرهما بتأويله قبل وقوعه ولهذا قال لا يأتى بك طعام ترزقانه الانبياء تكبأ ويه قبل ان يأتى كما وكذا قال السدي وقال ابن ابي حاتم رحمه الله حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن العلاء حدثنا محمد بن يزيد شيخه عن الحسين

ابن ثوبان عن عكرمة وعن ابن عباس قال ما أدري لعل يوسف عليه السلام كان يعتاف وهو كذلك لاني أجد في كتاب الله حين قال للرجلين لا يأتكما طعام تزرقانه الا نباتا كجاءتكم اياه لاني اجتنبت ملة الكافرين بالله واليوم الآخر فلا يرجون ثوابا ولا عقابا في المعاد واتبع ملة آباء ابراهيم واسحق ويعقوب الاية يقول هجرت طريق الكفر والشرك وسلكت طريق هؤلاء المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهكذا يكون حال من سلك طريق (٢٠٣) الهدى واتبع طريق المرسلين وأعرض عن طريق الضالين فان الله يهدي

قلبه ويعلمه ما لم يكن يعلم ويجعله اماما يقتدي به في الخير وداعيا الى سبيل الرشاد ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس هذا التوحيد وهو الاقرار بان لا اله الا الله وحده لا شريك له من فضل الله علينا أي أوحاه لنا وأمرنا به وعلى الناس ان يجعلنا دعاة لهم الى ذلك ولكن أكثر الناس لا يشكرون أي لا يعرفون نعمة الله عليهم بارسال الرسل اليهم بل بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية حدثنا ججاج عن عطاء بن ابن عباس انه كان يجعل الجدايا ويقول والله لمن شاء لاعنته عند الحجر ما ذكر الله جدا ولا جدة قال الله تعالى يعني اخبارا عن يوسف واتبع ملة آباء ابراهيم واسحق ويعقوب (يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان

لا تزدروا نعمة الله عليكم قال عوف كنت أحب الاغنياء فما كان أحدا أكثرهم ما نيت كنت أرى دابة خيرا من دابتي وثوبا خيرا من ثوبي فلما سمعت هذا الحديث صحبت الفقراء فاسترحت ثم لما نهاه عن ان يمد عينيه الى أموال الكفار وان يحزن عليهم وكان ذلك يستلزم التهاون بهم وبعلمهم أمره ان يتواضع للمؤمنين فقال (واخفص جناحك للمؤمنين) خفص الجناح كناية عن التواضع ولين الجانب ومنه قوله سبحانه واخفص لهم اجناح الذل وأصله ان الطائر اذا ضم فرخه الى نفسه بسط جناحه ثم قبضه على الفرخ فجعل ذلك وصفا لتواضع الانسان لاتباعه ويقال فلان خافض الجناح أي وقور ساكن والجناحان من ابن آدم جانباه ومنه واضم يدك الى جناحك (وقل اني انا النذير المبين) أي المنذر المظهر لقومه ما يصيبهم من عذاب الله (كما أنزلنا على المقتسمين) عذابا أي اني انا النذير لكم من عذاب مثل عذاب المقتسمين الذي أنزلناه عليهم كقوله تعالى أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وقيل ان الكفار زائدة وقيل متعلق بحذوف والتقدير أنزلنا اليك انزالا مثل ما أنزلنا قالة الكرنخي وقيل هو متعلق بقوله ولقد آتيناك أي أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا على أهل الكتاب وهم المقتسمون قالة الرنحشري والاولى ان يتعلق بقوله اني أنا النذير المبين لانه في قوة الامر بالانذار وقد اختلف في المقتسمين منهم على أقوال سبعة فقال مقاتل والفراء هم ستة عشر رجلا بينهم الوليد بن المغيرة أيام الموسم فاقسموا أعقاب مكة وأنقابها وجاجها يقولون لمن دخل مكة لا تغتروا بهذا الخراج فينا فانه مجنون وربما قالوا ساخر وربما قالوا شاعر وربما قالوا كاهن فقبل لهم المقتسمون لانهم اقتسموا هذه الطرق وقيل انهم قوم من قريش اقتسموا كتاب الله فجعلوا بعضه شعرا وبعضه سحرا وبعضه كهانة وبعضه أساطير الاولين قالة قتادة وقيل هم أهل الكتاب وسماهم مقتسمين لانهم كانوا يقسمون القرآن أسماهم فاقسموا بعضهم هذه السورة على وهذه للثروى هذا عن ابن عباس وقيل انهم اقتسموا كتابهم وفرقوه وبتدوهم وحر فوه وقيل المراد قوم صالح تقاسموا على قتله فسموا مقتسمين كما قال تعالى تقاسموا بالله لنبيتهن وأهل قلت وفي هذا الوجه قرب من حيث المقاسمة وبعد من حيث وصفهم يجعلهم القرآن عشرين وأما الوجه الآخر فهي مستقيمة وقيل تقاسموا ايماننا تحالفوا عليها قالة الاخفش وقيل انهم العاصم بن واثل وعممة وشيبة ابنا

ان الحكم الله أمر الاتعبدوا الاياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ثم ان يوسف عليه السلام أقبل على الفتيين بالمخاطبة والدعاء لهما الى عبادة الله وحده لا شريك له وخلص ما سواه من الاوثان التي يعبدونها قومهم فقال أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار أي الذي ذل كل شيء لعز جلاله وعظمته سلطانه ثم بين لهما ان التي يعبدونها ويسمونها آلهة انما هي جعل منهن وتسمية من تلقاها خلفهم عن سلفهم وليس لذلك مستند من عند الله ولهذا قال ما أنزل الله بها من سلطان أي حجة ولا برهان ثم أخبرهم ان الحكم والتصرف والمشيئة كله لله وقد أمر عبادة قاطبة أن لا يعبدوا الاياه ثم قال تعالى ذلك الدين القيم

أى هذا الذى أدعوكم اليه من توحيد الله وإخلاص العمل له هو الدين المستقيم الذى أمر الله به وأنزل به الحجة والبرهان الذى يحبه ويرضاه ولكن أكثر الناس لا يعلمون أى فلهذا كان أكثرهم مشركين وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وقد قال ابن جرير انما عدل بهم يوسف عن تعبير الرؤيا الى هذا لانه عرف انها ضارة لاحدهما فاحب ان يشغلها ما بغير ذلك لتلايعا ودوده فيها فعادوه فاعاد عليهم الموعظة وفي هذا الذى قاله نظر لانه قد وعدهما ألا تعبيرها ولكن جعل سؤالهما له على وجه التعظيم والاحترام وصله وسببها الى دعاهما الى التوحيد والاسلام (٢٠٤) لما رأى في سجنهما من قبول الخير والاقبال له والانصات اليه ولهذا المفاخر

ربيعه وأبو جهل بن هشام وأبو الجحترى والنضر بن الحرث وامية بن خلف وشيبة بن الجراح ذكره الماوردي (الذين جعلوا القرآن عضين) جمع عضنة وأصلها عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها أعضاء وأجزاء فيكون المعنى على هذا الذين جعلوه أجزاء متفرقة بعضه شعر وبعضه سحر وبعضه كهانة ونحو ذلك وقيل مأخوذ من عضته اذا بهته فالمحذوف منه الهاء لا الواو وجعت العضة على المعنيين جمع العقلاء وقيل معنى عضين اي انهم يعض الكلاب وكفرهم ببعض وقيل العضة والعضين في لغة قريش السحر وهم يقولون للساحر عاضه وللساحرة عاضه وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعن العاضة والمستعضة وفسر بالساحرة والمستسحرة والمعنى انهم أكثروا البهت على القرآن وسموه سحرا وكذبا واساطير الاولين ونظير عضته في النقصان شفته والاصل شفهة وكذلك سنة أصلها سنية قال الكسائي العضة الكذب والبهتان وجمعها عضون وقال الفراء انه مأخوذ من العضاه وهي شجرة تؤذى وتجرح كالشوك ويجوز ان يراد بالقرآن التوراة والانجيل لكونهما مما يقرأ ويراد بالمقتسمين هم اليهود والنصارى أى جعلوهما أجزاء متفرقة وهو أحد الأقوال المتقدمة (فوربك) أقسم الله سبحانه بنفسه الكريمة وربوبيته العظيمة (لنساءنهم) أى هؤلاء الكفرة (أجمعين) يوم القيامة سؤال توبيخ (عما كانوا يعملون) في الدين ان الأعمال التي يحاسبون عليها ويسألون عنها وقيل ان المراد سؤالهم عن كلمة التوحيد وقد أخرج الترمذي وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الآية قال عن قول لاله الا الله وروى عن أنس موقوفا عن ابن عمر مثله والعموم يفيد ما هو أوسع من ذلك وقيل ان المسؤولين ههنا هم جميع المؤمنين والعصاة والكفارو يدل عليه قوله ثم لتسألن يومئذ عن النعيم وقوله وقفوهم انهم مسؤولون وقوله ان الينا اياهم ثم ان علينا حسابهم ويمكن ان يقال ان قصر هذا السؤال على المذكورين في السياق وصرف العموم اليهم لا ينافي في سؤال غيرهم (فاصدع بما تؤمر) قال الزجاج يقول أظهر ما تؤمر به من الشرائع أخذ من الصديع وهو الصبح انتهى وأصل الصدع الفرق والشق يقال صدعته فأنصدع أى انشق وتصدع القوم أى تفرقوا ومنه يومئذ يصدعون أى يتفرقون قال الفراء أراد فاصدع بالامر أى أظهر دينك فاصدع الفعل على هذا بنزلة

من دعوتهم ما شرع في تعبير رؤياهما من غير تكرار سؤال فقال (يا صاحبي السجن) أى أحد كما في سقري ربه خيرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضى الامر الذى فيه تستفتيان) يقول لهما يا صاحبي السجن أى أحد كما في سقري ربه خيرا وهو الذى رأى انه يعصر خيرا ولكنه لم يعينه لتلايح جزن ذلك ولهذا أبهمه في قوله وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه وهو في نفس الامر الذى رأى انه يحمل فوق رأسه خبز اثم أعلمهما ان هذا قد فرغ منه وهو واقع لا محالة لان الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فاذا عبرت وقعت وقال الثوري عن عمار بن القعقاع عن عبد الله قال لما قالوا ما قالوا وأخبرهما قال ما رأى يا ناسيا فقال قضى الامر الذى فيه تستفتيان ورواه محمد بن فضيل عن عماره عن ابراهيم عن علقمة عن ابن مسعود به وكذا فسره مجاهد وعبد الرحمن بن زيد ابن أسلم وغيرهم وحاصله ان من تحلم بباطل وفسره فانه يلزم بتأويله والله أعلم وقد ورد

في الحديث الذى رواه الامام أحمد عن معاوية بن حيدة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فاذا عبرت وقعت وفي مسند ابي يعلى من طريق يزيد الراشعي عن أنس مرفوعا الرؤيا لا أول عابر (وقال للذي ظن انه ناج منهم ما اذ كرتي عند ربك فانساه الشيطان ذكره قلبت في السجن بضع سنين) لما ظن يوسف عليه السلام ان الساقى ناج قال له يوسف خفية عن الآخر والله أعلم لتلايشعره انه المصلوب قال له اذ كرتي عند ربك يقول اذ كرتي عند ربك وهو الملك فتسى ذلك الموصى ان يذ كر مولاه الملك بذلك وكان من جملة تكايد الشيطان لتلايطلع نبي الله من السجن هذا هو الصواب

المصدر

ان الضمير في قوله فانساه الشيطان ذكره عائذ على الناجي كما قاله مجاهد ومحمد بن اسحق وغير واحد ويقال ان الضمير عائذ على يوسف عليه السلام رواه ابن جرير عن ابن عباس ومجاهد أيضاً وعكرمة وغيرهم وأسند ابن جرير ههنا حديثاً فقال حدثنا ابن وكيع حدثنا عمرو بن محمد عن ابراهيم بن يزيد عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس مر فوعا قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لولم يقل يعني يوسف الكامة التي قال مالبت في السجن طول مالبت حيث يتبعني الفرج من عند غير الله وهذا الحديث ضعيف جدا الان سفيان بن وكيع ضعيف و ابراهيم بن يزيد هو الجوزي أضعف (٢٠٥) منه أيضاً وقد روى عن الحسن وقتادة مر سلا

عن كل منهما وهذه المرسلات ههنا لا تقبل لوقبل المرسل من حيث هو في غيرها هذا الموطن والله أعلم وأما البضع فقال مجاهد وقتادة هو ما بين الثلاث الى التسع وقال وهب بن منبه مكث أيوب في البلاء سبعاً ويوسف في السجن سبعاً وعذب بختنصر سبعاً وقال الخنك عن ابن عباس رضي الله عنهما ما لبث في السجن بضع سنين قال ثنتا عشرة سنة وقال الخنك أربعة عشرة سنة (وقال الملك اني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يأبها الملا أفتون في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين وقال الذي نجاهم ما واد كبر بعد أمة أنا نبئكم بتأويله فارسا عن يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلنا نرجع الى الناس لعلهم يعلمون قال تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلاً مما تأكلون

المصدر وقال ابن الاعرابي معناه اقصد وقيل فرق جمعهم وكلهم بان تدعوهم الى التوحيد فانهم يتفرقون والاولى ان الصدع الاظهار كما قاله الزجاج والفراء وغيرهما قال الواحدى قال المفسرون أى اجهر بالامر أى اهرك بعد اظهار الدعوة وما زال النبي صلى الله عليه وآله وسلم مستقفا حتى نزلت هذه الآية فخرج هو وأصحابه وقال ابن عباس هذا أمر من الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم بتبليغ رسالته قومهم وجميع من أرسل اليه واصدع بمعنى أمضه وأعلن ثم أمره الله سبحانه بعد أمره بالصدع بالأعراض وعدم الالتفات الى المشركين فقال (وأعرض عن المشركين) أى لا تبال بهم ولا تلتفت اليهم اذا لمولك على اظهار الدعوة قال ابن عباس نسخة قوله تعالى واقتلوا المشركين وليس للنسخ وجه لان معنى الاعراض ترك المبالاة بهم والالتفات اليهم فلا يكون منسوخاً ثم أكد هذا الامر وثبت قلب رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله (انا كفيئنا لك المستهزئين) مع انهم كانوا من أكبر الكفار وأهل الشوكه فيهم فاذا كفاه الله أمرهم بقمهم وتدميرهم كفاه أمر من هو دونهم بالاولى وهو الاستهزؤن كانوا خمسة من رؤساء أهل مكة الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن المطلب والاسود بن عبد يغوث والحارث بن الظاملة كذا قال القرطبي ووافقه غيره من المفسرين وقد أهلكهم الله جميعاً يوم بدر وكفاه أمرهم في يوم أحد وقد روى هذا عن جماعة من الصحابة مع زيادة في عددهم ونقص على طول في ذلك ثم وصف هؤلاء المستهزئين بالشرك فقال (الذين يجعلون مع الله الهة أخرى) فلم يكن ذنبهم مجرد الاستهزاء بل لهم ذنب آخر وهو الشرك بالله سبحانه ثم توعدهم فقال (فسوف يعلمون) كيف عاقبتهم في الآخرة وما يصيبهم من عقوبة الله سبحانه ثم ذكر تسليمة أخرى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد التسليمة الاولى بكفايته شرهم ودفعه مكرهم فقال (ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون) الاقوال الكفرية المتضمنة للطعن على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالسحر والجنون والكهانة والكذب وقد كان يحصل ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمقتضى الجلبه البشرية والمزاج الانساني وان كان مفوضاً لجميع أموره لربه ثم أمره سبحانه بان يفرغ لكشف ما نابيه من ضيق الصدر الى تسبيح الله سبحانه وحده فقال (فسبح بحمده ربك) أى افرغ الى الله فيما نابك وافعل التسبيح المتلبس بالحمد أو فترزه عما يقولون حامدا له على أن هذا الحق (وكن من

ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداًياً كن ما قدمت لهم الا قليلاً مما تحصنون ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون هذه الرؤيا من ملك مصر مما قدر الله تعالى انها كانت سبباً لخروج يوسف عليه السلام من السجن معززاً مكرماً وذلك أن الملك رأى هذه الرؤيا فهااته وتعب من أمرها وما يكون تفسيرها مع الكهنة والخرافة وكار دولته وأمره فقص عليهم ما رأى وسألهم عن تأويلها فلم يعرفوا ذلك واعتذروا اليه بانها أضغاث أحلام أى اخلط أحلام اقتضته رؤياك هذه وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين أى لو كانت رؤيا صحيحة من اخلط لما كان لنا معرفة بتأويلها وهو تعبيرها فعد ذلك تذكري الذي نجاهم من ذينك القسيين اللذين كانا

في السجن مع يوسف وكان الشيطان قد أنساه ما وصاه به يوسف من ذكر أمره للملك فعند ذلك تذكر بعد أمة أي مدة وقرأ بعضهم بعد أمة أي بعد نسيان فقال لهم أي للملك والذين جمعهم لذلك أنا أنبئكم بأمره أي بأمره الذي أرسلوني إلى يوسف الصديق إلى السجن ومعنى الكلام فبعثوه فجاء فقال يوسف أيها الصديق اقتناؤك من المنام الذي رآه الملك فعند ذلك ذكره يوسف عليه السلام بتعبيرها من غير تعنيف للفتى في نسيانه ما وصاه به ومن غير استشراف للخروج بل قال تزرعون سبع سنين دأبأ أي يأتيكم الخصب والمطر سبع سنين متواليات ففسر (٢٠٦) البقر بالسنين لأنها تثير الأرض التي تستقل منها الثمرات والزرع وهن

السنبلات الخضراء ثم أرشدهم إلى ما يعتدونه في تلك السنين فقال فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما نأكلون أي مهما استغليتم في هذه السبع السنين الخصب فاذخروه في سنبله ليكون أبقى له وأبعد عن اسراع الفساد اليه الا المقدر الذي تأكلونه وليكن قليلا قليلا لا تسرفوا فيه لتنتفعوا في السبع الشداد وهن السبع السنين الخجل التي تعقب هذه السبع المتواليات وهن البقرات العجاف اللاتي تأكل السمان لان سنى الجذب يؤكل فيها ما جمعوه في سنى الخصب وهن السنبلات اليابسات وأخبرهم انهن لا ينبتن شيئا وما بذروه فلا يرجعون منه الى شيء ولهذا قال يا كلن ما قد دمتم

لهن الا قليلا مما تحصنون ثم بشرهم بعد الجذب العاصم المتوالي بان يعقبهم بعد ذلك عام فيه يغاث الناس أي يأتيهم الغيث وهو المطر وتغسل البلاد ويعصر الناس ما كانوا يعصرون على عادتهم من زيت ونحوه وسكر ونحوه حتى قال بعضهم يدخل فيه حلب اللبن أيضا

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وفيه يعصرون يحلبون (وقال الملك استوفى به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فيها فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ان ربي بكيدهن عليم قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الان حصص الحق ان اراودته عن نفسه وانها لمن الصادقين ذلك ليعلم اني لم أخنه بالغيب وان الله لايهدي كيد الخائنين وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم) يقول تعالى اخبارا عن الملك لما رجعوا اليه بتعبير رؤياه التي كان رآها عما أعجبه واني قد فعرف فضل يوسف عليه السلام وعلمه وحسن اطلاعه على رؤياه وحسن

الساجدين) اي من المصلين فانك اذا فعلت ذلك كشف الله همك وأذهب غمك وشرح صدرك وفي الكلام مجاز ثم أمره بعبادة ربه فقال (واعبد ربك) من عطف العام على الخاص أي دم على عبادته الى غاية هي قوله (حتى يأتيك اليقين) قال الواحدى قال جماعة المفسرين يعني الموت لانه موقن به متيقن الوقوع والتزول لا يشك فيه احد وقال أبو حيان ان اليقين من أسماء الموت وبنزوله يزول كل شك ووقت العبادة بالموت اعلام بانها ليس لها نهاية دون الموت فلا يرد ما قيل أي فائدة لهذا التوقيت مع ان كل أحد يعلم انه اذا مات سقطت عنه العبادات وايضاح الجواب ان المراد واعبد ربك في جميع زمان حياتك ولا تحل لحظة من لحظات الحياة من العبادة والله أعلم بمراده قال الزجاج المعنى اعبد ربك أي ابد الاله لو قيل اعبد ربك بغير توقيت لحاز اذا عبد الانسان مرة أن يكون مطيعا فاذا قال حتى يأتيك اليقين فقد أمره بالاقامة على العبادة أبدا مادام حيا ومثله قوله تعالى في سورة مريم وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وكان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اذا حزن به أمر فزع الى الصلاة أخرج سعيد بن منصور وابن المنذر والحاكم في التاريخ وابن مردويه والديلمي عن أبي مسلم الخولاني قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أوحى الى ان اجمع المال وكن من التجارين واسكن أوحى الى أن سبج بمدر بك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وروى بطرق كثيرة

* (سورة النمل مائة وثمان وعشرون آية) *

وهي مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر بن عبد الله وروى عن ابن عباس وابي الزبير انها نزلت بمكة سوى ثلاث آيات من آخرها فانهم نزلن بين مكة والمدينة في منصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أحد وهي قوله تعالى ولا تستروا بهما الله ثمنا قليلا الى قوله تعلمون وقال قتادة هي مكية الا خمس آيات وهي قوله والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا وقوله ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما ظلموا وقوله وان عاقبتهم الى آخر السورة وزاد مقاتل قوله من كفر بالله من بعد ايمانه الآية وضرب الله مثلا قرية وحكي الاصم عن بعضهم انها كلها مدنية والاول أولى وتسمى هذه سورة النعم بسبب ما عدد الله

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وفيه يعصرون يحلبون (وقال الملك استوفى به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فيها فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ان ربي بكيدهن عليم قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الان حصص الحق ان اراودته عن نفسه وانها لمن الصادقين ذلك ليعلم اني لم أخنه بالغيب وان الله لايهدي كيد الخائنين وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم) يقول تعالى اخبارا عن الملك لما رجعوا اليه بتعبير رؤياه التي كان رآها عما أعجبه واني قد فعرف فضل يوسف عليه السلام وعلمه وحسن اطلاعه على رؤياه وحسن

اخلاقه على من يبلده من رعاياه فقال انوني به اى أخرجه من السجن وأحضره فلما جاءه الرسول بذلك امتنع من الخروج حتى تحقق الملك ورعيته براءة ساحته وزناهة عرضه مما نسب اليه من جهة امرأة العزيز وان السجن لم يكن على أمر يقتضيه بل كان ظلما وعدوانا فقال ارجع الى ربك الآية وقد وردت السنة بمدحه على ذلك والتبنيه على فضله وشرفه وعلو قدره وصبره صلوات الله وسلامه عليه ففي المسند والصحاحين من حديث الزهري عن سعيد وأبي سلمة عن ابي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالشك من ابراهيم اذ قال رب ارنى كيف تحيي الموتى الآية (٢٠٧) ويرحم الله لوطا لقد كان يأوى الى ركن شديد ولوليت في السجن ما لبث يوسف لاجتبت الداعى وفي لفظ لاجد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ان ربي بيدهن علم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كنت أنا لاسرعت الاجابة وما ابتغيت العذرة وقال عبد الرزاق أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما أجبتهم حتى أشرط أن يخرجوني ولقد عجت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له حين أتاه الرسول ولو كنت مكانه لبادرتهم الباب ولكنه أراد أن يكون له العذر هذا حديث مرسل وقوله تعالى قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه اخبار عن الملك حين جمع النسوة اللاتي قطعن أيديهن عند امرأة العزيز فقال مخاطبا لهن كاهن وهو يريد امرأة

فيهما من النعم

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(أنى أمر الله) اى جاء ودنا وقرب عقابه للمشركين بالقتل بالسيف والتعذيب بالماضى لتحقيق وقوعه وقال جماعة من المفسرين الامر القيامة قال الزجاج هو ما وعدهم به من المجازاة على كفرهم ولما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين ويشير باصبعيه يدهما أخر جاء في الصحاحين من حديث سهل بن سعد وقيل ان المراد بالامر حكمه بذلك وقد وقع وأنى فاما المحكوم به فانه لم يقع لانه سبحانه حكيم بوقوعه في وقت معين فقبل مجي ذلك الوقت لا يخرج الى الوجود وقيل المراد بآتيانه اتيان مبادئه ومقدماته وقال الضحاك يعنى الاحكام والحدود والقوانين (فلا تستعجلوه) اى فلا تطلبوا حضوره قبل ذلك الوقت فانه واقع لاحتماله ولا خير لكم فيه ولا خلاص لكم منه وقد كان المشركون يستعجلون العذاب كما قال النضر بن الحرث اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء الآية والمعنى قرب أمر الله فلا تستعجلوه وقوعا وقد كان استعجالهم على طريقة الاستهزاء من دون استعجال على الحقيقة وفيهم عن الاستعجال تهكم بهم (سبحانه وتعالى عما يشركون) اى تنزه الله وترفع عن اشراكهم أو عن أن يكون له شريك وشركهم ههنا هو ما وقع منهم من استعجال العذاب وقيام الساعة استهزاء وتكديفا فانه يتضمن وصفهم له سبحانه بأنه لا يقدر على ذلك وانه عاجز عنه والعجز وعدم القدرة من صفات الخلق لامن صفات الخالق فكان ذلك شركا وهذه الجملة تنازع فيها العاملان وفيه التفات من الخطاب الى الغيبة تحقيرا لشأنهم وحطال درجتهم عن رتبة الخطاب وفي قراءة سبعية باتاءه ومصدرية فلا عائد لها عند الجمهور أو موصولة كما قاله السمين اى عما يشركونه به وما عبارة عن الاصنام (ينزل الملائكة) قرى بالياء التحتية والفاعل هو الله سبحانه وقرى تنزل من التفعول والاصل تنزل فالفعل مستند الى الملائكة وقرى تنزل على البناء للمفعول وتنزل بالنون والمراد بالملائكة هنا جبريل وعبر عنه بالجمع تعظيما له (بالروح) هو الوحي قاله ابن عباس ومثله يلقي الروح من أمره وسمى الوحي روحا لانه يحيى قلوب المؤمنين فان من جملة الوحي القرآن وهو نازل من الدين منزلة

وزيره العزيز قال الملك للنسوة اللاتي قطعن أيديهن ما خطبكن اى شأنكن وخبركن اذ راودتن يوسف عن نفسه يعنى يوم الضيافة قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء أى قالت النسوة جوا بالملك حاش لله أن يكون يوسف متهما والله ما علمنا عليه من سوء فعند ذلك قالت امرأة العزيز الآن ححص الحق قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد تقول الآن بين الحق وظهور وبرز أناراودته عن نفسه وانه لمن الصادقين في قوله هي راودتن عن نفسه ذلك ليعلم اني لم أخنه بالغيب تقول انما اعترفت به هذا على نفسه ليعلم زوجي اني لم أخنه بالغيب في نفس الامر ولا وقع المحذور الاكبر وانما راودت هذا الشاب امرأودة فامتنع فلماذا اعترفت ليعلم

اني بريته وان الله لا يهدي كيد الخائنين وما أبرئ نفسي تقول المرأة واست أبرئ نفسي فان النفس تتحدث وتتمنى ولهذا راودته لان النفس لا مارة بالسوء الا مارحمر بنى اى الامن عصمه الله تعالى ان ربي غفور رحيم وهذا القول هو الاشهر والاليق والانسب بسياق القصة ومعاني الكلام وقد حكاه الماوردي في تفسيره واتدب لنصره الامام ابو العباس بن تيمية رحمه الله فافرده بتصنيف على حدة وقد قيل ان ذلك من كلام يوسف عليه السلام يقول ذلك ليعلم اني لم اخنه في زوجته بالغيب الايتين وهذا القول هو الذي لم يحدث ابن جرير ولا ابن ابى حاتم سواه قال ابن (٢٠٨) جريحدثنا ابو كريب حدثنا وكيع عن اسرايل عن سماعة عن عكرمة

عن ابن عباس قال لما جمع الملك النسوة فسألهن هل راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز لان حخصص الحق الآية قال يوسف ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب فقال له جبريل عليه السلام ولا يوم هممت بما هممت به فقال وما أبرئ نفسي الآية وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبيرة وعكرمة وابن ابي الهذيل والضحك والحسن وقتادة والسدي والقول الاول أقوى وأظهر لان سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز بمحضرة الملك ولم يكن يوسف عليه السلام عندهم بل بعد ذلك أحضره الملك وقال الملك اتوني به أستخلصه لنفسى فلما كلمه قال انك اليوم لدينامكين أمين قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم يقول تعالى اخبارا عن الملك حين تحقق براءة يوسف عليه السلام ونزاهة عرضه مما نسب اليه قال اتوني به أستخلصه لنفسى اى اجعله من خاصتى وأهل مشورتي فلما كلمه اى خاطبه الملك وعرفه

الروح من الجسد وبه قال الحسن فالتعبير بالروح عن الوحي على طريق الاستعارة التصريحية بجماع ان الروح به احياء البدن والوحي به احياء القلوب من الجهالات وقيل المراد ارواح الخلائق وقيل الرحمة وقيل الهداية لانها تحييها القلوب كما تحيي الابدان بالارواح قال الزجاج الروح ما كان فيسه من الله حيا بالارشاد الى امره وقال ابو عبيدة الروح هنا جبريل ويكون الباء على هذا بمعنى مع وعن ابن عباس قال الروح امر من امر الله وخلق من خلق الله وصورهم على صورة بنى آدم وما ينزل من السماء ملك الاومعه واحد من الروح ثم تلا يوم يقوم الروح والملائكة صفا ومن في (من امره) بيانية اى ناشئا ومبتدئا من امره اوصفة للروح او متعلق ينزل (على من يشاء من عباده) يعنى من يصطفيه للنسوة والرسالة وتبليغ الوحي الى الخلق وهم الانبياء ووجه اتصال هذه الجملة بما قبلها انه صلى الله عليه وآله وسلم لما أخبرهم عن الله انه قد قرب امره ونهاهم عن الاستعجال ترددوا في الطريق التي علم بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك فآخبرانه علم بها بالوحي على ألسن رسل الله سبحانه من ملائكته (ان أنذروا) قال الزجاج اى ينزلهم بان أنذروا اى والمعنى بان الشأن أقول لكم أنذروا اى أعلموا الناس وعبارة البيضوى وان مفسرة لان الروح بمعنى الوحي الدال على القول او مصدرية في موضع الخبر بدلان الروح او النصب بنزع الخافض او مخففة من الثقيلة (انه لا اله الا أنا) اى مروهم بتوحيدى وأعلموهم ذلك مع تخويفهم لان في الانذار تخويفا وتهديدا والضمير في انه للشان (فاتقون) رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود والخطاب للمستعجلين على طريق الالتفات وهو تحذير لهم من الشرك بالله والقاء فصيحة وفي الشهاب اذا كان الانذار بمعنى التحويف فالظاهر دخول فاتقون في المنذبه لانه هو المنذبه في الحقيقة واذا كان بمعنى الاعلام فالقصد بالاعلام هو الجملة الاولى وهذا متفرع عليها انتهى وفيه تنبيه على الاحكام القرعية بعد التنبيه على الاحكام العلمية بقوله انه لا اله الا أنا فقد جمعت هذه الآية بين الاحكام الاصلية والقرعية ثم انه سبحانه لما أرشدهم الى توحيدده ذكر دلائل التوحيد فقال (خلق السموات والارض) اى أوجدهما على هذه الصفة التي هما عليها (بالحق) اى للدلالة على قدرته ووحدايته وقيل المراد بالحق هنا الفناء والزوال (تعالى) الله (عما يشركون) اى تقصد وترفع عن اشراكهم أو عن شريكه الذي يجعلونه شريكا له

ورأى فضله وبراعته وعلم ما هو عليه من خلق وخلق وكال قال له الملك انك اليوم لدينامكين أمين اى انك عندنا قد بقيت ذامكنا وأمانة فقال يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم مدح نفسه ويجوز للرجل ذلك اذا جهل أمره للحاجة وذكر انه حفيظ اى حازن أمين عليم ذو علم وبصيرة بما يتولاه وقال شيبه بن نعامه حفيظ لما استودعتني عليم بسنى الجدي رواه ابن ابى حاتم وسأل العمل لعلمه بقدرته عليه ولم يافيه من المصالح للناس وانما سأل ان يجعله على خزائن الارض وهي الاهرام التي يجمع فيها الغلات لما يستقبلونه من السنين التي أخبرهم بشأنها فيتصرف لهم على الوجه

الاحوط والاصح والارشاد فاجيب الى ذلك رغبة فيه وتكرمه له ولهذا قال تعالى (وكذلك مكأليوسف في الارض يتبوء آمنها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء) ولا نضيع أجر المحسنين ولا أجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون) يقول تعالى وكذلك مكأليوسف في الارض اي ارض مصر يتبوء آمنها حيث يشاء قال السدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم يتصرف فيها كيف يشاء وقال ابن جرير يتخذ منها منزلا حيث يشاء بعد الضيق والحسب والاثار نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين أي وما أضعنا صبر يوسف على أذى اخوته وصبره على الحبس بسبب امرأة العزيز فلهذا (٢٠٩) عقبه الله عز وجل السلام والنصر والتأييد

ولا نضيع أجر المحسنين ولا أجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون يخبر تعالى ان ما ادخره الله تعالى لنبيه يوسف عليه السلام في الدار الآخرة أعظم وأكثر وأجل مما خوله من التصرف والمنفوذ في الدنيا كقوله في حق سليمان عليه السلام هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وان له عندنا زناجق وحسن ما ب والغررض ان يوسف عليه السلام ولا مملك مصر الريان بن الوليد الوزارة في بلاد مصر مكان الذي اشتراه من مصر زوج التي راودته وأسلم الملك على يد يوسف عليه السلام قاله مجاهد وقال محمد بن اسحق لما قال يوسف للملك اجعلني عـلى خزائن الارض اني حفيظ عليم قال الملك قد فعلت فولاه فيمآذ كروا عمل اظفير وعزل اظفير عما كان عليه يقول الله عز وجل وكذلك مكأليوسف في الارض يتبوء آمنها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين قال فذ كر لي والله اعلم ان اظفير هلك في تلك اللبالي وان الملك الريان بن الوليد زوج يوسف امرأة اظفير راعيل وانها

وقيل عما يشركونه من الاصنام أو منهم ما أي السموات والارض ثم لما كان نوع الانسان أشرف أنواع المخلوقات السفلية قدمه وخصه بالذ كرفقال (خلق الانسان) وهو اسم الجنس هذا النوع (من نطفة) اي من جماد يخرج من حيوان وهو المني فقلبه أطوارا الى ان كملت صورته ونفخ فيه الروح وأخرجه من بطن أمه الى هذه الدار فعاش فيها ومن لا تسد الغاية وانتهأؤها محذوف كما قرره الكرخي والنطفة القطرة من الماء يقال نطف رأسه ماء أي قطره وقيل هي الماء الصافي ويعبر بها عن ماء الرجل والمرأة جمعها نطف ونطاق ولا يستعمل للنطفة فعل من لفظها (فأذاهو) بعد خلقه على هذه الصفة (خصيم) كثير الخصومة والمجادلة والمعنى انه كالتخاصم لله سبحانه في قدرته (ميمين) ظاهر الخصومة وواضحها وقيل بين عن نفسه ما يخاصم به من الباطل والمبين هو المقصع عما في ضميره بمنطقه ومثله قوله تعالى أو لم ير الانسان أن اخلقناه من نطفة فأذاهو خصيم ميمين قيل نزلت في أبي بن خلف والاولى انها عامة في كل ما يقع من الخصومة في الدنيا ويوم القيامة فانه لا اعتبار بخصوص السبب اذا اقتضى المقام العموم كما تقرر قال الكرخي ان هذه ذكرت لتقرير الاستدلال على وجود الصانع الحكيم لا لتقرير وقاحة النامس وتماديهم في الغي والكفر ثم عقب ذ ك رخلق الانسان يخلق الانعام لما فيها من النفع لهذا النوع والامتنان بها أكمل من الامتنان بغيرها فقال (والانعام خلقها) وهي الابل والبقر والغنم ويدخل في الغنم المعز وأكثر ما يقال نعم وأنعام للابل ويقال للمجموع ولا يقال للغنم مفردة وقال الجوهرى والنعم واحد الانعام وأكثر ما يقع هذا الاسم على الابل ثم لما أخبر سبحانه بانه خلقها لابي آدم بين المنفعة التي فيها لهم قال الواحدى تم الكلام عند هذا ثم ابتدأ فقال (لكم فيها دفء) ويجوز أن يكون تمامه عند قوله لكم والاول أولى وأحسن والدفء سخانة وهو ما استفدى به من أصوافها وأوبارها وأشعارها قال ابن عباس دفء الثياب أي من الاكسية والاردية قال بعض المفسرين ان في الآية التفاتا من الغيبة في الانسان الى الخطاب في لكم فيقتضى ان الخطاب مطلق بن آدم المتدرجين تحت الانسان (ومنافع) اي ما ينتفعون به من الاطعمة والاشربة قاله ابن عباس وهي درها وركوبها وتاجها والحراثة ونحو ذلك وقد قيل ان الدفء نتاج اللبن قال في الصحاح الدفء نتاج الابل وألبانها وما ينتفع به منها ثم قال والدفء أيضا السخونة وعلى هذا

(٢٧ فتح البيان خامس) حين دخلت عليه قال لها أليس هذا خيرا مما كنت تريدين قال فيزعمون انها قالت أيها الصديق لا تلتني فاني كنت امرأة كما ترى حسناء جميلة ناعمة في ملك وديناو كان صاحبى لا يأتى النساء وكنت كما جعلك الله في حسنتك وهيئتك على ما رأيت فيزعمون انه وجدها عذراء فاصابها فولدت له رجلين أفرأيم بن يوسف وميشاب بن يوسف وولد لأفرأيم نون والديوشع بن نون ورجة امرأأة أيوب عليه السلام وقال الفضيل بن عياض وقفت امرأأة العزيز على ظهر الطريق حتى مر يوسف فقالت الحمد لله الذي جعل العبيد ملوكا بطاعته والمملوك عبيدا بمعصيته (وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ولما جهزهم

بجهازهم قال اتوني بأخ لكم من أيكم ألاترون أنى أوفى الكيل وأناخير المتراين فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقر بون قالوا سناود عنه أباده واننا نعلمون وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفون اذا انقلبوا الى أهلهم لعلهم يرجعون ذكر السدي ومحمد بن اسحق وغيرهما من المفسرين ان السبب الذي أقدم اخوة يوسف بلادمصر ان يوسف عليه السلام لم يباشر الوزارة بمصر ومضت السبع سنين المنخبة ثم نلتها السبع سنين المحدبة وعم القحط بلادمصر بكلها ووصل الى بلاد كنعان وهى فيها يعقوب عليه السلام وأولاده وحينئذ احتاط يوسف (٢١٠) عليه السلام للناس في غلاتهم وجعلها أحسن جمع فحصل من ذلك

مبلغ عظيم وهدايا متعددة هائلة وورد عليه الناس من سائر الأقاليم والمعاملات يتسارون لانفسهم وعيالهم فكان لا يعطى الرجل أكثر من حمل بعير في السنة وكان عليه السلام لا يشبع نفسه ولا يأكل هو والمالك وجنوده مما الاكلة واحدة في وسط النهار حتى يتسكفا الناس بما في أيديهم مدة السبع سنين وكان رحمة من الله على أهل مصر وما ذكره بعض المفسرين من انه باعه في السنة الاولى بالاموال وفي الثانية بالمتاع وفي الثالثة بكذا وفي الرابعة بكذا حتى باعهم بانفسهم وأولادهم بعد ما عاك عليهم جميع ما يملكون ثم اعتقهم ورد عليهم أموالهم كلها الله أعلم بصحة ذلك وهو من الاسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب والغرض انه كان في جملة من ورد للميرة اخوة يوسف عن أمر أبيهم لهم في ذلك فانه بلغه ان عزيز مصر يعطى الناس الطعام بثمنه فاخذوا معهم بضاعة يعترضون بها طعاما وركبوا عشرة نفر واحتبس يعقوب عليه السلام عنده ابنه بنيامين شقيق يوسف عليه السلام

فان أريد بالدفء المعنى الاول فلا بد من حمل المنافع على ما عداه مما ينفع به منها وان حمل على المعنى الثاني كان تفسير المنافع مجازا كزناه واضحا وقيل المراد بالمنافع التساج خاصة وقيل الركوب (ومنها) اى من لحومها وشحومها (تأكون) وخص هذه المنفعة بالذكر مع دخولها تحت المنافع لانها أعظمها وقيل خصها لان الاتفاع بلحمها وشحومها تقدم عنده عينها بخلاف غيره من المنافع التي فيها وتقديم الظرف المؤذن بالاختصاص للإشارة الى ان الاكل منها هو الاصل وغيره نادر فالاكل من غيرها كالدجاج والبط والاوز وصيد البر والبحر يجرى مجرى انه سكب وقيل تقديم الظرف للفاصل له لا للحصر ولما كانت ممنوعة للباس أكثر وأعظم من منفعة الاكل قدمه على الاكل (ولكم فيها) مع ما تقدم ذكره (جمال) هو ما يتجمل به ويتزين والحسن والمعنى هنا لكم فيها تجمل وترين عند الناظرين اليها (حين تريحون وحين تسرحون) اى في هذين الوقتين وهما وقت ردها من مراعيها ووقت تسريحها اليها فالرواح والاراحة رجوعها بالعشى وردها من المراعى والسراح مسيرها الى مراعيها بالغداة يقال سرحت الابل أسرحها سرحا وسروحا اذا عدت بها الى المراعى وقدم الاراحة على التسريح مع انه خلاف الواقع لان منظرها عند الاراحة أجمل وذواتها أحسن لكونها في تلك الحالة قد نالت حاجتها من الاكل والشرب فعضمت بطونها وانتفعت ضر وعها فيفرح أهلها بها بخلاف تسريحها الى المراعى فانها تخرج جائعة البطون ضامرة الضروع وخص هذين الوقتين لانهم ما وقت نظر الناظرين اليها لانها عند استقرارها في الحظائر لا يراها أحد وعند كونها في مراعيها هى متفرقة غير مجمعة كل واحد منها يرمى في جانب وأكثر ما تكون هذه الراحة أيام الربيع اذا سقط الغيث ونبت العشب والكلاب خرجت العرب للنجعة وأحسن ما تكون النعم في هذا الوقت فانه يسمع للابل رغاءا ولبقر خوار وللشياه نغاعا يجابوب بعضها بعضا (وتحمل) اى الانعام والمراد بها هنا الابل خاصة (أثقالكم) جمع ثقل وهو متاع المسافر من طعام وغيره وسمى ثقلا لانه ينقل الانسان حمله وقيل المراد بآبدانهم (الى بلد) غير بلدكم (لم تكونوا بالغية) اى واصلين اليه لو لم يكن معكم ابل تحمل أثقالكم (الابشق) النفس) لبعده عنكم وعدم وجود ما يحمل ما لا بد لكم منه في السفر وظاهره يتناول كل بلد بعد من غير تعيين وقيل المراد بالبلد مكة قاله ابن عباس وقيل اليمن ومصر والشام

وكان أحب اولاده اليه بعد يوسف فلما دخلوا على يوسف وهو جالس في أمهته ورياسته وسيادته عرفهم حين نظروا لانها اليهم وهم له منكرون اى لا يعرفونه لانهم فارقوه وهو صغير حدث وبعوه للسيارة ولم يدروا أين يذهبون به ولا كانوا يستشعرون في أنفسهم ان يصير الى ما صار اليه فلما لم يعرفوه وأما هو فعرفهم فذكر السدي وغيره انه شرع يخاطبهم فقال لهم كل منكر عليهم ما أقدمكم بلادى فقالوا أيها العزيز اننا قدمنا للميرة قال لعلكم عيون قالوا معاذ الله قال فن أين أنتم قالوا من بلاد كنعان وأبونا يعقوب نبي الله قال وله أولاد غيركم قالوا نعم كائنى عشر فذهب أصغرنا هلك في البرية وكان أحبنا الى أبيه وبق شقيقه فاحتبس به

أبو لبسلى به عنه فامر بازالهمم واكرامهم ولما جهزهم بجهازهم اى أوفى لهم كيلهم وحمل لهم اجمالهم قال اثبتونى باختياركم هذا الذى ذكرتم لاءعلم صدقكم فيما ذكرتم الأتروان اى أوفى الكيل وأناخيه المنزايين رغبتهم فى الرجوع اليه ثم رهبهم فقال فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندى الآية اى ان لم تقدموا به معكم فى المزة الثانية فليس لكم عندى ميرة ولا تقرنون قالوا سزاود عنه أباه وانا لفاعلون اى سحرص على مجيئه اليك بكل ممكن ولا نبقى مجهودا تعلم صدقنا فيما قلناه وذكر السدى انه أخذ منهم رهائن حتى يقدموا به معهم وفى هذا نظر لانه أحسن اليهم ورغبتهم كثيرا وهذا (٢١١) لحرصه على رجوعهم وقال لفتيانه اى غلمانه

اجعلوا بضاعتهم اى التى قد مواهاها ليمتاروا عوضا عنها فى رحالهم اى فى أمتعتهم من حيث لا يشعرون لعلمهم يرجعون بها قيل خشى يوسف عليه السلام أن لا يكون عندهم بضاعة أخرى يرجعون للميرة بها وقيل تدمم ان يأخذ من أبيه واخوته عوضا عن الطعام وقيل أراد أن يرددهم اذا وجدوهما فى متاعهم ثم تجرأ وتورع لانه يعلم ذلك منهم والله أعلم (فلما رجعوا الى أبيهم قالوا يا أبا نانع منا الكيل فارس معنا أختانا كتمل وانا له لحافظون قال هل آمنكم عليه الا كما آمنتمكم على أخيه من قبل فالتة خير حافظا وهو أرحم الراحمين) يقول تعالى عنهم انهم رجعوا الى أبيهم قالوا يا أبا نانع منا الكيل يعنون بعد هذه المرة ان لم ترسل معنا أختانا بنيامين فارسه معنا يكتل وانا له لحافظون وقرأ بعضهم بالياء ولهذا قال لهم هل آمنكم عليه الا كما آمنتمكم على أخيه من قبل

لانهم امتاخر العرب وشق الانفس مشقتها قرئ بكسر الشين ويفتحها قال الجوهري الشق المشقة ومنه قوله تعالى الا بشق الانفس وحكى أبو عبيدة فتح الشين وهما بمعنى ويجوز أن يكون المقنوح مصدرا من شقت عليه أشق شقا والمكسور بمعنى النصف يقال أخذت شق الشاة وشقة الشاة ويكون المعنى على هذا لم تكونوا بالغية الا بذهاب نصف الانفس من التعب قد امتن الله سبحانه على عباده بخلق الانعام على العموم ثم خص الابل بالذكركم لافيهما من نعمة جعل الاثقال دون البقر والغنم والاستثناء من أعم العام اى لم تكونوا بالغية بشىء من الاشياء الا بشق الانفس قال ابن عباس لو تكلفتموه لم تطيقوه الا بجهد شديد (ان ربكم لرؤوف رحيم) حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح (والخيل والبغال والحمير) اى وخلق لكم هذه الثلاثة الاصناف وسميت الخيل خيلا لاختياله فى مشيها وواحد الخيل خائل كضائن واحد الضأن وقيل اسم جنس لا واحد له من لفظه بل من معناه وهو الفرس والبغال جمع بغل وهو المتولد من الخيل والحمير والحمير جمع حمائر عمل سبحانه خلق هذه الانواع الثلاثة بقوله (لتركبوها) وهذه العلة هى باعتبار معظم منافعها لان الانتفاع بها فى غير الركوب معلوم كالتحصيل عليها (وزينة) عطف على محل لتركبوها لانها فى محل نصب على انه علة خلقها ولم يقل لترزبنوا بها حتى يطابق لتركبوها لان الركوب فعل المخاطبين والزينة فعل الزائن وهو الخالق والتحقيق فيه ان الركوب هو المعبر فى المقصود بخلاف الزينة فانه لا يلتفت اليه أهل الهمم العالمية لانه يورث العجب فكانه سبحانه قال خلقتم لتركبوها فتدفعوا بواسطتها عن أنفسكم ضررا الايما والمشقة وأما التزين بها فهو حاصل فى نفس الامر ولكنه غير مقصود بالذات وقد استدل بهذه الآية القائلون بتحريم لحوم الخيل قائلين بان التعليل بالركوب يدل على انها مخلوقة لهذه المصلحة دون غيرها قالوا لو يؤيد ذلك افراد هذه الانواع الثلاثة بالذكروا خراجها عن الانعام فيفيد ذلك اتحاد حكمها فى تحريم الاكل قالوا ولو كان كل الخيل جائز الكان ذكره والامتنان به أولى من ذكر الركوب لانه أعظم فائدة منه وقد ذهب الى هذا مالك وأبو حنيفة وأصحابهما والاوزاعى ومجاهد وأبو عبيد وغيرهم وذهب الجمهور من الفقهاء والحدادين وغيرهم الى حل لحوم الخيل وهو قول الحسن وشريح وعطاء وسعيد بن جبير واليه ذهب الشافعى وأحمد واسحق ولا حجة لأهل القول

أى هل أنتم صانعون به الا كما صنعتم باخيه من قبل نغيبونه عنى وتحولون بينى وبينه فالتة خير حفظا وقرأ بعضهم حافظا وهو أرحم الراحمين اى هو أرحم الراحمين بسيرهم كبرى وضعفى ووجدى بولدى وأرجو من الله أن يرد على ويجمع شملى به انه أرحم الراحمين (ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا أبا نانع اى هذه بضاعتنا ردت الينا ونغيبنا عنها نحن وحفظنا أختانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير قال ان أرسله معكم حتى تؤتوني موثقا من الله لتأتني به الا ان يحاط بكم فلما أتوه موثقا منهم قال الله على ما تقولون (كيل) يقول تعالى ولما فتح اخوة يوسف متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم وهى التى كان أمر يوسف فتسبانه بوضعها

في رحالهم فلما وجدوها في متاعهم قالوا يا ابا نابتي اي ماذا نريد هذه بضاعتنا ردت الينا كما قال قتادة ما نبي وراء هذا ان
بضاعتنا ردت الينا وقد اوفى لنا الكيل وغير اهلنا اي اذا ارسلت اخطانا معنا ناتي بالميرة الى اهلنا ونحفظ اخطانا ونزداد كيل بعير وذلك
ان يوسف عليه السلام كان يعطى كل رجل حمل بعير وقال مجاهد جل جماره وقد يسمى في بعض اللغات بعيرا كذا قال ذلك كيل
يسير هذا من تمام الكلام وتحسينه اي ان هذا يسير في مقابلة اخذ اخيهم ما يعدل هذا قال ابن ارسلم معكم حتى تؤتوني موثقان
الله اي تحلفون باليهود والمواثيق لتأتني به (٢١٢) الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا كلكم ولا تقدرن على تخليصه فلما آتوه

موتة هم كده عليهم فقال الله على ما تقول وكيل قال ابن اسحق وانما فعل ذلك لانه لم يجد بد من بعثهم لاجل الميرة التي لا غنى بهم عنها فبعثه معهم (وقال يابني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وما اغنى عنكم من الله من شيء ان الحكم الله عليه توكلت وعليه فليتكول المتوكلون ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان يغنى عنهم من الله من شيء الحاجة في نفس يعقوب قضاها وانه لذو علم لما علمناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون) يقول تعالى اخبارا عن يعقوب عليه السلام انه امر بنبيه لما جهزهم مع اخيهم بنيامين الى مصر ان لا يدخلوا كلهم من باب واحد وليدخلوا من ابواب متفرقة فانه كما قال ابن عباس ومحمد بن كعب ومجاهد والنخلك وقاتدة والسدي وغير واحد انه خشى عليهم العين وذلك انهم كانوا ذوى جمال وهيئة حسنة ومنظر وبها خشى عليهم ان يصيبهم الناس بعينهم فان العين حق تستزل الفارس عن فرسه وروى ابن ابي حاتم عن ابراهيم النخعي في الآية في قوله وادخلوا من ابواب متفرقة قال علم انه سلبني اخوته في بعض تلك الابواب وقوله وما اغنى ابن عنكم من الله من شيء اي هذا الاحتراز لا يرد قدر الله وقضاه فان الله اذا اراد شيئا لا يخالف ولا يمانع ان الحكم الله عليه توكلت وعليه فليتكول المتوكلون ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان يغنى عنهم من الله من شيء الحاجة في نفس يعقوب قضاها قالوا هي دفع اصابة العين لهم وانه لذو علم لما علمناه قال قتادة والثوري لذو علم يعلمه وقال ابن جرير ذو علم لتعليمنا اياه ولكن اكثر لا يعلمون (ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه قال انى انا اخوك فلا تتبس بما كانوا يعملون) يخبر تعالى عن اخوة يوسف

الاول في التعليل بقوله لتركبوه لان ذكرا هو الاغلب من منافعها لا ينال في غيره ولا نسلم ان الاكل اكثر فائدة من الركوب حتى يذكرو ويكون ذكرا اقدم من ذكرا ركوب وايضا لو كانت هذه الآية تدل على تحريم الخيل لدلت على تحريم الحجر الاهلية وحينئذ لا يكون ثم حاجة لتجديد التحريم لها عام خبير وقد قدمنا ان هذه السورة مكية والحاصل ان الادلة الصحيحة قد دلت على حل كل لحوم الخيل فلو سلمنا ان في هذه الآية متمسكا للقائلين بالتحريم لكانت السنة المطهرة الثابتة رافعة لهذا الاحتمال ودافعة لهذا الاستدلال وقد اوضح الشوكاني هذه المسئلة في مؤلفاته بما لا يحتاج الناظر فيه الى غيره وقد ورد في حل كل لحوم الخيل احاديث منها ما في الصحيحين وغيرهما من حديث اسماء قالت شخرنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرسافا كناه واخرج ابو عبيد وابن ابي شيبة والترمذي وصححه والنسائي وابن المنذر وابن ابي حاتم عن جابر قال اطعمنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحوم الخيل ومنها عن لحوم الحجر الاهلية واخرج ابو داود نحوه من حديثه ايضا وهما على شرط مسلم وثبت ايضا في الصحيحين من حديث جابر قال نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن لحوم الحجر الاهلية واذن في الخيل واما ما اخرج ابو عبيد وابو داود والنسائي من حديث خالد بن الوليد قال نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن كل كل ذى ناب من السباع وعن لحوم الخيل والبغال والحمير في اسناده صالح بن يحيى بن ابي المقدم وفيه مقال ولو فرضنا ان الحديث صحيح لم يقو على معارضة احاديث الحل على انه يمكن ان هذا الحديث المصرح بالتحريم متقدم على يوم خبير فيكون منسوخا (ويخلق ما لا تعلمون) من الاشياء العجيبة والغريبة مما لا يحيط علمكم به من المخلوقات غير ما قد عددهمنا وقيل المراد من انواع الحشرات والهوام في اسافل الارض وفي البحر مما لم يره البشر ولم يسمعه وقيل هو ما اعده الله لعباده في الجنة وفي النار مما لم تره عين ولم تسمع به اذن ولا خطر على قلب بشر وقيل هو خلق السوس في النباتات والدود في الفواكه وقيل عين تحت العرش وقيل نهر من النور وقيل ارض بيضاء ولا وجه للاقتصار في تفسير هذه الآية على نوع من هذه الانواع بل المراد انه سبحانه يخلق ما لا يعلم به العباد فيشمل كل شيء لا يحيط علمهم به والتعبير هنا باللفظ المستقبلي لاستحضار الصورة لانه سبحانه قد خلق ما لم يعلم به العباد ولا ياتي عليه الحصر والعد واخرج

ابن النخعي في الآية في قوله وادخلوا من ابواب متفرقة قال علم انه سلبني اخوته في بعض تلك الابواب وقوله وما اغنى ابن عنكم من الله من شيء اي هذا الاحتراز لا يرد قدر الله وقضاه فان الله اذا اراد شيئا لا يخالف ولا يمانع ان الحكم الله عليه توكلت وعليه فليتكول المتوكلون ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان يغنى عنهم من الله من شيء الحاجة في نفس يعقوب قضاها قالوا هي دفع اصابة العين لهم وانه لذو علم لما علمناه قال قتادة والثوري لذو علم يعلمه وقال ابن جرير ذو علم لتعليمنا اياه ولكن اكثر لا يعلمون (ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه قال انى انا اخوك فلا تتبس بما كانوا يعملون) يخبر تعالى عن اخوة يوسف

لما قدموا على يوسف ومعهم أخوه شقيقه بنيامين وأدخلهم داركرامته ومنزل ضيافته وأفاض عليهم الصلة والاطاف والاحسان واختلى بأخيه فاطلعه على شأنه وما جرى له وعرفه انه أخوه وقال له لا تبتئس أي لا تأسف على ما صنعوا بي وأمره بكتان ذلك عنهم وان لا يطلعهم على ما أطلعهم عليه من انه أخوه وتواطأ معه انه سيحتمل على ان يقيه عنده معززاً مكرماً عظيماً فلما جهزهم بجهزهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذناً أيها العيرانكم لسارقون قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا انفقنا صواع الملك ولئن جاء به حل بعير وانا به زعيم) لما جهزهم وحل لهم أبعرتهم طعاماً (٢١٣) أمر بعض قتيانه ان يضع السقاية وهي انا من

فضة في قول الاكثرين وقيل من ذهب قال ابن زيد كان يشرب فيه ويكيل للناس به من عسرة الطعام اذ ذلك قاله ابن عباس ومجاهد وقتاده والضحك وعبد الرحمن بن زيد وقال شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس صواع الملك قال كان من فضة يشربون فيه وكان مثل المكوك وكان للعباس مثله في الجاهلية فوضعها في متاع بنيامين من حيث لا يشعر أحد ثم نادى مناديينهم أيها العيرانكم لسارقون فالتفتوا الى المنادى وقالوا ماذا تفقدون قالوا انفقنا صواع الملك اي صاعه الذي يكيل به ولئن جاء به حل بعير وهذا من باب الجمالة وانا به زعيم وهذا من باب الضمان والكفالة (قالوا تالله لقد علمت ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين قالوا انما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك تجزى الظالمين فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استقرجهما من وعاء أخيه كذلك كدنا يوسف ما كان ليأخذ

ابن مردويه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان مما خلق الله أرضاً من لؤلؤ بيضاء ثم ساق من أوصافها ما يدل على ان الحديث موضوع ثم قال في آخره فذلك قوله ويخلق ما لا تعلمون (وعلى الله قصد السبيل) القصد مصدر بمعنى الفاعل فالمعنى وعلى الله هداية قاصد الطريق المستقيم عوجب وعده المحتوم وتفضله الواسع وقيل هو على حذف مضاف والتقدير وعلى الله بيان قصد السبيل والسبيل الاسلام وبيانه بارسال الرسل وانزال الكتب واقامة الحج والبراهين والقصد في السبيل هو كونه موصل الى المطلوب فالمعنى وعلى الله بيان الطرق الموصلة الى المطلوب (ومنها) الضمير راجع الى السبيل بمعنى الطريق لانها تذكروا وتوثقوا ولانها في معنى سبيل فانث عنى معنى الجمع وقيل راجع اليها بتقدير مضاف أي ومن جنس السبيل (جائر) ماثل عن الحق والجور العدول عن الاستقامة وقيل ان الطريق كناية عن صاحبها والمعنى ومنهم جائر عن سبيل الحق أي عادل عنه فلا يمتدئ السه قيل وهم أهل الاهواء المختلفة وقيل أهل الملل الكفرية فقصد السبيل هو دين الاسلام والجائر من هادين اليهودية والنصرانية وسائر ملل الكفر وقيل قصد السبيل السنة المطهرة والجائر البدع المحدثه المضلة قال ابن عباس على الله ان يبين الهدى والضلالة ومنها جائر قال السبيل المتفرقة وقال قتادة وعلى الله بيان حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته ومنها جائر قال من السبيل ناكب عن الحق وعن علي كان يقرأ ومنكم جائر (ولو شاء لهداكم أجمعين) أي ولو شاء ان يهدىكم جميعاً هداية موصلة الى الطريق الواضح الصحيح والمنهج الحق الصريح لفعّل ذلك ولكنه لم يشأ بل اقتضت مشيئته سبحانه اراء الطريق والدلالة عليها كما قال وهديناه النجدين وأما الاصل اليها بالفعل فذلك يستلزم ان لا يوجد في العباد كافر ولا من يستحق النار من المسلمين وقد اقتضت المشيئة الربانية بكون البعض مؤمناً والبعض كافراً كما نطق بذلك القرآن في غير موضع ولما استدل سبحانه على وجوده وكمال قدرته وبديع صنعته بجائب أحوال الحيوانات أراد ان يذكر الاستدلال على المطلوب بغرائب أحوال النبات فقال (هو الذي أنزل من) جهة (السماء) وهي السحاب (ماء) أي نوعاً من أنواع الماء وهو المطر (لكم منه شراب) هو اسم لما يشرب كالطعام لما يطعم والمعنى ان الماء النازل من السماء قسمان قسم يشربه الناس ومن جعلته ماء الآبار والعيون فإنه من المطر لقوله

أخاه في دين الملك الا ان يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم) لما اتهمهم أولئك القيان بالسرقة قال لهم اخوة يوسف تالله لقد علمت ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين اي لقد تحققتم وعلمتم منذ عرفتمونا لانهم شاهدوا منهم سيرة حسنة انا ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين أي ليست سبحانه تاتقضي هذه الصفة فقال لهم القيان فاجزأوه أي السارق ان كان فيكم ان كنتم كاذبين أي اي شيء يكون عقوبته ان وجدنا فيكم من أخذته قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك تجزى الظالمين وهكذا كانت شريعة ابراهيم عليه السلام ان السارق يدفع الى المسروق منه وهذا هو الذي أراد يوسف عليه السلام

ولهذا بدأ بعينهم قبل وعاء أخيه أي قنصم قبله تورية ثم استخرجهما من وعاء أخيه فأخذه منهم بحكم اعترافهم والتزامهم والزامهم
اهم بما يعتدونه ولهذا قال تعالى كذلك كذا ليوسف وهذا من الكيد المحبوب المراد الذي يحببه ويرضاه لما فيه من الحكمة
والصلحة المطلوبة وقوله ما كان ليأخذ أخاه في دين الملائم أي لم يكن له أخذه في حكم ملك مصر قاله الضحاك وغيره وإنما قبض الله له ان
التم له أخوته بما التزموه وهو كان يعلم ذلك من شريعتهم ولهذا مدحه الله تعالى فقال نرفع درجات من نشاء كما قال تعالى يرفع الله
الذين آمنوا منكم الآية وفوق كل ذي علم عليم (٢١٤) قال الحسن البصري ليس عالم الا فوفقه عالم حتى ينتهي الى الله عز وجل

وكذلك روى عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن عبد الاعلى الثعلبي عن سعيد بن جبير قال كنا عند ابن عباس فحدث بحديث عجيب فتعجب رجل فقال الحمد لله فوق كل ذي علم عليم قال يكون هذا أعلم من هذا وهذا أعلم من هذا والله فوق كل عالم وهكذا قال بكرمة وقال قتادة وفوق كل ذي علم عليم حتى ينتهي العلم الى الله منه بدئ وتعلت العلماء واليه يعود وفي قراءة عبد الله وفوق كل عالم عليم (قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شرمكانا والله أعلم بما تصفون) وقال أخوة يوسف لما راوا الصواع قد أخرج من متاع بنيامين ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل يتنصرون الى العزيز بالتشبيه به ويذكرون ان هذا فعل كما فعل أخ له من قبل يعنون به يوسف عليه السلام قال سعيد ابن جبير عن قتادة كان يوسف عليه السلام قد سرق صنبا لجدته أبي أمه فكسره وقال محمد بن اسحق عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد قال كان أول ما دخل

فسلكه يتابع في الارض (و) قسم يحصل (منه شجر) ترعاه المواشي قال الزجاج كل ما نبت من الارض فهو شجر لان التركيب يدل على الاختلاط ومنه تشاجر القوم اذا اختلط أصوات بعضهم ببعض ومعنى الاختلاط حاصل في العشب والكلأ وفيما له ساق وقال ابن قتيبة المراد من الشجر في الآية الكلا وقيل الشجر كل ماله ساق لقوله تعالى والشجر والشجر يسجدان والعطف يقتضي التغير فلما كان النجم ما لا ساق له وجب ان يكون الشجر ماله ساق وأجيب بان عطف الجنس على النوع جائز (فيه تسميون) أي في الشجر ترعون مواشيتكم يقال سامت السائمة تسوم سومارعت فهي سائمة وأسماها أي آخر جهتها الى الرعي فانما سمي وهي مسامة وسائمة وأصل السوم الابعاد في المرعى قال الزجاج أخذ من السومة وهي العلامة لانها تؤثر في الارض علامات برعيها وهذه الآية مبنية على مكارم الاخلاق وهو ان يكون اهتمام الانسان بمن يكون تحت يده أكل من اهتمامه بنفسه وأما الآية الاخرى كوا وارعوا انعامكم غنينة على قوله صلى الله عليه وآله وسلم ابدأ بنفسك ثم بمن تعول (ينبت) الله (لكم به) أي بذلك الماء الذي أنزله من السماء وهذا استئناف اخبار عن منافع الماء وقدم (الزرع) لانه أصل الاغذية التي يعيش بها الناس وهو الحب الذي يقوت به كالحنطة والشعير وما أشبههما (و) ذكر (الزيتون) بعد الزرع لكونه فأكهة من وجهه وادامان وجهه لكثرة ما فيه من الدهن والبركة وهو جمع زيتونة ويقال للشجرة نفسها زيتونة (و) ذكر (التخيل) لكونه غذاء وفاكهة وهو مع العنب أشرف الفواكه (و) جمع (الاعناب) لاشتمالها على الاصناف المختلفة وهي شبه الخلة في المنفعة من التشكك والتغذية ثم أشار الى سائر الثمرات اجمالا فقال (ومن كل الثمرات) كما أجل الحيوانات التي لم يذكرها فيما سبق بقوله ويخلق ما لا تعلمون ومن تبعيضية اذ كلها انما يوجد في الجنة وما أثبت الارض بعض من كلها للتذكرة (ان في ذلك) الانزال والانبات (لاية) عظيمة دالة على كمال القدرة والتفرد بالبوية (لقوم يتفكرون) في مخلوقات الله ولا يهلون النظر في مصنوعاته قد ذكر لفظ الآية في هذه السورة سبع مرات بخمس بالافراد وثنان بالجمع قال الكرماني ما جاء بلفظ الافراد فلو حدة المدلول وهو الله تعالى وما جاء منها بلفظ الجمع فلما نسبة مسخرات انتهى وختم هذه الفاصلة بالتفكير لان النظر في ذلك

على يوسف من البلاء فيما بلغني ان عمته ابنة اسحق وكانت أكبر ولدا اسحق وكانت عندها منطقة اسحق وكانوا يعني يتوارثونهم بالبر وكان من اختبأها من ولها كان له سبلا لا ينزع فيه يصنع فيه ما يشاء وكان يعقوب حين ولده يوسف قد حضنته عمته وكان اهابه وله فلم تحب أحدا احبها اياه حتى اذا ترعرع وبلغ سنون ناقت المسه نفس يعقوب عليه السلام فأتاها فقال يا أخسة سلمى الى يوسف فوالله ما قدر على ان يغيب عنى ساعة قالت فوالله ما أتا بباركته ثم قالت فدعه عندي اياما أنظر اليه وأسكن عنه لعل ذلك يسليني عنه أو كما قالت فلما خرج من عندها يعقوب عمدت الى منطقة اسحق فخرمتها على يوسف من تحت

شابه ثم قالت فقدت منظره اسحق عليه السلام فانظر وامن اخذها وامن اصحابها فالتفت ثم قالت اكشفوا أهل البيت فكشفوهم فوجدوها مع يوسف فقالت والله انه لي لسلم اصنع فيه ما شئت فاناها يعقوب فاخبرته الخبر فقال لها أنت وذلك ان كان فعل ذلك فهو سلم لك ما تستطيع غير ذلك فامسكته فما قدر عليه يعقوب حتى مات قال فهو الذي يقول اخوة يوسف حين صنع باخيه ما صنع حين اخذته ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل وقوله فاسرها يوسف في نفسه يعنى الكلمة التي بعدها وهي قوله أنتم شرمكانا والله أعلم بما تصفون أى تذكرون قال هذا في نفسه (٢١٥) ولم يبيده لهم وهذا من باب الاضمار قبل الذكر وهو

كثير كقول الشاعر

حزى بنوه أبا الغيلان عن كبر
وحسن ظن كيا يجزى سنار
وله شواهد كثيرة في القرآن
والحديث واللغة في منشورها
وأخبارها وأشعارها قال العوفي
عن ابن عباس فاسرها يوسف في
نفسه قال أسرى في نفسه وأنتم
شرمكانا والله أعلم بما تصفون
(قالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا
كبيرا أخذنا من مكانه انا
نراك من المحسنين قال معاذ الله
ان تأخذنا من وجدنا متاعنا
عنده انا اذا الظالمون) لما تبين أخذ
بنيامين وقرر تركه عند يوسف
بمقتضى اعترافهم شرعوا يترققون
له ويعطفونه عليهم فقالوا يا أيها
العزيز ان له أبا شيخا كبيرا يعنون
وهو يسجسه حبسا شديدا ويتسلى به
عن ولده الذي فقده فخذنا
مكانه أى بدله يكون عندك عوضا
عنه ان نراك من المحسنين أى
العادلين المنصفين القابلين للخير
قال معاذ الله ان تأخذنا من
وجدنا متاعنا عنده أى كما قلتم
واعترفتم انا اذا الظالمون أى ان

يعنى انبات النباتات بالماء يحتاج الى مزيد تأمل واستعمال ففكر الأثرى ان الحمة الواحدة
اذا وضعت في الأرض ومر عليها مقدار من الزمان مع رطوبة الأرض فانها تنتفخ
وينشق اعلاها فتصعد منه شجرة الى الهواء وأسفلها تعوض منه عروق في الأرض
ثم ينمو الاعلى ويقوى وتخرج منه الاوراق والازهار والاكمام والثمار المشتملة على
أجسام مختلفة الطباع والطعوم والالوان والروائح والاشكال والمنافع ومن تفكر في
ذلك علم ان من هذه أفعاله وآثاره لا يمكن ان يشبهه شئ في شئ من صفات الكمال فضلا عن
ان يشاركه أحد الاشياء في أخص صفاته التي هي الالهية واستحقاق العبادة تعالى عن
ذلك علوا كبيرا اذ كره الخازن وأبو السعود (وخزر لكم الليل والنهار) معنى تسخيرهما
للناس تصيرهما نافعين لهم بحسب ما تقتضيه مصالحهم وتستدعيه حاجاتهم يتعاقبان
دأما كالعبد الطائع لسيد لا يخالف ما أمر به ولا يخرج عن ارادته ولا يهمل السعي
في نفعه (و) كذا الكلام في تسخيره (الشمس والقمر) قوله (النجوم) قرأ
حفص عن عاصم برفعه على انه مبتدأ وخبره (مسخرات) أى مذلات مقهورات
(بامر) تعالى يجزى على نعت محمد يستدل بها العباد على مقادير الاوقات ويتمدون
بها ويعرفون أجزاء الزمان ولا تصرف لها في نفسها فضلا عن غيرها وفيه رد على الفلاسفة
والمخمين لانهم يعتقدون ان هذه النجوم هي الفعالة المتصرفة في العالم السفلى فاخبر
سبحانه اتم المذلات تحت قهره وارادته (ان في ذلك) التسخير وما بعده (لايات لقوم
يعقلون) أى يعملون عقولهم في هذه الايات الدالة على وجود الصانع وتفرده وعدم
وجود شريك له وختم الفاصلة الثانية بالعقل لان الآثار العلوية أظهر دالة على القدرة
الباهرة وأبين شهادة للكبرياء والعظمة وجمع الايات لطابق قوله مسخرات وقيل ان
وجه الجمع هو ان كلام تسخير الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم آية في نفسها بخلاف
ما تقدم من الانبات فانه آية واحدة ولا يتخلو كل هذا عن تكلف والأولى ان يقال ان هذه
المواضع التي أفرد الآيات في بعضها وجمعها في بعضها كل واحد منها يصلح للجمع باعتبار
وللافراد باعتبار فلم يجزها على طريقة واحدة اقتننا وتبينها على جواز الامر من وحسن
كل واحد منهما (وما ذرا) أى خلق (لكم في الأرض) يقال ذرا الله الخلق يذروهم
ذرا فهو ذارى ومنه الذرية وهي نسل الثقلين وقد تقدم تحقيق هذا أى وسخر لكم ما ذرا في

أخذنا بيا بسقيم (فلما استياسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم ألم تعلموا ان اباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل
ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبى أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين ارجعوا الى أيكم فقولوا يا ابا ان ابناك
سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين وأسأل القرية التي كافئها والعيرة التي أقبلنا فيها وانا لصادقون) يخبر تعالى
عن اخوة يوسف انهم لما يسوا من تخليص أخيه بنيامين الذي قد التزموا اليهم برده اليه وعاهدوه على ذلك فامتنع عليهم ذلك
خلصوا أى انفردوا عن الناس نجيا يتناجون فيما بينهم قال كبيرهم وهو رويل وقيل هو ذاو وهو الذي أشار عليهم بالقائه في

السر عند ما هو باقتله قال لهم ألم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثما من الله لتردنه اليه فقد رأيت كيف تعذر عليكم ذلك مع
ها تقدم لكم من اضاعه يوسف عنه فلان ابرح الارض اي لن افارق هذه البلدة حتى يأذن لي ابي في الرجوع اليه راضيا عني او يحكم
الله لي قيل بالسيف وقيل بان يمكنني من اخذ اخي وهو احكم الحاكمين ثم امرهم ان يخبروا اباهم بصورة ما وقع حتى يكون عنده عند
ويتصلوا اليه ويبرؤا مما وقع بقولهم وقوله وما كالتغيب حافظين قال قتادة وعكرمة ما علمنا ان ابنك سرق وقال عبد الرحمن بن
زيد بن اسلم ما علمنا في الغيب انه سرق له شيئا انما سألنا (٢١٦) ماجزاء السارق واسأل القرية التي كافيا قيل المراد مصر قاله

قتادة وقيل غيره هو العير التي اقلبنا فيها أي التي وافقناها عن صدقنا
وأمانتنا وحفظنا وحرصنا واننا
اصادقون فيما أخبرناك به من انه
سرق وأخذه بسرقته (قال بل
سولت لكم انفسكم امر افسه
بجميل عسى الله ان يأتيهم جميعا
انه هو العليم الحكيم وتولى عنهم
وقال يا اسنى على يوسف وايضت
عيناه من الحزن فهو كظيم قالوا
تالله نقتولنك يوسف حتى تكون
حرصا أو تكون من الهالكين
قال انما أشكو ابني وحرني الى الله
وأعلم من الله ما لا تعلمون) قال
لهم كما قال لهم حين جاؤا على قيص
يوسف بدم كذب بل سولت لكم
انفسكم امر افسه بجميل قال محمد
ابن اسحق لما جاؤا يعقوب وأخبروه
بما جرى اثمهم فظن انها كفعلتهم
يوسف قال بل سولت لكم
انفسكم امر افسه بجميل ثم
ترجى من الله ان يرده عليه أولاده
الثلاثة يوسف وأخاه بنيامين
وروي الذي أقام بديار مصر
فينظر امر الله فيه اما أن يرضى
عنه فيأمره بالرجوع اليه واما

الارض من الدواب والانعام والاشجار والثمار فالمعنى انه سبحانه يحزر لهم تلك الخلوقات
السمائية والخلوقات الارضية (مختلفا ألوانه) أي هياتته ومناظره فان ذر هذه
الاشياء على اختلاف الالوان والاشكال مع تساوي الكل في الطبيعة الجسمية آية
عظيمة دالة على وجود الصانع سبحانه وتفرده قال قتادة مختلفا من الدواب والشجر
والثمار نعم من الله متظاهرة فاشكروها لله (ان في ذلك) التسخية لهذه الامور مع
اختلاف طبائعها واشكالها مع اتحاد موادها (لاية) واضحة (لقوم يذكرون)
فان من تذكراعتبر ومن اعتبر استدل على المطلوب قيل وانما خص المقام الاول بالتفكير
لامكان ايراد الشبهة وخص الثاني بالعقل لانه بعد ما طة الشبهة وازاحة العلة فمن لم
يعترف بعد ها بالوحدانية فلا عقل له وخص الثالث بالتذكركل من يد الالة فمن شك بعد
ذلك فلا حس له وفي هذا من التكلف ما لا يخفى والاولى ان يقال هنا كما قلنا فيما تقدم في
افراد الآية في البعض وجمعها في البعض الآخر ويانه ان كلامنا من هذه المواضع الثلاثة
يصلح لذكر التفكير ولذكر العقل ولذكر اعتبارات ظاهرة غير خفية فكان في التعبير
في كل موضع بواحد منها اقتنان حسن لا يوجد في التعبير بواحد منها في جميع المواضع
الثلاثة (وهو الذي سخر البحر) امن الله سبحانه بتسخير البحر بامكان الركب عليه
واستخراج ما فيه من صيد وجواهر لكونه من جملة النعم التي أنعم الله بها على عباده مع
ما فيه من الدلالة على وحدانية الرب سبحانه وكمال قدرته وقد جمع الله سبحانه لعباده في
هذا المقام بين التذكير لهم بآياته الارضية والسمائية والبحرية فاشهدهم الى النظر
والاستدلال بالآيات المتسوعة المختلفة الامكنة اتماما للعبادة وتكميلا للانذار وتوضيحا
لمنازع الاستدلال ومناطات البرهان ومواقع النظر والاعتبار ثم ذكر العلة في تسخير
البحر فقال (لتأكلوا منه لحما طريا) المراد به السمك ووصفه بالطراوة للاشعار بلطافته
والارشاد الى المسارعة باكله لكونه مما يفسد بسرعة قال قتادة يعني حيتان البحر
وقال السدي وما فيه من الدواب وبدأ بذكرا لانه اعظم المقصود به قوام البدن
وتسميته لحما هو مذهب المالكية بخلاف الشافعية والحنفية وعلى هذا فلو حلف لياكل
لحما لا يحنت باكل السمك ولاظهار قدرته في خلقه عذبا طريا في ما عمل والطراوة ضد
اليسوسة أي غضا جديدا ويقال طريت كذا أي جددته وأطريت فلان مدحته باحسن

ان ياخذ أخاه خفية ولهذا قال عسى الله ان يأتيهم جميعا انه هو العليم أي العليم بحال الحكيم في أفعاله ما فيه
وقضائه وقدره وتولى عنهم وقال يا اسفا على يوسف أي أعرض عن نبيه وقال تمتد كرا حزن يوسف القديم الاول يا اسفا على يوسف
جدد له حزن الابنين الحزن الذين قال عبد الرزاق أنباء الثوري عن سيفان العصفري عن سعيد بن جبيرة قال لم يعط أحد
غير هذه الامة الاسترجاع الا سمعون الى قول يعقوب عليه السلام يا اسنى على يوسف وايضت عيناه من الحزن فهو كظيم أي
ساكت لا يشكو أمره الى مخلوق قاله قتادة وغيره وقال الضمك فهو كظيم كتيب حزين وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابني

حدثنا جاد بن سلمة عن علي بن زيد عن الحسن عن الاحنف بن قيس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان داود عليه السلام قال يارب ان بنى اسرائيل يسألونك يا ابراهيم واهق ويعقوب فاجعلني لهم رابعا فوحي الله تعالى اليه ان ياد داود ان ابراهيم النبي في النار بسببي فصبروتلك بليمة لم تنلك وان اسحق بذل مهجة دمه بسببي فصبروتلك بليمة لم تنلك وان يعقوب أخذت منه حبيبه فأيضت عيناه من الحزن فصبروتلك بليمة لم تنلك وهذا مرسل فيه نكارة فان الصحيح ان اسمعيل هو الذبيح ولكن علي بن زيد بن جده ان له منا كبر وغرائب كثيرة والله أعلم وأقرب ما في هذا ان الاحنف بن قيس (٢١٧) رحمه الله حكاه عن بنى اسرائيل كعب ووهب ونحوهما والله أعلم فان بنى اسرائيل

يتقنون ان يعقوب كتب الى يوسف لما احتبس أخاه بسبب السرقة يلفظ له في ردائنه ويزكر له أنهم أهل بيت مصابون بالسبلاء فابراهيم ابني بالنار واسحق بالذبيح ويعقوب بفسراق يوسف في حديث طويل لا يصح والله أعلم فعنه ذلك روى له بنوه وقالوا له على سبيل الرفق به والشفقة عليه نأله فقوتوا يوسف أي لا تفارق تذكري يوسف حتى تكون حرضا أي ضعي القوة أو تكون من الهالكين يقولون ان استمر بك هذا الحال خشنا عليك الهلاك والتلف قال انما أشكو بثي وحزني الى الله أي أجاهم عما قالوا بقوله انما أشكو بثي وحزني أي همي وما نأفبه الى الله وحده وأعلم من الله ما لا تعلمون أي أرجو منه كل خير وعن ابن عباس واعلم من الله ما لا تعلمون يعني رؤيا يوسف ان الله لا يدان يظهرها وقال العوفي عنه في الآية أعلم ان رؤيا يوسف صادقة وانى سوف يجعله وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا يحيى بن عبد الملك بن أبي يحيى عن

ما فيه ويقال بالغت في مدحه وجاوزت (وتستخرجوا منه) أي من البحر وهو الملح فقط (حلية) أي لؤلؤا ومرجانا كما في قوله سبحانه يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والحلية اسم لما يتحلى به وأصلها الدلالة على الهيئة كالعمامة وفي المصباح حل الشيء يعني وبصدرى من باب تعب حلا وحسن عندى وأعجبنى وحليت المرأة حليا ساكن اللام ليست الحلى وجمعه حلى والأصل على فعول مثل فلس وفلوس والحلية بالكسر الصفة والجمع حلى مقصور وتضم الحاء وتكسر وحلية السيف زينه قال ابن فارس ولا تجمع وتحلت المرأة لبست الحلى أو اتخذته وحليتها بالتسديد لبستها الحلى أو اتخذته لها لتلبسه وحليت السويق جعلت فيه شيئا حلوا حتى حلا وظاهر قوله (تلبسونها) انه يجوز للرجال ان يلبسوا اللؤلؤ والمرجان أي يجعلونهم ما حلية لهم كما يجوز للنساء ولا حاجة لما تكلفه جماعة من المفسرين في تأويل قوله تلبسونها بقولهم تلبسها نساء وهم لانهم من جملتهم أولئك الذين يلبسها الاجلهم وليس في الشرعية المظهرة ما يقتضى منع الرجال من التحلى باللؤلؤ والمرجان ما لم يستعمله على صفة لا يستعمله عليها الا النساء خاصة فان ذلك ممنوع قد ورد الشرع بمنعه من جهة كونه تشبهان لان جهة كونه حلية لؤلؤا ومرجانا وعن أبي جعفر قال ليس في الحلى زكاة ثم قرأ هذه الآية أخرجه ابن أبي شيبة أقول وفي هذا الاستدلال نظروا الذي ينبغي التعويل عليه ان الاصل البراءة من الزكاة حتى يرد الدليل بوجوبها في شيء من أنواع المال فتلزم وقد ورد في الذهب والفضة ما هو معروف ولم يرد في الجواهر على اختلاف أصنافها ما يدل على وجوب الزكاة فيها (وترى الفلك مواخر فيه) أي ترى السفن شواق للماء تدفعه بصدورها قاله مكرمة ومخر السفينة شقها الماء بصدرها قال الجوهري مخر السابح اذا شق الماء بصدره ومخر الارض شقها للزراعة وقيل مواخر جوارى قاله ابن عباس وأصل المخر الحجرى في الختم مخرت السفينة من باب قطع ودخل اذا جرت تشق الماء مع صوت وقيل معترضة وقيل تذهب وتجي قال الضحاك السفينتان تجريان بريح واحدة مقبلة ومدبرة وقيل موقراى مملوءة متاما وقال أبو عبيدة صوائح وقيل ملحجة (١) قال ابن جرير المخر في اللغة صوت هبوب الريح عند شدتها ولم يقيد بكونه في الماء (ولتبغوا من فضله) أي لتنتفعوا بذلك ولتبغوا أو فعل ذلك لتبغوا أي لتجبروا فيه فيحصل لكم الريح من فضل الله سبحانه قال

(٢٨) فتح البيان خامس

حفص بن عمر بن أبي الزبير عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعقوب النبي عليه السلام أخ مؤاخ له فقال له ذات يوم ما الذى اذهب بصرك وقوس ظهرك قال أما الذى اذهب بصرى فالبكاء على يوسف وأما الذى قوس ظهرى فالحزن على بنيامين فاتاه جبريل عليه السلام فقال يا يعقوب ان الله يقرئك السلام ويقول لك أما تستحي ان تشكوى الى غيرى فقال يعقوب انما أشكو بثي وحزني الى الله فقال جبريل عليه السلام الله أعلم بما تشكووه وهذا حديث غريب فيه نكارة (يا بنى اذهبوا فحسبوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله انه (١) يقال نجت السفينة أي خاضت للجة اه صحاح

لا يأس من زوخ الله الا القوم الكافرون فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز منسنا وأهلنا الضر وجئنا بضاعة من جاة فاوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين) يقول تعالى مخبرا عن يعقوب عليه السلام انه ندب بنيه على الذهاب في الارض يستعلمون اخبار يوسف وأخيه بنيامين والتحسس يكون في الخير والتحسس يكون في الشر ونهضهم وبشرهم وأمرهم ان لا يأسوا من روح الله أي لا يقطعوا رجاءهم وأملهم من الله فيما يرومونه ويقصدونه له فانه لا يقطع الرجاء ولا يأس من روح الله الا القوم الكافرون وقوله فلما دخلوا عليه (٢١٨) تقدير الكلام فذهبوا فدخلوا مصر ودخلوا على يوسف قالوا

يا أيها العزيز منسنا وأهلنا الضر يعنون من الجذب والتعطف وقلة الطعام وجئنا بضاعة من جاة أي ومعناها عن الطعام الذي نتمتاره وهو ثمن قليل قاله مجاهد والحسن وغير واحد وقال ابن عباس الرديء لا ينفق مثل خلق الغرارة والحبل والشئ وفي رواية عنه الدراهم الرديئة التي لا تجوز الا بتقصان وكذا قال قتادة والسدي وقال سعيد بن جبير هي الدراهم الفسول وقال أبو صالح هو الصنوبر وحببة الخضراء وقال الضحاك كاسدة لا تنفق وقال أبو صالح جاؤا بحب البطم الاخضر والصنوبر وأصل الازياء المدفع لضعف الشئ كما قال حاتم طي

ليبك على ملهان ضيف مدافع وأمره تزجي مع الليل أرملا وقال اعشى بن ثعلبة الواهب للمائة الهجان وعندها عوذ تزجي خلفها اطلقها وقوله اخبار عنهم فاوف لنا الكيل أي أعطنا بهذا الثمن القليل ما كنت تعطينا قبل ذلك وقرأ ابن مسعود فاوقرر كابنا

السدي هي التجارة (ولعلمكم تشكرون) أي اذا وجدتم فضله عليكم واحسانه اليكم اعترفتم بنعمة عليكم فشكرتم ذلك باللسان والاركان قيل ولعل وجه تخصيص هذه النعمة بالتعقيب بالشكر من حيث ان فيها قطع المسافة طويلا مع أجمال ثقيلة من غير مزاوله أسباب السفر بل من غير حركة أصلا مع انها في تضاعف المهالك ويمكن ان يضم الى ما ذكر من قطع المسافة على الصفة المذكورة ما شتمل عليه البحر من كونه فيسه أطيأ مأكول وأنفس ملبوس وكثرة النعم مع نفاستها وحسن موقعها من أعظم الأسباب المستدعية للشكر الموجبة له ثم أردف هذه النعم الموجبة للتوحيد المفيدة للاستدلال على المطوب بنعمة أخرى وآية كبرى فقال (والتي في الارض رواسي) أي جبالا ثابتة يقال رسايرسو اذا ثبت وأقام (ان تميد بكم) أي كراهة ان تميد بكم على ما قاله البصريون أولئلا تميد بكم على ما قاله الكوفيون والميد الاضطراب يمينا وشمالا يقال ماد الشئ يميد يميدا تحرك ومادت الاغصان تمايلت وماد الرجل يتختر قال قتادة حتى لا تميد بكم كقوا على الارض تمور بهم لاتسمة تقرفاصجو اصبحوا وقد جعل الله سبحانه الجبال وهي الرواسي أو تاد في الارض (و جعل فيها أنهارا) لان الالتقاء هنا بمعنى الجعل والخلق كقوله وأقميت عليك محبة منى وذ كر الانهار عقب الجبال لان معظم عيون الانهار وأصولها تكون من الجبال قال السيوطي كالنيل ولم يذكر في المثال غير هذا لانه من أهل مصر (و جعل فيها سبلا) وأظهرها وبينها لاجل ان تهتمدوا بها في أسفاركم الى مقاصدكم من بلد الى بلد ومن مكان الى مكان وهي الطرق وقال السدي هي الطرق في الجبال (علمكم تهتمدون) بتلك السبل الى ما تريدون فلا تضلون أو الى توحيدكم بكم (و جعل فيها علامات) هي معالم الطرق جمع علامة وفي المصباح أعلمت على كذا بالالف من الكتاب وغيره جعلت عليه علامة وأعلمت الثوب جعلت له علما من طراز وغيره وهو العلامة وجمع العلم أعلام مثل سبب وأسباب وجمع العلامة علامات وعلمت له علامة بالتشديد وضعت له أمارة يعرف بها والمعنى انه سبحانه جعل للطرق علامات يهتدون بها (وبالنجم) المراد به الجنس (هم يهتدون) به في سفرهم ليلا وقرأ ابن وثاب وبالنجم بضمين والمراد النجوم فقصره أو هو جمع نجم كسقف وسقف وقيل المراد بالنجم هنا الجدي والقرقدان قاله الفراء وقيل الثريا وبنات نعش وقيل العلامات الجبال

وتصدق علينا وقال ابن جرير وتصدق علينا برءأخينا الينا وقال سعيد بن جبير والسدي وتصدق علينا ويقولون تصدق علينا بقبض هذه البضاعة المزجاة وتجاوز فيها وسئل سفيان بن عيينة هل حرمت الصدقة على أحمن انبياء قبل النبي صلى الله عليه وسلم فقال ألم تسمع قوله فاوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين رواه ابن جرير عن الحرث عن القاسم عنه وقال ابن جرير حدثنا الحرث حدثنا القاسم حدثنا مروان بن معاوية عن عثمان بن الاسود سمعت مجاهدنا وسئل هل يكره ان يقول الرجل في دعائه اللهم تصدق على قال نعم انما الصدقة لمن يتبعى الثواب (قال هل علمت ما فعلتم

يوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون قالوا أئنك لانت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين قالوا لانا لله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين قال لا تثرب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين يقول تعالى مخبراً عن يوسف انه لما ذكر له اخوته ما أصابهم من الجهد والضيق وقلة الطعام وعموم الجذب وتذكر أباه وما هو فيه من الحزن لفقد ولديه مع ما هو فيه من الملك والتصرف والسعة فعند ذلك أخذته رقة ورأفة ورجة وشفقة على أبيه وأخوته وبدره البكاء فتعرف اليهم فيقال انه رفع التاج عن جبهته (٢١٩) وكان فيها شامة وقال هل علمت ما فعلتم بي يوسف

وأخيه إذ أنتم جاهلون يعني كيف فرقوا بينه وبينه إذ أنتم جاهلون أى انما حكمكم عليه الجهل بالمقدار الذى ارتكبتموه كما قال بعض السلف كل من عصى الله فهو جاهل وقرأتم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة الآية والظاهر والله أعلم ان يوسف عليه السلام انما تعرف اليهم بنفسه باذن الله له في ذلك كما انه اخفى عنهم نفسه في المرتين الاوليين بامر الله تعالى له في ذلك والله أعلم وان كان لماضاق الحال واشتد الامر فرج الله تعالى من ذلك الضيق كما قال تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا فعند ذلك قالوا أئنك لانت يوسف وقرأ ابن بن كعب انك لانت يوسف وقرأ ابن محيصن أنت يوسف والقراءة المشهورة هي الاولى لان الاستفهام يدل على الاستعظام اى انهم تعجبوا من ذلك انهم يترددون اليه من سنتين وأكثر وهم لا يعرفونه وهو مع هذا يعرفهم ويكرم نفسه فلهذا قالوا على سبيل الاستفهام ائنك لانت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى وقوله قد من

وقيل هي التجوم لان من التجوم ما يهدى به ومنها علامة لا يهدى بها وذهب الجمهور الى ان المراد في الآية الاهتداء في الاسفار وقيل هو الاهتداء الى القبلة ولا مانع من حمل ما في الآية على ما هو أعم من ذلك قال الاخفش تم الكلام عند قوله وعلامات وقوله وبالنجم الخ كلام منفصل عن الاول قال السدى علامات النهار الجبال وعلامات الليل التجوم وقال ابن عباس معالم الطرق بالنهار الجبال ويهدون بالنجم بالليل قال قتادة انما خلق الله النجوم لثلاثة اشياء تكون زينة للسماء ومعالم الطرق ورجوعاً للشياطين فمن قال غير هذا فقد تكلف ما لا علم له به ثم لم يعد الايات الدالة على الصانع ووجدانته وكمال قدرته أراد ان يوضح أهل الشرك والعناد فقال (أئن يخلق) هذه المخلوقات العجيبة العظيمة والمصنوعات الغريبة الخلية ويفعل هذه الافاعيل العجيبة المرئية بالعيان (كن لا يخلق) شيئاً منها ولا يقدر على ايجاد واحد منها وهي هذه الاصنام التى يعبدونها ويجمعون منها شركاء لله سبحانه وأطلق عليهم اللفظ من اجراءها مجرى أولى العلم جرياً على زعمهم بانها آلهة أو مشاكلة لقوله أئن يخلق لوقوعها في صحبته أو هو من عكس التشبيه وفي هذا الاستفهام من التقريع والتوبيخ للكفار ما لا يخفى وما أحقهم بذلك فانهم جعلوا بعض المخلوقات شركاء لخالقهم تعالى الله عما يشركون (أفلاتنكرون) مخلوقات الله الدالة على وجوده وتفرده بالبوية وبيد صنعته فتستدلون بها على ذلك فانها الواضحة بكنيتها في الاستدلال بها مجرد التذكري لها لا يحتاج الى دق في الفكر والنظر قال قتادة في الآية الله هو الخالق الرازق وهذه الاوثان التى تعبد من دون الله تخلق ولا تخلق شيئاً ولا تملك لاهلها ضرراً ولا نفعاً ثم لما فرغ من تعدد الايات التى هي بالنسبة الى المكلفين نعم قال (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) ولو اجتمعت في ذلك وأنعمت نفوسكم لا تقدرون عليه فضلاً ان تطيقوا القيام بحقوقها من أداء الشكر وهذا تذكري اجالى بنعمه تعالى وقد مر تفسيره في سورة ابراهيم قال العقلاء ان كل جزء من أجزاء الانسان لو ظهر فيه أدنى خلل وأيسر نقص انقص النعم على الانسان وتنى ان يتفق الدنيا لو كانت في ملكه حتى يزول عنه ذلك الخلل فهو سبحانه يدبر بدن هذا الانسان على الوجه الملائم له مع ان الانسان لا يعلم له بوجود ذلك فكيف يطيق حصر نعم الله عليه أو يقدر على احصائها أو يتمكن من شكر اذائها ياربنا هذه نواصينا بيدك خاضعة لعظم نعمك معترفة

الله علينا أى يجمعه بيننا بعد التفرقة وبعد المدة انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين قالوا لانا لله لقد آثرك الله علينا الآية يقولون معترفين له بالفضل والاثرة عليهم في الخلق والخلق والسعة والملك والتصرف والنبوة ايضا على قول من لم يجعل لهم انبياء واقرباء اليه وانما هو اخطأ وفى حقه قال لا تثرب عليكم اليوم يقول اى لا تأتدب عليكم ولا تعذب عليكم اليوم ولا أعيد عليكم ذنبكم فى حتى بعد اليوم ثم زادهم الدعاء لهم بالمغفرة فتدال بغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين قال السدى اعتذروا الى يوسف فقال لا تثرب عليكم اليوم يقول لا أذكركم ذنبكم وقال ابن اسحق والنورى لا تثرب عليكم اى لا تأتدب عليكم اليوم

عندي فيما صنعتم يغفر الله لكم اي يستر الله عليكم فيما فعلتم وهو رحم الراجين اذهبوا بقميصي هذا فاقوه على وجه ابي يات بصيرا وتوني باهلكم اجمعين ولما فصلت العير قال ابوهم اني لاجدر يح يوسف لولا ان تفقدون قالوا الله انك لفي ضلالك القديم يتول اذهبوا بهذا القميص فاقوه على وجه ابي يات بصيرا وكان قد عي من كثرة البكاء وتوني باهلكم اجمعين اي يجمع بين يعقوب ولما فصلت العير اي خرجت من مصر قال ابوهم يعني يعقوب عليه السلام ان بني عنده من نبي اني لاجدر يح يوسف لولا ان تفقدون تنسبوني (٢٢٠) الى الفند والكبر قال عبد الرزاق انا اسرائيل عن ابي سنان

عن عبد الله بن ابي الهذيل قال سمعت ابن عباس يقول ولما فصلت العير قال لما خرجت العير حاجت ربح خفمت يعقوب بربح يقيص يوسف فقال اني لاجدر يح يوسف لولا ان تفقدون قال فوجد ربحه من مسيرة ثمانية ايام وكذا رواه سفيان الثوري وشعبة وغيرهما عن ابن سنان به وقال الحسن وابن جريج كان بينه ما عانوا فريحا وكان بينه وبينه من ذاقا ثمانون سنة وقوله تفقدون قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة وسعيد بن جبير تسفهون وقال مجاهد ايضا والحسن تهرمون وقولهم انك لفي ضلالك القديم قال ابن عباس لفي خطئك القديم وقال قتادة اي من حب يوسف لا تنساه ولا تسلاه قالوا لو ادهم كلمة غليظة لم يكن ينبغي لهم ان يقولوا لو ادهم ولا اني الله صلي الله عليه وسلم وكذا قال السدي وغيره (فلما جاء البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون قالوا ابا ناس استغفر لنا ذنوبنا اننا كنا

بالعجز عن تأدية الشكر لشيء منها لا نخصي ثنا عليك اذ كنت كما اثبتت على نفسك ولا نطق التعبير بالشكر لك فجاوز عنا واغفر لنا واسبل ذيول سترك على عورتنا فانك ان لا تفعل ذلك نملك بمجرد التقصير في شكر نعمك فكيف بما قد فرط منا من التسهل في الاثمار باوامرك والانتها عن مناهيك وما احسن ما قال من قال

العفور يرحى من بنى آدم * فكيف لا يرحى من الرب

وما احسن ما ختم به هذا الامتنان الذي لا يتبس على انسان مشيرا الى عظيم غفرانه وسعة رحمة فقال (ان الله لغفور رحيم) اي كثير المغفرة والرحمة لا يواخذكم بالعقوبة عن شكر نعمه والتصور عن احصائها والعجز عن القيام بآثارها ومن رحمة ادايتها عليكم وادراكها في كل لحظة وعند كل نفس تنفسه وحرارة تتحرك بها اللهم اني اشكرك عددا مشكرك وسيسرك الشاكرين بكل لسان في كل زمان فلقد خصصتني بنعم لم ارها على كثير من خلقك من انسان وحيوان وان رأيت منها شيئا اعلى بعض خلقك لم ار عليه بقيمتها فاني اطيعك وشكرك وكيف استطيع تأدية اذني شكر اذناها فكيف استطيع اعلاها فكيف استطيع شكر نعم من انواعها ثم اذني اعباده انه عالم بجميع ما يصدر منهم لا يخفى عليه خافية فقال (والله يعلم ما تسرون) اي ما تضررونه من العقائد والاعمال (وما تعلمون) اي وما تظهرونه منها وحذف العائد لمراعاة الفواصل اي يستوى بالنسبة الى علمه المحيط سرهم وعلنكم وفيه وعيد وتعريض وتوبيخ وتنبه على ان الاله يجب ان يكون عالما بالسر والعلانية لا كالاصنام التي تعبدونها فانها جادات لا شعور لها بشيء من الظواهر فضلا عن الضمائر والسر ان فكيف تعبدونها وقراءة التسمية شاذة فيها ما كانه عليه السمين ثم شرع سبحانه في تحقيق كون الاصنام التي اشار اليها بقوله كمن لا يخلق عاجزة عن ان يصدر منها خلق شيء فلا تسحق عبادة فقال (والذين يدعون بالياء والياء سبعين اي الالهة الذين يدعوهم الكفار (من دون الله) سبحانه صفتهم هذه الصفات الثلاثة المذكورة المنافية للالوهية وهي انهم (لا يخلقون شيئا) من المخلوقات اصلا لا كبير او اصغيرا ولا جليا ولا خفيا (وهم يخلقون) اي وصفهم انهم يخلقون فكيف يتمكن المخلوق من ان يخلق غيره ففي هذه الآية زيادة بيان لانه اثبت لهم صفة النقصان بعد ان سلب عنهم صفة الكمال بخلاف قوله اذن يخلق كمن لا يخلق فانه

خاطئين قال سوف استغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم قال ابن عباس والضحك البشير البريد وقال مجاهد اقتصر

والسدي كان هو ذاب يعقوب قال السدي انما جاء به لانه هو الذي جاء بالقميص وهو ملطخ بدم كذب فاحب ان يغسل ذلك بهذا خفا بالقميص فاقاه على وجهه فارجع بصيرا وقال لبنية عند ذلك الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون اي اعلم ان الله سيرده الى وقلت لكم اني لاجدر يح يوسف لولا ان تفقدون فعند ذلك قالوا لا يهم مترفين له يا ابا ناس استغفر لنا ذنوبنا اننا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم اي من تاب اليه تاب عليه قال ابن مسعود وارايم التبي وعرو بن قيس وابن جريج وغيرهم

ارجأهم الى وقت السحر وقال ابن جرير حدثني أبو السائب حدثنا ابن ادريس سمعت عبد الرحمن بن اسحق يذكر عن محارب بن دثار قال كان عمر رضي الله عنه يأتي المسجد فيسمع انسانا يقول اللهم دعوتني فأجبت وأمرني فاطعت وهذا السحر فاعتزلي قال فاستمع الصوت فاذا هو من دار عبد الله بن مسعود فسأل عبد الله عن ذلك فقال ان يعقوب أخرني به الى السحر بقوله سوف أستغفر لكم ربي وقد ورد في الحديث ان ذلك كان ليلة الجمعة كما قال ابن جرير أيضا حدثني المثني حدثنا سليمان بن عبد الرحمن أبو أيوب الدمشقي حدثنا ابو الوليد أنبأنا ابن جريج عن عطاء وعكرمة عن ابن عباس (٢٢١) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سوف

أستغفر لكم ربي يقول حتى تأتي ليلة الجمعة وهو قول أخي يعقوب لبنيه وهذا غريب من هذا الوجه وفي رفعه نظر والله أعلم فلما دخلوا على يوسف أوى اليه أبو يه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ورفع أبو يه على العرش وخزواله سبحانه وقال يا ابت هذات أولي رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي اذا أخرجني من السجن وجاء بكم من البدون بعد ان ترغ الشيطان بيني وبين اخوتي ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم يخبر تعالى عن ورود يعقوب عليه السلام على يوسف عليه السلام وقدومه ببلاد مصر لما كان يوسف قد تقدم لآخوته أن يأتوه بأهلهم أجمعين ففتحوا عن آخرهم وترحلوا من بلاد كنعان قاصدين ببلاد مصر فلما أخبر يوسف عليه السلام باقترابهم خرج لتلقينهم وأمر الملك أمره وأكابر الناس بالخروج مع يوسف لتلقى نبي الله يعقوب عليه السلام ويقال ان الملك خرج أيضا لتلقينه وهو الاشبه وقد أشكل قوله أوى اليه أبو يه

اقتصروا على مجرد سلب صفة الكمال ثم ذكر صفة أخرى من صفاتهم فقال (أموات) يعني ان هذه الاصنام أجسادها جادات ميتة لا حياة لها أصلا فزيادة قوله (غير أحياء) لبيان انها ليست كبعض الاجساد التي تتوعد بثبوت الحياة لها بل لا حياة لها هذه أصلا فكيف يعبدونها وهم أفضل منها لانهم أحياء (وما يشعرون) اي الآلهة (أيان يعثون) اي الكفار الذين يعبدون الاصنام والمعنى ما تشعر هذه الجادات من الاصنام أيان يعث عبدتهم من الكفار ويكون هذا على طريقة التكم لهم لان شعور الجادات مستحيل بما هو من الامور الظاهرة فضلا عن الامور التي لا يعلمها الا الله سبحانه وقيل معناه ما يشعر هذه الاصنام أيان تعث ومتى يعثها الله وبه بدأ القاضى تبعا للكشاف ويؤيد ذلك ما روي ان الله يعث الاصنام ويخلق لها أرواحا معها شياطينا فيؤمر بكلها الى النار ويدل على هذا قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقيل قدمت الكلام عند قوله وهم يخلقون ثم ابتدأ فوصف المشركين بانهم أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يعثون فيكون الضمير ان على هذا الكفار وعلى القول بان الضمير ان وأحد هما للاصنام يكون التعبير عنهما مع كونها لا تعقل بما هو للعقلاء جريا على اعتقاد من يعبدها بانها تعقل وأيان بفتح الهمزة وكسر الغتان وفي الآية قول آخر وهو ان أيان ظرف لقوله (الهكم الله واحد) يعني ان الاله يوم القيامة واحد ولم يدع أحد تعدد الالهة في ذلك اليوم بخلاف أيام الدنيا فانه قد وجد فيها من ادعى ذلك وعلى هذا فقد تم الكلام على قوله يشعرون الان هذا القول مخرب لا يان عن موضوعها وهو اما الشرط واما الاستفهام الى محض الظرفية بمعنى وقت مضاف للجملة بعده والظاهر تفسيره متى يعثون كما في الكشاف وغيره ولما زيف سبحانه طريقة عبدة الاصنام صرح بما هو الحق في نفس الامر وهو وحدانيته سبحانه وهو نتيجة ما قبله ثم ذكر ما لاجله أصر الكفار على شركهم فقال (فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) جاحدة للوحدانية لا يؤثر فيها وعظ ولا ينفع فيها تكبر (وهم مستكبرون) عن قبول الحق متعظمون عن الأدعان للصواب مستترون على الجحد (لاجرم) قال الخليل هي كلمة تحقيق ولا يكون الاجوابا أي حقا قلت لانا فيه وجرم بمعنى بد وهذا بحسب الاصل وأما الآن فتدركت لامع جرم تركيب خمسة عشر وجعلنا معنى كلمة واحدة وتلك الكلمة مصدر أو فعل معناه حق وثبت وقوله (ان الله) فاعل لاجرم وقد مر تحقيق الكلام

وقال ادخلوا مصر على كثير من المفسرين فقال بعضهم هذا من المقدم والمؤخر ومعنى الكلام وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين وأوى اليه أبو يه ورفعها على العرش ورد ابن جرير هذا وأجاد في ذلك ثم اختار ما حكاه عن السدي ان يوسف أوى اليه أبو يه لما تلقاهما ثم لما وصلوا باب البلد قال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين وفي هذا نظر أيضا لان الايواء انما يكون في المنزل كقوله أوى اليه أخاه وفي الحديث من أوى محذورا وما المانع ان يكون قال لهم بعد ما دخلوا عليه وآواهم اليه ادخلوا مصر وضمنه اسكنوا مصر ان شاء الله آمنين أي مما كنتم فيه من الجهد والقحط ويقال والله أعلم ان الله تعالى رفع عن أهل مصر بقية السنين الجديدة بركة قدوم

يعقوب عليهم كما رفع بقية السنين التي دعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل مكة حين قال اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف ثم لما نضر عواليه واستشفعوا لديه وأرسلوا بأباسفيان في ذلك فدعاهم فرفع عنهم بقية ذلك بركة دعائه عليه السلام وقوله آوى إليه أبويه قال السدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم أباه وخالته وكانت أمه قدماءت قديما وقال محمد بن اسحق وابن جرير كان أبوه وأمّه يعيشان قال ابن جرير ولم يرقم دليلا على موت أمه وظاهر القرآن يدل على حياتها وهذا الذي نصره هو المتصور الذي يدل عليه السياق وقوله ورفع أبويه على (٢٢٢) العرش قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد يعني السير بأجلهم ما

معه عليه وخواله سجدوا له أبو له وأخوته الباقون وكانوا أحد عشر رجلا وقال يابن هذا تأويل روي من قبل أي التي كان قصها على أبيه من قبل أني رأيت أحد عشر كوكبا الآية وقد كان هذا سائغا في شراعتهم إذا سلوا على الكبير يسجدون له ولم يزل هذا جائزا من لدن آدم إلى شريعة عيسى عليه السلام فخرم هذا في هذه الملة وجعل السجود مختصا لجناب الرب سبحانه وتعالى هذا مضمون قول قتادة وغيره وفي الحديث ان معاذ قدم الشام فوجدهم يسجدون لا ساقفتهم فلما رجع يسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا يا معاذ فقال اني رأيتهم يسجدون لا ساقفتهم وأنت أحق ان يسجد لك يا رسول الله فقال لو كنت أمرا أحد ان يسجد لأحد لا امرت المرأة ان تسجد لوجه العظم حقه عليها وفي حديث آخر ان سلمان لقي النبي صلى الله عليه وسلم في بعض طرق المدينة وكان سلمان حديث السن بالاسلام فسجد للنبي صلى الله عليه وسلم

في لاجرم باسطن من هذا قال أبو مالك لاجرم يعني الحق وقال الضمك لا كذب (يعلم مايسرون) من أقوالهم وأفعالهم (وما يعلمون) من ذلك (انه لا يجب المستكبرين) أي لا يجب هؤلاء الذين يستكبرون عن توحيد الله والاستجابة لأبيائه والجملة تعليل لما تضمنه الكلام المتقدم أخرج مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه وغيرهم عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان فقال رجل يا رسول الله الرجل يجب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا فقال ان الله جميل يحب الجمال الكبر من بطن الحق وغمض الناس وفي ذم الكبر ومدح التواضع أحاديث كثيرة وكذلك في اخراج حجة حسن الثوب وحسن النعل ونحو ذلك من الكبر أحاديث كثيرة فقد روى عن الحسين ابن علي انه مرتعا كين قد قدموا كسر اللهم وهم يأكلون فقالوا الغداء يا أبا عبد الله فنزل وجلس معهم وقال انه لا يجب المستكبرين ثم أكل فلما فرغوا قال قد أجبتكم فاجيبوني فقاموا معه الى منزله فاطعمهم وسقاهم وأعطاهم فأنصرفوا قال العلماء كل ذنب يمكن ستره واخفاؤه الا التكبر فانه فسق يلزمه الاعلان وهو أصل العصيان كاه وفي الحديث الصحيح ان المتكبرين أمثال الذرير يوم القيامة تطوهم الناس باقدامهم لتكبرهم أو كما قال صلى الله عليه وآله وسلم تصغر لهم أجسامهم في المحشر حين يضرهم تصغيرها وتعظم لهم في النار حين يضرهم عظمها ذكره القرطبي والحاصل ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد بين ماهية الكبرانه بطرا الحق وغمض الناس فهذا هو الكبر المذموم وقد ساق صاحب الدر المنثور عند نفسه بغيره لهذه الآية أحاديث كثيرة ليس هذا مقام ايرادها بل المقام مقام ذكر ماله علاقة بنفسه الكتاب العزيز ثم شرع في ذكر شي من قبائح المشركين فقال (واذا قيل لهم) أي واذا قال هؤلاء الكفار المنكبرين المستكبرين قائل (ماذا) أي أي شيء أو ما الذي (أنزل ربكم) قيل القائل النضر بن الحرث وكانت عنده كتب التواريخ ويزعم ان حديثه أجل وأتم مما أنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم والآية تنزل فيه فيكون هذا القول منه على طريق التهكم وقيل القائل هو من يفد عليهم أو بهضهم لبعض وقيل القائل المسلمون فاجاب المشركون المنكبرون (قالوا أساطير الأولين) بالرفع أي مات دعون أيها المسلمون أساطير الأولين وأحاديثهم وأباطيلهم أو ان المشركين

فقال لا تسجد لي يا سلمان والسجد للحي الذي لا يموت والغرض ان هذا كان جائزا في شراعتهم ولهذا أخره وأرادوا سجدا فعندها قال يوسف يابن هذا تأويل روي من قبل قد جعلها ربي حقا أي هذا ما آل إليه الامر فان التأويل يطلق على ما يصير إليه الامر كما قال تعالى هل يتظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله أي يوم القيامة يأتيهم ما وعدوا به من خير وشر وقوله قد جعلها ربي حقا أي صححة صدقا يذ كر نعم الله عليه وقد أحسن بي اذا خرجني من السجن وجاء بك من البدو أي البادية قال ابن جرير وغيره كانوا من أهل بادية وماشية وقال كانوا يسكنون بالعربات من أرض فلسطين من غور الشام قال وبعض

يقول كانوا بالاولاج من ناحية شعب أسقل من حسمى وكانوا أصحاب بادية وشاءوا بل من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين
اخوتي ان ربي لطيف لما يشاء اى اذا اراد امر اقبض له اسبابا وقدره ويسره انه هو العليم بمصالح عبادة الحكيم في اقواله
وأفعاله وقضائه وقدره وما يختاره ويريد. قال ابو عثمان التهمذى عن سليمان كان بين رؤيا يوسف وتأويلها أربع سنين قال
عبد الله بن شداد واليه ينتهى أقصى الرؤيا رواه ابن جرير وقال أيضا حدثنا عمر بن علي حدثنا عبد الوهاب الثقفي حدثنا هشام
عن الحسن قال كان منذ فارق يوسف يعقوب الى أن التقيتهما ثمانون سنة (٢٢٣) لم يفارق الحزن قلبه ودموعه تجري على خديه

وما على وجه الارض عبد أحب
الى الله من يعقوب وقال هشيم عن
يونس عن الحسن ثلاث وعشرون
سنة وقال مبارك بن فضالة عن
الحسن ألقى يوسف في الحب
وهو ابن سبع عشرة سنة فغاب عن
أبيه ثمانين سنة وعاش بعد ذلك
ثلاثا وعشرين سنة فمات وله

عشرون ومائة سنة وقال قتادة كان
بينهما خمس وثلاثون سنة وقال محمد
ابن اسحق ذكر والله أعلم ان غيبة
يوسف عن يعقوب كانت ثمانى عشرة
سنة قال وأهل الكتاب يزعمون
انها كانت أربعين سنة أو نحوها
وان يعقوب عليه السلام بقى مع
يوسف بعد ان قدم عليه بمصر
سبع عشرة سنة ثم قبضه الله اليه
وقال أبو اسحق السبيعي عن ابي
عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال
دخل بنو اسرائيل مصر وهم ثلاثة
وستون انسانا وخرجوا منها وهم
ستمائة ألف وسبعون ألفا وقال
أبو اسحق عن مسروق دخلوا وهم
ثلثمائة وتسعون بين رجل وامرأة
وقال موسى بن عبيدة عن محمد بن

أرادوا الدهرية بالمسلمين فقالوا المنزل عليكم أساطيرهم وعلى هذا فلا يرد ما قيل من ان
هذا لا يصلح أن يكون جوابا من المشركين والالكان المعنى الذى أنزله ربنا أساطير الاولين
والكفار لا يقرون بالانزال ووجه عدم وروده هو ما ذكرناه وقيل هو كلام مستأنف اى
ليس ما تدعون انزاله أيها المسلمون منزلا بل هو أساطير الاولين والاساطير الاباطيل
والترهات التى يتحدث الناس بها عن القرون الاولى وليس من كلام الله فى شئ ولا مما أنزله
أصلا فى زعمهم وهى جمع أسطورة كأحاديث وأصاحيك وأعاجيب جمع أحادوث
وأضحوكة وأجوبة (ليحملوا) اى قالوا هذه المقالة لى يحملوا (أوزارهم) كالملة يوم
القيامة لم يكفر منها شئ لعدم اسلامهم الذى هو سبب لتكفير الذنوب وقيل ان اللام هى
لام العاقبة لانهم لم يصفوا القرآن بكونه أساطير لاجل ان يحملوا الازار ولكن لما كان
عاقبتهم ذلك حسن التعلل به كقوله ليكون لهم عدوا وحزنا وقيل هى لام الامر قال الرازى
فى الآية وهذا يدل على انه تعالى قد يسقط بعض العقاب عن المؤمنين اذ لو كان هذا المعنى
خاصا فى حق الكل لم يكن لتخصيص هؤلاء الكفار بهذا التكميل فائدة (ومن أوزار
الذين يضلونهم) اى ويحملون بعض أوزار الذين أضلواهم لان من سن سنة سيئة كان عليه
وزرها ووزر من عمل بها كما ورد فى الحديث وقيل من الجنس لا للتبعض اى يحملون كل
أوزار الذين يضلونهم قاله الواحدى (بغير علم) حال من الفاعل والمعنى ان الرؤساء يضلون
الناس جاهلين غير عالين بما يدعونهم اليه ولا عارفين بما ينزهم من الآثام وقيل انه حال
من المفعول اى يضلون من لا يعلم انهم ضلال قاله الرخشيروى وعليه جرى القاضى وفائدتها
الدلالة على ان جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين الحق والباطل
ولا يقنعوا بالتقليد البحت العمى ورجح الاول بانه من المحدث عنه والمسند اليه الاضلال
على جهة الفاعلية والمعنى انهم يقدمون على الاضلال جهلا منهم بما يستحقونه من
العذاب الشديد فى مقابلته ومثل هذه الآية قوله وليحملن أثقالهم وأثقالهم
وقوله ولتحمل خطاياكم وقد تقدم فى الانعام الكلام على قوله ولا تزروا زورا زورا
فمعناه وزرا لا مدخل لها فيه ولا تعلق له بها بسبب ولا غيره قال ابن عباس يحملون مع
ذنوبهم ذنوب الذين يضلونهم بغير علم وعن مجاهد نحوه وزاد ولا يخفف ذلك عن أطاعهم
من العذاب شيئا (الاساء ما يزرون) اى بس شيئا يزرونه ويحملونه وفى ذلك وعيد وتهديد

كعب القرظى عن عبد الله بن شداد اجتمع آل يعقوب الى يوسف بمصر وهم ستمائة وثمانون انسانا صغيرهم وكبيرهم وذكرهم
وأشاهم وخرجوا وهم ستمائة ألف وبنف (رب قد آتيتنى من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض أنت
ولى فى الدنيا والاخرة توفىنى مسلما وألحقنى بالصالحين) هذا دعاء من يوسف الصديق دعا به ربه عز وجل لما تمت نعمته الله
عليه باجتماعه بأبويه واخوته وما من الله به عليه من النبوة والملك سأل ربه عز وجل كما تم نعمته عليه فى الدنيا ان يستقر بها
عليه فى الآخرة وان يتوفاه مسلما حين يتوفاه قاله الضحاك وان يلحقه بالصالحين وهم اخوته من النبيين والمرسلين صلوات الله

وسلامه عليهم أجمعين وهذا الدعاء يحتمل ان يوسف عليه السلام قاله عند احتضاره كما ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يرفع اصبعه عند الموت ويقول اللهم في الرفيق الاعلى ثلاثا ويحتمل انه سأل الوفاة على الاسلام والمجاهد بالصالحين اذا جاء أجله وانقضى عمره لانه سأل ذلك منجزا كما يقول الداعي غيره أما تك الله على الاسلام ويقول الداعي اللهم وأمتنا مسلمين ووفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين ويحتمل انه سأل ذلك منجزا وكان ذلك سائغا في ملتهم كما قال قتادة قوله توفي مسلما وألحقني بالصالحين (٢٢٤) لما جمع الله شمله وأقر عينه وهو يومئذ مغمر في الدنيا ومملكتها

ونصارتها اشتاق الى الصالحين قبله وله وكان ابن عباس يقول ماتني نبي قط الموت قبل يوسف عليه السلام وكذلك ذكر ابن جرير والسدي عن ابن عباس انه أول نبي دعا بذلك وهذا يحتمل انه أول من سأل الوفاة على الاسلام كما ان نوحا أول من قال رب اغفر لي ولوالدي ولين دخل بيتي مؤمنا ويحتمل انه أول من سأل ان يجاز ذلك وهو ظاهر سياق قتادة ولكن هذا لا يجوز في شريعتنا قال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله حدثنا اسمعيل بن ابراهيم حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتمين أحدكم الموت لضر نزل به فان كان ولا بد متمنيا الموت فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي واخرجاه وعندهما لا يتمين أحدكم الموت لضر نزل به ان كان محسنا فزيدوا وان كان مسيا فلعله يستعتب ولكن ليقول اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وقال الامام أحمد حدثنا ابو المغيرة حدثنا معاذ

لهم ثم حكى سبحانه حال أضرابهم من المتقدمين فقال (قدمكر الذين من قبلهم) ذهب أكثر المفسرين الى ان المراد به نمرود بن كنعان حيث بنى بناء عظيما يابا بل طوله في السماء خمسة آلاف ذراع وقيل فرسخان ورام الصعود الى السماء ليقا تل أهلها فاهب الله الريح فخر ذلك البناء عليه وعلى قومه فهلكوا وكان أعظم أهل الارض تخبيرا في زمن ابراهيم عليه السلام ونمرود بضم النون والذال المعجمة وهو ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة والاولى ان الآية عامة في جميع المبطلين الماكرين الذين يحاولون الحاق الضر بالمحقين المؤمنين ومعنى المكر هنا الكيد والتدبير الذي لا يطابق الحق وفي هذا وعبد للكفار المعاصرين له صلى الله عليه وآله وسلم بل ما كرههم سيء وود عليهم كما عاد مكر من قبلهم على أنفسهم (فأتى الله) أي أتى أمر الله وهو الريح التي أخرت (بنيتهم) قال المفسرون أرسل الله ريحا فالقت رأس الصرح في البحر وخر عليهم الباقي بالزلزلة من أسفله فأهلكهم وهم تحته (من القواعد) قال الزجاج أي من الاساطين وقيل من أصوله واساسه بكسر الهمزة جمع أس وأما بالفتح فجمعه أسس بضمين قيل لما سقطت تلبت أنس الناس بالفرع فتكلموا يومئذ بثلاث وسبعين لسانا فلذلك سميت بابل وكان لسان الناس قبل ذلك السريانية هكذا ذكره البغوي وفي هذا نظر لان صالحا كان قبلهم وكان يتكلم بالعربية وكان أهل اليمن عربا منهم جرهم الذي نشأ اسمعيل بينهم وتعلم منهم العربية وكان قبائل من العرب قديمة قبل ابراهيم كل هؤلاء عرب والمعنى انه أناها أمر الله من جهة قواعدها فزعزعاها (فخر عليهم السقف) بفتح السين وضمها مع سكون القاف وبضعها وضم القاف أي انه سقط عليهم السقف لانه بعد سقوط قواعد البناء يسقط جميع ما هو معتمدا عليها قال ابن الاعرابي وانما قال (من فوقهم) ليعلم انهم كانوا حالين تحته والعرب تقول خر علينا سقف ووقع علينا حائط اذا كان يملكه وان لم يكن وقع عليه فجاء بقوله من فوقهم ليخرج هذا الشك الذي في كلام العرب فقال من فوقهم أي عليهم ووقعوا كانوا تحته فهلكوا وما أفلتوا وقيل هو لثأ كيد لان السقف لا يختر الامن فوق وقيل ان المراد بالسقف السماء أي أتاهاهم العذاب من السماء التي فوقهم وقد اختلف في هؤلاء الذين خر عليهم السقف فقيل هو نمرود بن كنعان حين بنى الصرح قاله ابن عباس وعن مجاهد نحوه وقيل انه بختنصر وأصحابه وقيل هم المقتسمون الذين تقدم ذكرهم في سورة الحجر

ابن رفاعه حدثني علي بن يزيد عن القاسم عن ابي امامة قال جلسنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا ورقنا فبكي وقيل سعد بن أبي وقاص فأكثر البكاء وقال ياليتني مت فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا سعد اعندى تمى الموت فرد ذلك ثلاث مرات ثم قال يا سعد ان كنت خلقت الجنة فما طال من عمر لو حسن من عملك فهو خير لك وقال الامام احمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا ابو يونس هو مسلم بن جبير عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يتمين أحدكم الموت ولا يدع به من قبل ان يأتيه الا ان يكون قد وثق بعمله فانه اذا مات أحدكم انقطع عنه عمله وانه لا يزيد المؤمن عمله الا خيرا تفرد به احمد وهذا فيما اذا كان

الضرر خاصه وأما إذا كان فتنه في الدين فيجوز سؤال الموت كما قال الله تعالى اخبارا عن السحرة لما أرادهم فرغون عن دينهم
وتهددهم بالقتل قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وقالت مريم لما جاءها الخاض وهو الطلق الى جذع النخلة يا ليتني مت
قبل هذا وكنت نسيا منسيا لما علمت من ان الناس يقذفونها بالفاحشة لانهم لا تكن ذات زوج وقد حلت ووضعت وقد قالوا يا مريم
لقد جئت شيئا فريا يا أخت هرون ما كان أبوك امرء سوء وما كانت أمك بغيا فجعل الله لهامن ذلك الحال فرجا ومخرجا وأنطقه
في المهدياته عبد الله ورسوله فكان آية عظيمة ومعجزة باهرة صلوات الله (٢٢٥) وسلامه عليه وفي حديث معاذ الذي رواه

الامام أحمد والترمذي في قصة المنام
والدعاء الذي فيه وإذا أردت بقوم
قتسه فاقبضني اليك غير مقتون
وقال الامام أحمد حديثا أبو سلمة
أبنا عبد العزيز بن محمد عن عمرو
ابن عاصم عن كثير بن قتادة عن
محمد بن بسيد مر فوعان النبي صلى
الله عليه وسلم قال انتان يكرههما
ابن آدم يكره الموت والموت خير
للمؤمن من الفتن ويكرهه المال
وقله المال أقل للحساب فعند حلول
الفتن في الدين يجوز سؤال الموت
ولهذا قال علي بن ابي طالب رضي
الله عنه في آخر خلافة لما رأى ان
الامور لا تجتمع له ولا يزداد الامر
الاشدة فقال اللهم خذني اليك
فقد سميتهم وسأمتني وقال
البخاري رحمه الله لما وقعت له تلك
الفتنة وجرى له مع أمير خراسان
ما جرى قال اللهم توفني اليك وفي
الحديث ان الرجل يمر بالقبر أى في
زمان الدجال فيقول يا ليتني مكانك
لما يرى من الفتن والزلازل والبلابل
والامور الهائلة التي هي فتنة لكل
مفتون قال أبو جعفر بن جرير
أن بني يعقوب الذين فعلوا يوسف

وقيل المعنى على العموم يعني انهم لما رتبوا منصوبات ليكرهوا بهي اعي انبياء الله وأهل الحق
من عباده أهلكهم الله وجعل هلاكهم مثل هلاك قوم نوايبنا نواوشقا شديدا ودعوه
بالاساطين فانهم ذلك البنيان وسقط عليهم فاهلكهم فهو مثل ضرب به لمن مكر باخر
فاهلكه الله بكمه ومنه المثل السائر على السنة الناس من حفر بئر الأخيه أو وقع الله
فيه وهذا ما اختاره القاضي كالكشاف والاول أولى ومع ذلك العبرة بعموم اللفظ
لا بخصوص السبب قال قتادة أنها أمر الله من أصلها اخر عليهم السقف من فوقهم
والسقف أعلى البيوت فانتفت بهم بيوتهم فاهلكهم الله ودمرهم (وأناهم العذاب)
اي الهلاك (من حيث لا يشعرون) به بل من حيث انهم في أمان لا يخطر العذاب بآلهم
ثم بين سبحانه ان عذابهم غير مقصور على عذاب الدنيا فقال (ثم يوم القيامة يخزيهم) اي
الكفار بادخالهم النار ويفضخهم بذلك ويذلهم ويهينهم عطف على مقدر أى هذا عذابهم
في الدنيا ثم يوم القيامة يخزيهم (ويقول) الله لهم مع ذلك تو بيجا وتقر يعا (أين شركائى)
كما تزعمون وتدعون ثم وصف هؤلاء الشركاء بقوله (الذين كنتم تشاقون) قرأ نافع بكسر
النون على الاضافة والياقون بقصمها اي تخصمون الانبياء والمؤمنين (فيهم) والمعنى على
قراءة الكسر تخصمونى وتعادونى وتحالفونى وقد ضعف أبو حاتم هذه القراءة والمشافة
عبارة عن كون كل واحد من الخصمين في شق غير شق صاحبه والمعنى مالهم لا يحضرون
معكم ادعوهم فليدفعوا عنكم هذا العذاب النازل بكم (قال الذين أتوا العلم) وهم
في الموقف قيل هم العلماء قالوا لا هم الذين كانوا يعظونهم ولا يلتفتون الى وعظهم وكان
هذا القول منهم على طريقة السماتة وقيل هم الانبياء وقيل الملائكة والظاهر الأول
لان ذكرهم بوصف العلم يفيد ذلك وان كان الانبياء والملائكة هم من أهل العلم بل هم
أعزق فيه لكن لهم وصف يذكرون به هو أشرف من هذا الوصف وهو كونهم أنبياء أو
كونهم ملائكة ولا يتقدح في هذا جواز الاطلاق لان المراد الاستدلال على الظهور فقط
(ان الخزي اليوم) اي الذل والهوان والفضيحة يوم القيامة (ولسوء) اي العذاب (على
الكافرين) مختص بهم بقولونه شماتة بهم (الذين تتوفاهم) بالتاء والياء وهما سبعين
لكنهم مع الياء يقرأ بالماله في الموضعين والتدكير على ان الملائكة ذكور والتأنيث لان
لفظ الجمع مؤنث (الملائكة) وهم ملك الموت عزراييل وأعوانه (ظالمى أنفسهم) بالكسر

(٢٩ فتح البيان خامس)

ما فعلوا استغفرهم أبوهم فتأب الله عليهم وعفاهم وغفر لهم ذنوبهم (ذ كمن قال
ذلك) حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثني حجاج عن صالح المرزى عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال ان الله تعالى لما جاع
ليعقوب شملة بعينه خيلا ولده نجيا فقال بعضهم لبعض ألسنتم قد علمت ما صنعتن وما لقي منكم الشيخ وما لقي منكم يوسف قالوا بلى
قال فيغزكم عنوهما عنكم فكيف لكم بركم فاستقام أمرهم على ان أتوا الشيخ فجلسوا بين يديه ويوسف الى جنب أبيه فاعاد
قالوا يا أبا نانا أينالك لأمر لم نأتك لامر مثله قط وزل بنا أمر لم ينزل بنا مثله قط حتى حر كوه والانبياء عليهم السلام أرحم البرية فقال

ما لكم يا بني قالوا الست قد علمت ما كان منك وما كان منك وما كان منك قالوا بل قالوا ولستم قد عرفت ما لنا قالوا بل قالوا
فان عفوا كما لا ينبغي عناشيان كان الله لم يعف عنا قال فاستريدون يا بني قالوا تريد ان تدعوا لله لنا فاذا جاءك الوحي من الله بانه قد عفا
عنا فترت اعيننا واطمأنت قلوبنا ولافلاقرة عين في الدنيا لنا ابدأ قال فقام فاستقبل القبلة وقام يوسف خلف آية وقاموا خلفهما
أذلة خاشعين قال فدعا وأمن يوسف فلم يجب فيهم عشرين سنة قال صالح المترى يخيفهم قال حتى اذا كان على رأس العشرين
نزل جبريل عليه السلام على يعقوب عليه (٢٢٦) السلام فقال ان الله تعالى قد بعثني اليك بأشرك بان الله قد أجاب
دعوتك في ولدك وان الله قد عفا

وقد تقدم نفسه يره (فألقوا السلم) اي أقروا بالربوبية وانقادوا عند الموت ومعناه
الاستسلام قاله قطرب وقيل معناه المسالمة أي سالموا وتركوا المشاقة قاله الاخفش
وقيل معناه الاسلام اي أقروا بالاسلام وتركوا ما كانوا فيه من الكفر (ما كنا نعمل من
سوء) تفسير للسلم على أن يكون المراد بالاسلم الكلام الدال عليه ويجوز أن يكون المراد
بالسوء هنا الشرك ويكون هذا القول منهم على وجه الخلود والكذب أو من شدة الخوف
ومن لم يجوز الكذب على أهل القيامة حمله على انهم أرادوا انهم لم يعملوا سوءا في اعتقادهم
وعلى حسب ظنونهم ومثله قوله والله ربنا ما كنا مشركين فلما قالوا هذا أجاب عليهم أهل
العلم بقولهم (بلى) كنتم تعملون سوءا (ان الله عليهم بما) اي بالذي (كنتم تعملون)
فيجازيكم عليه ولا يتعكم هذا الكذب شيئا وقال عكرمة عنى بذلك ما حصل من الكفار
يوم بدر (فادخلوا أبواب جهنم) يقال لهم ذلك عند الموت وقد تقدم ذكر الابواب وان
جهنم درجات بعضها فوق بعض اي لم يدخل كل صنف الى الطبقة التي هو موعود بها وانما
قبل لهم ذلك لانه أعظم في الخزي والغم وفيه دليل على ان الكفار بعضهم أشد عذابا من
بعض (خالدين فيها) حال مقدرة لأن خلودهم مستقبلي (قلبتس منوى المتكبرين) هي
فالخصوص بالذم محذوف والمراد بتكبرهم هنا هو تكبرهم عن الايمان والعبادة كما في
قوله انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ثم اتبع واصف الاشقياء بأوصاف
السعداء فقال (وقيل للذين اتقوا) وهم المؤمنون (ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) اي أنزل
خيرا ورفع الاول ونصب هذا فرقا بين جواب المقر وجواب الجاحد (للذين أحسنوا
في هذه الدنيا حسنة) قيل هذا من كلام الله عز وجل وقيل هو حكاية لكلام الذين اتقوا
فيكون هذا بدلا من خير قاله الرنخسري وعلى الاول يكون كلاما مستأنفا مسوقا لمدح
المتقين والمعنى للذين أحسنوا أعمالهم بالايمان في الدنيا مشوبة بحسنة مضاعفة من الواحد
الى العشرة الى السبع مائة الى اضعاف كثيرة وقال قتادة أحسنوا اي آمنوا بالله وكتبه
ورسله وأمره واطاعة الله وحثوا عباد الله على الخير ودعوههم اليه قال الضحاك هي النصر
والفتح وقال مجاهد هي الرزق الحسن وقيل الحياة الطيبة وهي استحقاق المدح والثناء
أو فتح أبواب المشاهدات والمكاشفات قاله الكرخي (ولدار الآخرة) اي مشوبتها وهي
الجنة (خير) مما أوتوا في الدنيا (ولنم دار المتقين) دار الآخرة فحذف بالخصوص بالمدح

دعوتك في ولدك وان الله قد عفا
عما صنعوا وانه قد اعتقدوا ما يتقهم
من بعدك على السبوة هذا الاثر
موقوف عن أنس ويزيد الرقاشي
وصالح المري ضعيفان جدا وذكر
السدى ان يعقوب عليه السلام
لما حضره الموت أوصى الى يوسف
بان يدفن عند ابراهيم واسحق فلما
مات صبره وأرسله الى الشام فدفن
عندهما عليهم السلام (ذلك من
أبناء الغيب نوحيه اليك وما كنت
لديهم اذا جمعوا أمرهم وهم يكررون
وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين
وما نسألهم عليه من اجر ان هو
الاذ كر للعالمين) يقول تعالى لمحمد
صلى الله عليه وسلم لما قص عليه
نبأ اخوة يوسف وكيف رفعه الله
عليهم وجعل له العاقبة والنصر
والملك والحكم مع ما أرادوا به من
السوء والهلاك والاعداء هذا
وأمثاله يا محمد من اخبار الغيوب
السابقة نوحيه اليك وعلما به
يا محمد لما فيه من العبرة لك
والاعتاظ لمن خلفك وما كنت
حاضرا عندهم ولا مشاهدا لهم اذ
أجمعوا أمرهم اي على القائه

في الجب وهم يكررون به ولكنك أعلمنا به وحي اليك كقوله وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم
لالاة وقال تعالى وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر الاية الى قوله وما كنت بجانب الطور اذ نادينا بالآية
وقال وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا الاية وقال ما كان لي من علم بالملا اعلى اذ يتخصمون ان يوحى الى الانما
أنا نذير مبين يقول تعالى انه رسوله وانه قد أطلععه على انباء ما قد سبق مما فيه عبرة للناس ونجاة لهم في دينهم ودنياهم ومع هذا
ما آمن أكثر الناس ولهذا قال وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وقال وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله

كقوله ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين الى غير ذلك من الآيات وقوله وما تسألهم عليه من أجر اي ما تسألهم
 يا محمد على هذا النصح والدعاء الى الخير والرشد من أجر اي من جملة ولا أجره بل تفعله استعاضة بوجه الله ونصحه لخلقته ان هو
 الاذ كر للعالمين اي يتذكرون به ويهتدون وينجون به في الدنيا والآخرة (وكأن من آية في السموات والارض يترنون عليها وهم عنها
 معرضون وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون)
 يخبر تعالى عن غفلة أكثر الناس عن التفكر في آيات الله ودلائل (٢٢٧) توحيده بما خلقه الله في السموات والارض

من كواكب زاهرات ثوابت
 وسيارات وافلاك دائرات والجمع
 مسخرات وكم في الارض من قطع
 متجاورات وحدائق وجنات
 وجبال راسيات وبحار زاخرات
 وأوج متلاطمت وقفار شاسعات
 وكم من أحياء وأموات وحيوان
 ونبات وثمرات متشابهة ومختلفات
 في الطعم والرائحة واللون
 والصفات فسبحان الواحد الاحد
 خالق أنواع المخلوقات المنفرد بالادام
 والبقاء والصدية للاسماء والصفات
 وغير ذلك وقوله وما يؤمن أكثرهم
 بالله الا وهم مشركون قال ابن
 عباس من ايمانهم اذا قيل لهم من
 خلق السموات ومن خلق الارض
 ومن خلق الجبال قالوا الله وهم
 مشركون به وكذا قال مجاهد
 وعطاء وعكرمة والشعبي
 وقتادة والضحاك وعبد الرحمن
 ابن زيد بن أسلم وفي الصحيحين ان
 المشركين كانوا يقولون في تلييتهم
 ليسك لا شريك لك الا شريك هو لك
 تملكه وما ملك وفي صحيح مسلم انهم
 كانوا اذا قالوا ليسك لا شريك لك
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لدلالة ما قبله عليه (جنات عدن) اي بساتين اقامة من عدن بالمكان اذا اقام به قيل يجوز
 أن يكون هو المخصوص بالمدح فيجوز فيها ثلاثة أوجه رفعها بالابتداء والجملة المتقدمة
 خبرها أو رفعها خبر المبتدأ مضمرة أو رفعها بالابتداء والخبر محذوف وهو أضعفها ويجوز
 أن يكون جنات عدن خبر مبتدأ مضمرة لا على ما تقدم بل يكون المخصوص محذوفا
 تقديره ولهم دارهم هي جنات وقدره الرخسرى ولهم دار المتقين دار الآخرة ويجوز أن
 يكون مبتدأ والخبر الجملة من قوله يدخلونها ويجوز أن يكون الخبر مضمرا تقديره لهم جنات
 دل عليه قوله للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة قاله السمين (يدخلونها) اي تلك الجنات
 ولا يدخلونها عنها ولا يخرجون منها (تجري من تحتها) اي من تحت دور أهلها وقصورهم
 ومساكنهم (الانهار لهم فيها) اي في الجنات (ما يشاؤون) اي ما يقع عليه مشيئتهم صفوا
 عفوا يحصل لهم بمجرد ذلك وهذه الحالة لا تحصل الا في الجنة وذلك يدل على ان الانسان
 لا يجحد ما يريد في الدنيا (كذلك) اي الامر كذلك او مثل ذلك الجزاء (يجزي الله المتقين)
 المراد منهم كل من يتقى الشرك وما يوجب النار من المعاصي (الذين تتوفاهم) اي تقبض
 ارواحهم (الملائكة طيبين) حال من المفعول او الفاعل مقارنة أو مقدره وفيه أقوال
 اي طاهرين من شوائب الشرك والكفر والنفاق أو صالحين أو زاكية أفعالهم وأقوالهم
 او من ظلم أنفسهم بالمعاصي قاله البيضاوي او طيبين النفس ثقة بما يقونه من ثواب
 الله أو طيبة نفوسهم بالرجموع الى الله أو طيبين الوفاة اي هي عليهم سهلة لا صعوبة فيها
 وقال مجاهد طيبين أحياء وأمواتا قدر الله لهم ذلك أو فرحين ببشارة الملائكة اياهم
 بالجنة أو طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس وقيل طيبين
 كلمة جامعة لكل معنى حسن جلالها على العموم فدخل فيه جميع ما ذكر (يقولون) اي
 قائلين لهم يعني الملائكة حال مقارنة ان كان القول واقعا منهم في الدنيا أو مقدره ان كان
 واقعا في الآخرة (سلام عليكم) معناه يحتمل وجهين أحدهما أن يكون السلام اندارا
 لهم بالوفاة الثاني ان يكون تبشيرا لهم بالجنة لان السلام أمان وفي الكرخي يقولون لهم
 عند الموت سلام عليكم اي لا يخفقكم بعد دمكروه فهي حال مقارنة واستشهد له في الدرر
 المنثور بما أخرجه مالك وابن جرير والبيهقي وغيرهم عن محمد بن كعب القرظي قال اذا
 أشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك فقال السلام عليك يا ولي الله الله يقر أعليك

قد قد أي حسب حسب لا تزيدوا على هذا وقال الله تعالى ان الشرك اظلم عظيم وهذا هو الشرك الاعظم بعد مع الله غيره
 كما في الصحيحين عن ابن مسعود قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك وقال الحسن البصري في قوله
 وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون قال ذلك المنافق يعمل اذا عمل رياء الناس وهو مشرك بعمله ذلك يعني قوله تعالى ان
 المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وثمر شرك آخر
 خفي لا يشعر به غالب افعاله كما روى جاد بن سلمة عن عاصم بن ابي النجود عن عروة قال دخل حذيفة على مريض فرأى في عضده سيرا

فقطعه أو انتزعه ثم قال وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون وفي الحديث من حلف بغير الله فقد أشرك رواه الترمذي وحسنه من رواية ابن عمر وفي الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الرقي والتأمم والتولة شرك وفي لفظ لهما وما منا إلا ولكن الله يذهب بالتوكل ورواه الامام أحمد بإسناد من هذا فقال حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن يحيى الجزاعي عن ابن أخي زينب امرأة عبد الله بن مسعود قالت كان عبد الله إذا جاء من حاجة فأنهسى إلى الباب فتخرج ويزق (٢٢٨) كراهة أن يهجم منا على أمر يكرهه قالت وأنه جاء ذات يوم فتخرج

وعندي يجوز ترقيتي من الحجره فادخلتها تحت السرير قالت فدخل فجلس إلى جاني فرأى في عنقي خيطا فقال ما هذا الخيط قالت قلت خيط رقي لي فيه فأخذه فقطعه ثم قال إن آل عبد الله لا غنياء عن الشرك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الرقي والقائم والتولة شرك قالت قلت لم تقول هذا وقد كانت عيني تفرق فكنت اختلف إلى فلان اليهودي يرقها فكان إذا رقاها ساكنت فقال إنما ذلك من الشيطان كان يخصها بيده فإذا رقاها كف عنها إنما كان يكفيك إن تقولني كما قال النبي صلى الله عليه وسلم أذهب الباس رب الناس اشف وأنت الشافي لاشفاء الاشفاء لشفاء لا يغادر سقما وفي حديث آخر رواه الامام أحمد عن وكيع عن ابن أبي ليلى عن عيسى بن عبد الرحمن قال دخلت على عبد الله بن عكيم وهو مريض فعوده فقيل له لو تعلقت شيئا فقال أعلق شيئا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلق شيئا وكل إليه ورواه النسائي عن أبي هريرة

السلام وبشره بالجنة ونحوه في الكشاف وقال أبو حيان الظاهر أن السلام إنما هو في الآخرة ولذلك جاء بعده ادخلوا الجنة فهو من قول خزنة الجنة وعليه فهي حال مقدرة (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) أي بسبب عملكم قيل يحتمل هذا وجهين الأول يكون تبشيرا بدخول الجنة عند الموت الثاني أن يكون ذلك لهم في الآخرة ولا ينافي هذا دخول الجنة بالفضل كما في الحديث الصحيح سددوا وقاربوا واعلموا أنه لن يدخل أحد الجنة بعمله قيل ولأن رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته وقد قدمنا البحث عن هذا (هل ينظرون) هذا جواب شبهة أخرى لمنكري النبوة فإنهم طلبوا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن ينزل عليهم ملكا من السماء يشهد على صدقه في ادعاء النبوة فقال هل ينظرون في تصديق نبوتك (الآن تأتيهم) بالثناء والثناء سبعيتان (الملائكة) شاهدين بذلك ويحتمل أن يقال أنهم لما طعنوا في القرآن بأنه أساطير الأولين أو عدهم الله بقوله هل ينظرون الآن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم (أو يأتي أمر ربك) أي عذابه في الدنيا المستأصل لهم والمراد بأمر الله القيامة والمراد بكونهم ينظرون أنهم ينتظرون آيات الملائكة أو آيات الله على التفسير الآخر أنهم قد فعلوا فعل من وجب عليه العذاب وصار منتظرا له وليس المراد أنهم ينتظرون ذلك حقيقة فإنهم لا يؤمنون بذلك ولا يصدقونه قيل أو مانعه خلقه فان كلاً من الموت والعذاب يأتيهم وان اختلف الوقت وانما عبر بأودون الواو إشارة إلى كفاية كل واحد من الأمرين في تعذيبهم كما أفاده أبو السعود (كذلك) أي مثل فعل هؤلاء من الاصرار على الكفر والتكذيب والاستهزاء (فعل الذين من قبلهم) من طوائف الكفار فأتاهم أمر الله فهلكوا (وما ظلمهم الله) بتدميرهم بالعذاب فإنه أنزل بهم ما استحقوه بكفرهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بما ارتكبهوه من القبائح وفيه ان ظلمهم مقصور عليهم باعتبار ما يؤول إليه (فأصابهم سيئات ما عملوا) أي أجزية أعمالهم السيئة أو جزاء سيئات أعمالهم معطوف على فعل الذين من قبلهم وما بينهما اعتراض (وحاق) أي نزل (بهم) على وجه الاحاطة والحق لا يستعمل الا في الشر والبيضاوي فلا يقال حاقت به النعمة بل النعمة قاله الشهاب (ما) أي العذاب الذي (كانوا به يستهزئون) أو عقاب استهزأهم (وقال الذين أشركوا) هذا نوع آخر من كفرهم الذي حكاه الله تعالى عنهم والمراد بالذين أشركوا هنا أهل مكة (لو شاء الله)

وفي مسند الامام أحمد من عقبه بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من علق تميمة فقد أشرك وفي رواية عدم من تعلق تميمة فلا أتم الله له ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له وعن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركه وشركه رواه مسلم وعن أبي سعيد بن أبي فضالة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه ينادي مناد من كان أشرك في عمل عملا لله فليطلب ثوابه من عند غير الله فان الله أغنى الشركاء عن الشرك رواه الامام أحمد وقال أحمد حدثنا يونس

حدثنا الليث عن يزيد بن عمار عن عمرو بن محمود بن إسماعيل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله قال الرياء يقول الله تعالى يوم القيامة إذا جازى الناس بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء وقد رواه اسمعيل بن جعفر عن عمرو بن أبي عمرو ومولى المطلب عن عاصم بن عمرو عن قتادة عن محمود بن لبيد بن وهب وقال الإمام أحمد حدثنا حسن بن أبي نعيم عن أنبأنا ابن هبيرة عن أبي عبد الرحمن الجبلي عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢٢٩) من رذته الطيرة عن حاجته فقد أشرك قالوا

يا رسول الله ما كفارة ذلك قال إن يقول أحدكم اللهم لا خير الاخيرك ولا طير الاطيرك ولا اله غيرك وقال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن غير حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان العرزي عن أبي علي رجل من بني كاهل قال خطبنا أبو موسى الأشعري فقال يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من ديب النمل فقام عبد الله بن حرب وقيس بن المضارب فقالا والله لنخرجن مما قلت أولنا تين عمر ما ذونا لنا أو غير ما ذون قال بسل أخرج مما قلت خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من ديب النمل فقال له من شاء الله أن يقول فكيف تقيمه وهو أخفى من ديب النمل يا رسول الله قال قولوا اللهم اننا نعوذ بك أن نشرك بك شيئا نعلمه ونستغفر لك لما لا نعلم وقد روى من وجه آخر وفيه ان السائل في ذلك هو الصديق كما رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي من حديث عبد العزيز بن مسلم عن ليث بن أبي

عدم عبادتنا الشيء غيره (ما عبدنا من دونه من شيء) أي لحصل ذلك جئت أولم تجيء ولو شاء منا الكفر لحصل جئت أولم تجيء وإذا كان كذلك فالكل من عند الله فلا فائدة في بعثة الرسل إلى الأمم ومن الأولى بيانية والثانية زائدة لتأكيد الاستغراق (فمن) تأ كيد لضمير عبدنا لا تصحح العطف لوجود الفواصل وإن كان محسنه (ولا آباؤنا) الذين كانوا على ما نحن عليه الآن من الكفر والشرك بالله قال الزجاج أنهم قالوا هذا على وجه الاستهزاء ولو قالوه عن اعتقاد لكانوا مؤمنين انتهى وقدمضى الكلام على مثل هذا في سورة الانعام (ولا حرمنا من دونه من شيء) من السوائب والوصائل والجمائر ونحوها ومقصودهم به هذا القول المعلق بالمشيئة الطعن في الرسالة أي لو كان ما قاله الرسول حتما من المنع من عبادة غير الله والمنع من تحريم ما لم يحرمه الله كما يكاد ذلك عن الله لم يقع مننا ما يخالف ما أراه منا فإنه قد شاء الله ذلك وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فلما وقع منا العبادة لغيره وتحريم ما لم يحرمه كان ذلك دليلا على ان ذلك هو المطابق لمراة والموافق لمشيئته مع أنهم في الحقيقة لا يعترفون بذلك ولا يقرون به لكنهم قصدوا ما ذكرنا من الطعن على الرسل والظاهر أن من الأولى والثانية ههنا زائدان أي ولا حرمنا شيئا حال كوننا دونه أي دون الله أي مستقلين بتحريره قاله الحنفياوى (كذلك فعل الذين من قبلهم) من طوائف الكفر فانهم أشركوا بالله وحرموا ما لم يحرمه وجادلوا رسلهم بالباطل واستهزؤا بهم ثم قال (فهل على الرسل) الذين يرسلهم الله إلى عباده بمشأعهم لهم من الشرائع التي رأسها توحيد وترك الشرك به (الابلاغ المبين) إلى من أرسلوا إليهم بما أمروا به وتبليغه بلاغا واضحا يفهمه المرسل إليهم ولا يلتبس عليهم والبلاغ مصدر بمعنى الابلاغ ثم انه سبحانه أ كدهذا وزاده ايضا فقال (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا) كما بعثنا في هؤلاء لاقامة الحجية عليهم وما تكلم مع الذين حتى نبعث رسولا وأن في قوله (أن اعبدوا الله) امام صدرية أي بعثنا بان اعبدوا الله وحده أو مفسرة لأن في البعث معنى القول والوجهان حكاهما السمع وغيره (واجتنبوا الطاغوت) أي اتركوا كل معبود دون الله كالشيطان والكاهن والصنم وكل من دعا إلى الضلال وهو من الطغيان يذكروا بؤنث ويقع على الواحد كقوله يريدون ان يتحاكوا إلى الطاغوت وقد أمروا ان يكفروا به وعلى الجمع كقوله تعالى أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم والجمع

سلم عن محمد بن معقل بن يسار قال شهدت النبي صلى الله عليه وسلم أوفال حدثني أبو بكر الصديق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الشرك أخفى فيكم من ديب النمل فقال أبو بكر وهل الشرك الا من دعا مع الله الها آخر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك فيكم أخفى من ديب النمل ثم قال ألا أدلك على ما يذهب عنك صغير ذلك وكبيره قل اللهم انى أعوذ بك ان أشرك بك وأنا أعلم وأستغفر لك مما لا أعلم وقد رواه الحافظ أبو القاسم البغوى عن شيبان بن فروج عن يحيى بن كثير عن الثورى عن اسمعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر الصديق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك أخفى في أمتى من ديب النمل على الصفا

قال فقال أبو بكر يا رسول الله فكيف النجاة والمخرج من ذلك فقال ألا أخبرك بشي إذا قلت له برئت من قليله وكثيره وصغيره وكبيره قال بلى يا رسول الله قال قل اللهم اني أعوذ بك وأنا أعلم وأستغفر لك لما لا أعلم قال الدارقطني يحيى بن كثير هذا يقال له أبو النضر متروك الحديث وقد روى الامام أحمد وأبو داود والترمذي وصححه والنسائي من حديث يعلى بن عطاء سمعت عمرو بن عاصم سمعت أبا هريرة قال قال أبو بكر الصديق يا رسول الله عاني شيأ أقوله اذا أصبحت واذا أمسيت واذا أخذت مضجعي قال قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب (٢٣٠) والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا اله الا أنت أعوذ بك من شر نفسي

ومن شر الشيطان وشركه رواه ابو داود والنسائي وصححه وزاد الامام أحمد في روايته له من حديث ليث بن أبي سليم عن أبي بكر الصديق قال أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أقول فذكر الدعاء وزاد في آخره وأن اقترف على نفسي سوءاً وأجره الى مسلم وقوله أفانموا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله الآية أي أفانم هؤلاء المشركون ان يأتيهم أمر يغشاهم من حيث لا يشعرون كقوله تعالى أفانم الذين مكروا السيات ان يخسف الله بهم الارض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم في تقلبهم فاهم بمجزين أو يأخذهم على تخوف فان ربكم لرؤوف رحيم وقوله أفانم أهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون أو آمن أهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون أفانموا مكر الله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون (قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) يقول تعالى كر سوله

طواغيت والتقدير واجتنبوا عبادتها قاله كلام على حذف المضاف (فهم) أي من هذه الامم التي بعث الله اليها رسوله (من هدى الله) أي أرشده الى دينه وتوحيده وعبادته واجتناب الطاغوت فآمن (ومنهم من حقت عليه الضلالة) أي وجبت وثبتت بالقضاء السابق في الأزل لاصراره على الكفر والعناد فلم يؤمن قال الزجاج اعلم الله انه بعث الرسل بالامر بالعبادة وهو من وراء الضلال والهداية ومثل هذه الآية قوله تعالى فربما هدى وفرى فحاق عليهم الضلالة وفي هذه الآية التصريح بان الله أمر جميع عباده بعبادته واجتناب الشيطان وكل ما يدعو الى الضلال وانهم بعد ذلك فرى بان فاهم من هدى ومنهم من حقت عليه الضلالة فكان في ذلك دليل على ان أمر الله سبحانه لا يستلزم موافقة ارادته فانه يأمر الكل بالايمن ولا يريد الهداية الا للبعض اذ لو ارادها للكل لم يكفر أحد وهذا معنى ما حكيناه عن الزجاج هنا (فسير وفي الارض) سير المعتمرين المتفكرين لتعرفوا ما آل من كذب الرسل وهو خراب منازلهم بالعذاب والهلاك وفي الفاء اشعار بوجوب المبادرة الى النظر والاستدلال (فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) رسلهم من الأمم السابقة عند مشاهدتكم لآثارهم كعادتهم وعودي كيف ما آخر أمرهم الى خراب الديار بعد هلاك الأبدان بالعذاب ثم خصص الخطاب برسوله صلى الله عليه وآله وسلم مؤكدا لما تقدم فقال (ان تحرص) يا محمد (على هدايتهم) أي تطلب بجهديك ذلك وقد أضلهم الله لا تقدر على ذلك وفي المصباح حرص عليه حرصا من باب ضرب اذا اجتهد والاسم الحرص بالكسر وحرص على الدنيا وحرص على حرصا من باب تعب لغة اذا رغب رغبة مدمومة وفي السمين قراءة العامة ان تحرص بكسر الراء مضارع حرص بفتحها وهي اللغة العالية لغة الحجاز وقرئ بكسر الراء مضارع حرص بكسرها وهي لغة لبعضهم (فان الله) تعليلا للجواب (لا يهدي من يضل) قرئ يهدي بفتح حرف المضارعة على انه فعل مستقبل مستند الى الله سبحانه أي فان الله لا يرشد من أضله وقرئ بضم حرف المضارعة على انه مبني للمجهول على انه لا يهدي هادكا اثنان من كان وهما سبع عيتان فهذه الآية كقوله في الآية الاخرى من يضل الله فلا هادي له وقال الفراء على القراءة الاولى معنى لا يهدي لا يهدي كقوله تعالى أم من لا يهدي الا ان يهدي بمعنى يهتدى قال النحاس حكى عن المبرد معنى لا يهدي من يضل من علم ذلك منه وسبق له عنده

صلى الله عليه وسلم الى الثقلين الانس والجن أمره ان يخبر الناس ان هذه سبيله أي طريقته ومسلكه وسنته (ومالهم) وهي الدعوة الى شهادة أن لا اله الا الله وحده لا شريك له يدعوا الى الله بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان هو وكل من اتبعه يدعو الى مادعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي وقوله وسبحان الله أي وأئزه الله وأجله وأعظمه وأقدس منه ان يكون له شريك أو نظير أو عدل أو نبيد أو ولد أو والد أو صاحبة أو مشير تبارك وتقدس وتعالى عن ذلك كله علوا كبيرا تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه

كان حلما غفورا (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من اهل القرى فلم يسروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الاخرة خير للذين اتوا افلا تعقلون) يخبر تعالى انه انما ارسل رسوله من الرجال لان النساء وهذا قول جمهور العلماء كادل عليه سياق هذه الآية الكريمة ان الله تعالى لم يوح الى امرأته من بنات بنى آدم وحي تشريع وزعم بعضهم ان سارة امرأة الخليل وأم موسى ومرم أم عيسى نبيات واحججوا بان الملائكة بشرت سارة باسحق ومن وراء اسحق يعقوب وبقوله وأوحينا في أم موسى ان أرضعها الآية وبأن الملك جاء الى مريم وبشرها (٢٣١) بعيسى عليه السلام وبقوله تعالى اذ قالت

الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرتك واصطفاك على نساء العالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين وهذا القدر حاصل لهن ولكن لا يلزم من هذا ان يكن نيات بذلك فان اراد القائل بنبوتهن هذا القدر من التشريف فهذا الاشك فيه ويبقى الكلام معه في ان هذا هل يكفي في الانتظام في سالك النبوة بمجرد أم لا الذي عليه أهل السنة والجماعة وهو الذي نقله الشيخ أبو الحسن علي بن اسمعيل الأشعري عنهم انه ليس في النساء نبيه وانما فيهن صديقات كما قال تعالى مخبرا عن أشرفهن مريم بنت عمران حيث قال تعالى ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وانه صديقة كانا يأكلان الطعام فوصفها في اشرف مقاماتها بالصديقية فلو كانت نبيه لذكر ذلك في مقام التشريف والاعظام فهي صديقة بنص القرآن وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله وما أرسلنا من قبلك الا رجالا الآية اي ليسوا من اهل السماء كما قلتم وهذا القول من

(وما لهم من ناصرين) ينصرونهم على الهداية لمن أضله الله أو ينصرونهم بدفع العذاب عنهم ومن زائدة ثم ذكر عند قريش وانكارهم للبعث فقال (واقسموا بالله) أي حلفوا وسمى الحلف قسما لانه يكون عند انقسام الناس الى مصدق ومكذب (جهداًيمانهم) أي جاهدين غاية اجتهادهم فيها وذلك انهم كانوا يقسمون بايمانهم وآلهتهم فاذا كان الامر عظيما قسموا بالله والجهد بفتح الجيم المشقة ويضمها الطاقة واتصابه على المصدرية وظاهره انه استئناف اخبار ووجهه الزخشي نسط على وقال الذين أشركوا (لا يعث الله من يموت) من عبادته زعموا ان الله سبحانه عاجز عن بعث الاموات عن أبي العالية قال كان لرجل من المسلمين على رجل من المشركين دين فأتاه يتقاضاه فكان مما يتكلم به والذي أرجوه بعد الموت انه لكذا وكذا فقال له المشرك انك لتزعم انك تبعث من بعد الموت فأقسم بالله جهديمنه لا يعث الله من يموت فانزل الله سبحانه هذه الآية وعن علي قال نزلت في (بلى وعدا عليه حقا) هذا اثبات لما بعد النفي أي بلى يعثمهم ووعدا مصدر مؤكداً لمداد عليه بلى وهو يعثمهم لأن البعث وعدم من الله والتقدير وعدا للبعث وعدا عليه وحقه حقا لا خلف فيه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ان ذلك يسير عليه سبحانه غير عسير اما لعدم علمهم بانه من مواجب الحكمة التي جرت عادته بمراعاتها واما لقصور نظرهم بالمألوف فيتوهمون امتناع البعث (ليسين) أي ليظهر لهم) وهو غاية لمداد عليه بلى من البعث والضمير في لهم راجع الى من يموت (الذي يختلفون فيه) أي الامر الذي وقع الخلاف بينهم فيه وبيانه اذ ذلك يكون بما جاءتهم به الرسل ونزلت عليهم فيه كتب الله وقيل ليسين متعلق بقوله ولقد بعثنا (وليعلم الذين كفروا) بالله سبحانه وأنكروا البعث (انهم كانوا كاذبين) في جسد الهنم وانكارهم للبعث بقولهم لا يعث الله من يموت (انما قولنا الشيء اذا أردناه ان نقول له كن فيكون) جملة مستأنفة لبيان كيفية الابداء والاعادة مسوقة لهذا المقصد بعد بيان سهولة البعث عليه سبحانه قال الزجاج أعلمهم بسهولة خلق الاشياء علمه فاجبر أنه متى أراد الشيء كان وهذا كونه فاذا قضى أمره فاعلم يقول له كن فيكون قال ابن الانباري أو وقع لفظ الشيء على المعلوم عند الله تعالى قبل الخلق لانه بمنزلة ما قد وجد وشوهه قال الزجاج ان معنى الشيء لاجل شيء يجعل اللام سيبية وليس بواضح وقيل هي لام التبليغ قاله أبو السعود أي

ابن عباس يعترض بقوله تعالى وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق الآية وقوله وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نساء وأهل كما المسرفين وقوله تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل الآية وقوله من اهل القرى المراد بالقرى المدن لأنهم من اهل البوادي الذين هم من أجنح الناس طباعا واخلاقا وهذا هو المعهود المعروف ان اهل المدن ارق طباعا وألطف من اهل بواديهم واهل الريف والسواد اقرب حال من الذين يسكنون في البوادي ولهذا قال تعالى الاعراب اشد كفرا ونفاقا الآية وقال قتادة في الآية قوله من اهل القرى لانهم

اعلم واحلم من اهل العمور وفي الحديث الاخر ان رجلا من الاعراب اهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل يعطيه ويزيده حتى رضى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد هممت ان لا اذهب هبة الا من قريش او انصاري او ثقيني او دوسي وقال الامام احمد حدثنا سجاج حدثنا شعبة عن الاعمش عن يحيى بن وثاب عن شيخ من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الاعمش هو عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المؤمن الذي يحاطل الناس ويصبر على اذاهم خير من الذي لا يحاطلهم ولا يصبر على اذاهم وقوله أفلم يسيروا في الارض اى المكذبون (٢٣٢) فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم أى من الامم المكذبة كقوله

أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها الاية فاذا استمعوا اخبار ذلك رأوا ان الله اهلك الكافر بن وبنى المؤمنين وهذه كانت سنته تعالى في خلقه ولهذا قال تعالى ولدار الاخرة خير للذين اتقوا اى وكما نجينا المؤمنين في الدنيا كذلك كتبنا لهم النجاة في دار الاخرة وهى خير لهم من الدنيا بكثير كقوله انال نصررسلنا والذين امنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد يوم لا يتنع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار وواضاف الدار الى الاخرة فقال ولدار الاخرة كما يقال صلاة الاولى ومسجد الجامع وعام اول وبارحة الاولى ويوم الخميس قال الشاعر

أتمدح فقعسا وتدم عيسا

ألا الله املك من هجين

ولو أفزت عليك ديار عيس

عرفت النزل عرفان اليقين

(حتى اذا استيأس الرسل وظنوا

أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي

من نساء ولا يدربأسنا عن القوم

المجرمين) يدكر تعالى ان نصره

شئ كان مما عزوه ان كما في قولك قلت له قم فقام وهذا الكلام من باب التمثيل على معنى انه لا يمتنع عليه شئ وان وجوده عند ارادته كوجود المأمور به عند امر الأمير المطاع اذا ورد على المأمور المطيع وليس هناك قول ولا مقول له ولا أمر ولا مأمور ولا كاف ولا نون حتى يقال انه يلزم منه أحد محالين اما خطا المعلوم أو تحصيل الحاصل قلت هكذا قال أكثر المفسرين وهو يخالف ظاهر النظم القرآني والحق مادلت عليه الاية من القول وهو على حقيقته وانه جرت به العادة الالهية وقدمضى تفسير ذلك في سورة البقرة مستوفى وفي الاية الكريمة من الغمامة والجزالة ما يحار فيه العقول والالباب (والذين هاجروا) قد تقدم معنى الهجرة في سورة النساء وهى ترك الاهل والوطن اى اتقوا من مكة الى المدينة لا فامة دين الله سبحانه ومعنى (فى الله) فى شأن الله سبحانه وفى رضاه وقيل فى دين الله وقيل فى معنى لام التعليل أى لله (من بعد ما ظنوا) أى عند ذنوبهم وأهينوا وقد اختلف فى سبب نزول الاية فقيل نزلت فى صهيب وبلال وخباب وعمار واعترض بأن السورة مكية وذلك يخالف قوله والذين هاجروا واجيب بانه يمكن ان تكون هذه الاية من جملة الآيات المدنية فى هذه السورة كما قدمنا فى عنوانها وقيل نزلت فى أبى جندل بن سهيل وقيل نزلت فى اصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم لما ظلمهم المشركون بمكة وأخرجوهم حتى لحق طائفة منهم بالحبشة ثم بواهم الله المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة وجعل لهم انصارا من المؤمنين (لنبوأهم فى الدنيا حسنة) قيل المراد نزولهم المدينة قاله ابن عباس والحسن والشعبي وقتادة وقيل المراد الرزق الحسن قاله مجاهد وقيل النصر على عدوهم قاله الضحاک وقيل ما استولوا عليه من فتوح البلاد وصار لهم فيها من الولايات وقيل ما بقى لهم فيها من الثناء وصار لا ولادهم من الشرف ولا مانع من حل الاية على جميع هذه الامور والمعنى لنبوأهم مباءة حسنة أو تبوؤة حسنة لحسنة صفة مصدر محذوف (ولا تجر الاخرة) أى جزاء أعمالهم السكاكن فى الاخرة وهو النعيم السكاكن فى الجنة التى هى المراد بالآخرة (أكبر) وأعظم من ان يعلمه أحد من خلق الله قيل ان يشاهده ومنه قوله تعالى واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا (لو كانوا) أى هؤلاء الظلمة (يعلمون) ذلك وقيل ان الضمير راجع الى المؤمنين المهاجرين أى لورأوا ثواب الاخرة وعما ينوه لعلوا انها كبر من حسنة الدنيا وهو اسكانهم المدينة (الذين

صبروا)

اجعين عند ضيق الحال وانتظار الفرج من الله فى احوج

الاقوات اليه كقوله تعالى وزلزوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الاية وفى قوله كذبوا اقراء ان احدهما بالتشديد قد كذبوا وكذلك كانت عائشة رضى الله عنها تقرؤها قال البخارى حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا ابراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب قال اخبرني عروة بن الزبير عن عائشة انها قالت له وهو يسألها عن قوله حتى اذا استيأس الرسل قال قلت ا كذبوا أم كذبوا قالت عائشة كذبوا فقد استيقوا أن قومهم كذبوهم فاهو بالظن قالت اجل عمرى لقد استيقوا بذلك فقلت

لها وظنوا أنهم قد كذبوا قالت معاذ الله لم تكن الرسل تنظن ذلك برهبها قلت فما هذه الآية قالت هم أتباع الرسل الذين آمنوا برهبهم وصدقوهم فقال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر حتى إذا استياس الرسل من كذبهم من قومهم وظنت الرسل ان أتباعهم قد كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك حدثنا أبو اليمان أن أبا ناسبة عن الزهري قال أخبرنا عروة فقالت لعلمها قد كذبوا خففته قالت معاذ الله انتهى ما ذكره وقال ابن جرير أخبرني ابن أبي مليكة ان ابن عباس قرأها وظنوا أنهم قد كذبوا خفيفة قال عبد الله هو ابن أبي مليكة ثم قال لي ابن عباس كانوا بشروا ثم ولا (٢٣٣) حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه

متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب قال ابن جرير وقال لي ابن أبي مليكة وأخبرني عروة عن عائشة انها خالفت ذلك وأبته وقالت ما وعد الله محمدا صلى الله عليه وسلم من شيء الا قد علم انه سيكون حتى مات ولكنها لم يزل البلاء بالرسول حتى تنوا أن من معهم من المؤمنين قد كذبوهم قال ابن أبي مليكة في حديث عروة كانت عائشة تقرؤها وظنوا أنهم قد كذبوا مثقلة من التكذيب وقال ابن أبي حاتم أنابنا يونس بن عبد الاعلى قراءة أنابنا ابن وهب أخبرني سليمان بن بلال عن عمر بن سعد قال جاء انسان الى القاسم بن محمد فقال ان محمدا بن كعب القرظي قرأ هذه الآية حتى اذا استياس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا فقال القاسم أخبره عن أي سمعت عائشة تزوج النبي صلى الله عليه وسلم تقول حتى اذا استياس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا اتقول كذبوا اتقول كذبتم اتبعهم اسناد صحيح أيضا والقراءة الثانية بالتخفيف واختلفوا في تفسيرها فقال ابن عباس ما تقدم وعن ابن مسعود فيما رواه الثوري عن الاعمش عن أبي

صبروا) على أذى المشركين أو على مفارقة الوطن والهجرة أو على الجهاد وبذل النفس والاموال في سبيل الله واللفظ أعم من ذلك (وعلى ربه) وحده خاصة (يتوكلون) في جميع أمورهم معرضين عما سواه والصبر مبدأ السلوك الى الله تعالى والتوكل هو آخر الطريق ومنتهاه والظاهر والله أعلم ان المعنى على المضي والتعبير بصيغة المضارع لاستحضار صورة توكلمهم البديعة وفيه ترغيب لغيرهم في طاعة الله عز وجل وجواب الموصول محذوف أي فيزرفهم من حيث لا يحتسبون (وما أرسلنا من قبلك) رد على قريش حيث زعموا ان الله سبحانه أجل من أن يرسل رسولا من البشر فرد الله عليهم بان هذه عادته وسنته ان لا يرسل (الرجال) من البشر (نوحى اليهم) وزعم أبو علي الجبائي ان معنى الآية ان الله سبحانه لم يرسل الى الانبياء بوحية الا من هو على صورة الرجال من الملائكة ويرد عليه ان جبريل كان يأتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على صور مختلفة ولما كان كفار مكة مقترين بان اليهود والنصارى هم أهل العلم بما أنزل الله في التوراة والانجيل صرف الخطاب اليهم وأمرهم ان يرجعوا الى أهل الكتاب فقال (فاسألوا أهل الذکر ان كنتم لاتعلمون) أي فاسألوا أيها المشركون ان شككتم فيما ذكر مؤمنى أهل الكتاب فانهم سيخبرونكم بان جميع الانبياء كانوا بشرا أو أسألوا أهل الكتاب من غير تقييد بمؤمنين كما يفيد الظاهر فانهم كانوا يعترفون بذلك ولا يكتمونه وقيل المعنى فاسألوا أهل القرآن عن سعيد بن جبيرة قال نزلت في عبد الله بن سلام ونصر من أهل التوراة وقد استدل بحجوز والتقليد بهذه الآية وقالوا أمر سبحانه من لا علم له ان يسأل من له علم والجواب ان هذه الآية الشريفة واردة في سؤال خاص خارج عن محل النزاع كما يفيد السياق المذكور قبل هذا اللفظ الذي استدلوا به بعده وبه قال ابن جرير والبعري وأكثر المفسرين واستوفاه السيوطي في الدر المنثور وهذا هو المعنى الذي يفيد السياق والسباق وعلى فرض ان المراد السؤال العام فالأمر بسؤالهم هم أهل الذکر والذکر هو كتاب الله وسنة رسوله لا غيرهما ولا أظن مخالفا يخالف في هذا لان هذه الشريعة المطهرة هي امان الله عز وجل وذلك هو القرآن الكريم أو من رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك هو السنة المطهرة ولا ثالث لذلك واذا كان الأمر بسؤالهم هم أهل القرآن والحديث فالآية الكريمة حجة على المقلدة لآلهم لان المراد انهم يسألون أهل الذکر

(٣٠ فتح البيان خامس) الضحى عن مسروق عن عبد الله انه قرأ حتى اذا استياس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا خففته قال عبد الله هو الذي تكره وهذا عن ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم مخالفا لما رواه آخرون عنهم أما ابن عباس فروى عنه حدثنا الاعمش عن مسلم عن ابن عباس في قوله حتى اذا استياس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا قال لما أيست الرسل أن يستجيب لهم قومهم وظن قومهم ان الرسل قد كذبوهم جاءهم النصر على ذلك فبني من نشاء وكذا روى عن سعيد بن جبيرة وعمران بن الحرث السلمى وعبد الرحمن بن معاوية وعلي بن أبي طلحة والعمري عن ابن عباس بمثله وقال ابن جرير حدثني المشني حدثنا عارم أبو النعمان

حدثنا جاد بن زيد حدثنا شعيب حدثنا ابراهيم بن ابي حمزة الجزري قال سأل فتى من قريش سعيدين جبير قال أخبرنا ابا عبد الله
كيف هذا الحرف فاني اذا آتيت عليه تمنيت ان لا اقرأ هذه السورة حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا قال نعم حتى اذا
استياس الرسل من قومهم ان يصدقوهم وظن المرسل اليهم ان الرسل كذبوا فقال الضحالك بن مزاحم ما رأيت كاليوم قط رجلا
يدعي الى علم فينكحها ولو رحلت الى اليمن في هذه كان قليلا ثم روى ابن جرير ايضا من وجه آخر ان مسلما بن يسار سأل سعيدين جبير
عن ذلك فاجابه بهذا الجواب فقام الى سعيدين (٢٣٤) فاعتقه وقال فرج الله عنك كما فرحت عني وهكذا روى من غير

وجه عن سعيدين جبير انه فسرهما
كذلك وكذا فسرهما مجاهد بن جبير
وغير واحد من السلف حتى ان
مجاهدا قرأها وظنوا انهم قد كذبوا
بفتح الذال رواه ابن جرير الا ان
بعض من فسرهما كذلك يعيد الضمير
في قوله وظنوا انهم قد كذبوا الى
اتباع الرسل من المؤمنين ومنهم من
يعيده الى الكافرين من منهم أي وظن
الكفار ان الرسل قد كذبوا محتففة
فيما وعدوا به من النصر وأما ابن
مسعود فقال ابن جرير حدثنا
القاسم حدثنا الحسين حدثنا محمد
ابن وصيل عن محمش بن زياد الضبي
عن تميم بن حزم قال سمعت عبد
الله بن مسعود يقول في هذه الآية
حتى اذا استياس الرسل من ايمان
قومهم ان يؤمنوا بهم وظن قومهم
حين أبطأ الامرانهم كذبوا بالتخفيف
فهانان روايتان عن كل من ابن
مسعود وابن عباس وقد أنكرت
ذلك عائشة على من فسرهما بذلك
وانتمر لها ابن جرير ووجه المشهور
عن الجمهور وزيف القول الاخر
بالكلمة ورده وأباه ولم يقبله ولا ارتضاه
والله أعلم (لقد كان في قصصهم عبرة

فيخبرونهم به فالجواب من المسؤولين ان يقولوا قال الله كذا وقال رسوله صلى الله عليه وآله
وسلم كذا فيعمل السائلون بذلك وهذا هو غير ما يريد المقلد المستدل بها فانه انما استدل
بها على جواز ما هو فيه من الاخذ بقول الرجال من دون سؤال عن الدليل فان هذا هو
التقليد ولهذا رسموه بانه قبول قول الغير من دون مطالبة بحجة فحاصل التقليد ان المقلد
لا يسأل عن كتاب الله ولا عن سنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بل يسأل عن مذهب
امامه فقط فاذا جاز ذلك الى السؤال عن الكتاب والسنة فليس بمقلد وهذا يسلمه كل
مقلد ولا ينكره واذا اتقررت ان المقلد اذا سأل أهل الذکر عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله
عليه وآله وسلم لم يكن مقلدا علمت ان هذه الآية الشريفة على تسليم ان السؤال ليس عن
الشيء الخاص الذي يدل عليه السياق بل عن كل شيء من الشريعة كما يزعمه المقلد تدفع في
وجهه وترغم أنفسه وتكسر ظهره فان معنى هذا السؤال الذي شرعه الله تعالى هو السؤال
عن الحجة الشرعية وطلبها من العالم فيكون هو راويا وهذا السائل مستترا ويا المقلد يقدر
على نفسه بانه يقبل قول العالم ولا يطالبه بالحجة فالآية هي دليل الاتباع لا دليل التقليد
وبهذا ظهر لك ان هذه الحجة التي احتج بها المقلد هي حجة داحضة على فرض ان المراد المعنى
الخاص وهي عليه لاله على فرض ان المراد المعنى العام (بالبيئات والزبر) فيه ستة
أوجه أحدها ما تقديره أي رجالا متلبسين بالبيئات وهو وجه حسن ذكره الزمخشري
ولاحذور فيه الثاني (١) تقديره وما أرسلناهم مما ذكره الحوفي والزمخشري وغيرهما وبه
بدأ في الكشف الثالث تقديره ما أرسلناهم الا رجالا حكاها ابن عطية الرابع انه متعلق
بنوحى كما تقول أوحى اليه بحق ذكره الزمخشري وأبو البقاء الخامس انه منصوب بتقدير
أعنى والباء زائدة السادس انه متعلق بمحذوف كأنه قيل لم أرسلوا فقيه ل أرسلوا بهم ما
كذا قدره الزمخشري قال السهين وهو أحسن من تقدير أبي البقاء يعنى لموافقته للدال
عليه لفظا ومعنى والبيئات الحجج الواضحة والبراهين الساطعة والزبر الكتب والصحف
وقد تقدم الكلام على هذا في آل عمران (وأترتنا اليك) يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم
(الذكر) أي القرآن وسماه ذكر الان فيه مواعظ وتنبه للغافلين ثم بين الغاية المطلوبة
من الانزال فقال (لتبين للناس) جميعا (ما نزل اليهم) في هذا الذکر من الاحكام
الشرعية والوعود والوعيد وبيان الكتاب يطلب من السنة والمبين لذلك الجممل هو الرسول

لاولى الابواب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) صلى
يقول تعالى لقد كان في خبر المرسلين مع قومهم وكيف نجينا المؤمنين وأهلكنا الكافرين عبرة لاولى الابواب وهي العقول ما كان
حديثا يفترى أي وما كان لهذا القرآن ان يفترى من دون الله أي يكذب ويخترق ولكن تصديق الذي بين يديه أي من الكتب المنزلة
من السماء هو بصدق ما فيها من الصحيح وينفي ما وقع فيها من تحريف وتبديل وتغيير ويحكم عليها بالنسخة والتقرير وتفصيل كل شيء
(١) قوله تقديره الخ كذا بالاصل الذي بأيدينا وعبارة الزمخشري اما ان يتعلق بما أرسلنا داخل تحت حكم الاستثناء مع رجالا أي
وما أرسلنا الا رجالا بالبيئات الخ فتأمل اه محمده

من تحمّل وتجرّم ومحبوب ومكروه وغير ذلك من الامر بالطاعات والواجبات والمستحبات والنهي عن المحرمات وماشا كلها من المكروهات والاخبار عن الامور الجلية وعن الغيوب المستقبلية الجملة والتفصيلية والاخبار عن الرب تبارك وتعالى بالاسماء والصفات وتزهره عن مماثلة المخلوقات فلهذا كان هدى ورحمة لقوم يؤمنون تهتدى به قلوبهم من الغي الى الرشاد ومن الضلالة الى السداد ويتغنون به الرحمة من رب العباد في الدنيا ويوم المعاد فسأل الله العظيم ان يجعلنا منهم في الدنيا والاخرة يوم يفوز بالربح الميضة وجوههم ويرجع المسودة وجوههم بالصفحة الخامسة (٢٣٥) * آخر تفسير سورة يوسف عليه السلام والله

الحد والمنته وبه المستعان

* (تفسير سورة الرعد وهي مكية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(المرتلك آيات الكتاب والذي أنزل

اليك من ربك الحق ولكن أكثر

الناس لا يؤمنون) اما الكلام

على الحروف المقطعة في أوائل

السور فقد تقدم في أول سورة

البقرة وقدمنا ان كل سورة ابتدئت

بهذه الحروف ففيها الاتصاف للقرآن

وتبين أن نزوله من عند الله حق

لا شك فيه ولا ريب ولا لهذا

قال تلك آيات الكتاب أي هذه

آيات الكتاب وهو القرآن وقيل

التوراة والانجيل قاله مجاهد وقتادة

وفيه نظير بل هو يعيد ثم عطف على ذلك

عطف صفات فقال والذي أنزل

اليك أي يا محمد من ربك الحق خبر

تقدم مبتدؤه وهو قوله والذي أنزل

اليك من ربك الحق هذا هو الصحيح

المطابق لتفسير مجاهد وقتادة

واختار ابن جرير ان تكون الواو

زائدة أو عاطفة صفة على صفة

كما قدمنا واستشهد بقول الشاعر

الى الملك القرم وابن الهمام

وليت الكتبية في المزدحم

صلى الله عليه وآله وسلم ولهذا قيل متى وقع تعارض بين القرآن والحديث وجب
تقديم الحديث لان القرآن مجمل والحديث مبين بدلالة هذه الآية والمبين مقدم على
المجمل وقيل المحكم مبين والمتشابه مجمل يطلب بيانه من السنة فهذه الآية محمولة على
ما أجل فيه دون المحكم المبين المفسر (ولعلمهم يتفكرون) أي ارادة ان يتأملوا ويعملوا
افكارهم فيتعظوا ويعملوا به (أفأمن الذين مكروا) الاستفهام للتوبيخ والفاء للعطف
على مقدر يستحب عليه النظم الكريم (السيات) أي المكرات السيئات ولم يذكر
الزنجشري غيره أو المعنى عملوا وفعولوا السيئات أو أمن الماكرون العقوبات السيئات
أو مكروا وبالسيات قال مجاهد يعني غرور ذن كنعان وقومه وعن قتادة قال مكروهم الشرك
وقال الضحاك تكذيبهم الرسل وعملهم بالمعاصي أو هو سعيهم في أنى رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم وأذى أصحابه على وجه الخفية واحتياهم في ابطال الاسلام وكيداً هله في
دار الندوة من تقييده أو قتله أو أخرجه كما ذكر في الانفال (أن) أي أفأمنوا من أن
(يخسف الله بهم الارض) كما خسف بقارون وقرون من قبلهم يقال خسف المكان
يخسف خسوفاً ذهب في الارض وخسف الله به الارض خسوفاً أي غاب به فيها ومنه
قوله خسفنا به وبداره الارض وخسف هو في الارض وخسف به (أو يأتيهم العذاب
من حيث لا يشعرون) به أي في حال غفلتهم عنه ومن جهة لا يتخطر بها لهم كما فعل بقوم لوط
وغيرهم وقيل يريد يوم بدر فانهم أهل كوا في ذلك اليوم ولم يكن في حسابهم (أو يأخذهم
في ثقلهم) ذكر المفسرون فيه وجوه اقليل المراد في أسفارهم ومتاجرهم فانه سبحانه قادر
على ان يهلكهم في السفر كما يهلكهم في الحضر وهم لا يقوتونه بسبب ضربهم في الارض
وبعدهم عن الاوطان والتقلب الحركة اقبالا وادبارا وقيل المراد في حال ثقلهم في قضاء
أوطارهم بوجوه الخيل فيحول الله بينهم وبين مقاصدهم وجيلهم وقيل في حال ثقلهم في
الليل على فرسهم وقيل في اختلافهم وقيل في حال اقبالهم وادبارهم ودهابهم ومجيبهم
بالليل والنهار والتقلب بالمعنى الاول مأخوذ من قوله لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد
وبالمعنى الثاني مأخوذ من قوله وقلوبك الامور (فأهم عجزين) أي بفائتين ولا
تمتعين ولا سابقين (أو يأخذهم على) حال (تخوف) وتوقع للبلايا بان يكونوا متوقعين
للعذاب حذرين منه غير غافلين عنه فهو خلاف ما تقدم من قوله أو يأتيهم العذاب من

وقوله ولكن أكثر الناس لا يؤمنون كقوله وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين أي مع هذا البيان والجلال والوضوح لا يؤمن أكثرهم

لما فيهم من الشقاق والعناد والنفاق (الله الذي رفع السموات بغير عمد تدبرها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري

لاجل مسمى يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون) يخبر تعالى عن كمال قدرته وعظم سلطانه أنه الذي بأذنه وأمره رفع

السموات بغير عمد بل بأذنه وأمره وسخره ورفعها عن الارض بعد الاتنال ولا يدرك مداها فالسماوات الدنيا محيطتها بجميع الارض وما

حولها من الماء والهواء من جميع نواحيها وجهاتها وأرجائها نفعه عليها من كل جانب على السواء وبعد ما بينها وبين الأرض من كل ناحية مسيرة خمسمائة عام وسمكتها في نفسها مسيرة خمسمائة عام ثم السماء الثانية محيطة بالسماء الدنيا وما حوت وبينهما من بعد المسيرة خمسمائة عام وسمكتها خمسمائة عام وهكذا الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة كما قال تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن الآية وفي الحديث ما السموات السبع وما فيهن وما بينهن في الكرسي الا خلقته ملقاة بارض فلاة والكرسي في العرش كتلك الحلقة (٢٣٦) في تلك القلاة وفي رواية والعرش لا يقدر قدره الا الله عز وجل وجاء

عن بعض السلف ان بعد ما بين العرش الى الأرض مسيرة خمسين ألف سنة وبعد ما بين قطر به مسيرة خمسين ألف سنة وهو من ياقوته جراء وقوله بغير عمد ترونها روى عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقادة وغير واحد انهم قالوا لها عمد ولكن لا ترى وقال اياس بن معاوية السماء على الأرض مثل القبلة يعني بلا عمد وكذا روى عن قتادة وهذا هو اللاتني بالسياق والتظاهر من قوله تعالى ويمسك السماء ان تقع على الأرض الا بذنه فعلى هذا يكون قوله ترونها كما كيدا لشيء ذلك اي هي مرفوعة بغير عمد ترونها وهذا هو الاكل في القدرة وفي شعرا مية بن ابي الصلت الذي آمن شعره وكفر قلبه كما ورد في الحديث ويروي زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه

وتأت الذي من فضل من ورجحة بعثت الى موسى رسولا ناديا فقلت له يا اذهب وهرون فادعوا الى الله فرعون الذي كان طاغيا وقولاه هل أتت سويت هذه بلا عمد أو فوق ذلك بانها

من حيث لا يشعرون وقال ابن الاعرابي على تنقص من الاموال والانفس والثمرات حتى يهلكهم كلهم قال الواحدي قال عامة المفسرين معنى على تخوف على تنقص اما يقتل أو يموت يعني ينقص من أطرافهم ونواحيهم يأخذهم الاول فالاول حتى يأتي الاخذ على جميعهم قال والتخوف التنقص يقال هو يتخوف المال أي يتنقصه ويأخذ من أطرافه انتهى يقال تخوفه الدهر وتخونه بالفاء والنون تنقصه قال الهيثم بن عدى التخوف بالفاء التنقص لغة لازدشوة وقال ابن قتيبة هذه لغة هذيل وقيل على تخوف على عمل قاله الليث بن سعد وقيل على تفرع بما قدموه من ذنوبهم روى ذلك عن ابن عباس وقيل على تخوف أن يعاقب ويتجاوز قتادة وعن ابن عباس على اثموت صاحبه وعنه أيضا وتنقص من اعمالهم وعن عمر انه سأله عن هذه الآية فقال لو ما رى الا انه عند تنقص ما رتوه من الايات فقال عمر ما رى الا انه على ما يتنقصون من معاصي الله فخرج رجل من كان عند عمر فلقى أعرابيا فقال يا فلان ما فعل ربك قال قد تخيفته يعني تنقصته فخرج الى عمر فاخبره فقال قد رأيت به ذلك وعبارة البيضاوي روى ان عمر قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك في أشعارها فقال نعم قال شاعرنا أبو بكر (١) يصف ناقته تخوف الرجل منها تا مكا قردا * كما تخوف عود السبعة السفن فقال عمر عليكم بديوانكم لانضوا قالوا وما ديو اننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم انتهى قال الشهاب الرحل رحل الناقة والتامك السنام المشرف والقرد هو المرفوع والمتر كم والنبع شجر يتخذ منه القسي والسفن هنا المبرد والقردوم يصف ناقته بانها أثر الرحل في سنامها فاكله وانقصه كما ينقص المبرد العود انتهى وعن مجاهد قال على تخوف يأخذهم بنقص بعضهم بعضا وقال الضحاك والكبي هو من الخوف يعني يهلك طائفة فيتخوف الآخرون ان يصيبهم ما أصابهم والحاصل انه سبحانه خوفهم بخسف يحصل في الأرض أو بعذاب ينزل من السماء أو بآفات تحدث دفعة أو بآفات تحدث قليلا قليلا الى أن يأتي الهلاك على آخرهم ثم انه سبحانه ختم الآية بقوله (فان ربكم لرؤف رحيم) لا يعاجل بالعذاب بل يعجل رافة بكم ورجحة لكم مع استحقا قكم للعقوبة ثم لما خوف سبحانه الماكرين بما خوف أئبعه ذر ما يدل على كمال قدرته

وقولاه هل أتت سويت وسطها * منيرا اذا ماجحك الليل هاديا
وقولاه من أئبت الحب في الترى * فيصبح منه العشب يشتررا بيا
ويخرج منه حبه في رؤسه * ففي ذلك آيات لمن كان واعيا
(١) هكذا في الجبل وفي نسخة من البيضاوي أبو كبير ووحى الشهاب عن الكشاف نسبة البيت لزهير وقال مع انه ليس له اه وفي نسخة من البيضاوي أبو كبير والله أعلم اه من هامش الاصل

وقوله تعالى ثم استوى على العرش تقدم تفسيره في سورة الاعراف وانه يمر كما جاء من غير تكيف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل
تعالى الله علوا كبيرا وقوله وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى قيل المراد انهما يجريان الى انقطاعهما بقيام الساعة
كقوله تعالى والشمس تجري مسرورا وقيل المراد الى مستقرهما وهو تحت العرش مما يلي بطن الارض من الجانب الآخر فانهما
وسائر الكواكب اذا وصلوا هناك يكونون أبعد مما يكون عن العرش لانه على الصحيح الذي تقوم عليه الأدلة قيمة مما يلي العالم من
هذا الوجه وليس يعبط كسائر الافلاك لان له قوائم وحوله يحملونه ولا يتصور (٢٣٧) هذا في الفلك المستدير وهذا واضح

قدرته في تدبير العالم العلوي والسفلي ومكانه ما صدر بالاستفهام الانكارى فقال
(أولم يروا) بالتحسية بارجاع الضمير الى ما كرى السيات وقرى بالفوقية على انه خطاب
لجميع الناس وهذه الرؤية لما كانت بمعنى النظر وصلت بالى لان المراد منها الاعتبار
والاعتبار لا يصح كون الانفس الرؤية التي يكون معها النظر الى الشيء استأمل أحواله
ويتفكر فيه ويعتبر به (الى ما خلق الله) ما مهمة مفسرة بقوله (من شئ) له ظل وهي
الاجسام فهو عام أريد به الخاص وخرج به الملك والجن (يتفيا ظلاله) اى تميل وتدور
وتنقل من جانب الى جانب وتكون أول النهار على حال وتتقلص ثم تعود في آخر النهار
على حالة أخرى قال الازهرى تقيؤ الظلال رجوعها بعد اتصاف النهار فالتقيؤ لا يكون
الابالغشى وما انصرفت عنه الشمس والقمر والذي يكون بالعادة هو الظل وهو ما لم تنله
وقال نعلب أخبرت عن أبى عبيدة ان رؤيه قال كل ما كانت عليه الشمس فرالت عنه
فهو نفي ومالم تكن عليه الشمس فهو ظل وفي السمين التقيؤ تفعل من فاقني اذ ارجع
وفاء قاصر فاذا أريد تعديته على بالهمزة كقوله ما أفاء الله على رسوله أو بالتضعيف نحو
فيا الله الظل فتقيا وتقيأ مطاوع فيا فهو لازم واختلف في النفي فقيل هو مطلق الظل
سواء كان قبل الزوال أو بعده وهو الموافق لمعنى الآية ههنا وقيل ما كان قبل الزوال
فهو ظل فقط وما كان بعده فهو ظل وفي الظل أعم وقيل بل يخص الظل بما قبل
الزوال والنفي بما بعده والظلال جمع ظل وهو مضاف الى مفرد لانه واحد اديه الكثرة
(عن اليمين والشمال) اى عن جهة أي يمانه وعن شمالها أى عن جانبي كل واحد منها
استعارة أو مجاز من اطلاق المقيد على المطلق قال أبو السعود استعير له ما ذلك من يمين
الانسان وشماله وقيل المراد باليمين عين الفلك وهو جهة المشرق لان الكواكب منه
تظهر أخذة في الارتفاع والسطوع ومن الشمال شماله وهي جهات المغرب المقابل
له فان الظلال في أول النهار تبدي من الشرق واقعة على الربع الغربي من الارض وعند
الزوال تبسدي من الغرب واقعة على الربع الشرقى منها قال الفراء وحده اليمين لانه أراد
واحدا من ذوات الاظلال وجمع الشمال لانه أراد كلها لان ما خلق الله لفظ مفرد ومعناه
جمع وقال الواحدى وحده اليمين والمراد به الجمع ايجازا في اللفظ كقوله ويولون الدبر وبه
قال الزمخشري ودلت الشمال على ان المراد بها الجمع وقيل ان العرب اذا ذكرت

ذلك لايات لقوم يعقلون) لماذا كرتعالى العالم العلوى شرع في ذكر قدرته وحكمته واحكامه للعالم السفلى فقال وهو الذى مده
الارض أى جعلها متمسدة في الطول والعرض وأرساها بجبال راسيات شامخات وأجرى فيها الانهار والجداول والعيون
ليسقي ما جعل فيها من الثمرات المختلفة الالوان والاشكال والطعوم والرائح من كل زوجين اثنين أى من كل شكل صنفتان يغشى
الليل النهار أى جعل كلامهما يطلب الآخر طلبا حثيثا فاذا ذهب هذا غشبه هذا واذا انقضى هذا جاء الآخر فيستصرف أيضا في
الزمان كما يتصرف في المكان والسكان ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون أى في آلاء الله وحكمته ودلائله وقوله وفي الارض

ذلك لايات لقوم يعقلون) لماذا كرتعالى العالم العلوى شرع في ذكر قدرته وحكمته واحكامه للعالم السفلى فقال وهو الذى مده
الارض أى جعلها متمسدة في الطول والعرض وأرساها بجبال راسيات شامخات وأجرى فيها الانهار والجداول والعيون
ليسقي ما جعل فيها من الثمرات المختلفة الالوان والاشكال والطعوم والرائح من كل زوجين اثنين أى من كل شكل صنفتان يغشى
الليل النهار أى جعل كلامهما يطلب الآخر طلبا حثيثا فاذا ذهب هذا غشبه هذا واذا انقضى هذا جاء الآخر فيستصرف أيضا في
الزمان كما يتصرف في المكان والسكان ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون أى في آلاء الله وحكمته ودلائله وقوله وفي الارض

قطع متجاورات أى أراضٍ يجاور بعضها بعضاً من أن هذه طيبة تنبت ما ينفع الناس وهذه سيئة مألحة لا تنبت شيئاً هكذا روى عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وغير واحد ويدخل في هذه الآية اختلاف ألوان بقاع الأرض فهذه ترابية حراء وهذه بيضاء وهذه صفراء وهذه سوداء وهذه حمراء وهذه سميكة وهذه رقيقة والكل متجاورات فهذه نصفها وهذه نصفها الآخر فهذا كله ما يدل على الفاعل المختار لا اله الا هو ولا رب سواه وقوله وجنات من أعناب وزرع ونخيل يحتمل ان تكون عاطفة على جنات فيكون (٢٣٨) وزرع ونخيل من فروع عين ويحتمل أن يكون معطوفاً على أعناب فيكون

صغى جمع عبرت عن أحدهما بلذ الواحد كقوله وجعل الظلمات والنور وختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وقيل المراد باليمين النقطة التي هي مشرق الشمس وانها واحدة والشمال عبارة عن الانحراف في تلك الأطلال بعد وقوعها على الأرض وهي كثيرة قبل اذا طلعت الشمس من المشرق وأنت متوجه الى القبلة كان ظلك عن يمينك فإذا استوت الشمس في وسط السماء كان ظلك في خلفك فإذا مات الى الغروب كان ظلك عن يسارك وقال قتادة والضحاك أما اليمين فأول النهار وأما الشمال فأخر النهار وإنما عبر عن المشرق باليمين لان أقوى جانبي الانسان يمينه ومنه تطهر الحركة القوية والشمال جمع شمال على غير قياس والقياس أشمل كذراع وأذرع (سجداً) جمع ساجد كساجد وشاهد وشهد وراكع وركع أى حال كون الظلال ساجدة (لله) قال الزجاج يعنى ان هذه الاشياء مجبولة على الطاعة وقال أيضاً وجود الجسم انقياده وما يرى فيه من أثر الصنعة قال مجاهد اذا زالت الشمس سجد كل شئ لله وقيل ان الظلال ملتصقة بالأرض كالساجد عليها فلما كانت يشبه شكلها شكل الساجدين أطلق الله عليها هذا اللفظ (وهم) أى والحال ان الظلال (داخرون) أى خاضعون صاغرون والدخور الصغار والنذل يقال دخر الرجل فهو دخر ودخره الله ولما وصفها بالطاعة والانقياد لاهله وذلك صفة من يعقل عبر عنها بلفظ من يعقل (ولله) وحده لا غيره (بسجدة) أى يخضع وينقاد والسجود على نوعين سجود طاعة وسجود عبادة وسجود انقياد وخضوع كسجود الانسان وسجود الظلال والآية تحتمل النوعين (ما فى السموات) جميعاً (وما فى الأرض من دابة) أى حيوان جسمانى ونسمة تدب وتحرك على الأرض والمراد به كل دابة قال الاخفش هو كقولك ما أتانى من رجل مثله وما أتانى من الرجال مثله وقد دخل فى عموم ما فهم جميع الاشياء الموجودة فيها ما قال قتادة لم يدع شيئاً من خلقه الا عبده له طائعاً أو كارهاً وعن الحسن قال يسجد من فى السموات طوعاً ومن فى الأرض طوعاً وكرهاً وانما خص الدابة بالذكرا لانه قد علم من قوله أو لم يروا الى ما خلق الله من شئ انقياد الجادات ومن بيانية بياناً لما فى الشقين أو بياناً لما الثانية فقط (و) عطف (الملائكة) على ما قبلهم عطف خاص على عام نشر يفالهم وتعظيم الدخولهم فى المعطوف عليه وقيل أفرد الملائكة لانهم أولوا جنحة يطيرون بها أو تكون فى السماء خلق يدبون (وهم) أى والحال انهم (لا يستكبرون) عن عبادة ربهم

مجروراً ولهذا قرأ بكل منهما طائفة من الأئمة وقوله صنوان وغير صنوان الصنوان هو الاصول المجتمعة فى منبت واحد كالرمان والتين وبعض النخيل ونحو ذلك وغير الصنوان ما كان على أصل واحد كسائر الاشجار ومنه سى عم الرجل صنوايه كما جاء فى الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر أما شعرت ان عم الرجل صنوايه وقال الثورى وشعبة عن أبى اسحق عن البراء رضى الله عنه الصنوان هى التخلات فى أصل واحد وغير الصنوان المنقرقات وقاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد وقوله تسقى بماء واحد وتفضل بعضها على بعض فى الأكل قال الاعمش عن ابى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وتفضل بعضها على بعض فى الأكل قال الدقل والفارسى والحلو والحامض رواه الترمذى وقال حسن غريب أى هذا الاختلاف فى أجناس الثمرات والزرورع فى أشكالها وألوانها وطعومها وروائحها وأوراقها وأزهارها فهذه فى غاية الحلاوة وذاتى غاية المرارة وذاتى غاية الحوضه وذاتى غاية المرارة وذاتى غصص وهذا عذب وهذا حار وهذا بارد وهذا أبيض وهذا أسود وهذا أزرق وكذلك الزهورات مع ان كلها تستمد من طبيعة واحدة وهو الماء مع هذا الاختلاف الكثير الذى لا ينحصر ولا ينضب فى ذلك آيات لمن كان اعياء وهذا من أعظم الدلالات على الفاعل المختار الذى بقدرته قاوت بين الاشياء وخلقها على ما يريد ولهذا قال تعالى ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون (وان تعجب فحجب قولهم أنذا كثر ابناً الذى خلق جديداً ولئسك الذين كفر واربهم وأولئك الاغلال فى أعناقهم

والمراد
هذا وهذا يتم استكمال الى طعم آخر باذن الله تعالى وهذا أصفر وهذا أحمر وهذا أبيض وهذا أسود وهذا أزرق وكذلك الزهورات مع ان كلها تستمد من طبيعة واحدة وهو الماء مع هذا الاختلاف الكثير الذى لا ينحصر ولا ينضب فى ذلك آيات لمن كان اعياء وهذا من أعظم الدلالات على الفاعل المختار الذى بقدرته قاوت بين الاشياء وخلقها على ما يريد ولهذا قال تعالى ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون (وان تعجب فحجب قولهم أنذا كثر ابناً الذى خلق جديداً ولئسك الذين كفر واربهم وأولئك الاغلال فى أعناقهم

وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) يقول تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وان تعجب من تكذيب هؤلاء المشركين بالمعاد مع ما يشاهدونه من آيات الله سبحانه ودلائله في خلقه على انه القادر على ما يشاء ومع ما يعترفون به من انه ابتدأ خلق الاشياء فكيف كونها بعد ان لم تكن شيئا مذكورا ثم هم بعد هذا يكذبون خبره في انه سيعيد العالم خلقا جديدا وقد اعترفوا وشاهدوا ما هو أعجب مما كذبوا به فالمعجب من قولهم ان هذا كثر اياتنا في خلق جديد وقد علم كل عالم وعاقل ان خلق السموات والارض أكبر من خلق الناس وان من بدأ الخلق فالاعادة عليه أسهل كما قال تعالى أولم ير وأن الله (٢٣٩) الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن

بقادر على أن يحيي الموتى بلى انه على كل شيء قدير ثم نعت المكذبين بهذا فقال أولئك الذين كفروا برهم وأولئك الاعمال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون أى ما كئون فيها أبدا لا يحولون عنها ولا يزولون (ويستجملونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلثات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب) يقول تعالى ويستجملونك أى هؤلاء المكذبون بالسيئة قبل الحسنة أى بالعقوبة كما أخبر عنهم في قوله وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون لوما تأيينا بالملائكة ان كنت من الصادقين ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين وقال تعالى ويستجملونك بالعباد الآتين وقال سائل بعد ذاب واقع وقال يستجمل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنهم الحق وقالوا ربنا عمل لنا قطننا الآية أى عقابنا وحسابنا كما قال مخبر عنهم واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية نكفوا من شدة تكذيبهم وعنادهم وكفرهم يطلبون ان يأتهم بعد اب الله قال الله تعالى وقد خلت من قبلهم المثلثات أى قدأ وعنادنا فمنا بالامم الخالية وجعلناهم عبرة وعظة لمن اتعظ بهم ثم أخبر تعالى أنه لو لاولئك وعنفوه لعاجلهم بالعقوبة كما قال ولولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا وما ترك على ظهورهم امانة وقال تعالى في هذه الآية الكريمة وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم أى انه تعالى ذو صفح وسر للناس مع انهم يظلمون ويخطؤون بالليل والنهار ثم قرن هذا الحكم بأنه شديد العقاب ليعتدل الرجاء والخوف كما قال تعالى فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين وقال ان ربك لاسر بع العقاب وانه لغفور رحيم وقال نبي عبادى أى أنا الغفور الرحيم

والمراد الملائكة ويحتمل أن تكون الجملة مستأنفة وفي هذا رد على قريش حيث زعموا أن الملائكة بنات الله والمعنى يسجد لله مافي السموات وما في الارض والملائكة وهم جميعا لا يستكبرون عن السجود (يخافون) أى حال كونهم خائفين (رهم من فوقهم) أى جملة مستأنفة لبيان نفي استكبارهم ومن آثار الخوف عدم الاستكبار أى يخافون عذاب ربهم كأنهم من فوقهم أو يخافون ربهم حال كونه من فوقهم عاليا عليهم علو الرتبة والمكانة والقدرة بانعائهم بالاستواء على العرش وقيل معناه يخافون الملائكة فيكون على حذف المضاف أى يخافون الملائكة رهم من فوقهم وهو تكلف لا حاجة اليه وانما اقتضى مثل هذه التأويلات البعيدة المحاماة على مذاهب قدر سخت في الاذهان وتقرر في القلوب قبل وهذه المخافة هي مخافة الاجلال واختاره الزجاج فقال يخافون رهم خوف مجملين ويدل على صحة هذا المعنى قوله وهو القاهر فوق عباده وقوله اخبارا عن فرعون وانا فوقهم قاهرون (ويفعلون ما يؤمرون) به من طاعة الله يعنى الملائكة أو جميع من تقدم ذكره وحمل هذه الجملة على الملائكة أولى لان في مخلوقات الله من يستكبر عن عبادته ولا يخافه ولا يفعل ما يؤمر به كالكفار والعصاة الذين لا يتصفون بهذه الصفات والبليس وجنوده وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند قراءتها وسماعها ولما بين سبحانه ان مخلوقاته السماوية والارضية منقاد له خاضعة لجلاله أتبع ذلك بالنهي عن الشرك بقوله (وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد) فهى سبحانه عن اتخاذ الهين ثم أثبت ان الالهية منحصره في اله واحد وهو الله سبحانه وقد قيل ان التثنية في الالهين قد دلت على الاتينية والافرادى اله قد دل على الوحدة فواجه وصف الهين بثنيتين ووصف اله بواحد فقيل في الجواب ان في الكلام تقديم وتأخير والتقدير لا تتخذوا اثنين الهين وفيه بعد وقال أبو البقاء هو مفعول ثان وهذا كالتعاطف اذ المعنى لذلك البتة وقيل ان التكرير لاجل المبالغة في التفسير عن اتخاذ الشرك وقيل انه تأكيدي لالهين وعليه أكثر الناس وكلام الزمخشري هنا يفهم منه انه ليس بتأكيدي وقيل ان فائدة زيادة اثنين هى ان يعلم أن النهى راجع الى التعدد لا الى الجنسية وفائدة زيادة واحد دفع توهم ان المراد اثبات الالهية بدون الواحدة مع ان الالهية له سبحانه مسلمة في نفسه وانما خلاف المشركين في الواحدة ثم نقل الكلام

وكفرهم يطلبون ان يأتهم بعد اب الله قال الله تعالى وقد خلت من قبلهم المثلثات أى قدأ وعنادنا فمنا بالامم الخالية وجعلناهم عبرة وعظة لمن اتعظ بهم ثم أخبر تعالى أنه لو لاولئك وعنفوه لعاجلهم بالعقوبة كما قال ولولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا وما ترك على ظهورهم امانة وقال تعالى في هذه الآية الكريمة وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم أى انه تعالى ذو صفح وسر للناس مع انهم يظلمون ويخطؤون بالليل والنهار ثم قرن هذا الحكم بأنه شديد العقاب ليعتدل الرجاء والخوف كما قال تعالى فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين وقال ان ربك لاسر بع العقاب وانه لغفور رحيم وقال نبي عبادى أى أنا الغفور الرحيم

وان عذابي هو العذاب الاليم الى أمثال ذلك من الآيات التي تجمع الرجاء والخوف وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا حماد عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال لما نزلت هذه الآية وان ربك لذومغفرة للناس على ظلمهم الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوز ما هنا أحد العيش ولولا وعي سده وعقابه لابتكل كل واحد وروى الحافظ ابن عساکر في ترجمة الحسن بن عثمان أبي حسان الرمادي أنه رأى رب العزة في النوم ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بين يديه يشفع في رجل من أمته فقال له ألم يكفك أفي (٢٤٠) أنزلت عليك في سورة الرعد وان ربك لذومغفرة للناس على ظلمهم

قال ثم انتبهت (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه انما أنت منذر ولكل قوم هاد) يقول تعالى اخبارا عن المشركين انهم يقولون كفسرا وعنادا لولاياتنا بآية من ربه كما أرسل الآولون كما تعنتوا عليه أن يجعل لهم الصفاذها وأأن يزيح عنهم الجبال ويجعل مكانها مروجا وأنهارا قال تعالى وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون الآية انما أنت منذر أفي انما عليك ان تبلغ رسالة الله التي أمرك الله وليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وقوله ولكل قوم هاد قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أي لكل قوم داع وقال العوفي عن ابن عباس في الآية يقول الله تعالى أنت يا محمد منذر وأنا هادي كل قوم وكذا قال محمد وسعيد بن جبيرة والضحاك ومجاهد وغير واحد وعن مجاهد ولكل قوم هاد أي نبي كقوله وان من امة الا خلا فيها نذير وبه قال قتادة وعبد الرحمن ابن زيد وقال أبو صالح ويحيى بن رافع ولكل قوم هاد أي قائد وقال أبو العالية الهادي القائد والقائد الامام والامام العمل وعن عكرمة

سبحانه من الغيبة الى التكلم على طريقتة الالتفات لزيادة الترهيب فقال (فايأى فارهبون) أي ان كنتم راهبين شيأفايأى فارهبون لاغيري فالتركيب أفاد الحصر وقيل التقدير ايأى ارهبوا فارهبون وقدره ابن عطية ارهبوا ايأى فارهبون قال الشيخ وهو ذهول عن القاعدة النحوية وقد يجب عنه والرهب مخافة مع حزن واضطراب وقد مر هذا في أول البقرة ثم لما قرر سبحانه وحدانيته وأنه الذي يجب ان يخص بالرهبة منه والرغبة اليه ذكر أن الكل في ملكه وتحت تصرفه فقال (وله ما في السموات والارض) ملكا وخلقا وعبيدا والجملة مقررة لما تقدم في قوله ولله يسجد ما في السموات وما في الارض الخ وتقديم الخبر لاقادة الاختصاص والتفت فيه من التكلم الى الغيبة والجملة معطوفة على قوله انما هو اله واحد وعلى الخبر أوستأنف (وله الدين واصبا) أي ثابتا واجبادا ثم لايزول والدين هو الطاعة والاخلاص قال الفراء واصبا بمعناه دائما وروى عنه أيضا الواصب الخالص والأول أولى ومنه قوله سبحانه وله من عذاب واصب أي دائم وقال الزجاج أي طاعته واجبة أبدا ففسر الواصب بالواجب وقال ابن قتيبة في تفسير الواصب أي ليس أحد يطاع الا انقطع ذلك بزوال أو يملكه غير الله تعالى فان الطاعة تدوم له ففسر الواصب بالدائم واذا دام الشيء دواما لا ينقطع فقد وجب وثبت يقال وصب الشيء يصب وصبوا فهو وواصب اذا دام ووصب الرجل على الامر اذا واطب عليه وقيل الوصب التعب والاعياء أي يجب طاعة الله سبحانه وان تعب العبد فيها وهو غير مناسب لما في الآية قال مجاهد الدين الاخلاص وواصب دائما وقال أبو صالح بعني لا اله الا الله وعن ابن عباس دائما واجبا وفي البيضاوي واصبا لازما وقال الشهاب الرصب ورد في كلامهم بمعني الزوم والدوام وفي القاموس وصب يصب دام وثبت كواصب وعلى الامر واطب وأحسن القيام عليه وفي المصباح وصب الشيء وصبوا دام ووصب الدين وجب والاستفهام في قوله (أفغير الله تتقون) للتقريع والتوبيخ والتعجب والانكار والفاء للتعقيب والمعنى اذا كان الدين أي الطاعة واجبا له دائما لا ينقطع كان المناسب لذلك تخصيص التقوى به وعدم ايقاعها لغيره فكيف يعقل ان يكون للانسان رغبة او رهبة في غير الله ثم امن سبحانه عليهم بان جميع ما هم متقبلون فيه من النعم هو منه لا من غيره فقال (وما بكم من نعمة فمن الله) أي ما يلا بسكم من النعم على اختلاف أنواعها فهي

منه

وأبي الضحى ولكل قوم هاد قال هو محمد صلى الله عليه وسلم وقال مالك ولكل قوم هاد من يدعوهم الى الله

عز وجل وقال أبو جعفر بن جرير حدثني أحمد بن يحيى الصوفي حدثنا الحسن بن الحسين الانصاري حدثنا معاذ بن مسلم حدثنا الهروري عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهم ما قال لما نزلت انما أنت منذر ولكل قوم هاد قال رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال أنا المنذر ولكل قوم هاد وأما يده على منكب علي فقال أنت الهادي يا علي بك يهتدى المهتدون من بعدى وهذا الحديث فيه نكارة شديدة وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا عثمان بن أبي شيبة

حدثنا المطلب بن زياد عن السدي عن عبد خبير عن علي ولكل قوم هاد قال الهادي رجل من بني هاشم قال الخنيد هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال ابن أبي حاتم وروى عن ابن عباس في إحدى الروايات وعن أبي جعفر محمد بن علي نحو ذلك وأورد ابن جرير الحديث الذي فيه أنت الهادي يا علي بك يهتدى المهتدون من بعدى وفيه نكارة شديدة (الله يعلم ما تحمل كل أمي وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شئ عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال) يخبر تعالى عن تمام علمه الذي لا يخفى عليه شئ وأنه محيط بما تحمله الحوامل من كل اناث الحيوانات كقوله ويعلم ما في الأرحام (٢٤١) أي ما حملت من ذكراً أو أنثى أو حسن أو قبيح

أوشق أو سعيد أو طويل العمر أو قصيره كقوله تعالى هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذا أنتم أجنة الآتية وقال تعالى يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث أي خلقكم طوراً من بعد طور كما قال تعالى ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتماركت الله أحسن الخالقين وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه وعمره وعمله له وشق أو سعيد وفي الحديث الآخر يقول الملك أي رب أذ كرام أي رب أشقى أم سعيداً الرزق فما الاجل فيقول الله ويكتب الملك وقوله وما تغيض الأرحام وما تزداد قال البخاري

منه سبحانه والنعمة إمامانية وهي معرفة الحق لذاته ومعرفة الخير لاجل العمل به واما دينوية نفسانية أو بدينية أو خارجية كالسعادات المادية وغيرها وكل واحدة من هذه جنس تحتها أنواع لا حصر لها والكل من الله سبحانه فعلى العاقل ان لا يشكر الاياه وما موصولة متضمنة لعنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول والفاء زائدة أو شرطية واليه نجا الفراء وتبعه الحوفي وأبو البقاء ثم بين تلون الانسان بعد اسستغراقه في بحر النعم فقال (ثم اذا مسكم الضر) أي الشدة والأمراض والاسقام أو أي ضر كان والضر المرض والبلاء والحاجة والتعط وكما يضر ربه الانسان (فاليه) سبحانه لا الى غيره (تجأرون) تضرعون وتسستغيثون وتضجون في كشفه فلا كاشف له الا هو يقال جأرت تجأرجوراً اذا رفع صوته بالدعاء في تضرع قال مجاهد تضرعون بالدعاء وقال السدي تضرعون بالدعاء وفي القاموس جأرجأراً وجواراً وجواراً بوزن غراب رفع صوته بالدعاء وتضرع واستغاث والبقرة والثور صاحاً والنبات طال والأرض طال نباتها (ثم اذا كشف الضر عنكم) أي اذا رفع عنكم ما نزل بكم من الضر (اذافريق) أي جماعة (منكم) برجم) الذي رفع الضر عنهم (يشركون) فيجعلون معه لها آخر من صنم أو نحوه اذا الاولى شرطية والثانية بغائية جوابها وفي الآية دليل على ان اذا الشرطية لا تكون معمولة لجوابها لان ما بعد اذا الفجائية لا يعمل فيما قبلها والآية مسوقة للتعجب من فعل هؤلاء حيث يضعون الاشرار بالله الذي أنعم عليهم بكشف ما نزل بهم من الضر مكان الشكر له وهذا المعنى قد تقدم في الانعام ويونس ويأتي ان شاء الله تعالى في سبحانه قال الزجاج هذا خاص بمن كفر وقابل كشف الضر عنه بالجوذ والكفر وعلى هذا فيكون من في منكم للتبعيض حيث كان الخطاب للناس جميعاً والفريق هم الكفرة وان كان الخطاب موجهاً الى الكفار فن للبيان وبه قال الزمخشري كأنه قيل اذافريق كافر وهم أنتم قاله السمين واللام في (ليكفروا) لام كي أي لكي يكفروا يعني اشرارهم سبب كفرهم وقيل انها لام الصيرورة أي صار أمرهم الى ذلك وقيل انها لام الامر واليه نجا الزمخشري وقيل انها لام العاقبة أي فعاقبة اشرارهم بالله غيره كفرهم (بما آتيناهم) من نعمة وهي كشف الضر عنهم حتى كأن هذا الكفر منهم الواقع في موضع الشكر الواجب عليهم غرض لهم ومقصد من مقاصدهم وهذا غاية في العمق والعناد ليس وراءها

(٣١ فتح البيان خامس) حدثنا ابراهيم بن المنذر حدثنا معن حدثنا مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله لا يعلم ما في غد الا الله ولا يعلم ما تغيض الأرحام الا الله ولا يعلم متى يأتي المطر أحد الا الله ولا تدرى نفس بأى أرض تموت ولا يعلم متى تقوم الساعة الا الله وقال العوفي عن ابن عباس وما تغيض الأرحام يعني السقط وما تزداد يقول ما زادت الرحم في الحمل على ما غاضت حتى ولدته تماماً وذلك ان من النساء من تحمل عشرة أشهر ومن تحمل تسعة أشهر ومن من تردي في الحمل ومنهن من تنقص فذلك الغيض والزيادة التي ذكر الله تعالى

وكل ذلك بعلمه تعالى وقال الضحالك عن ابن عباس في قوله وما تغيب الارحام وما تزداد قال ما نقصت من تسعة وما زاد عليها وقال الضحالك وضعني أمي وقد حملتني في بطنها ستين وولدتني وقد نبئت نبتي وقال ابن جريج عن جميلة بنت سعد عن عائشة قالت لا يكون الحمل أكثر من سنتين قدر ما يتحرك ظل مغزل وقال مجاهد وما تغيب الارحام وما تزداد قال ماترى من الدم في حملها وما تزداد على تسعة أشهر وبه قال عطية العوفي والحسن البصري وقتادة والضحالك وقال مجاهد أيضا اذا رأته المرأة الدم دون التسعة زاد على التسعة مثل أيام الحيض وقال عكرمة (٢٤٢) وسعيد بن جبيرة بن زيد وقال مجاهد أيضا وما تغيب الارحام اراقة

الدم حتى يحسن الولد وما تزداد ان لم تهرق الدم تم الولد وعظم وقال مكحول الجنين في بطن أمه لا يظلب ولا يحزن ولا يغتم وانما يأتيه رزقه في بطن أمه من دم حيضته فان ثم لا تحيض الحامل فاذا وقع الى الارض استهل واستهله استنكاره لكانه فاذا قطعت سرة حوله الله رزقه الى ثدي أمه حتى لا يحزن ولا يظلب ولا يغتم ثم يصير طفلا يتناول الشيء بكفه فيما كاه فاذا هو بلغ قال هو الموت أو القتل أنى لى بالرزق فيقول مكحول يا ويحك غذاك وأنت في بطن أمك وأنت طفل صغير حتى اذا اشتدت وعقلت قلت هو الموت أو القتل أنى لى بالرزق ثم قرأ مكحول الله يعلم ما تحمل كل أنى الآية وقال قتادة وكل شئ عنده بمقدار رأى بأجل حنظ الرزاق خلقه وآجالهم وجعل لذلك أجلا معلوما وفي الحديث الصحيح ان احدي بنات النبي صلى الله عليه وسلم بعثت اليه أن ابنا لها في الموت وانها يحب ان تحضره فبعث اليها يقول ان الله ما أخذ له ما أعطى وكل شئ عنده بأجل مسمى فروها

غاية ثم قال سبحانه على سبيل التهديد والترهيب ملة فمن الغيبة الى الخطاب (فتمتعوا) بما أنتم فيه من ذلك (فسوف تعلمون) عاقبة أمركم وما يحمل بكم في هذه الدار وما تصيرون اليه في الدار الآخرة قال الحسن هذا وعيد ثم حكي سبحانه نوع آخر من قبائح أعمالهم فقال (ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم) أى يقع منهم هذا الجعل بعد ما وقع منهم الجوار الى الله سبحانه في كشف الضر عنهم وما تعقب كشفه عنهم من الكفر منهم بالله والاشراك به ومع ذلك يجعلون لما لا يعلمون حقيقة من الجادات والشياطين نصيبا من أموالهم يتقربون به اليه وقيل المعنى انهم أى الكفار يجعلون للاصنام وهم لا يعلمون شيئا لكونهم جادات وأجراهم جرى العقلاء جريا على اعتقاد الكفار فيها وحاصل المعنى ويجعل هؤلاء الكفار للاصنام التى لاتعقل شيئا نصيبا من أموالهم التى رزقهم الله اياها قال مجاهد يعلمون ان الله خلقهم ويضربهم وينفذهم ثم يجعلون لما لا يعلمون انه يضربهم وينفذهم نصيبا مما رزقناهم وقال قتادة هم مشركو العرب جعلوا لآوثانهم وشياطينهم مما رزقهم الله وحزوا من أموالهم جزأ فجعلوه لهم وعن السدى قال هو قولهم هذا الله بزعمهم وهذا الشركاءنا (تالله لتسئلن) أقسم بنفسه على نفسه انه يسألهم يوم القيامة وهذا رجوع عن الغيبة الى الخطاب وهو من بديع الكلام وبلغه وهذا السؤال سؤال تقريع وتوبيخ (عما كنتم تفكرون) أى تحتلقونه من الكذب على الله سبحانه فى الدنيا (ويجعلون لله البنات) هذا نوع آخر من فضائحهم وقبائحهم وقد كانت خرافة وكانه يقول الملائكة بنات الله ففره (سبحانه) نفسه عما نسب اليه هؤلاء الجفأة الذين لا عقول لهم صحيحة ولا أفهام مستقيمة قال ابن عباس يقول يجعلون لى البنات ترثونهن لى ولا ترثونهن لانفسكنم وذلك انهم كانوا فى الجاهلية اذا ولد للرجل منهم جارية أمسكها على هوان أو دسها فى التراب وهى حية انهم الا كالا نعم بل هم أضل وفى هذا التنزيه تعجيب من حالهم (ولهم ما يشتهون) أى ويجعلون لانفسهم ما يشتهونه من البنين والجدلة مسما نفة أو فى محل النصب على الخال من الواو فى يجعلون هذا ثم ذكر سبحانه كراهتهم للاناث التى جعلوها لله سبحانه فقال (واذا بشر أحدكم بالأنثى) أى اذا أخبر أحدكم بولادة بنت له (ظل) صار (وجبه مسودا) أى متغيرا وليس المراد السواد الذى هو ضد البياض بل المراد به الكناية عن الانكسار والتغير بما يحصل

فالتصبر ولتحتسب الحديث بتسامه وقوله عالم الغيب والشهادة أى يعلم كل شئ مما يشاهده العباد وما يغيب عنهم من رايخفى عليه منه شئ الكبير الذى هو أكبر من كل شئ المنعالم أى على كل شئ قدأ حاط بكل شئ علما وقهر كل شئ نخضعت له الرقاب ودان له العباد طوعا وكرها (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا وما ياتفسهم اذا اراد الله بقوم سواء فلا مرد له وماله من دونه من وال) يخبر تعالى عن احاطة علمه بجميع خلقه وسواء منهم من أسر قوله أو جهر به فانه يسمعه لا يخفى عليه شئ كقوله وان

تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى وقال ويعلم ما تخفون وما تعلمون وقالت عائشة رضي الله عنها سبحان الذي وسع سمعه الأصوات والله لقد جاءت الجحادلة تشتكي زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا في جنب البيت وأنه ليخفي على بعض كلامها فإنزل الله قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير وقوله ومن هو مستخف بالليل أي محتف في قعر بيته في ظلام الليل وسار بالليل والنهار أي ظاهر ما شفي بياض النهار وضيائه فإن كلاهما في علم الله على السواء كقوله تعالى الآحين يستغشون ثيابهم الآية وقوله تعالى وما تكون في شأن (٢٤٣) وما تلاونه من قرآن ولا تعملون من عمل الآك

عليكم شهودا ذنبيون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين وقوله بمعقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله أي للعبد ملائكة يتعاقبون عليه حرس بالليل وحرس بالنهار يحفظونه من الأسواء والحادثات كما يتعاقب ملائكة آخر ون الحفظ الاعمال من خيرا وأشر ملائكة بالليل وملائكة بالنهار فأتان عن اليمن والشمال يكتبان الاعمال صاحب اليمن يكتب الحسنات وصاحب الشمال يكتب السيئات وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه واحد من ورائه وآخر من قدماه فهو بين أربعة أملاك بالنهار وأربعة آخرين بالليل بدلا حافظان وكاتبان كما جاء في الصحيح يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويحفظون في صلاة الصبح وصلاة العصر فيصعد اليه الذين بانوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي فيقولون أتيانهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون وفي الحديث الآخر إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء وعند الجماع فاستحيوهم وأكرمواهم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله والمعقبات من الله هي الملائكة وقال عكرمة عن ابن عباس يحفظونه من أمر الله قال ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه فإذا جاء قدر الله خاوا عنه وقال مجاهد ما من عبد إلا له ملك موكل يحفظه في نومه ويقظته من الجن والانس والهوام فإمنها من يأتيه يريد الأقاله الملك وراءك الأشيء أذن الله فيه فيصبيه وقال الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله له معقبات من بين يديه

من الغم والحزن والغيب والكراهة والعرب تقول لكل من لقي مكروها قد اسود وجهه نحا وحزنا قاله الزجاج وقال الماوردي بل المراد اسود اللون حقيقة قال وهو قول الجمهور والاول أولى فإن المعلوم بالوجدان أن من غضب وحزن واغتم لا يحصل في لونه إلا مجرد التغيير وظهور الكآبة والانكسار لا السواد الحقيقي (وهو كظيم) أي ممتلي من الغم غيظا وحنا يقال كظمت الغيظ كظما وكظوما أمسكت على ما في نفسك منه على صفتح أو غيظا ور بما قيل كظمت على الغيظ وكظمتي الغيظ فانا كظيم وكظوم وكظم البعير كظوما لم يجتز قال الاخفش هو الذي يكظم غيظه ولا يظهره وقيل انه المغموم الذي يطبق فاه من الغم مأخوذ من الكظامة وهو سد فم البئر قاله علي بن عيسى وقد تقدم في سورة يوسف (يتوارى) أي يتغيب ويختفي (من القوم من سوء ما بشره) أي من سوء الحزن والعار والحياء الذي يلحقه بسبب حدوث البنت له تعلق هتاجا إن بلفظ واحد لاختلاف معناها فإن الاولى للابتداء والثانية للعله أي من أجل سوء وسوءها من حيث كونها يخاف عليها الزنا ومن حيث كونها لا تكتسب ومن حيث غير ذلك (أي مسكه على هون) قال الزبيدي الهون الهوان بلغة قريش وكذا حكي عن الكسائي وحكي عنه أيضا انه البلاء والمشقة وقال الفراء الهون القليل بلغة تميم وعن الاعمش انه قرأ أي مسكه على سوء (أم يدسه في التراب) أي يحفنيه فيه بالواد كما كانت تفعله العرب والدس اخفاء الشيء في الشيء فلا يزال الذي بشر بحدوث الشيء مترددا بين هذين الأمرين والتذكير في مسكه ويدسه مع كونه عبارة عن الأثر لرعاية اللفظ وقرأ الجدي أم يدسه او يلزمه ان يقرأ أي مسكه وقيل دسها اخفاؤها عن الناس حتى لا تعرف كالدسوس لاختفائه عن الابصار (الأساء ما يحكمون) حيث أضافوا البنات التي بكرهونها إلى الله سبحانه وأضافوا البنين المحبوبين عندهم إلى أنفسهم ومثله قوله تعالى ألكم الذكرو له الأثر تلك اذا فسمه ضيزى قال السدي بئسما حكموا بقول شيء لا يرضونه لانفسهم فكيف يرضونه لي (للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء) أي لهؤلاء الذين وصفهم الله سبحانه بهذه القبائح الفظيعة صفتا السوء من الجهل والكفر بالله وقيل هو وصفهم لله سبحانه بالصاحبة والولد وقيل هو حاجتهم إلى الولد ليقوم مقامهم ورواد البنات لدفع العار وخشية الاملاق وقيل العذاب والنار (ولله المثل الأعلى) هي أضداد صفة المخلوقين من الغنى يصلون وفي الحديث الآخر إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء وعند الجماع فاستحيوهم وأكرمواهم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله والمعقبات من الله هي الملائكة وقال عكرمة عن ابن عباس يحفظونه من أمر الله قال ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه فإذا جاء قدر الله خاوا عنه وقال مجاهد ما من عبد إلا له ملك موكل يحفظه في نومه ويقظته من الجن والانس والهوام فإمنها من يأتيه يريد الأقاله الملك وراءك الأشيء أذن الله فيه فيصبيه وقال الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله له معقبات من بين يديه

ومن خلقه قال ذلك ملك من ملوك الدنيا له حرس من دونه حرس وقال العوفي عن ابن عباس له معقبات من بين يديه ومن خلفه يعني
 ولى السلطان يكون عليه الحرس وقال عكرمة في نفسه يرها هؤلاء الامراء المواقب من بين يديه ومن خلفه وقال الخنك في
 الآية هو السلطان المحروس من امر الله وهم أهل الشرك والظاهر والله أعلم ان مراد ابن عباس وعكرمة والخنك بهذا ان حرس
 الملائكة العبد يشبه حرس هؤلاء الملوكهم وامرهم وقد روى الامام أبو جعفر بن جرير هنا حديثا غريبا جدا فقال حدثني
 المثني حدثنا ابراهيم بن عبد السلام بن صالح (٢٤٤) القشيري بن عبد الرحمن حدثنا علي بن جرير عن حماد بن سلمة عن

الكامل والجلود الشامل والعلم الواسع أو التوحيد والخلص العباداة وأنه خالق رازق
 قادر مجاز منزه عن الولد وقيل شهادة أن لا اله الا الله قاله قتادة وقيل الله نور السموات
 والارض مثل نوره الآية وقيل ليس كمثل شئ قاله ابن عباس (وهو العزيز) الذي لا يغالب،
 فلا يضره نسبتهم اليه ما لا يليق به (الحكيم) في أقواله وأفعاله ثم لما حكى سبحانه عن
 القوم عظم كفرهم بين سعة كرمه وحلمه حيث لم يعاجلهم بالعقوبة فقال (ولو يؤاخذ الله
 الناس بظلمهم) المراد بالناس هنا الكفار أو جميع العصاة والباء للسمية (ماترك عليها)
 أى على الارض وان لم تذكر فقد دل عليها ذكر الناس أو الدابة (من دابة) قط بل أهلكتها
 بالمرثومة ظلم الظالمين فان الجميع مستقرون على الارض والمراد بالدابة الكافر وقيل
 كل مادب وقد قيل على هذا كيف يعم بالهلاك وفيهم من لا ذنب له وأجيب بان اهلاك
 الظالم اتقمامنه واهلاك غيره ان كان من أهل التكليف فلا جعل توفيرا اجره وان كان
 من غيرهم فبشؤم ظلم الظالمين والله الحكمة البالغة لا يستعمل عميا يفعل وهم يستلون ومثل
 هذا قوله واتقوا فتنة لا تصيب الذين ظلموا منكم خاصة وفي معنى هذه الآية أحاديث
 منها ما عند مسلم وغيره من حديث ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 يقول اذا اراد الله بقوم عذابا اصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على نياتهم وكذلك
 حديث الجليس الذي يخسف بهم في البداء وفي آخره انهم يبعثون على نياتهم وقد قدمنا
 عند تفسير قوله سبحانه واتقوا فتنة الآية تحقيقا حقيقيا بالمراد قوله قال سعيد بن جبير
 ماترك عليها من دابة ما سقاهاهم المطر وعن السدي نحوه أى يسلك المطر بسبب ظلمهم
 وانقطاعه يوجب انقطاع النسل وقيل لو اهلك الالباء بكفرهم لم تكن الالبناء وذلك
 يستلزم ان لا يبقى في العالم أحد من الناس وقال قتادة قد فعل ذلك في زمن نوح اهلك الله
 ما على الارض من دابة الا ما جعل في سفينةه وهذا اذا ن بان ما أتوه من القبائح فقد تناسى
 الى أملا غايه وراه وعن ابن مسعود قال ذنوب ابن آدم قتلت الجعل في بحره ثم قال اى
 والله زمن غرق قوم نوح وعنه قال كذا الجعل ان يعذب في بحره بذب ابن آدم ثم قرأ هذه
 الآية وعن أنس نحوه وعن أبي هريرة انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه قال
 أبو هريرة بلى والله ان الجباري لتوت هذا في وكرها من ظلم الظالم (ولكن يؤخرهم الى
 أجل مسي) معلوم معين عنده تعالى وهو منتهى حياتهم وانقضاء أعمالهم أو أجل

عبد الحميد بن جعفر عن كنانة
 العدوى قال دخل عثمان بن عفان
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقال يا رسول الله أخبرني عن
 العبد كم ملك معه فقال ملك عن
 يمينك للحسناتك وهو أمر على
 الذي على الشمال فاذا عملت حسنة
 كتبت عشر اواذا عملت سيئة قال
 الذي على الشمال للذي على اليمين
 اكتبها قال لا لعلة يتوب أو يستغفر
 فيستأذنه ثلاث مرات فاذا قال ثلاثا
 قال اكتب أراحنا الله منه فيبس
 القرين ما اقل مر اقبته الله واستحيا
 منا يقول الله ما يلائم من قول
 الالديه رقيب عتيد وملك كان من
 بين يديك ومن خلفك يقول الله
 تعالى له معقبات من بين يديه ومن
 خلفه الآية وملك قابض على
 ناصيتك فاذا تواضعت لله رفعتك
 واذا تجبرت على الله قصمتك
 وملك كان على شفيتك ليس
 يحفظان عليك الا الصلاة على
 محمد صلى الله عليه وسلم وملك قائم
 على فيك لا يدع ان تدخل الحيمة في
 فيك وملك كان على عينيك فهو لاء
 عشرة أملاك على كل بنى آدم

ينزلون ملائكة الليل على ملائكة النهار لان ملائكة الليل سوى ملائكة النهار فهو لاء عشرون ملكا على كل بنى عذابهم
 آدم وابليس بالنهار وولده بالليل وقال الامام أجد رحمه الله حدثنا اسود بن عامر حدثنا سفيان حدثني منصور عن سالم بن أبي الجعد
 عن أبيه عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد الا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة
 قالوا ويايها رسول الله قال وياي ولكن الله أعانني عليه فلا يأمرني الا بخير انفرادا خراجه مسلم وقوله يحفظونه من أمر الله
 قبل المراد حفظهم له من أمر الله رواه علي بن أبي طلحة وغيره عن ابن عباس واليه ذهب مجاهد وسعيد بن جبير و ابراهيم النخعي وغيرهم

وقال قتادة يحفظونه من أمر الله قال وفي بعض القراءات يحفظونه بأمر الله وقال كعب الاحبار لو تجلى لابن آدم كل سهل وكل حزن (٣) لرأى كل شيء من ذلك شيئاً بنفسه لولا ان الله وكل بكم ملائكة يذوبون عنكم في مطعمكم ومشر بكم وعوراتكم اذ النخطفتم وقال أبو أمامة ما من آدمي الا ومعه ملك يذود عنه حتى يسلمه للذي قدر له وقال أبو مجلز جاء رجل من مراد الى علي رضي الله عنه وهو يصلي فقال احترس فان ناسا من مراد يريدون قتلك فقال ان مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر فاذا جاء القدر خليا بينه وبينه ان الاجل جنة حصينة وقال بعضهم يحفظونه من أمر الله بأمر (٢٤٥) الله كما جاء في الحديث انهم قالوا يا رسول الله

أرأيت رقيان ستر في بهاهل ترد من قدر الله شيئاً فقال هي من قدر الله وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا حفص بن غياث عن أشعث عن جهم عن ابراهيم أوحى الله الى نبي من انبياء بني اسرائيل أن قل لقومك انه ليس من أهل قرية ولا أهل بيت يكونون على طاعة الله فيتحولون منها الى معصية الله الاحول الله عنهم ما يحبون الى ما يكرهون ثم قال ان تصدق ذلك في كتاب الله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وقد ورد هذا في حديث مرفوع فقال الحافظ محمد بن عثمان بن أبي شيبة في كتابه صفة العرش حدثنا الحسن بن علي حدثنا الهيثم بن الأشعث السلمي حدثنا أبو حنيفة البجلي الانصاري عن عمير بن عبد الملك قال خطبنا علي بن أبي طالب على منبر الكوفة قال كنت اذا أمسكت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتدأتني واذا سألته عن الخبر أبأني وانه حدثني عن ربه عز وجل قال قال الرب وعزتي وجلالي وارتقاعي فوق عرشى ما من قرية ولا أهل

عذابهم وفي هذا التأخير حكمة بالغة منها الاعذار اليهم وارتقاء العنان معهم ومنها حصول من سبق في علمه من اولادهم (فاذا جاء أجلهم) الذي سماه لهم (لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) اي حقت عليهم كلمة الله سبحانه في ذلك الوقت من دون تقدم عليه ولا تأخر عنه والساعة المدة القليلة وقد تقدم تفسير هذا وتحقيقه ثم ذكر نوعا آخر من جهلهم وحقه فقال (ويجعلون لله ما يكرهون) اي ينسبون اليه سبحانه ما يكرهون نسبة الى أنفسهم من البنات والشريك في الرياسة واهانة الرسل وهو توكير لما تقدم لتصد التأكيد والتقريب اول زيادة التوبيخ والتقريع قال الضحاك أي يجعلون لى البنات ويكرهون ذلك لأنفسهم ثم ذكر الله سبحانه نوعا آخر من قبائحهم فقال (وتصف أسنتهم الكذب) والذي تصفه أسنتهم من الكذب هو قولهم (أن لهم) الخصلة أو العاقبة (الحسنى) قال الزجاج يصفون ان لهم مع قبح قولهم من الله الجزاء الحسن أي الجنة كقوله ولئن رجعت الى ربي انى عنده للحسنى وقرئ الكذب بضم تين على انه صفة للالسن وهو جع كذب فيكون المفعول على هذا ان لهم الحسنى قال مجاهد قول كفار قريش لنا البنون وله البنات وعن قتادة نحوه ثم رد الله سبحانه عليهم بقوله (لا جرم) تركيب من حى من لفظ لا ولفظ جرم ومعناه النعل أي ثبت أو المصدر أي حقاً (أن لهم) مكان ما جعلوه لانفسهم من الحسنى (النار) الموقدة والعذاب الدائم (وأنهم مفرطون) بفتح الراء تخفيفا أي مقدمون الى النار قال ابن الاعرابي وأبو عبيدة أي متروكون منسيون في النار وبه قال مجاهد وعن سعيد بن جبيرة نحوه وبه قال الكسائي والقراء فيكون مشتقاً من أفرطت فلانا خلقى اذا خلقته ونسبته وقال قتادة والحسن معجلون اليها مقدمون في دخولها من أفرطته اي قدمته في طلب الماء والنفارط هو الذي يتقدم الى الماء والفرط المتقدمون في طلبه والوراد المتأخرون ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم أن أفرطكم على الحوض اي متقدمكم وقرئ مفرطون بكسر الراء وتخفيفها وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس ومعناه مسرفون في الذنوب والمعاصي يقال أفرط فلان على فلان اذا أربى عليه وقال له أكثر مما قال من الشر وقرئ مفرطون بكسر الراء وتشديد هاى مضيعون أمر الله فهو من التفريط في الواجب ثم بين سبحانه ان مثل صنيع قريش قد وقع من سائر الامم فقال مسليار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما كان يناله من الغم بسبب

بيت كانوا على ما كرهت من معصيتي ثم تحولوا عنها الى ما أحبت من طاعةي الا تحوات لهم عما يكرهون من عذابي الى ما يحبون من رحمتي وهذا غريب وفي اسناده من لا عرفه (هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقيل ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال) يخبر تعالى انه هو الذي يسخر البرق وهو ما يرى من النور اللامع ساطعا من خلال السحاب وروى ابن جرير ان ابن عباس كتب الى أبي الجلد يسأله عن البرق فقال البرق الماء وقوله خوفا وطمعا قال قتادة خوفا للمساكين يخاف اذا هم مشقته وطمعا لانه قيم بر جوهر كنه ومنعمته ويطمع في رزق

(٣) قوله لرأى كل شيء من ذلك الخ هكذا في ما يدايدنا من النسخ وفيه تحريف وسقط وحرر الرواية اه صححه

الله وينشئ السحاب الثقال أي ويخلقها منشأة جديدة وهي لكثرة ما أثقيلته قربة إلى الأرض قال مجاهد والسحاب الثقال الذي فيه الماء قال ويسبح الرعد بحمده كقولهم وإن من شيء إلا يسبح بحمده وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا إبراهيم بن سعد أخبرني أبي قال كنت جالسا إلى جنب حميد بن عبد الرحمن في المسجد فترشيت عن شيخ من بني غفار فإرسلا إليه حميد فلما أقبل قال يا ابن أخي وسع الله فيما بيني وبينك فإنه قد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخاف حتى جلس فيما بيني وبينه فقال حميد بالحديث الذي حدثتني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢٤٦) فقال له الشيخ سمعت عن شيخ من بني غفار أنه سمع النبي صلى الله عليه

وسلم يقول إن الله ينشئ السحاب فينطق أحسن النطق ويضجك أحسن الضجك والمراد والله أعلم إن نطقها الرعد وضجكها البرق وقال موسى بن عبيدة عن سعد بن إبراهيم قال يبعث الله الغيث فلا أحسن منه مضجكا ولا أنس منه منطقا فضجك البرق ومنطقه الرعد وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عبيد الله الرازي عن محمد بن مسلم قال بلغنا إن البرق ملأه أربعة وجوه وجه انسان ووجه نور ووجه نسر ووجه أسد فاذا مصع بذنبه فذالك البرق وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا الحجاج حدثنا أبو مطر عن سالم عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمع الرعد والصواعق قال اللهم لاتقبلنا بغضبك ولا تهلكنا بعداك وعافنا قبل ذلك ورواه الترمذي والخارفي في كتاب الأدب والنسائي في اليوم والليله والحاكم في مستدرکه من حديث الحجاج بن أرتاه عن أبي مطر ولم يسره وقال

جهالات القوم (تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك) رسلا (فزين لهم الشيطان أعمالهم) الخبيثة من الكفر فكان شأنهم مع رسولهم التكذيب والمزير هو الله سبحانه والشيطان أعماله الوسوسة فقط فخر أراد الله شقاوته سلطه عليه حتى يقبل وسوسته (فهو وليهم اليوم) لفظ اليوم المعرف بأل انما يستعمل حقيقة في الزمان الحاضر المقارن للتكلم كالألن وحينئذ لفظ اليوم في الآية يحتمل أن يكون عبارة عن زمان الدنيا فيكون المعنى هو قريتهم في الدنيا ويحتمل أن يكون عبارة عن يوم القيامة وما بعده فيكون للعالم الآتية ويكون الولي بمعنى الناصر والمراد في الناصر عنهم على أبلغ الوجوه لأن الشيطان لا يتصور منه النصره أصلا في الدار الآخرة وإذا كان الناصر منحصر فيه لزم أن لانصره من غيره ويحتمل أن يراد باليوم بعض زمان الدنيا وهو على وجهين الأول أن يراد البعض الذي قد مضى وهو الذي وقع فيه التزيين من الشيطان للام الماضي فيكون على طريق الحكاية للعالم الماضي الثاني أن يراد البعض الحاضر وهو وقت نزول الآية والمراد تزيين الشيطان لكفار قريش فيكون الضمير في وليهم لكفار قريش أي فهو ولي هؤلاء اليوم أو على حذف مضاف أي فهو ولي أمثال أولئك الأعم اليوم ومن كان الشيطان وليه وناصره فهو مخذول مغلوب مقهور وانما سماه وليا لهم لطاعتهم إياه (ولهم عذاب أليم) في الآخرة وهو عذاب النار ثم ذكر سبحانه أنه ما هلك من هلك الأبعد أقامة الحج عليه وازاحة العلة عنهم فقال (وما أنزلنا عليك الكتاب) هذا خطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمراد بالكتاب القرآن والاستثناء في الأمر عن أعم الأحوال أي ما أنزلنا عليك لحال من الأحوال ولا لعله من العليل (الالتين لهم) أي للناس وانما جرح هذا باللام لاختلاف فاعله مع فاعل الفعل فان المنزل هو الله والمبين هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم وانما نصب اللذان بعده لاختلاف فاعلهما مع فاعل الفعل لأن الهادي والراحم هو الله كما أنه المنزل (الذي اختلفوا فيه) من التوحيد والشرك والخير والقدور وأحوال البعث واثبات المعاد وسائر الأحكام الشرعية (وهدي) عطف على التبين (ورجعة تقوم يومنون) بالله سبحانه ويصدقون ما جاء به الرسل ونزلت به الكتب لانهم هم المنتفعون به ثم عاد سبحانه إلى تقرير وجوده وتفرده بالالهية بذكرياته العظام وبيناته الفخام فقال (والله أنزل من السماء) أي من السحاب أو من جهة العلوكا حمر (ماء) أي نوعا من أنواع الماء (فأحجي به

الأرض أبو جعفر بن جرير حدثنا أحمد بن إسحاق حدثنا أبو أحمد حدثنا إسرائيل عن أبيه عن رجل عن أبي هريرة رفعه أنه كان إذا سمع الرعد قال سبحانه من يسبح الرعد بحمده وروى عن علي بن رضى الله عنه أنه كان إذا سمع صوت الرعد يقول سبحانه من سبحته وكذا روى عن ابن عباس وطاوس والاسود بن يزيد أنهم كانوا يقولون كذلك وقال الأوزاعي كان ابن أبي زكريا يقول من قال حسين يسمع الرعد سبحانه الله وبحمده لم يصبه صاعقة وعن عبد الله بن الزبير أنه كان إذا سمع الرعد ترك الحديث وقال سبحانه الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خفيته ويقول إن هذا الوعيد شديد لأهل

الارض رواده مالك في موطنه والبخاري في كتاب الادب وقال الامام أحمد حدثنا سليمان بن داود الطيالسي حدثنا صدقة بن موسى
حدثنا محمد بن واسع عن معمر بن نهار عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال ربكم عز وجل لو ان عبيدي
أطاعوني لأسقيتهم المطر بالليل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار ولما أسمعتم صوت الرعد وقال الطبراني حدثنا زكريا بن يحيى
الساجي حدثنا أبو كامل المحدثي حدثنا يحيى بن كثير أبو النضر حدثنا عبد الكريم حدثنا عطاء عن ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم الرعد فاذا ذكروا الله فانه لا يصيب ذاكرا (٢٤٧) وقوله تعالى ويرسل الصواعق فيصيب بها من

يشاء أي يرسلها نعمة ينتقم بها من
يشاء ولهذا تكثر في آخر الزمان
كما قال الامام أحمد حدثنا محمد
ابن مصعب حدثنا عمارة عن
أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري
رضي الله عنه أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال تكثر الصواعق
عند اقتراب الساعة حتى يأتي
الرجل القوم فيقول من صعق
قبلكم الغداة فيقولون صعق فلان
وفلان وفلان وقد روى في سبب
نزولها ما رواه الحافظ أبو يعلى
الموصلي حدثنا اسحق حدثنا علي
ابن أبي يسار الشيباني حدثنا ثابت
عن أنس أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعث رجلا مرة الى
رجل من فراعنة العرب فقال
اذهب فادعني قال فذهب اليه
فقال يدعوك رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال له من رسول الله
وما الله أمن ذهب هو أم من فضة
هو أم من نحاس هو قال فرجع الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأخبره فقال يا رسول الله قد أخبرتك
انه أغنى من ذلك قال لي كذا
وكذا فقال لي ارجع اليه الثانية

الارض بعد موتها) أي أحيائها بالنبات والزرع بعد أن كانت يابسة لا حياة بها (ان
في ذلك) الانزال والاحياء (الآية) أي علامة الدلالة والوضحة على وحدانيته وعلى بعثه
للخلق ومجازاتهم (لقوم يسمعون) كلام الله تدرى وانا صاف ويفهمون ما يتضمنه من
العبر ويتفكرون في خلق السموات والارض فالمراد سمع القلوب لا سمع الأذان لان من لم
يسمع بقلبه فكأنه لم يسمع وكأنه أصم (وان لكم في الانعام لعبرة) الانعام هي الابل
والبقرة والغنم ويدخل في الغنم المعز والعبرة أصلها تشبيل الشيء بالشيء ليعرف حقيقة
بطريق المشاكلة ومنه فاعتبروا يا أولي الابصار والظاهر أن في سبب الانعام
وقال أبو بكر الوراق العبرة في الانعام تسخيرها لأربابها واطاعتها لهم والظاهر أن العبرة
هي قوله (نسيقكم مما في بطونه) فتكون الجملة مستأنفة لبيان العبرة قرئ من سقى يسقى
ومن أسقى يسقى قبل هما الغنم وقرئ بالتاء على ان الضمير راجع الى الانعام وبالتحسية
على ارجاع الضمير الى الله سبحانه وهما ضعيفان وجميع القراء على القراءتين الأوليين
والفتح لغنة قريش والضم لغنة حير وقيل ان بين سقى وأسقى فرقا فاذا كان الشراب من
يد الساقى الى فم المسقى فيقال مسقى وان كان مجرد عرضه عليه وتهمته له قيل أسقاه
ومن تعبضية أو ابتدائية والضمير في بطونه راجع الى الانعام قال سيويه العرب يخبر عن
الانعام بخبر الواحد وقال الزجاج لما كان لفظ الجمع يذكروا يؤنث فيقال هو الانعام وهي
الانعام جازعود الضمير بالتذكير وقال الكسائي معناه مما في بطون ما ذكرناه وهو على هذا
عائد الى المذكور قال الفراء وهو صواب وقال المبرد هذا فاش في القرآن كثير مثل قوله
للسمس هذا ربي يعني هذا الشيء الطالع وكذلك اني مرسله اليهم بهدية ثم قال فلما جاء
سليمان ولم يقل جاءت لان المعنى جاء الشيء الذي ذكرنا انتهى ومن ذلك قوله ان هذه تذكرة
فمن شاء ذكره وحكي الكسائي ان المعنى مما في بطون بعضها وهي الاناث لان الذكور
لا لبان لها وبه قال أبو عبيدة وحكي عن الفراء انه قال النعم والانعام واحد يذكروا يؤنث
ولهذا تقول العرب هذه نعمة وورد فرجع الضمير الى لفظ النعم الذي هو بمعنى الانعام وهو
كقول الزجاج ورجع ابن العربي فقال انما يرجع التذكير الى معنى الجمع والتأنيث الى
معنى الجماعة فذكره هنا باعتبار لفظ الجمع وأتى في سورة المؤمنين باعتبار لفظ الجماعة
(من بين فرث ودم) الثمر الذي ينزل الى الكرش فاذا خرج منه لم يسم فرثا بل يسمى

أراه فذهب فقال له مثلها فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله قد أخبرتك انه أغنى من ذلك فقال ارجع
اليه فادع فرجع اليه الثالثة قال فاعاد عليه ذلك الكلام فيبينها هو يكلمه اذ بعث الله عز وجل سخابة حبال رأسه فرعدت
فوقعت منها صاعقة فذهبت بجمع رأسه فانزل الله عز وجل ويرسل الصواعق الآية ورواه ابن جرير من حديث علي بن ابي
يسار به ورواه الحافظ أبو بكر البزار عن عبدة بن عبد الله بن يزيد بن هرون عن ديلم بن غزوان عن ثابت عن أنس فذ كرخوه وقال
حدثنا الحسن بن محمد حدثنا عفان حدثنا أبان بن يزيد حدثنا عمران الجوني عن ابي عبد الرحمن بن صهار العبدى انه بلغه ان النبي

صلى الله عليه وسلم بعثه الى جبار يدعوه فقال ارايتكم بكم اذهب هو أم فضة هو أم لؤلؤ هو قال فبينما هو يجادلهم اذ بعث الله سبحانه فرعدت فارس على صاعقة فذهبت بقحف رأسه ونزلت هذه الآية وقال أبو بكر بن عياش عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد قال جاءهم هودى فقال يا محمد أخبرني عن ربك من أى شئ هو من نحاس هو أم من لؤلؤ أو باقوت قال فجاءت صاعقة فاخذته وأنزل الله ويرسل الصواعق الآية وقال قتادة ذكرنا ان رجلاً أنكر القرآن وكذب النبي صلى الله عليه وسلم فارس على صاعقة فاهلكته وأنزل الله ويرسل الصواعق الآية (٢٤٨) وذكروا فى سبب نزولها قصة عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة لما

روثا وهو ثقل الكرش يقال أفرثت الكرش اذا خرجت ما فيها وفى البيضاوى القرث الاشياء المأكولة المنهضمة بعض الانضمام فى الكرش والمعنى ان الشئ الذى تأكله يكون منه ما فى الكرش وهو القرث ويكون منه الدم فيكون أسفله قرثا وأعله دما وأوسطه (لبنا) فيجرى الدم فى العروق واللبن فى الضروع ويبقى القرث فى الكرش كما هو فسبحان من هذه بعض حكمته (خالصا) من حجرة الدم وقذارة القرث بعد أن جمعها وعاها واحد وذلك ان الحيوان اذا أكل العلف طبخه الكرش ثم انقسم الى أقسام ثلاثة تغسل وفوقه اللبن وفوقه الدم ثم تسلط الكبد عليها فترسل الدم الى العروق واللبن الى الضروع ويبقى النفل فى الكرش حتى ينزل الى الخارج والحاصل ان الله تعالى خلق اللبن فى مكان وسط بين القرث والدم (سائغا للشاربين) أى لذى ذاهنيا لا يغص به من شر به يقال ساغ الشراب يسوغ سوغا أى سهل مدخله فى الحلق وفى ذلك عبرة لمن اعتبر (ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا) قال ابن جرير التقدير ومن ثمرات النخيل والاعناب ما تتخذون فيه ذوقا ما ودل على حذفه قوله منه وقيل التقدير وان لكم من ثمرات النخيل والاعناب لعبرة وقيل نسقكم مما فى بطونه ومن ثمرات النخيل وقيل نسقكم من ثمرات النخيل قدره الرنحشوى ويكون على هذا تتخذون منه سكرا يابا لا للسقاء وكشفاعن حقيقته وقيل تقديره ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه سكرا ويكون تكرير منه للتأكيد وانما ذكر الضمير فى منه لانه يعود الى المذكور أو الى المضاف المحذوف وهو العصير كأنه قال من عصير ثمرات تتخذون منه السكر بقحتين ما يسكر من الخمر وقيل انه من أسماء الخمر وقيل انه فى الاصل مصدر سمي به الخمر (ورزقا حسنا) هو جميع ما يؤكل من هاتين الشجرتين كالتمر والزبيب والخل والحبس قال ابن عباس السكر ما حرم من ثمرتها والرزق الحسن ما حل وعنه قال السكر الحرام والرزق زيبه وخله وعنبه وما نفعه وأيضاً قال السكر النبيذ والرزق الزبيب فنسختها آية انما الخمر والميسر وعنه قال فحرم الله بعد ذلك السكر مع تحريم الخمر لانه منه ثم قال ورزقا حسنا فهو الحلال من الخمر والزبيب والنبيذ أو أشباه ذلك فأقره الله وجعله حلالا للمسلمين وعن ابن عمر أنه سئل عن السكر فقال الخمر بعينها وعن ابن مسعود قال السكر الخمر وبالجملة فقد كان نزول هذه الآية قبل تحريم الخمر به جزم السيموطى اعتمادا على قولهم فى السورة انهم اكسبوا الاثلاث آيات من

قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فسألاه ان يجعل لهما نصف الامر فأبى عليهم ما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عامر بن الطفيل لعنه الله أما والله لا ملائمتها عليك خيلا جردا ورجالا مردا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يابى الله عليك ذلك وأبنا قبيلة يعنى الانصار ثم انهم ماها ما بالفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل أحدهما يخاطبه والاخر يستل سيفه ليقبله من ورائه فخماه الله تعالى منه ما وعصمه وخر جامن المدينة فانطلقا فى أحياء العرب يجتمعان الناس لحربه عليه الصلاة والسلام فارس على أربد صحابة فيها صاعقة فأحرقته وأما عامر بن الطفيل فارس على الله عليه الطاعون فخرحت فيه غدة عظيمة فجعل يقول يا آل عامر غدة كغدة البكر وموت فى بيت سلوية حتى ماتا لعنهما الله وأنزل الله فى مثل ذلك ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وفى ذلك يقول لبيد بن ربيعة أخو أربد رثيه

أخشى على أربد الختوف ولا * أرب نوء السمالك والاسد فجعى الرعدو الصواعق بال* فمارس يوم الكريمة التجد آخرها وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى حدثنا سعد بن سعد بن سعيد العطار حدثنا ابراهيم بن المنذر الخزازى حدثنى عبد العزيز بن عمران حدثنى عبد الرحمن وعبد الله ابنا يزيد بن أسلم عن أبيهم ما عن عطاء بن يسار عن ابن عباس ان أربد بن قيس بن حزن بن جليل بن جعفر ابن كلاب وعامر بن الطفيل بن مالك قدما المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنتميا اليه وهو جالس فجلسا بين يديه فقال عامر بن الطفيل يا محمد ما تجعل لى ان أسلمت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما للمسلمين وعليك ما عليهم قال عامر بن الطفيل

أجعل لي الأمران أسلمت من بعدك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك لك ولا لقومك ولكن لك أعنة الخيل قال أنا الآن في أعنة خيل نجدنا جعل لي الورولك المدرد قال رسول الله لا فلما أقف من عنده قال عامر أما والله لا ملأنا عليك خيلا ورجالا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يمنعك الله فلما خرج أربد وعامر قال أربدا عامر أنا أشغل عندك محمد أبا الحديث فأضربه بالسيف فان الناس إذا قتلت محمد لم يزيدوا على أن يرضوا بالدية ويكرهوا الحرب قال أربد فاعل فأقبل را جعين إليه فقال عامر يا محمد قم معي أكلت فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم جلسا إلى الجدار ووقف معه (٢٤٩) رسول الله صلى الله عليه وسلم يكامه

وسئل أربد السيف فلما وضع يده على السيف يست يده على فأم السيف فلم يستطع سل السيف فأبطأ أربد على عامر بالضرب فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى أربد وما يصنع فأنصرف عنه فلما خرج عامر وأربد من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كانا بالجزرة حرة راقم نزلا فخرج إليهما سعد بن معاذ وأسيد بن حضير فقالا لخصماياعدوا الله لعنكما الله فقال عامر من هذا ياسعد قال هذا أسيد بن حضير العاتب فخرجا حتى إذا كانا بالرقم أرسل الله على أربد صاعقة فقتلته وخرج عامر حتى إذا كان بالجرم أرسل الله قرحة فأخذته فأدركه الليل في بيت امرأته من بني سلول فجعل يس قرحته في حلقة ويقول غدة كغدة الجمل في بيت سلولية يرغب أن يموت في بيتها ثم ركب فرسه فأحضره حتى مات عليه راجعا فأرسل الله فيهما الله يعلم ما تحمل كل أنثى إلى قوله وما لهم من دونه من وال المعقبات من أمر الله يحفظون محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر

آخرها والمائدة مدنية وتحريم الخمر فيها وهي آخر القرآن نزولا كما ثبت في الحديث وقيل إن السكر الخليل بلغة الحبشة والرزق الطعام من الشجرتين وقيل السكر العصير الخلو الحلال وسمى سكرًا لأنه قد يصير مسكرًا إذا بقي فاذا بلغ الأسكار حرم والقول الأول أولى وعلمه الجمهور وقد صرح أهل اللغة بأن السكر اسم للخمر ولم يخاف في ذلك الأبو عبيدة فإنه قال السكر الطعم ورجح هذا ابن جرير فقال إن السكر ما يطعم من الطعام ويحمل شربه من ثمار الخيل والأعناب وهو الرزق الحسن فاللفظ مختلف والمعنى واحد مثل أنما أشكروا بنو حزن إلى الله قال الزجاج قول أبي عبيدة هذا لا يعرف وأهل التفسير على خلافه وقد جعل السكر جماعة من الخنفيه على ما لا يسكر من الأئدة وعلى ما ذهب ثلثاه بالطبخ قالوا وإنما يتن الله على عباده بما أحله لا بما حرم عليهم وهذا مردود بالأحاديث الصحيحة المتواترة على فرض تأخره عن آية تحريم الخمر (إن في ذلك) المذكور من إخراج اللبن واتخاذ السكر والرزق من الثمرات (لاية لقوم يعذبون) أي دلالة لمن يستعمل العقل ويعمل بما يقتضيه عند النظر في الآيات التكوينية (وأوحى ربك إلى النحل) قد تقدم الكلام في الوحي وأنه يكون بمعنى الإلهام وهو ما يخلقه في القلب ابتداء من غير سبب ظاهر ومنه قوله سبحانه ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ومن ذلك الإلهام البهائم لتعمل ما يتبعها وترك ما يضرها والخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أوله كل فرد من الناس ممن له عقل وتفكير يستدل به على كمال قدرة الله ووحدانيته وأنه الخالق لجميع الأشياء المدبر لها بلطف حكمته وقدرته وقرئ النحل بفتح الحاء قال الزجاج وسمى نحلًا لأن الله سبحانه نحل العسل الذي يخرج منه قال الجوهري والنحل والنحلة الدبر يقع على الذكور والأنثى وقيل اسم جنس يفرق بينه وبين واحده بالناء ويذكر ويؤنث والنحل بالضم مصدر قولك نحلته من العطية أنحلته فحلا والنحلي العطية على فعلى (أن اتخذني من الجبال بيوتا) أي بان اتخذني على أن أن هي المصدرية ويجوز أن تكون تفسيرية لأن في الإيحاء معنى القول وبهذا قال الزمخشري وغيره ومن منع وهو أبو عبد الله الرازي قال لا نسلم أنها مفسرة كيف وقد اتتني شرط التفسير بأن المراد من الإيحاء هو الإلهام اتفاقا وليس فيه معنى القول وحينئذ فهي مصدرية كأنه قيل أوحى ربك بانخذ بعض الجبال بيوتا وردة في المعنى بان الإلهام فيه معنى القول من حيث الدلالة على المعنى وأنت الضمير في اتخذني لكونه أحد الجائزين كما تقدم أو لاجتماع المعنى أول كون النحل

(٣٢ فتح البيان خامس) أربد وما قتله به فقال ويرسل الصواعق الآية وقوله وهم يجادلون في الله أي يشككون في عظمته وأنه لا اله الا هو وهو شديد المحال قال ابن جرير شديدة مما حلت في عقوبة من طغى عليه وعصى وتمادى في كفره وهذه الآية شبيهة بقوله ومكروا مكروا ومكروا مكروا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكروهم انادهم ناهم وقومهم أجمعين وعن علي رضي الله عنه وهو شديد المحال أي شديدا لاخذ وقال مجاهد شديد القوة (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ الا بكاسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال) قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه له دعوة

الحق قال التوحيد رواد ابن جرير وقال ابن عباس وقتادة ومالك عن محمد بن المنكدر له دعوة الحق لا اله الا الله والذين يدعون من
 دونه الاية أي ويشمل الذين يعبدون آلهة غير الله بكاسط كفيه الى الماء ليلبغ فاه قال علي بن أبي طالب كميل الذي يتناول الماء
 من طرف البئر بيده وهو لا يناله أبدا بيده فكيف يلبغ فاه وقال مجاهد بكاسط كفيه يدعو الماء بلسانه ويشيه اليه فلا يأتيه أبدا
 وقيل المراد كقبض يده على الماء فانه لا يحكم منه على شيء كما قال الشاعر
 فاني واياكم وسوقا اليكم * كقباض ماء لم تسقه أ نامله (٢٥٠) وقال الآخر فاصبحت ما قد كان بيني وبينها * من الود مثل القابض الماء باليد

جمعوا أهل الحجاز يؤثون النحل والمعنى سخرها لما خلقها له وألهمها رشدها وقدر في نفسها
 هذه الاعمال العجيبة التي يعجز عنها العقلاء من البشر وذلك ان النحل تبني بيوتها على شكل
 مسدس من اضلاع متساوية لا يزيد بعضها على بعض يعجز طباعها ولو كانت البيوت مدورة
 أو مثلثة أو مربعية أو غير ذلك من الأشكال لكان فيها فرج خالية ضائعة ولما حصل المقصود
 فألهمها الله تعالى ان تبنيها على هذا الشكل المسدس الذي لا يحصل فيه خلل ولا فرجة
 خالية وألهمها أيضا ان يجعلوا عليهم أميرا كبيرا نافذا يحكم فيهم وهم بطيعونه ويمثلون
 أمره ويكون هذا الامير أكبرهم حنثة وأعظمهم خلقه ويسمى يعسوب النحل يعني ملكهم
 كذا حكاه الجوهري وألهمها أيضا ان جعلوا على باب كل خلية نوابا لا يمكن غير أهلها من
 الدخول اليها وألهمها أيضا انها تخرج من بيوتها فتدور وترعى ثم ترجع الى بيوتها ولا تنزل
 عنها ولما امتاز هذا الحيوان الضعيف بهذه الخواص العجيبة الدالة على من يذكاه
 والفطنة دل ذلك على الالهام الالهى ومن في من الجبال (و) كذا في (من الشجر) كذا في
 (مما عرشون) للتبعيض أي مساكن توافقها وتليق بها في كوى الجبال وتجويف الشجر
 وفي العروش التي يعرشها بنو آدم من الاجباح (١) والحيطان وغيرها وأكثر ما يستعمل
 فيما يكون من الخشب يقال عرش يعرش بكسر الراء وضمها وهم سبعيتان وبابه نصر
 وضرب كما في المختار والظاهر ان من مما يعنى في الاصل كونه تبني من بناء الناس بل
 الظاهر انها تبني في بنائهم ويكون المراد من بنائهم الكوارة ومن بنائها بيتها الذي تتج فيه
 العسل فان من المشاهد انها تبني لها بيتا داخل الخلية من الشمع ثم تتج فيه العسل شيئا فشيئا
 والظاهر ان من في الموضوعين الاولين يعنى في أيضا كما صرح به الشهاب ويكون المراد
 بيوتها ما تبنيه من الشمع كما تقدم فالتشمع تارة تبنيه في الجبال وتارة في الاشجار وهذا في
 النحل الوحشي وتارة تبنيه في الخلايا وهذه في النحل الاهلي فان النحل قسمان كما ذكره
 الخازن (ثم كل من كل الثمرات) من للتبعيض لانها تأكل النور من الاشجار فاذا اكلتها
 (فاسلكي) أي فادخلي (سبل ربك) أي الطرق التي فهمك الله وعلمك وأضافها الى الرب
 لانه خالقها وملهم النحل ان تسلكها أي ادخلها لطلب الرزق في الجبال وخلال الشجر
 أو اسلكي ما أكلت في سبل ربك أي في مسالك التي يستعمل فيها بقدرته النور المترعلا
 من أجوافك أو اذا أكلت الثمار في الامكنة البعيدة فاسلكي الى بيوتك راجعة سبل ربك

ومعنى الكلام ان هذا الذي يبسط
 يده الى الماء اما قابضا واما تناولا
 له من بعد كما انه لا ينتفع بالماء الذي لم
 يصل اليه الذي جعله محلا للشرب
 فكذلك هؤلاء المشركون الذين
 يعبدون مع الله اله غيره لا ينتفعون
 بهم أبدا في الدنيا ولا في الآخرة ولهذا
 قال ومادعاء الكافرين الا في ضلال
 (ولله يسجد من في السموات
 والارض طوعا وكرها وظلالا لهم
 بالغدق والاصال) يخبر تعالى عن
 عظمتهم وسلطانه الذي قهر كل شيء
 ودان له كل شيء ولهذا يسجد
 له كل شيء طوعا من المؤمنين وكرها
 من الكافرين وظلالا لهم بالغدق أي
 البكر والاصال وهو جمع أصيل
 وهو آخر النهار كقوله تعالى اولم
 يروا الى ما خلق الله من شيء يتقي
 ظلاله الاية (قل من رب السموات
 والارض قل الله قل أفأخذتم من
 دونه اولياء لا يملكون لانفسهم
 نفعا ولا ضرا قل هل يستوى الاعمي
 والبصير أم هل تستوى الظلمات
 والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا
 كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله
 خالق كل شيء وهو الواحد القهار)

لا يقرر تعالى انه لا اله الا هو بانهم معتزون بانه هو الذي خلق السموات والارض وغور بها ومدبرها وهم مع
 هذا قد اتخذوا من دونه اولياء يعبدونهم وأولئك الآلهة لا تملك لانفسها ولا عابديها بطريق الاولى نفعا ولا ضرا أي لا تحصل لهم
 منفعة ولا تدفع عنهم مضرة فهل يستوى من عبده هذه الآلهة مع الله ومن عبد الله وحده لا شريك له وهو على نور من ربه ولهذا
 قال قل هل يستوى الاعمي والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم أي اجعل
 هؤلاء المشركون مع الله آلهة تناظر الرب وتمثله في الخلق خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم فلا يدرون انها مخلوقه من مخلوق غيره
 (١) الجح ويثنت خلية العسل الجمع أجمع وأجباح ٥٥ قاموس

أى ليس الامر كذلك فانه لا يشابهه شئ ولا يماثله ولا ندله ولا عدل له ولا وزير له ولا ولد ولا صاحبة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وانما عبدا وهؤلاء المشركون معه آلهة هم يعرفون انها مخلوقة له عبده كما كانوا يقولون في تلييتهم ليسك لا شريك لك الاشرى كما هو لك تملكه ومملك وكأخبر تعالى عنهم في قوله ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زانين فانكر تعالى عليهم ذلك حيث اعتقدوا ذلك وهو تعالى لا يشفع أحد عنده الا بذنه ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له وكمن ملك في السموات الآية وقال ان كل من في السموات والارض الا اتى الرحمن عبدا فقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم (٢٥١) آتية يوم القيامة فردا فاذا كان الجميع عبدا فلم يعبد بعضهم بعضا بلا دليل ولا

برهان بل بمجرد الرأى والاختراع والابتداع ثم قد أرسل رسوله من أولهم الى آخرهم تزجرهم عن ذلك وتنهاهم عن عبادة من سوى الله فكذبوهم وظافوهم فحقت عليهم كلمة العذاب لا محالة ولا ينظلم ربك أحدا (أنزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا وما يؤمنون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال) اشتملت هذه الآية الكريمة على مثلين مضر وبين الحق في ثباته وبقائه والباطل في اضمحلاله وفتائه فقال تعالى أنزل من السماء ماء أى مطرا فسالت اودية بقدرها أى أخذ كل واحد بحسبه فهذا كبير وسع كثيرا من الماء وهذا صغير وسع بقدره وهو اشارة الى القلوب وتفاوتها فمنها ما يسع علما كثيرا ومنها ما لا يتسع لكثير من العلوم بل يضيق عنها فاحتمل السيل زبدا رابيا أى جفاء على وجه الماء الذى

لا تضلين فيها (ذلالا) حال من السبل وهى جمع ذلول أى مذلة غير متوعدة واختار هذا الزجاج وابن جرير وقيل حال من النحل يعنى مطيعة للتسخير واخراج العسل من بطونها واختار هذا ابن قتيبة قال مجاهد طرقالا يتوعر عليها مكان سلكته وعن قتادة قال مطيعة قال السدى ذليلة (يخرج من بطونها) مستأنفة عدل به عن خطاب النحل تعديد النعم وتجييب الكل سامع وتبينها على العبر وارشاد الى الآيات العظيمة الحاصلة من هذا الحيوان الضعيف الشبيه بالذباب (شراب) المراد به فى الآية هو العسل قاله ابن عباس (مختلف ألوانه) يعنى ان بعضه أبيض وبعضه أحمر وبعضه أزرق وبعضه أصفر باختلاف ذوات النحل وألوانها وما كولاتها وذلك على قدر ما تأكل من الثمار والازهار ويستحيل فى بطونها عسلا وفى هذا دليل على قدرته وفى البضاوى مختلف ألوانه بسبب اختلاف سن النحل أو النصل قال الشهاب فالأبيض لفتياها والأصفر لكهلهما والأحمر لسنها ولا يخفى انه مما لا دليل عليه انتهى وجمهور المفسرين على ان العسل يخرج من أفواه النحل ويسيل كاللعاب وقيل من أسفلها وقيل لا يدري من أين يخرج منها (فيه) أى فى الشراب الخارج من بطون النحل وهو العسل والى هذا ذهب الجمهور (شفاء للناس) قال مجاهد العسل فيه الشفاء وفى القرآن وقال القراء وابن كيسان وجاعة من السلف ان الضمير راجع الى القرآن ويكون التقدير فيما قصصنا عليكم من الآيات والبراهين شفاء للناس ولا وجه للعسدول عن الظاهر ومخالفة المرجح الواضح والسياق البين وعن ابن مسعود قال ان العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما فى الصدور وعنه من فوعا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليكم بالشفاء من العسل والقرآن وقد وردت أحاديث فى كون العسل شفاء منها ما أخرجه البخارى من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الشفاء فى ثلاثة فى شرطة محجم أو شربة عسل أو كية بنار وأنا أنهى أمتى عن الكى وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما من حديث أبى سعيد أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله ان أختى استطلق بطنه فقال اسقه عسلا فسقاه عسلا ثم جاء فقال سقته عسلا فزاده الاستطلاقا قال اذهب فاسقه عسلا فذهب فسقاه ثم جاء فقال ما زاده الا استطلاقا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك اذهب فاسقه عسلا فذهب فسقاه فبرأ وقد اختلف أهل العلم هل هذا الشفاء الذى جعله الله فى

سال فى هذه الاودية زبدا عال عليه هذا مثل وقوله وما يؤمنون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع الآية هذا هو المثل الثانى وهو ما يسبك فى النار من ذهب أو فضة ابتغاء حلية أى يجعل حلية أو فحاسا أو حديدا فيجعل متاعا فانه يعلمون زبده كما يعلمون ذلك زبده منه كذلك يضرب الله الحق والباطل أى اذا اجتمع الاثبات للباطل ولادوام كما ان الزبد لا يثبت مع الماء ولا مع الذهب والفضة ونحوهما مما يسبك فى النار بل يذهب ويضمحل ولهذا قال فأما الزبد فيذهب جفاء أى لا ينتفع به بل يتفرق ويتمزق ويذهب فى جاني الوادى ويلقى بالشجر وتنسفه الرياح وكذلك خبث الذهب والفضة والحديد والنحاس يذهب ولا يرجع منه شئ ولا يبقى الا الماء وذلك

الذهب ونحوه ينتفع به ولهذا قال وأما ما ينفع الناس في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال كقوله تعالى وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون وقال بعض السلف كنت إذا قرأت مثلاً من القرآن فلم أفهمه بكيت على نفسي لأن الله تعالى يقول وما يعقلها إلا العالمون قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها الآية هذا مثل ضرب به الله احتلت منه القلوب على قدر يقينها وشكها فأما الشك فلا ينفع معه العمل وأما اليقين فينتفع الله به أهله وهو قوله فأما الزبد وهو الشك فيذهب جنفاً (٢٥٢) وأما ما ينفع الناس في الأرض وهو اليقين وكما يجعل الحلي في

النار فيؤخذ حاله ويترك خبثه في النار فكذلك يقبل الله اليقين ويترك الشك وقال العوفي عن ابن عباس قوله أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً يقول احتمال السيل ما في الوادي من عود وما يوقدون عليه في النار فهو الذهب والنضرة والحلوة والمتاع والحاس والحديد فلانحاس والحديد خبث فجعل الله مثل خبثه كزبد الماء فأما ما ينفع الناس فالذهب والفضة وأما ما ينفع الأرض فما شربت من الماء فأنبت فجعل ذلك مثل العمل الصالح يبقى لأهله والعمل السيئ يضمحل عن أهله كما يذهب هذا الزبد وكذلك الهدى والحق جا من عند الله فمن عمل بالحق كان له وبقي كما بقي ما ينفع الناس في الأرض وكذلك الحديد لا يستطيع ان يعمل منه سكين ولا سيف حتى يدخل في النار فتأكل خبثه ويخرج جيداً فينتفع به فكذلك يضمحل الباطل فاذا كان يوم القيامة وأقيم الناس وعرضت الأعمال فيرفع الباطل ويهلك وينتفع أهل الحق بالحق وهكذا روي في تفسيرها عن

العسل عام لكل داء أو خاص ببعض الامراض فقالت طائفة هو على العموم في كل حال ولكل أحد وقالت طائفة ان ذلك خاص ببعض الامراض ولا يقتضى العموم في كل علة وفي كل انسان وليس هذا بقول افظ خصص فالقرآن مملوء منه ولغة العرب يأتي في العام كثيراً بمعنى الخاص والخاص بمعنى العام وما يدل على هذا ان العسل نكرة في سياق الاثبات فلا يكون عاماً بتفاق أهل اللسان ومحقق أهل الاصول وتكثيره ان أريد به التعظيم لا يدل الا على ان فيه شفاء عظيم للمرض أو مرض لا لكل مرض فان تكثيره التعظيم لا يفيد العموم والظاهر المستفاد من التجربة ومن قوانين علم الطب انه اذا استعمل مفرداً كان دواءً لأمراض خاصة وان خلط مع غيره كالعاجين ونحوها كان مع ما خلط به دواءً لكثير من الامراض قلت وحديث البخاري ان أختي استطلق بطنه الحديث أوضح دليل على ما ذهب اليه طائفة من تعميم الشفاء لان قوله صلى الله عليه وآله وسلم صدق الله أي انه شفاء ولو كان لبعض دون بعض لم يكرر الامر بالسقيا وقد اعترض على هذا الحديث بعض المحدثين ومن في قلبه مرض يكونه خلاف ما أجمع عليه الاطباء من ان العسل مسهل فكيف يوصف لمن به الاسهال وأجاب عنه الخازن على الطريق البخاري على صناعة الطب وأورده الشيخ سليمان الجلي ثم قال ولست انقص الاستظهار لتصديق الحديث بقول الاطباء بل لو كذبوه لكذبناهم وكفروناهم بذلك انتهى وعن ابن عمر انه كان لا يشكو قرحة ولا شيئاً الا جعل عليه عسلاً حتى يدمل اذا خرج طلي عليه العسل وعن أبي جرة انه كان يكتمل بالعسل ويستنشق ويتداوى به ذكره القرطبي وفي الباب آثار عن جماعة من السلف وقال البيضاوي شفاء للناس ما ينفعه كما في الامراض البلغمية أو مع غيره كما في سائر الامراض اذ قلما يكون معجون الا والعسل جزء منه وقيل ان هذا القول خرج مخرج الاغلب وانه في الاغلب فيه شفاء ولم يقل انه شفاء لكل الناس ولكل داء لكنه في الجمله دواء وان نفعه أكثر من مضرته ومنافعه كثيرة جداً قال السدي شفاء للاوجاع التي شفاؤها فيه وبالجملة فهو من أعظم الاغذية وأنتفع الادوية وقليل ما يجتمع هذان الامران في غيره (ان في ذلك) المذكور من أمر النحل (لاية لقوم يتفكرون) اي يعملون افكارهم عند النظر في صنيع الله سبحانه وبجائبه مخلوقاته فان أمر النحل من أعجبها وأعزها وأدقها وأحكمها ومن تدبر اختصاص النحل بتلك العاروم الدقيقة

مجاهد والحسن البصري وعطاء وقتادة وغير واحد من السلف والخلف وقد ضرب سبحانه وتعالى في أول سورة والافعال البقرة لانه منافقين مثلين نارى وماتى وهو قوله مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله الآية ثم قال أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق الآية وهكذا ضرب للكافرين في سورة النور مثلين أحدهما قوله والذين كفروا أعمالهم كسراب الآية والسراب انما يكون في شدة الحر ولهذا جاء في الصحيحين فيقال لليهود يوم القيامة فياتريدون فيقولون اي ربنا عطشنا فأسقنا فيقال ألا تردون فيردون النار فاذا هي كسراب يحطم بعضها ببعض اثم قال تعالى في المثل الآخر أو كظلمات في بحر لحي الآية وفي الصحيحين

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكان منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلا والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشرى بوا ورعوا وسقوا وزرعوا وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه الله بما بعثني ونفع به فعمل وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به فهذا مثل المساء وقال في الحديث الآخر الذي رواه الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال (٢٥٣) هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم أنه قال مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله جعل الله الفرائس وهذه الدواب التي يقعن في النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبهن فيمتحنن فيها قال فذلكم مثلي ومثلكم أنا أخذت يحجزكم عن النار هل من النار فتغلبوني فتتحنن فيها وأخرجاه في الصحيين أيضاً فهذا مثل نارى للذين استجابوا لهم الحسنى والذين لم يستجيبوا لله ولو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه لا تقدر أبه أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد) يخبر تعالى عن ما آل السعداء والأشقياء فقال للذين استجابوا لهم ما أى أطاعوا الله ورسوله وانقادوا لأوامره وصدقوا أخبار الماضية والآتية فلهم الحسنى وهو الجزء الحسن كقوله تعالى مخبراً عن ذى القرنين أنه قال إمامن ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً وإمامن آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وستقول له من أمرنا يسرا وقال تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة

والأفعال العجيبة حق التدبر علم قطعاً أنه لا بد له من خالق قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه ولما ذكر سبحانه بعض أحوال الحيوان وما فيها من عجائب الصنعة الباهرة وخصائص القدرة القاهرة أتبعه بعجائب خلق الإنسان وما فيه من العبر فقال (والله خلقكم) ولم تكونوا شيئاً (ثم يتوفاكم) عند انقضاء آجالكم إما صبياناً وإما شباناً وإما كهولاً (ومنكم من يرد إلى أرذل العمر) أى أضعفه وأردته وأخسسه وهو الهرم يقال رذل يردل يردل رذالة والارذل والرذالة أردأ الشيء وأخسسه وأحقره وأوضعه قال النيسابورى أن العقلاء ضبطوا مراتب عمر الإنسان في أربع أولها سن النشو والنماء وهو من أول العمر إلى بلوغ ثلاث وثلاثين سنة وهو غاية سن الشباب وبلوغ الأشد وثانها سن الوقوف وهو من ثلاث وثلاثين إلى أربعين سنة وهو غاية القوة وكمال العقل وثالثها سن الكهولة وهو من الأربعين إلى الستين وهذه المرتبة تسرع الإنسان إلى النقص لكنه يكون النقص خفياً لا يظهر ورابعها سن الشيخوخة والانحطاط من الستين إلى آخر العمر وفيها يتبين النقص ويكون الهرم والخرف قال علي أرذل العمر خمس وسبعون سنة وقيل ثمانون سنة وقيل تسعون سنة قاله قتادة ومثل هذه الآية قوله تعالى لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين وعن السدي قال هو الخرف وعن عكرمة قال من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر وعن طاوس العالم لا يخرف وقد ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم في الصحيح وغيره أنه كان يعوذ بالله أن يرد إلى أرذل العمر ثم علل سبحانه رده من يرد إلى أرذل العمر بقوله (لكيلا) اللام التعليل وكى حرف مصدر ونصب ولا نافية وقيل اللام هنا للصيرورة والعاقبة (يعلم بعد علم) كان قد حصل له (شيئاً) منه لا كثيراً ولا قليلاً أو شيئاً من المعلومات إذا كان العلم هنا بمعنى المعلوم وقيل المراد بالعلم هنا العقل وقيل المراد بالتلا يعلم زيادة على علمه الذى قد حصل له قبل ذلك وقيل لكي يصير كصبي الذى لا عقل له وقال الزجاج المعنى وإن منكم من يكبر حتى يذهب عقله خرفاً فيصير بعد أن كان عالماً جاهلاً ليرىكم الله من قدرته أنه كما قدر على إمامته وإحيائه قادر على نقله من العلم إلى الجهل وأنه قادر على إحيائه بعد إمامته فيكون ذلك دليلاً على صحة البعث بعد الموت (إن الله عليم) بحكم التحويل إلى الأرذل من الأكل أو إلى الأفناء من الأحياء (قدير) على تبديل ما يشاء من الأسماء وعلى ما يريد ثم لما بين سبحانه خلق الإنسان وتقلبه في أطوار العمر ذكر

وقوله والذين لم يستجيبوا لله أى لم يطيعوا الله ولو أن لهم ما في الأرض جميعاً أى في الدار الآخرة لو أن يمكنهم أن يفقدوا من عذاب الله بلء الأرض ذهباً ومثله معه لا تقدر أبه ولكن لا يقبل منهم لأنه تعالى لا يقبل منهم يوم القيامة صرراً ولا عدلاً أولئك لهم سوء الحساب أى في الدار الآخرة أى يناقشون على التقير والقطمير والخليل والحقير ومن نوقش الحساب عذب ولهذا قال ومأواهم جهنم وبئس المهاد (أفمن يعلم إنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولاً الألباب) يقول تعالى لا يستوى من يعلم من الناس إن الذى أنزل اليك يا محمد من ربك هو الحق أى الذى لا شك فيه ولا مريبة ولا لبس فيه ولا اختلاف فيه بل كله حق

بصدق بعضه بعضا لا يضادشي منه شيئا آخر فخباره كلها حق وأوامره ونواهيها عدل كما قال تعالى وتمت كلمه ربك صدقا وعدلا
أي صدقا في الاخبار وعدلا في الطلب فلا يستوى من تحقق صدق ما حدث به بما محمد ومن هو أعمى لا يهتدى الى خير لا يفهمه ولو
فهمه ما انتقادله ولا صدقه ولا اتبعه كقوله تعالى لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون وقال في
الآية الكريمة أفمن يعلم انما أنزل اليك من ربك الحق لكن هو أعمى أي أفهذا كهذا الاستواء وقوله انما يتذكر أولو الابواب أي
يتعظ ويعتبر أولو العقول السليمة الصحيحة (٢٥٤) جعلنا الله منهم الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون

ما أمر الله به أن يوصل ويخشون
ربهم ويخافون سوء الحساب
والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم
وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما
رزقناهم سرا وعلاية ويدرون
بالحسنه السيئه وأمثل لهم عقبي
الدار جنات عدن يدخلونها ومن
صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم
والملائكة يدخلون عليهم من كل باب
سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار
يقول تعالى مخبرا عن انصف هذه
الصفات الحميدة بان لهم عقبى الدار
وهي العاقبة والنصرة في الدنيا
والآخرة الذين يوفون بعهد الله ولا
ينقضون الميثاق وليسوا كالمناقضين
الذين اذا عاهدوا حدهم غدروا اذا
خاصم فجر واذا حدث كذب واذا
اتمن خان والذين يصلون ما أمر
الله به أن يوصل من صلة الارحام
والاحسان اليهم والى الفقراء
والمحايير وبذل المعروف ويخشون
ربهم اي فيما يأتون وما يذرون من
الاعمال يراقبون الله في ذلك
ويخافون سوء الحساب في الدار
الآخرة فلهذا أمرهم على السداد
والاستقامة في جميع أحوالهم
وسكانتهم وجميع أحوالهم

طرفا من أحواله لعله يتذكر عند ذلك فقال (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) فمنكم
غنى وفقير ومالك ومملوك أي جعلكم متفاوتين فيه فوسع على بعض عباده وبسط حتى
جعل له من الرزق ما يكفي ألوفا مؤلفة من بني آدم وضيعه على بعض عباده وقتر حتى صار
لا يجسد القوت الا بسؤال الناس والتكفف لهم وكثروا احدوا وقل على واحد وذلك لحكمة
بالغة تنقص عقول العباد عن تعقلها والاطلاع على حقيقة أسبابها وكما جعل التفاوت بين
عباده في المال جعله بينهم في العقل والعلم والفهم والخلق والخلق والجهل وقوة البدن
وضعفه والحسن والقبح والصحة والسقم وغير ذلك من الاحوال وعن ابن عباس في الآية
قال لم يكونوا البشر كوا عبدهم في أموالهم ونسائهم فكيف يشركون عبدي معي في
سلطاني وعن مجاهد قال هذا مثل لآلهة الباطل مع الله وقيل معنى الآية ان الله سبحانه
أعطى الموالى أفضل مما أعطى ممالئكم بدليل قوله (فما الذين فضلوا) أي فما الذين فضلهم
الله بسعة الرزق على غيرهم كالموالى والسادة (برادى رزقهم) الذى رزقهم الله اياه (على
ما ملكت أيمانهم) من الممالئ (فهم) أي الممالئون والممالئ (فيه) أي فى الرزق
(سواء) أي لا يردونه عليهم بحيث يساؤونهم فالقاء على هذا الدلالة على ان التساوى مترتب
على الترادى لا يردونه عليهم ردا مستتبعا للتساوى وانما يردون عليهم منه شيئا يسيرا وهذا
مثل ضرب به الله سبحانه لعبدة الاصنام كما تقدم والمعنى اذ لم يكونوا عبيدكم معكم سواء ولا
ترضون بذلك فكيف تجعلون عبيدى معى سواء والحال ان عبيدكم مساوون لكم فى
البشرية والخلقوية فلما تجعلون عبيدكم مشاركين لكم فى أموالكم فكيف تجعلون
بعض عباد الله سبحانه شركاء له فتعبدونهم معه أو كيف تجعلون بعض مخلوقاته كالاصنام
شركاءه فى العبادة ذكر معنى هذا ابن جرير ومثل هذه الآية قوله سبحانه ضرب لكم مثلا
من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم وفى هذه الجملة أوجه
أحدها تقديره أفهم فيه سواء ومعناه النقي اى ليسوا مستويين فيه والثانى انها اخبار
بالتساوى أي انما هو رزقى أجرته على أيديهم فهم فيه سواء قال أبو البقاء انها واقعة موقع
فعل تقديره يستووا وقيل ان القاء فى فهم معنى حتى (أفبنعمة الله يجحدون) حيث
يفعلون ما يفعلون من الشرك والنعمة هي كونه سبحانه جعل الممالئين مفضلين على
الممالئ وقراءة الغيبة أو لى القرب الخبر عنه ولانه لو كان خطابا لكان ظاهرا للمسلمين

القاصرة والمتعدية والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم اى عن المحارم والمآثم فقطموا أنفسهم عنها لله عز وجل والاستفهام
ابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه وأقاموا الصلاة بحمد ودورها وواقيتها وركوعها وسجودها وخشوعها على الوجه الشرعى المرضي
وأنفقوا مما رزقناهم أي على الذين يجب عليهم الانفاق لهم من زوجات وقرابات وأجانب من فقراء ومحايير ومساكين سرا وعلاية
أي فى السر والجهل لم يمنعهم من ذلك حال من الاحوال اناء الليل وأطراف النهار ويدرون بالحسنه السيئه أي يدفعون القبيح
بالحسن فاذا آذاهم أذاهم فابوهم بالجميل صبرا واحتمالا وصفحوا وعفوا كقوله تعالى ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة

كأنه ولي حليم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم ولهذا قال مخبرنا عن هؤلاء السعداء المتصفين بهؤلاء الصفات الحسنة بأن لهم عقبي الدار ثم فسر ذلك بقوله جنات عدن والعدن الإقامة أي جنات إقامة يخلدون فيها وعن عبد الله بن عمرو أنه قال ان في الجنة قصر يقال له عدن حوله البروج والمروج فيه خمسة آلاف باب على كل باب خمسة آلاف حبرة لا يدخله الا نبي أو صديق أو شهيد وقال الضحاك في قوله جنات عدن مدينة الجنة فيها الرسل والانبياء والشهداء وأئمة الهدى والناس حولهم بعد والجنات حولها رواها ابن جرير وقوله ومن صلح من آبائهم (٢٥٥) وأزواجهم وذرياتهم أي يجمع بينهم وبين أحبائهم

فيها من الآباء والاهلين والانساء ممن هو صالح ادخول الجنة من المؤمنين لتقر أعينهم بهم حتى انه ترفع درجة الادنى الى درجة الاعلى امتنانا من الله واحسانا من غير تقييد للاعلى كقوله تعالى والذين آمنوا واتبعتم ذريتهم بايمان ألقناهم ذريتهم الآتية وقوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بمصرتهم فنع عقبي الدار أي وتدخل عليهم الملائكة من ههنا وههنا للتمنئة بدخول الجنة فعند دخولهم اياها تدخل عليهم الملائكة مسلمين مهتمين لهم بما حصل لهم من الله من التقريب والانعام والاقامة في دار السلام في جوار الصديقين والانبياء والرسل الكرام وقال الامام أحمد رحمه الله حدثنا أبو عبد الرحمن حدثني سعيد بن أبي أيوب حدثنا معمر بن سويد الحراني عن أبي عسانة الغفاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله قالوا الله ورسوله أعلم قال أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء

والاستفهام للانكار والتوبيخ والتقريع والفاء للعطف على مقدر أي أيشركون به فيجدون نعمته ويكون المعنى على قراءة الخطاب ان المالكين ليسوا برادى رزقهم على مما ليكمهم بل أنا الذي أرزقهم واياهم فلا تظنوا انهم يعطونهم شيئا وانما هو رزقي أجر به على أيديهم جميعا وهم في ذلك سواء لا من به لهم على مما ليكمهم فيكون المعطوف عليه المقدر فعلا يناسب هذا المعنى كأن يقال ألا تفهمون ذلك فتجدون نعمة الله ثم ذكر سبحانه الحالة الاخرى من أحوال الانسان فقال (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) قال المقسرون يعني النساء فانه خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام قال قتادة خلق آدم ثم خلق زوجته منه أو المعنى خلق لكم من جنسكم أزواجا لتستأنسوا بها لان الجنس يأنس الى جنسه ويستوحش من غير جنسه وبسبب هذه الأئمة يقع بين الرجال والنساء ما هو سبب للنسل الذي هو المقصود بالزواج ولم يذكر البنات لكرهيتهن لهن فلم يمتن عليهم الا بما يحبونه ولهذا قال (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) جمع حافد يقال حفدي حفد حفدا وحفودا اذا أسرع فكل من أسرع في الخدمة فهو حافد ومنه اليك نسعي وحقدا أي نسرع الى طاعتك قال أبو عبيد الحفد العمل والخدمة وهذا أصله في اللغة قال الخليل ابن أحمد الحفدة عند العرب الخدم والاعوان وبه قال الحسن وعكرمة والضحاك وقال الأزهرى قيل الحفدة أولاد الأولاد وروى هذا عن ابن عباس والحفيد ولد الابن ذكر اكان أو انثى وولد البنت كذلك وتخصيصه بولد الذكر وتخصيص ولد الانثى بالسبط عرف طارئ على أصل اللغة وقيل الحفدة الاختان قاله ابن مسعود وعلقمة وأبو الفخمي وسعيد بن جبير وابراهيم النخعي وقيل الحفدة الأصهار قال الاصمعي الحفنة من كان من قبل المرأة كابنها وأخيها وما أشبههما والأصهار منهما جميعا يقال أصهار فلان الى بنى فلان فهو صاهر وقيل هم أولاد امرأة الرجل من غيره وقيل أولاد الرجل الذين يخدمونه وقيل البنات الخاديات لا يبين وكل هذه الأقوال متقاربة لان اللفظ يحتمل الكل بحسب المعنى المشترك وروى كثير من العلماء انهم أولاد الأولاد لانه سبحانه امتن على عباده بان جعل لهم من الأزواج بنين وحفدة فالحفدة في الظاهر معطوفون على البنين وان كان يجوز أن يكون المعنى جعل لكم من أزواجكم بنين وجعل لكم حفدة ولكن لا يتسع على هذا المعنى الظاهر أن يراد بالبنين من لا يخدم وبالحفدة من يخدم الاب منهم أو يراد بالحفدة البنات فقط ولا يفيد أنهم

المهاجرون الذين تستدبهم الثغور وتتق بهم المكارة ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء فيقول الله تعالى لمن يشاء من ملائكته اتوههم فيوههم فتقول الملائكة نحن سكان سمائك وخيرتك من خلقك أفتأمرنا ان نأق هؤلاء ونسلم عليهم فيقول انهم كانوا عبادا يعبدوني لا يشركون بي شيئا وتستدبهم الثغور وتتق بهم المكارة ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء قال فتأتيهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بمصرتهم فنع عقبي الدار ورواه ابو القاسم الطبراني عن احمد بن رشد عن أحمد بن صالح عن عبد الله بن وهب عن عمر بن الحارث عن أبي عسانة سمع عبد الله بن عمرو عن

النبي صلى الله عليه وسلم قال أول ثلاثة يدخلون الجنة فقراء المهاجرين الذين اتقى بهم المكاره وإذا هم واسمعو أو أطاعوا وان كانت
لرجل منهم حاجة إلى سلطان لم تقض حتى يموت وهي في صدره وان الله يدعو يوم القيامة الجنة فتأتي بزخرفها وزينتها فيقول أين
عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي وجاهدوا في سبيلي ادخلوا الجنة بغير عذاب ولا حساب وتأتي الملائكة فيسجدون
ويقولون ربنا نحن نسبحك الليل والنهار وقدس لك من هؤلاء الذين آثرتهم علينا فيقول الرب عز وجل هؤلاء عبادي الذين جاهدوا
في سبيلي وأوذوا في سبيلي فتدخل عليهم الملائكة (٢٥٦) من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وقال عبد الله بن المبارك

عن بقره بن الوليد حدثنا أرطاة بن
المنذر سمعت رجلا من مشيخة
الجنيد يقال له أبو الحجاج يقول
جلست إلى أبي امامة فقال ان
المؤمن ليكون متكئا على أريكته
إذا دخل الجنة وعنده سماطان
من خدم وعند طرف السماطين باب
مبوق فيقبل الملك فيستأذن فيقول
للذي يليه ملك يستأذن ويقول
الذي يليه الذي يليه ملك يستأذن حتى
يلغ المؤمن فيقول أئذوا فيقول
أقربهم للمؤمن أئذوا له ويقول
الذي يليه الذي يليه أئذوا له حتى
يلغ أقصاهم الذي عند الباب فيفتح
له فيدخل فيسلم ثم ينصرف رواه
ابن جرير ورواه ابن أبي حاتم من
حديث اسمعيل بن عياش عن
أرطاة بن المنذر عن أبي الحجاج
يوسف الالهاني قال سمعت أبا
امامة فذكر نحوه وقد جاء في الحديث
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يزور قبور الشهداء في رأس كل
حول فيقول لهم سلام عليكم بما
صبرتم فنعم عقبى الدار وكذلك أبو
بكر وعمر وعثمان (والذين يتقضون
عهد الله من بعد ميقاته ويقطعون

أولاد الاولاد إذا كان تقديرا الآية وجعل لكم من أزواجكم بنين ومن البنين حفدة
(ورزقكم من الطيبات) التي تستطيعونها وتستلذونها من أنواع الأثمار والحبوب
والحيوان والاشربة المستطابة الخلال من ذلك كله ومن للتبعيض لان الطيبات
لا تكون مجتمعة الا في الجنة والمرزوق في الدنيا أئذوا عندها ختم سبحانه الآية بقوله
(أقبا باطل يؤمنون) الاستفهام لانكار التوبيخ والفاء للعطف على مقدر أي يكفرون
بالله فيؤمنون بالباطل وفي تقديم الباطل على الفعل دلالة على انه ليس لهم إيمان الا به
والباطل هو اعتقادهم في أصنامهم انها تضر وتنتفع وقيل هو ما زين لهم الشيطان من
تحريم البحيرة والسائبة ونحوهما (وبنعمه الله) أي ما أنعم به عليهم مما لا يحيط به حصر
(هم يكفرون) باضافتها الى غيره وفي تقديم النعمة وتوسيط ضمير الفصل دليل على ان
كفرهم مختص بذلك لا يتجاوز له قصد المبالغة والتأكيدي وعن ابن جرير الباطل هو
الشيطان ونعمة الله هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم (ويعبدون من دون الله) داخل
تحت الانكار التوبيخي انكارا منه سبحانه عليهم حيث يعبدون الاصنام وهي لا تنتفع
ولا تضر ولهذا قال (ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا) المعنى ان هؤلاء
الكنسار يعبدون معبودات لا تملك لهم رزقا أي رزق كانوا منهم ما عن قتادة قال هذه الاوثان
التي تعبد من دون الله لا تملك لمن يعبدها رزقا من السموات والارض ولا خير ولا حياة ولا
نشور وفي شيئا ثلاثة أوجه أحدها انه منصوب على المصدر أي لا يملك لهم ملكا أي شيئا من
الملك والثاني انه بدل من رزقا وهذا غير مقيد اذ ليس فيه بيان ولا تأكيدي الثالث انه
منصوب برزقا على انه اسم مصدر وهو يعمل عمل المصدر على خلاف في ذلك وبه قال
الفارسي ورد عليه ابن الطراوة بان الرزق اسم المرزوق كالرعي والطنن ورد عليه بان الرزق
أيضا مصدر (ولا يستطيعون) الضمير راجع الى ما وجع جمع العقلاء بناء على زعمهم
الباطل والقائدة في نفي الاستطاعة عنهم ان من لا يملك شيئا قد يكون موصوفا باستطاعة
التملك بطريق من الطرق فيمن سبحانه انه لا يملك ولا يستطيع وقيل الضمير للكفار والمعنى
لا يستطيع هؤلاء الكفار مع كونهم أحياء متصرفين فكيف بالجادات التي لا حياة لها ولا
تستطيع التصرف ثم نهاهم سبحانه عن ان يشبهوه بخلقه فقال (فلا تضر بوالله الامثال)
فانه أحد صمد لم يولد ولم يكن له كفوا أحد قاله قتادة فان ضارب المثل يشبهه حالا

بجمل

ما أمر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار) هذا حال الاشقياء

وصفاتهم وذكرا لهم في الدار الآخرة ومصيرهم الى خلاف ما صار اليه المؤمنون كما انهم التصفوا بخلاف صفاتهم في الدنيا فاوئلك
كانوا يوفون بعهد الله ويصلون ما أمر الله به أن يوصل وهؤلاء ينتقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله
به ان يوصل ويفسدون في الارض كما ثبت في الحديث آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا اتفقن خان وفي رواية
واذا عاهد غدر واذا خصم فجر ولهذا قال أولئك لهم اللعنة وهي الأبعاد عن الرحمة ولهم سوء الدار وهو سوء العاقبة والمآل

ومأواهم جهنم وبئس المهاد وقال أبو العالسة في قوله الذين يتقضون عهد الله الآية قال هي ست خصال في المنافقين إذا كان فيهم الظهيرة على الناس أظهر وأهذه الخصال إذا حدوا كذبوا وأعدوا وأخلفوا وإذا اتتموا وأخاؤا ونقضوا عهد الله من بعد ميثاقه وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل وأفسدوا في الأرض وإذا كانت الظهيرة عليهم أظهروا الثلاث خصال إذا حدوا كذبوا وإذا وعدوا وأخلفوا وإذا اتتموا وأخاؤا (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع) يذكر تعالى أنه هو الذي يوسع الرزق على من يشاء ويقدره على من يشاء (٢٥٧) لما أنه في ذلك من الحكمة والعدل وفرح هؤلاء

بجمال وقصة بقصة قال الزجاج لا تجعلوا الله مثلاً فانه واحد لا مثل له وكانوا يقولون ان الله العالم أجل من ان يعبده الواحد منافكا كانوا يتوسلون الى الاصنام والكواكب كما ان اصاغر الناس يخدمون ا كبر حاضرة الملك وأولئك الا كبر يخدمون الملك فمنواع ذلك وعلل النهي بقوله (ان الله) عليم (يعلم) ما عليكم من العبادة (وانتم لا تعلمون) ما في عبادتها من سوء العاقبة والتعرض لعذاب الله سبحانه وأنه تعالى يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا رأيتكم دون نصه ويجوز أن يراد فلا تضر بوالله الامثال فانه يعلم كيف تضرب الامثال وانتم لا تعلمون أو انتم لا تعلمون بشئ من ذلك وفعلمكم هذا هو عن توهم فاسد وخطا بطل وخيال محتمل وعن ابن عباس قال يعني اتخذهم الاصنام يقول لا تجعلوا معي الهاة غيري فانه لا اله غيري ثم علمهم كيفية ضرب الامثال في هذا الباب فقال (ضرب الله مثلاً) أي ذكر شيأ يستدل به على تباين الحال بين جناب الخالق سبحانه وبين ما جعلوه شريكاً له من الاصنام والمثل في الحقيقة هي حالة للعبدة عارضة له وهي المملوكية والعجز عن التصرف فقوله (عبداً) تفسير للمثل وبديل منه ووصفه بكونه (مملوكاً) لان العبد والخمر مشتركان في كون كل واحد منهما عبد الله سبحانه ووصفه بكونه (لا يقدر على شئ) لان المكاتب والمأذون يقدران على بعض التصرفات فهذا الوصف لتمييزه عنهما واحتج النحاة بهم بذاعلي ان العبد لا يملك شيئاً (ومن) أي الذي وقيل موصوفة واختاره الزمخشري كانه قيل وحرام ان الاحرار الذين يملكون الاموال ويتصرفون بها كيف شاؤوا (رزقناه) ليطابق عبداً (منا) أي من جهتنا (رزقاً حسناً) والمراد به انه مما يحسن في عيون الناس لكونه رزقاً كثيراً مشتملاً على اشياء مستحسنة نفيسة تروق الناظرين اليها (فهو يتقون منه) في وجوه الخير ويصرف منه الى أنواع البر والمعروف (مراو جهراً) أي في حال السر و حال الجهر والمراد بيان عموم الانفاق للاوقات وتقديم السر على الجهر مشعر بفضيلته عليه وان الثواب فيه أكثر (هل يستون) أي الحر والعبد الموصوفان بالصفات المتقدمة وجمع الضمير لكان من لانه اسم مبهم يستوى فيه الواحد والاثان والجمع والمذكر والمؤنث وقيل انه اراد بالعبد والموصول الذي هو عبارة عن الحر الجنس أي من اتصف بتلك الاوصاف من الجنسين والاستفهام للانكار أي هل يستوى العبد والحر امع كون كلا الفريقين مخلوقين لله

الكفار بما أوتوا من الحياة الدنيا استدرجهم وامهالا كما قال أي يحسبون انهم قد هداهم به من مال وبنين نسا ع لهم في الخيرات بل لا يشعرون ثم حقر الحياة الدنيا بالنسبة الى ما دخر تعالى لعبادة المؤمنين في الآخرة فقال وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع كما قال قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون شيئاً وقال بل تؤثر الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى وقال الامام أحمد حدثنا وكيع عن يحيى بن سعيد قال حدثنا اسمعيل بن أبي خالد عن قيس عن المستورد أخى بنى فهدر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا كالجعل أحدكم اصبعه هذه في السيم فليستظروهم ترجع وأشار بالسبابه ورواه مسلم في صحيحه وفي الحديث الآخر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بجدي أسد ميت والاسك الصغير الاذنين فقال والله للذي أسأهون على الله من هذا على أهله حين القوه (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل ان الله يبض من يشاء ويهدي اليه

(٣٣ - فتح البيان خامس)

من أناب الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله لا يذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن ما آب) يخبر تعالى عن قيل المشركين لولا اي هلا أنزل عليه آية من ربه كقولهم فليأتنا بآية كما أرسل الاولون وقد تقدم الكلام على هذا غير مرة وان الله قادر على اجابة ما سألوا وفي الحديث ان الله أوحى الى رسوله لما سأله ان يحول لهم الصفا ذهابا وان يجري لهم نبوعا وان يزيح الجبال من حول مكة فيصير مكانها روجا وبساتين ان شئت يا محمد أعطيتم يا محمد ذلك فان كفروا أعذبهم عذاباً بالاً أعذبه أحد من العالمين وان شئت فتحت عليهم باب التوبة والرجة فقال بل نفتح لهم

باب التوبة والرجة ولهذا قال رسول الله قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من انا ب أي هو المضل والهادي سواء بعث الرسل ياية على وفق ما اقترحوا ولم يجيبهم الى سواء لهم فان الهداية والاضلال ليس منوطا بذلك ولا عدمه كما قال وما تغني الايات وان تدع عن قوم لا يؤمنون وقال ان الذي حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم وقال ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا يؤمنوا الا ان يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون ولهذا قال قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من انا ب أي ويهدي من انا ب الى الله ورجع اليه واستعان به وتضرع عليه

الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله أي تطيب وتركن الى جانب الله وتستكن عند ذكره وترضى به مولى ونصيرا ولهذا قال الابد كر الله تطمئن القلوب أي هو حقيق بذلك وقوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم حسن ما ب قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس فرح وقرعة عين وقال عكرمة نعم ما لهم وقال الضحاك غبطة لهم وقال ابراهيم النخعي خير لهم وقال قتادة هي كلمة عربية يقول الرجل طوبى لك أي أصبت خيرا وقال في رواية طوبى لهم حسنى لهم وحسن ما ب أي مرجع وهذه الاقوال شى واحد لا منافاة بينها وقال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس طوبى لهم قال هي أرض الحبشة وقال سعيد بن جبيرة عن طوبى اسم الجنة بالهندية وكذا روى السدي عن عكرمة طوبى لهم هي الجنة وبه قال مجاهد وقال العوفي عن ابن عباس لما خلق الله الجنة فرغ منها قال الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن ما ب وذلك حين أعجبه وقال ابن جرير حدثنا ابن جهميد

سبحانه من جملة البشر ومن المعلوم انهم لا يستوون فكيف يجعون لله سبحانه شركاء لا يملكون لهم ضرا ولا نفعا ويجعلونهم مستحقين للعبادة مع الله سبحانه وحاصل المعنى انه كما لا يستوى عندكم عبد مملوك لا يقدر من أمره على شىء ورجل حر قدر رزقه الله رزقا حسنا فهو يتفق منه كذلك لا يستوى الرب الخالق الرازق والجادات من الاصنام التي تعبدونها وهي لا تبصر ولا تسمع ولا تتفقد ولا تضل وقيل المراد بالعباد المملوك في الآية هو الكافر المحروم من طاعة الله وعبوديةه والاخر هو المؤمن وقال ابن عباس بعناه بأطول من هذا والغرض انهما لا يستويان في الرتبة والشرف وقال عطاءهما أبو جهل بن هشام وأبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وقيل العبد هو الصنم والثاني عبد الصنم والمراد انهما لا يستويان في القدرة والتصرف لان الاول جاد والثاني انسان (الجد) كله (الله) وحده جده نفسه لانه المنعم المستحق لجميع الخادم لا يستحق غيره من العباد شيئا منه فكيف تستحق الاصنام منه شيئا ولا نعمة منها أصلا لا بالاصالة ولا بالتوسط وقيل أراد الحمد لله على ما أنعم به على أوليائه من نعمة التوحيد وقيل أراد قل الحمد لله والخطاب اما الحمد صلى الله عليه وآله وسلم وأولن رزقه الله رزقا حسنا وقيل انه لما ذكر مثلا مطابقا للغرض كاشفا عن المقصود قال الحمد لله أي على قوة هذه الخجة (بل أكثرهم لا يعلمون) ذلك حتى يعبدوا من تحق له العبادة ويعرفوا المنعم عليهم بالعلم الخليلية ونفى العلم عنهم اما لكونهم من الجهل بمنزلة لا يفهمون بسببها ما يجب عليهم وهم يترون الحق عناد مع علمهم به فكانوا يكن لاعلم له وخص الاكثر بنى العلم اما لكونه يريد الخلق جميعا وأكثرهم المشركون أو ذكرا لا أكثر وهو يريد الكل أو المراد أكثر المشركين لان فيهم من يعلم ولا يعمل بموجب العلم ثم ذكر سبحانه مثلا ثانيا ضربه لنفسه ولما يفيض على عباده من النعم الدينية والدنيوية وللاصنام التي هي أموات لا تتفقد ولا تتفقد فقال (وضرب الله مثلا) آخر أوضح مما قبله وأظهر منه (رجلين) بدل من مثل وتفسيره (أحدهما أبكم) أي العي المفعم وقيل هو الاقطع اللسان الذي لا يحسن الكلام وقيل هو الذي ولد أخرس فكل أبكم أخرس وليس كل أخرس أبكم وروى ثعلب عن ابن الاعراب انه الذي لا يسمع ولا يبصر ثم وصف الابكم فقال (لا يقدر على شىء) من الاشياء المتعلقة بنفسه أو بغيره لعدم فهمه وعدم قدرته على النطق وهو اشارة الى العجز التام والنقصان

حدثنا يعقوب بن جعفر عن شهر بن حوشب قال طوبى شجرة في الجنة كل شجرة الجنة منها أعصانها الكامل من وراء سور الجنة هكذا روى عن أبي هريرة وابن عباس وهنئ بن سليمان وأبي اسحق السبيعي وغير واحد من السلف ان طوبى شجرة في الجنة في كل دار منها غصن منها وذكره ضمهم ان الرحمن تبارك وتعالى غرسها بيده من حبة لؤلؤة وامر هانئ فقامت الى حيث يشاء الله تبارك وتعالى ونخرجت من أصلها ينابيع أنهار الجنة من عسل وخمر وما لبث وقد قال عبد الله بن وهب حدثنا عمرو بن الحرث ان دراجا بالاسهم حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد مر فوعاطوبى شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة

ثياب أهل الجنة تخرج من أكلها وقال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى سمعت ابن لهيعة حدثنا دراج أبو السمح ان أبا القاسم حدثه عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال يا رسول الله طوبى لمن رأى وآمن بك قال طوبى لمن رأى وآمن بي وطوبى لمن طوبى لمن آمن بي ولم يرني قال له رجل وما طوبى قال شجرة في الجنة مسيرتها مائة عام ثياب أهل الجنة تخرج من أكلها وروى البخاري ومسلم جميعا عن اسحق بن زاهر عن مغيرة الخزومي عن وهيب عن أبي حازم عن سهل بن سعد رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة (٢٥٩) يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها قال

حدثت به النعمان بن أبي عياش الزرقى فقال حدثني أبو سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام ما يقطعها وفي صحيح البخارى من حديث يزيد بن زريع عن سعيد بن قتادة عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله عليه وسلم في قول الله تعالى وظل ممدود قال في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها وقال الامام أحمد حدثنا شريح حدثنا فليح عن هلال بن على عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة اقرؤا ان شتم وظل ممدود آخر جاف في الصحبين وفي لفظ لاجد أيضا حدثنا محمد بن جعفر وجماح قال حدثنا شعبة سمعت أبا الضحاك يحدث عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين أو مائة سنة هي شجرة الخلد وقال محمد بن اسحق عن يحيى بن عباد بن عبد الله

الكامل (وهو كل) أى ثقيل (على مولاه) أى على وليه وقرابته وعيال على من يلى أمره ويعوله وبال على أخوانه وقد يسمى اليتيم كلالا لثقله على من يكفله وفي هذا بيان لعدم قدرته على إقامة مصالح نفسه بعد ذلك عدم قدرته على شئ مطلقا ثم وصفه بصفة رابعة فقال (أيضا بوجهه) أى يرسله ويصرفه في طلب الحاجة أو كفاية المهم (لايات بخير) قط لانه عاجز آخرس لا يفهم ولا يعقل ما يقال له ولا يمكنه ان يقول (هل يستوى هو) في نفسه مع هذه الاوصاف التي اتصف بها (ومن يأمر) الناس (بالعدل) مع كونه في نفسه ينطق بما يريد النطق به ويفهم ويقدر على التصرف في الاشياء وهو سليم الخواس نفاع ذو كفاية ورشد وديانة (وهو) في نفسه (على صراط مستقيم) أى على دين قويم وسيرة صالحة ليس فيه ميل الى أحد جاني الافراط والتفريط وانما قابل الاوصاف الاول بهذين الوصفين المذكورين للاسخر لأن حاصل اوصاف الاول عدم استحقاقه لشيء وحاصل وصفى هذا انه مستحق أكمل استحقاق والمقصود الاستدلال بعدم تساوى هذين الامرين على امتناع التساوى بينهما وبين ما يجعلونه شريكاله قال ابن عباس يعنى بالأبكم الكافر وبالآمر بالعدل المؤمن وهذا المثل في الاعمال وعلى هذا تكون الآية على العموم في كل مؤمن وكافر وقيل هي على الخصوص والذي يأمر بالعدل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأبكم هو أبو جهل وقيل الابكم أبو بن خلف والآخر بالعدل حمزة وعثمان بن مظعون وقال ابن عباس هذه الآية نزلت في عثمان بن عفان ومولى له كافر وهو أسيد بن أبي العيص كان يكره الاسلام وكان عثمان ينطق عليه ويكفله ويكفيه المؤنة وكان الآخر ينهاه عن الصدقة والمعروف فنزلت فيهما ولما فرغ سبحانه من ذكر المؤمنين مدح نفسه بقوله (ولله غيب السموات والارض) أى يختص ذلك به لا يشركه فيه غيره ولا يستقل به والمراد علم ما غاب عن العباد فيهما وأراد بعينهما يوم القيامة لان علمه غائب عن العباد ومعنى الاضافة اليهما التعلق بهما والمراد التوحيه لشركين والتقريب لهم أى ان العبادة انما يستحقها من كانت هذه صفته لامن كان جاهلا عاجزا لا ينفع ولا يعلم شئ من أنواع العلم (وما أمر الساعة) التي هي أعظم ما وقعت فيه المماراة من الغيوب المختصة به سبحانه وهو امانة الاحياء واحياء الاموات من الاولين والآخرين وتبديل صور الاكوان أجمعين أو المعنى ما أمر قيام

ابن الزبير عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر سورة المنتهى فقال يسير في ظل الفصن منها الراكب مائة سنة أو قال يسير تظل في الفتن منها مائة راكب فيها قرأش الذهب كان عمرها القلال رواه الترمذى وقال اسمعيل بن عياش عن سعد بن يوسف عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلام الاسود قال سمعت أبا امامة الباهلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم أحد يدخل الجنة الا انطلق به الى طوبى فتفتح له أكلها فبأخذ من أى ذلك شاء ان شاء ابيض وان شاء اسمر وان شاء اصفر وان شاء اسود مثل شقائق النعمان واروق وأحسن وقال الامام أبو جعفر بن جرير حدثنا محمد بن عبد الأعلى

حدثنا محمد بن ثور عن محمد بن أسعث بن عبد الله عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال طوي شجرة في الجنة يقول الله لها تفتقي لعبدى كما شاء فتفتقي له عن الخيل بسر وجهها ولجها وعن الأبل بازمتها وعاشاء من الكسوة وقد روى ابن جرير عن وهب بن منبه ههنا أثر آخر يابغيا قال وهب رحمه الله أن في الجنة شجرة يقال لها طوي يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها أزهرها رياض وورقها برود وقضبانها عنبر وبطاؤها ياقوت وترابها كافور ووحلها مسك يخرج من أصلها أنهار الخمر واللبن والعسل وهي مجلس لاهل الجنة فيمنعهم (٢٦٠) في مجلسهم إذا تمهم ملائكة من ربهم بقودون شجرا مزومة بسلاسل

من ذهب وجوهها كالمصابيح حسنا ووبرها كعز المرعزي من لينه علم ارحال ألواحها من ياقوت ودفوفها من ذهب وثيابها من سندس واستبرق فيمتحونها يقولون ان ربنا أرسلنا اليكم لستر وروه وتسلموا عليه قال فيركبونها فهي أسرع من الطائر وأوطأ من الفراش نجبا من غير مهنة يسير الرجل الى جنب أخيه وهو يكلمه ويناجيه لا يصيب أذن راحلة منها اذن الأخرى (١) ولا يزل راحلة برك الأخرى حتى ان الشجرة لتنتج عن طر يقهم مثلا تفرق بين الرجل وأخيه قال فيأتون الى الرحمن الرحيم فيسفر لهم عن وجهه الكريم حتى ينظروا اليه فاذا رأوه قالوا اللهم أنت السلام والبرك والسلام والرحمة لئلا تلهيهم الآيات المتفرقة والجلال والاكرام قال فيقول تعالى أنا السلام ومنى السلام وعليكم حقت رحمتي ومحبتي مرحبا بعبادى الذين خشوني بغيب وأطاعوا أمرى قال فيقولون ربنا لم نعبدك حق عبادتك ولم نقدرك حق قدرك فأذن لنا فى السجود قدامك قال فيقول

الساعة في سرعته وسهولته (الكلح البصر) أى كرجع طرف من أعلى الحدقة الى أسفلها وانما ضرب به المثل لانه لا يعرف زمان أقل منه والصح النظر بسرعة ولا يدفيه من زمان تتقلب فيه الحدقة نحو المرقى وكل زمان قابل للتجزئة ولذا قال (أوهو) أى بل أمرها (أقرب) منه بان يكون فى زمان نصف تلك الحركة بل فى الآن الذى تبدأ فيه فان الله تعالى يحيى الخلق دفعة وما يود جد دفعة كان فى أن أى بحر غير منقسم وليس هذا من قبيل المبالغة بل هو كلام فى غاية الصدق لأن مدة ما بين الخطاب وقيام الساعة متناهية ومنها الى الأبد غير متناه ولا نسبة للمتناهى الى غير المتناهى أو يقال ان الساعة لما كانت آتية ولا بد جعلت فى القرب كالعصر والبصر وقال الزجاج لم يرد أن الساعة تأتى فى لمح البصر وانما وصف سرعة القدرة على الايمان بها لانه يقول للشئ كن فيكون وقيل المعنى هى عند قريبا ولفظ أوليس للشك بل للتشبه أو للتخيير وقيل دخلت لشك الخاطب وقيل هى بمنزلة بل (ان الله على كل شئ قدير) ومحى الساعة بسرعة من جملة مقدراته ثم انه سبحانه ذكر حالة اخرى للانسان الدالة على غاية قدرته ونهاية رأفته فقال (والله آخر حكمكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيا) معطوف على قوله والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا منتظم معه فى سلك أدلة التوحيد أى آخر حكمكم من بطون أمهاتكم أطفالا لا اعلم لكم بشئ ولا تعلمون شيا مما أخذ عليكم من الميثاق وقيل مما قضى به عليكم من السعادة والشقاوة وقيل شيا من منافعكم والأولى التعميم لتشمل الآتية هذه الامور وغيرها اعتبارا بعموم اللفظ فان شيا منكرة واقعة فى سياق النفي (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) أى ركب فيكم هذه الاشياء وليس فيه دلالة على تأخير هذا الجعل عن الاخراج لما ان مدلول الواو هو مطلق الجمع والمعنى جعل لكم هذه الاشياء التحصيل الواو العلم الذى كان مسلويا عنكم عند اخر اجلكم من بطون امهاتكم وتعملوا بموجب ذلك العلم من شكر المنعم وعبادته والقسم بحقوقه ونكته تأخيره ان السمع ونحوه من آلات الادراك انما يعتد به اذا أحس وأدرك وذلك بعد الاخراج وقدم السمع على البصر لانه طر يق تلقى الوحي أولان ادراكا قدم من ادراك البصر والافئدة جمع فواد وهو وسط القلب منزل منه بمنزلة القلب من الصدر وقد قدمنا الوجه فى افراد السمع وجمع الابصار والافئدة وهو أن افراد

الله انها ليست بدار نصب ولا عبادة ولا كتب ادارم لثا ونعيم وانى قدر فت عنكم نصب العبادة فسألونى ما شئتم فان السمع لكل رجل منكم أمينته فيسألونى حتى ان أقصرهم أمينته ليقول ربى تنافس اهل الدنيا فى دنياهم فتضايقوا فيها رب فأنى مثل كل شئ كذا فانيه من يوم خلقتها الى ان انتهت الدنيا فيقول الله تعالى لقد قصرت بك أمينتك ولقد سألت دون منزلة كذا هذا كذا منى لانه ليس فى عطائى نكد ولا قصر يد قال ثم يقول اعرضوا على عبادى ما لم يبلغ أمانيتهم ولم يحظر لهم على بال قال فيعرضون عليهم (١) قوله ولا يزل راحلة برك الأخرى هكذا بالاصل ويجر الحديث اه

حتى تقصر أمانهم التي في أنفسهم فيكون فيما يعرضون عليهم براذين مقرنة على كل أربعة منها ستر من ياقوتة واحدة على كل ستر من
منها قبة من ذهب من رعة في كل قبة منها فرش من فرش الجنة متظاهرة في كل قبة منها جارية من الجوار العين على كل جارية منهن
ثوبان من ثياب الجنة وليس في الجنة لون الا وهو فيها ما ولا ربح طلبت الا قد عبت (٢) يعرض وجوهها ما غلظ القبة حتى يظن من
براهما انها مادون القبة يرى مخهما من فوق سوقهما كالمسلك الابيض في ياقوتة جارية يرى ان له من الفضل على صاحبته كفضل
الشمس على الخيارة أو أفضل ويرى هولهما مثل ذلك ويدخل اليهما (٢٦١) فيحسانه ويقبلانه ويتعلقان به ويقولان له والله
ما ظننا ان الله يخلق مثلك ثم يأمر

الله تعالى الملائكة فيسيرون بهم
صفا في الجنة حتى ينهى بكل رجل
منهم الى منزلته التي أعدت له وقد
روى هذا الاثر ابن أبي حاتم بسنده
عن وهب بن منبه وزاد فأنظروا
الى موهوب ربكم الذي وهب
لكم فاذا هو بقباب في الرفيق
الاعلى وغرف مبنية من الدر
والمرجان أبوابها من ذهب وسررها
من ياقوت وفرشها من سندس
واستبرق ومنابرها من نور يقور
من أبوابها وعراصها نور مثل شعاع
الشمس عنده مثل الكوكب الدرى
في النهار المضي و اذا بقصور شاحنة
في أعلى عشرين من الساقوت يزهو
نورها فلولا انه مسخر اذا الاتمع
الابصار فما كان من تلك القصور
من الياقوت الاحمر فهو مفروش
بالسندس الاخضر وما كان منها
من الياقوت الاصفر فهو مفروش
بالارجوان الاحمر (٣) منزله بالمرز
الاخضر والذهب الاحمر والقصة
البيضاء قوائعها وأركانها من الجواهر
وشرفها قباب من لؤلؤ وبروجها
عرف من المرمر فلما انصرفوا
الى ما أعطاهم ربهم قربت لهم

السمع لكونه مصدر في الاصل يتناول القليل والكثير (لعلكم تشكرون) أى لى
تصرفوا كل آله فيما خلقت له فعند ذلك تعرفون مقدار ما أنعم الله به عليكم فتشكرونه
أو أن هذا الصنف هو نفس الشكر ثم ذكر سبحانه دليلا آخر على كمال قدرته فقال
(ألم يروا الى الطير مسخرات) أى ألم ينظروا اليها حال كونها مدلالا للطيران بما خلق الله
لها من الأجنحة وسائر الاسباب المواتية لذلك كرقعة قوام الهواء والهوامها بسط الجناح
وقبضه كما يفعل السابح في الماء (في جوار السماء) أى في الهواء المتباعد من الارض في
سمت العلو واضافته الى السماء لسكونه في جانبها قال كعب ان الطير ترتفع في الجوائن
عشر ميلا ولا ترتفع فوق ذلك (ما يسكنهن) في قبضهن وبسطهن ويرتفعن في الجوّ
(الا الله) سبحانه بقدرته الباهرة فان ثقل أجسامها ورقعة قوام الهواء فيقتضيان سقوطها
لانها تتعلق بشئ من فوقها ولا اعتمدت على شئ تحتها (ان في ذلك) التسخير على تلك
الصفة (لايات) ظاهرة تدل على وحدانية الله سبحانه وقدرته الباهرة (لقوم يؤمنون)
بالله سبحانه وبما جاءت به رسوله من الشرائع التي شرعها (والله جعل) أى صير أو
خلق (لكم من بيوتكم) التي هي من الحجر والمدور وغيرهما ومن ابتدائية (سكنا)
مصدر يوصف به الواحد والجمع واليه ذهب ابن عطية ومنعه الشيخ ولم يذ كر وجه المنع
وهو بمعنى مسكون أى تسكنون فيها وتهدأ جوارحكم من الحركة وهذا من جملة تعديد
الله نعمه على الانسان فان الله سبحانه لو شاء خلق العبد مضطربا دائما كالافلاك ولو شاء
خلقه ساكنا أبدا كالارض (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) لما ذكر سبحانه
بيوت المدن وهي التي للاقامة الطويلة عقبها يذ كر بيوت البادية والرحلة وهي الانطاع
والأدم جعلها بيوتا كالخيام والقباب والأخيشية والقساطيط قال مجاهد وهي خيام
العرب وقيل ذلك في بعض الناس كالسودان فانهم يتخذون خيامهم من الجلود ويجوز
ان يتناول المتخذ من الصوف والوبر والشعر فانها من حيث انها ثابتة على جلودها يصدق
عليها انها من جلودها (تستخفونها) أى يخف عليكم حلها في الأسفار وغيرها ولهذا
قال (يوم ظعنكم) أى في يوم سيركم ورحيلكم في أسفاركم والظعن بفتح العين وسكونها
وهما الغتان قرى بهما كالتنير والتنير وهو سير أهل البادية للتباعد والتحول من موضع الى
موضع والظعن الهودج أيضا قال ابن عباس بعض بيوت السامرة بناية في ساعة (ويوم

براذين من ياقوت ابيض منقوخ فيها الروح تجنبها الولدان المخلدون سيد كل وليد منهم حكمة بردون من تلك البراذين ولجها وأمتها
من فضة بيضاء منظومة بالدر والياقوت سروجها سمر موضونة مفروشة بالسندس والاستبرق فانطلقت بهم تلك البراذين ترف بهم
يبطن رياض الجنة فلما انتهوا الى منازلهم وجدوا الملائكة قعودا على منابر من نور ينتظرونهم ليزورهم وبصاخونهم ويهنئونهم
كرامة ربهم فلما دخلوا قصورهم وجدوا فيها جميع ما تناول به عليهم وما سألو او تمنوا واذا على باب كل قصر من تلك القصور أربعة
جنان جنسان ذواتا اذان وجنسان مدهامتان وفيهما عينان نضاختان وفيهما من كل فاكهة زوجان وحور مقصورات في الخيام
(٢) قوله يعرض وجوهها غلظ القبة الخ كذا في النسخ وحرره اه (٣) وقوله منزله بالمرز كذا في النسخ ولعله محرف وحرره اه

فلما تبينوا منازلهم واستقرت أوقارهم قال لهم ربهم هل وجدتم ما وعدناكم حقا قالوا نعم وبنما قال هل رضيتم ثواب ربكم قالوا
ربنا رضينا فأرض عنا قال رضاي عنكم حلتم داري ونظرتم الى وجهي وصاغتكم ملائكتي فهنيئا هنيئا لكم عطاء غير مجدوذ
ليس فيه تنغيص ولا قصر يدفعند ذلك قالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وأدخلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا
يمسنا فيها الغوب ان ربنا الغفور شكور وهذا سماع غريب وأثر عجيب ولبعضه شواهد في الصحيحين ان الله تعالى يقول لذلك
الرجل الذي يكون آخر أهل الجنة دخولا الجنة (٢٦٢) تمن قيمتي حتى اذا انتهت به الاماني يقول الله تعالى عن من كذا وتمن

من كذا يذكرة ثم يقول ذلك لك
وعشرة أمثاله وفي صحيح مسلم عن
أبي ذر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن الله عز وجل
يا عبادي لو ان أولكم وآخركم
وانسكم وجنكم قاموا في صعيد
واحد فسألوني فأعطيت كل انسان
منهم مسأله ما نقص ذلك من
ملكى شيئا الا كما ينقص المحيط اذا
ادخل في البحر الحديث بطوله وقال
خالد بن معدان ان في الجنة شجرة
يقال لها طوى لها شروع كلها
ترضع صبيان أهل الجنة وان سقط
المرأة يكون في نهر من أنهار الجنة
يتقلب فيه حتى تقوم القيامة
فبعث ابن أربعين سنة رواه ابن
أبي حاتم (كذلك أرسلناك
في أمة قد دخلت من قبلها أمة لتتلو
عليهم الذي أوحينا اليك وهم
يكفرون بالرحن قل هو ربي لا اله
الا هو عليه توكلت واليه متاب)
يقول تعالى وكما أرسلناك يا محمد في
هذه الامه لتتلو عليهم الذي أوحينا
اليك أي تبلغهم رسالات الله اليهم
كذلك أرسلنا في الامم الماضية
الكافر قباله وقد كذب الرسل من

اقامتكم) أي حضركم والمعنى لا ينقل عليكم حملها في الحالين (و) جعل لكم (من
أصوافها وأوبارها وأشعارها) والانعام تم الابل والبقر والغنم كما تقدم والاصواف للغنم
والاوبار للابل والشعار للبعوضة وهي من جملة الغنم فيكون ذكر هذه الثلاثة على وجه
التنويد كل واحد منهم مال واحد من الثلاثة أعنى الابل ونوعى الغنم ولم يذكر القطن
والكنا لانهم المالم يكونوا بلاد العرب (اثانا) هو متاع البيت وأصله الكثرة والاجتماع
ومنه شعرا ثبت أي كثير مجتمع يقال اث أي كثر وتكاتف وقيل للمال اثنان اذا كثر قال
الخليل اثنانا أي منضما بعضه الى بعض من أث اذا كثر قال الفراء لا واحد له (ومتاعا)
هو ما يتتبع به بأواع المتع قال الخليل الاثا والمتاع واحد وجمع بينهما الاختلاف
لفظهما وعلى قول أبي زيد الانصاري ان الاثا المال أجمع الابل والغنم والعييد والمتاع
يكون عطف المتاع على الاثا من عطف الخاص على العام وقيل ان الاثا ما يكتبسى
به الانسان ويستعمله من الغطاء والوطاء والمتاع ما يفرش في المنازل من الفرش والاكسية
ويتزين به ومعنى (الى حين) الى ان تقضوا وأوطاركم منه أو الى ان يئلى ويفنى والى الموت
أو الى القيامة ثم لما كان الانسان قد لا يكون له خيام أو أبنية يستظل بها الفقرا ولعراض
آخر فيحتاج الى ان يستظل بشجر أو وجدار أو غمام أو نحو ذلك نبه سبحانه على ذلك فقال
(والله جعل لكم مما خلق ظلالا) أي أشياء تستظلون بها من شدة الحر والبرد كالاشياء
المدكورة وهي ظلال الابنية والجدران والاشجار والحاصل ان الظلال نعم الاشياء
التي تظل ثم لما كان المسافر قد يحتاج الى كن يأوى اليه في نزوله والى ما يدفع به عن نفسه
آفات الحر والبرد نبه سبحانه على ذلك فقال (وجعل لكم من الجبال أكنانا) جمع كن
وهو ما يستكن به من المطر وشدة الحر والبرد وفي المختار الكن السترة والجمع أكنان
والاكنة الاعطية وقال الكسائي كن الشيء ستره وبابه رد وفي القاموس الكن بالكسر
وقاء كل شئ وستره كالكنة والكنان بكسرهما والكن البيت جمعا كنان وأكنة وكنه كنان
وكنونا وأكنه وكنهه واكنهه ستره واستكن استتر كما كتن والكنة جناح يخرج من
حائط أو سقيفة فوق باب الدار وظله هنالك أو مخدع انتهى وهي هنا الغيران والاسراب
في الجبال ونحوها جعلها الله سبحانه عدة للخلق يأوون اليها ويحصنون بها ويعتزلون عن
الخلق فيها لان الانسان غنى أو فقير فالغنى يستحب معه الخيام في سفره ليسكن فيها واليه

قبلت فلما تبينوا منازلهم واستقرت أوقارهم قال لهم ربهم هل وجدتم ما وعدناكم حقا قالوا نعم وبنما قال هل رضيتم ثواب ربكم قالوا

ربنا رضينا فأرض عنا قال رضاي عنكم حلتم داري ونظرتم الى وجهي وصاغتكم ملائكتي فهنيئا هنيئا لكم عطاء غير مجدوذ
ليس فيه تنغيص ولا قصر يدفعند ذلك قالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وأدخلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا
يمسنا فيها الغوب ان ربنا الغفور شكور وهذا سماع غريب وأثر عجيب ولبعضه شواهد في الصحيحين ان الله تعالى يقول لذلك
الرجل الذي يكون آخر أهل الجنة دخولا الجنة (٢٦٢) تمن قيمتي حتى اذا انتهت به الاماني يقول الله تعالى عن من كذا وتمن
من كذا يذكرة ثم يقول ذلك لك
وعشرة أمثاله وفي صحيح مسلم عن
أبي ذر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن الله عز وجل
يا عبادي لو ان أولكم وآخركم
وانسكم وجنكم قاموا في صعيد
واحد فسألوني فأعطيت كل انسان
منهم مسأله ما نقص ذلك من
ملكى شيئا الا كما ينقص المحيط اذا
ادخل في البحر الحديث بطوله وقال
خالد بن معدان ان في الجنة شجرة
يقال لها طوى لها شروع كلها
ترضع صبيان أهل الجنة وان سقط
المرأة يكون في نهر من أنهار الجنة
يتقلب فيه حتى تقوم القيامة
فبعث ابن أربعين سنة رواه ابن
أبي حاتم (كذلك أرسلناك
في أمة قد دخلت من قبلها أمة لتتلو
عليهم الذي أوحينا اليك وهم
يكفرون بالرحن قل هو ربي لا اله
الا هو عليه توكلت واليه متاب)
يقول تعالى وكما أرسلناك يا محمد في
هذه الامه لتتلو عليهم الذي أوحينا
اليك أي تبلغهم رسالات الله اليهم
كذلك أرسلنا في الامم الماضية
الكافر قباله وقد كذب الرسل من
قبلت فلما تبينوا منازلهم واستقرت أوقارهم قال لهم ربهم هل وجدتم ما وعدناكم حقا قالوا نعم وبنما قال هل رضيتم ثواب ربكم قالوا
ربنا رضينا فأرض عنا قال رضاي عنكم حلتم داري ونظرتم الى وجهي وصاغتكم ملائكتي فهنيئا هنيئا لكم عطاء غير مجدوذ
ليس فيه تنغيص ولا قصر يدفعند ذلك قالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وأدخلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا
يمسنا فيها الغوب ان ربنا الغفور شكور وهذا سماع غريب وأثر عجيب ولبعضه شواهد في الصحيحين ان الله تعالى يقول لذلك
الرجل الذي يكون آخر أهل الجنة دخولا الجنة (٢٦٢) تمن قيمتي حتى اذا انتهت به الاماني يقول الله تعالى عن من كذا وتمن

قاله قتادة والحديث في صحيح البخاري وقد قال الله تعالى قل ادعوا الله اذعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن قل هو ربي لا اله الا هو اى هذا الذى تكفرون به عليه توكت في جميع اموري واليه متاب اى اليه ارجع وانيب فانه لا يستحق ذلك احد سواه (ولان قرآن ناسيرت به الجبال وقطعت به الارض او كرمه الموتى بل لله الامر جميعا فلم يياس الذى آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او (٢٦٣) تحل قرييما من دارهم حتى يأتى وعد الله ان الله

لا يخلف الميعاد) يقول تعالى مادحا للقرآن الذى أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم ومنفصلا له على سائر الكتب المنزلة قبله ولو ان قرآن ناسيرت به الجبال اى لو كان في الكتب الماضية كتاب تسير به الجبال عن اماكنها وتقطع به الارض وتنشق أو تكلم به الموتى في قبورها لكان هذا القرآن هو المتصف بذلك دون غيره أو بطريق الاولى ان يكون كذلك لما فيه من الاعجاز الذى لا يستطيع الانسان والجن عن آخرهم اذا اجتمعوا ان يأتوا بمثله ولا بسورة من مثله ومع هذا فهو لاء المشركون كفرون به جاحدون له فله الامر جميعا اى مرجع الامور كلها الى الله عز وجل ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ومن يضل الله فلا هادى له ومن يهد الله فما له من مضل وقد يطلق اسم القرآن على كل من الكتب المتقدمة لانه مشتق من الجمع قال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

الاشارة في الاية المتقدمة والفقر يسكن في ظلال الاشجار والحيطان والكهوف والى هذا الاشارة في هذه الاية وكانت بلاد العرب شديدة الحرارة وحاجتهم الى الظلال وما يدفع شدة الحر وقوته أكثر فلهذا السبب ذكر الله هذه المعاني في معرض الامتنان عليهم بها لان النعمة عليهم فيها ظاهرة (وجعل لكم سراييل) جمع سرايل وهى القمصان والنباب من الصوف والقطن والسكان وغيرها قال الزجاج كل ما لبسته فهو سرايل (تقاكم الحر) اى تدفع عنكم ضررا الحر والبرد وهو ما عليه أكثر المفسرين من انه من حذف المعطوف للعلم به قال الشهاب في الرحمة في الاية نكتة لطيفة لم ينفوا عليها وهو انه انما اقتصر على الحر لانه أهم هنا لما عرف من غلبة الحر على ديار العرب ثم ان ما بقى الحر يحصل به برودة في الهواء في الجبله فوقاية الحر انما هى لتحصيل البرد وهذا فيه من اللطف ما هو اللطف من التسميم فلهذا التميزيل فكتم فيه من أسرار لاتناهى انتهى ونظيره بيدك الخير اى والشرا لان الخير مطلوب العباد من ربهم دون الشر أو لتقدم وقاية البرد في قوله لكم فيها فاء (وسراييل تقمكم بأسكم) وهى الدروع والجواشن وسائر ما يلبس في الحرب من السلاح تتقون بها الطعن والضرب والرمي والمعنى انها تقمكم البأس الذى يصل من بعضكم الى بعض في الحرب (كذلك) الاتمام البالغ (بعم نعمته عليكم) فانه سبحانه قد من على عباده بصنوف النعم المذكورة هنا وبغيرها وهو بفضلها واحسانه سيتم نعمة الدين والدنيا (لعلكم تسلمون) اى ارادة ان تسلموا فان من أمعن النظر في هذه النعم لم يسعه الا الاسلام والالتقياد للحق وقرأ ابن عباس وعكرمة من السلامة من الجراح وقرأ الباقون من الاسلام قال أبو عبيد والاختيار قرارة العامة لان ما أنعم الله به علينا من الاسلام أفضل مما أنعم به من السلامة من الجراح وقيل الخطاب لاهل مكة اى لعلكم يا اهل مكة تخلصون لله الربوبية والجل على العموم أولى وأفرد النعمة هنا لان المراد بها المصدر (فان تولوا) اى أعرضوا عن الاسلام ولم يقبلوا ما جئت به فقد تمهد عدرك وفيه التفات وجواب الشرط محذوف اى فلا لوم عليك وهذا تسلية له صلى الله عليه وآله وسلم والتعبير بالتولى اشارة الى ان الاصل فطرة الاسلام وخلافها عارض متجدد والمعنى ان داموا على التولى لظهور توابعهم (فانما عليك البلاغ) لما أرسلت به اليهم وقد فعلت ذلك بهم (المبين) اى الواضح وليس عليك غير ذلك وصرف

خفف على دواد القرآن فكان يأمر بدابته ان تسرح فكان يقرأ القرآن من قبل ان تسرح دابته وكان لا يأتى كل الامن عمل يديه انقر دباخر اجسه البخارى والمراد بالقرآن هو لزبور قوله أفلم يياس الذين آمنوا اى من ايمان جميع الخلق ويعلموا أو يتبينوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فانه ليس ثم حجة ولا معجزة أبلغ ولا أنجع في العقول والنفوس من هذا القرآن الذى لو أنزله الله على جبل لرأيت حاشية تصدعها من خشية الله وثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من نبي الا وقد أتى ما آمن على مثله البشر وانما كان الذين أتيتهم وحيا أو وحاه الله الى فارحوا ان يكون أكثرهم تابعا يوم القيامة معناه ان معجزة كل نبي انقرضت

بوتة وهذا القرآن حجة باقية على الابد لا تنقضي عما بسبه ولا يخلق عن كثرة الرد ولا يشبع منه العلماء هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله وقال ابن حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا منجاب بن الحرث أنبا بن بشر ابن عمارة حدثنا عمر بن حسان عن عظمة العوفي قال قلت له ولوان قرأتنا سرت به الجبال الآية قالوا الحمد صلى الله عليه وسلم لو سيرت لنا جبال مكة حتى تنسع فتحترث فيها أو قطعت لنا الارض كما كان سليمان يقطع لقومه بالريح أو أحييت لنا الموتى كما كان عيسى يحيى الموتى لقومه فانزل الله هذه الآية قال قلت هل (٢٦٤) تروون هذا الحديث عن أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

الخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسليمة له وهذا قبل الامر بالقتال فتسكون الآية منسوخة بالحكم وهو لا يظهر الا لو قدر جواب الشرط فأعرض عنهم ولا نقا لهم مع ان أكثر المفسرين قدروه بقولهم فلا عتب عليك ولا مواخذة في عدم ايمانهم لانك بلغت ما أمرت بتبليغه وهذا يتهم من الله لا اليك وهذا لا ينافي ان يكون مأمورا بقتالهم ثم استأنف لبيان توليهم فقال (يعرفون نعمة الله) التي عددها في هذه السورة ويعترفون بانهم من عند الله سبحانه (ثم ينكرونها) بما يقع عنهم من أفعالهم القبيحة من عبادة غير الله وبأقوالهم الباطلة حيث يقولون هي من الله ولكنها بشفاععة الاصنام وحيث يقولون انهم ورثوا تلك النعم من آباءهم وأيضا لكونهم لا يستعملون هذه النعم في حراسة الرب سبحانه وفي جوه الخير التي أمرهم الله بصرفها فيها وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يعرفونه صلى الله عليه وآله وسلم ثم ينكرون نبوته وقيل هي الاسلام وحيث يتم للدلالة على ان انكارهم أمر مستبعد بعد حصول المعرفة لأن من عرف النعمة حقه ان يعترف لان ينكر (وأكثرهم الكافرون) بالله أو الجاحدون نعم الله وعبرنا بالآية الكثر عن الكل لانه قديذ كرا لا كثر ويراد به الجميع واليه أشار في التقرير أو أراد بالآية الكثر العقلاء دون الاطفال ونحوهم أو أراد كفرا بخود ولم يكن كفر كلهم كذلك بل كان كفر بعضهم كفر جهل وكفر بعضهم بسبب تكذيب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع اعترافهم بالله وعدم الخذل بويته ومثله هذه الآية قوله تعالى وحسدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ولما بين سبحانه من حال هؤلاء انهم عرفوا نعمة الله ثم أنكروها وان أكثرهم كفرون اتبعه بأصناف وعيد يوم القيامة فقال (و) اذ كر (يوم نبعث) أي نحى ونخرج (من كل امة شهيدا) أو المعنى يوم نبعث وقعو افيما وقعو افيه وشهد كل امة نبيها يشهد لهم بالايمان والتصديق وعليهم بالكفر والنجود والتكذيب قال ابن عباس ش شهدنا نبيها على انه قد بلغ رسالات ربه قال الله وجئناك على هؤلاء شهيدا قال ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم كان اذا قرأ هذه الآية فاضت عيناه وذلك اليوم هو يوم القيامة (ثم لا يؤذن للذين كفروا) في الاعتذار اذ لا حجة لهم - ولا عذر كقوله سبحانه ولا يؤذن لهم فيعتذرون أو في كثرة الكلام أو في الرجوع الى دار الدنيا والى التكليف أو في حالة شهادة الشهود بل يسكت أهل الجمع

قال نعم عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم وكذا روى عن ابن عباس والشعبي وقتادة والثوري وغير واحد في سبب نزول هذه الآية والله أعلم وقال قتادة لو فعل هذا بقرآن غير قرآنكم لتعمل بقسرا نكم وقوله بل لله الامر جميعا أي لا يصنع من ذلك الا ماشاء ولم يكن ليفعل بسنده عنه قاله ابن عباس وقاله ابن جرير أيضا وقال غير واحد من السلف في قوله أفلم يأس الذين آمنوا أفلم يعلم الذين آمنوا وقرأ آخرون أفلم يبين الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا وقال أبو العالية قد يئس الذين آمنوا ان يهدوا ولو يشاء الله لهدى الناس جميعا وقوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو يتحلق قريمان دارهم أي بسبب تكذيبهم لا تزال القوارع تصيبهم في الدنيا وتصيب من حوالمهم ليعظوا ويعتبروا كما قال تعالى ولقد آهلكم ما حاولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون وقال أفلم يروا ان اتأتى الارض تنقصها من أطرأها فهم الغالبون

قال قتادة عن الحسن أو تحلق قريمان دارهم أي القارعة وهذا هو الظاهر من السياق وقال أبو داود الطيالسي كاهم حدثنا المسعودي عن قتادة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس في قوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة قال سرية أو تحلق قريمان دارهم قال محمد صلى الله عليه وسلم حتى يأتي وعد الله قال فتح مكة وهكذا قال عكرمة وسعيد بن جبيرة ومجاهد في رواية وقال العوفي عن ابن عباس تصيبهم بما صنعوا قارعة قال عذاب من السماء تنزل عليهم أو تحلق قريمان دارهم يعني نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وقتاله اياهم وكذا قال مجاهد وقتادة وقال عكرمة في رواية عنه عن ابن عباس قارعة أي نكبة

وكلهم قال حتى يأتي وعد الله يعني فتح مكة وقال الحسن المصري حتى يأتي وعد الله يوم القيامة وقوله ان الله لا يخلف الميعاد أي لا ينقض وعده لم يزل بالضرورة عليهم ولا تساعدهم في الدنيا والآخرة ولا تحسن الله مخلف وعده رساله ان الله عزيز ذو انتقام (ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكذب كان عقاب) يقول تعالى مسلياً لرسوله صلى الله عليه وسلم في تكذيب من كذبه من قومه ولقد استهزئ برسل من قبلك أي فلما فهم أسوة فامليت للذين كفروا أي أنظرتهم وأجلتهم ثم أخذتهم أخذة رابية فكيف بلغنا ما صنعت بهم وعاقبتهم كقوله تعالى وكان من قرية (٢٦٥) أمليت لها وهي ظالمة الآية وفي الصحيحين ان الله

ليلي للظالم حتى اذا أخذهم لم يقله ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذهم ليم شديد (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلها لله شركاء قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم في الارض أم ينظرون القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضل الله فماله من هاد) يقول تعالى أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت أي حفيظ عليهم رقيب على كل نفس منقوسة يعلم ما يعمل العاملون من خير وشر ولا يخفى عليه خافية وما تكون في شأن وما تتلون منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تقيضون فيه وقال تعالى وما تسقط من ورقة الا يعلمها وقال وما لمن دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين وقال سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسار بالنهار وقال يعلم السر وأخفى وقال وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير أفمن هو كذلك كالاصنام التي

كلهم ليس شهد الشهود أو لا يؤذن لهم في معارضة الشهود بالقاء معذرة أو ادلاء بحجة بل يشهدون عليهم ويقرونهم على ذلك ويراد أنهم بالدلالة على ان ابتلاءهم بالمنع عن الاعتذار المنبئ عن الاقنات الكلبي أشهد من ابتلائهم بشهادة الانبياء (ولاهم يستعقبون) أي لا يطلب منهم العتبي أي الرجوع الى ما يرضى الله من العبادات لان العتاب انما يطلب لاجل العود الى الرضاء فاذا كان على عزم السمخظ فلا فائدة في العتاب والمعنى انهم لا يسترضون أي لا يكفون ان يرضوا بهم لان الآخرة ليست بدار عمل ولا تكيف ولا يتركون الى رجوع الدينافيتوبون وأصل الكامة من العتب وهو الموجدة يقال عتب عليه اذا وجد عليه وبابه ضرب ونصر فاذا أفاض عليه ما عاتب فيه عليه قيل عاتبه فاذا رجع الى مسرته قيل أعتبه والاسم العتبي وهو رجوع المعتوب عليه الى ما يرضى العاتب قاله الهروي فالاستعتاب التعرض لطلب الرضاء وهذا باب منسب على الكفار في الآخرة وفي الخطيب أي لا تزال عتابهم وهي ما يعتبون عليها ويلامون يقال استعبت فلانا أي أزات عتابه انتهى واستفعل بمعنى أفعل غير مستنكر قال الخليل العتاب مخاطبة الادلال ومذاكرة الموجدة وعاتبه معاتبته وعتابا وأعتبه سره بعد ماساء واستعبت وأعتب بمعنى واستعبت أيضا طلب ان يعتب أي استرضاه فارضاه (واذ أراي) أي أبصر (الذين ظلموا) أي أشركوا وكفروا (العذاب) الذي يستحقونه بشرهم وهو عذاب جهنم (فلا يخفف) ذلك العذاب (عنهم ولا هم ينظرون) أي لا يملكون ولا يؤخرون ليشربوا الا لثوبة هنالك (واذ أراي الذين أشركوا) يوم القيامة (شركاءهم) مفعول به والاضافة لادنى ملايسة باعتبار ادعائهم شركاء لله أي أصنامهم وأوثانهم التي عبدوها في الدنيا لما تقرر من انهم يعنون مع المشركين يقال لهم من كان يعبد شيئا فليتبعه كما ثبت في الصحيح من قوله صلى الله عليه وآله وسلم (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو) أي نعبدهم ونستخدهم آلهة (من دونك) ونطيعهم ولعلمهم قالوا ذلك طمعا في توزيع العذاب بينهم قال أبو مسلم الاصفهاني مقصود المشركين بهذا القول احالة الذنب على تلك الاصنام لتعلا بذلك واسترواحا مع كونهم يعلمون ان العذاب واقع بهم لاحالة ولكن الغريق يتعلق بكل ما تقع يده عليه (فالقوا اليهم) أي ألقى أولئك الشركاء من الاصنام والوثان والشياطين ونحوهم الى المشركين

(٣٤ فتح البيان خامس) يعبدونها الا لسمع ولا تبصر ولا تعقل ولا تملك نفعا لانفسها ولا لعابدينها ولا كشف ضرعها ولا عن عابدينها وحذف هذا الجواب اكتفاء بدلالة السياق عليه وهو قوله وجعلوا لله شركاء أي عبدواهم معه من اصنام وأنداد وأوثان قل سموهم أي أعلمونا بهم واكشفوا عنهم حتى يعرفوا فانهم لا حقيقة لهم ولهذا قال أم تنبئونه بما لا يعلم في الارض أي لا وجود له لانه لو كان لها وجود في الارض لعلمها لانه لا يخفى عليه خافية أم ينظرون القول قال مجاهد بن من القول وقال الضحالك وقتادة يباطل من القول أي انما عبدتم هذه الاصنام بنظن منكم انها تنفع وتضر وسميتوا آلهة ان هي الأسماء سميتوها أنتم

وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ بِلِزْنٍ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَا كُرِهُوا
قَالَ مجاهد قَوْلُهُمْ أَيُّ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الضَّلَالِ وَالِدَعْوَةُ إِلَيْهِ آتَاءُ الدَّلِيلِ وَأَطْرَافُ النَّهَارِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَقَبَضْنَا لَهُمْ قُرْآنَهُمْ فَنُزِّلْنَا بِهِ
وَصَدُوا عَنِ السَّبِيلِ مَنْ قَرَأَهَا بَفَتْحِ الصَّادِ مَعْنَاهُ أَنْهَ لِمَا زَيْنَ لَهُمْ مَا هُمْ فِيهِ وَهِيَ حَقٌّ دَعَا إِلَيْهِ وَصَدُوا النَّاسَ عَنِ اتِّبَاعِ طَرِيقِ حَقِّ الرِّسَالِ
وَمَنْ قَرَأَهَا بِضَمِّ أَيْ بِمَازِينَ لَهُمْ مِنْ صِحَّةِ مَا هُمْ عَلَيْهِ صَدُوا بِهِ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَهَذَا قَالَ وَمَنْ يَضَلَّ اللَّهُ فَكَيْفَ هُوَ مِنْ هَادِكُمْ قَالَ وَمَنْ يرد الله
فَتَنَّتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقَالَ إِنْ تَحْرَصَ (٢٦٦) عَلَىٰ هِدَايَتِهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يَضَلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (لَهُمْ عَذَابٌ

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ مِثْلَ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كَمَا هَدَانَاكُمْ وَظَلَمْنَا تِلْكَ عَقَبِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعَقَبِي الْكُفَّارِينَ النَّارِ) ذَكَرَ تَعَالَى عِقَابَ الْكُفَّارِ وَثَوَابَ الْإِبْرَارِ فَقَالَ بَعْدَ إِخْبَارِهِ عَنْ حَالِ الْمُشْرِكِينَ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أَيُّ بَأْسٍ لِلْمُؤْمِنِينَ قِتْلًا وَأَبْرًا وَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَيُّ الْمَذْخَرِ مَعَ هَذَا الْخِزْيِ فِي الدُّنْيَا أَشَقُّ أَيُّ مِنْ هَذَا بَكْثِيرٍ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمُتَلَاعِنِينَ إِنْ عَذَابُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ وَهُوَ كَمَا قَالَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ فَإِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا نَقْضًا وَذَلِكَ دَائِمٌ أَبَدًا فِي نَارِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى هَذِهِ سَبْعُونَ ضِعْفًا وَوَثَاقٌ لَا يَتَوَصَّرُ كَوْنًا قَتْلًا وَشِدَّةً كَمَا قَالَ تَعَالَى فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ وَقَالَ تَعَالَى وَأَعْتَدْنَا لِلْجَنَّةِ كَذِبًا بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُواهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا وَإِذَا أَلْقَوْا مِنْهَا مَكَانًا بِنَاصِيحَاتِهِمْ دَعَا هُنَالِكَ

وَالْكَافِرِ (القول) وعن مجاهد قال حدثواهم وقالوا لهم (انكم) ايها المشركون (لكاذبون) فيما تزعمون من احالة الذنب علينا الذي هو مقصودكم من هذا القول اوفى تسميتنا آلهة وما دعوناكم الى عبادتنا بل عبدتم آلهواكم كما قيل ان المشركين اشاروا الى الاصنام ونحوها ان هؤلاء مشركون اذ كانوا صادقين في ذلك فكيف كذبتم الاصنام ونحوها فالجواب بان مرادهم من قولهم هؤلاء مشركون كانوا هؤلاء مشركاء الله في العبودية فكذبتم الاصنام في دعوى هذه الشركة والاصنام والاوثان وان كانت لا تقدر على النطق فان الله سبحانه ينطقها في تلك الحال لتجيب المشركين وتوبيخهم وهذا كما قالت الملائكة بل كانوا يعبدون الجن يعنون ان الجن هم الذين كانوا راغبين بعبادتهم لهم قال الكرخي ان المثبت لهم هذا النطق بتكذيب المشركين في دعوى عبادتهم لها والمتني عنهم في الكهف النطق بالاجابة الى الشفاعة لهم ودفع العذاب عنهم فلاتناني (وألقوا الى الله يومئذ السلم) اي ألقى المشركون يوم القيامة الاستسلام والانقياد لعذاب الله والخضوع لعزته ووبه قال ابن جريج وعن قتادة نحوه وقيل المعنى استسلم العابدوا المعبودوا وناقداوا لحكمه فيهم لكن الانقياد في هذا اليوم لا ينفعهم لا تقطاع التكليف فيه (وضل عنهم ما كانوا يفترون) اي ضاع وبطل وزال ما افتروا من ان الله سبحانه مشركاء وما كانوا يزعمون من شفاعتهم لهم وان عبادتهم لهم تقربهم الى الله سبحانه (الذين كفروا) في انفسهم (وصدوا) غيرهم (عن سبيل الله) اي عن طريق الحق وهي طريق الاسلام والايان بان منعواهم من سلوكها وجعلوهم على الكفر وقيل المراد به الصد عن المسجد الحرام والعموم اولى (زدناهم عذابا) لاجل الاضلال غيرهم (فوق العذاب) الذي استحقوه لاجل ضلالهم وقيل المعنى زدنا القادة عذابا فوق عذاب اتباعهم اي أشد منه وقيل ان هذه الزيادة هي اخراجهم من حر النار الى برد الزمهرير وغير ذلك وعن ابن مسعود قال زيدوا عقاب لها اتياب كالنخل الطوال ينشونهم في جهنم وروى مثله عن البراء من فوعا أخرجه الخطيب وغيره وقال سعيد بن جبيرة حياض كالبخث وعقارب أمثال البغال تلسع احداهن اللسعة فيجد صاحبها ألمها أربعين خريفا وعن ابن عباس قال خمسة أنهار من نار صها الله عليهم يعدون بعضها بالليل وبعضها بالنهار وقد روى ابن مردويه عن جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الزيادة خمسة أنهار تجري من تحت العرش على

ثبورا لا تدعو اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا قل ذلك خيرا أم جهنما الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء رؤس ومصيرها لهذا قرن هذا بقوله مثل الجنة التي وعد المتقون أي صفتها ونعمتها تجري من تحتها الأنهار أي سارحة في أرجائها وجوانبها وحيث شاء أهلها يفجرونها تفجير أي يصفونها كيف شاؤوا وأين شاؤوا كقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذيذ للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة الآية وقوله أكلها دائم وظلها أي فيها الفواكه والمطاعم والمشارب لا انقطاع ولا فناء وفي الصحيحين من حديث ابن عباس في صلاة الكسوف وفيه

قالوا يا رسول الله رأيناك تناوت شياقي مقامك هذا ثم رأيناك تكلمت فقال اني رأيت الجنة أو رأيت الجنة فتناوت منها عنقودا
ولو أخذته لا كاتم منه ما بقيت الدنيا وقال الحافظ أبو نعيم حدثنا أبو خزيمة حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا عبد الله حدثنا أبو
عقيل عن جابر قال بينما نحن في صلاة الظهر اذ تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدمنا ثم تناول شيئا لياخذ ثم تأخر فلما قضى
الصلاة قال له أبي بن كعب يا رسول الله صنعت اليوم في الصلاة شيئا ما رأيناك كنت تصنعه فقال اني عرضت على الجنة وما فيها من
الزهرة والنضرة فتناوت منها قطفان من عنب لا يتكلم به وحيل بيني وبينه (٢٦٧) ولو أتيتكم به لا كل منه من بين السماء

والارض لا يتقصونه وروى مسلم من
حديث ابي الزبير عن جابر شاهد
البعضه وعن عتبة بن عبد السلمي
ان اعرابيا سأل النبي صلى الله عليه
وسلم عن الجنة فقال فيها عنب قال
نعم قال فما عظم العنقود قال مسيرة
شهر للغراب الابقع ولا يقتر رواه
الامام أحمد وقال الطبراني حدثنا
معاذ بن المشي حدثنا علي بن المديني
حدثنا ربحان بن سعيد عن عبادة
ابن منصور عن أيوب عن أبي قلابه
عن أبي أسماء عن ثوبان قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الرجل اذا نزع ثمره من الجنة عادت
مكانها أخرى وعن جابر بن عبد الله
قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يأكل أهل الجنة ويشربون
ولا يخطون ولا يتعوطون ولا يبولون
طعامهم جشاء كريح المسك
ويلهمون التسبيح والتفديس
كما يلهمون النفس رواه
مسلم وروى الامام أحمد والنسائي
من حديث الامش عن تمام بن
عقبة سمعت زيد بن أرقم قال جاء
رجل من أهل المكاب فقال يا أبا
القاسم تزعم ان أهل الجنة يأكلون

رؤس أهل النار ثلاثة أشهر على مقدار الليل ونهران على مقدار النهار فذلك قوله زدناهم
عذابا فوق العذاب (بما كانوا يفسدون) بصددهم الناس عن سبيل الله مع ما يستحقونه
من العذاب على الكفر (ويوم نبعث في كل أمة شهيدا) اي نبيا يشهد (عليهم من
أنفسهم) اي من جنسهم اتماما للحجة وقطعا للمدرة وهو عدل شاهد عليها وهذا تكرير
لما سبق لقصد التأكيد والتهديد وقال الخطيب كرسجانه التحذير من ذلك اليوم على
وجه يزيد على ما فهمته الآية السابقة وهوان الشهادة تقع على الامم لالههم وتكون
بمحضتهم (وجثمانك) يا محمد واشار لفظ الجحى على البعث لكل العناية بشأنه عليه
الصلاة والسلام وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع (شهيدا) تشهد (على هؤلاء)
اي على هذه الامم وقيل على أمك وقومك هكذا قال الجلال وسنده قوله سابقا ويوم نبعث
من كل أمة شهيدا الخ ومثله في البيضاوي وفي الشهاب عليه وقيل الآية مسوقة لشهادته
على الانبياء فتحل عن التكرار ورد بان المراد بشهادته على أمته تركبته وتعديله لهم وقد
شهدوا على تبليغ الانبياء وهذا لم يعلم مما مر وهو الوارد في الحديث وقد تقدم مثل هذا
في البقرة والنساء (وزن لنا عليك) في الدنيا (الكتاب) اي القرآن والجملة مستأنفة (بينانا
لكل شيء) اي بيننا له والتاء للمبالغة فالتيبان أخص من مطلق البيان على قاعدة ان زيادة
البناء تدل على زيادة المعنى ونظيره من المصادر التلقا ولم يأت غيرهما في الاسماء كثير نحو
التساح والتمثال ومثل هذه الآية قوله سبحانه ما فرطنا في الكتاب من شيء ومعنى كونه
تبيانا لكل شيء ان فيه البيان البليغ لكثير من الاحكام والاحالة فيما بقي منها على السنة
وأمرهم باتباع رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فيما يأتي به من الاحكام وطاعته كما في الآيات
القرآنية الدالة على ذلك وقد صرح عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال اني أوتيت القرآن
ومثله معه وعن ابن مسعود قال تبيانا لكل شيء ولكن علمنا يقصر عما بين لثاني القرآن وعنه
قال من أراد العلم فليثور القرآن فان فيه علم الاولين والآخرين قال الكرخي اما تبينه
في نفس الكتاب أو بإحاطته على السنة لقوله تعالى وما آتاناكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه
فانتهوا وإحاطته على الاجماع كما قال تعالى ويتبع غير سبيل المؤمنين الآية وعلى القياس
كما قال فاعتبروا بأولى الابصار والاعتبار النظر والاستدلال اللذان يحصل بهما القياس
فهذه أربعة طرق لا يخرج شيء من أحكام الشريعة عنها وكلاهما مذكورة في القرآن فكان

ويشربون قال نعم والذي نفس محمد بيده ان الرجل منهم ليعطى قوة مائة رجل في الاكل والشرب والجماع والشهوة قال ان الذي
يأكل ويشرب تكون له الحاجة وليس في الجنة أذى قال تكون حاجة أحدهم رشحا يفيض من جلودهم كرشح المسك فيمضه بطنه
رواه الامام أحمد والنسائي وقال الحسن بن عرفة حدثنا خلف بن خليفة عن حميد بن الاعرج عن عبيد الله بن الحرث عن عبد الله
ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتتنظر الى الطير في الجنة فيختر بين يديك مشويا وجاء في بعض
الاحاديث انه اذا فرغ منه عاد طائرا باذن الله تعالى وقد قال تعالى وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وقال ودانية عليهم

ظلالها وذللت قطفها تذيلا وكذلك ظلها لا يزول ولا يقلص كما قال تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلالا ظليلا وقد تقدم في الصحيحين من غير وجه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة اسير الراكب الجراد المضمر السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها ثم قرأ وظل مدود وكثيرا ما يقرب الله بين صفة الجنة وصفة النار لا يغيب في الجنة ويحذر من النار ولهذا المأذ كصفة الجنة بما ذكر قال بعده تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار كما قال تعالى لا يستوى أصحاب الجنة أصحاب النار (٢٦٨)

تبيانا لكل شئ فاندفع ما قيل كيف قال الله ذلك ونحن نجد كثيرا من أحكام الشريعة لم يعلم من القرآن ناصا كعدد ركعات الصلاة ومدة المسح والحيض ومقدار احد الشرب ونصاب السرقة وغير ذلك ومن ثم اختلفت الامم في كثير من الاحكام انتهى وفي هذا التقرير يبحث ونظر في محل فليراجع ذلك قال الشهاب على قول البيضاوي بالاحالة الى السنة والقياس وفيه تأمل انتهى وقد احتج بهذه الآية جمع من أهل العلم على منع التقليد (وهدي) للعباد من الضلالة (ورحة) لهم (وبشرى للمسلمين) خاصة دون غيرهم أو يكون الهدى والرحمة والبشرى خاصة لهم لانهم المستمعون بذلك ثم لما ذكر سبحانه ان في القرآن تبيان كل شئ ذكر عقبه آية جامعة لاصول التكليف كلها تصديقا لذلك فقال (ان الله يأمر) اي فيما نزله تبيانا لكل شئ وهدي وبشرى (بالعدل والاحسان) واثار صيغة الاستقبال فيه وفيما بعده لافادة التجدد والاستمرار وقد اختلف أهل العلم في تفسير العدل والاحسان فقيل العدل شهادة أن لا اله الا الله والاحسان أداء الفرائض وقيل العدل الفرض والاحسان النافلة وقيل العدل استواء العلانية والسرية والاحسان أن تكون السرية افضل من العلانية وقيل العدل التوحيد والاحسان التفضل وقيل العدل خلع الابداد والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه وقيل العدل التوحيد والاحسان الاخلاص وقيل العدل في الافعال والاحسان في الاقوال فلا يفعل الاما وعمل ولا يقول الاما وحسن وقيل غير ذلك مما لا حاجة الى ذكره والعدل هو المساواة في كل شئ من غير شطط ولا وكس والاولى تفسير العدل بالمعنى اللغوي وهو التوسط بين طرفي الافراط والتفريط بمعنى أمره سبحانه بالعدل أن تكون عبادة في الدين على حالة متوسطة ليست بآلة الى جانب الافراط وهو الغلو المذموم في الدين ولا الى جانب التفريط وهو الاخلاص بشئ مما هو من أمر الدين اعتقادا كالالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين محض الخبر والقدر وعمل كالتعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب وخطقا كالجود المتوسط بين الجحش والتبذير وأما الاحسان فمعناه اللغوي يرشد الى انه التفضل بما لم يجب كصدقة التطوع ومن الاحسان فعل ما يثاب عليه العبد مما لم يوجب الله عليه في العبادات وغيرها ولم يذكر متعلقات العدل والاحسان والبغى ليعم جميع ما يعدل فيه ويحسن به واليه وينبغي فيه

خطيب دمشق في بعض خطبه عباد الله هل جاءكم مخبر يخبركم ان شيئا من عبادتكم تقبلت منكم أو ان شيئا من خطاياكم غفرت لكم أغضبتم أم انا خلقناكم عبداً وانتمكم الينا لترجعون والله لوجع لكم الثواب في الدنيا لاستقلتم كلكم ما افترض عليكم أو ترغبون في طاعة الله لتعجيل دنياكم ولا تنافسون في الجنة كما هادتم الآية رواه ابن أبي حاتم (والذين آتينا هم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك ومن الاحزاب من ينكر بعضه قل انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به اليه ادعوه واليه مآب وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لآمن الله من ولي ولا واق) يقول تعالى والذين آتينا هم الكتاب وهم قائلون بمقتضاه يفرحون بما أنزل اليك أي من القرآن لما في كتبهم من الشواهد على صدقه والبشارة كما قال تعالى الذين آتينا هم الكتاب يتلونه حق تلاوته الآية وقال تعالى قل آمنوا به أو لا تؤمنوا الى قوله ان كان وعد ربنا لمفعولا أي ان كان

ما وعدنا الله به في كتبنا من ارسال محمد صلى الله عليه وسلم خقاً وصدقاً مفعولاً لا محالة وكأننا فسبحانه ما صدق وقد وعدناه له الحمد وحده ويحزون للاذقان يكونون يزيدهم خشوعاً وقوله ومن الاحزاب من ينكر بعضه أي ومن الطوائف من يكذب ببعض ما أنزل اليك وقال مجاهد ومن الاحزاب أي اليهود والنصارى من ينكر بعضه أي بعض ما جاءك من الحق وكذا قال قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهذا كما قال تعالى وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله الآية قل انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به أي انما بعثت بعبادة الله وحده لا شريك له كما أرسل الانبياء من قبلي اليه ادعوا الى سبيله ادعوا الناس اليه مآب

أى مرجعي ومصري وقوله وكذلك أنزلناه حكما عربيا أى وكما أرسلنا قبلك المرسلين وأنزلنا عليهم الكتب من السماء كذلك أنزلنا عليك القرآن محكما عربيا بشر فأنزلناه وفضلناك على من سواك بهذا الكتاب المبين الواضح الخلى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وقوله ولئن أتعت أهواءهم أى آراءهم بعد ما جاءك من العلم أى من الله سبحانه مالك من الله من ولى ولا واق وهذا وعيد لاهل العلم ان يتبعوا سبل اهل الضلالة بعد ما صاروا اليه من سلك السنة النبوية والمحنة المحمدية على من جاءها أفضل الصلاة والسلام (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا (٢٦٩) وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله

لكل أجل كتاب يمحوا الله ما يشاء
ويثبت وعنده أم الكتاب) يقول
تعالى وكما أرسلناك يا محمد برسولا
بشريا كذلك قد بعنا المرسلين قبلك
بشريا ككون الطعام ويمشون
في الاسواق ويأتون الزوجات
ويولد لهم وجعلنا لهم أزواجا وذرية
وقد قال تعالى لا شرف الرسل
وخاتمهم قل انما أنا بشر مثلكم
يوحى الى وفى الصحيحين ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال أما أنا
فأصوم وأفطر وأقوم وأنام وأكل
الحمم وأتزوج النساء فن رغب عن
سنتي فليس مني وقال الامام أحمد
حدثنا يزيد بن أنبأنا الحجاج بن أرطاة عن
مكحول قال قال ابى ايوب قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم أربع من سنن
المرسلين التعطر والنكاح والسؤال
والخناء وقد رواه ابو عيسى الترمذى
عن سفيان بن وكيع عن حفص
ابن غيثان عن الحجاج عن مكحول
عن ابى السمال عن ابى ايوب فذكره
ثم قال وهذا أصح من الحديث
الذى لم يذكر فيه ابى السمال وقوله
وما كان لرسول أن يأتي بآية الا
باذن الله أى لم يكن يأتي قومه بخارق
الا اذا اذن له فيه ليس ذلك اليه بل

وقد صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه فسر الاحسان بان يعبد الله العبد حتى كأنه
يراه فقال فى حديث ابن عمر فى الصحيحين والاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه
فانه يرأى وهذا هو المعنى بالاحسان شرعا (وايتاء ذى القربى) ما تدعو اليه حاجتهم وفى
الآية ارشاد الى صلة الأقارب والارحام وترغيب فى التصديق عليهم وهو من باب عطف
الخاص على العام ان كان اعطاء الأقارب قد دخل تحت العدل والاحسان وقيل من باب
عطف المندوب على الواجب ومثل هذه الآية قوله وآت ذا القربى حقه وانما خص ذوى
القربى لان حقهم أكدر فان الرحم قد اشتق الله اسمها من اسمه الشريف وجعل صلتها
من صلته وقطيعتها من قطيعته فيستحب أن يصلهم من فضل ما رزقه الله فان لم يكن له فضل
فدعا حسن وتودد (وينهى عن الفحشاء) هى الخصلة المتزايدة فى القبح من قول أو فعل
وقيل هى الزنا وقيل الخجل (والمنكر) وهو ما أنكره الشرع بالنهى عنه وهو يعم جميع
المعاصى على اختلاف أنواعها وقيل هو الشرك (والبغى) قيل هو الكبر وقيل هو الظلم
وقيل الخقد وقيل التعدى وحققة تمجوا والحد فيشمل هذه المذكورة ويندرج بجميع
أقسامه تحت المنكر وانما خص بالذ كراهتهما به لشدة ضرره وبال عاقبته وهو من الذنوب
التي ترجع على فاعلها قوله سبحانه انما بغىكم على أنفسكم وهذه الآية من الآيات الدالة
على وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وعن عبد الملك بن عمير ان هذه الآية لما
بلغت أكم بن صيفى حكيم العرب قال انى أراه يأمر بمكارم الاخلاق وينهى عن ملامتها
ثم قال لقومه كونوا فى هذه الامر رؤساء ولا تكونوا فيه اذنا ولا كونوا فيه اقولا ولا تكونوا
فيه آخرا وعن ابن عباس قال أعظم آية فى كتاب الله لا اله الا هو الحى القيوم وأجمع آية
فى كتاب الله للخير والشر انى فى النحل ان الله يأمر بالعدل والاحسان وأكثر آية فى كتاب
الله تفويضا ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وأشد آية فى كتاب الله
رجاء يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية وعن عكرمة ان
النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرأ على الوليد بن المغيرة هذه الآية فقال له يا ابن أخي أعد
على فاعادها عليه فقال له الوليد والله ان له الخلاوة وان علمه لطلاوة وان أعلاه لمثروان
أسنله لمعدق وما هو بقول البشر وعن الحسن انه قرأ هذه الآية الى آخرها ثم قال ان الله
عز وجل جمع لكم الخير كله والشركه فى آية واحدة فوالله ما ترك العدل والاحسان من

الى الله عز وجل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لكل أجل كتاب أى لكل مدم مضروبة كتاب مكتوب بها وكل شىء عنده بمقدار ألم تعلم
ان الله يعلم ما فى السماء والارض ان ذلك فى كتاب ان ذلك على الله يسير وكان الضحاك بن مزاحم يقول فى قوله لكل أجل
كتاب أى لكل كتاب أجل يعنى لكل كتاب أنزله من السماء مدم مضروبة عند الله ومقدار معين فلهذا يحو الله ما يشاء منها ويثبت
يعنى حتى نسخت كلها بالقرآن الذى أنزله الله عن رسوله صلوات الله وسلامه عليه وقوله يحو الله ما يشاء ويثبت
المفسرون فى ذلك فقال الثورى وو كيع وهشيم عن ابن أبى ليسى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس يدبر أمر

السنة فيمحو الله ما يشاء الا الشقاء والسعادة والحياة والموت وفي رواية يمحو الله ما يشاء ويثبت الموت والحياة والشقاء والسعادة فانهم ما قدر غم منهم ما وقال مجاهد يدعو الله ويثبت الاحياء والموت والشقاء والسعادة فانهم لا يتغيران وقال منصور سألت مجاهدا فقلت رأيت دعاء أحدنا يقول اللهم ان كان اسمي في السعداء فأنتبه فيهم وان كان في الأشقياء فأحجمه عنهم واجعله في السعداء فقال حسن ثم لقيت به بعد ذلك بجول أو أكثر فسألته عن ذلك فقال انما نزلناه في ليلة مباركة الآيتين قال يقضى في ليلة القدر ما يكون في السنة من رزق أو مصيبة (٢٧٠) ثم يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء فاما كتاب السعادة والشقاوة فهو

طاعة الله شياً الاجعه وأمر به ولا ترك النعشاء والمنسكرو البغي من معصية الله شياً الاجعه وزجر عنه وفي المستدرک عن ابن مسعود وهذه أجمع آية في القرآن للغير والشر قال البيضاوي وبسببها أسلم عثمان بن مظعون ولولم يكن في القرآن غير هذه الآية لصدق عليه انه تيمان لكل شئ وهدي ورجة ولعل ايرادها عقب قوله وزلنا عليك الكتاب للتسنية عليه ثم ختم سبحانه هذه الآية بقوله (يعظكم) بما ذكره في هذه الآية مما أمركم به ونهاكم عنه (لعلكم تذكرون) أي ارادة ان تذكروا ما ينبغي تذكركم به فتعظوا بما وعظكم الله به فانه كاف في باب الوعظ والتذكير (وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم) خص الله سبحانه الايقان من جملة المأمورات التي تضمنها قوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان وظاهره العموم في كل عهد يقع من الانسان من غير فرق بين عهد البيعة وغيره وخص هذا العهد المذكور في الآية بعض المفسرين بالعهد الكائن في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم على الاسلام وهو خلاف ما يفيد العهد المضاف الى اسم الله سبحانه من العموم الشامل لجميع عهود الله ولو فرض ان السبب خاص بعهد من العهود لم يكن ذلك موجباً للقصر على السبب فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وفسره بعضهم باليمين وهو مدفوع بذكروفاء بالايان بعده حيث قال سبحانه (ولا تنقضوا الايمان بعدتوكيدها) أي بعد تشديدها وتغليظها وتوثيقها بزيادة الاسماء والصفات وقيل ان تأكيدها باليمين هو حلف الانسان على الشئ الواحد مرارا وحكى القرطبي عن ابن عمر ان التوكيد هو ان يحلف مرتين فان حلف واحدة فلا كفارة عليه وليس المراد اختصاص النهي عن النقض بالايان المؤكدة لا بغيرها مما لا تأكيده فيه فان تحريم النقض يتناول الجميع ولكنه في نقض اليمين المؤكدة من الاثم فوق الاثم الذي في نقض ما لم يؤكدها يقال وكذوا وكذوا كيدا وتأكيدها وهما الغتان وقال الزجاج الاصل الواو والهمزة بدل منها وقيل ليست الهمزة بدلا من الواو كما زعمه أبو اسحق لان الاستعمالين في المادتين متساويان فليس ادعاء كون أحدهما أصلاً أولى من الآخر وتبع مكي الزجاج في ذلك ثم قال ولا يحسن ان يقال الواو بدل من الهمزة ولذلك تبعه الزمخشري أيضا وهذا العموم مخصوص بما ثبت في الاحاديث الصحيحة من قوله صلى الله عليه وآله وسلم من حلف على عين فرأى غير ما خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن عيئه حتى بالغ في ذلك صلى الله عليه وآله وسلم فقال والله لا أحلف

ثابت لا يغير وقال الاعمش عن أبي وائل شقيق بن سلمة انه كان كثيرا يدعو بهذا الدعاء اللهم ان كنت كتبنا أشقياء فأحجمه واكتبنا سعداء وان كنت كتبنا سعداء فأثبتنا فانك تعلم ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب رواه ابن جرير وقال ابن جرير أيضا حدثنا عمرو على حدثنا معاذ بن هشام حدثنا أبي عن أبي حكيم عصة عن أبي عثمان النهدي ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال وهو يطوف بالبيت وهو يبكي وهو يقول اللهم ان كنت كتبت على شقة أو ذنبا فأحجمه فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب فأحجمه سعادة ومغفرة وقال حماد عن خالد الخذاء عن أبي قلابة عن ابن مسعود رضى الله عنه انه كان يدعو بهذا الدعاء أيضا ورواه شريك عن هلال بن حميد عن عبد الله بن عليم عن ابن مسعود بنقله وقال ابن جرير حدثني حجاج حدثنا خفاف عن أبي حمزة عن ابراهيم ان كعبا قال لعمر بن الخطاب قال يا امير المؤمنين لولا آية في كتاب الله

لأنك بما هو كائن الى يوم القيامة قال وما هي قال قول الله تعالى يمحو الله ما يشاء الاية ومعنى هذه على الاقوال ان الاقدار ينسخ الله ما يشاء منها ويثبت منها ما يشاء وقد يستأنس لهذا القول بما رواه الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان هو الثوري عن عبد الله بن عيسى عن عبد الله بن أبي الجعد عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل يحرم الرزق بالذنب يصيبه ولا يرد القدر الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر رواه النسائي وابن ماجه من حديث سفيان الثوري به وثبت في الصحيح ان صلة الرحم تزيد في العمر وفي حديث آخر ان الدعاء والقضاء ليعتجان بين السماء والارض وقال ابن جرير حدثني محمد

ابن سهل بن عسكر حدثنا عبد الرزاق أن أبا ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال ان الله عز وجل لو حافظوا مسيرة خمسمائة عام من درة بيضاء لهادفتان من ياقوت والدفقان لو حان لله عز وجل ثلاث وستون لمحة يحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وقال الليث بن سعد عن زيادة بن محمد عن محمد بن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح الذك في ثلاث ساعات ييقن من الليل في الساعة الأولى منها يتظرف في الذي لا يتظرف فيه أحد غيره فيجمع ما يشاء ويثبت وذكر تمام الحديث رواه ابن جرير وقال الكلبجي بحواله ما يشاء (٢٧١) ويثبت قال يعقوب عن الرزق ويزيد فيه ويعقوب

من الاجل ويزيد فيه فقيل له من حدثك بهذا فقال أبو صالح عن جابر ابن عبد الله بن رباب عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم سئل بعد ذلك عن هذه الآية فقال يكتب القول كله حتى اذا كان يوم الخميس طرح منه كل شيء ليس فيه ثواب ولا عقاب مثل قولك آكلت وشربت دخلت وخرجت ونحو ذلك من الكلام وهو صادق ويثبت ما كان فيه الثواب وعليه العقاب وقال عكرمة عن ابن عباس الكتاب كتابان فكتاب بحواله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وقال العوفي عن ابن عباس في الآية في قوله بحواله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب يقول هو الرجل يعمل الزمان بطاعة الله ثم يعود لعصية الله فموت على ضلاله فهو الذي يعفو والذي يثبت الرجل يعمل بعصية الله وقد كان سبق له خير حتى يموت وهو في طاعة الله وهو الذي يثبت وروى عن سعيد ابن جبيرة انها بمعنى يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس بحواله ما يشاء ويثبت يقول يبذل ما يشاء فيمنسخره ويثبت

على عين فأرى غيرهما خيرا منها الآية الذي هو خير وكفرت عن عيني وهذه اللفاظ ثابتة في الصحاح وغيرهما ويخص أيضا من هذا العموم بين اللغو لقوله سبحانه لا يؤاخذكم باللغو في أيمانكم ويمكن أن يكون التقييد بالتوكيد هنا لخراج إيمان اللغو وقد تقدم بسط الكلام على الإيمان في البقرة (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) أي شهيدا أما على التشبيه فهو استعارة أو باستعماله في لازم معناه فهو مجاز مرسل وقيل حافظا وقيل ضامنا وقيل رقيب الان الكفيل يرعى حال المكفول له (ان الله يعلم ما تفعلون) من وفاء العهد ونقضه فيجازيكم بحسب ذلك ان خيرا خيرا وان شرا فشر وفيه ترغيب وترهيب ثم أكد وجوب الوفاء وتحريم النقض فقال (ولا تكونوا) فيما تصنعون من النقض بعد التوكيد (كالتى نقضت غزاهما) أي ما غزته (من بعد قوة) أي ابرام الغزل واحكامه عن ابن عباس ان سعيدة الاسديبة كانت تجمع الشعرو الليف فزلت فيها هذه الآية وعن أبي بكر بن حفص مثله وفي الروايتين جميعا انها كانت مجنونة وعن السدي في سبب نزولها قال كانت امرأة بمكة تسمى خرقاء مكة كانت تغزل فاذا أبرمت غزلها ناقضته وعن عبد الله بن كثير معناه وقيل هي امرأة حقا اسمها ربة بنت سعد بن تيم قرشية فالمشبه به معين على هذا وفي الكرخي المراد به تشبيه الناقض بمن هذا شأنه من غير تعين لان القصد بالامثال صرف المكلف عن الفعل اذا كان قبيحا والدعاء اليه اذا كان حسنا وذلك يتم بدون التعيين اذ لا يلزم في التشبيه أن يكون المشبه به موجودا في الخارج (انكاثا) جمع نكث بكسر النون ما ينكث فتله ليغزل ثانيا بمعنى منكوث أي منقوض يقال نكث الرجل العهد نكثا من باب قتل نقضه وبهذه فاتكث قال ابن قتيبة هذه الآية متعلقة بما قبلها والتقدير وأوفوا بعهد الله ولا تنقضوا الإيمان فانكم ان فعلتم ذلك كنتم مثل امرأة غزلت غزلا وأحكمته ثم جعلته أنكاثا أي اقطاعا وأجزاء (تخذون أيمانكم دخلا بينكم) قال الجوهري الدخل المكرو والخديعة وقال أبو عبيدة كل أمر لم يكن صحيحا فهو دخل وقيل الدخل ما أدخل في الشيء على فساده وقال الزجاج عشوا وغلا وقيل أصل الدخل العيب والعيب ليس من الشيء الذي يدخل فيه (أن تكون أمة) أي بان تكون جماعة أو لاجل وجدانكم أمة (هي أربي من أمة) جماعة أي أكثر عددا منها أو أفر ما لا يقال ربي الشيء يربو اذا كثر قال الفراء المعنى لا تغدروا بقوم لقلتمهم وكثرتكم وأقلتمكم وكثرتهم

ما يشاء فلا يبذله وعنده أم الكتاب وبجمله ذلك عنده في أم الكتاب التامخ وما يبذل كل ذلك في كتاب وقال قتادة في قوله بحواله ما يشاء ويثبت كقوله ما ننسخ من آية أو ننسها الآية وقال ابن أبي شيبة عن مجاهد في قوله بحواله ما يشاء ويثبت قال قالت كفار قريش لما نزلت وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله ما نرى محمد ايلك شيئا وقد فرغ من الامر فانزلت هذه الآية تخويفا ووعيدا لهم اننا سننأ حدثنا له من أمرنا ما نشئنا ونحدث في كل رمضان فيجمع ما يشاء ويثبت ما يشاء من أرزاق الناس ومصائبهم وما يعطيهم وما يقسم لهم وقال الحسن البصري بحواله ما يشاء ويثبت قال من جاءه أجليه يذهب ويثبت الذي هو حي

يجرى الى أجله وقد اختار هذا القول أبو جعفر بن جرير رحمه الله وقوله وعنده أم الكتاب قال الحلال والحرام وقال قتادة أي جملة الكتاب وأصله وقال الضحاك وعنده أم الكتاب قال كتاب عند رب العالمين وقال سديد بن داود حدثني معمر بن أبيه عن يسار بن عباس أنه سأل كعباً عن أم الكتاب فقال علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون ثم قال لعلمه كن كتاباً فكان كتاباً وقال ابن جرير عن ابن عباس وعنده أم الكتاب قال الذكر (واما زينك بعض الذي نعدهم أو توفينك فأنما عليك البلاغ وعلينا الحساب أولم يروا أنا أناني الأرض تنقصها من أطرافها والله يحكمكم (٢٧٢) لامعقب لحكمه وهو سريع الحساب) يقول تعالى لرسوله

وقد عززت قوتهم بالايان قيل وقد كانت قريش اذا رأو شوكة في أعادي حلفائهم تقضوا عهدهم وحالفوا أعداءهم قاله مجاهد وقيل هو تحذير للمؤمنين ان يغتروا بكثرة قريش وسعة أموالهم فينقضوا بيعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم (انما يلوكم الله به) أي يختبركم بكونكم أكثر أو أقل لينظر هل تمسكون بحبل الوفاء أم تنقضون اغتراباً بالكثرة فالضمير في به راجع الى مضمون الجملة المتقدمة أي انما يلوكم الله بتلك الكثرة ليعلم ما تصنعون أو انما يلوكم الله بما يامركم وبنيها كم (وليسين اسكنكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) فيوضح الحق والمحقين ويرفع درجاتهم ويبين الباطل والمبطل فينزل بهم من العذاب ما يستحقونه أو يبين لكم ما كنتم تختلفون فيه من البعث والخنة والنار وفي هذا انذار وتحذير من مخالفة الحق والركون الى الباطل ثم بين سبحانه انه قادر على ان يجمع المؤمنين والكافرين على الوفاء أو على الايمان فقال (ولو شاء الله لجلدكم أمة واحدة) متفقة على الحق (ولكن) بحكم الالهية (يضل من يشاء) بخذلاننا يا اباهم عدلان منه فيهم (ويهدى من يشاء) بتوفيقه اياهم فضلاً منه عليهم لا يستل عما يفعل وهم يستلون ولهذا قال (ولتسئلن) يوم القيامة سؤال تكيت لاسؤال استفسار وتفهيم وهو المنفي في غير هذه الآية (عما كنتم تعملون) من الاعمال في الدنيا التجاوز واعليها واللام في ليسين وفي لتسئلن هي الموطئة للقسم ثم لما نهاهم سبحانه عن نقض مطلق الايمان نهاهم عن نقض ايمان مخصوصة فقال (ولا تتخذوا ايمانكم دخلاً بينكم) قال الشهاب وغيره ولما كان اتخاذ الايمان دخلاً قيداً للمنهى عنه كان منهياً عنه ضمناً فصرح به هنا تأكيدها ومبالغة في قبح المنهى عنه قال في الجمل وعلى هذا فهو تاسيس لا تأكيده ولا تكثير قال أبو حيان لم يتكرر النهي وانما الذي سبق اخبار بانهم اتخذوا ايمانهم دخلاً مع لا بشئ خاص هو أن تكون أمة هي أربي من أمة وجاء النهي بقوله هذا استثناء فالنهي عن اتخاذ الايمان دخلاً على العموم أي في كل حال فيشمل جميع الصور من الخديعة في المبايعه وقطع الحقوق المالية وغير ذلك قال الواحدي قال المفسرون وهذا في نهى الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن نقض العهد على الاسلام ونصرة الدين واسئدوا على هذا التخصيص بما في قوله فقتل قدم بعـد سبوتها من المبايعه وبما في قوله وتذوقوا السوء بما صدقتم لانهم اذا نقضوا العهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يصدوا غيره هم عن الدخول

واما زينك يا محمد بعض الذي نعد أعداءك من الحزن والنكال في الدنيا أو توفينك قبل ذلك فأنما عليك البلاغ أي انما أرسلناك لتبلغهم رسالة الله وقد فعلت ما أمرت به وعلينا الحساب أي حسابهم وجزاؤهم كقوله تعالى فذكر انما أنت منذ كرست عليهم عسيطر الامن تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر ان الينا اياهم ثم ان علينا حسابهم وقوله أولم يروا أنا أناني الأرض تنقصها من أطرافها قال ابن عباس أولم يروا أنما نفتح ل محمد صلى الله عليه وسلم الأرض بعد الأرض وقال في رواية أولم يروا الى القرية تخرب حتى يكون العمران في ناحية وقال مجاهد وعكرمة تنقصها من أطرافها قال خرابها وقال الحسن والضحاك هو ظهور المسلمين على المشركين وقال العوفي عن ابن عباس نقصان أهلها وبركتها وقال مجاهد نقصان الانفس والثمرات وخراب الأرض وقال الشعبي لو كانت الأرض تنقص لضاق عليك حشك ولكن تنقص الانفس والثمرات وكذا قال عكرمة

لو كانت الأرض تنقص لم تجد مكاناً تعد فيه ولكن هو الموت وقال ابن عباس في رواية خرابها موت علمائها في الاسلام وفقهاؤها وأهل الخير منها وكذا قال مجاهد أيضاً هو موت العلماء وفي هذا المعنى روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة أحمد بن عبد العزيز أبي القاسم المصري الواعظ سكن اصبهان حدثنا أبو محمد طحمة بن أسد المري بدمشق أنشدنا أبو بكر الأجرى بمكة قال أنشدنا أحمد بن نزال لنفسه الأرض تحيا اذا ما عاش علمها متى تمت عالم منها جئت طرف كالارض تحيا اذا ما الغيب حل بها وان أبي عاد في أكافها التلف والقول الاول أولى وهو ظهور الاسلام

على الشرك قرية بعد قرية كقوله ولقد أهانكم ما حوكم من القرى الآية وهذا اختيار ابن جرير (وقدم مكر الذين من قبلهم فله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبي الدار) يقول تعالى وقدم مكر الذين من قبلهم برسلهم وأرادواخراجهم من بلادهم فمكر الله بهم وجعل العقاب لهم متقين كقوله واذا مكر بك الذين كفروا والشيء لولاك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وقوله تعالى ومكروا مكرًا ومكروا مكرًا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم نادما رناهم وقومهم أجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا الآيتين وقوله يعلم ما تكسب (٢٧٣) كل نفس أي انه تعالى عالم بجميع السرائر والضمائر

وسيجزي كل عامل بعمله وسيعلم الكافر والقراءة الاخرى الكفار لمن عقبي الدار أي لمن تكون الدائرة له والعاقبة اليهم أو لا تباع الرسل كلابل هي لا تباع الرسل في الدنيا والاخرة والله الحمد والمنة (ويقول الذين كفروا لست مرسلًا قل كفي بالله شهيدًا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) يقول تعالى يكذبك هؤلاء الكفار ويقولون لست مرسلًا أي ما أرسلك الله قل كفي بالله شهيدًا بيني وبينكم أي حسبى الله هو الشاهد على وعليكم شاهد على فيما بلغت عنه من الرسالة وشاهد عليكم أيها المكذبون فيما افتروا من الهتان وقوله ومن عنده علم الكتاب قيل نزلت في عبد الله بن سلام قاله مجاهد وهذا القول غريب لان هذه الآية مكية وعبد الله بن سلام انما أسلم في أول مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ولا يظهر في هذا ما قاله العوفي عن ابن عباس قال هم من اليهود والنصارى وقال قتادة منهم ابن سلام وسلمان وتيم الداري وقال مجاهد في رواية عنه هو الله تعالى وكان سعيد بن جبير ينكر أن يكون المراد به عبد الله بن سلام ويقول هي

في الاسلام وعلى تسليم ان هذه الايمان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هي سبب نزول هذه الآية فالاعتبار بعوم اللفظ لا بخصوص السبب (فتزل قدم) أي قدم من اتخذ عينه دخلا عن محجة الحق (بعد نبوتها) عليها ورسوخها فيها قبل وافراد القدم وتنكيرها للايدان بان زل قدم واحدة أي قدم كانت عزت أو هانت محذور عظيم فكيف باقدام كثيرة وهذا استعارة لله مستقيم الحال يقع في شر عظيم ويسقط فيه لان القدم اذا زلت نقلت الانسان من حال خير الى حال شر ويقال لمن أخطأ في شيء زلت به قدمه (وتذوقوا السوء) أي العذاب السيئ في الدنيا أو في الآخرة وفيهما (بما قدمت) أي بسبب امتناعكم وصدودكم (عن سبيل الله) وهو الاسلام أو بسبب صدكم بغيركم عن الاسلام فان من نقض البيعة وارتد اقدى به غيره في ذلك فكان فعله سنة سيئة عليه وزرها ووزر من عمل بها وهذا قال (ولكم عذاب عظيم) أي ستبالمغ في العظم وهو عذاب الآخرة ان كان المراد بما قبله عذاب الدنيا ثم نهاهم سبحانه عن الميل الى عرض الدنيا والرجوع عن العهد لاجل ذلك (ولا تشعروا بعهد الله) الذي تركتموه (ثنا قليلا) أي لا تأخذوا في مقابلة عهدكم عوضا يسيرا حقيرا وكل عرض دينوي وان كان في الصورة كثيرا فهو لكونه ذا هبازا بلا يسير ولهذا كرسبحته بعد تقبل عرض الدنيا خيرة ما عند الله فقال (انما عند الله) وفي رسم ان هذه الاختلاف بين المصاحف العثمانية في بعضها واصحابها بما وفي بعضها فلهذا كما ذكره ابن الجزري أي ما عند الله من النصر في الدنيا والغنائم والرزق الواسع وما عند الله في الآخرة من نعيم الجنة الذي لا يزول ولا ينقطع (هو خير لكم) ثم عمل النهي عن ان يشعروا بعهد الله ثنا قليلا بقوله (ان كنتم تعلمون) وتبينون بين الاشياء ثم ذكر دليله لا فاطما على حقارة عرض الدنيا وخيرة ما عند الله فقال (ما عندكم يتقدم ما عند الله باق) والتفاد القناء والذهاب يقال تفد بكسر العين يتقدم بفتحها تفادا ونفودا أو ما تفد بالمجمة فتفعله تفد بالفتح يتقدم بالضم ويقال أفد القوم اذا فني زادهم وباق بثبوت الباء وحذفها مع سكون القاف وهما سبعتان ومعلوم لكل عاقل ان ما يتقدم ويزول وان بلغ في الكثرة الى أي مبلغ فهو حقير يسير وما كان يبق ولا يزول فهو كثير جدل اما نعيم الآخرة فظاهر وأما نعيم الدنيا الذي أتم الله به على المؤمنين فهو وان كان زائلا لكنه لما كان متصلا بنعيم الآخرة كان من هذه الخبيثة في حكم الباقي الذي

(٣٥ فتح البيان خامس) مكية وكان يقرؤنا ومن عنده علم الكتاب ويقول من عند الله وكذا قرأها مجاهد والحسن البصري وقد روى ابن جرير من حديث هرون الا عور عن الزهري عن سالم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها ومن عنده علم الكتاب ثم قال لأصل له من حديث الزهري عند الثقات قلت وقد رواه الحافظ أبو يعلى في مسنده من طريق هرون بن موسى هذا عن سليمان بن أرقم وهو ضعيف عن الزهري عن سالم عن أبيه مر فوعا كذلك ولا يثبت والله اعلم والصحيح في هذا أن من عنده علم الكتاب اسم جنس يشمل علم أهل الكتاب الذين يجدون صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعمته في كتبهم المتقدمة من بشارات الانبياء به كما قال

تعالى ورجتى وسعت كل شئ فساء كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبى الاى
 الذى يجذونه مكتوباً عندهم فى التوراة والانجيل الآيه وقال تعالى اولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل الآيه وأمثال
 ذلك مما فيه الاخبار عن علماء بنى اسرائيل انهم يعلمون ذلك من كتبهم المنزلة وقد ورد فى حديث الاحبار عن عبد الله بن سلام بأنه
 أسلم بحكمة قبل الهجرة قال الحافظ أبو نعيم الاصبهاني فى كتاب دلائل النبوة وهو كتاب جليل حديثنا سليمان بن أحمد الطبراني حديثنا
 عبدان بن أحمد حديثنا محمد بن صفى حديثنا (٢٧٤) الوايد بن مسلم عن محمد بن حزمة بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده

عبد الله بن سلام قال لاحبار اليهود
 انى أردت أن أحدث بعبداً بنا
 ابراهيم واسماعيل عيدا فانطلق الى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
 بحكة فوافاهم وقد انصرفوا من الحج
 فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
 والناس حوله فقام مع الناس فلما
 نظر اليه رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال أنت عبد الله بن سلام قال
 قلت نعم قال ادن قال فدوت منه
 قال أنشدك بالله يا عبد الله بن
 سلام أما تجددنى فى التوراة رسول
 الله فقلت له انعت ربنا قال جاء
 جبريل حتى وقف بين يدي رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فقال له قل
 هو الله احد الله الصمد الى آخرها
 فقرأها علينا رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فقال ابن سلام أنه شهد
 ان لا اله الا الله وأنت رسول الله ثم
 انصرف ابن سلام الى المدينة فكمتم
 اسلامه فلما هاجر رسول الله صلى
 الله عليه وسلم الى المدينة وأنا فوق
 نخلة الى اجذها فألقيت نفسى فقالت
 أمى انت لو كان موسى بن عمران
 ما كان لك ان تلتى نفسك من نفس
 النخلة فقلت والله لا تأسرى بقدوم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من موسى بن عمران اذ بعث وهذا غريب جدا

لا ينقطع ثم قال (ولنجزيين) بالنون ففيه التفات وقرئ بالياء واللام هى الموطئة للقسم
 أى والله لنجزيين (الذين صبروا) بسبب صبرهم على ما نالهم من مشاق التكليف والناقة
 وجهاد الكافرين والصبر على ما نالهم منهم من الاذى (أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)
 من الطاعات قيل وانما خص أحسن أعمالهم لان ما عداه وهو الحسن مباح والخير انما
 يكون على الطاعة وقيل المعنى ولنجزى بينهم بجزاء أشرف وأوفر من أعمالهم كقوله من جاء
 بالحسنة فله عشر أمثالها وقيل أحسن هنا ليس للتفضيل بل بمعنى الحسن أولنجزيينهم
 بحسب أحسن أفراد أعمالهم على معنى لتعظيمهم بمقابلته الفرد الاذى من أعمالهم
 المذكورة ما تعظيمهم بمقابلته الفرد الاذى منها من الجزاء الجزيل لاننا نعطى الاجر بحسب
 أفرادها المتفاوتة فى مراتب الحسن بان نجزي الحسن منها بالاجر الحسن والا حسن
 بالاحسن كذا قيل وفيه ما لا يخفى من العدة الجميلة باعتبار ما عسى يعترهم فى تضاعيف
 الصبر من بعض جزع وتظمه فى سلك الصبر الجميل (من عمل صالحا) هذا شروع فى ترغيب
 كل مؤمن فى كل عمل صالح وتوعدهم بالوعد والمعنى من عمل عملا صالحا أى عمل كان (من
 ذكر أو أتى) زيادة التمييز بذكر أو أتى مع كون لفظ من شاملا له ما لقصدا لتأكيد
 والمبالغة فى تقرير الوعد وقيل ان لفظ من ظاهر فى الذكور فكان فى التنصيص على
 الذكور والائى بيان لشموله للنوعين (وهو مؤمن) جعل سبحانه الايمان قيداً فى الجزاء
 المذكور لان عمل الكافر لا اعتداده له وله سبحانه وقد منا الى ما عملوا من عمل جعلناه
 هباء منثورا ثم ذكر سبحانه الجزاء من عمل ذلك العمل الصالح فقال (فلنجزيه حياة طيبة)
 وقد وقع الخلاف فى الحياة الطيبة بماذا تكون فقيل بالرزق الحلال فى هذه الحياة الدنيا
 واذا صار الى ربه جازاه بأحسن ما كان يعمل روى ذلك عن ابن عباس وسعيد بن جبير
 وعطاء والضحاك وقيل بالقناعة قاله الحسن البصرى وزيد بن وهب ووهب بن منبه
 وروى أيضا عن علي وابن عباس قال وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدعوا اللهم
 فنعنى بما رزقتنى وبارك لى فيه واخلف على كل غائبة بى بخير وأخرج أحمد ومسلم
 والترمذى وابن ماجه عن ابن عمر وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال قد أفلح من
 أسلم ورزق كفافا ورضع الله بما آناه وأخرج الترمذى والنسائى من حديث فضالة بن
 عبيدانه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول قد أفلح من هدى الى الاسلام وكان

رسول الله صلى الله عليه وسلم من موسى بن عمران اذ بعث وهذا غريب جدا
 * تفسير سورة ابراهيم عليه السلام وهى مكية *

(بسم الله الرحمن الرحيم) الر كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد
 الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض وويل للكافرين من عذاب شديد الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون
 عن سبيل الله ويغونها عوجا أولئك فى ضلال بعيد) وقد تقدم الكلام على الحروف المقطعة فى أوائل السور كتاب أنزلناه اليك أى
 هذا كتاب أنزلناه اليك يا محمد وهو القرآن العظيم الذى هو أشرف كتاب أنزله الله من السماء على أشرف رسول بعثه الله فى الارض

الى جميع أهلها عبر بهم وعجمهم لتخرج الناس من الظلمات الى النور أى انما بعثناك يا محمد بهذا الكتاب لتخرج الناس مما هم فيه من الضلال والغي الى الهدى والرشد كما قال تعالى الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات الآية وقال تعالى هو الذى ينزل على عبده آيات بينات ليخرج حكم من الظلمات الى النور الآية وقوله باذن ربهم أى هو الهادى لمن قدر له الهداية على يدى رسوله المبعوث عن أمره يهديهم الى صراط العزيز الحميد أى العزيز الذى لا يمانع ولا يغالب بل هو القاهر لكل ما سواه الحميد (٢٧٥) أى المجدوفى جميع أفعاله وأقواله وشرعه

وأمره ونهييه الصادق فى خبره وقوله الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض قرأ بعضهم مستأنفا مرفوعا وقرأ آخرون على الاتباع صفة للجلالة كقوله تعالى قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والارض الآية وقوله وويل للكافرين من عذاب شديد أى ويل لهم يوم القيامة اذ خالفوا ما محمد وكذبوا ثم وصفهم بانهم يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة أى يقدمونها ويؤثرونها عليها ويعملون للدنيا ونسوا الآخرة وتركوها وراه ظهروهم ويصدون عن سبيل الله وهى اتباع الرسل ويغونها عوجا أى ويحبون أن تكون سبيل الله عوجا مائله وعائله وهى مستقيمة فى نفسها لا يضرها من خالفها ولا من خذلها فهم فى ابتغائهم ذلك فى جهل وضلال بعيد من الحق لا يرجى لهم والحالة هذه صلاح (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ايسين لهم فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وهو العزيز الحكيم) هذا من فضل الله من يشاء ويهدى من يشاء على وجه الهدى ويهدى من يشاء الى الحق وهو الذى ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن الحكيم فى افعاله فضل من يستحق الاضلال ويهدى من هو أهل لذلك وقد كانت هذه سنته فى خلقه انه ما بعث نبيا فى أمة الا ان يكون بلغتهم فاخص كل نبي بالابلاغ رسالته الى أمة دون غيرهم واخص محمد بن عبد الله

عيشه كفا فاقوع به وقيل بالكسب الطيب والعمل الصالح قاله ابن عباس وقيل بالتوفيق الى الطاعة قاله الضحاك وقيل هى حياة الجنة روى هذا عن مجاهد وقاتدة وغيرهما وحكى عن الحسن انه قال لا تطيب الحياة لاحد الا فى الجنة وقيل الحياة الطيبة هى السعادة روى ذلك عن ابن عباس وقيل هى المعرفة بالله حكى ذلك عن جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه وقال أبو بكر الوراق هى حلوة الطاعة وقال مقاتل هى العيش فى الطاعة وقيل رزق يوم يوم وقال السدى انما هى تحصل فى القبر لان المؤمن يستريح بالموت من نكد الدنيا وتعبها وقال سهل بن عبد الله التستري هى أن ينزع عن العبد تدبير نفسه ويرد تدبيره الى الحق وقيل هى الاستغناء عن الخلق والافتقار الى الحق وأكثر المفسرين على ان الحياة الطيبة هى فى الدنيا لا فى الآخرة لان حياة الآخرة قد ذكرت بقوله (وليجزيهم بأجرهم ما أحسن ما كانوا يعملون) وقد قدمنا قريبا تفسير الجزء بالاحسن ووجدنا الضمير فى الجحيمه وجمعه فى الجزيمهم جملا على لفظ من وعلى معناه ثم لما ذكر سبحانه العمل الصالح والجزاء عليه أتبعه بذكر الاستعاذة التى تلخص بها الاعمال الصالحة عن الوسواس الشيطانية فقال (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله) الفاء ترتب الاستعاذة على العمل الصالح وقيل هذه الآية متصله بقوله ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ والتقدير فاذا أخذت فى قراءته فاستعذ بالله قال الزجاج وغيره من أئمة اللغة معناه اذا أردت أن تقرأ القرآن فاستعذ وهذا على مذهب الاكثرين من الفقهاء والمحدثين من أن الاستعاذة تطلب قبل القراءة وليس معناه استعذ بعد أن تقرأ القرآن ومثله اذا أكلت فقل بسم الله قال الواحدي وهذا اجماع النحهاء ان الاستعاذة قبل القراءة الا ما روى عن أبي هريرة وابن سيرين ومالك وجزرة من القراء فانهم قالوا الاستعاذة بعد القراءة ذهبوا الى ظاهر الآية واليه ذهب جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة وداود الظاهري وامام مذهب الاكثرين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة وفقهاء الامصار انها قبل القراءة كما تقدم ومعنى فاستعذ بالله اسأله سبحانه ان يعيدك (من الشيطان الرجيم) أى من وسوسه ثلاثا يوسوسك فى القراءة وفيه دليل على ان المصلى يستعذ فى كل ركعة لان الحكم المترتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا وتعقيب له لذكر العمل الصالح والوعد عليه ايدان بان الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل وتخصيص

لطفه تعالى بخلقته ان يرسل اليهم رسلا منهم بلغتهم ليفهم ما يريدون وما أرسلوا به اليهم كما روى الامام أحمد حدثنا وكيع عن عمر بن ذر قال قال مجاهد عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبعث الله عز وجل نبيا ابالبلغة قومه وقوله فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء أى بعد البيان واقامة الحجية الحجة بضل تعالى من يشاء على وجه الهدى ويهدى من يشاء الى الحق وهو الذى ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن الحكيم فى افعاله فضل من يستحق الاضلال ويهدى من هو أهل لذلك وقد كانت هذه سنته فى خلقه انه ما بعث نبيا فى أمة الا ان يكون بلغتهم فاخص كل نبي بالابلاغ رسالته الى أمة دون غيرهم واخص محمد بن عبد الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم بعموم الرسالة الى سائر الناس كما ثبت في الصحيحين عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أعطت خمساً لم يعطهن أحد من الانبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجداً وطهوراً وأحللت لي الغنائم ولم
 تحل لأحد قبلي وأعظت الشفاعة وكان النبي يعث الى قومه وبعثت الى الناس عامة وله شواهد من وجوه كثيرة وقال تعالى قل
 يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بأيام الله ان
 في ذلك لآيات لكل صبار شكور) يقول تعالى (٢٧٦) كما أرسلناك يا محمد وأزنا عليك الكتاب لتخرج الناس كلهم تدعوهم

الى الخروج من الظلمات الى النور
 كذلك أرسلنا موسى الى بني اسرائيل
 بآياتنا قال مجاهد في التسع الآيات
 ان أخرج قومك من الظلمات أي
 أمرناه فأنلين له أخرج قومك من
 الظلمات الى النور أي ادعهم الى
 الخير ليخرجوا من ظلمات ما كانوا
 فيه من الجهل والضلال الى نور
 الهدى ونصر الايمان وذكرهم بأيام
 الله أي بأياته ونعمه عليهم في
 اخرجهم اياهم من أسرفرعون وقهره
 وظلمه وحشمه وانجائه اياهم من
 عدوهم وقلقه لهم البحر وتظليله
 اياهم الغمام وانزاله عليهم المن
 والسلاوى الى غير ذلك من النعم قال
 ذلك مجاهد وقتادة وغير واحد وقد ورد
 في الحديث المرفوع الذي رواه عبد
 الله بن الامام أحمد بن حنبل في
 مسند أبيه حيث قال حدثني
 يحيى بن عبد الله مولى بني هاشم
 تحدثنا محمد بن أبان الجعفي عن أبي
 اسحق عن سعيد بن جبير وابن أبي
 حاتم من حديث محمد بن أبان به
 ورواه عبد الله بنه أيضا عن ابني
 ابن كعب رفعه في قوله وذكرهم بأيام
 الله قال بنعم الله ورواه ابن جرير
 موقوفاً وهو أشبه وقوله ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور أي فيما صنعنا بنا وولينا بني اسرائيل حين
 أنقذناهم من يد فرعون وأنجيناهم مما كانوا فيه من العذاب المهين لعبرة لكل صبار أي في الضراء شكور أي في السراء كما قال قتادة نعم
 العبد عبد اذا ابتلى صبره واذا أعطى شكره كما جاء وفي الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان أمر المؤمن كله يحب
 لا يقضي الله له قضاء الا كان خبيره الا ان أصابته ضراء صبر فكان خبيره وان أصابته سراء شكر كان خبيره (واذا قال موسى لقومه
 اذ کروا نعم الله عليكم اذا أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء

قراءة القرآن من بين الاعمال الصالحة بالاستعاذة عند اذاعتها للتمسبه على انها السائر
 الاعمال الصالحة عند اذاعتها هم لانه اذا وقع الامر بها عند قراءة القرآن الذي لا ياتيه
 الباطل من بين يديه ولا من خلفه كانت عند اذاعته غيره أولى كذا قيل وتوجه الخطاب الى
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للاشعار بان غيره أولى منه بفعل الاستعاذة لانه صلى الله
 عليه وآله وسلم اذا أمرهم بالدفع وسواس الشيطان مع عصمته فكيف بسائر أمته قال
 السيوطي في الآية أي قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم انتهى وهذا بيان للافضل
 والافضل السنة يحصل باي صيغة كانت من صيغ الاستعاذة وقد ذهب الجمهور الى ان
 الامر في الآية للندب وروى عن عطاء الوجوب أخذ بانظاها الامر والضمير في (انه)
 للشأن أو للشيطان (ليس له سلطان) أي تسلط لتعليل المحذوف هو جواب الامر وتقديره
 فان استعدت كفت شره (على) اغواء (الذين آمنوا) وحكى الواحدى عن جميع
 المفسرين انهم فسر والسلطان بالحجة وقالوا المعنى ليس له حجة على المؤمنين في اغوائهم
 ودعائهم الى الضلالة (وعلى ربهم توكلون) أي يفوضون أمورهم اليه في كل قول وفعل
 فان الايمان بالله والتوكل عليه يمنعان الشيطان من وسوسته لهم وان وسوس لاحد منهم
 لا تؤثر فيه وسوسته وهؤلاء الجامعون بين الايمان والتوكل هم الذين قال فيهم ابليس
 الاعبادك منهم المخلصين وقال الله فيهم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك
 من الغاوين ثم حصر سبحانه سلطان الشيطان فقال (انما سلطانه) أي تسلطه (على)
 اغواء (الذين يولونه) أي يتخذونه وليا ويطيعونه في وسوسه يقال توليته اذا أطعته
 وتوليت عنه اذا عرضت عنه وهذا مقابل لقوله وعلى ربهم توكلون (والذين هم به) أي
 بالله والباء للتعدي (مشركون) وقيل الضمير يرجع الى الشيطان والباء للسببية أي
 والذين هم من أجله وبسبب وسوسته مشركون بالله وهذا مقابل لقوله على الذين آمنوا
 (واذا بدلنا آية مكان آية) هذا شروع منه سبحانه في حكاية شبهة كفرية ودفعها ومعنى
 التبديل رفع الشيء مع وضع غيره مكانه وتبديل الآية رفعها باخرى غيرها وهو نسخها
 بآية سواها قال مجاهد هو كقوله ما ننسخ من آية أو ننسها من قبلنا وقد تقدم الكلام على النسخ
 في البقرة (والله أعلم بما ينزل) اعتراض دخل في الكلام أي انه أعلم بما ينزل من النسخ
 وما هو أصح نخلاته وما يغير وما يبدل من أحكامه وهذا نوع توبيخ وتقريع للكفار وقيل

الجملة

موقوفاً وهو أشبه وقوله ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور أي فيما صنعنا بنا وولينا بني اسرائيل حين

أنقذناهم من يد فرعون وأنجيناهم مما كانوا فيه من العذاب المهين لعبرة لكل صبار أي في الضراء شكور أي في السراء كما قال قتادة نعم
 العبد عبد اذا ابتلى صبره واذا أعطى شكره كما جاء وفي الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان أمر المؤمن كله يحب
 لا يقضي الله له قضاء الا كان خبيره الا ان أصابته ضراء صبر فكان خبيره وان أصابته سراء شكر كان خبيره (واذا قال موسى لقومه
 اذ کروا نعم الله عليكم اذا أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء

من ربكم عظيم واذا تأذن ربكم ان شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض
جميعا فان الله لغني حميد يقول تعالى سبحانه ومنى حين ذكركم بآيات الله عندهم ونعمه عليهم اذ انجاهم من آل فرعون وما كانوا
يسومونهم به من العذاب والاذلال حيث كانوا يذبحون من انفسهم ويتركون انفسهم فاقدمهم الله من ذلك وهداهم نعمته عظيمة ولهذا
قال وفي ذلكم بلاء لمن ربكم عظيم أى نعمة عظيمة منهم عليكم في ذلك انتم عاجزون عن القيام بشكرها وقيل وفيما كان يصنعه
بكم قوم فرعون من تلك الافعال بلاء أى اختبار عظيم ويحتمل ان يكون (٢٧٧) المراد هذا وهذا والله أعلم كقوله تعالى

وبلوناهم بالحسنات والسيئات
لعلهم يرجعون وقوله واذا تأذن
ربكم أى اذنكم وأعلمكم بوعده
لكم ويحتمل ان يكون المعنى واذا
أقسم ربكم وآلى بعزته وجلاله
وكبريائه كقوله تعالى واذا تأذن ربك
ليعثن عليهم الى يوم القيامة وقوله
لازيدنكم أى ان شكرتم نعمتى
عليكم لازيدنكم منها ولئن كفرتم
أى ككفرتم النعم وسترتوها
وبعدتوها ان عذابي لشديد
وذلك بسلبها عنهم وعقابه اياهم على
كفرها وقد جاف في الحديث ان
العبد يحرم الرزق بالذنب يصيبه
وفي المسند ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم مرتبه سائل فاعطاه ثمرة
فسخطها ولم يقبلها ثم مر به آخر
فاعطاه اياها فقبلها وقال ثمرة من
رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر له
باربعين درهما أو كما قال الامام
أحمد حدثنا أسود حدثنا عمارة
الصيدلاني عن ثابت عن أنس قال
أتى النبي صلى الله عليه وسلم سائل
فامر له بتمر فلم يأخذها أو وحش
بها قال وأنا آخر فامر له بتمر فقال
سبحان الله ثمرة من رسول الله صلى

الجله حالية وليس بظاهر وجواب اذا قوله (قالوا) أى كفار قريش الجاهلون بالحكمة في
النسخ (انما أتت) يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم (مفترا) أى كاذب محتلق على الله فتقول
عليه بما لم يقل حيث تزعم انه أمرك بشئ ثم تزعم انه أمرك بخلافه فرد الله سبحانه عليهم
بما يفيد جهالهم فقال (بل أكثرهم لا يعلمون) شيأ من العلم أصلا ولا يعلمون حقيقة
القرآن وهوانه اللفظ المنزل من عند الله على محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا يجاز بسورة
منه المتعبد بتلاوته ولا يعلمون بالحكمة في النسخ فانه مبني على المصالح التي لا يعلمها الا الله
سبحانه فقد تكون في شرع هذا الشيء مصلحة موقفة بوقت ثم تكون المصلحة بعد ذلك
الوقت في شرع غيره وفيه التخفيف على العباد ولو انكشف الغطاء لهؤلاء الكفرة لعرفوا
ان ذلك وجه الصواب ومنهج العدل والرفق واللطيف ثم بين سبحانه لهؤلاء المعترضين على
حكمة النسخ الزاعمين ان ذلك لم يكن من عند الله وان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم
افتراه فقال (قل زله) أى القرآن المدلول عليه بذكر الآية (روح القدس) بضم الدال
وسكونها سبع ميمتان والقدس التطهير والطهارة والمعنى نزله الروح المطهر من ادناس
البشرية وهو جبريل عليه السلام فهو من اضافة الموصوف الى الصفة كما يقال حاتم
الجود وطلحة الخير (من ربك) أى ابتداء تنزيهه من عنده سبحانه (بالحق) أى متلبسا
بكونه حقا ثابتا بالحكمة بالغة (ليثبت الذين آمنوا) على الايمان فيقولون كل من التامخ
والمسوخ من عند ربنا ولا نهم أيضا اذا عرفوا ما في النسخ من المصالح ثبتت اقدامهم على
الايمان ورخصت عقائدهم وقرئ من الاثبات (وهدى وبشرى للمسلمين) معطوفان
على محل ليثبت أى تثبتت عليهم وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد هذه الخصال
لغيرهم ثم ذكر سبحانه شبهة اخرى من شبههم فقال (ولقد نعلم) علما مستمرا (انهم يقولون
انما يعلم بشر) وليس هو من عند الله كما هو زعمهم واللام هي الموطئة أى والله لقد نعلم ان
هؤلاء الكفار يقولون انما يعلم محمد القرآن بشر من بنى آدم غير ملك وقد اختلف أهل العلم
في تعيين هذا البشر الذي زعموا عليه ما زعموا ف قيل هو غلام الفناكه بن المغيرة واسمه جبر
وكان نصرانيا حاداروميا فاسلم وكان قريش اذا سمعوا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم
أخبار القرون الاولى مع كونه أميا قالوا انما يعلم جبر وقيل اسمه عايش أو يعيش عبدلبنى
الحضرمي وكان يقرأ الكتب الاجممية وقيل غلام لبنى عامر بن لؤى وقيل عنوا سلمان

الله عليه وسلم فقال للجارية اذهبي الى ام سلمة فاعطيه الاربعين درهما التي عندها تفرد به الامام أحمد وعمارة بن زاذان وثقة ابن حبان
واحمد ويعقوب بن عثمان وقال ابن معين صالح وقال ابو زرعة لا بأس به وقال ابو حاتم يكتب حديثه ولا يثبت به ليس بالمتين وقال
البخارى ربما يضرب في حديثه وعن أحمد ايضا انه قال روى عنه احاديث منكورة وقال ابوداود ليس بذلك وضعفه الدارقطني وقال
ابن عدى لا بأس به من يكتب حديثه وقوله تعالى وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد اى هو غني
عن شكر عباده وهو الحميد المحمود وان كفره كفره كقوله ان تكفروا فان الله غني عنكم الآية وقوله فكفروا وتولوا واستغنى الله

والله غني حميد وفي صحيح مسلم (١) عن ابي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي عن ربه عز وجل انه قال يا عبادي لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتني قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا يا عبادي لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك في ملكي شيئا يا عبادي لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على قلب رجل واحد فسألوني فاعطيت كل انسان مسئله ما نقص ذلك مما عندي الا كما ينقص الخيط اذا دخل البحر فبحانه وتعالى الغني الحميد (الم يأتكم نبي الذين من قبلكم قوم نوح (٢٧٨) وعادوثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا

الفارسي وقيل عنوا نصر اينا بمكة اسمه بلعام وكان يقرأ التوراة وقيل عنوا رجلا نصرانيا كان اسمه ابا ميسرة يتكلم بالرومية وفي رواية اسمه عداس وقيل ارادوا بالبشر غلامين اسم احدهما يسار واسم الآخر جبر وكانا يصقلان السيوف بمكة وكانا يقرآن كتابا لهم وقيل كان يقرآن التوراة والانجيل وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعر عليهم ما ويسمع ما يقرآنه فقال المشركون انما يتعلم منهم ما قاله عبد الله بن مسلم الحضرمي قال النحاس وهذه الاقوال غير متناقضة لانه يجوز انهم هم جميعا يعلمونه ولكن لا يمكن الجمع باعتبار قول من قال انه سلمان لان هذه الالية مكية وهو انما أتى الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة ثم اجاب سبحانه عن قولهم هذا فقال (لسان الذي يلدون اليه) أي اغته وكلامه (أعجمي) والاحاد المليل يقال لحد والحد أي مال عن القصد ومنه لحد القبر لانه حفرة مائه عن وسطه وقد تقدم في الاعراف والمعنى لسان الذي يميلون اليه ويشيرون ويرغمون انه يعلمك أعجمي يقال رجل أعجم وامرأة أعجماء أي لا يفهمان والحجة الاخفاء وهي ضد البيان والعرب تسمى كل من لا يعرف لغتهم ولا يتكلم بها أعجميا قال الفراء والراغب الاصبهان الذي في لسانه عجمية وان كان من العرب والاعجمي هو الذي أصله من العجم وقال أبو علي الفارسي العجمي المنسوب الى العجم الذي لا يفصح سواء كان بالعربية والاعرابي الذي يسكن البادية والعربي الذي يسكن الامصار من بلاد العرب (وهذا) أي القرآن (لسان) أي كلام (عربي ميين) وسماه لسانا لان العرب تقول للقصيد والبيت لسانا وأراد باللسان البلاغة فكانه قال وهذا قرآن ذو بلاغة عربية وبيان واضح فكيف ترغمون ان بشر اعلمه من العجم وأين فصاحة هذا القرآن من عجمية هذا الذي تشيرون اليه وقد عجزتم انتم عن معارضة سورة منه وانتم أهل اللسان العربي ورجال النصاحة وقادة البلاغة فثبت بهذا ان الذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم وحى أو حاه الله اليه وليس هو من تعليم البشر الذي تشيرون اليه ولا هو أت به من تلقاء نفسه بل هو وحى من الله عز وجل وهاتان الجملتان مستأنفتان سيقتا لابطال طعنهم ودفع كذبهم ولما ذكر سبحانه جوابهم وبجنتهم وهددهم فقال (ان الذين لا يؤمنون بآيات الله) أي لا يصدقون بها في علم الله (لا يهديهم الله) الى الحق الذي هو سبيل النجاة هداية

أيديهم في أفواههم وقالوا انا كفرنا بنا بما أرسلتم به وان انفي شك مما تدعونا اليه مريب) قال ابن جرير هذا من تمام قول موسى لقومه يعني وتذكاره اياه بأيام الله بانتقامه من الامم المكذبة بالرسول وفيما قال ابن جرير تظروا وظاهر انه خبر مستأنف من الله تعالى لهذه الامة فانه قد قيل ان قصة عاد وثمود ليست في التوراة فلو كان هذا من كلام موسى لقومه لقصة عليهم ولا شك ان تكون هاتان القصتان في التوراة والله أعلم وبالجملة فالتعالى قد قص عاين خبر قوم نوح وعادوثمود وغيرهم من الامم المكذبة بالرسول مما لا يحصى عدده الا الله عز وجل انتم رسلهم بالبينات أي بالحجج والدلائل الواضحات الباهرات القاطعات وقال ابن اسحق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله انه قال في قوله لا يعلمهم الا الله كذب النسابون وقال عروة ابن الزبير ما وجدنا أحدا يعرف ما بعد معد بن عدنان وقوله فردوا أيديهم في أفواههم اختلف المفسرون في معناه قيل معناه انهم أشاروا الى أفواه الرسل بأمر ونهم بالسكوت عنهم لمادعواهم الى الله عز وجل وقيل بل وضعوا أيديهم على أفواههم تكذيبا لهم وقيل بل هو عبارة عن سكوتهم عن جواب الرسل وقال مجاهد ومحمد بن كعب وقتادة معناه انهم كذبوهم وردوا عليهم قولهم يا فواهمهم قال ابن جرير وتوجه ان في هاتبعني الباء قال وقد سمع من العرب اذ خلاك الله بالجنة يعنون في الجنة وقال الشاعر وأرغب فيها عن لقيط ورهطه * ولكنني عن سفيس لست أرغب يريد أرغب بها قلت يؤيد قول مجاهد تفسيره بتمام الكلام قالوا انا كفرنا بما أرسلتم به وان انفي شك مما تدعونا اليه مريب فكان هذا تفسير لعني فردوا أيديهم في أفواههم وقال سفيان الثوري واسر ايسل عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله في قوله (١) قوله وفي صحيح مسلم الخ الموجود هنا بعض الحديث

فردوا أيديهم في أفواههم قال عضوا عليها غنظا وقال شعبة عن أبي اسحق عن أبي هبيرة بن مريم عن عبد الله انه قال ذلك أيضا وقد اختاره عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فوجهه ابن جرير مختار له بقوله تعالى عن المنافقين وإذا دخلوا عضوا عليكم إلا نامل من الغنظ وقال العوفي عن ابن عباس سمعوا كلام الله عجبوا ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم وقالوا أنا كفرناجما أرسلتم به الآية يقولون لا تصدقكم فيما جئتم به فان عندنا فيه شكاقويا (قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى قالوا ان أنتم إلا بشر مثلنا (٢٨٩) تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا

فأنتوا بلسان مبین قات لهم رسلهم ان نحن إلا بشر مثلهم ولكن الله يبين على من يشاء من عباده وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون وما لنا ان لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتونا وعلى الله فليستوكل المتوكلون) يخبر تعالى عما دار بين الكفار وبين رسلهم في المجادلة وذلك ان أمهم لما واجهوهم بالشك فيما جاؤا به من عبادة الله وحده لا شريك له قالت الرسل أفي الله شك وهذا يحتمل شيئين أحدهما أفي وجوده شك فان الفطر شاهدة بوجوده ومجبولة على الاقرار به فان الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة ولكن قد يعرض لبعض الفطر شك واضطراب فيحتاج الى النظر في الدليل الموصل الى وجوده ولهذا قات لهم الرسل ترشداهم الى طريق معرفته بأنه فاطر السموات والارض الذي خلقهما واتدعهما على غير مثال سبق فان شواهد الحدت والخلق والتسخير ظاهر عليهم ما فلا بد لهم من صانع وهو الله لا اله الا هو خالق كل شيء والله ومليك والمعنى الثاني في

موصلة الى المطلوب لما علم من شقاوتهم (ولههم في الآخرة عذاب أليم) بسبب ما هم عليه من الكفر والتكذيب بآيات الله ثم لما وقع منهم نسبة الافتراء الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رد عليهم بقوله (انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) فكيف يقع الافتراء من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو رأس المؤمنين بها والداعين الى الايمان بها وهؤلاء الكفار هم الذين لا يؤمنون بها فهم المقترون للكذب قال الزجاج المعنى انما يفترى الكذب الذين اذاروا والآيات التي لا يقدر عليها الا الله كذبوا بها هؤلاء كذب الكذبة ثم سماهم الكاذبين فقال (وأولئك) المتصفون بذلك (هم الكاذبون) أي ان الكذب نعت لازم لهم وعادة من عاداتهم فهم الكاملون في الكذب اذ لا كذب أعظم من تكذيبهم بآيات الله وقولهم انما علمه بشر والتأكيد بال تكرار وان وغيرهما رد القولهم انما أنت مقتر (من كفر بالله من بعد ايمانه) أي تلفظ وتكلم بالكفر أو فعل فعل كفر سواء كان مختارا في ذلك أو مكرها عليه فالاستثناء في قوله (الامن اكره وقلبه مطمئن بالايمان) متصل وقال القرطبي أجمع المفسرون وأهل العلم على ان من أكره على الكفر حتى خشى على نفسه القتل انه لا ثم عليه ان كفر وقلبه مطمئن بالايمان ولا تين منه زوجته ولا يحكم عليه بحكم الكفر وحكي عن محمد بن الحسن انه اذا ظهر الكفر كان مرتدا في الظاهر وفيما بينه وبين الله على الاسلام وتين منه امراته ولا يصلي عليه ان مات ولا يرث أباه ان مات مسلما وهذا القول مردود على قائله مدفوع بالكتاب والسنة وذهب الحسن البصري والاوزاعي والشافعي وسحنون الى ان هذه الرخصة انما جاءت في القول واماني الفعل فلا رخصة مثل ان يكره على السجود لغير الله ويدفعه ظاهر الآية فانها عامة فيمن أكره من غير فرق بين القول والفعل كما تقدم والمعنى الامن كقربا كراه والحال ان قلبه مطمئن بالايمان لم يتغير عقيدته أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال لما أورد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يهاجر الى المدينة قال لا صحابة تفرقوا عني فمن كانت به قوة فليمتأخر الى آخر الليل ومن لم تكن به قوة فليذهب أول الليل فاذا سمعتم بي قد استقرت لي الارض فالحقوا بي فاصبح بلال المؤذن وخباب وعمار وجارية من قريش كانت أسأت فاخذهم المشركون وأبوجهل فعرضوا على بلال أن يكفر فأبى فجعلوا يضعون درعا من حديد في الشمس ثم

قولهم أفي الله شك أي أفي الهية وتفرد به جوب العبادة له شك وهو الخالق لجميع الموجودات ولا يستحق العبادة الا هو وحده لا شريك له فان غالب الامم كانت مقرة بالصانع ولكن تعبد معه غيره من الوسائط التي يظنونها تنفعهم أو تقربهم من الله زلفي وقالت لهم رسلهم الرسل تدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم أي في الدار الآخرة ويؤخركم الى أجل مسمى يتعكم متاعا حسنا الى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله الآية فقالت لهم الامم محاجين في مقام الرسالة بعد تقدير تسليمهم المقام الاول وحاصل ما قالوه ان أنتم إلا بشر مثلنا أي كيف تتبعكم بمجرد قولكم ولما ترمى منكم معجزة فأنتوا بلسان مبین أي خارق نقرحه عليكم قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم أي صحيح أنابشر مثلكم في البرية ولكن الله يبين على من يشاء من عباده أي بالرسالة والنبوة وما كان لنا ان نأتيكم

بسلطان على وفق ما سألتم الاباذن الله اى بعد سؤالنا اياه واذنه لانافى ذلك وعلى الله فليست كل المؤمنون اى فى جميع أمورهم ثم قالت
الرسول وما لنا ان لا نتوكل على اى وما يمنعنا من التوكل عليه وقد هدانا لاقوم الطرق وأصحها وأبينها ولنصبرن على ما آذتونا اى
من الكلام السيئ والافعال السخيفة وعلى الله فليست كل المتوكلون (وقال الذين كفروا والرسولهم لئخر جنكم من أرضنا ولتعبدن
فى ملتنا فأوحى اليهم ربهم انهم ليمكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيدواستفتحووا وخاب
كل جبار عنيد من وراءه جهنم ويسقى من ماء (٢٨٠) صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتية الموت من كل مكان وما هو

يلبسونها اياه فاذا لبسوها اياه قال أحداً واحداً ما خباب جعلوا يجرون فى الشوك وأما
عمار فقال لهم كلمة أعجبتهم تقية واما الجارية فقتلها أبو جهل أربعة أو ثمانية مدها
فادخل الحربة فى قلبها حتى قتلها ثم خلوا عن بلال وخباب وعمار فلحقوا برسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم فاخبروه بما همهم واشتد على عمار الذى كان تكلم به فقد لرسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم كيف كان قلبك حين قلت أكان منشر حبالى قلت أم لا قال
لا فانزل الله الامن أكره وقلبه مطمئن بالايمان وقيل نزلت فى أناس من أهل مكة وقيل
نزلت فى جبر مولى عامر بن الحضرمي أكرهه سيده على الكفر والاولى والحق ان
الآية عامة فى كل من أكره على الكفر وقلبه مطمئن بالايمان وان كان السبب خاصا وفيه
دليل على ان محل الايمان هو القلب (ولكن) الاستدراك واضح لان قوله الامن أكره
قد يسبق الوهم الى الاستثناء مطلقا فاستدرك هذا وقوله مطمئن لا ينسب ذلك الوهم (من)
موصولة أو شرطية والاولى أوى (شرح بالكفر صدرا) أى اخذته ورضى به وطابت به
نفسه (فعلهم) فيه مرعاة معنى من ولوراعى لفظها لأفرد وقال فعليه (غضب من الله
ولهم عذاب عظيم) فى الآخرة عن ابن عباس قال أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه
حتى سب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكألهتهم بخير فتركوه فلما أتى النبي صلى الله
عليه وآله وسلم قال ما وراءك قال شرماتركت حتى نلت منك وكنت آلهتهم بخير قال
كيف تجد قلبك قال مطمئنا بالايمان قال ان عادوا فعد فنزلت الامن أكره الخ قال فذلك
عمار بن ياسر ولكن من شرح بالكفر صدرا عبد الله بن أبى سرح أخرجه البيهقي والحاكم
وصححه وفى الباب روايات مصرحة بانها نزلت فيه وعن محمد بن سيرين قال نزلت هذه
الآية فى عياش بن أبى ربيعة وعن ابن عباس قال هو عبد الله بن أبى سرح الذى كان
يكتب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فآله الشيطان فلحق بالكفر فمر به النبي صلى
الله عليه وآله وسلم ان يقتل يوم فتح مكة فاستجار له عثمان بن عفان فاجاره النبي صلى الله
عليه وآله وسلم وعن الحسن وعكرمة مشهورة ليس بعد هذا الوعيد العظيم وهو الجمع
للمرتدين بين غضب الله وعظيم عذابه وعيد (ذلك) اى الكفر بعد الايمان أو الوعيد
بالغضب والعذاب (بأنهم استحبوا الحياة الدنيا) اى ذلك بسبب تأثيرهم للحياة الدنيا القانية
(على الآخرة) الباقية الدائمة (وأن الله لا يهدي القوم الكافرين) فى علمه الى الايمان به

يمت ومن وراءه عذاب غليظ) يخبر
تعالى بما توعدت به الامم الكافرة
رسولهم من الاخراج من الارض
والثقى من بين أظهرهم كما قال قوم
شعيب له ولئن آمن به لئخر جنك
يا شعيب والذين آمنوا معك من
قريتنا الآية وكما قال قوم لوط
أخرجوا آل لوط من قريتهم الآية
وقال تعالى اخبارا عن مشركى
قريش وان كادوا ليستفزونك من
الارض ليخرجوك منها واذ ايلبون
خلافك الا قليلا وقال تعالى واذ
يكرهك الذين كفروا لئيبطوك أو
يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون
ويكره الله والله خير الماكرين وكان
من صنعه تعالى انه أظهر رسوله ونصره
وجعل له بسبب خروجه من مكة
أنصارا وأعوانا وجندا يقاتلون فى
سبيل الله تعالى ولم يزل رقيه تعالى
من شئ الى شئ حتى فتح له مكة التى
أخرجته وممكن له فيها وأرغم أنوف
أعدائه منهم ومن سائر أهل الارض
حتى دخل الناس فى دين الله أفواجا
وظهرت كلمة الله ودينه على سائر
الاديان فى مشارق الارض ومغاربها

فى أيسر زمان ولهذا قال تعالى فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم وكما
قال ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقال تعالى كتب الله لآغلين أنا ورسلى ان الله
قوى عزيز وقال تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكرا الآية وقال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله
يوزنها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وقال تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التى
باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا وادمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون وقوله ذلك لمن
خاف مقامى وخاف وعيد اى وعدي لمن خاف مقامى بين يدي يوم القيامة وخاف من وعيدى وهو تخوفى وعذابى كما قال تعالى

فأما من طغي وآثر الحياة الدنيا فإن الخيم هي المأوى وقال لمن خاف مقام ربه جنتان وقوله واستفتحوا أي استصمرت الرسل ربها على قومها قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم استفتحت الأمم على نفسها كما قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ويحتمل ان يكون هذا مراداً وهذا مراداً كما انهم استفتحوا على أنفسهم يوم بدر واستفتح رسول الله صلى الله عليه وسلم واستنصر وقال الله تعالى للمشركين ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم الآية والله أعلم وحاب كل جبار عنيد أي متجبر في نفسه عنيد (٢٨١) معادل للحق كقوله تعالى القيافي جهنم كل كفار

عنيذ مناع للخير عمد مررب الذي جعل مع الله الها آخر فالقيامة في العذاب الشديد وفي الحديث انه يوتى بجهنم يوم القيامة فتنادى الخلائق فتمقول انى وكلت بكل جبار عنيد الحديث خاب وخسر حين اجتهد الانبياء في الابتغال الى ربها العزيز المقدر وقوله من وراءه جهنم وراءه شاعني امام كقوله تعالى وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وكان ابن عباس يقرأها وكان امامهم ملك أي من وراء الحبار العنيذ جهنم أي هي له بالمرصاد يسكنها مخلد ايام المعاد ويعرض عليها غدو وعشيا الى يوم التناد ويسقي من ماء صديد أي في النار ليس له شراب الا من حميم وغساق فهذا في غاية الحرارة وهذا في غاية البرد والنين كما قال هذا فلذوقوه حميم وغساق وآخر من شكله أزواج وقال مجاهد وعكرمة الصديد من القيح والدم وقال قتادة هو ما يسيل من لحمه وجلده وفي رواية عنه الصديد ما يخرج من جوف الكافر قد خالط القيح والدم وفي حديث شهر بن حوشب عن اسماء بنت زيد بن السكن قالت قلت

ولا يصعبهم من الزيغ ثم وصفهم بقوله (أولئك) الموصوفون بما ذكر من الاوصاف القبيحة (الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم) فلم يفهموا المواعظ ولا سمعوها ولا أبصروا الآيات التي يستدل بها على الحق وقد سبق تحقيق الطبع في أول البقرة ثم أثبت لهم صفة نقص غير الصفة المتقدمة فقال (وأولئك هم الغافلون) عما يراد بهم من العذاب في الآخرة وضمير الفصل يفيد انهم متناهون في الغفلة اذ لا غفلة أعظم من غفلتهم هذه (لاجرم) قد تقدم تحقيق الكلام في معناها أي حقا (انهم في الآخرة هم الخاسرون) أي الكاملون في الخسران البالغون الى غاية منه ليس فوقها غاية لمصيرهم الى النار المؤبدة عليهم والموجب لخسرانهم ان الله وصفهم بست صفات تقدمت الأولى انهم استوجبوا غضب الله الثانية انهم استحقوا عذابه العظيم الثالثة انهم استجبوا الحياة الدنيا الرابعة انهم حرمهم الله من الهداية الخامسة انه طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم السادسة انه جعلهم من الغافلين (ثم ان ربك للذليل هاجروا) من دار الكفر الى دار الاسلام وخبر ان محذوف أي اغفور رحيم وقيل الخبر هو الذين هاجروا أي ان ربك لهم بالولاية والنصرة لا عليهم وفيه بعد قال في الكشاف ثم ههنا للدلالة على تباعد حال هؤلاء يعني الذين نزلت الآية فيهم عن حال أولئك وهم عمار وأصحابه ويدل على ذلك ما روى انه نزلت في ابن أبي السرح قال ابن عباس كان قوم من أهل مكة أسلموا وكانوا يستخفون بالاسلام فنزلت فيهم هذه الآية فكتبوا بذلك اليهم ان الله قد جعل لكم مخرجا فخرجوا فادركهم المشركون فقاتلهم فبقي من نجي وقتل من قتل (من بعد ما قتلوا) أي قتلتم الكفار بتعذيبهم لهم ليرجعوا في الكفر وقرئ فتناو على البناء للفاعل وهي سبعة أيضا أي للذين قتلوا المؤمنين وعذبوهم على الاسلام (ثم جاهدوا) في سبيل الله (وصبروا) على ما أصابهم من الكفار وعلى ما يلقيه من مشاق التكليف (ان ربك من بعدها) أي من بعد الفتنة التي قتلوها أو بعد المهاجرة أو الجهاد أو الصبر أو جميع ذلك (لغفور رحيم) أي كثير الغفران والرحمة لهم ومعنى الآية على قراءة البناء للفاعل واضح ظاهر أي ان ربك لهؤلاء الكفار الذين قتلوا من أسلم وعذبوهم ثم جاهدوا وصبروا والغفور رحيم وأما على قراءة البناء للمفعول وهي قراءة الجمهور فالعنى ان هؤلاء المقننين الذين تكلموا بكلام الكفر مكرهين وصدورهم غير منسرحة

(٣٦ فتح البيان خامس) يا رسول الله ما طينة الخبال قال صديد أهل النار وفي رواية عصارة أهل النار وقال الامام أحمد حدثنا علي بن اسحق انبا عبد الله انبا ناصفوان بن عمرو بن عبيد الله بن بشر عن أبي امامة رضی الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ويستقي من ماء صديد يتجرعه قال يقرب اليه فيسكره فاذا نادى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله تعالى وسقوا ماء حميما قطع أمعاءهم ويقول وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه الآية وهكذا رواه ابن جرير من حديث عبد الله بن المباركة ورواه هو وابن ابي حاتم من حديث ببيعة بن الوليد عن صفوان بن عمرو بن

وقوله يتجرعه أي يتغصصه ويتكرهه أي يشربه قهرا لا يبضعه في فيه حتى يضر به الملك بطراق من حديد كما قال تعالى ولهم مقامع من حديد ولا يكاد يسيغه أي يردده لسوء طعمه ولونه وريحه وحرارته أو برده الذي لا يستطاع وبأية الموت من كل مكان أي يألمه جميع بدنه وجوارحه وأعضائه قال عمرو بن ميمون من كل عظم وعصب وعرق وقال عكرمة حتى من اطراف شعره وقال ابراهيم التيمي من موضع كل شعرة أي من جسده حتى من اطراف شعره وقال ابن جرير وبأية الموت من كل مكان أي من امامه وخلفه وفي رواية وعن عيسى وشماله ومن فوقهم ومن (٢٨٢) تحت ارجلهم ومن سائر اعضاء جسده وقال الضحاك عن ابن عباس وبأية

الموت من كل مكان قال انواع العذاب الذي يعذبه الله به يوم القيامة في نار جهنم ليس منها نوع الا بأية الموت منه لو كان يموت ولكن لا يموت لان الله تعالى قال لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها ومعنى كلام ابن عباس رضي الله عنه انه ما من نوع من هذه الانواع من العذاب الا اذا ورد عليه اقتضى أن يموت منه لو كان يموت ولكنه لا يموت ليخلد في دوام العذاب والنكال ولهذا قال وبأية الموت من كل مكان وما هو بيت وقوله ومن ورائه عذاب غليظ أي وله من بعده هذه الحال عذاب آخر غليظ أي مؤلم صعب شديد اغلظ من الذي قبله وادهى وامر وهذا كما قال تعالى عن شجرة الرقوم انها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلوعها كانه رؤس الشياطين فانهم لا يكون منها الا رؤس الشياطين البطون ثم ان لهم عليها الشوبان جحيم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم فأخبر انهم تارة يكونون في كل رقوم وتارة في شرب جحيم وتارة يردون الى جحيم عياد الله من ذلك وهكذا قال تعالى هذه جهنم التي يكذب

للكفر اذا صلحت أعمالهم وجاهدوا في الله وصبروا على المسكاره لغفور لهم رحيم بهم وأما اذا كان سبب الآيه هو هذا عبد الله بن أبي سرح الذي ارتد عن الاسلام ثم رجع بعد ذلك اليه فالعنى ان هذا المفتون في دينه بالردة اذا أسلم وجاهد وصبر فآله غفور له رحيم به (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها) أي تخصم وتسمعي في خلاصها وقد استشكل اضافة ضمير النفس الى النفس ولا بد من التغير بين المضاف والمضاف اليه وهو واجب بان المراد بالنفس الاولى جله بدن الانسان وبالنفس الثانية الذات فكانت قيل يوم يأتي كل انسان يجادل عن ذاته لا يمه غيره هابل يقول نفسي نفسي ومعنى المجادلة عنها الاعتذار بما لا يقبل منه كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين ونحو ذلك من المعاذير الكاذبة فهو مجادل ومخاصم عن نفسه لا يتفرغ لغيرها يوم القيامة (وتوفي كل نفس) جزاء (ما عملت) في الدنيا من خيرا وشر (وهم لا يظلمون) من جزاء أعمالهم بل يوفون ذلك كاملا من غير زيادة أو نقصان (وضرب الله مثلا قرية) قد قدمنا ان ضرب مضمين معنى ولذا عدى الى مفعولين قد اختلف المفسرون هل المراد بهذه القرية قرية معينة أو المراد قرية غير معينة قال الزمخشري بل كل قوم أنعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فانزل الله بهم نعمته ونحوه في البيضاوي قال القرطبي انه مثل مضر وب لاى قرية كانت على هذه الصفة من سائر القرى فيجوز ان تراد قرية مقدرة على هذه الصفة ويجوز ان تكون في قرى الاولين قرية كانت هذه حالها فضر بهم الله مثلا مكة انذارا من مثل عقابته او ذهب الا كثرون الى الاول وصرحوا بانها مكة وذلك لما دعا عليهم رسول الله صلى الله وآله وسلم وقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فابتلوا بالقعقح حتى أكلوا العظام والثاني أرجح لان تكبير قرية يفيد ذلك ومكة تدخل في هذا العموم البدلى دخولا أو لا وما أيضا يكون الوعيد أبلغ والمثل أكل وغير مكة مثلها وعلى فرض ارادتها في المثل انذارا لغيرها من مثل عقابته وعن ابن عباس قال يعنى مكة وعن عبيدة مثله وزاد فقال الا ترى انه قال واقدماءهم رسول منهم فكذبوه قال الواقدي ذكر المشبه به ولم يذكر المشبه لوضوحه عند مخاطبة بنى الاية عند عامة المنسرين نازلة في أهل مكة وما امتحنوا به من الخوف والجوع بعد الأمن والنعمة بتكذيبهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتقدير الآيه يضرب الله مثلا لقرية تكلم أي بين الله لها شيئا ثم وصف القرية بانها

بها المجرمون يطوفون بينها وبين جحيم أن وقال تعالى ان شجرة الرقوم طعام الاثيم كالمهل يغلي في البطون يغلي الجحيم (كانت خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ثم صبوا فوق راسه من عذاب الجحيم ذق انك انت العزيز الكريم ان هذا ما كنته تهمتمون وقال واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم وجحيم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم وقال تعالى هذا وان اللطافين لشر ما آب جهنم يصلونها فيس المهاد هذا فليذوقوه جحيم وغساق وآخر من شكله أزواج الى غير ذلك من الآيات الدالة على تنوع العذاب عليهم وتكراره وانواعه واشكاله مما لا يحصيه الا الله عز وجل جزاء وفاقا وما ربك بظلام للعبيد (مثل الذين كفروا برهم أعمالهم كرماد اشتدت به

الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد) هذا مثل ضربه الله تعالى لأعمال الكفار الذين عبدوا معه غيره وكذبوا رسله وبنوا أعمالهم على غير أساس صحيح فانهارت وعدموها أحوج ما كانوا اليها وقال تعالى مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم أي مثل أعمالهم يوم القيامة اذا طابوا ثوابها من الله تعالى لانهم كانوا يحسبون انهم على شيء فلم يجحدوا شيئا ولا القوا حصلا الا كما يحصل من الرماد اذا اشتدت به الريح العاصفة في يوم عاصف أي ذي ريح عاصفة قوية فلم يقدر واعي شيء من أعمالهم التي كسبوا في الدنيا الا كما يقدرون على جمع هذا الرماد في هذا اليوم كقوله (٢٨٣) تعالى وقد مننا الى ما عملوا من عمل فجعلناه

(كانت آمنة) غير خائفة (مطمئنة) غير منزعجة أي لا يخاف أهلها ولا ينزعجون وعن ابن شهاب قال القرية التي كانت آمنة مطمئنة هي يثرب قلت ولا أدري أي دليل على هذا التعيين ولا أي قرية قامت له على ذلك ومتى كفرت دار الهجرة وتمسكن الانصار بانعم الله وأي وقت اذا قها الله لباس الجوع والخوف وهي التي تنفي خبثها كما ينفي الكبر خبث الحديد كما صح ذلك عن الصادق المصدوق وصح عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون (ياتيها رزقها) أي ما يرتزق به أهلها (رغدا) أي واسع يقال رغد العيش بالضم رعادة اتسع ولان فهو رغد ورغيد ورغد ورغد رغدا من باب تعب لغة فهو راغد وهو في رغد من العيش أي رزق واسع وأرغد القوم بالالف أخصبوا والرغد الزبد (من كل مكان) من الامكنة التي يجب ما فيها اليها أي من نواحيها من البر والبحر (فكفرت) أي كفر أهلها (بانعم الله) التي أنعم بها عليهم وهي جمع نعمة كالاشد جمع شدة وقيل كالادع جمع درع على ترك الاعداد ابتداء وقيل جمع نعم مثل بؤس وبؤس ويحتمل انه جمع نعماء بفتح النون والمد هو في معنى النعمة وهذا الكفر منهم هو كفرهم بالله سبحانه وتكذيب رسله (فاذا قها الله) أي أهلها (لباس الجوع والخوف) أي أثرهما ففتح واسبع سنين وسمى ذلك لباسا لانه يظهر به عليهم من الهزال وشحوبة اللون وسوء الحال ما هو كاللباس فاستعير له اسمه وأوقع عليه الاذاقة وأصلها الذوق بالقلم ثم استعيرت لمطلق الايصال مع انبائها بشدة الاصابة لما فيها من اجتماع الادراكين ادراك اللبس والذوق روى ان ابن الراوندي الزنديق قال لابن الاعرابي امام اللغة والادب هل يذاق اللباس فقال له ابن الاعرابي لا بأس أيها الناس هب ان محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما كان نبيا أما كان عربيا كأنه طعن في الآية بان المناسب ان يقال فكساها الله لباس الجوع أو فاذا قها الله طعم الجوع فرد عليه ابن الاعرابي وقد أجاب علماء البيان ان هذا من تجريد الاستعارة وذلك انه استعار اللباس لما عشى الانسان من بعض الحوادث كالجوع والخوف لاشتماله عليه اشتمال اللباس على اللابس ثم ذكر الوصف ملائمة المستعار له وهو الجوع والخوف لان اطلاق الذوق على ادراك الجوع والخوف جرى عندهم مجرى الحقيقة فيقولون ذاق فلان البؤس والضر وأذاقه غيره فكانت الاستعارة مجردة ولو قال فكساها كانت مرشحة قبيل وترشح الاستعارة وان كان

هباء منشورا وقوله تعالى مثل ما ننقون في هذه الحماة الدنيا كمثل ريح فيها صرأصابت حرت قوم ظلموا أنفسهم فاهلكتهم وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تظلوا صدقاتكم بالبن والاذى كالذي ينفق ماله رياء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فترسكه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين وقوله في هذه الآية ذلك هو الضلال البعيد أي سعيهم وعملهم على غير أساس ولا استقامة حتى فقدوا ثوابهم أحوح ما كانوا اليه ذلك هو الضلال البعيد (الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز) يقول تعالى تخبر عن قدرته على معاد الابدان يوم القيامة بانه خلق السموات والارض التي هي أكبر من خلق الناس أفليس الذي قدر على خلق هذه السموات في ارتفاعها واتساعها وعظمتها وما فيها من الكواكب الثابت والسيارات والحركات المختلفة والايات الباعرات وهذه الارض بما فيها من مهاد ووهاد وأوتاد وبراري وصحارى وقفار وبحار وأشجار ونبات وحيوان على اختلاف أصنافها ومنافعها واشكالها وألوانها أولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى بلى انه على كل شيء قدير وقال تعالى أولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم انما أمره اذا أراد شيئا

ان يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون وقوله ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله
بعزيز أي بعظيم ولا يمنع بل هو سهل عليه اذا خالفتم أمره كما قال وان تتولوا يستمدل قومًا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم وقال بأبيها
الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه وقال ان يشأ يذهبكم ويأت بآخرين وكان الله على
ذلك قديرًا (وبرزوا لله جميعًا فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كالكلمة تبعا فهل أنتم مغنون عنا من شيء قالوا لو هدانا
الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا (٢٨٤) ما لنا من محيص) يقول تعالى وبرزوا أي برزت الخلائق كلها برها

وفاجرها لله الواحد القهار أي
اجتعاله في برز من الارض وهو
المكان الذي ليس فيه شيء يستراح
فقال الضعفاء وهم الاتباع لقادتهم
وسادتهم وكبرائهم الذين استكبروا
عن عبادة الله وحده لا شريك له
وعن موافقة الرسل فقالوا اللهم انا
كالكلمة تبعا أي همما أمرتونا افرنا
وفعلنا فهل أنتم مغنون عنا من
عذاب الله من شيء أي فهل تدفون
عنا شيئا من عذاب الله كما كنتم
تعدون وتعتوننا فقالت القادة لهم
لو هدانا الله لهديناكم ولكن حق
علينا قول ربنا وسبق فينا وفيكم
قدر الله وحقت كلمة العذاب على
الكافر ين سواء علينا أجزعنا أم
صبرنا ما لنا من محيص أي ليس لنا
خلاص مما نحن فيه ان صبرنا عليه
أجزعنا من قال عبد الرحمن بن زيد
ابن أسلم ان أهل النار قال بعضهم
لبعض تعالوا فإنا أدركنا أهل الجنة
الجنة بيكأهم ونضرعهم الى الله عز
وجل تعالوا إنك وتضرع الى الله
ففعالوا فلما رأوا انه لا ينفعهم قالوا
انما أدركنا أهل الجنة الجنة بالصبر
تعالوا حتى نصبر فصبروا صبر الميز
مثله فلم ينفعهم ذلك فعند ذلك قالوا

مستحسنان جهة المبالغة الا ان للتجريد ترجيحا من حيث انه روى جانب المستعارة
فازداد الكلام وضوحا قال الرازي والحاصل انه حصل لهم في ذلك الجوع حالة تشبه
المذوق وحالة تشبه الملبوس فاعتبر الله كلا الاعتبارين فقال فاذا قها والتقدير ان الله
عرفها لباس الجوع والخوف الا انه تعالى عبر عن التعريف بلفظ الاذقة وأصل الذوق
بالفم ثم قد يستعار في موضع وضع التعريف والاختبار قال الشاعر
ومن يذوق الدنيا فاني طعمتها * وسيق آلينا عذيبها وعذابها

أو يحمل اللبس على المماسة أي فاذا قها الله مساس الجوع (بما كانوا يصنعون) أي
فعلنا بهم ما فعلنا بسبب تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخروجه من بين أظهرهم
ولم يقل صنعت لانه أراد أهل القرية قال الفراء كل الصفات أخرجت على القرية الا قوله
يصنعون تنبيها على ان المراد في الحقيقة أهلها (ولقد جاءهم) يعني أهل مكة (رسول منهم)
أي من جنسهم يعرفونه ويعرفون نسبة فامرهم بمغفرتهم ونهاهم عما فيه ضررهم
(فكذبوه) فيما جاء به (فاخذهم العذاب) النازل بهم من الله سبحانه (وهم)
أي والحال انهم في حال أخذهم العذاب لهم (ظالمون) لانفسهم بايقاعها في العذاب
الابدي وغيرهم بالاضرار لهم وصددهم عن سبيل الله وهذا الكلام من تمام المثل
المضروب وقيل ان المراد بالعذاب هنا هو الجوع لذى أصابهم وقيل القتل يوم بدر والاول
أولى ثم لما وعظهم الله سبحانه بما ذكره من حال أهل القرية المذكورة أمرهم بان
يأكلوا مما رزقهم الله من الغنائم ونحوها وقال (فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) جاء
بالفاء للاشعار بان ذلك متسبب عن ترك الكفر والمعنى انكم لما آمنتم وتركت الكفر
فكلوا الحلال الطيب وهو الغنائم واتركوا الخبائث وهي الميتة والدم قبل الخطاب
للمسلمين وبه قال جمهور المفسرين وقيل للمشركين من أهل مكة حكاة الواحدى وغيره
والاول أولى وقيل ان الفاء في فكلوا اذا دخلت على الامر بالشكر وانما دخلت على الامر
بالاكل لان الأكل ذريعة الى الشكر (واشكروا نعمة الله) التي أنعم بها عليكم
واعرفوا حقها (ان كنتم اياه تعبدون) ولا تعبدون غيره وان صح زعمكم انكم تقصدون
بعبادة الآلهة عبادة الله تعالى (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) حرم
الله (ما أهل) أي مرفع الصوت (لغير الله) سواء كان صنما أو وثنا أو نصبا

سواء علينا أجزعنا أم صبرنا الآية قلت والظاهر ان هذه المراجعة في النار بعد دخولهم اليها كما قال تعالى واذا تباعدوا
في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كالكلمة تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا انا كل فيما ان
الله قد حكم بين العباد وقال تعالى قال ادخلوا في ام قد دخلت من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت امة لعنت اختها حتى
اذا داركوا فيها جميعا قالت آخراهم لا ولا هم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقالت
أولاهم لا آخراهم فما كان لكم علينا من فضل فدوقوا العذاب بما كنتم تكسبون وقال تعالى ربنا انا اطعنا سادتنا وكرها فافضلونا

السبلار بناتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا أو امتحانهم في المحشر فقال تعالى ولوترى اذ الظالمون موقوفون عند
رجحهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لسلكنا مؤمنين قال الذين استكبروا والذين
استضعفوا ان نحن صدقنا لكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار
اذ تأمر وتنهان نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاعلال في اعناق الذين كفروا هل يحجزون الا
ما كانوا يعملون (وقال الشيطان لما قاضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق (٢٨٥) ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من

أورو حابيثا من جن أو روحا طيبا من انس كالنبي والولي والصالح حيا كان أو ميتا فهو
حرام وقد ورد في الحديث ما عوان من ذبح غير الله أي سوا اسمى الله عند ذبحه أو لم يسم
لان ما اشهر لغيره سبحانه وتعالى ورفع به الصوت باسم الفلاني لا يتقع بعد ذلك ذكر اسمه
تعالى عند ذبحه لان هذا الحيوان قد انتسب الى ذلك الغير وحدث فيه من الخبث ما زاد
على خبث الميتة فانها لم يذكر عليها اسم الله وهذا الحيوان قد عين روحه لغير خالقه ثم
ذبح له وهو الشرك بعينه وحين سرى هذا الخبث وأثر فيه لا يحل بحال وان ذكر اسم الله
عليه كالأوزج الكاب او الخنزير على اسمه سبحانه وتعالى لا يحل والسر في ذلك ان نذر
الروح لغير خالق الروح لا يجوز وان كان حكم جميع المأكولات والمشروبات والاموال
المنذورة للتقرب الى غير الله سبحانه هكذا فانهم اشركوا وحرام ولكن ثوابها الذي كان يعود
الى الناذر جاز جعله للغير كما جاز للانسان ان يعطى ماله من شاء بخلاف روح الحيوان فانه
ليس بماله للانسان حتى يعطيه لاحد غير الله وانما واجب الاجر في انفاق المال لان
المال شيء ينتفع به في الحال ولما كان الموتى لا ينتفعون به في المال جعل طريق ابدال
النفع اليهم ان يجعل الاموال المعطاة لاهل الاستحقاق لهم فيعود ثوابها اليهم واما روح
الحيوان فلا يصلح للانتفاع في حياة الانسان فكيف بعد مماته ومضى الزمان واما
الاخضية عن الميت التي ورد بها الحديث فنعناها ان الاجر الذي كان يشترط في اذهاق
الروح لله سبحانه وتعالى يعطى لذلك الميت لانه يذبح لاجله ويرفع به الموت للتقرب اليه
وهذه الآية الكريمة جاءت في أربعة مواضع من التنزيل ومعناها ما رفع به الصوت لغير
الله لا ما ذبح باسم غير الله فنرفع الصوت بحيوان لغيره تعالى ثم ذكر اسم الله عند ذبحه
لا ينبغ له هذا الذك شيا ولا يأتي بفائدة ولا يعود بفائدة ولا يحل أكله بهذا الذك عند
الذبح وانما الاهلال في لغة العرب بمعنى رفع الصوت لاجبى الذبح كيف ولم يرد به عرف
ولا وقع في شعر عرقت هذه كتب اللسان العربي ودفاتر اللغات على وجه البسيطة ليس في
أحد منها الاهلال بمعنى الذبح وانما يقال الاهلال لرؤية الهلال ولبكاء الطفل والتلبية
بالحج لا للذبح فليس معنى أهلت لله ذبحت له في القاموس استهل الصبي رفع صوته
بالبكاء كاهل وكذا اكل متسكاهم رفع صوته أو خنض وأهل نظر الى الهلال والملي رفع صوته
بالتلبية وقال الجوهرى استهل الصبي أي صاح عند الولادة وأهل المعتمر اذا رفع صوته

الحج والأدلة الصحيحة على صدق ما جازكم به خالفتموهم فصرتم الى ما أنتم فيه فلا تلوموني اليوم ولوموا أنفسكم فان الذنب لكم
لكونكم خالفتم الحج واتبعتوني بمجرد ما دعوتكم الى الباطل ما أنتم بمصرخكم أي بتافعكم ومنقذكم ومخلصكم مما أنتم فيه
وما أنتم بمصرخي أي بتافعي بانقاذي مما أنتم فيه من العذاب والنكال انى ككفرت بما أشركتمون من قبل قال قتادة أي بسبب
ما أشركتمون من قبل وقال ابن جرير يقول انى سجدت ان أكون شر يك الله عز وجل وهذا الذي قاله هو الراجح كما قال تعالى ومن أضل
من يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم

كافرين وقال كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم سدا وقوله ان الظالمين اى فى اعراضهم عن الحق واتباعهم الباطل لهم عذاب أليم والظاهر من سياق الآية ان هذه الخطبة تكون من ابليس بعد دخولهم النار كما قدمنا ولكن قد ورد فى حديث رواه ابن ابي حاتم وهذا النظم وابن جرير من رواية عبد الرحمن بن زياد حدثني دحيم بن الحزري عن عقبه بن عامر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا جاع الله الاولين والآخرين ففضى بينهم ففرغ من القضاء قال المؤمنون قد قضى بيننا ربنا فمن يشفع لنا فيقولون انطلقوا بنا الى آدم وذكروا ابراهيم وموسى وعيسى (٢٨٦) فيقول عيسى أدلكم على النبي الامي فيأتوني فيأذن الله لي ان أقوم اليه

فيثور من مجلسي من أطيب ریح
شها أحد قط حتى أتى ربي فيشفعني
ويجعل لي نوراً من شعراًسى الى
ظفر قدى ثم يقول الكافرون هذا
قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فن
يشفع لنا ما هو الا ابليس هو الذى
أضلنا فيأتون ابليس فيقولون قد
وجد المؤمنون من يشفع لهم فقم
أنت فاشفع لنا فانك انت أضللتنا
فيقوم فيثور من مجلسه من أثن
ريح شها أحد قط ثم يعظم تحميمهم
وقال الشيطان لما قضى الامران
الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم
فأخلفتكم وما كان لى عليكم من
سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى
فلا تلمونى ولوموا أنفسكم وهذا
سياق ابن ابي حاتم ورواه ابن المبارك
عن رشدين سعد عن عبد الرحمن
ابن زياد بن أهدم عن دحيم عن عقبه
به مر فوما وقال محمد بن كعب
القرظى رحمه الله لما قال أهل النار
سوا علينا أجرنا أم صبرنا ما لنا
من محيص قال لهم ابليس ان الله
وعدكم وعد الحق الآية فلما سمعوا
مقاتله مقتوا أنفسهم فنودوا المقت
الله أكبر من مقتكم أنفسكم اذ
تدعون الى الايمان فتكفرون وقال

بالتلمية وأهل بالتسمية على الذبيحة وقوله تعالى وما أهل لغير الله به أى نودى عليه بغير
اسم الله وأصله رفع الصوت انتهى ولو سلم ان معناه ذبح لغير الله فاین هذا من معنى ذبح
باسم غير الله حتى تنتهض به الحجة فالقول بان الالهلال فى هذه الآية وتطأ رها بمعنى الذبح
وغير الله بمعنى اسم غير الله يقرب بتحرى كلامه سبحانه وتعالى حاشاه عن ذلك وقد حكى
النظام النيسابورى فى تفسيره اجماع أهل العلم على ان ذبيحة المسلم التى قصد بذبحها
التقرب الى غير الله ذبيحة مرتدة وقد صار هو مرتداً ايضا وكان الكفار فى الجاهلية اذا
خرجوا من ديارهم رفعوا الاصوات باسماء الاصنام فى الطرق والشوارع واذا وصلوا الى
مكة المكرمة تطافوا الكعبة مع ان طوافهم هذا لم يكن يقبل عند الله ولهذا نزل قوله تعالى
فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فكذلك فيما نحن فيه اذ ارفع أحد الصوت
بجيو ان انه لفلان أو لاجله أو يذبح له ثم ذكر عليه اسم الله عند الذبح فهنا لا ترتب
عليه الحلية أصلاً نعم ان بغير النية ويبدل الامنية ويزيل قصد التقرب به الى غير الله
ويرفع به الصوت خلاف ما رفع به أولاً ويقول ثبت عنه ثم يذبح ويذكر عليه اسم الله
تعالى يحل أكله واذا تقرر لك ان الالهلال بمعنى رفع الصوت فى اللغة لا بمعنى الذبح علمت
ان الذى فسره بالذبح قد غلط غلطاً بيناً وتجوز ولا يصار الى المجاز الا عند تعدد الحقيقة
أو تأول رفع الصوت بالذبح بناء على سبب النزول وانما العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب وقد فسرنا الالهلال فى البقرة والمائدة والانعام بما فسر به جمهور المفسرين
وهو تسامح سبق به القلم وانما الحق فى المقام تفسيره برفع الصوت والغناء قيد الذبح ليتناول
النظم الكريم كل حيوان رفع به الصوت لغير الله سبحانه وتعالى سواء ذبح باسم الله
أو باسم غيره وعليه تدل اللغة العربية وهى الاصل المقدم فى تفسير كلام الله العزيز على
الجميع ما لم يعارضه نص مقدم أو ناقل مرجح أو دليل مساو والذى فسرنا به الآية هنا قد
فسرها به الشيخ عبد العزيز المحمدي الدهلوى رحمه الله فى تفسيره وهو الصواب وبالله
التوفيق ثم ذكر الله سبحانه الرخصة فى تناول شئ مما ذكر فقال (فن اضطر) أى دعت
ضرورة المختصة الى تناول شئ من ذلك حال كونه (غير باغ) على مضطر آخر (ولاعاد)
متعدداً للضرورة وسد الرمي (فان الله غفور رحيم) لا يؤاخذ بذلك وقيل معناه غير
باغ على الوالى ولا استعداد على الناس بالخروج لقطع الطريق فعلى هذا الايباح تناول شئ من

عامر الشعبي يقوم خطيبان يوم القيامة على رؤس الناس يقول الله تعالى لعيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذونى المحرمات
وأى الهين من دون الله الى قوله قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم قال ويقوم ابليس لعنه الله فيقول ما كان لى عليكم من سلطان
الا ان دعوتكم فاستجبتم لى الآية ثم لما ذكر تعالى ما ل الاشقياء وما صاروا اليه من الخزي والنكال وان خطيبتهم ابليس عطف بما ل
السعداء فقال وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار سارحة فيها حيث ساروا واین ساروا خالدين فيها
ما كسبوا ابد الا يحولون ولا يزولون يحييتهم فيها سلام كما قال تعالى حتى اذا جاؤها وقضت ابوابها وقال لهم خزنتموها سلام عليكم وقال

تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وقال تعالى ويلقون فيها تحية وسلاما وقال تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين (الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ومثل كلمة طيبة شهادة أن لا اله الا الله كشجرة طيبة وهو المؤمن أصلها ثابت يقول لا اله الا الله في قلب المؤمن وفرعها في السماء (٢٨٧) يقول يرفع بها عمل المؤمن الى السماء وهكذا قال

الضحاك وسعيد بن جبيرة وعكرمة ومجاهد وغير واحد ان ذلك عمل المؤمن وقوله الطيب وعمله الصالح وان المؤمن كشجرة من النخل لا يزال يرفع له عمل صالح في كل حين ووقت وصباح ومساء وهكذا رواه السدي عن مرة عن ابن مسعود قال هي النخلة وشعبة عن معاوية بن قرة عن أنس هي النخلة ومجاهد بن سبله عن شعيب بن الحباب عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بقنابس فقراً ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة قال هي النخلة وروى من هذا الوجه ومن غيره عن أنس موقوفاً وكذا نص عليه مسروق ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة والضحاك وقتادة وغيرهم وقال البخاري حدثنا عبيد بن اسمعيل عن أبي اسامة عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال تكاعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أخبروني عن شجرة تشبهه أو كل رجل من المسلمين لا يتحتم ورقها صيفاً ولا شتاء تؤتى أكلها كل حين قال ابن عمر فوقع في نفسي انها النخلة ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت ان أتكلم

المحرمات في سفر المعصية ثم زيف طريقة الكفار في الزيادة على هذه المحرمات كالجيرة والسبابة وفي النقصان عنها كتحليل الميتة والدم فقال (ولا تقولوا ما تصفوا أنفسكم الكذب هذا حلال وهذا حرام) قال الكسائي والزجاج ما مصدرية والكذب منتصب بلا تقولوا أي لا تقولوا الكذب لاجل وصف أنفسكم ومعناه لا تتكلموا ولا تحرموا الاجل قول تنطبق به أنفسكم من غير حجة وقيل ما موصولة والكذب منتصب بـ تصف أي لا تقولوا الذي تصف أنفسكم الكذب فيه حذف لفظ فيه لكونه معلوماً فيكون هذا حلال وهذا حرام بدلان الكذب قال مجاهد في الجيرة والسبابة وقيل يعني قوله هم ما في بطون هذا الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير استناد ذلك الوصف الى الوحي قيل في الكلام حذف بتقدير القول أي فتقول هذا حلال وهذا حرام أو قائله هذا حلال وهذا حرام وقيل لا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف أنفسكم الكذب وقرئ كذب بضم الثلاثة على انه نعت للاسنة وقرئ ككتف نعتاً للماء أو بدلا منها ومعناه ولا تقولوا الكذب الذي تصفه أنفسكم هذا حلال وهذا حرام عن أبي نضرة قال قرأت هذه الآية في سورة النخل فلم أزل أخاف النسيان الى يومى هذا قلت صدق رحمه الله فان هذه الآية تتناول بعموم لفظها فتسا من أفتى بخلاف ما في كتاب الله أو في سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما يقع كثير من المؤثرين للرأي المقدمين له على الرواية أو الجاهلين لعلم الكتاب والسنة كالمقلدة وانهم لحقيقون بان مجال بينهم وبين فتاواهم ويمنعوا من جهة الاتهام فانهم أفتوا بغير علم من الله ولا هدى ولا كتاب منير فضلوا وأضلوا ففهم ومن يستفتيهم كما قال القائل

كبهيمة عيياء فادزمامها * أعمى على عوج الطريق الحائر

وأخرج الطبراني عن ابن مسعود قال عسى رجل يقول ان الله أمر بكذا ونهى عن كذا فيقول الله عز وجل كذبت أو يقول ان الله حرم كذا وأحل كذا فيقول الله له كذبت (لتفتروا) اللام هي لام العاقبة لالام الغرض أي فيتعقب ذلك افتراءكم (على الله الكذب) بالتحليل والتحرير واسناد ذلك اليه من غير ان يكون منه (ان الذين يفترون على الله الكذب) أي افتراء كان (لا يفلحون) بنوع من أنواع الفلاح والنور بالمطلوب لافي الدنيا ولا في الآخرة بدليل ما بعده (متاع قليل) قال الزجاج متاعهم متاع قليل

فما لم يقولوا شيئاً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي النخلة فلما قلنا قلت لعمر يا ابتاه والله لقد كان وقع في نفسي انها النخلة قال ما منعك ان تكلم قال لم أركم تكلمون فكرهت ان أتكلم أو أقول شيئاً قال عمر لان تكلمت قلتم أحب الي من كذا وكذا وقال أحمد حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد صحبت ابن عمر الى المدينة فلم أسمعه يتحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا حديثنا واحداً قال تكاعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى بجمار فقال من الشجر شجرة مثلها مثل الرجل المسلم فأردت ان أقول هي النخلة فنظرت فاذا أنا أصغر القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي النخلة آخر جاء وقال مالك وعبد العزيز عن عبد الله بن

ذئب عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاصحابه ان من الشجر شجرة لا يطرح ورقها مثل المؤمن قال فوقع الناس في شجر البوادي ووقع في قلبي انها النخلة آخر جاه أيضا وقال ابن أبي حاتم حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا أبان يعني ابن زيد الطار حديثنا فتادة ان رجلا قال يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالاجور فقال أرايت لو عمد الى متاع الدنيا فركب بعضه على بعض أكان يبلغ السماء أفلا أخبرك بعمل أصلا في الارض وفرعه في السماء قال ما هو يا رسول الله قال تقول لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله عشر (٢٨٨) مرات في دبر كل صلاة فذالك أصلا في الارض وفرعه في السماء وعن ابن

عباس كشجرة طيبة قال هي شجرة في الجنة وقوله تؤتى اكلها كل حين قال غدوة وعشية وقيل كل شهر وقيل كل شهرين وقيل كل ستة أشهر وقيل كل سبعة أشهر وقيل كل سنة والظاهر من السياق ان المؤمن مثله كمثل شجرة لا يزال يوجد منها ثم عسرى كل وقت من صيف أو شتاء أو ليل أو نهار كذلك المؤمن لا يزال يرفع له عمل صالح آناه الليل وأطراف النهار في كل وقت وحين باذن ربها أي كاملا حسنا كثيرا طيبا ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون وقوله تعالى ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة هذا مثل الكافر لا أصل له ولا ثبات مشبهه بشجرة الخنظل ويقال لها الشريان وقال أبو بكر البزار الخافظ حدثنا يحيى بن محمد السكن حدثنا أبو يزيد سعيد بن الربيع حدثنا شعبة عن معاوية بن قرة عن أنس أحسبه رفعه قال مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة قال هي النخلة ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة قال هي الشريان ثم رواه عن محمد بن المنثري عن

وقيل لهم متاع قليل (ولهم عذاب أليم) يردون اليه في الاخرة ثم خص محرمان اليهود بالذکر فقال (وعلى الذين هادوا) أي على اليهود خاصة دون غيرهم (حرمنا ما قصصنا عليك) بقولنا حرمنا عليهم كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا آية (من قبل) متعلق بقصصنا وبجربنا قال الحسن يعني في سورة الانعام وعن قتادة مثله وقال حيث يقول وعلى الذين هادوا الى قوله وانالصادقون وتحريم الشيء اما لضرر فيه واما لبعي المحرم عليهم فقوله انما حرم عليكم الخ اشارة للقسم الاول وهذا اشارة للقسم الثاني (وما علمناهم) بذلك التحريم بل جزيناهم بينهم (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) حيث فعلوا أسباب ذلك فحرمنا عليهم تلك الاشياء عقوبة لهم ثم بين سبحانه ان الافتراء على الله سبحانه ومخالفة أمره لا يمنعهم من التوبة وحصول المغفرة فقال (ثم ان ربك للذئب لعاولا السوء بجهالة) أي متلبسين بجهالة أي جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه أي غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم وعن السلف كل من عصى الله فهو جاهل ولا يصدر العمل السوء الا من الجاهل بالعاقبة لان العاقل لا يرضى بفعل القبيح وفيه بيان سعة مغفرته ورحمته لان السوء لفظ جامع لكل فعل قبيح فيدخل تحته الكفر وسائر المعاصي وقدم تقدم تفسير هذه الآية في سورة النساء (ثم تابوا من بعد ذلك) أي من بعد علمهم للسوء وفيه تأكيد فان تم قد دلت على البعدية فاكدنا بزيادة ذكر البعدية (وأصلحوا) أعمالهم التي كان فيها فساد بالسوء الذي علموه ثم كر ذلك تأكيدا وتقريراف فقال (ان ربك من بعدها) أي من بعد التوبة (لغفور) كثير الغفران (رحيم) أي واسع الرحمة ولما فرغ سبحانه من دفع شبه المشركين وابطال مظاعنهم وكان ابراهيم عليه السلام من الموحدين وهو قدوة كثير ممن ذكره الله في آخر هذه السورة قال (ان ابراهيم كان أمة) قال ابن الاعرابي يقال للرجل العالم امة والامة الرجل الجامع للخير قال الواحدي قال أكثر المفسرين معنى الامة المعلم للخير وبه قال ابن مسعود وعلى هذا المعنى كون ابراهيم امة انه كان معلما للخير أو جامع الخصال الخير أو عالم بما علمه الله من الشرائع وقيل انه كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار فلهذا المعنى كان امة وحده ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم في زيد بن عمرو بن نفيل يبعثه الله امة وحده لانه كان فارق الجاهلية قاله مجاهد قيل بمعنى مأموم أي الذي يؤتمه الناس لياخذوا منه الخير كما قال تعالى اني جاعلك للناس اماما وحكى ابن الجوزي عن

عند عن شعبة عن معاوية عن أنس موقوفا وقال ابن أبي حاتم حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا حماد هو ابن سلمة عن شعيب بن الحجاب عن أنس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة هي الخنظل فاخبرت بذلك أبا العالية فقال هكذا كأنسمع ورواه ابن جرير من حديث حماد بن سلمة به ورواه أبو يعلى في مسنده بإسقاط من هذا فقال حدثنا عن حماد عن شعيب عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بقنا عليه بسرف قال مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى اكلها كل حين باذن ربها فقال هي النخلة ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة

اجتنت من فوق الارض ما لها من قرار قال هي الخنظل قال شعيب فاخبرت بذلك ابا العالمة فقال كذلك كما سمع وقوله
اجتنت أي استوصت من فوق الارض ما لها من قرار أي لأصل لها ولا ثبات كذلك الكفر لأصل له ولا فرع ولا يصعد للكافر
عمل ولا يتقبل منه شيء (ينبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) قال
بخاري حدثنا أبو الوليد حدثنا شعيب أخبرني علقمة بن مرثد قال سمعت سعد بن عبيدة عن البراء بن عازب رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم اذا سئل في القبر شهده ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله ينبت

الله الذين آمنوا بالقول الثابت
في الحياة الدنيا وفي الآخرة ورواه
مسلم أيضا وبقية الجماعة كلهم من
حديث شعيب به وقال الامام أحمد
حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش
عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن
البراء بن عازب قال خرجنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في
جنازة رجل من الأنصار فأتينا
الى القبر ولما جلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله
كأن على رؤسنا الطير وفي يده عود
ينكت به في الارض فرفع رأسه
فقال استعبدوا بالله من عذاب
القبر مرتين أو ثلاثا ثم قال ان
العبد المؤمن اذا كان في انقطاع
من الدنيا واقبال من الآخرة نزل
اليه ملائكة من السماء يبض
الوجوه كأن وجوههم الشمس
معهم كفن من أكفان الجنة
وحنوط من حنوط الجنة حتى
يجلسوا منه مد البصر ثم يحيى ملك
الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول
أيها النفس الطيبة اخرجي الى
مغفرة من الله ورضوان قال فتخرج
تسبل كما تسبل القطرة من في السقاء
فياخذها فاذا أخذها لم يدعها

ابن الانباري انه قال ان هذا مثل قول العرب فلان رحمة وعلامة ونسابة يقصدون بهذا
انتأيت التناهي في المعنى الذي يصفونه به والعرب توقع الاسماء المهمة على الجماعة وعلى
الواحد كقوله فنادته الملائكة وانما ناداه جبريل وحده وانما سمي ابراهيم امة لانه اجتمع
فيه من صفات الفضل وسمات الخير والاخلاق الحميدة ما اجتمع في امة

انيس على الله يستنكر * ان يجمع العالم في واحد

(قالت الله) اي مطيعا له قائما بأوامره قال ابن مسعود وهو الذي يطيع الله ورسوله وعن
ابن عباس قال كان على الاسلام ولم يكن في زمانه من قومه أحد على الاسلام غيره فذلك
ما قال الله كان امة قاتله وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ما من عبد تشبه له امة الا قبل الله شهادتهم والامة الرجل يخافوقه ان الله يقول ان ابراهيم
كان امة أخرجه ابن مردويه وقد تقدم معنى القنوت في البقرة (حنيفا) الحنيف المائل
عن الاديان الباطلة الى دين الحق أي مسلما قويا على دين الاسلام وقد تقدم بيانه في الانعام
(ولم يكن من المشركين) بالله كما تزعمه كافر ريش انه كان على دينهم الباطل بل كان من
الموحدين المخلصين لله تعالى من صغره الى كبره (شاكر الانعمه) التي أنعم الله بها عليه
وان كانت قليلة كما يدل عليه جمع القلة فهو شاكر لما كثر منها بالاولى (اجتباها) اي
اختارها للنسب واختصها بها (وهدها الى صراط مستقيم) وهو مله الاسلام ودين الحق
(وآتيانه في الدنيا حسنة) اي حصلة حسنة أو حالة حسنة قيل هي الولد الصالح وقيل النماء
الجيد وقيل النبوة وقيل الصلاة منا عليه في التشهد وقيل لسان الصدق وقيل القبول
العام في جميع الامم فانه يتولاه جميع أهل الاديان ويشنون عليه ولا يكثر به أحد ورزقه
أو لاداطبية وعمراطويلا في السعة والطاعة ولا مانع أن يكون ما تاه الله شاملا لذلك
كله ولما عده من خصال الخير وفيه التناف عن الغيبة ونسبة الالتفات زيادة الاعتناء
بشأنه عليه السلام (وانه في الآخرة لمن الصالحين) اي في أعلى مقاماتهم في الجنة وقيل
من بمعنى مع وهذا حسبا وقع منه السؤال لربه حيث قال وألحقني بالصالحين واجعل لي
لسان صدق في الآخرة وراجعاني من ورثة الجنة النعيم اللهم اني أسألك ان تجعلني ممن
يصدق عليه هذا الدعاء واني من ذرية خليلك ابراهيم وما ذلك عليك بعزير وآخى في الدنيا
حسنة وفي الآخرة حسنة ووفني عذاب النار انك انت التواب الرحيم وحاصل ما ذكر من

(فتح البيان خامس)

في يده طرفه عين حتى يأخذوها ويجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها
كأطيب نفعه مسك وجسدت على وجه الارض فيصعدون بها فلا يمر بها يعني على ملا من الملائكة الا قالوا ما هذه الروح
الطائفة فيقولون فلان بن فلان باحسن أسمائه التي كانوا يسمونها في الدنيا حتى ينتهوا به الى السماء الدنيا فيستحقون له فيفتح له
من كل سما مقربها الى السماء التي تليها حتى ينتهي بها الى السماء السابعة فيقول الله اكتبوا كتاب عبدتي في عديني وأعيدوه
الى الارض فاني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال فتعاد روحه في جسده فبأيتيه ملكان فيجلسانه فيقولان

له من ربك فيقول ربني الله فيقول ان له ما دينك فيقول ديني الاسلام فيقول ان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله فيقول ان له وما علمك فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادى مناد من السماء ان صدق عبدى فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحو له بابا الى الجنة قال فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول ابشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول له من أنت فوجهك الوجه الذي يأتي بالخير فيقول أنا علمك الصالح فيقول رب أقم الساعة (٢٩٠) رب أقم الساعة حتى أرجع الى أهلى ومالى قال وان العبد

الكافر اذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال من الآخرة نزل اليه ملائكة من السماء سود الوجه معهم المسوح فجلسوا منه مد البصر ثم يحيى ملك الموت فيجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الخبيثة اخرجي الى سخط من الله وغضب قال فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فاذا أخذها لم يدعها في يده طرفه عين حتى يجع لوها في تلك المسوح فيخرج منها كائنين ریح جيفة وجدت على وجه الارض فيصعدون بها فلا يرون بها على ملا من الملائكة الا قالوا ما هذه الروح الخبيثة فيقولون فلان بن فلان باقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهى بها الى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط فيقول الله اكتبوا كتابه في سجين في الارض السفلى فتطرح روحه طرحا ثم قرأ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح

الصفات هنا تسعة بل عشرة اذ قوله سبحانه (ثم أوحينا اليك) يا محمد مع علو درجتك وسمو منزلتك وكونك سيد ولد آدم يرجع لوصف ابراهيم وتعظيمه بان محمداً أمر باتباعه (أن) منسرة أو مصدرية (اتبع مله ابراهيم) اى دينه وأصل الملة اسم لما شرعه الله لعباده على لسان نبي من أنبيائه من أممات الكتاب اذا أمليته وهو الله الذين يعينه لكن باعتبار الطاعة له وتحقيق ذلك ان الوضع الالهى مهمان نسب الى من يؤدبه عن الله تعالى يسمى مله ومهما نسب الى من يقميه ويعمل به يسمى ديننا قال الراغب الفرق بينهما ان الملة لاتضاف الا الى النبي ولا تكاد توجد مضافة الى الله ولا الى آحاد الامة ولا تستعمل الا في جملة الشرائع دون آحادها والمراد بملته الاسلام الذي عبر عنه آنفاً بالصراط المستقيم قيل والمراد باتباعه صلى الله عليه وآله وسلم الملتزم عليه السلام في التوحيد والدعوة اليه وقال ابن جرير في التبرى من الاوثان والتدين بدين الاسلام وقيل في مناسك الحج وقيل في الاصول دون القروع وقال أبو السعود في الاصول والعقائد وأكثر القروع دون الشرائع المتبدلة يتبدل الاعصار انتمى وقيل في جميع شريعته الامان شيخ وهذا هو الظاهر وفي الكرخى انما جاز اتباع الافضل المفضل لسبقه الى القول والعمل به قال القرطبي وفي هذه الآية دليل على جواز اتباع الافضل للمنضول فيما يؤدى الى الصواب ولادرك على الفاضل في ذلك فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أفضل الانبياء عليهم السلام وقد أمر بالقتداء بالانبياء مع كونه سيدهم فقال تعالى فبهذا هم اقتدوا (حقيقاً) حال من ابراهيم ورازجى الحال منه لان الملة كالجزء منه وقد تقرر في علم النحو ان الحال من المضاف اليه جائز اذا كان يقتضى المضاف العمل في المضاف اليه أو كان جزءاً او كجزء من حيث صحة الاستغناء بالثانى عن الاول اذ يصح ان يقال أن اتبع ابراهيم حقيقاً (وما كان من المشركين) تكرير لما سبق للسكنة التي ذكرناها اى كرر دأ على زعم المشركين انهم على دينه (انما جعل السبت) اى وبال السبت وهو المسخ في زمن داود عليه السلام أو فرض تعظيم السبت وترك الصيد فيه (على الذين اختلفوا فيه) وهم اليهود لاعلى غيرهم من الامم وقد اختلف العلماء في كيفية الاختلاف الكائن بينهم في السبت فقالت طائفة ان موسى أمرهم بيوم الجمعة وعينه لهم وأخبرهم بفضيلته على غيره فخالقوه وقالوا ان السبت أفضل فقال الله له دعهم وما اختاروا لانفسهم وقيل ان الله سبحانه أمرهم بتعظيم يوم

في مكان صحيح فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه ويقولان له من ربك فيقول هاهاه لا أدري فيقولان له ما دينك فيقول هاهاه لا أدري فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هاهاه لا أدري فينادى مناد من السماء ان كذب عبدى فافرشوه من النار وافتحو له بابا الى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منن الريح فيقول ابشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول ومن أنت فوجهك يبي بالشبر فيقول أنا علمك الخبيث فيقول رب لا تقم الساعة ورواه أبو داود من حديث الاعمش والنسائي وابن ماجه من

حديث المنهال بن عمرو به وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن يونس بن حبيب عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنازة فذكر نحوه وفيه فاذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والارض وكل ملك في السماء وفتحت ابواب السماء ليس من أهل باب الا وهم يدعون الله عز وجل ان يعرج بروحه من قبلهم وفي آخره ثم يقبض له أعمى أصم أبكم وفي يده مرزبة لوضرب بها جليل لكان ترابا فيضربه ضربة فصر ترابا ثم يعيده الله عز وجل كما كان فيضربه ضربة أخرى فيصبح صيحة (٢٩١) يسهما كل شيء الا النقلين قال البراء ثم يفتح له باب

الى النار وعهد له من قرش النار وقال سفيمان الثوري عن أبيه عن خزيمة عن البراء في قوله تعالى ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة قال عذاب القبر وقال المسعودي عن عبد الله بن محرق عن أبيه عن عبد الله قال ان المؤمن اذا مات أجلس في قبره فيقال له مبارك ما ديتك من نبيك فيثبتته الله فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبى محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ عبد الله ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وقال الامام عبد بن حميد رحمه الله في مسنده حدثنا يونس بن محمد حدثنا شيبان ابن عبد الرحمن بن قتادة حدثنا أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه انه ليسمع قرع نعالهم فيأتيه ملكان فيقول له ما كنت تقول في هذا الرجل قال فاما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله قال فيقال له انظر الى مقعدك من النار قد بدأ بذلك الله به

في الاسبوع فاختلف اجتهادهم فيه فعينت اليهود السبت لان الله سبحانه فرغ في يوم الخلق وعينت النصارى يوم الاحد لان الله بدأ فيه الخلق فألزم الله كلامهم ما أدى اليه اجتهادهم وعين لهذه الامة الجمعة من غير أن يكلمهم الى اجتهادهم فضلائهم ونعمة ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها ان اليهود كانوا يزعمون ان السبت من شرائع ابراهيم عليه السلام فاخبر الله سبحانه انه انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه ولم يجعله على ابراهيم ولا على غيره وانما شرع ذلك لى اسرائيل بعد مدة طويلة قال الواحدى هذا مما أشكل على كثير من المفسرين حتى قال بعضهم معنى الاختلاف في السبت ان بعضهم قال هو أعظم الايام حرمة وقال آخرون الاحد أفضل وهذا غلط لان اليهود لم يكونوا فرقتين في السبت وانما اختاروا الاحد النصارى بعدهم بزمان طويل وعن مجاهد في الآية قال أراد الجمعة فأخذوا السبت مكانها وعن أبي مالك وسعيد بن جبيرة في الآية قال لا يستحل لهم اياه رأى موسى عليه السلام رجلا يحمل حطبا يوم السبت فضرب عنقه وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أنى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تمنن الآخرون السابقون يوم القيامة يبدأهم أولوا الكتاب من قبلنا وأولينا من بعدهم ثم هذا يومهم الذى فرض عليهم يعنى الجمعة فاختلفوا فيه فهذا الله له فالناس لنا فيه تبع اليهود وغدا والنصارى بعد غد وأخرج مسلم وغيره من حديث حذيفة شحوه (وان ربك ليحكم بينهم) اى بين المختلفين فيه (يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) فيجازى فيه كلا بما يستحقه ثوابا وعقابا كما وقع منه سبحانه من المسخ لطائفة منهم والتنجية لآخرى ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يدعو أمة الى الاسلام فقال (ادع الى سبيل ربك) وحذف المفعول للتعميم لكونه بعث الى الناس كافة أو المعنى افعل الدعاء والاول أولى وكان المعنى وخاطب الناس في دعائك لهم وسبيل الله هو الاسلام (بالحكمة) اى بالمقالة المحسنة الصحيحة الموضحة للعق المزيله للشبهة والشك قيل وهى الحجج القطعية المفيدة لليقين وقيل القرآن وقيل النبوة (والموعظة الحسنة) وهى المقالة المشتملة على الموعظة الحسنة التى يستحسنها السامع وتكون فى نفسه احسنة باعتبار ارتفاع السامع بها قيل وهى الحجج الظنية الاقناعية الموجبة للتصديق بمقدمات مقبولة قيل وايس للدعوة الاها تان الطريقتان ولكن الداعى قد يحتاج مع الخصم الالذ الى استعمال المعارضة

مقعدا من الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم فبراها جميعا قال قتادة وذكرا لنا انه يفسح له في قبره سبعون ذراعا ويملا عليه خضرا الى يوم القيامة رواه مسلم عن عبد بن حميد به وأخرجه النسائي من حديث يونس بن محمد المؤدب به وقال الامام أحمد حدثنا يحيى ابن سعيد عن ابن جريح شيخ أخبرنى أبو الزبير انه سأل جابر بن عبد الله عن فتانى القبر فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذه الامة تتبلى في قبورها فاذا أدخل المؤمن قبره وتولى عنه أصحابه جاء ملك شديد الانتهار فيقول له ما كنت تقول في هذا الرجل فاما المؤمن فيقول انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله صلى الله عليه وسلم وعبده فيقول له الملك انظر الى مقعدك الذى كان لك في النار قد أنجلك الله منه وأبدلك

بمعدك الذي ترى من النار معدك الذي ترى من الجنة فيهم ما كبر ما فيقول المؤمن دعوني أبشر أهلي فيقال له اسكن وأما المنافق فيقع اذا أتى عنه أهله فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول لأدري أقول كما يقول الناس فيقال له لا دريت هذا معدك الذي كان لك في الجنة قد أبدت مكانه معدك من النار قال جابر فسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يعث كل عبد في القبر على مامات المؤمن على إيمانه والمنافق على نفاقه أسناده صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وقال الامام أحمد حدثنا أبو عامر حدثنا عباد بن راشد عن داود بن أبي هند (٢٩٢) عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال شهدنا مع رسول الله صلى الله

عليه وسلم جنازة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس ان هذه الامة تتسلى في قبورها فاذا الانسان دفن وتفرق عنه أصحابه جاءه ملك في يده مطراق من حديد فاقتعه فقال ما تقول في هذا الرجل فان كان مؤمنا قال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول له صدقت ثم يفتح له بابا الى النار فيقول كان هذا منزلك لو كفرت بربك فاما ما آمنت فهذا منزلك فيفتح له بابا الى الجنة فيريد أن ينهض اليه فيقول له اسكن ويفسح له في قبره وان كان كافرا أو منافقا فيقول له ما تقول في هذا الرجل فيقول لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فيقول لا دريت ولا قلت ولا اهتديت ثم يفتح له بابا الى الجنة فيقول له هذا منزلك لو آمنت بربك فاما ما كفرت به فان الله عز وجل أبدلك به هذا فيفتح له بابا الى النار ثم يغممه قعة بالمطراق فيصبح صيحة يسمعه خلق الله عز وجل كلهم غير النقلين فقال بعض القوم يا رسول الله ما أحد يقوم عليه ملك في يده

والمناقضة ونحو ذلك من الجدل ولهذا قال سبحانه (وجادلهم بالتي هي أحسن) اي بالطريق التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف واينار الوجه الايسر والمقدمات التي هي أشهر فان ذلك أنفع في تسكين شرهم وهو رد على من يأتي المناظرة في الدين وانما أمر سبحانه بالمجادلة الحسنة ليكون الداعي محقا وغرضه صحيفا وكان خصمه مبطلا وغرضه فاسدا قيل ان الناس خلقوا وجبلوا على ثلاثة أقسام الاول هم العلماء وهم المشار اليهم بقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والنظر السليم والخلقة الاصلية وهم غالب الناس وهم المشار اليهم بقوله والموعظة الحسنة والثالث هم أصحاب جدال وخصام وممانعة وهم المشار اليهم بقوله وجادلهم الخ وقال مجاهد في الآية اعرض عن آذانهم اياك ولا تقصر في تبليغ الرسالة وعلى هذا فالآية منسوخة بآية السيف قال بعضهم لاحاجة الى دعوى النسخ اذا الامر بالمجادلة ليس فيه تعريض للنهي عن المقاتلة (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله) لما حث سبحانه على الدعوة بالطرق المذكورة بين ان الرشد والهداية ليس الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وانما ذلك الى الله تعالى وهو العلم عن يضل (وهو أعلم بالمهتدين) اي بمن يبصر الحق فيصده غير متعنت وانما شرع لك الدعوة وأمر لربك قطعاً للمعذرة وتقيماً للعبادة وازاحة للشبهة وليس عليك غير ذلك وفي ايشار الفعلية في الضالين والاسمية في مقابلتهم اشارة الى انهم غيروا الفطرة وبنلوا بها احداث الضلال ومقابلتهم استمروا عليها وتقديم ارباب الضلال لان الكلام وارد فيهم ثم لما كانت الدعوة تتضمن تكليف المدعوتين بالرجوع الى الحق فان أبو اقولنوا أمر الداعي بان يعدل في العقوبة فقال (وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به) اي بمثل ما فعل بكم لا تتجاوزوا ذلك قال ابن جرير نزلت هذه الآية فيمن أصيب بظلمة ان لا ينال من ظالمه اذا تمكن الا مثل ظلمته لا يتعداها الى غيره ونحوه في البيضاوي وهذا صواب لان الآية وان قيل ان لها سببا خاصا كما سيأتي فالاعتبار بعموم اللفظ وعمومه يؤدي هذا المعنى الذي ذكره وسمي سبحانه بالفعل الاول الذي هو فعل البادئ بالشر عقوبة مع ان العاقبة ليست بالفعل الثاني وهو الجزاء للمشكلة وهي باب معروف وقع في كثير من الكتاب العزيز ثم حث سبحانه على العفو فقال (ولئن صبرتم) عن المعاقبة بمثل وعن الانتقام بتركه بالكلية (لهو) بضم الهاء وسكونها قراءتان سبعينتان

مطراق الاهيل عند ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بثبت الله الذين آمنوا يقولون له هذا أيضا اسناد لا بأس به فان عباد بن راشد التيمي روى له البخاري مقرونا ولكن ضعفه بعضهم وقال الامام أحمد حدثنا حسين بن محمد عن ابن أبي ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الميت تحضره الملائكة فاذا كان الرجل الصالح قال اخرجي أيتها النفس المطمئنة كانت في الجسد الطيب اخرجي حميدة وابشري بروح وريحان ورب غير غضبان قال فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها الى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقال فلان فيقولون مرحبا

بالروح الطيبة كانت في الجسد الطيب ادخل جديده وابشري بروح وريحان ورب غير غضبان قال فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهي بها الى السماء التي فيها الله عز وجل واذا كان الرجل السوء قال اخرجي ايها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث اخرجي ذميمة وابشري بحميم وغساق واخر من شكله أزواج فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها الى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقال فلان فيقال لا مرحبا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ارجعي ذميمة فانه لا تفتح لك ابواب السماء فيرسل من السماء يصرير الى القبر فيجلس الرجل الصالح فيقال له (٢٩٣) مثل ما قيل في الحديث الاول ويجلس الرجل

السوء فيقال له مثل ما قيل له في الحديث الاول ورواه النسائي وابن ماجه من طريق ابن ابي ذئب بنحوه وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال اذا خرجت روح العبد المؤمن تلقاها ملكان يصعدان بها قال حماد بن زكريا طيب ريحها واذ كرام المسك قال ويقول اهل السماء روح طيبة جاءت من قبل الارض صلى الله عليك وعلى جسدك كنت تعمر به فينطلق به الى ربه عز وجل فيقال انطلقوا به الى آخر الاجل وان الكافر اذا خرجت روحه قال حماد بن زكريا تنهاؤذ كرمقتا ويقول اهل السماء روح خبيثة جاءت من قبل الارض فيقال انطلقوا به الى آخر الاجل قال ابو هريرة فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم ريطة كانت عليه على انفه هكذا وقال ابن حبان في صحيحه حدثنا عمر بن محمد الهمداني حدثنا زيد بن اخرم حدثنا معاذ بن هشام حدثني ابي عن قتادة عن قسام بن زهير عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمن اذا قبض الله

أى فالصبر (خير للصابرين) من الاتصاف ووضع الصابر من موضع الضمير ثناء من الله عليهم بانهم صابرون على الشدائد وقد ذهب الجمهور الى ان هذه الآية محكمة لانها واردة في الصبر عن المعاقبة والثناء على الصابرين على العموم وفي تعليم حسن الادب في كيفية استيفاء الحقوق والقصاص وترك التعدي وهو طلب الزيادة وهذه الاشياء لا تكون منسوخة ولا تعلق لها بالنسخ وقيل هي منسوخة بآيات القتال وبه قال ابن عباس والبخاري ولا وجه لذلك اخرج الترمذي وحسنه والنسائي وابن حبان والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي وغيرهم عن ابي بن كعب قال لما كان يوم أحد أصيب من الانصار اربعة وستون رجلا ومن المهاجرين ستة منهم حزة فقتلوا بهم فقالت الانصار لئن أصبنا منهم يوم مثل هذا لترين عليهم فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله تعالى وان عاقبتهم الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نصبر ولا نعاقب كفوا عن القوم الأربعة وأخرج الطبراني والحاكم وصححه والبيهقي وغيرهم عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقف على حزة حيث استشهد فنظر الى منظر لم ينظر الى شيء قط كان أوجع لقلبه منه ونظر اليه قدم مثل به فقال رحمة الله عليك فانك كنت ما علمت وصولا للرحم ففعلوا للخير ولولا الحزن من بعدك عليك لسرني ان أتركك حتى يحسرك الله من أرواح شتى أما والله لا مثلن بسبب عين منهم مكانك فنزل جبريل والنبي صلى الله عليه وآله وسلم واقف بخواتيم سورة النحل وان عاقبتهم الآية فكفر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن يمينه وأمسك عن الذي أراد وصبر وعن ابن عباس مر فوعا نحوه أخرجه الطبراني وابن المنذر وغيرهما وهذا القول من النبي صلى الله عليه وآله وسلم كأنه كان باجتهاد منه وعليه فليمنظر هل قوله تعالى ولئن صبرتم الخ نسخ لهذا الاجتهاد وتنبه على خطئه تأمل وعنه قال هذا حين أمر الله نبيه أن يقاتل من فاته ثم نزلت براءة وانسلاخ الاشهر الحرم فهذا منسوخ ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر فقال (واصبر) على ما أصابك من صنوف الاذى (وما صبرك الا بالله) اي بتوفيقه وتبنيته والاستثناء من عموم الاشياء اي وما صبرك مصحوبا بابشي من الاشياء الا بتوفيقه لك وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم نهاه عن الحزن فقال (ولا تحزن عليهم) اي على الكافرين في اعراضهم عنك واستحقاقهم للعذاب الدائم أو لا تحزن على قتلى أحد فانهم قد أفضوا الى رحمة الله (ولانك في ضيق) اي ضيق صدر

ملائكة الرحمة بحريه يضا فيقولون اخرجي الى روح الله فتخرج كأطيب ريح مسك حتى انه ليناوله بعضهم بعضا يسمنونه حتى يأتوا به باب السماء فيقولون ما هذه الريح الطيبة التي جاءت من قبل الارض ولا يأتون سماها الا قالوا مثل ذلك حتى يأتوا به ارواح المؤمنين فلهم أشد فرجا به من أهل الغائب بغائبهم فيقولون ما فعل فلان فيقولون دعوه حتى يستريح فانه كان في غم فيقول قدمات أما أنا كم فيقولون ذهب به الى أمه الهاوية وأما الكافر فيأتيه ملائكة العذاب يسبح فيقولون اخرجي الى غضب الله فتخرج كأنك تنزري حقيفة فيذهب به الى باب الارض وقد روى أيضا من طريقهما بن يحيى عن قتادة عن ابي الجوزاء عن ابي هريرة عن

النبى صلى الله عليه وسلم نحوه قال فيسأل ما فعل فلان ما فعل فلان ما فعلت فلانة قال وأما الكافر فاذا قبضت نفسه وذهب بها الى باب الارض يقول خزنة الارض ما وجدنا رجلاً أنتن من هذه فيسألهما الارض السفلى قال قتادة وحدثني رجل عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن عمرو قال ارواح المؤمنين تجتمع بالخبايين و ارواح الكفار تجتمع بهر هوت سبعة بجحيم موت ثم يضيء عليه قبره وقال الحافظ أبو عيسى الترمذي رحمه الله حدثنا يحيى بن خلف حدثنا بشر بن المفضل عن عبد الرحمن عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢٩٤) اذا قبر الميت أو قال أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال

لا أحدهما منكسر والاخر نكسر فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول ما كان يقول هو عبد الله رسول الله أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يفسخ له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ونوره فيه ثم يقال ثم فيقول أرجع الى أهلى فاخبرهم فيقولان ثم نومة العروس الذى لا يوقظه الا أحب أهله اليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وان كان منافقا قال سمعت الناس يقولون فقالت مثلهم لا أدري فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا فيقال للارض التمتي عليه فتلتئم عليه حتى تختلف أضلاعه فلا يزال فيها معه ذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك ثم قال الترمذي هذا حديث حسن غريب وقال حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة قال ذلك اذا قبيل له في القبر من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبي محمد جاء بالبينات من عند الله فآمنت به وصدقت فيقال له صدقت على هذا عشت وعلمت وعلمت بعث (بسم الله وقال ابن جرير حدثنا مجاهد بن موسى والحسن بن محمد قال حدثنا يزيد بن أبي عمير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال والذى نفسى بيده ان الميت ليسمع خفق نعالكم حين توفون عنه مدبرين فان كان مؤمنا كانت الصلاة عند رأسه والزكاة عن يمينه والصوم عن يساره وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والاحسان الى الناس عند رجليه فيوفى من قبل رأسه فيقول الصلاة ما قبل مدخل فيوفى عن يمينه فتقول الزكاة ما قبل مدخل فيوفى عن يساره فيقول

قري بفتح الضاد وكسرها وهما سبعيتان قال ابن السكيت هما سواء وقال الفراء الضيق بالفتح ما ضاق عنه صدرك وبالكسر ما يكون في الذى يتسع كالدار والثوب وكذا قال الاخفش وهو من الكلام المقلوب لان الضيق وصف للانسان يكون فيه ولا يكون الانسان فيه وكأنة أراد وصف الضيق بالعظم حتى صار كالشيء المحيط بالانسان من جميع جوانبه وقال هنا تك بحذف النون ليكون ذلك مبالغة فى التسلية وأنها فى النمل على القياس ولان الحزن ثم دون الحزن هنا الى ذلك أشار فى التقرير (مما يكرون) اى من مكرهم بك فيما يستقبل من الزمان وما مصدرية أو بمعنى الذى ثم ختم هذه السورة بقاية جامعة لجميع المأمورات والمنهيات فقال (ان الله مع الذين اتقوا) المعاصى على اختلاف أنواعها وقيل اتقوا المثلة والزيادة فى القصص وسائر المناهى والعموم أولى وهذه المعية بالعون والفضل والرحمة (والذين هم محسنون) بتأدية الطاعات والقيام بما أمر به منها أو بالعبادة الخانى وقيل المعنى محسنون فى أصل الاتقام فيكون الاول اشارة الى قوله فعاقبوا بمنزل ما عوقبتم به والثانى اشارة الى قوله ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وقيل الذين اتقوا اشارة الى التعظيم لامر الله والذين هم محسنون اشارة الى الشفقة على عباد الله تعالى وعن الحسن قال اتقوا فيما حرم عليهم وأحسنوا فيما اقتضى عليهم والعموم أولى وقيل لهرم بن حيان عند الموت أوص فقال انما الوصية فى المال والامالى وليكنى أوصيك بخواتيم سورة النحل

(سورة بنى اسرائيل)

وتسمى سورة سبحان وسورة الاسراء مائة واحدى عشرة آية وهى مكية وبه قال ابن عباس وعن ابن الزبير مثله الا ثلاث آيات قوله وان كادوا ليسفتنوك نزلت حين جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد تقيف وحين قالت اليهود ليست هذه بارض الانبياء وقوله رب أدخلنى مدخل صدق وقوله ان ربك أرحم الراحمين زاد مقاتل قوله ان الذين آمنوا والذين آمنوا من قبله وقيل الايات الثمان وعن ابن مسعود قال فى هذه والكهف ومرمى انهم من العناق الاول وهن من تлады وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ كل ليلة بنى اسرائيل والزمزم

ونبي محمد جاء بالبينات من عند الله فآمنت به وصدقت فيقال له صدقت على هذا عشت وعلمت وعلمت بعث (بسم الله وقال ابن جرير حدثنا مجاهد بن موسى والحسن بن محمد قال حدثنا يزيد بن أبي عمير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال والذى نفسى بيده ان الميت ليسمع خفق نعالكم حين توفون عنه مدبرين فان كان مؤمنا كانت الصلاة عند رأسه والزكاة عن يمينه والصوم عن يساره وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والاحسان الى الناس عند رجليه فيوفى من قبل رأسه فيقول الصلاة ما قبل مدخل فيوفى عن يمينه فتقول الزكاة ما قبل مدخل فيوفى عن يساره فيقول

الصيام ما قبلي مدخل فيؤتى من عند رجليه فيقول فعل الخيرات ما قبلي مدخل فيقال له اجلس فيجلس قدمثلت له الشمس قد دنت للغروب فيقال له اخبرنا عما نسألك فيقول دعني دعني حتى أصلي فيقال انك ستفعل فاخبرنا عما نسألك فيقول وعم تسألوني فيقال رأيت عذرا الرجل الذي كان فيكم ماذا تقول فيه وماذا تشهد به عليه فيقول أمحمد فيقال له نعم فيقول أشهد أنه رسول الله وأنه جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه فيقال له على ذلك حديت وعلى ذلك مت وعليه بعث ان شاء الله ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا وينور له فيه ويفتح له باب الجنة فيقال له انظر الى ما أعد الله لك فيها فيزداد غبطة (٢٩٥) وسرورا ثم يجعل نسمة في النسم الطيب وهي طير أخضر يعلق بشجر الجنة

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(سبحان) هو مصدر سماعي لسبح المشددا واسم مصدر يقال سبج يسبج تسبيجا وسبحانا أو مصدر قياسي لسبح الخفيف فانه يقال سبج في الماء ومعناه التنزيه والبعث والبراءة لله سبحانه من كل نقص وسوء وعلى كل فهو علم جنس للتنزيه والتقدیس وقال سيديويه العامل فيسه فعل لامن لفظه والتقدير أنزه الله تنزيها فوق سبحان مكان تنزيها فهو وعلى هذا مثل قعدا القرفصاء واشتمل الصماء وقيل هو علم للتسبيح أعثمان للرجل أي أسبج الله سبحان ثم نزل منزلة الفعول وسد مسدده ودل على التسبيح البليغ والتنزيه الكامل ولذا لا يستعمل الا فيسه تعالى (الذي أسرى بعبدته) الاسراء قيل هو سير الليل يقال أسرى وأسرى كسقى وأسقى لغتان بمعنى سار في الليل وهما الا زمان لكن مصدر الاول الاسراء ومصدر الثاني أسرى بضم السين كهدي فالهمزة ليست للتعدية الى المفعول وانما جاءت التعدية هنا من الباء ومعنى أسرى به صيره ساريا في الليل وقيل هو سير أول الليل خاصة واذا كان الاسراء لا يكون الا في الليل فلا بد للتصريح بذكر الليل بعده من فائدة فقيل اراد بقوله (ليلا) تقليل مدة الاسراء وانه أسرى به في بعض الليل من مكة الى الشام مسافة أربعين ليلة ووجه دلالة ليلا على تقليل المدة ما فيه من التنكير الدال على البعضية بخلاف ما اذا قلت سيرت الليل فانه يفيد استيعاب السير له جميعا وقد استدل صاحب الكشف على افادة ليلا للبعضية بقراء عبد الله وحذيفة من الليل أي في جزء قليل من الليل قيل قدر أربع ساعات وقيل ثلاث وقيل أقل من ذلك والتقليل والتبعض متقاربان فاستعمل في التبعض ما هو للتقليل وقال الزجاج معنى الآية سير عبده يعني محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليلا وعلى هذا معنى أسرى سير فيكون للتبديد بالليل فائدة وقد أجمع المفسرون والعلماء والمتكلمون على ان المراد بالعبء محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم يختلف أحد من الامة في ذلك وقال بعبدته ولم يقل بنبيه أو برسوله أو بمحمد تشرى فانه صلى الله عليه وآله وسلم قال أهل العلم لو كان غير هذا الاسم أشرف منه لسماه الله سبحانه به في هذا المقام العظيم والحالة العلمية

أصم اذا نوديت باسمي وانى * اذا قيل لي يا عبده السميع

ويعاد الجسد الى ما بدى من التراب وذلك قول الله ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ورواه ابن حبان من طريق المعتمر بن سليمان عن محمد بن عروة ذكر جواب الكافر وعذابه وقال البزار حدثنا سعيد بن بخر القرطبي حدثنا الوليد بن القاسم حدثنا يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة أحسبه رفعه قال ان المؤمن ينزل به الموت ويعاين ما يعاين فيود لو خرجت يعني نفسه والله يحب لقاءه وان المؤمن يصعد بروحه الى السماء فتأمله أرواح المؤمنين فتستخره عن معارفهم من أهل الارض فاذا قال تركت فلانا في الارض أعجبهم ذلك واذا قال ان فلانا قد مات قالوا ما جى به النساوان المؤمن يجلس في قبره فيستل من ربه فيقول ربني الله فيقول من نبيك فيقول محمد نبي فيقول ماذا دينك قال ديني الاسلام فيفتح له باب في قبره فيقول أو يقال انظر الى مجلسك ثم يرى القبر فكأنما كانت رقدة واذا كان عدو الله نزل به الموت وعان ما عان فانه

لا يجب ان يخرج روحه أبدا والله يبغض لقاءه فاذا جلس في قبره أو اجلس فقال له من ربك فيقول لأدري فيقال لا دريت فيفتح له باب الى جهنم ثم يضرب ضربة تسمع كل دابة الا الثقلين ثم يقال له نعم كما ينام المنهوش قلت لابي هريرة ما المنهوش قال الذي تنهشه الدواب والحيات ثم يضيق عليه قبره ثم قال لا تعلم رواه الوليد بن مسلم وقال الامام أحمد رحمه الله حدثنا يحيى بن المثنى حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون عن محمد بن المنكدر قال كانت أسماء يعني بنت الصديق رضی الله عنها تحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قالت قال اذا دخل الانسان مؤمناً حلف به عمله الصلاة والصيام قال فيأتيه الملائكة من نحو الصلاة فترده ومن نحو الصيام فترده

قال فينا ديه اجلس فيجلس فيقول له ماذا تقول في هذا الرجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال محمد قال أشهد أنه رسول الله قال وما يدريك أدر كته قال أشهد أنه رسول الله قال يقول على ذلك عشت وعليه مت وعليه تبعث وان كان فاجر أو كافرا جاءه الملك ليس بينه وبينه شيء يرده فأجلسه فيقول له ماذا تقول في هذا الرجل قال أي رجل قال محمد قال يقول والله ما أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلت له قال له الملك على ذلك عشت وعليه مت وعليه تبعث قال ويسلط عليه دابة في قبره معها سوط ثمرة جرة مثل عرق البعير تضربه ماشاء الله (٢٩٦) صماء لا تسمع صوته فترجعه وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما

في هذه الآية قال ان المؤمن اذا حضره الموت شهده الملائكة فسلموا عليه وبشروه بالجنة فاذا مات مشوا مع جنازته ثم صلوا عليه مع الناس فاذا دفن اجلس في قبره فيقال له من ربك فيقول ربى الله فيقال له ماشهاتك فيقول أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فيوسع له في قبره مد بصره وأما الكافر فتزل عليه الملائكة فيسقطون أيديهم والبسط هو الضرب يضربون وجوههم وأدبارهم عند الموت فاذا أدخل قبره أقعد فقيس له من ربك فلم يرجع اليهم شيئا وأنساه الله ذلك واذا قيل من الرسول الذي بعث اليكم لم يهش له ولم يرجع اليه شيئا كذلك يضل الله الظالمين وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم الأزدي حدثنا شريح بن مسلم حدثنا ابراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبي اسحق عن عامر بن سعد الجبلي عن أبي قتادة الانصاري في قوله تعالى ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة الآية قال ان المؤمن اذا

(غيره) لا تدعى الا بعبدها * فانه أشرف اسماني

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال أسرى بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة سبع عشرة من شهر ربيع الاول قبل الهجرة بسنة وعن ابن شهاب قال أسرى به الى بيت المقدس قبل خروجه الى المدينة بسنة وعن عروة بن نوفل وقال السدي قبل مهاجرة بسنة عشر شهرا (من المسجد الحرام) قال الحسن وقتادة يعني المسجد نفسه وهو ظاهر القرآن وقال عامة المفسرين أسرى به صلى الله عليه وآله وسلم من دار أم هانئ فحملوا المسجد الحرام على مكة أو الحرم لاحاطة كل واحد منهما بالمسجد الحرام أولان الحرم كله مسجد وفي حديث مالك بن مضععة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر وذ كرحديث المعراج بكأله ومن ابتدائية ثم ذ كرسجانه الغاية التي أسرى برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اليها فقال (الى المسجد الأقصى) وهو بيت المقدس وسمى الأقصى لبعده المسافة بينه وبين المسجد الحرام فهو أبعد بالنسبة الى من بالحجاز وفي تاريخ القدس انه سمي به لانه أبعد المساجد التي تزار من المسجد وقيل لبعده عن الأقدار والخبائث وقيل لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد وفي ذلك من تربية معنى التنزه والتعجب ما لا يخفى وأول من بناه آدم بعد أن بنى الكعبة باربعين سنة كما في المواهب فهو أول مسجد بنى في الارض بعد الكعبة وتمايم حاله في كتابنا لقطعة العجولان فهاتس الى معرفته حاجة الانسان وكان الاسراء به بيده في اليقظة وكان قبلها في المنام كما أنه رأى فتح مكة سنة ست وتحقق منه سنة ثمان والحكمة في أسرائه الى بيت المقدس دون العروج به من مكة لانه محشر الخلائق فيطوؤه بقدمه ليسهل على أمته يوم القيامة ووقوفهم ببركة أثر قدمه أو لانه مجمع أرواح الانبياء فاراد الله أن يشرفهم بزيارته صلى الله عليه وآله وسلم وليخبر الناس بصفاته فيصدقوه في الباقي فانه الكرخى والوجه الاخير أظهر والله أعلم ثم وصف المسجد الأقصى بقوله (الذي بارك حوله) بركة تنبؤية وهي ليست الاحول الأقصى وأما في الداخل فالبركة في كل من المسجدين بل هي في الحرام أتم وهي كثرة النواب بالعبادة فيهما وعبارة الخازن يعني بالثمار والأنهار والأشجار وبالانبياء والصالحين لانه قبلتهم قبل نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وسماه مباركا لانه مقر الانبياء ومهبط الملائكة والوحي واليه تخشع الخلق يوم القيامة فقد بارك الله سبحانه حول المسجد الأقصى ببركات الدنيا والآخرة قال السدي

مات اجلس في قبره فيقال له من ربك فيقول الله فيقال له من نبيك فيقول محمد بن عبد الله فيقال له ذلك صمات المعنى ثم يفتح له باب الى النار فيقال له انظر الى منزلك في النار لو زغت ثم يفتح له باب الى الجنة فيقال له انظر الى منزلك (١) لو ثبت ثم يفتح له باب الى النار فيقال له انظر الى منزلك اذ زغت وذلك قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وقال عبد الرزاق عن معمر بن ابن طاوس عن أبيه يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا قال لا اله الا الله وفي الآخرة المستله في القبر وقال قتادة أما الحياة الدنيا فيثبتهم بالخير والعمل الصالح وفي الآخرة في القبر وكذا روى عن غير واحد من السلف (١) ثم يفتح له باب الى الجنة فيقال له الخ هنا سقط وانظر الرواية اه معجمه

وقال أبو عبد الله الحكيم الترمذي في كتاب نوادر الأصول حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن نافع عن ابن أبي فديك عن عبد الرحمن بن عبد الله عن سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ونحن في مسجد المدينة فقال اني رأيت البارحة بجباريت رجلا من أمتي قد بسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوءه فاستنقذه من ذلك ورأيت رجلا من أمتي قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله فخلصه من بينهم ورأيت رجلا من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلواته فاستنقذته من أيديهم ورأيت رجلا من أمتي يلهث عطشا كلما ورد حوضا (٢٩٧) منع منه فجاءه صياحه فاستنقذه وأرواه ورأيت رجلا من أمتي والنديون يعودون فاحلقا حلقا كما دنا

المعنى أبتنا حوله الشجر وجعل الاسراء اليه كالتوطئة اعراجه الى السماء ثم ذكر العلة التي أسرى به لاجلها فتقال (لنرى من آياتنا) أي ما أراه الله سبحانه في تلك الليلة من العجائب التي من جملتها قطع هذه المسافة الطويلة في جزء من الليل ومن تعميضية وانما أتى بها تعظيما لآيات الله فان الذي رآه صلى الله عليه وآله وسلم وان كان جليلا عظيما فهو بعض بالنسبة الى آيات الله تعالى وعجائب قدرته وجليل حكمته قاله أبو شامة والروية هنا بصريه وقيل قلبية واليه شخا بن عطية (انه) سبحانه (هو السميع) بكل مسموع ومن جملة ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (البصير) بكل مبصور ومن جملة ذلك ذات رسوله وأفعاله قيل في هذه الآية أربعة التفاتات وذلك انه التفات أولامن الغيبة في قوله الذي أسرى بعبيده الى التكلم في قوله باركأحوه ثم التفت ثانيا من التكلم في باركأحوه الى الغيبة في ليريه على قراءة الحسن بالياء ثم التفت ثالثا من هذه الغيبة الى التكلم في آياتنا ثم التفت رابعا من هذا التكلم الى الغيبة في قوله انه هو على الصحيح في الضمير انه لله تعالى وأما على قول نقله أبو البقاء ان الضمير في انه هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلا يجي ذلك ويكون في قراءة العامة التفات واحد وفي قراءة الحسن ثلاثة وهذا موضع غريب وأكثر ما ورد الالتفات ثلاث مرات على ما قال الزمخشري في قول امرئ القيس تطاول ليلك بالأمم الايات وقيل فيها خمس التفاتات والخامس الالتفات من قوله انه هو الى التكلم في قوله الايتي وآيتنا موسى وقد اختلف أهل العلم هل كان الاسراء بجسده صلى الله عليه وآله وسلم مع روحه أو بروحه فقط فذهب معظم السلف والخلف الى الاول وذهب الى الثاني طائفة من أهل العلم منهم عائشة ومعاوية والحسن وابن اسحق وحكاة ابن جرير عن حذيفة بن اليمان وذهبت طائفة الى التفصيل فقالوا كان الاسراء بجسده يقظة الى بيت المقدس والى السماء بالروح واستدلوا على هذا التفصيل بقوله الى المسجد الأقصى فجعله غاية للاسراء بذاته صلى الله عليه وآله وسلم فلو كان الاسراء من بيت المقدس الى السماء وقع بذاته لذكره والذي دلت عليه الاحاديث الصحيحة الكثيرة هو ما ذهب اليه معظم السلف والخلف من الاسراء بجسده وروحه يقظة الى بيت المقدس ثم الى السموات ولا حاجة الى التأويل وصرف هذا النظم القرآني وما يماثله من ألفاظ الاحاديث الى ما يخالف الحقيقة ولا مقتضى لذلك الاجرود الاستبعاد وتحكيم محض العقول القاصرة

والندون يعودون فاحلقا حلقا كما دنا
 لحلقه طرده فجاءه اغتساله من الجنابة
 فأخذ بيده فأقعده الى جنبى ورأيت
 رجلا من أمتي بين يديه ظلمة ومن
 خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن
 شماله ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته
 ظلمة وهو متمير فيها فجاءته حجة
 وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه
 النور ورأيت رجلا من أمتي يكلم
 المؤمنين فلا يكلمونه فجاءه صلوة
 الرحم فقالت يا معشر المؤمنين كلوه
 فكلموه ورأيت رجلا من أمتي
 يتقى وهج النار وأشرها يسده عن
 وجهه فجاءته صدقة فصارت ستر
 على وجهه وظلال على رأسه ورأيت
 رجلا من أمتي قد أخذته الزبانية
 من كل مكان فجاءه أمره بالمعروف
 ونهيه عن المنكر فاستنقذه من
 أيديهم وأدخلاه مع ملائكة الرحمة
 ورأيت رجلا من أمتي جاثيا على
 ركبتيه ينسبه وبين الله حجاب فجاءه
 حسن خلقه فأخذ بيده فأدخله على
 الله عز وجل ورأيت رجلا من
 أمتي قد هوت صحيفته من قبل شماله
 فجاءه خوفه من الله فأخذ صحيفته
 فجعلها في عينه ورأيت رجلا من
 أمتي قائما على شفير جهنم فجاءه
 وجهه من الله فاستنقذه من ذلك

(٢٨ فتح البيان خامس) ومضى ورأيت رجلا من أمتي هوى في النار فجاءته دموعه التي بكى من خشية الله في الدنيا فاستخرجته من النار ورأيت رجلا من أمتي على الصراط يزحف احيانا ويحبو احيانا فجاءته صلواته على فأخذت بيده فأقامته ومضى على الصراط ورأيت رجلا من أمتي انتهى الى باب الجنة فغلقت الابواب دونه فجاءته شهادة أن لا اله الا الله ففتحت له الابواب وأدخلته الجنة قال القرطبي بعد ايراد هذا الحديث من هذا الوجه هذا حديث عظيم ذكر فيه أعمال خاصة تنجي من أهوال خاصة وأورده هكذا في كتابه التذكرة وقد روى الحافظ أبو يعلى الموصلى في هذا حديثا غريبا مطولا فقال حدثنا أبو عبد الرحمن

أجد بن ابراهيم المكري حدثنا محمد بن بكر البرساني أبو عثمان حدثنا أبو عاصم الجبلي وكان من أخبار أهل البصرة وكان من أصحاب
حزم وسلام بن أبي مطيع حدثنا بكر بن حبيش عن ضرار بن عمرو عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك عن تميم الداري عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل ملك الموت انطلق الى ولي فأتني به فاني قد ضربته بالسراة واضراة فوجدته حيث أحب اتني
به فلا ربحته فينطلق اليه ملك الموت ومعه جسمائة من الملائكة معهم اكفان وحنوط من الجنة ومعهم ضباة الرياحن أصل
الريحانة واحد وفي رأسهم اعشرون لونا (٢٩٨) لكل لون منها ريح سوى ريح صاحبه ومعهم الحرير الابيض فيه المسك

الاذفر فيجلس ملك الموت عند رأسه
ويحفون بالملائكة ويضع كل ملك
منهم مامعه على عضو من أعضائه
ويستذلج الحرير الابيض والمسك
الاذفر تحت ذقنه ويفتح له باب الى
الجنة فان نفسه لتعل عند ذلك
بطرف الجنة تارة باز واجها ومرة
بكسوتها ومرة بشارها كما يعل
الصبي أهله اذا بكى قال وان أزواجه
ليبتشن عند ذلك ابتهاشا قال وتبرز
الروح قال البرساني يريد أن يخرج
من العجل الى ما يحب قال ويقول
ملك الموت اخرجي يا أيتها الروح
الطيبة الى سدر مخضود وطح
منضود وظل ممدود وماء مسكوب
قال وملك الموت أشد به لطفامن
الوالدة ولدها يعرف ان ذلك الروح
حبيب لربه فهو يلتمس بلطفه تحببا
لديه رضا للرب عنه فنسل روحه كما
تسل الشعرة من العجين قال وقال
الله عز وجل الذين تتوفاهم الملائكة
طيبين وقال فاما ان كان من
المقربين فروح وريحان وجنة
نعيم قال روح من جهة الموت
وريحان يتلقى به وجنة نعيم مقابلة
قال فاذا قبض ملك الموت روحه

عن فهم ما هو معلوم من انه لا يستحيل عليه سبحانه شيء ولو كان ذلك مجرد رؤيا كما يقوله من
زعم ان الاسراء كان بالروح فقط وان رؤيا الانبياء حق لم يقع التكذيب من الكفرة للنبي
صلى الله عليه وآله وسلم عند اخباره لهم بذلك حتى ارتد من ارتد عن لم يشرح بالايان
صدر اذ ان الانسان قد يرى في نومه ما هو مستبعد بل هو محال ولا ينكر ذلك أحد وما
التسك لمن قال بان هذا الاسراء انما كان بالروح على سبيل الرؤيا بقوله وما جعلنا الرؤيا
التي أريناك الا فتنة للناس فعلى تسليم ان المراد بهذه الرؤيا هو هذا الاسراء قالت صريح
الواقع هنا بقوله سبحانه الذي أسرى بعبده ليلا والتصريح في الاحاديث الصحيحة
الكثيرة بانه أسرى به لا يقصر عن الاستدلال به على تأويل هذه الرؤيا الواقعة في الآية
برؤية العين فانه قد يقال لرؤية العين رؤيا وكيف يصح حمل هذا الاسراء على الرؤيا مع
تصريح الاحاديث الصحيحة بان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ركب البراق وكيف يصح
وصف الروح بالركوب وهكذا كيف يصح حمل الاسراء على الرؤيا مع تصريحه صلى الله
عليه وآله وسلم بانه كان عند ان أسرى به بين النائم واليقظان فالاولى ما ذهب اليه الجمهور
اذ لا فضيلة للعالم ولا مزية للنائم وقد اختلف أيضا في تاريخ الاسراء فروى ان ذلك كان قبل
الهجرة الى المدينة بسنة وروى ان الاسراء كان قبل الهجرة بأعوام ووجه ذلك ان
خديجة صلت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد ماتت قبل الهجرة بخمسة سنين وقيل
بثلاث وقيل بربع ولم تنرض الصلاة الالهة الاسراء وقد استدل بهذا ابن عبد البر على
ذلك وقد اختلفت الرواية عن الزهري وعن قال بان الاسراء كان قبل الهجرة بسنة
الزهري في رواية عنه وكذلك الحرابي فانه قال أسرى بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة
سبع وعشرين من ربيع الاول قبل الهجرة بسنة وقال ابن القاسم في تاريخه كان
الاسراء بعد مبعثه بثمانية عشر شهرا قال ابن عبد البر لا أعلم أحدا من أهل السير قال بمثل
هذا وروى عن الزهري انه أسرى به قبل مبعثه بسبعة أعوام وروى عنه انه قال كان قبل
مبعثه بخمسة سنين وروى يونس عن عروة عن عائشة انها قالت توفيت خديجة قبل ان
تنرض الصلاة واعلم انه قد أطال كثير من المفسرين كابن كثير والسيوطي وغيرهما في هذا
الموضع بذكر الاحاديث الواردة في الاسراء على اختلاف المناظير وما يتعلق بها من
الاحكام وما قال أهل العلم فيسه وما ظهر بعد المعراج من الآيات الدالة على صدقه وليس

قالت الروح الجسد جزا الله عنى خيرا فقد كنت سر ريعا الى طاعة الله بطيأ عن معصية الله فقد نحيبت
في
وأعجبت قال ويقول الجسد للروح مثل ذلك قال وتبكي عليه بقاع الارض التي كان يطيع الله فيها وكل باب من السماء يصعد منه عمله
وينزل منه رزقه أربعين ليلة قال فاذا قبض ملك الموت روحه قامت الجسمائة من الملائكة عند جسده فلا يقامه بنو آدم لشق
الاقبته الملائكة قبلهم وغسلته وكنته با كذا ان قبل الكفان بن آدم وحنوط قبل حنوط بن آدم ويقوم من باب يئسه الى قبره
صفان من الملائكة يستقبلونه بالاستغفار فيصيح عند ذلك ابليس صيحة تصدع منها عظام جسده قال ويقول لجنوده الويل لكم

كيف خلص هذا العبد منكم فيقولون ان هذا كان عبدا معصوما قال فاذا صعد ملك الموت بروحه يستقبله جبريل في سبعين ألفا من الملائكة كل يأتيه ببشارة من ربه سوى بشارة صاحبه قال فاذا انتهى ملك الموت بروحه الى العرش خر الروح ساجدا قال يقول الله عز وجل الملك الموت انطلق بروح عبدي فضعه في سدر مخضود وطلح منضود وظن ممدود وماء مسكوب قال فاذا وضع في قبره جاءته الصلاة فكانت عن يمينه وجاءه الصيام فكان عن يساره وجاءه القرآن فكان عند رأسه وجاءه مشيه الى الصلاة فكان عند رجليه وجاءه الصبر فكان ناحية القبر قال فبعث الله عز وجل (٢٩٩) عنقا من العذاب قال فيأتيه عن يمينه قال فتقول

الصلاة وراهل والله ما زال دائنا عمره كله وانما استراح الان حين وضع في قبره قال فيأتيه عن يساره فيقول الصيام مثل ذلك قال ثم يأتيه من عند رأسه فيقول القرآن والذكر مثل ذلك قال ثم يأتيه من عند رجليه فيقول مشيه الى الصلاة مثل ذلك فلا يأتيه العذاب من ناحية هل يلقن هل يجده اليه مساعا الا وجدولى الله قد أخذ ناحيته قال فينقمع العذاب عند ذلك فيخرج قال ويقول الصبر لسائر الاعمال اما انه لم ينعني ان أباشرأنا بنفسي الا انى نظرت ما عندكم فان عجزتم كنت أنا صاحبه فاما اذا آخرتم عنه فاناله ذخرك عند الصراط والميزان قال ويبعث ملكين أيضا وهما كالبرق الخاطف وأصواتهما كالرعد القاصف وأنيابهما كالصياحى وأنفاسهما كاللهب يطان في أشعارهما بين منكب كل واحد مسيرة كذا وكذا وقد نزعتهما الرأفة والرحمة يقال لهما منكر ونكير في يد كل واحد منهما مطرقة لو اجتمع عليها ربيعة ومضر لم يقلوها قال فيقولان له

في ذلك كثر فائدة فهي معروفة في مواضعها من كتب الحديث وهكذا أطالوا في كفضائل المسجد الحرام والمسجد الاقصى وهو محبت آخر والمقصود في كتب التفسير ما يتعلق بتفسير ألفاظ الكتاب العزيز ذكر أسباب النزول وبيان ما يؤخذ منه من المسائل الشرعية وما عد ذلك فهو فضل لا تدعو اليه حاجة (وآتيناموسى الكتاب) أى التوراة قيل والمعنى كرمنا محمد بالمعراج وأكرمنا موسى بالكتاب قال الشهاب عقب آية الاسراء بهذه استطراد اجماع ان موسى أعطى التوراة بتسميته الى الطور وهو بمنزلة معراج لانه منحته التكليم وشرف باسم الكليم والواو استنافية أو عاطفة على جملة سبحان الذى أسرى لاعلى أسرى بعبده وتكلفه (وجعلناه) أى ذلك الكتاب وقيل موسى (هدى لبنى اسرائيل) يهتدون به (أن لا تتخذوا) قرى بالتحمية ولا نافية وان مصدرية ولام التعليل مقدره وبالوقية ولا ناهية وان زائدة والمعنى على الاولى آتيناه الكتاب لهداية بنى اسرائيل لثلاث يتخذوا وعلى الثانية قلنا لهم لا تتخذوا الاولى ان تكون ان مفسرة لان هدايس من مواضع زيادة بل ذلك في نحو ولما ان جاءت رسلنا (من دونى وكيلا) أى كفيلا بهم وهم قاله الفراء وروى عنه انه قال كفيلا وقيل معناه متوكلون عليه في امورهم وقيل شريكا ومعنى الوكيل في اللغة من توكل اليه الامور (ذرية من جلتنا مع نوح) نصب على الاختصاص وبه بدأ الزمخشري أو النداء اى باذرية من جلتنا مع نوح كونوا كما كان نوح في العبودية والانقياد وفي كثرة الشكر لله تعالى بفعل الطاعات ذكرهم سبحانه انعامه عليهم في ضمن انجاء آبائهم من العرق وقيل المعنى ولا تتخذوا ذرية من جلتنا مع نوح من دونى وكيلا كقوله ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبين أربابا والمراد بالذرية هنا جميع من فى الارض لانهم من ذرية من كان فى السفينة وقيل موسى وقومه وهذا هو المناسب لقراءة النص على النداء والنصب على الاختصاص والرفع على البدل من فاعل لا تتخذوا وعلى الخبر فانها كلها راجعة الى بنى اسرائيل المذكورين وأما على جعل النص على ان ذرية هي المفعول الاول لقوله لا تتخذوا فالاولى تفسير الذرية بجميع من فى الارض من بنى آدم أخرج ابن مردويه عن عبد الله بن زيد الانصارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذرية من جلتنا مع نوح قال ما كان مع نوح الا أربعة اولاد حام وسام ويافت وكوش فذلك أربعة اولاد اتسوا هذا الخلف (انه) اى ان

اجلس قال فيجلس فيستوى جالسا قال ويقع كذانه في حقويه قال فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك قال قالوا يا رسول الله ومن يطبق الكلام عند ذلك وانت نصف من الملائكة ما نصف قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضلل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء قال فيقول ربى الله وحده لا شريك له ودينى الاسلام الذى دانت به الملائكة ونبى محمد خاتم النبیین قال فيقولان له صدقت قال فمد فعمان القبر فيوسعان من بين يديه أربعين ذراعا وعن يمينه أربعين ذراعا وعن شماله أربعين ذراعا ومن خلفه أربعين ذراعا وعن عنده رجليه أربعين ذراعا قال

فيوسعان له مائتي ذراع قال البرساني فأحسبه وأربعين ذراعاً يحاط به قال ثم يقولان له انظر فوقك فإذا باب مفتوح الى الجنة قال فيقولان له ولي الله هذا من ذلك إذا طعت الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده انه يصل الى قلبه عند ذلك فرحة لا ترد أبداً ثم يقال له انظر الى تحتك قال فينظر تحته فإذا باب مفتوح الى النار قال فيقولان ولي الله نجات آخر ما عليك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يصل الى قلبه عند ذلك فرحة لا ترد أبداً فقال فقالت عائشة يفتح له سبعة وسبعون باباً الى الجنة يأتيه ريحها ويردها حتى يعشه الله عز (٣٠٠) وجل وبالإسناد المتقدم الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ويقول الله

تعالى الملك الموت انطلق الى عدوى فاتى به فاني قد بسطت له رزقي ويسرت له نعمتي فأبى الامهصيتي فاتى به لا تقم قال فاطلق اليه ملك الموت في أكره صورته رأها أحد من الناس قطه اثنا عشر عيناً وبعده سفود من النار كثير الشول ومعه خمسة مائة من الملائكة معهم نحاس وجر من جرحهم وبعدهم سباط من نار لينها لين السباط وهي نار تآجج قال فيضربه ملك الموت بذلك السفود ضربة يغيب كل أصل شوكة من ذلك السفود في أصل كل شعرة وعزق وظفر قال ثم يلويه لباساً ديداً قال فينزع روحه من أظفار قدميه قال فيلقمها في ركبتيه ثم يسكر عند ذلك عدو الله سكرة فيرفعه ملك الموت عنه قال وتضرب الملائكة وجهه ودبره بالسباط قال ثم يثبتم ملك الموت نثرة فينزع روحه من عقبه فيلقمها في ركبتيه فيلقمها في حقويه قال فيسكر عدو الله عند ذلك سكرة فيرفعه ملك الموت عنه قال وتضرب الملائكة وجهه ودبره بتلك السباط قال كذلك الى صدره ثم كذلك الى حلقه قال ثم تبسط الملائكة ذلك

نوحاً (كان عبداً شكوراً) وصفه الله بكثرة الشكر في السراء والضراء وذلك انه كان لا يأكل ولا يشرب ولا يلبس الا قال الحمد وجعله كاله له لما قبله ايذاً بان يكون الشكر من أعظم أسباب الخير ومن أفضل الطاعات وحنا الذي يته على شكر الله سبحانه (وقضينا) اي أعلمنا وأخبرنا قاله ابن عباس أو حكمنا أو أتممنا أو أصل القضاء الاحكام للشيء والفرغ منه وقيل أو حيناً ويدل عليه قوله (الى بنى اسرائيل) ولو كان بمعنى الاعلام والاخبار لقال قضينا بنى اسرائيل ولو كان بمعنى حكمنا لقال على بنى اسرائيل ولو كان بمعنى أتممنا لقال لبنى اسرائيل (في الكتاب) أي التوراة ويكون انزالها على نبيهم موسى كآزالها عليهم لكونهم قومه وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ (لتفسدن) اي والله لتفسدن (في الارض) قرئ بفتح الفوقية ومعناها قريب من معنى قراءة الجمهور لانهم اذا أفسدوا وأفسدوا في نفوسهم والمراد بالفساد مخالفة ما شرعه الله لهم في التوراة والمراد بالارض أرض الشام وبيت المقدس وقيل أرض مصر واللام جواب قسم محذوف قال النيسابوري أو أجرى القضاء المبثوث مجرى القسم كأنه قيل وأقسمنا لتفسدن (مرتين) ثنية مرة وهي الواحدة من المرأى المرو على حد وفعلة مرة بكسرة وفي القاموس مر مر او مر وراجاز وذهب كاستمر ومره وبه جاز عليه والمره الفعل الواحدة والجمع مر بالضم ومر اربالكسر ومر ركعب وقلبه ذات مرة لا يستعمل الا ظرفاً وذات المرأى مرارة كثيرة وجنته مر أو مرين أي مرة أو مرتين انتهى والمره الاولى قتل شعيا وحبس أرميا ومخالفة أحكام التوراة والثانية قتل يحيى بن زكريا والغرم على قتل عيسى وقيل الاولى قتل زكريا والثانية قتل يحيى وذكر ابن احق ان بعض العلماء أخبره ان زكريا مات موتاً ولم يقتل قال ابن مسعود أول الفساد قتل زكريا بعث الله عليهم ملك النبط ثم ان بنى اسرائيل تهزوا وافتخروا بالنبط فاصابوا منهم فذلك قوله ثم ردنا لكم الكفرة عليهم وعن ابن عباس قال بعث الله في الاولى جالوت وبعث عليهم في المرة الاخرى جحش نصر فعادوا فساط الله عليهم المؤمنين (ولتعلمن علواً كبيراً) هذه اللام كاللام التي قبلها أي لتستكبرن عن اطاعة الله ولتستعلن على الناس بالظلم والبغي مجاوزين للحد في ذلك وتبغون بغياً عظيماً (فإذا جاء وعد) أي وقت وعد (أوليهما) أولى المرتين المذكورتين والمراد بالوعد الوعيد والمراد بالوعد المتوعد به أي حان وقت حلول العقاب الموعود به

النحاس وجر جهنم تحت ذقنه قال ويقول ملك الموت اخرجي أيتها الروح اللعينة للمعونة الى سموم وجميم وظل (بعثنا) من يحوم لبارد ولا كريم قال فاذا قبض ملك الموت روحه قال الروح للجسد جزاك الله عنى شراً فقد كنت سر يعابى الى معصية الله بطيأى عن طاعة الله فقد هلكت وأهلك قال ويقول الجسد للروح مثل ذلك وتلعنه بقاع الارض التي كان يعصى الله عليها وتطلق جنوداً بليس اليه فيبشرونه بانهم قد أوردوا عبدان من ولد آدم النار قال فاذا اوضع في قبره ضيق عليه قبره حتى يختلف أضلاعه حتى تدخل اليمنى في اليسرى واليسرى في اليمنى قال ويبعث الله اليه أفعى دهما كاعناق البخت يأخذون باذنيه واهما محي قدميه

فيقرضونه حتى يلتقين في وسطه قال ويبعث الله ملكين أبصارهما كالبرق الخاطف وأصواتهما كالرعد القاصف وانسابهما كالصياح وانفاسهما كاللهب يطآن في أشعارهما ما بين منكب كل واحد منهما مسيرة كذا وكذا قد نزعتهما الرأفة والرحمة يقال لهما منكر ونكير في يد كل واحد منهما مطرقة لواجتمع عليهما بيعة ومضرم يقولها قال فيقولان له اجلس فيستوي جالسا قال وتقع كفانه في حقويه قال فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول لأدري فيقولان لا دريت ولا تليت فيضربانه ضرباً يتطاير شرارها في قبره ثم يعودان قال فيقولان انظر فوقك (٣٠١) فينظر فإذا باب مفتوح فيقولان والله منزلت

لواطعت الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انه ليصل الى قلبه عند ذلك حسرة لا ترتد أبداً قال ويقولان له انظر تحتك فينظر تحته فإذا باب مفتوح الى النار فيقولان عدوا لله هذا منزلت اذ عصيت الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انه ليصل الى قلبه عند ذلك حسرة لا ترتد أبداً قال وقالت عائشة وفتح له سبعة وسبعون باباً الى النار يا أئمة حرها ومومها حتى يعثه الله اليها هذا حديث غريب جدا وسياق عجيب ويزيد الراشي راو يعنه أنس له غرائب ومنكرات وهو ضعيف الرواية عند الأئمة والله أعلم ولهذا قال ابوداود حدثنا ابراهيم بن موسى الرازي حدثنا هشام هو ابن يوسف عن عبد الله بن بدير عن هاني مولى عثمان عن عثمان رضى الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الرجل وقف عليه وقال استغفروا للاخيكم واسألوا له التثبيت فانه الا ان يستل تفرد به ابوداود وقد أورد الحافظ أبو بكر بن مردويه

(بعثنا عليكم عبادنا ألى بأس شديد) أى قوة في الحروب وبطش عند اللقاء قبل هو بختنصر وجنوده وقيل جالوت وقيل جنود فارس وقيل جنود من بابل وقيل هو سنجاريب من أهل نينوى فقتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة وخرّبوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا (جاسوا لخلال الديار) أى تواروا وترددوا يقال جاسوا وهاسوا واداسوا بمعنى ذكره ابن عزيز والقتبي قال الزجاج معناه طافوا هل بقي أحد لم يقتلوه قال والجوس طلب الشيء باستقصاء قال الجوهري الجوس مصدر قولك جاسوا لخلال الديار أى تخلوا لها كما يجوس الرجل للاخبار أى يطلبها وكذا قال أبو عبيدة وقال ابن جرير معنى جاسوا طافوا بين الديار يطلبونهم ويقتلونهم ذاهبين وجائين وقال القراء معناه قتلوهم بين يوتهم وقال قطرب معناه نزلوا وقرأ ابن عباس جاسوا بالخاء المهمله قال أبو زيد الجوس والجوس والعوس والهوس الطوف بالليل وقيل الطوف بالليل هو الجوسان محرّكا كذا قال أبو عبيدة وقال ابن عباس جاسوا مشوا ومعنى خلال الديار وسط الديار فهو على هذا اسم مفرد بمعنى الوسط ويؤيده قراءة الحسن خلل الديار والثاني جمع خلل بفتحين كجبل وجبال وجبل وجبال قاله السهيني (وكان) ذلك (وعدا مفعولا) أى كأننا لا محالة لازما لا خلف فيه (نهر ددنا لكم الكفرة) أى الدولة والغلبة والرجعة (عليهم) وذلك عند توتبتهم قيل وذلك حين قتل داود جالوت وقيل حين قتل بختنصر ووضع ددنا موضع نردلانه لم يقع وقت الاخبار لكن لتحقيقه عبر بالماضى والكفرة فى الاصل مصدر كركب أى رجح ثم يعبر به عن الدولة والقهر (وأمددناكم بأموال وبنين) بعد نهب أموالكم وسبي أبناءكم حتى عاد أمركم كما كان (وجعلناكم أكثر نفيرا) قال أبو عبيدة النفير العدد من الرجال فالمعنى أكثر رجالا من عدوكم والنفير من ينفر مع الرجل من عشيرته يقال نفير ونافر مثل قدير وقادر ويجوز أن يكون النفير جمع نفر وهم اجتمعوا للذهاب الى العدو (ان أحسنتم) أفعالكم وأقوالكم على الوجه المطلوب منكم (أحسنتم لأنفسكم) لان ثواب ذلك عائد عليكم (وان أسأتم) أعمالكم فأرقتهموا لعل الوجه المطلوب منكم (فلها) أى فعلها اسأتمها وانما عبر بها للمشاكله الكرماني قال ابن جرير اللام بمعنى الى أى فاليها ترجع الاساءة كقوله تعالى بأن ربك أوحى لها أى اليها وقيل المعنى فلها الجزاء والعقاب وقال

عند قوله تعالى ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم الآية حديثنا مطولا جدا من طرق غريبة عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا وفيه غرائب أيضا (ألم ترى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار وجعلوا لله أندادا المصلوا عن سبيله قل تمتعوا فان مصيركم الى النار) قال البخارى قوله ألم ترى الذين بدلوا نعمة الله كفرا ألم تعلم كقوله ألم ترى الذين خرجوا البوار الهالكين باربيور بورا قوم ابورا الهالكين حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو عن عطاء بن سبيع ابن عباس ألم ترى الذين بدلوا نعمة الله كفرا قال هم كفار أهل مكة وقال العوفي عن ابن عباس فى هذه الآية هو

جسده من الابهيم والذين اتبعوه من العرب فلقوا بالروم والمشهور الصحيح عن ابن عباس هو القول الاول وان كان المعنى بعم
 جميع الكفار فان الله تعالى بعث محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ونعمة للناس فمن قبله او قام بشكره ادخل الجنة ومن ردها
 وكفره ادخل النار وقد روى عن علي بن ابي طالب قول ابن عباس الاول وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حاتم حدثنا ابي حاتم حدثنا ابي حاتم
 القاسم بن ابي بزة عن ابي الطفيل ان ابن الكواء سأل عليا عن الذين بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار قال هم كفار
 قريش يوم بدر حدثنا المنذر بن شاذان حدثنا (٣٠٢) يعلى بن عبيد حدثنا بسام هو الصيرفي عن ابي الطفيل قال جاء رجل الى

علي فقال يا امير المؤمنين من الذين
 بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم
 دار البوار قال منافق قريش وقال
 ابن ابي حاتم حدثنا ابي حاتم بن
 ثعلبة قال قرأت على معقل عن ابن ابي
 حسين قال قام علي بن ابي طالب رضی
 الله عنه فقال الا احديسأني عن
 القرآن فوالله لو أعلم اليوم أحدا أعلم
 به مني وان كان من وراء البحار لاتيته
 فقام عبد الله بن الكواء فقال من الذين
 بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم
 دار البوار قال مشرك قريش اتهم
 نعمة الله الايمان فبدلوا نعمة الله كفرا
 واحلوا قومهم دار البوار وقال السدي
 في قوله ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله
 كفرا الا يفتذ كرمسلم المستوفى عن
 علي انه قال هم الاجران من قريش
 بنو أمية وبنو المغيرة فاما بنو المغيرة
 فاحلوا قومهم دار البوار يوم بدر واما
 بنو أمية فاحلوا قومهم دار البوار
 يوم احد وكان ابو جهل يوم بدر وابو
 سفيان يوم احد واما دار البوار
 فهي جهنم وقال ابن ابي حاتم رحمه
 الله حدثنا محمد بن يحيى حدثنا الحرث
 أبو منصور عن اسراييل عن ابي
 اسحق عن عمرو بن مرة قال سمعت

الحسين بن الفضل فلها رب يغفر الاساءة وقال الكرخي أجرى اللام على بابها قال ابو
 البقاء وهو الصحيح لان اللام للاختصاص والعامل مختص بجزء عمله وسينه انتهى
 وهذا الخطاب قيل هو لبني اسرائيل الملا بسين لما ذكر في هذه الآيات وقيل لبني اسرائيل
 الكائنين في زمن محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومعناه اعلامهم ما حل بسلفهم فليرتقبوا
 مثل ذلك وقيل هو خطاب لمشركي قريش (فاذا جاء وعد الآخرة) أي حضروقت
 ما وعدوا من عقوبة المرة الآخرة والمرة الآخرة هي قتلهم يحيى بن زكريا كما سبق وقصة قتله
 مستوفاة في الانجيل واسمه فيسه يوحنا قتله ملك من ملوكهم بسبب امرأته حلتة على قتله
 واسم الملك لاخت قاله ابن قتيبة وقال ابن جرير يهودوس فسلط عليهم الفرس والروم
 فسبواهم وقتلواهم وقيل هو قتلهم قتل عيسى فخلصه الله منهم ورفعاه اليه وجواب اذا
 محذوف دلالة جواب اذا الاولى تقديره بعثناهم (ليسوا ووجوهكم) أي ليفعلوا بكم
 ما يسوء وجوهكم حتى تطهر عليكم آثار المساءة وتبين في وجوهكم السكابة وقيل المراد
 بالوجوه السادة منهم وقرئ لنسوة بالنون على ان الضمير لله سبحانه وقرئ لنسوة بنون
 التأكيد وقرئ ليسوة بالضمية وافراد الضمير لله اولو وعد وقرئ ليسوة على ان الناعل
 عبادنا وفي عود الواو على العباد نوع استخدام اذا المراد بهم أولا جالوت وجنوده والمراد
 بهم في ضمن الضمير يختصر وجنوده (وليدخلوا المسجد) اي بيت المقدس ونواحيه
 فيخربوها (كمدخلها أول مرة) اي وقت افسادهم الاول (وليتبروا) اي يدمروا ويهلكوا
 قاله ابن عباس وقال قطرب يهدموا قال الزجاج كل شيء كسرته وفتسته فقد تهرته
 (ما علوا) ما غلبوا عليه من بلادكم أو مدة علوهم (قتبيرا) اي تدمير اذ المصدر ازالة
 للشك وتحقيق الخبر (عسى ربكم) اي بنو اسرائيل (ان يرجحكم) بعد اتقاهم منكم في المرة
 الثانية فيرد الدولة اليكم قال الضحاك كانت الرحمة التي وعدهم بعث محمد صلى الله عليه
 وآله وسلم (وان عدتم) الى العصية ثالثا (عدنا) الى عقوبتكم قال اهل السير ثم اتهم
 عادوا الى ما لا ينبغي وهو تكذيب محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكتان ما ورد من نعمته في
 التوراة والانجيل فعاد الله الى عقوبتهم على أيدي العرب فجري على بني قريظة والنضير
 وبني قينقاع وخيبر ماجرى من القتل والسبي والاجلاء وضرب الجزية على من بقي منهم

عليا قرأ هذه الآية وأحلوا قومهم دار البوار قالهم الاجران من قريش بنو أمية وبنو المغيرة فاما بنو المغيرة وضرب
 فاهلكوا يوم بدر واما بنو أمية فتعوا الى حين ورواه أبو اسحق عن عمرو بن مرة عن علي بن ابي طالب قال هم الكفار
 الشورى عن علي بن زيد عن يوسف بن سعد عن عمر بن الخطاب في قوله ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا قالهم الاجران من
 قريش بنو المغيرة وبنو أمية فاما بنو المغيرة فكفتموهم يوم بدر واما بنو أمية فتعوا الى حين وكذا رواه جزية الزيات عن عمرو بن مرة
 قال قال ابن عباس لعمر بن الخطاب يا امير المؤمنين هذه الآية ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار قالهم

الاجفران من قريش أخوالى وأعمامك فاما خوالى فاستأصلهم الله يوم يدروا ما أعمامك فاملى الله لهم الى حين وقال مجاهد وسعيد
 ابن جبير والضحاك وقتادة وابن زيدهم كفار قريش الذى قتلوا يوم بدر وكذا رواه مالك في تفسيره عن نافع عن ابن عمر وقوله وجعلوا
 لله أندادا ليضلوا عن سبيله أى جعلوا له شركاء عبدوهم معه ودعوا الناس الى ذلك ثم قال تعالى مهذب الهمم ومتوعد الهمم على
 لسان نبيه صلى الله عليه وسلم قل تتعوا فان مصيركم الى النار أى مهم ما قدرتم عليه في الدنيا فافعلوا انهما يكن من شئ فان مصيركم الى
 النار أى مرجعكم وموتكم اليها كما قال تعالى نمتعهم قليلا ثم نضطرهم (٣٠٣) الى عذاب غليظ وقال تعالى متاع في الدنيا

ثم اليناصر جمعهم ثم يذيقهم العذاب
 الشديديا كانوا يكفرون (قل
 لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة
 وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية
 من قبل أن يأتي يوم لا يبغ فيه
 ولا خلال) يقول تعالى أمر عباده
 بطاعته والقيام بحقه والاحسان
 الى خلقه بان يقيموا الصلاة وهى
 عبادة الله وحده لا شريك له وان
 يتفقوا بما رزقهم الله باءاء الزكوات
 والتفقه على القرابات والاحسان الى
 الاجانب والمراد باقامتها هو المحافظة
 على وقتها وحدودها وركوعها
 وخشوعها وسجودها وأمر تعالى
 بالاتفاق مما رزق في السراى فى
 الخفية والعلانية وهى الجهر
 وليبادروا الى ذلك لخلاص أنفسهم
 من قبل أن يأتي يوم وهو يوم القيامة
 لا يبغ فيه ولا خلال أى ولا يقبل من
 أحد فدية بان تباع نفسه كما قال
 تعالى فاليوم لا يؤخذ منكم فدية
 ولا من الذين كفروا وقوله ولا خلال
 قال ابن جرير يقول ليس هناك
 مخالفة لخليل فيصغ عن استوجب
 العقوبة عن العقاب لمخالفة بل

وضرب الذلة والمسكنة وقال قتادة وبعادوا فبعث الله عليهم محمدا صلى الله عليه وآله وسلم
 فهم يعطون الجزية عن يدهم جاغرون وقد اختلفت الروايات في تعيين الواقع منهم في
 المرتين وفي تعيين من سلطه الله عليهم وفي كيفية الانتقام منهم ولا يتعلق بذلك كثير فائدة
 (وجعلنا جهنم للكافرين) منهم ومن غيرهم (حصيرا) أى سجننا ومحبسنا جعل الله
 مأواهم فيها قاله ابن عباس والحصير هو الحبس فهو فعيل بمعنى فاعل أو مفعول والمعنى
 انهم محبوسون في جهنم لا يتخلصون عنها أبدا قال الجوهرى حصره يحصره حصرا ضيق
 عليه وأحاط بهو يقال للسجين محصور وحصير وقيل فراشا ومهادا قاله الحسن وأراد على
 هذا الحصير الحصير الذى يفرشه الناس (ان هذا القرآن يهدى) الناس (التي) أى
 للطريقة التى (هى أقوم) وأصوب من غيرها من الطرق وهى ملة الاسلام وقال الزجاج
 للمال التى هى أقوم الحالات وهى توحيد الله والايان برسله وكذا قال النراء وقيل
 للكلمة التى هى أعدل وهى شهادة أن لا اله الا الله فبعضهم يصل بهدايته وهم المؤمنون
 وبعضهم لا وهم الكافرون (وبشر المؤمنين) بما اشتمل عليه من الوعد بالخير آجلا
 وعاجلا (الذين يعملون الصالحات) التى أرشد الى عملها القرآن (أن لهم) أى بان لهم
 (أجرا كبيرا) وهو الجنة (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة) وأحكامها المبينة في القرآن
 (أعدنا لهم عذابا أليما) وهو عذاب النار فلا يكون ذلك دخلا في حيز البشارة وعلمه
 جرى السفاقي والبيضاوى والسيوطى والجله عطف على جملة بيشير بتقدير يخبر
 وقيل عطف على قوله ان لهم أجرا كبيرا ويراد بالتبشير مطلق الاخبار سواء كان بخيرا أو شر
 أو معناه الحقيقي ويكون الكلام مشتقاً على تبشير المؤمنين ببشارتين الأولى ما لهم من
 الثواب والثانية ما لا أعدا لهم من العقاب ولا شك ان ما يصيب عدوهم سرور لهم (وبعد)
 القياس ان تثبت وايدع لانهم فروع الانسا ووجب سقوطها انظرا لاجتماع السا كنين
 سقطت في الخط أبضا على خلاف القياس وتظيره سندع الربانية (الانسان بالشر) المراد
 بالانسان هو الجنس لوقوع هذا الدعاء من بعض افراده وهو دعاء الرجل على نفسه وماله
 وولده عند الضجر بما لا يجب ان يستجاب له نحو اللهم أهلك اللهم العنه ونحو ذلك (دعاء)
 بالخير) أى مثل دعائه لرب بالخير لنفسه ولا الهه كطلب العافية والرزق ونحوه ما فلو
 استجاب الله دعاءه على نفسه بالشر لهلك لكنه لم يستجب تفضلا منه ورحمة ومثل ذلك

هنالك العدل والقسط والخلال مصدر من قول القائل خاللت فلانا فانا حاله مخالفة وخال لا ومنه قول امرئ القيس

صرفت الهوى عنهن من خيبة الردا * ولست بمقل للخلال ولا قالى

وقال قتادة ان الله قد علم ان في الدنيا يوسعوا وخاللا يتحلون به في الدنيا فينظر الرجل من يخال وعلام بصاحب فان كان الله فليدوم
 وان كان لغير الله فسيقطع عنه قلت والمراد من هذا انه يخبر تعالى انه لا ينفع أحد باسيع ولا فدية ولو افتدى بملا الارض ذهبوا
 وجدده ولا تنفعه صداقة أحد ولا شفاعة أحد اذ انى الله كافر اقال الله تعالى واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها

عدل ولا تنفعها شفاعه ولا هم ينصرون وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا يبغ فيه ولا خلة ولا شفاعه والكافرون هم الظالمون (الله الذي خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم النهار والسمر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتهم وواعدوا الله لا تتصوهوا ان الانسان لظالم كفار) يعبد تعالى نعمه على خلقه بان خلق لهم السموات سقنا محفوظا والارض فراشا وأنزل من السماء ماء فأخرج به أزواجا من (٣٠٤) نبات شتى ما بين ثمار ووزوع مختلفة الالوان والاشكال والطهوم والروائح

ولو يجعل الله الناس الشر استجاب لهم بالخير وقد تقدم في سورة يونس انه يستجاب له بالخير ولا يستجاب له في الشر فراجعه وقيل المراد لانسان القائل هذه المقالة هو الكافر يدعو لنفسه بالشر وهو استجبال العذاب دعاء بالخير كقوله اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم وقال ابن عباس قوله اللهم العنه واغضب عليه وقيل هو ان يدعو في طلب المخطور كدعائه في طلب المباح (وكان الانسان عجولا) أي مطبوعا على العجلة يسارع الى كل ما يخطر بباله لا ينظر الى عاقبته ومن علمته انه يسأل الشر كما يسأل الخير وقال ابن عباس سخر الاصبير له على سراء ولاضراء والمراد بالانسان الجنس لان أحدا من الناس لا يعرى عن عجلة ولو تركها لكانت تركها أصح في الدين والدنيا وقيل أشار به الى آدم عليه السلام حين نهض قبل ان يكمل فيه الروح فعن سلمان النازي قال أول ما خلق الله من آدم رأسه فجعل ينظر وهو يخلق وبقيت رجلاه فلما كان بعد العصر قال يارب أعجل قبل الليل فذلك قوله وكان الانسان عجولا والمناسب للسياق هو الاول ولما ذكر سبحانه دلائل النبوة والتوحيد كدها بليسيل آخر من عجائب صنعته وبدائع خلقه فقال (وجعلنا الليل والنهار آيتين) وذلك لما فيه سما من الاظلام والانارة مع تعاقبها وسائر اشتمالها عليه من العجائب التي تحارفي وصفها الاحلام ومعنى كونها آيتين انها ما يدلان على وجود الصانع وقدرته وعلى اننا الحكم بتعاقبها على نسق واحد مع امكان غيره وقدم الليل على النهار لكونه الاصل وثني الآية ههنا وأفردها في قوله وجعلناها واوبنا آية لتباين الليل والنهار من كل وجه وتكرره ههنا فاناس ههنا التثنية بخلاف عيسى مع امه فانه جز منه والاولى تكرره ههنا فاناس ههنا الافراد قاله الكرخي (فجئونا آية الليل) اي طمسنا نوره وها وقد كان القمر كالشمس في الانارة والضوء قيل ومن آثار الخوال السواد الذي يرى في القمر وقيل المراد بجوها انه سبحانه خلقها معجزة الضوء مظموسة مظلمة لا يستبين فيه شيء وليس المراد انه محابها بعد ان لم تكن كذلك والفاء تفسيرية لان الخوال مذكور وما عطف عليه ليس اسم يحصل عقب جعل الليل والنهار آيتين بل هما من جعله ذلك الجعل ومتمماته وعن علي قال في الآية هو السواد الذي في القمر وعن ابن عباس نحوه وأخرج البيهقي وابن عساكر عن سعيد المقبري ان عبد الله بن سلام سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن السواد الذي في القمر فقال كان شمسين

والمنافع وسخر الفلك بأن جعلها طافية على تيار ماء البحر تجري عليه بأمر الله تعالى وسخر البحر يحملها ليقطع المسافرون بها من اقليم الى اقليم آخر جلب ما هنالك الى ما هنالك وما هنالك الى ههنا وسخر النهار تشق الارض من قطر الى قطر رزقا للعباد من شرب وسقي وغير ذلك من أنواع المنافع وسخر لكم الشمس والقمر دأيين أي يسيران لا يفتران لئلا ولا نهارا لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون يعشبي الليل النهار يطلبه حثينا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألهه الخلق والامر تبارك الله رب العالمين فالشمس والقمر يتعاقبان والليل والنهار يتعارضان فتارة يأخذ هذا من هذا فيطول ثم يأخذ الاخر من هذا فيقصير يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يحسرى لاجل مسمى الا هو العزيز الغفار وقوله وآتاكم من كل ما سألتهم يقول هيأ لكم كل ما تحتاجون اليه في جميع أحوالكم وما تسألونه بحالكم وقال

بعض السلف من كل ما سألتهم وقرأ بعضهم وآتاكم من كل ما سألتهم وقوله وان تعدوا نعمة الله فالسواد لا تتصوهوا يخبر تعالى عن عجز العباد عن تعداد النعم فضلا عن القيام بشكرها كما قال طلق بن حبيب رحمه الله ان حق الله أنقل من أن يقوم به العباد وان نعم الله أكثر من أن يحصيها العباد ولكن أصبحوا آتائين وأمسوا آتائين وفي صحيح البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم لك الحمد غير مكفي ولا ودع ولا مستغنى عنه ربنا وقال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا اسمعيل ابن أبي الحرث حدثنا داود بن الحارث حدثنا صالح المري عن جعفر بن زيد العبدي عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال

يخرج لابن آدم يوم القيامة ثلاثة دواوين ديوان فيه العمل الصالح وديوان فيه ذنوبه وديوان فيه النعم من الله تعالى عليه فيقول الله تعالى لا أصغر نعمة أحسبها قال في ديوان النعم خسدي عنك من عمل الصالح فتستوعب عمل الصالح كله ثم تحكي وتقول وعزتك ما استوفيت وتبقى الذنوب والنعم فاذا أراد الله أن يرجعه قال يا عبدي قد ضاعت لك حسناتك ومجازتك لك عن سيئاتك احسبه قال ووهبت لك نعمي غريب وسنده ضعيف وقدر روي في الاثر ان داود عليه السلام قال يارب كيف أشكر لك وشكري لك نعمة منك على فقال الله تعالى الان شكرتني يا داود حين اعترفت بالتقصير عن أداء (٣٠٥) شكر النعم وقال الامام الشافعي رحمه الله الحمد لله

الذي لا تؤدى شكر نعمة من نعمه
الابنعمة حادثة توجب على مؤدئها
نعمة وبأدائها نعمة حادثة توجب
عليه شكره بها وقال القائل في ذلك
لو كل جارحة مني لها لغة

تثني عليك بما أويايت من حسن
لكان ما زاد شكركي اذ شكرت به
البداء بلغ في الاحسان والمنة

(واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا
البلد آمنا واجنبي وبني أن نعبد
الاصنام رب انهم أضلن كثير امن
الناس فن تبعني فانه مني ومن عصاني
فانك غفور رحيم) يذكر تعالى في هذا
المقام تحت جبال على مشركي العرب بان
البلد الحرام مكة انما وضعت أول
ما وضعت على عبادة الله وحده
لا شريك له وان ابراهيم الذي كانت
عامرة بسببه أهله تبرأ من عبده غير
الله وانه دعا مكة بالامن وقال رب
اجعل هذا البلد آمنا وقد استجاب
الله له فقال تعالى أولم يروا أنا جعلنا
حرم ما آمننا الآية وقال تعالى ان أول
بيت وضع للناس للذي ببكة مبارك
وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام
ابراهيم ومن دخله كان آمنا وقال
في هذه القصة رب اجعل هذا

فالسواد الذي رأيت هو المحو وعن ابن عباس مر فوعانحوه باطول منه أخرجه ابن
مردويه قال السيبوطي واسناده واه (وجعلنا آية النهار مبصرة) أي مبصر فيها قال
الكسائي وغيره هو من قول العرب أبصر النهار اذا صار بحاله يصير بها وأشار بهذا الى ان
في الكلام مجازا عقليا لان النهار لا يصير بل يصير فيه فهو من اسناد الحدث الى زمانه وقيل
مبصرة للناس من قولهم أبصره فبصره فالاول وصف لها بحال أهلها والثاني وصف لها
بحال نفسها واضافة آية الى النهار بيانية أي فحونا الآية التي هي النهار مبصرة كقولهم
نفس الشئ وذاته وقيل آية النهار الشمس كما ان آية الليل القمر فعني وجعلنا آية النهار
مبصرة أي جعلنا شمس النهار مضيئة تبصر بها الاشياء روية بينة (لتبتغوا فضلا من ربكم)
أي لتتوصلوا بيباض النهار الى التصرف في وجوه المعاش والمعنى جعلناها لتبتغوا وتطلبوا
فضلا أي رزقا فان غالب تحصيل الارزاق وقضاء الخواج يكون بالنهار ولم يذكر هنا السكون
في الليل اكتفاء بما قاله في موضع آخر وهو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصر
ثم ذكر مصلحة اخرى في ذلك الجعل فقال (ولتعلموا عدد السنين والحساب) وهذا متعلق
بالفعلين جميعا أعني فحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتعلموا الخ لا بأحدهما فقط
كالاول اذ لا يكون علم عدد السنين والحساب الا باختلاف الجديدين ومعرفة الايام
والشهور والسنين والفرق بين العدد والحساب ان العدد احصاء ماله كية بتكرير أمثاله من
غير أن يتحصل منه شيء والحساب احصاء ماله كية بتكرير أمثاله من حيث يتحصل بطائفة
معينة منها احد معين منه له اسم خاص فالسنة مثلا ان وقع النظر اليها من حيث عدد
ايامها فذلك هو العدد وان وقع النظر اليها من حيث تحققها وتحصلها من عدة أشهر قد
تحصل كل شهر من عدة أيام قد تحصل كل يوم من عدة ساعات قد تحصلت كل ساعة من
عدة دقائق فذلك هو الحساب ولو كانا مثلين لما عرف الليل من النهار ولا استراح حراس
المكتسبين والتجار ولتعطلت الامور ولم يدر الصائم متى يفطر ولم يعرف وقت الحج والصوم
والصلاة ولا وقت الزراعة ولا وقت حلول الديون المؤجلة وقال الكرخي لا تكرارا ذ
العدد وموضوع الحساب (وكل شئ فصلناه تفصيلا) أي كل ما تقنقرون اليه في أمر
دينكم ودينكم بيناه تبيينا واضحا الا بلبس فهو كقوله ما فرطنا في الكتاب من شئ
وقوله ونزلنا عليك الكتاب تبينا لكل شئ وانما ذكر المصدر وهو قوله تفصيلا لاجل تأكيد

(٣٩ فتح البيان خامس) البلد آمنا فعترفه لانه دعا به بعد بنائها ولهذا قال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل
واسحق ومعلوم ان اسمعيل أكبر من اسحق بثلاث عشرة سنة فاما حين ذهب باسمعيل وأمه وهو رضيع الى مكان مكة فانه دعا
أيضا فقال رب اجعل هذا بلد آمنا كما ذكرناه هنالك في سورة البقرة مستقصى مطولا وقوله واجنبي وبني أن نعبد الاصنام ينبغي
لكل داع أن يدعو نفسه ولو اذ به ولذريته ثم ذكر انه افتتن بالاصنام خلافت من الناس وانه تبرأ من عبدها ورد أمرهم الى الله
ان شاء عبد بهم وان شاء غفر لهم كقول عيسى عليه السلام ان تعبدواهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم

وليس فيه أكثر من الرد إلى المشيئة لا تجوز وقوع ذلك قال عبد الله بن وهب حدثنا عمرو بن الحرث أن بكر بن سوادة حدثه عن عبد الرحمن بن جري عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول إبراهيم عليه السلام رب أنهن أضلان كثيران من الناس الآية وقول عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك الآية ثم قال اللهم أمي اللهم أمي اللهم أمي وبكى فقال الله اذهب يا جبريل إلى محمد وربك أعلم وسله ما ييكفك فأتاه جبريل فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال فقال الله اذهب إلى محمد فقل له اناسرضيك في أمتك ولا (٣٠٦) نسوك (ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم

ربنا ليقموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) وهذا يدل على ان هذا دعاء ثان بعد الدعاء الاول الذي دعا به عند ما روى عن هاجر وولدها وذلك قبل بناء البيت وهذا كان بعد بناءه تأكيذا ورغبة إلى الله عز وجل ولهذا قال عند بيتك المحرم وقوله ربنا ليقموا الصلاة قال ابن جري هو متعلق بقوله المحرم أي انما جعلته محرما ليقم أهل من إقامة الصلاة عنده فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبيرة وغيره لوقال أفئدة الناس لآزدهم عليه فارس والروم واليهود والنصارى والناس كلهم ولكن قال من الناس فاخص به المسلمون وقوله وارزقهم من الثمرات أي ليكون ذلك عوناً لهم على طاعتك وكما أنه واد غير ذي زرع فاجعل لهم ثماراً يأكلونها وقد استجاب الله ذلك كما قال أولم نتمكن لهم حرماً آمناً يجيب إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا وهذا من لطفه تعالى وكرمه ورحمته وبركته أنه ليس في البلد الحرام مكة شجرة مثمرة وهي تجبي إليها ثمرات ما حولها استجابة لدعاء الخليل عليه السلام (ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن

الكلام وتقريره فكانه قال فصلناه حقاً على الوجه الذي لا مزيد عليه وعند ذلك تنزاح العلل وتزول الاعتذار ليلك من هلك عن بينة ولهذا قال (وكل انسان أزمانه طائر في عنقه) قال أبو عبيدة الطائر عند العرب الحظ ويقال له البخت فالطائر ما وقع للشخص في الازل بما هو فنيصه من العقل والفهم والعمل والعمر والرزق والسعادة والشقاوة كان طائر يطير إليه من وكر الازل وظلمات عالم الغيب طيراً لانهاية له ولا غاية إلى ان انتهى إلى ذلك الشخص في وقته المقدر من غير خلاص ولا مناص وقال الازهرى الاصل في هذا ان الله سبحانه لما خلق آدم علم المطيع من ذريته والعاصي فكتب ما علمه منهم أجمعين وقضى بسعادة من علمه مطيعاً وشقاوة من علمه عاصياً فطائر لكل منهم ما هو صائر إليه عند خلقه وانشأه وذلك قوله وكل انسان أزمانه طائر في عنقه أي ما طار له في علم الله وقيل ان العرب كانوا اذا أرادوا الاقدام على عمل من الاعمال وأرادوا ان يعرفوا ان ذلك العمل يسوقهم إلى خير أو شر اعتبروا أحوال الطير فلما كثرت ذلك منهم سمو انفس الخير والشر بالطائر تسمية للشيء باسم لازمه وفي عنقه عبارة عن شدة اللزوم وكال الارتباط قال الزجاج ذكر العنق عبارة عن اللزوم كالزوم القلادة العنق من بين ما يلبس قال مجاهد ما من مولود يولد الا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شي أو سعيد أخرج أجدو عبد بن جريد وابن جري بسند حسن عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول طائر كل انسان في عنقه وقال ابن عباس طائر سعادته وشقاوته وما قدر الله له وعليه فهو لازمه أي بما كان وعن أنس قال طائر كآبه فالطائر له تفسيران الاول العمل وما قدر له والثاني الكتاب الحقيقي (وتخرج) بنون التعظيم (له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً) وقرئ يخرج بالتحنية وبالراء المضمومة على معني ويخرج له الطائر فيصير كتاباً وقرئ يخرج والفاعل هو الله سبحانه وقرئ على البناء للمفعول أي يخرج له الطائر كتاباً والمعنى مكتوب بآفيه أعماله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها قال الحسن بسطت لك صحيفة ووكلك ما كان فهما عن يمينك وعن شمالك فاما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك واما الذي عن يسارك فيحفظ عليك سيئاتك حتى اذا مت طويت صحيفةك وجعلت معك في قبرك حتى تخرج ليوم القيامة وانما قال سبحانه يلقاه منشوراً التحجيم للشرى بالحسنة والتوبيخ على السيئة قال ابن عباس هو عمه الذي أحصى عليه ما خرج له يوم القيامة ما كتب له من العمل

وما يخفي على الله من شيء في الارض ولا في السماء الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق ان ربي لسميع الدعاء رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) قال ابن جري يقول تعالى يخبر عن ابراهيم خليله انه قال ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن أي أنت تعلم قصدي في دعائي وما أردت بدعائي لاهل هذا البلد وانما هو القصد إلى رضائك والاخلاص لك فانك تعلم الاشياء كلها ظاهراً وباطناً لا يخفي عليك منها شيء في الارض ولا في السماء ثم جدر به عز وجل

على ما رزقه من الولد بعد الكبر فقال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق ان ربي اسمع الدعاء أي انه يستجيب لمن دعاه وقد استجاب لي فيما سألته من الولد ثم قال رب اجعلني مقيم الصلاة أي محافظا عليها مقيما للحدود وها من ذريتي أي واجعلهم كذلك مقيمين لها ربنا وتقبل دعاء أي فيما سألتك فيه كما رزقنا انقرض ولوالدي قرأ بعضهم ولوالدي بالافراد وكان هذا قبل ان يتبرأ من أيهما تبين له عداوته لله عز وجل وللمؤمنين أي كلهم يوم يقوم الحساب أي يوم تحاسب عبادك فتجاز بهم بأعمالهم ان خيرا خيرا وان شرا شرا (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم (٣٠٧) ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي رؤسهم

العمل فقرأه منشورا والمعنى بلقاء الانسان أو يلقي الانسان (اقرأ كتابك) أي يقال له أو قائلين له اقرأ قيل يقرأ في ذلك اليوم الكتاب من كان قارئاً ومن لم يكن قارئاً فانه قتادة (كفي بنفسك) أي بشخصك (اليوم عليك حسيباً) أي حاسباً وكافياً والحسب بمعنى الحاسب كالشريك والجليس والخليط قال الحسن لقد عدل عليك من جعلك حسيب نفسك (من اهتدى فانما يهتدى لنفسه) بين سبحانه ان ثواب العمل الصالح وعقاب ضده يختصان بفاعلهما لا يتعديان منه الى غيره فمن اهتدى بفعله ما امره الله به وترك ما نهاه الله عنه وعمل بما في نواصيحه من الاحكام فانما تعود من نفعه ذلك الى نفسه لا يتخطاه الى غيره ممن لم يهتد (ومن ضل) عن طريق الحق فلم يفعل ما امر به ولم يترك ما نهى عنه (فانما يضل عليها) اي فان وبال ضلاله واقع على نفسه لا يجاوزها فكل أحد محاسب عن نفسه مجزى بطاعته معاقب بعصيته وهذا حاصل ما تقدم من بيان كون القرآن هادياً لا قوم الطريق وزوم الاعمال لصاحبها كدهذا الكلام بأبلغ تأكيده فقال (ولا تزر وازرة وزر اخرى) الوزر الاثم يقال وزر وزر ووزرة أي اثماً والجمع أوزار والوزر الثقل ومنه يحملون أوزارهم على ظهورهم أي اتقال ذنوبهم ومعنى الآية لا تتحمل نفس حاملها للوزر وزر نفس أخرى حتى تخلص الأخرى عن وزرها وتؤخذ به الاولى وقد تقدم مثل هذا في الانعام قال الزجاج في تفسير هذه الآية ان الاثم والمذنب لا يؤاخذ بذنب غيره وهذا تحقيق معنى قوله وكل انسان انزماه طارفة في عنقه وأما ما يدل عليه قوله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وقوله تعالى ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم من حل الغير وزر الغير واتقاه بحسنه وتضرره بسنيته فهو في الحقيقة اتقاع بحسنه نفسه وتضرر بسنيته فان جزاء الحسنه والسنيته اللتين يعملهما العامل لازم له وانما الذي يصل الى من يشفع جزاء شفاعة لا جزاء أصل الحسنه والسنيته وكذلك جزاء الضلال مقصور عن الضالين وما يحمله المضلون انما هو جزاء الاضلال وانما خص التأكيدهما بالجملة الثانية قطعاً للاطماع الفارغة حيث كانوا يزعمون انهم ان لم يكونوا على الحق فالشفاعة على أسلافهم الذين قلدوهم أخرج ابن عبد البر في التمهيد عن عائشة قالت سألت خديجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أولاد المشركين فقال هم من آباؤهم ثم سألته بعد ذلك فقال الله

لا يرتد اليهم طرفهم وأنتم تدعونهم (هواء) يقول تعالى ولا تحسبن الله ياحمداً غافلاً عما يعمل الظالمون أي لا تحسبوه اذا أنظرهم وأجلهم انه غافل عنهم مهمل لهم لا يعاقبهم على صنعهم بل هو يوصي ذلك عليهم ويعتده عليهم عدا انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار أي من شدة الاهوال يوم القيامة ثم ذكر تعالى كيفية قيامهم من قبورهم وعجلتهم الى قيام المحشر فقال مهطعين أي مسرعين الداع الآية وقال تعالى يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له الى قوله وعنت الوجوه للحي القيوم وقال تعالى يوم يخرجون من الاجساد سرعاً الآية وقوله مقنعي رؤسهم قال ابن عباس ومجاهد وغيروا حدراً في رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم أي ابصارهم طائفة شاخصة مدميون النظر لا يطفون لحظة لكثرة ما هم فيه من الهول والفكرة والخافة لما يتصل بهم عباد الله العظيم من ذلك ولهذا قال وأفتدتهم هواء أي وفلوجهم خالية ليس فيها شيء لكثرة الوجع والخوف ولهذا قال قتادة وجماعة ان امكنة أفتدتهم خالية لان القلوب لدى الخناجر قد خرجت من أمانتها من شدة الخوف وقال بعضهم هي خراب لا تبقى شيئاً لشدة ما أخبر به تعالى عنهم ثم قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم (وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلوا ربنا أخرجنا الى أجل قريب نجب دعوتك وتبغ الرسل أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال وسكنتم في مساكن الذين ظلوا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا بالكم الامثال وقدمكم وامكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منهم الجبال) يقول تعالى مخبراً عن قيل الذين ظلوا أنفسهم عند معاناة العذاب ربنا أخرجنا الى أجل قريب نجب دعوتك

وتتبع الرسل كقوله حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون الآية وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا يتين وقال تعالى مخبرا عنهم في حال محشرهم ولوليتي اذا مجرمون ناكسور وسهم الآية وقال ولوليتي اذا وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا الآية وقال تعالى وهم يصطرون فيها الآية قال تعالى راداعا عليهم في قولهم هذا ولم تكونوا قسمتم من قبل مالكم من زوال أى اولم تكونوا تتخلفون من قبل هذه الحالة انه لا زال لكم عما أنتم فيه وانه لا معاد ولا جزاء فذوقوا هذا بذلك قال مجاهد وغيره مالكم من زوال أى مالكم (٣٠٨) من انتقال من الدنيا الى الآخرة كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم

أعلم بما كانوا عاملين ثم سأله بعد ما استحكم الاسلام فنزلت ولا تزوروا زرة الآية فقال لهم على النظرة أو قال في الجنة قال السيوطي وسنده ضعيف وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم سئل فقيل له يا رسول الله اننا نصيب في البيات من ذراري المشركين قال هم منهم وفي ذلك أحاديث كثيرة وببحث طويل وقد ذكر ابن كثير في تفسير هذه الآية غالب الاحاديث الواردة في أفعال المشركين ثم نقل كلام أهل العلم في المسئلة فليرجع اليه (وما كما عديين) أحدا (حتى تبعث رسولا) لم يذكر سبحانه اختصاص المهتدي بهدايته والصال بضلالته وعدم مؤاخذه الانسان بجناية غيره ذكرانه لا يعذب عباده الا بعد الاعذار الالهية برسالة وانزال كتبه فيبين سبحانه انه لم يتركهم سدى ولا اخذهم قبل اقامة الحجية عليهم والظاهر انه لا يعذبهم لافي الدنيا ولا في الآخرة الا بعد الاعذار الالهية برسالة الرسول وبه قالت طائفة من أهل العلم وذهب الجمهور الى ان المنى هنا عوذب الدنيا لا عذاب الآخرة وفيه دليل على ان ما وجب انما وجب بالسبع لا بالعقل (واذا اردنا ان نعلم قربة) اختلف المفسرون في معنى (امرنا متر فيها) على قولين الاول ان المراد به الذي هو نقيض النهي وعلى هذا اختلفوا في المأمور به فالأكثر على انه الطاعة والخير وقال في الكشف معناه أمرناهم بالفسق (ففسقوا فيها) وأطال الكلام في تقرير هذا وتبعه المقتدون به في التفسير وما ذكره هو ومن تابعه معارض بمنى قول القائل أمرته ففعلنى فان كل من يعرف اللغة العربية يفهم من هذا ان المأمور به شئ غير المعصية لان المعصية مناقضة للامر مناقضة له فكذلك أمرته ففسق يدل على ان المراد به شئ غير النسيق لان النسيق عبارة عن الايمان بضد المأمور به فيكونه فسقا ينافي كونه مأمورا به ويناقضه والقول الثاني ان معنى أمرنا متر فيها أكثر ناسا قها قال الواحدى تقول العرب أمر القوم اذا كثروا وأمرهم الله اذا كثروا وقد قرئ أمرنا بتشديد الميم أى جعلناهم أمراء مسلمين وقرئ أمرنا بالمد والتخفيف أى أكثرنا جبارتها وأمراءها قاله الكسائي وقال أبو عبيدة أمرته بالمد وأمرته لغتان بمعنى كثرت ومنه الحديث خير المال مهرة مأمورة أى كثيرة الساج والنسل وكذا قال ابن عزيز وقرئ أمرنا بالقصر وكسر الميم على معنى فعلنا ورويت هذه القراءة عن ابن عباس قال قتادة الحسن المعنى أكثرنا وحكى نحوه أبو زيد وأبو عبيد وأبو بكره البكسائي قال لا يقال من الكثرة

لا يبعث الله من يموت الآية وسكنتهم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال أى قدرنا يتم وبلغكم ما أحلنا بالامم المكذبة قبلكم ومع هذا لا يمكن لكم فيهم معتبر ولم يكن فيما أوقفنا بهم لكم من دجر حكمة بالغة فانغن النذر وقد روى شعبة عن أبي اسحق عن عبد الرحمن بن رباب ان عليا رضى الله عنه قال في هذه الآية وان كاد مكرهم لتزول منه الجبال قال اخذ ذلك الذي حاج ابراهيم في ربه نسرين صغيرين فرباهما حتى استغظا واستغظلا وشبا قال فأوثق رجل كل واحد منهم ما يوتد الى تابوت وجوعهما ما وقع هو ورجل آخر في التابوت قال ورفع في التابوت عصا على رأسه اللحم فطارا رجلا يقول لصاحبه انظر ماترى قال أرى كذا وكذا حتى قال ارى الدنيا كلها كأنهم اذباب قال فصوب العصا فصوبها فهبط قال فهو قوله عز وجل وان كاد مكرهم لتزول منه الجبال قال ابو اسحق وكذلك هي في قراءة عبد الله وان كاد مكرهم قلت وكذا روى عن ابى

ابن كعب وعمر بن الخطاب رضى الله عنهم انهم ما قرأوا ان كاد كما قرأ على وكذا رواه سفيان الثوري واسرائيل عن ابى اسحق عن عبد الرحمن بن رباب عن علي فدكر نحوه وكذا روى عن عكرمة ان سياق القصة لتمر وذمك كنعان انه رام اسباب السماء بهذه الحيلة والمكر كرام ذلك بعده فرعون ملك القبط في بناء الصرح فججزوا وضعفوا وهم أقل وأحقروا وصغروا وادجروا وكر مجاهد هذه القصة عن بختنصر وانه لما انقطع نظره عن الارض وأهله انودى أمها بالطاغية أين تريد ففرق ثم سمع الصوت فوقه فصوب الرماح فصوبت النسور ففرزت الجبال من هدمها وكادت الجبال ان تزول من حس ذلك فذلك قوله وان كان مكرهم لتزول

منه الجبال ونقل ابن جرير عن مجاهد انه قرأها تنزل منه الجبال بفتح اللام الاولى وضم الثانية وروى العوفي عن ابن عباس في قوله وان كان مكروهم لتزول منه الجبال يقول ما كان مكروهم لتزول منه الجبال وكذا قال الحسن البصرى ووجهه ابن جرير ان هذا الذى فعلوه بأنفسهم من شركهم بالله وكفرهم ما ضر ذلك شيئا من الجبال ولا غيرها وانما عادوا بال ذلك عليهم قلت ويشبه هذا قول الله تعالى ولا تش في الارض مراحا انك لن تحرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا والقول الثانى في تفسيرها ما رواه علي بن ابي طلحة عن ابن عباس وان كان مكروهم لتزول منه الجبال يقول شركهم كقوله تكاد (٣٠٩) السموات يتفطرن منه الاية وهكذا قال الصحاح

وقتادة (فلا تحسبن الله يخلف وعده
رسله ان الله عزيز ذو انتقام يوم تبدل
الارض غير الارض والسموات
وبرزوا لله الواحد القهار)
يقول تعالى مقرر الوعد ومؤكد
فلا تحسبن الله يخلف وعده رسله
أى من نصرتم في الحياة الدنيا ويوم
يقوم الايام ثم أخبر تعالى انه
ذو عزة لا يمتنع عليه شئ أراد ولا
يغالب وذو انتقام ممن كفر به ويحده
فويل يومئذ للمكذبين ولهذا قال يوم
تبدل الارض غير الارض والسموات
أى وعده هذا حاصل يوم تبدل
الارض غير الارض وهى هذه على
غير الصفة المألوفة المعروفة كما جاء في
الصحاحين من حديث ابي حازم عن
سهم بن سعد قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحشر الناس
يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء
كقرصة النقي ليس فيها معلم لاحد
وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن
أبي عدى عن داود عن الشعبي عن
مسروق عن عائشة انها قالت أنا
أول الناس سألت رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن هذه الآية يوم تبدل
الارض غير الارض والسموات قالت

الا امرنا بالمد قال في الصحاح وقال أبو الحسن امرناه بالكسر أى كثروا أمر القوم أى
كثروا وقرأ الجمهور أمرنا من الامر ومعناه ما قدمنا في القول الاول وقد قيل فى تأويل
أمرنا بانه مجاز عن الامر الحامل لهم على الفسق وهو ادرار النعم عليهم وقيل المراد قرب
اهلاك قرية وهو عدول عن الظاهر بدون ملجئ اليه والمراد بالمترفين المنعمون الذين قد
أبظروهم النعمة وسعة العيش والمفسرون يقولون فى تفسير المترفين انهم الجبارون
المتسلطون والمولوك الجائرون قالوا وانما خصوا بالذكر لان من عداهم أتباع لهم وفى
القاموس الترفع بالضم النعمة والطعام الطيب والشئ الطريف يخص به صاحبك وترف
كفرح تتم وأترفته النعمة أطعمته أو نعمته كترفته تتريفا والمترف المكرم المتروك
يفعل ما يشاء ولا يمنع والمنعم لا يمنع من نعمته وترتفع تتم (حق عاين القول) أى ثبت
وتحقق ووجب عليهم العذاب والعقاب بعد ظهور فسقهم وتعددهم فى كفرهم (فدمرناها
تدميرا) عظيما لا يوقف على كنهه لشدة وعظيم موقعه وأهلكاها اهلاكا استئصال
والدمار الهلاك والخراب ثم ذكر سبحانه ان هذه عادته الجارية مع القرون الخالية فقال
(وكم أهلكنا من القرون) أى كثيرا ما أهلكنا منهم فكلم مفعول أهلكنا أى من قوم كفروا
(من بعد نوح) كعادته ونحو غيره من الامم الخالية قبلهم البوار ونزل بهم سوط
العذاب وفيه تخويف لكفار مكة وانما قال ذلك لانه أول من كذبه قومه ومن ثم لم يقل
من بعد آدم ومن الثانية لابتداء الغاية والاولى للبيان فلذلك التحمد متعلقهما وقال
الخوفى الثانية بدل من الاولى وليس كذلك لاختلاف معنيهما ثم خاطب رسوله صلى الله
عليه وآله وسلم بما هو ردد للناس كافة فقال (وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا)
قال الفراء انما يجوز ادخال الباء فى المرفوع اذا كان يمدح به صاحبه أو يذم كقولك كفاك
به أو كرم به رجلا وطاب بطعامك طعاما ولا يقال قام باخيت وأنت تريد قام أخوك والمراد
بكونه سبحانه خبيرا انه محيط بحقائق الاشياء ظاهر أو باطنا عالم بجميع المعلومات راء
لجميع المراتب لا تخفى عليه خافية من أحوال الخلق وفى الآية بشارة عظيمة لاهل
الطاعة وتخويف شديد لاهل المعصية لان العلم التام والخبرة الكاملة والبصيرة النافذة
يقتضى ايصال الجزاء الى مستحقه بحسب استحقاقه ولا ينافيه من يد التفضل على من
هو أهل لذلك (من كان يريد العاجلة) هذاتأ كيدما سلف من جعله كل انسان ألزما

قلت أين الناس يومئذ يا رسول الله قال على الصراط رواه مسلم منفردا به دون البخارى والترمذى وابن ماجه من حديث داود بن
أبي هندبه وقال الترمذى حسن صحيح ورواه أحمد أيضا عن عفان عن وهيب عنها ولم يذكر مسروقا وقال قتادة عن حسان بن بلال
المنزى عن عائشة رضى الله عنها انها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات قال
قالت يا رسول الله فأين الناس يومئذ قال لقد سألتنى عن شئ ما سألتنى عنه أحد من أمتى ذلك أن الناس على جسرهم وروى الامام
أحمد من حديث حبيب بن أبى عزة عن مجاهد عن ابن عباس حدثتني عائشة انها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله

تعالى والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه فأين الناس يومئذ يارسل الله قال هم على متن جهنم وقال ابن جرير حدثنا الحسن حدثنا علي بن الجعد أخبرنا القاسم سمعت الحسن قال قالت عائشة يارسل الله يوم تبدل الارض غير الارض فأين الناس يومئذ قال ان هذا شيء مما سألتني عنه أحد قال علي الصراط باعائشة ورواه أحمد عن عفان عن القاسم بن الفضل عن الحسن به وقال الامام مسلم بن الحجاج في صحيحه حدثني الحسن بن علي الخولاني حدثني أبو ثوبة الربيعة بن نافع حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن عيسى أخاه انه سمع أباسلام (٣١٠) حدثني أبو أسماء الرجبى أن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم

طأره ووجهه من اهتدى والمراد بالعاجلة المنفعة العاجلة أو الدار العاجلة والمعنى من كان يريد أعمال البر أو باعمال الآخرة ذلك فيدخل تحته الكفرة والفسقة والمرأون والمنافقون (عجلناه) أى لذلك المرید (فيها) أى فى تلك العاجلة قيد المعجل والمجمل له بقيدين الاول قوله (مانشاء) تجمله له منها لا مابشأوه ذلك المرید ولهذا ترى كثير من هؤلاء المریدين للعاجلة يريدون من الدنيا ما لا يباليون ويتمنون ما لا يصلون اليه والقيد الثانى قوله (من يزيد) التجميل له منهم ما اقتضته مشيئة تناو قيل الآية فى المنافقين كانوا يراون المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الامسا همتهم فى الغنائم ونحوها وهذه الآية تقيد الآيات المطلقة كقوله سبحانه من كان يريد حرث الدنيا فأنه منها وقوله من كان يريد الآخرة زينها فأنه فيها وهم فيها لا يبغون وقيل قرئ ما يشاء بالتحسية والضمير على هذا الله سبحانه وفيه بعد تخالفته لما قبله وهو جعلنا وما بعده وهو لمن يزيد وقيل الضمير ارجع الى من فى قوله من كان يريد فيكون ذلك مقيدا بقوله لمن يزيد أى عجلناه ما يشاء ولكن بحسب ارادتنا فلا يحصل لمن أراد العاجلة ما يشاء الا اذا أراد الله له ذلك ثم بعد هذا كله فى وراء هذه الطلبة الفارغة التى لا تأثير لها الا بالقيدين المذكورين عذاب الآخرة الدائم ولهذا قال (ثم جعلنا جهنم) أى بسبب تركها أمر به من العمل للآخرة واخلاصه عن الشوائب جعلنا له عذاب جهنم على اختلاف أنواعه (بصلاها) أى يدخل جهنم (مذموما) ملامن انطلق (مدحورا) أى مطرودا من رحمة الله مبعدا عنها وفى المختار دحره يدحره من باب خضع طرده فهذه عقوبته فى الآخرة مع انه لا ينال من الدنيا الا ما قدره الله سبحانه فأين حال هذا الشقى من حال المؤمن النقي فإنه ينال من الدنيا ما قدره الله له وأراد به بلا هلع منه ولا جزع مع سكون نفسه واطمئنان قلبه وثقته بربه وهو مع ذلك عامل للآخرة مستطر للجزاء من الله سبحانه وهو الجنة ولهذا قال (ومن أراد) باعماله الدار (الآخرة وسعى لها) أى من أجلها وقائدة اللام اعتبار النسبة والاختصاص لانها الاختصاص (سعيها) أى السعى الحقيق بها اللاتى بطالها وهو الايمان بما أمر به وترك ما نهى عنه خالصا لله غير مشوب وكان الايمان به على القانون الشرعى من دون ابتداع ولا هوى لا التقرب بما يحترعون بأرائهم (وهو مؤمن) بالله ايمانا صحيحا لان العمل الصالح لا يستحق صاحبه الجزاء عليه الا اذا كان من المؤمنين انما

حدثه قال كنت قائما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء خبر من أحبار اليهود فقال السلام عليك يا محمد فدفعته دفعه كاد يصرع منها فقال لم تدفعنى فقلت ألا تقول يارسل الله فقال اليهودى انما ندعوه باسمه الذى سماه به أهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اسمى محمد الذى سمى به أهلى فقال اليهودى جئت أسألك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أينفعك شيئا ان حدثتك قال أسمع يا ذنى فنكت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعود معه فقال سل فقال اليهودى أين يكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم فى الظلمة دون الجسر قال فى أول الناس اجازة فقال فقراء المهاجرين فقال اليهودى فاستخفتمهم حين يدخلون الجنة قال زيادة كبد النون قال فاعذأؤهم فى أثرها قال ينحرو لهم ثورا الجنة الذى كان يأكل من أطرافها قال فاشرا بهم عليه قال من عين فيها تسمى سليمان قال صدقت قال وجئت أسألك عن شئ

لا يعلمه احد من أهل الارض الا نبى أو رجل أو رجلان قال أينفعك ان حدثتك قال أسمع يا ذنى قال جئت يتقبل اسألك عن الولد قال ماء الرجل أبيض وما المرأة صفرا فاذ اجتمعافعلا منى الرجل منى المرأة اذ كرا باذن الله تعالى واذا علمنى المرأة منى الرجل أنسابا ذن الله قال اليهودى صدقت وانك لنبى ثم لقد انصرف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد سألتنى هذا عن الذى سألتنى عنه ومالى علم بشئ منه حتى أتانى الله به حدثنا أبو جعفر بن جرير الطبرى حدثنا ابن عوف حدثنا أبو المغيرة حدثنا ابن أبى هريرة حدثنا سعيد بن ثوبان الكلاعى عن ابى أيوب الانصارى ان خبرا من اليهود سأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال رأيت اذ

يقول الله تعالى في كتابه يوم تبدل الارض غير الارض والسموات ابن الخلق عند ذلك فقال اُضيف الله فلن يعجزهم ماله ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي بكر بن عبد الله بن أبي هريرة وقال شعبة أخـ برنا أبو اسحق سمعت عمرو بن ميمون وروى قال قال عبد الله وروى ما يقل فقلت له عن عبد الله فقال سمعت عمرو بن ميمون يقول يوم تبدل الارض غير الارض قال أرض كالنضة البيضاء نقيصة لم يسبق فيها دم ولم يعمل عليها خطيئة ينفذهم البصرو يسمعونهم الداعي حفاة عمرة كما خلقوا قال أراه قال قيس ما حتى يلجمهم العرق وروى من وجه آخر عن شعبة عن اسرائيل عن ابي اسحق (٣١١) عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود بنحوه وكذا رواه عاصم عن زر عن ابن مسعود

به وقال سفيان الثوري عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون لم يخبر به أورد ذلك كـ ابن جرير وقد قال الحافظ أبو بكر البرزاني حدثنا محمد بن عبد الله بن عبيد بن عجيل حدثنا سلم بن جـداً أبو غيث حدثنا جرير بن أيوب عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل يوم تبدل الارض غير الارض قال أرض بيضاء لم يسقط عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة ثم قال لا نعلم رفعه الا جرير بن أيوب وليس بالقوي ثم قال ابن جرير حدثنا أبو بكر بن عبيد بن عاصم عن هشام بن سنان عن جابر الجعفي عن أبي جهميرة عن زيد قال أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليهود فقال هل تدرون لم أرسلت اليهم قالوا الله ورسوله أعلم قال أرسلت اليهم أسألهم عن قول الله يوم تبدل الارض غير الارض انها تكون يومئذ بيضاء مثل الفضة فلما جاؤا أسألهم فقالوا تكون بيضاء مثل النقي وهكذا روى

يتقبل الله من المتقين والواو للعالم (فأولئك) أي المريدون للآخرة الساعون لها سعيها وفيه مرعاة معني من بعد مرعاة لفظها وهو مبتدأ وخبره (كان سعيهم مشكوراً) عند الله أي مقبولاً غير مردود وقيل مضافاً الى اضعاف كثيرة فقد اعتبر سبحانه في كون السعي مشكوراً أموراً ثلاثة الاول ارادة الآخرة الثاني ان يسعي لها السعي الذي يحق لها والثالث أن يكون مؤمناً وفي الخطيب قال بعض السلف الصالح من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلاهذه الآية ثم بين سبحانه كمال رأفته وشمول رحمته فقال (كلاً) أي كل واحد من الفريقين من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة (تعد) أي تزيد من عطاءنا على تلاحق من غير انقطاع (هولاً وهولاً) بدل من المفعول وهو كلاً فكأنه قيل تعد هولاً وهولاً الاول للاول والثاني للثاني فهو لوف ونشر مرتب اي نرزق الكفار والمؤمنين وأهل المعصية وأهل الطاعة لا تؤثر معه نسبة العاصي في قطع رزقه وما به الامداد هو ما يحمله لمن يريد الدنيا وما أنعم به في الاولى والاخرى على من يريد الآخرة وفي قوله (من عطاء ربك) اشارة الى ان ذلك بمحض التفضل وهو متعلق بتمد (وما كان عطاء ربك محظوراً) أي ممنوعاً عن أحد قاله الضحاك يقال حظره يحظره حظراً منعه وكل ما حال بينك وبين شيء فقد حظره عليك والمراد بالعطاء العطاء في الدنيا كالرزق والجاه اذ لا حظ للكافر في الآخرة قال الزجاج علم الله سبحانه انه يعطي المسلم والكافر وانه يرزقهم جميعاً وقال الحسن كل برقه الله في الدنيا البر والفاجر وقال ابن عباس يرزق الله من أراد الدنيا ويرزق من أراد الآخرة (انظر) يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويحتمل أن يكون الخطاب لكل من له أهلية النظر والاعتبار وهذه الجملة مقررة لما مر من الامداد وموضحة والمعنى انظر (كيف فضلنا) في العطايا العاجلة (بعضهم) أي بعض العباد (على بعض) فمن غني وفقير وقوي وضعيف وصحيح ومرضى وعاقل وأحمق وذلك لحكمة بالغة تقصر العقول عن ادراكها (وللاخرة) اللام لام ابتداء وقسم (أكبر درجات) وأكبر تفضيلاً) من الدنيا وذلك لان نسبة التفاضل في درجات الآخرة الى التفاضل في درجات الدنيا كنسبة الآخرة الى الدنيا وليس للدنيا بالنسبة الى الآخرة مقدار فلها كانت الآخرة أكبر درجاتاً وأكبر تفضيلاً وقيل المراد ان المؤمنين يدخلون الجنة والكافرين يدخلون النار فتظهر فضيلة المؤمنين على الكافرين وحاصل المعنى ان

عن علي وابن عباس وأنس بن مالك ومجاهد بن جبر انها تبدل يوم القيامة بأرض من فضة وعن علي رضي الله عنه انه قال تصير الارض فضة والسموات ذهباً وقال الربيع عن أبي العباس عن أبي بن كعب قال تصير السموات جنانا وقال أبو معشر عن محمد بن كعب القرظي عن محمد بن قيس في الآية في قوله يوم تبدل الارض غير الارض قال خبيرة يا كل منها المؤمنون من تحت أقدامهم وكذا روى وكيع عن عمر بن بشر الهمداني عن سعيد بن جبيرة في قوله يوم تبدل الارض غير الارض قال تبدل الارض خبيرة بيضاء كل المؤمن من تحت قدميه وقال الاعمش عن خثيم قال قال عبد الله بن مسعود الارض يوم القيامة كلها نار والجنة من

وزاها تری کوا عباها و کوا بها و یلجم الناس العرق و یبلغ منهم العرق ولم یبلغوا الحساب و قال الاعمش أيضا عن المنهال بن عمرو عن قیس بن السکن قال قال عبد الله الارض کلها نار یوم القيامة و الجنة من ورائها تری کوا بها و کوا عباها و الذي نفس عبد الله یدیه ان الرجل لیفیض عرقا حتی ترشح فی الارض قدمه ثم یرتفع حتی یبلغ أنفه و ما مسه الحساب قالوا من ذلك یا ابا عبد الرحمن قال بما یری الناس ویلقون و قال ابو جعفر الرازی عن الربیع بن أنس عن کعب فی قوله یوم تبدل الارض غیر الارض و السموات قال تصیر السموات جنانا و یدیر مکان البحر ناراً (۳۱۲) و تبدل الارض غیرها الحدیث الذي رواه ابو داود لا یرکب البحر الا غاراً و حاج او معترفان تحت البحر ناراً و

التفاضل فی الآخرة و درجاتها فوق التفاضل فی الدنیا و مراتب أهلها فیها من بسط و قبض و نحوهما و ثبت فی الصحیحین ان أهل الدرجات العلی لیرون أهل علیین کما ترون الکوکب الغابر فی أفق السماء ثملاً أجل سبحانه أعمال البر فی قوله و سعی لها سعیها و هو مؤمن أخذ فی تفصیل ذلك مبتدئاً باشرافها الذي هو التوحید فقال (لا تجعل) الخطاب للنبي صلی الله علیه و آله و سلم و المراد به أمته تهیجها و الهاباً و لكل مكلف متأهل له صالح لتوجهه الیه و قيل التقدير قل لكل مكلف لا تجعل (مع الله الها آخر فتعبد) التصب علی جواب النهی أی لا یکن منک جعل فتعبد و معنى تعبد تصیر من قولهم شکر الشفرة حتى قعدت کأنها حر به و الیه ذهب القراء و الزخشری و لیس المراد حقيقة القعود المقابل للقیام و قيل هو کتابة عن عدم القدرة علی تحصیل الخیرات فان سعی فیها انما یتأتی بالقیام و الجزع عنه یلزمه ان یرکب قاعد عن الطلب و قيل ان من شأن المذموم الخذلان ان یقعد نادماً مفکراً علی ما فرط منه فالقعود علی هذا حقيقة (مذموم ما خذولاً) و نصبها علی خبریة تعبد و علی الخال أی من غیر جد و بغیر ناصر فتصیر جامعاً بین الامرین الذم لك من الله و من ملائکته و من صالحی عبادته و الخذلان لك منه سبحانه أحوال کونك جامعاً بینهما و حاصل ما ذکری فی هذه الآیات من أنواع التكالیف خمسة و عشر و نواع بعضها اصلی و بعضها فرعی و قد ابتداء بالاصلی فی قوله لا تجعل ثم ذکری عقیبه سائر الأعمال التي یكون من عملها سعیاً فی الآخرة فقال (وقضى ربك) أی أمر امر اجزما و حکماً قطعاً و حقاً مبرماً و عن ابن عباس انه قرأ و وصی ربك مکان وقضى و قال الترقى الواو و الصاد و انتم تقرؤنها و قضی و لو نزلت علی القضاء ما أشرك به أحد و به قرأ الضحاک أيضاً أقول انما یلزم هذا لو كان القضاء بمعنى الفراغ من الامر و هو وان كان أحدم معانی مطلق القضاء كما فی قوله قضی الامر الذي فیہ تستفتیان و قوله فاذا قضیت مناسککم و قوله فاذا قضیت الصلاة و لکنه ههنا بمعنى الامر و هو أحدم معانی القضاء و الامر لا یرتفع عن ذلك فانه سبحانه قد بدأ امر عبادته بجمیع ما أوجبه و من جملة ذلك افراده بالعبادة و توحیده و ذلك لا یرتفع عن ان لا یقع الشرك من المشرکین و من معانی مطلق القضاء معان آخر غیر هذین المعنیین کالقضاء بمعنى الخلق و منه فقضاءهن سبع سموات و بمعنى الإرادة کقوله اذا قضی أمرها و بمعنى العهد کقوله اذا قضینا الی موسى الامر و قد روی عنه أيضاً انه قال قضی أمر و قيل

تحت النار یحرق و فی حدیث الصور المشهور المروری عن أبی هريرة عن النبي صلی الله علیه و سلم انه قال یدل الله الارض غیر الارض و السموات فی بسطها و یدها ممتد الایم العکاظی لا تری فیها عوجاً و لا أمتاً ثم یرجر الله الخلق زجرة فاذا هم فی هذه المبدلة و قوله و یرزوا لله أی خرجت الخلائق جمیعها من قبورهم لله الواحد القهار أی الذي یهیر کل شیء و غلبه و دانت له الرقاب و خضعت له الابواب (وترى المجرمین یومئذ مقرنین فی الاصفاد سرابیلهم من ظفران و تعشی و جوههم النار ای جزى الله کل نفس ما کسبت ان الله سر یع الحساب) یقول تعالی یوم تبدل الارض غیر الارض و السموات و یرزوا لئلا یخافوا النار یا محمد یومئذ المجرمین و هم الذين أجزوا بکفرهم و فسادهم مقرنین أی بعضهم الی بعض قد جمع بین النظراء أو الاشکال منهم کل صنف الی صنف کما قال تعالی احشروا الذين ظلموا و آزر واجهم و قال و اذا النفوس رزجت و قال و اذا ألقوا

منها مکاناً ضیقاً مقرنین دعوا هنالك ثبورا و قال و الشیاطین کل بناء و غواص و آخرین مقرنین فی الاصفاد و الاصفاد هی القيود قاله ابن عباس و سعید بن جبیر و الاعمش و عبد الرحمن بن زید و هو مشهور فی اللغة قال عمرو بن کلثوم

فأبو بالثیاب و بالسما یا * و أبنا بالملوک مصفینا

و قوله سرابیلهم من ظفران أی ثیابهم التي یلبسونها من ظفران و هو الذي تهتأ به الابل أی تطلی قال قتادة و هو الصق شیء بالنار و یقال فیہ ظفران بفتح القاف و کسر الطاء و تسکینها و بکسر القاف و تسکین الطاء و منه قول أبی النجم

كان قطراناً اذا تلاحها * ترمي به الريح الى مجراها

وكان ابن عباس يقول القطران هو النحاس المذاب وربما قرأها سراً يلهم من قطران أي من نحاس حار قد انتهى حره وكذا روى عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة والحسن وقتادة وقوله وتغشى وجوههم النار كقوله ترفع وجوههم النار وهم فيها كالخون وقال الامام أحمد رحمه الله حدثنا يحيى بن اسحق أنبأنا أبو أنان بن زيد عن يحيى بن أبي كثير عن زيد عن أبي سلام عن أبي مالك الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع في أمي (٣١٣) من أمر الجاهلية لا يتركوهن الفخر بالحساب والطعن في الأئساب والاستسقاء

بالنجوم والنياحة على الميت والنائحة اذالم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب انفرد باخراجه مسلم وفي حديث القاسم عن أبي امامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رفعه النائحة اذالم تتب توقف في طريق بين الجنة والنار وسرا ييلها من قطران وتغشى وجهها النار وقوله ليجزي الله كل نفس ما كسبت أي يوم القيامة ليجزي الذين أسأوا بما عملوا الآية ان الله سريع الحساب يحتمل ان يكون كقوله تعالى اقرب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ويحتمل انه في حال محاسبته لعبده سريع النجاز لانه يعلم كل شيء ولا يخفى عليه خافية وان جميع الخلق بالنسبة الى قدرته كالواحد منهم كقوله تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وهذا معنى قول مجاهد سريع الحساب احصاء ويحتمل ان يكون المعنيان مرادين والله أعلم (هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أعمالهم)

أوجب ربك وعن مجاهد قال عهد ربك قال الرازي هذا القول أي قول ابن عباس بعبد جد الاله يفتح باب التحريف والتغيير قد تطرق الى القرآن ولو جوزنا ذلك لارتفع الامان على القرآن وذلك يخبره عن كونه حجة ولا شك انه طعن عظيم في الدين (أن لا) أي بان (لا تعبدوا الاياه) قاله السيوطي وقال في الجمل قوله هذا غير سديد حيث أثبت النون بين الهمزة ولا النافية بقلم الجرزة فيقتضي انها من رسم القرآن مع انه ليس كذلك وقد نص في شرح الجزرية ان ما عدا المواضع العشرة يكتب موصولاً أي لا تثبت فيه النون وقيل ان مفسرة ولا تعبدوا نهى وفيه وجوب عبادة الله والمنع من عبادة غيره وهذا هو الحق ثم أرففه بالامر برب الوالدين فقال (وبالوالدين) أي وقضى بان تحسنوا بهم ما أووا احسنوا بهم ما (احساناً) وتبروهما قبل وجه ذكر الاحسان الى الوالدين بعد عبادة الله سبحانه اهما السبب الظاهر في وجود المتولد بينهما وفي جعل الاحسان الى الابوين قرينة لتوحيد الله وعبادته من الاعلان بما كدحتهما والعناية بشأنهما ما لا يخفى وهكذا جعل سبحانه في آية أخرى شكرهما مقترناً بشكره فقال ان اشكر لى ولو الدين ثم خص سبحانه حالة الكبر بالذكر لكونها الى البرمن الولد أوج من غيرها فقال (اماً يلعن) ان شرطية وما زائدة والفعل مبني على النسخ لاتصاله بنون التأكيد الثقيلة (عندك الكبر أحدهما أو كلاهما) معنى عندك ان يكونا في كنفك وكفالتك وتوحيد الضمير في عندك ولا تقل وما بهما لاشعار بان كل فرد من الافراد منهي بما فيه النهى ومأمور بما فيه الامر (فلا تقل لهما أف) جواب الشرط قيل والتقييد بهذا الشرط خرج مخرج الغالب من ان الولد انما يتهاون بالديه عند الكبر والافلا يتخص بالكبير والمعنى لا تقل لواحد منهما في حالتي الاجتماع والانفراد وليس المراد حالة الاجتماع فقط عن الحسين بن علي مرفوعاً لعلم الله شياً من العقوق أدنى من أف لحزمه وقال مجاهد لا تقل لهما أف لما تيط عنهما من الاذى الخلاء والبول كما كانا يقولانه فيما كانا ييطان عندك من الخلاء والبول وفي أف أربعون لغة قاله السهين ثم قال وقد قرئ من هذه اللغات بسبع ثلاث في المتواتر وأربع في الشواذ وقال الفراء تقول العرب فلان يتأفف من ريح وجهه أي يقول أف أف وقال الاصمعي الاف وسخ الاذن والنف وسخ الاظفار يقال ذلك عند اسستقذار الشيء ثم كثر حتى استعملوه في كل ما يتأذون به وعن ابن الاعرابي ان الاف الضجر وقال الفتيبي

(٤٠ فتح البيان خامس)

هو اله واحد وليد كرا ولوا الالباب) يقول تعالى هذا القرآن بلاغ للناس كقوله لانذركم به ومن بلغ أي هو البلاغ لجميع الخلق من انس وجن كما قال في أولها الم كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور الآية ولينذروا به أي لتعظوا به وليعلموا انما هو اله واحد أي يستمدوا بما فيه من الحجج والدلائل على انه لا اله الا هو وليد كرا

أولو الالباب أي ذور العقول آخر تفسير سورة ابراهيم عليه الصلاة والسلام والحمد لله رب العالمين

(تفسير سورة الحجر وهي مكية)*

* (بسم الله الرحمن الرحيم) * (الرتك آيات الكتاب وقرآن ميين ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون) قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أوائل السور وقوله تعالى ربما يود الذين كفروا الآية اخبار عنهم انهم سيندمون على ما كانوا فيه من الكفر ويتمنون لو كانوا في الدنيا مسلمين ونقل السدي في تفسيره بسنده المشهور عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من الصحابة ان كفار بدر لما عرضوا على النازتموا لو كانوا مسلمين وقيل المراد ان كل كافر يود عند احتضاره ان لو كان مؤمنا وقيل هذا الخبر (٣١٤) عن يوم القيامة كقوله تعالى ولوترى اذ وقفوا على النار قالوا يا ليتنا

نرد لو انكذبنا يا آيات ربنا ونكون من المؤمنين وقال سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل عن أبي الزاهرية عن عبد الله في قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال هذا في الجهنمين اذ ارأوهم يخرجون من النار وقال ابن جرير حدثني المثنى حدثنا مسلم حدثنا القاسم حدثنا ابن أبي فروة العبدي ان ابن عباس وأنس بن مالك كانا يتاولان هذه الآية ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين يتأولانها يوم يحبس الله أهل الخطايا من المسلمين مع المشركين في النار قال فيقول لهم المشركون ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون في الدنيا قال فيغضب الله لهم بفضل رحمته فيخرجهم فذلك حين يقول ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقال عبد الرزاق أخبرنا الثوري عن حماد بن ابراهيم وعن خصيف عن مجاهد قال لا يقول أهل النار للموحدين ما أغنى عنكم ايمانكم فاذا قالوا ذلك قال الله أخرجوا من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان قال فعند ذلك قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وهكذا روى عن

أصله انه اذا سقط عليه تراب وشحوه فنفخ فيه ليزيله فالصوت الحاصل عند ذلك النفخة هو قول القائل أف ثم توسعوا فذكروه عند كل مكروه يصل اليهم وقال الزجاج معناه التثنية وقال أبو عمرو بن العلاء الأف وشح بين الأظفار والثف قلامتها والحاصل انه اسم فعل يني عن التضجر والاستثقال أو صوت يني عن ذلك فنهى الولد عن ان يظهر منه ما يدل على التضجر من أبويه أو الاستثقال لهما وقيل أف مصدر بمعنى تباوقحا وخسر انا والأول أرجح وبهذا النهى يفهم النهى عن سائر ما يؤذيها بفعول الخطاب أو بلحنه كما هو مقرر في الاصول (ولا تنهرهما) اي لا تضجرهما عما يات بهما من الأيبيجك والنهي والنهر والنهم أخوات بمعنى الزجر والغلظة يقال نهره وانهره اذا استقبله كلام يزجره قال الزجاج معناه لا تكلمهما ما يضجر اصاحبا في وجوههما (وقل لهما) بدل التأنيف والنهر (قولا كريما) أي لينا لطيفا جميلا سهلا أحسن ما يمكن التعبير عنه من لطف القول وكرامته مع حسن التأديب والحياء والاحتشام قال محمد بن زبير يعني اذا دعوا لك فقل لبيك وسعديك وقيل هو ان يقول يا أمه يا أباه ولا يدعوها بأسمائها ولا يكتفيها (واخفض لهما جناح الذل) قال سعيد بن جبيرة اخضع لوالديك كما يخضع العبد لسيد الفظ الغليظ ذكر القفال في معنى خفض الجناح وجهين الأول ان الطائر اذا أراد ضم فراخه اليه للتربية خفض لها جناحه فهذا صار خفض الجناح كناية عن حسن التدبير فكأنه قال للولدا كفل لوالديك بان تضهما الى نفسك لكيبرهما وافتقارهما اليوم اليك كما فعل ذلك بك في حال صغرك وكنت مفتقر اليهما والثاني ان الطائر اذا أراد الطيران والارتفاع نشر جناحه واذا أراد النزول خفض جناحه فصار خفض الجناح كناية بليغة عن التواضع وترك الارتفاع وفي اضافة الجناح الى الذل وجهان الأول انها كاضافة حاتم الى الجود في قولك حاتم الجود فالاصل فيه الجناح الذليل والثاني سلوك سبيل الاستعارة كانه تمثيل للذل جناحا ثم أثبت لذلك الجناح خفضا والذل من ذل يذل ذلا وذلة ومذلة فهو ذليل وقرئ بكسر الذا من قولهم دابة ذلول بينة الذل أي منقادة سهلة لا صعوبة فيها وقوله (من الرحمة) فيه معنى التعليل أي من أجل فرط الشفقة والعطف عليهما الكبيرهما وافتقارهما اليوم لمن كان أفقر خلق الله اليهما بالامس قال السمين وفي من ثلاثة أو وجه أحدها انها التعليل والثاني انها ابتداءية قال ابن عطية أي ان هذا الخفض يكون ناشئا

الضحك وقناة وأبي العالية وغيرهم وقد ورد في ذلك أحاديث مر فوعة فقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن العباس هو الآخر حدثنا محمد بن منصور الطوسي حدثنا صالح بن اسحق الجهدي وابن علي يحيى بن موسى حدثنا معروف ابن واصل عن يعقوب بن نباتة عن عبد الرحمن الاغر عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ناسا من أهل لاله الا الله يدخلون النار بذنوبهم فيقول لهم أهل اللات والعزى ما أغنى عنكم قولكم لاله الا الله وأنتم معنا في النار فيغضب الله لهم فيخرجهم فيلقمهم في نهر الحياة فيبرؤون من حرهم كما يبرأ القمر من كسوفه ويدخلون الجنة ويسمون فيها

الجهنميون فقال رجل يا انس أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
 من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ثم انما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا ثم قال انظراني تفرديه الجهنمي
 * الحديث الثاني قال الطبراني أيضا حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا أبو الشعثاء على بن حسن الواسطي حدثنا خالد بن نافع
 الأشعري عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن أنس بن موسى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمع أهل النار
 في النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة قال الكفار للمسلمين (٢١٥) ألم تكونوا مسلمين قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم الاسلام
 فقد صرتم معنا في النار قالوا كانت

لنا ذنوب فأخذنا بها فسمع الله ما قالوا
 فأمر بمن كان في النار من أهل القبلة
 فأخرجوا فلما رأى ذلك من بقي
 من الكفار قالوا يا ليتنا كنا مسلمين
 فنخرج كما خرجوا قال ثم قرأ رسول
 الله صلى الله عليه وسلم أعوذ بالله
 من الشيطان الرجيم الرقبات
 الكتاب وقرآن مبين ربما يؤد الذين
 كفروا لو كانوا مسلمين ورواه ابن أبي
 حاتم من حديث خالد بن نافع به وزاد
 فيه بسم الله الرحمن الرحيم عوض
 الاستعاذة * الحديث الثالث قال
 الطبراني أيضا حدثنا موسى بن
 هرون حدثنا اسحق بن راهويه قال
 قلت لابي أسامة أحدثكم أبوروق
 واسمه عطية بن الحرث حدثني
 صالح بن أبي شريف قال سألت أبا
 سعيد الخدري فقلت له هل سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
 في هذه الآية ربما يؤد الذين كفروا
 لو كانوا مسلمين قال نعم سمعته يقول
 يخرج الله ناسا من المؤمنين من
 النار بعدما يأخذنقمة منهم وقال
 لما أدخلهم الله النار مع المشركين
 قال لهم المشركون تزعمون انكم
 أولياء الله في الدنيا فما بالكم معنا

من الرحمة المستكنة في النفس الثالث انما نصب على الحال من جناح ثم كانه قال له
 سبحانه ولا تكف برحمتك التي لا دوام لها (و) لكن (قل رب ارحمهما) أى وادع الله
 لهما ولو خمس مرات في اليوم والليلة ان يرجعهما برحمة الباقية الدائمة وأراد به اذا كانا
 مسلمين (كما ريبانى صغيرا) أى رحمة مثل تربيتهم الى قدره الحوفي أو مثل
 رحمتهم الى قدره بالبقاء وقيل ليس المراد رحمة مثل الرحمة بل الكفاي لاقتنائهم ما في
 الوجود أى فلتقع هذه كما وقعت تلك والتربية التيمية ويجوز ان تكون الكفاي للتعليل أى
 لاجل تربيتهم ما الى كقولهم واذا كروه كما هداكم ولقد بالغ سبحانه في التوصية بالوالدين
 مبالغة تقشعر لها جلود أهل العقوق وتقف عندها شعورهم حيث افتتحها بالامر
 بتوحيده وعبادته ثم شفعه بالاحسان اليهم ما ثم ضيق الامر في مراتبهم ما حتى لم يرخص
 في أدنى كلمة تنقلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومع أحوال لا يكاد يصبر الانسان
 معها وان يذل ويخضع لهما ثم ختمها بالامر بالدعاء لهما والترحم عليهما وهذه خمسة أشياء
 كلف الانسان بها في حق الوالدين وقد ورد في بر الوالدين أحاديث كثيرة ثابتة في الصحيحين
 وغيرهما وهي معروفة في كتب الحديث (ربكم أعلم بما في نفوسكم) أى بما في ضمائركم
 من الاخلاص وعدمه في كل الطاعات ومن التوبة من الذنب الذي فرط منه كم
 أو الاصرار عليه ويندرج تحت هذا العموم ما في النفس من البر والعقوق اندراجا أوليا
 وقيل ان الآية خاصة بما يجب للوالدين من البر ويحرم على الاولاد من العقوق والاول
 أولى اعتبارا بعموم اللفظ فلا تخصصه دلالة السياق ولا تقيده (ان تكونوا صالحين)
 أى ابرار مطيعين قاصدين الصلاح والبر والتوبة من الذنب والاخلاص للطاعة (فانه
 كان للوايين) أى الرجاعين عن الذنوب الى التوبة ومن السيئات الى الحسنات ومن
 العقوق الى البر ومن عدم الاخلاص الى محض الاخلاص (عفوراً) لما فرط منه منكم من
 قول أو فعل أو اعتقاد فلا يضركم ما وقع من الذنب الذي تبتم عنه فمن تاب تاب الله عليه
 ومن رجع الى الله رجع الله اليه وقال سعيد بن جبير يعنى المبادرة من الولد الى الوالد أى
 ان تكن النية صادقة فانه كان عفورا المبادرة التي بدت منه كالغفلة والزلة تكون من
 الرجل الى أبويه أو احدهما وهو لا يضر عقوقا ولا يريد بذلك بأسا قال سعيد بن المسيب
 هو العبد يتوب ثم يذنب ثم يتوب ثم يذنب وقيل الاواب الذي اذا ذكر خطاياها استغفر منها

في النار فاذا سمع الله ذلك منهم أذن في الشفاعة لهم فيشفع لهم الملائكة والنبيون ويشفع المؤمنون حتى يخرجوا باذن الله فاذا رأى
 المشركون ذلك قالوا يا ليتنا كنا مسلمين فقدرنا الشفاعة فنخرج معهم قال فذلك قول الله ربما يؤد الذين كفروا لو كانوا مسلمين فيسمون
 في الجنة الجهنميين من أجل سواد في وجوههم فيقولون يا رب اذهب عنا هذا الاسم فيأمرهم فيغتسلون فينهر في الجنة فيذهب
 ذلك الاسم عنهم فأقر به أبو أسامة وقال نعم * الحديث الرابع قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا العباس بن الوليد البرسي
 حدثنا مسكين أبو فاطمة حدثني الهيثم بن زيد عن محمد بن جبير عن محمد بن علي عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم منهم من تأخذه النار الى ركيته ومنهم من تأخذه الى عجزته ومنهم من تأخذه النار الى عنقه على قدر ذنوبهم وأعمالهم
ومنهم من يكف فيها شهرا ثم يخرج منها أو أطولهم فيها مكثا بقدر الدنيا منذ يوم خلقت الى ان تفتى فاذا أراد الله ان يخرجهم
منها قالت اليهود والنصارى ومن في النار من أهل الايمان والاوثان لمن في النار من أهل التوحيد آمنتم بالله وكتبه ورسله تখন
وأنتم اليوم في النار سواء في غضب الله لهم غضبالم بغضبه لشيء فيما مضى فيخرجهم الى عين في الجنة وهو قوله رب بما يؤذون الذين كفروا
لو كانوا مسلمين وقوله ذرهم يا كلوا وتمتعوا (٣١٦) تهديد شديد لهم ووعيدا كيد كقوله تعالى قل تمتعوا فان مصيركم الى النار

وقال عبد بن عمر هم الذين يذرون ذنوبهم في الخلاء ثم يستغفرون الله وهذه الاقوال
مقاربة قال ابن عباس الاواين المطيعين المحسنين التوابين وقيل المسبحين وقيل المصلين
قال عون العقيلي هم الذين يصلون صلاة الضحى وقيل من يصلي بين المغرب والعشاء والاول
أولى ثم ذكر سبحانه التوصية بغير الوالدين من الاقارب بعد التوصية بما فقال (وَأْتِ
ذَلِكَ قُرْبَىٰ حَقَّهُ) الخطاب اما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تهيمجا والهابا لغيره من
الامة اول كل من هو صالح لذلك من المكافين كما في قوله وقضى ربك والامر للوجوب عند
أبي حنيفة فعنده يجب على الموسر مواساة آقاربه اذا كانوا محارم كالآخ والاخت وعند
غيره للذنب فلا يجب عند غيره الانتفة الاصول والنروع دون غيرهم من الاقارب أقول
المراد بنوى القربى أو لوالقراية وحققهم هو صلة الرحم التي أمر الله بها والمودة والزيارة
وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء وكر الوصية فيها والخلاف بين أهل العلم
في وجوب النفقة للقراية أو لبعضهم كالوالدين على الاولاد والاولاد على الوالدين معروف
والذي ينبغي الاعتماد عليه وجوب صلتهم بما تبلغ اليه القدرة وحسبما تقتضيه الحال
قال ابن عباس أمره باحق الحقوق وعلمه كيف يصنع اذا كان عنده وكيف يصنع اذا لم يكن
عنده (و) آت (المسكين وابن السبيل) حقهما من الزكاة وهذا دليل على ان المراد
بما يؤتى ذوى القربى من الحق هو تعهدهم بالمال وعن سفيان في الآية قال هو ان يصل
ذالقراية ويطعم المسكين ويحسن الى ابن السبيل وعن السدي قال القربى قربى بنى
عبدالمطلب وقراية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأقول ليس في السياق ما يفيد هذا
التخصيص ولادل عليه دليل ومعنى النظم القرآنى واضح ان كان الخطاب مع كل من يصلح له
من الامة لان معناه أمر كل مكلف متمكن من صلة قرايته بان يعطيهم حقه وهو الصلة
التي أمر الله بها وان كان الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فان كان على وجه
التعريض لأمته فالامر فيه كالاول وان كان خطابا له من دون تعريض فأمته اسوته
فالامر له صلى الله عليه وآله وسلم بايتاء ذى القربى حقه أمر لكل فرد من افراد أمته
والظاهر ان هذا الخطاب ليس خاصا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم بل دليل ما قبل الآية وهى
قوله وقضى ربك وما بعد ها وهى قوله (ولا تبذر تبذيرا) هو تفريق المال كما يفرق البذر
كيفما كان من غير تعمد لواقعه وهو الاسراف المذموم لمجازته للعد المستحسن شرعا في

وقوله كلوا وتمتعوا قليلا انكم
مجرمون ولهذا قال ويلهم الامل
أى عن التوبة والابانة فسوف
يعلمون أى عاقبة أمرهم (وما
أهلككم من قربة الا ولها كتاب
معلوم ما تسبق من امة أجلها
وما يستأخرون) يخبر تعالى انه
ما أهلك قربة الا بعد قيام الحجة عليها
وانتهاء أجلها وان لا يؤخر أمة حان
هلاكهم عن ميقاتهم ولا
بتقدمون عن مدتهم وهذا تنبيه
لاهل مكة وارشادهم الى الافلاح
عما هم عليه من الشرك والعناد
والاحاد الذى يستحقون به الهلاك
(وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر
انك لمجنون لولا ما نأتينا باللائكة
ان كنت من الصادقين ما نزل
الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا
منظرين انما نحن نزلنا الذكر واناله
لحافظون) يخبر تعالى عن كفرهم
وعتوهم وعنادهم في قولهم يا أيها
الذى نزل عليه الذكر أى الذى
تدعى ذلك انك لمجنون أى فى دعائك
ايانا الى اتباعك وترك ما وجدنا
عليه آياتنا لوما أى هلا نأتينا
بالملائكة اى يشهدون لك بصحة

الانفاق

ما جئت به كما قال فرعون لولا آتى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين وقال الذين

لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى بنا نقدا سعة كبروا فى أنفسهم وعتوا وكبروا فى انفسهم يوم يرون الملائكة لا بشرى
يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا وكذا قال فى الآية ما نزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين وقال مجاهد
فى قوله ما نزل الملائكة الا بالحق بالرسالة والعذاب ثم قرر تعالى انه هو الذى أنزل عليه الذكر وهو القرآن وهو الحافظ له
من التغيير والتبديل ومنهم من أعاد الضمير فى قوله تعالى له لحافظون على النبي صلى الله عليه وسلم كقوله والله يعصمك من

الناس والمعنى الأول وهو ظاهر السياق (ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون
كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين) يقول تعالى مسلياً رسوله صلى الله عليه وسلم في تكذيب من
كذبه من كفار قريش أنه أرسل من قبله من الأمم الماضية وأنه ما أتى أمة رسول إلا كذبوه واستهزؤا به ثم أخبر أنه سلك التكذيب
في قلوب المجرمين الذين عاندوا واستكبروا عن اتباع الهدى قال أنس والحسن البصري كذلك نسلكه في قلوب المجرمين يعني
الشرك وقوله وقد خلت سنة الأولين أي قد علم ما فعل تعالى عن كذب (٣١٧) رسوله من الهلاك والدمار وكيف أنجى الله الأنبياء

وأتباعهم في الدنيا والآخرة (ولو
فحقنا عليهم باباً من السماء فظنوا
فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت
أبصارنا بل نحن قوم مسحورون)
يخبر تعالى عن قوة كفرهم
وعنادهم ومكابرتهم للعقائه لو فتح
لهم باباً من السماء فجعلوا يصعدون
فيه لمصدقوا بذلك بل قالوا إنما
سكرت أبصارنا قال مجاهد وابن
كثير والنخلك سدت أبصارنا وقال
قتادة عن ابن عباس أخذت أبصارنا
وقال العوفي عن ابن عباس شبه
علينا وإنما سكرنا وقال الكلبي
عميت أبصارنا وقال ابن زيد سكرت
أبصارنا السكران الذي لا يعقل
(ولقد جعلنا في السماء بروجا
وزيناها للناظرين وحفظناها من
كل شيطان رجيم الأمن استرق
السمع فأتبعه شهاب مبين والارض
مددناها وألقينا فيها راسي وأبنا
فيها من كل شيء مموزون وجعلنا
لكم فيها معابش ومن لستم له
برازقين) يذكر تعالى خلقه
السماء في ارتفاعها ومازيناها
من الكواكب الثوابت
والسيارات لمن تأمل وكرر النظر

الانفاق أو هو الانفاق في غير الحق وان كان يسير أقال الشافعي التبذير انفاق المال في غير
حقه ولا تبذير في عمل الخير قال القرطبي وهذا قول الجمهور قال أنسب عن مالك التبذير هو
أخذ المال من حقه ووضع في غير حقه وهو الاسراف وهو حرام لقوله (ان التبذيرين
كانوا اخوان الشياطين) فان هذه الجملة تعليل للنهي عن التبذير والمراد بالاخوة المماثلة
التامة وتجنب مماثلة الشيطان ولو في خصاله واحدة من خصاله واجب فكيف فيما هو
أعم من ذلك كما يدل عليه اطلاق المماثلة والاسراف في الانفاق من عمل الشيطان فاذا
فعل آدم حتى آدم فقد أطاع الشيطان واقتدى به وهذا غاية المسذمة لانه لا شر من
الشياطين والعرب تقول لكل من هو ملازم سنة قوم هو أخوهم قال ابن مسعود التبذير
انفاق المال في غير حقه وعنه كأصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم تحدث ان التبذير
النفقة في غير حقه وعن ابن عباس قال هم الذين تنفقون المال في غير حقه وعن علي قال
ما أنفقت على نفسك وأهل بيتك في غير سرف ولا تبذير وما أنفقت فلك وما أنفقت رياء
وسمعة فذلك حظ الشيطان وقيل هو انفاق المال في العمارة على وجه السرف وقيل
لو أنفق الانسان ماله كله في الحق لم يكن مبدراً ولو أنفق درهمه أو مدافى باطل كان مبدراً
قيل ان بعضهم انفق نفقة في خيراً كتر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف
في الخير ولا مانع من حمل الآية على الجبوع والعموم أولى (وكان الشيطان لربه) أي لنعم
ربه (كفوراً) أي كثير الكفران بحجود النعمة عظيم التردد عن الحق لانه مع كفره
لا يعمل الا شراً ولا يأمر الا ببعمل الشر ولا يوسوس الا بما لا خير فيه وفي هذه الآية
تسجيل على المبدزين بمماثلة الشياطين ثم التسجيل على جنس الشيطان بانه ككفور
فاقتضى ذلك ان المبدز مماثل للشيطان وكل مماثل للشيطان له حكم الشيطان وكل شيطان
كفوراً لمبدز كذلك قال الكرخي وكذلك من رزقه الله جاهاً أو مالا فصرفه الى غير مرضاة
الله كان كفوراً بالنعمة الله لانه موافق للشيطان في الصفة والفعل (واما تعرض عنهم)
أي ان أعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل لاهم اضطررك الى ذلك الاعراض
ابتغاء رجة) أي لفقدر رزق (من ربك) ولكنه أقام المسبب الذي هو ابتغاء رجة
الله مقام السبب الذي هو فقد الرزق لان فاقد الرزق مبتغله (ترجوها) أي ترجو أن
يفتح الله به عليك (فقل لهم قولاً ميسوراً) أي قولاً سهلاً علينا كالوعد الجميل أو الاعتذار

فيما يرى من العجائب والآيات الباهرات ما يحار نظره فيه ولهذا قال مجاهد وقتادة البروج ههنا هي الكواكب قلت وهذا
كقوله تبارك وتعالى تبارك الذي جعل في السماء بروجا الآية ومنهم من قال البروج هي منازل الشمس والقمر وقال عطية العوفي
البروج ههنا هي قصور فيها الحرس وجعل الشهاب حرسها من مردة الشياطين لئلا يسرعون الى الملا الأعلى فن تقدم منهم
لاستراق السمع جاءه شهاب فابلقه فر بما يكون قد أتى الكلمة التي سمعها قبل أن يدركه الشهاب الى الذي هو دونه فبأخذها الآخر
ويأتي بها الى وليه كما جاء مصرحاً به في الصحيح كما قال البخاري في تفسير هذه الآية حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن

عرو عن عكرمة عن أبي هريرة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كلسنة على صفوان قال على وقال غيره صفوان بفتحهم ذلك فاذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترقوا السمع ومسترقوا السمع هكذا واحد فوق آخر ووصف صفوان بيده وفرج بين أصابع يده اليمنى نصها بعضها فوق بعض فرمادرك الشهاب المستمع قبل ان يرمى بها الى صاحبه فيحرقه وربما لم يدركه حتى يرمى بها الى الذي يليه الى الذي هو أسفل منه حتى يلقوها (٣١٨) الى الارض وربما قال سفيان حتى تنتهي الى الارض فتلقى على فم

المقبول قيل هو ان يقول رزقنا الله واياكم من فضله قال الكسائي بسرت له القول أي لئنه قال الفراء معنى الآية أن تعرض عن السائل اضافة واعسار افعدهم عدة حسنة ويجوز أن يكون المعنى وان تعرض عنهم ولم تنفعهم لعدم اسطاعتك فقل لهم قولاً ميسوراً وليس المراد هنا الاعراض بالوجه وفي هذه الآية تأديب من الله سبحانه لعباده اذا سألهم سائل ما ليس عندهم كيف يقولون ويمار دون ولقد أحسن من قال

ان لا يكن ورق يوماً أجود بها * للسائلين فاني لئن العود

لا يعدم السائلون الخير من خلقي * امانوال واما حسن مردود

ولما ذكر الله سبحانه أدب المنع بعد النهي عن التبذير بين أدب الانفاق فقال (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط) هذا النهي يتناول كل مكلف سواء كان الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم تعريضا لامته وتعليلهم أو الخطاب لكل من يصلح له من المكلفين والمراد النهي للانسان بان يمسك امساكا يصير به مضيقا على نفسه وعلى اهله ولا يوسع في الانفاق توسيعا لا حاجة اليه بحيث يكون به مسرفا فهو نهي عن جاني الافراط والتفریط ويتحصل من ذلك مشروعية التوسط وهو العدل الذي ندب الله اليه ولانك فيها مفرطاً ومفرطاً * كلا طرفي قصد الامور زميم

وقدم مثل الله سبحانه في هذه الآية حال الشح بحال من كانت يده مغلولة الى عنقه مضمومة اليه مجموعة معه في الغل بحيث لا يستطيع التصرف بها ومثل حال من يجاوز الحد في التصرف بحال من يبسط يده بسطاً لا يتعاق بسببه فيها بما يقبض الايدي عليه ولا يبقى شيئاً في كفه وفي هذا التصوير مبالغة عظيمة بليغة ثم بين سبحانه غاية الطرفين المنهي عنهم فقال (فتعبد) تصير (ملوما) مذموما عند الناس بسبب ما انت عليه من الشح أو عند الله سبحانه لان الشح غير مرضي لديه أو عند نفسك وأصحابك أو يلوئك سائلوك اذا لم تعطهم (محسورا) بسبب ما فعلته من الاسراف أي منقطعاً عن المقاصد بسبب الفقر والمحسور في الاصل المنقطع عن السير من حسره السفر اذا بلغ منه أي أثر فيه والبغير الحسره هو الذي ذهب قوته فلا تبعث به ومنه قوله تعالى ينقلب اليك البصر خاسماً وهو حسيراً أي كليل منقطع وقيل معناه نادماً على ما سلف فجعله هذا القائل من الحسرة التي هي الذمامة وفيه نظر لان الفاعل من الحسرة حسران ولا يقال محسور الا للملوم وفي المختار

الاسباب و صنوف المعاش وبما سخر لهم من الدواب التي يركبونها والانعام التي ياكلونها والعبيد والاماء الحسرة التي يستخدمونها ورزقهم على خالقهم لا عليهم فلهم هم المنفعة والرزق على الله تعالى (وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين وانالحن نجوى ونغيت ونحن الوارثون ولقد علمنا ان المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم) يخبر تعالى انه مالك كل شيء وان كل شيء سهل عليه يسير لديه وان عنده خزائن الاشياء من جميع الصنوف وما ننزله الا بقدر معلوم أي كما يشاء وكما يريد والله في ذلك من

الساخر أو السكاخن فيكذب معها مائة كذبه فصدق فيقولون ألم يخبرنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا فوجدناه حقاً للكلمة التي سمعت من السماء ثم ذكر تعالى خلقه الارض ومدته اياها وتوسيعها وبسطها وما جعل فيها من الجبال والرواسي والادوية والاراضي والرمال وما أنبت فيها من الزروع والثمار المناسبة وقال ابن عباس من كل شيء ثموزون أي معلوم وكذا قال سعيد بن جبيرة وعكرمة وأبو مالك ومجاهد والحكم بن عيينة والحسن بن محمد وأبو صالح وقتادة ومنهم من يقول مقدر بقدر وقال ابن زيد من كل شيء يوزن ويقدر بقدر وقال ابن زيد ما يزنه أهل الاسواق وقوله وجعلنا لكم فيها معايش يذكر تعالى انه صرفهم في الارض في صنوف الاصناف والمعاش وهي جمع معيشة وقوله ومن استم له برازقين قال مجاهد هي الدواب والانعام وقال ابن جرير هم العبيد والاماء والدواب والانعام والقصدان تعالى يتن عليهم بما يسر لهم من اسباب المكاسب ووجوه

الحكمة البالغة والرحمة لعباده لا على وجه الوجوب بل هو كتب على نفسه الرحمة قال يزيد بن أبي زياد عن أبي حنيفة عن عبد الله
ما من عام بمطر من عام ولكن الله يقسمه حيث شاء عما ههنا ثم قرأ وان من شيء الا عندنا خزائنه الا نرهواه ابن جرير وقال
ايضا حدثنا القاسم حدثنا هشيم اخبرنا اسمعيل بن سالم عن الحكم بن عيينة في قوله وما تنزله الا بقدر معلوم قال ما عام بأكثر مطرا
من عام ولا أقل ولكنه مطر قوم ويحرم آخرون بما كان في البحر قال وبلغنا أنه ينزل مع المطر الملائكة أكثر من عدد ولد ابليس وولد
آدم يحصون كل قطرة حيث تقع وماتت وقال البزار حدثنا داود هو ابن (٣١٩) بكبر حدثنا حيان بن أغلب بن تميم حدثني أبي

عن هشام عن محمد بن سيرين عن
أبي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم
خزائن الله الكلام فاذا أراد شيئا
قال له ~~كن~~ فكان ثم قال
لا يرويه الا أغلب وليس بالقوى
وقد حدث عنه غير واحد من
المقدمين ولم يروه عنه الا ابنه
وقوله تعالى وأرسلنا الرياح لواقح
أى تلقح السحاب فتدري ما وتلقح
الشجر فتفتح عن أوراقها وأكمامها
وذكرها بصيغة الجمع ليكون
منها الاتحاج بخلاف الريح العقيم
فانه أفردها ووصفها بالعقيم وهو
عدم الاتحاج لانه لا يكون الا بين
شيئين فصاعدا وقال الاعمش
عن المنهال بن عمرو عن قيس بن
السكن عن عبد الله بن مسعود في
قوله وأرسلنا الرياح لواقح قال
ترسل الريح فتحمل الماء من
السماء ترمز السحاب حتى تدر
كما تدر اللقحة وكذا قال ابن
عباس وابراهيم النخعي وقتادة
وقال الضحاك يبعثها الله على
السحاب فتلقحها فيتملى ماء وقال
عبيد بن عمير الليثي يبعث الله

الحسرة شدة الالتهف على الشيء الفاتت تقول حسرت على الشيء من باب طرب وحسره
ايضا فهو حسير وحسره غيره تحسيرا وعن مسيار أبي الحكم قال أتى رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم بزمن العراق وكان معطاء كرميا فقسمه بين الناس فبلغ ذلك قوما من العرب
فقالوا انا أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فوجدوه قد فرغ منه فانزل الله ولا تجعل يدك
الآية آخر جه سعيد بن منصور وابن المنذر أقول ولا أدري كيف هذا فالآية مكية ولم يكن
اذن ذلك عرب يقصدون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يحمل اليه شيء من العراق
ولا ما هو أقرب منه على ان فتح العراق لم يكن الا بعد موته صلى الله عليه وآله وسلم ثم سلى
رسوله والمؤمنين بان الذي ربه قهم من الاضاقه ليس لهواهم على الله سبحانه ولكن لمشيئة
الخالق الرازق فقال (ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أى يوسععه على بعض
ويضيقه على بعض لحكمة بالغة لا يكون من وسع له رزقه مكرما عنه ومن ضيقه عليه
هينا لديه ويقدر ويقرر مترادفان قيل ويجوز ان يراد ان البسط والقبض انما هما من أمر
الله الذي لا تنفى خزائنه فاما عباده فعلمهم ان يقتصدوا وعن الحسن في الآية قال يتظلمه
فان كان الغنى خيرا له أعناه وان كان الفقر خيرا له أفقره ثم علل ما ذكره من البسط
للبعض والتضييق على البعض بقوله (انه كان بعباده خيرا بصيرا) أى يعلم ما يسرون
وما يعلنون لا تخفى عليه خافية من ذلك فهو الخبير باحوالهم البصير بكيفية تدبيرهم في
ارزاقهم وفي هذه الآية دليل على انه المنكفل بارزاق عباده فلذلك قال بعدها (ولا
تقتلوا اولادكم) خطاب للموسرين بدليل قوله (خشية املاق) أى فاقه وفقير يقع بكلم
يقال أملق الرجل اذا لم يتقله الا الملقات وهى الحجارة العظام الملس يقال أملق اذا افتقر
وسلب الدهر ما بيده منها هم الله سبحانه عن ان يقتلوا اولادهم خشية الفقر وقد كانوا
يقولون ذلك وقد تقدم في سورة الانعام منى المعسرين بقوله ولا تقتلوا اولادكم من املاق
وفي الكرى حاصله ان قتل الاولاد ان كان خوف الفقر فهو من سوء الظن بالله وان كان
لاجل الغيرة على البنات فهو سعى في تخريب العالم قاتل ضد التعظيم لامر الله والثاني
ضد الشفقة على خلق الله وكلاهما مذموم ثم بين ان خوفهم من الفقر حتى يبلغوا بسبب
ذلك الى قتل الاولاد لوجه له فان الله سبحانه هو الرزاق لعباده يرزق الابناء كما يرزق الآباء
فقال (نحن نرزقهم واياكم) ولست لهم برازقين حتى تصعبوا بهم هذا الصنع ثم علل

المنشرة فتقم الارض كما تبعث الله المثيرة فتثير السحاب ثم يبعث الله المولقة فتؤانف السحاب ثم يبعث الله اللواقح فتلقح الشجر
ثم تلا وأرسلنا الرياح لواقح وقد روى ابن جرير من حديث عبيد بن عمير عن أبي المهزم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال الريح الجنوب من الجنة وهى التى ذكر الله فى كتابه وفيها منافع للناس وهذا اسناد ضعيف وقال الامام أبو بكر عبد الله
ابن الزبير الحميدى فى مسنده حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار أخبرني يزيد بن جعدية الليثي انه سمع عبد الرحمن بن مخراق يحدث
عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق فى الجنة ريحا بعد الريح سبع سنين وان من دونها بابا مغلقا

وانما ياتيتكم الریح من ذلك الباب ولو فتح لا ذرت ما بين السماء والارض من شئ وهي عند الله الاذيب وهي فيكم الجنوب وقوله فاسقين كما هو أي أنزلناه لكم عندنا يمكنكم ان تشر بوامنه ولو نشاء جعلناه اجابا كما تبسه على ذلك في الآية الاخرى في سورة الواقعة وهي قوله تعالى أفرايتم الماء الذي تشربون أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه اجابا فلو لا نشكركون وفي قوله وهو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسميون وقوله وما أنتم له بخازنين قال سفيان النوري بمانعين ويحتمل ان المراد وما أنتم له بخافئين بل (٣٢٠) نحن ننزله فحفظه عليكم ونجعله معيناً ونايغ في الارض ولو نشاء تعالى

لأغاره وذهب به ولكن من رحمة أنزله وجعله عندنا وحفظه في العيون والآبار والأنهار وغير ذلك ليقب لهم في طول السنة يشربون ويسقون أنعامهم وزروعهم وغارهم وقوله وأنا نحن نحي ونميت اخبار عن قدرته تعالى على بدء الخلق واعادته وأنه هو الذي أحيا الخلق من العدم ثم يميتهم ثم يعيهم كلهم ليوم الجمع وأخبرناه تعالى يرث الارض ومن عليها واليه يرجعون ثم أخبر تعالى عن تمام علمه بهم أولهم وآخرهم فقال ولقد علمنا المستقدمين منكم الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما المستقدمون كل من هلك من نسل آدم عليه السلام والمستأخرون من هوحي ومن سبأ إلى يوم القيامة وروى نحوه عن عكرمة ومجاهد والبخاري وقتادة ومحمد بن كعب والشعبي وغيرهم وهو اختيار ابن جرير رحمه الله وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا المعتبر بن سليمان عن أبيه عن رجل عن مروان بن الحكم أنه قال كان أناس يستأخرون في

الصوف من أجل النساء فانزل الله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين وقد ورد فيه حديث (ال) غريب جداً قال ابن جرير حدثني محمد بن موسى الجرشى حدثنا نوح بن قيس حدثنا عمرو بن قيس حدثنا عمرو بن مالك عن ابى الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت نضلى خلف النبي صلى الله عليه وسلم امرأة قال ابن عباس لا والله ما رأيت مثلها قط وكان بعض المسلمين اذا صلوا استقدموا يعني لثلايرها وبعض يستأخرون فاذا سجدوا نظر واليهما من تحت أيديهم فانزل الله ولقد علمنا المستقدمين منكم الآية وهذا فيه نكارة شديدة وكذا رواه أحمد وابن أبي حاتم في تفسيره ورواه الترمذي والنسائي في كتاب

التفسير من سننها وابن ماجه من طرق عن نوح بن قيس الحداني وقد وثقه أحمد وأبو داود وغيرهما وحكى عن ابن معين تضعفه
وأخرجه مسلم وأهل السنن وهذا الحديث فيه نكارة شديدة وقد رواه عبد الرزاق عن جعفر بن سليمان عن عمرو بن مالك وهو السكري
انه سمع أبا الجوزاء يقول في قوله ولقد علمنا المستقدمين منكم في الصفوف في الصلاة والمستأخرين والظاهر أنه من كلام أبي
الجوزاء فقط ليس فيه لابن عباس ذكر وقد قال الترمذي هذا أشبه من رواية نوح بن قيس والله أعلم وهكذا روى ابن جرير عن
محمد بن أبي معشر عن أبيه انه سمع عون بن عبد الله يذكر محمد بن كعب في (٢٢١) قوله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا

المستأخرين انها في صفوف
الصلاة فقال محمد بن كعب ليس
هكذا ولقد علمنا المستقدمين منكم
الميت والمقتول والمستأخرين من
يخلق بعدوان بك هو يحشرهم
انه حكيم عليم فقال عون بن عبد
الله وفقه الله وجزاك خيرا (ولقد
خلقنا لانسان من صلصال من
جماسسنة والجنان خلقناه من
قبل من نار السموم) قال ابن
عباس ومجاهد وقتادة المراد
بالصلصال ههنا السراب اليابس
والظاهر أنه كقوله تعالى خلق
الانسان من صلصال كالفخار وخلق
الجنان من مارح من نار وعن مجاهد
أيضا الصلصال المنين وتفسير الآية
بالآية أولى وقوله من جماسسنة
أي الصلصال من جما وهو الطين
والمسنون الامس كما قال الشاعر
ثم خاصرتها الى القبة الخ

مرء تمشي في مرمر مسنون
أي أملس صقيل ولهذاري
عن ابن عباس انه قال هو التراب
الرطب وعن ابن عباس ومجاهد
أيضا الضحالك ان الجما المسنون
هو المنين وقيل المراد بالمسنون ههنا

(الابالحق) كلردة والزنا من المحصن وكالقصاص من القاتل عمدا وانا وما يلحق بذلك
والاستثناء مفرغ أي لا تقتلوا بسبب من الاسباب الاسباب متمسك بالحق أو الامتسكين
بالحق وقد تقدم الكلام في هذا في الانعام وعن الضحالك قال نزل هذا بحكمة ونبي الله صلى الله
عليه وآله وسلم بها وهو أول شيء نزل من القرآن في شأن القتل كان المشركون من أهل مكة
يعتاون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال الله من قتلكم من المشركين فلا
يحملنكم قتله اياكم على ان تقتلوا له أبا وأخا أو واحدا من عشيرته وان كانوا مشركين
فلا تقتلوا الاقاتلهم وهذا قبل ان تنزل براءة وقبل ان يؤمر بقتال المشركين فذلك قوله فلا
يسرف في القتل انه كان منصورا يقول لا تقتل غير قاتلك وهي اليوم على ذلك الموضع من
المسلمين لا يحل لهم ان يقتلوا الاقاتلهم ثم بين حكم بعض المقتولين بغير حق فقال (ومن قتل
مظلوما) أي لا بسبب من الاسباب المسوغة لقتله شرعا وهو أحد ثلاث كفر بعد ايمان وزنا
بعد احسان وقتل مؤمن معصوم عمدا كما في الحديث (فقد جعلنا لولييه) أي لمن يلي أمره
من ورثته ان كانوا موجودين أو لمن له سلطان ان لم يكونوا موجودين (سلطانا) أي تسلطا
على القاتل ان شاء قتل وان شاء عفا وان شاء أخذ الدية قال ابن عباس سلطانا بيضة من الله
أزلهما يظلمها ولي المقتول القود والعقل ثم لما بين ابا حنيفة القصاص لمن هو مستحق لدم
المقتول أو ما هو عوض عن القصاص نهاه عن مجاوزة الحد فقال (فلا يسرف) أي
لا يجاوز الولى ابا حنيفة الله له (في القتل) فيقتل بالواحد الاثنان أو جماعة أو يثقل بالقاتل
أو يعذبه وقرأ الجمهور بالتحسية وقرئ بالفوقية فهو خطاب للقاتل الأول ونهى له عن القتل
أي فلا تسرف أيها القاتل المتعدى بالقتل بغير الحق فان عليك القصاص مع ما عليك من
عقوبة الله ومخطئه ولعنته وقال ابن جرير الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وللأمة من
بعده أي لا تقتل يا محمد غير القاتل ولا تفعل ذلك الأثم بعدك وفي قراءة أبي لا تسرفوا قال
مجاهد معني لا يسرف لا يكثر ولا يقاتل الا قاتل رجه وعن زيد بن أسلم ان الناس في
الجاهلية كانوا اذا قتل الرجل من القوم رجلا لم يرضوا بقتل قاتله حتى يقتلوا به رجلا
شريفا واذا كان قتلهم شريفا لم يقتلوا قاتله وحده بل قتلوا معه غيره فوعظوا في ذلك
بقول الله سبحانه فلا يسرف في القتل ثم عمل النبي عن السرف فقال (انه) يعني ولي
المقتول (كان منصورا) أي مؤيدا معانا فان الله سبحانه قد نصره بإثبات القصاص له

(٤١ فتح البيان خامس) المصوب وقوله والجنان خلقناه من قبل أي من قبل الانسان من نار السموم قال ابن عباس هي
السموم التي تقتل وقال بعضهم السموم بالليل والنهار ومنهم من يقول السموم بالليل والحروب والنهار وقال أبو داود الطيالسي حدثنا
شعبة عن أبي اسحق قال دخلت على عمر الأصم أعوده فقال ألا أحدثك حديثا سمعته من عبد الله بن مسعود يقول هذه السموم جزء
من سبعين جزءا من السموم التي خلق منها الجنان ثم قرأ والجنان خلقناه من قبل من نار السموم وعن ابن عباس ان الجنان خلقوا من اهب
النار ورواية من أحسن النار وعن عمرو بن دينار من نار الشمس وقد ورد في الصحيح خلقت الملائكة من نور وخلق الجنان من مارح

من نار وخلق آدم مما وصف لكم والمقصود من الآية التنبية على شرف آدم عليه السلام وطيب عنصره وطهارته محتمده (واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشر من صلصال من جامسنون فاذا سوته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس ابي ان يكون مع الساجدين قال يا ابليس مالك ان لا تكون مع الساجدين قال لم اكن لا سجدا لبشر خلقته من صلصال من جامسنون) يذكر تعالى تنويهه بذكر آدم في ملائكته قبل خلقه وتشریفه اياه بأمر الملائكة بالسجود له وبذكري تخلف ابليس عدوه عن السجود له من بين سائر (٣٢٢) الملائكة حسدا وكفرا وعنادا واستكبارا وافتخارا بالباطل ولهذا قال لم اكن

أو الدينة بما أبرزه من الحجج وأوضحه من الأدلة وأمر أهل الولايات بعبودته والقيام بحقه حتى يستوفيه ويجوز أن يكون الضمير راجعا إلى المقتول ظاهرا أي أن الله نصره بولييه يعني منصورا في الدنيا بما يجاب القود على قاتله وفي الآخرة يتكفّر خطاياهم ويحجب النار لقاتله قيل وهذه الآية من أول ما نزل من القرآن في شأن القتل لأنهم مكيتة كما تقدم ولما ذكر سبحانه النهي عن اتلاف النفوس أتبعه بالنهي عن اتلاف الأموال وكان أهمها بالحفظ والرعاية مال اليتيم فقال (ولا تقربوا مال اليتيم) الخطاب لأولياء اليتيم والنهي عن قربانه مبالغته في النهي عن المباشرة واتلافه قال قتادة كانوا لا يخاطبونهم في مال ولا مالا كل ولا مر كب حتى نزلت وان تخاطبوا فآخو انكم ثم بين سبحانه ان النهي عن قربانه ليس المراد منه النهي عن مباشرته فيما يصلحه وفسده بل يجوز لولي اليتيم ان يفعل في مال اليتيم ما يصلحه وذلك يستلزم مباشرته فقال (الابائتي) أي الابائصله التي (هي أحسن) من جميع الخصال وهي حفظه وطلب الربح فيه والسعي فيما يزيد به والاتفاق عليه بالمعروف ثم ذكر غاية النهي عن قربان مال اليتيم فقال (حتى يبلغ) أي لا تقربوه حتى يبلغ اليتيم (أشدّه) فاذا بلغ أشده كان لكم ان تدفعوا إليه أو تصرفوا فيه باذنه لأن التصرف له حينئذ والاشد مفرد بمعنى القوة وقيل جمع لا واحد له من لفظه وقيل جمع شدة بكسر الشين وقيل جمع شد كذلك وقيل جمع بفتحها وعلى كل فالمراد به القوة وكال عقله ورشده بحيث يمكنه القيام بمصالح ماله والالم بنفق عنه الحجر وان كان الأشد في الاصل عبارة عن بلوغ ثلاث وثلاثين سنة وقيل هي ثمان عشرة سنة وقيل خمس عشرة سنة وقد تقدم الكلام على هذا مستوفي في الانعام (وأوفوا بالعهد) قد تقدم الكلام فيه في غير موضع قال الزجاج كل ما أمر الله به ونهى عنه فهو من العهد فيدخل في ذلك ما بين العبد وربيه وما بين العباد بعضهم لبعض والوفاء بالعهد هو القيام بحفظه على الوجه الشرعي والقانون المرضي الا اذا دل دليل خاص على جواز النقض (ان العهد كان مسؤلا) عنه فالمسؤل هنا هو صاحبه وقيل ان العهد يسئل تبكيثا لناقضه فيقال فيم نقض كالموودة تسئل فيم قتلت وان كان سؤال العهد تخميلا وتخييلا وسؤال الموودة تحميثا قال سعيد بن جبيرة ان الله يسأل ناقض العهد عن عهده وعن ابن جرير قال يسئل عهده من أعطاه اياه (وأوفوا الكيل) أي أتموه ولا تخسروه وخطاب للبايعين (اذا كنتم) أي وقت كيلكم للناس وأخذ

لا سجدا لبشر خلقته من صلصال من جامسنون كقوله انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وقوله أرايتك هذا الذي كرمت على الآية وقد روى ابن جرير ههنا أثرًا غريبًا عجيبًا من حديث شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس قال لما خلق الله الملائكة قال اني خالق بشر من طين فاذا سوته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين قالوا لا نفعل فارسل عليهم نارًا فاخرقتهم ثم خلق ملائكة فقال لهم مثل ذلك قالوا سمعنا وأطعنا الا ابليس كان من الكافرين الاولين وفي ثبوت هذا عنه بعدوا الظاهر انه اسرائيلي والله أعلم (قال فاخرج منها فاك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين قال رب فانظرنى الى يوم يعنون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) يذكر تعالى انه أمر ابليس أمرا كونيا لا يخالف ولا يعانع بالخروج من المنزلة التي كان فيها من الملا الأعلى وأنه رجيم أي مرجوم وأنه قد اتعته لعنة لا تزال متصلة به لاحقة له متواترة عليه الى يوم القيامة وعن سعيد بن جبيرة قال لما لعن الله ابليس تغيرت صورته عن صورة الملائكة ورن رنة فكل رنة في الدنيا الى يوم القيامة منها رواه ابن أبي حاتم وأنه لما تحقق الغضب الذي لا مرد له سأل من تمام حسده لا آدم وذريته النظرة الى يوم القيامة وهو يوم البعث وأنه اجيب الى ذلك استدرجاهه وامهالها فلما تحقق النظرة فبجه الله (قال رب بما أغويتني لا زين لهم في الارض ولا غوي بينهم أجمعين الا عبادة منهم المخلصين قال هذا صراط على مستقيم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من أعتك من القاوين وان جهنم لوعدهم أجمعين لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم) يقول تعالى مخبرا

من
له متواترة عليه الى يوم القيامة وعن سعيد بن جبيرة قال لما لعن الله ابليس تغيرت صورته عن صورة الملائكة ورن رنة فكل رنة في الدنيا الى يوم القيامة منها رواه ابن أبي حاتم وأنه لما تحقق الغضب الذي لا مرد له سأل من تمام حسده لا آدم وذريته النظرة الى يوم القيامة وهو يوم البعث وأنه اجيب الى ذلك استدرجاهه وامهالها فلما تحقق النظرة فبجه الله (قال رب بما أغويتني لا زين لهم في الارض ولا غوي بينهم أجمعين الا عبادة منهم المخلصين قال هذا صراط على مستقيم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من أعتك من القاوين وان جهنم لوعدهم أجمعين لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم) يقول تعالى مخبرا

عن ابلis وقرده وعتموه انه قال للرب بما اغويتني قال بعضهم اقسام باغوا الله له قلت ويحتمل انه بسبب ما اغويتني واؤذلتني لا زين
 لهم أي لذرية آدم عليه السلام في الارض أي أحب اليهم المعاصي وأرغبهم فيها وأوهم اليها وأزعمهم اليها عاجولاً غويهم أجعين
 أي كما اغويتني وقد ردت على ذلك الاعبادك منهم المخلصين كقوله رأيتك هذا الذي كرمت على لئن آخرتني الى يوم القيامة لا تحسبن
 ذريته الا قليلا قال الله تعالى له مهتدا ومتموعا هذا صراط على مستقيم أي مرجعكم كلكم الى فاجازيتكم باعمالكم ان خيرا خيرا وان
 شرا فشر كقوله تعالى ان ربك لبارئ عاقل طريق مرجعها الى الله تعالى (٣٢٣) واليه تنتهي قالة مجاهد والحسن وقناة كقوله

وعلى الله قصد السبيل وقرأ قيس
 ابن عبادة ومحمد بن سيرين وقناة
 وهذا صراط على مستقيم كقوله
 وانه في أم الكتاب لدينا العلي حكيم
 أي رفيع والمشهور والقراءة الاولى
 وقوله ان عبادي ليس لك عليهم
 سلطان أي الذي قدرت لهم الهداية
 فلا سبيل لك عليهم ولا وصول لك
 اليهم الامن اتبعك من الغاوين
 استثناء منقطع وقد ورد ابن جرير
 ههنا من حديث عبد الله بن المبارك
 عن عبد الله بن موهب حدثنا
 يزيد بن قسيط قال كانت الانبياء
 يكون لهم مساجد خارجة من
 قراهم فاذا أراد النبي ان يستنبي
 ربه عن شيء خرج الى مسجده
 فصلى ما كتب الله ثم سأله ما يبداه
 فيمنابني في مسجده اذ جاء عدو
 الله يعني ابلis حتى جلس بينه
 وبين النبله فقال النبي أعوذ بالله
 من الشيطان الرجيم قال فرد ذلك
 ثلاث مرات فقال عدو الله
 أخبرني باي شيء تنجو مني فقال
 النبي بل أخبرني باي شيء تغلب ابن
 آدم مرتين فاخذ كل واحد على
 صاحبه فقال النبي ان الله تعالى يقول
 ان عبادي ليس لك عليهم سلطان

من هذا بعضهم ان أجرة الكيال على البائع لانهم من تمام التسليم وكذلك عليه اجرة النقاد
 للثمن وهو كذلك كما هو مقر في الفروع (وزنوا بالقسطاس المستقيم) قال الزجاج هو ميزان
 العدل أي ميزان كان صغيراً أو كبيراً من موازين الدراهم وغيرها وفيه لغتان ضم القاف
 وكسر ها وقيل هو القبان المسمى بالقسطون قالة الضحاك وقيل هو العدل نفسه قالة
 مجاهد وهي لغة الروم قالة ابن جبير وقيل لغة سريانية ثم عربت ولا يصدق ذلك في عربية
 القرآن لان العجمي اذا استعملته العرب وأجرته مجرى كلامهم في الاعراب والتعريف
 والتشكير ونحوها صار عربياً والاصح انه عربي مأخوذ من القسط وهو العدل والتفاوت
 الحاصل بسبب نقصان الكيل والوزن قليلاً والوعيد الحاصل عليه شديد عظيم فوجب
 الاحتراز عنه وانما عظم الوعيد فيه لان جميع الناس محتاجون الى المعاضد والبيع
 والشراء فالشارع بالغ في المنع من التطفيف والنقصان سعياً في ابقاء الاموال على اربابها
 (ذلك) أي ابقاء الكيل والوزن بالميزان المستوي (خير) لكم عند الله وعند الناس يتأثر
 عنه حسن الذكرو ترغيب الناس في معاملته من كان كذلك (وأحسن تأويلاً) أي عاقبة
 من آل اذ ارجع ثم امر سبحانه باصلاح اللسان والقلب فقال (ولا تقف ما ليس لك به علم)
 أي لا تتبع ما لا تعلم وهو مأخوذ من قولك قفوت فلانا اذا اتبعته أثره ومنه قافية الشعر
 لانها تقفوك ليت ومنه القيلة المشهورة بالقافية لانهم يتبعون آثاراً فقام الناس وحكي
 ابن جرير عن فرقة انها قالت قفي وقاف مثل عني وعاث وقال منذ بن سعيد البلوطي قفي
 وقاف مثل جذب وجبذ وقيل مجزوم بجذف الواو من باي عدو سما أي لا تقل رأيت
 ولم ترو سمعت ولم تسمع وعلمت ولم تعلم ومعنى الآية النهي عن أن يقول الانسان ما لا يعلمه
 أو يعمل بما لا علم له وهذه قضية كلية وقد جعلها جماعة من المفسرين خاصة بأمره فقال
 ابن عباس لا تنم أحد بما ليس لك به علم وقيل هي في شهادة الزور قاله محمد بن الحنفية
 وقيل هي في القذف وقال القتيبي معنى الآية لا تتبع الحدس والظنون وهذا صواب
 فان ما عدا ذلك هو العلم وقيل المراد بالعلم هنا هو الاعتقاد الراجح المستفاد من مستند
 قطعياً كان أو ظنياً قال أبو السعود في تفسيره واستعماله بهذا المعنى مما لا ينكر شيوعه
 وأقول ان هذه الآية قد دلت على عدم جواز العمل بما ليس بعلم ولكنها عامة مخصصة
 بالأدلة الواردة بجواز العمل بالظن كالعامل بالعام ويجوز الواحد والعمل بالشهادة

الامن اتبعك من الغاوين قال عدو الله قد سمعت هذا قبل أن تولد قال النبي ويقول واما يزغنيك من الشيطان نزع فاستعذ بالله
 انه سميع علم وانى والله ما أحسست بك قط الاستعذت بالله منك قال عدو الله صدقت بهذا تجومني فقال النبي أخبرني باي شيء
 تغلب ابن آدم قال آخذ عند الغضب والهوى وقوله وان جهنم لموعدهم أجعين أي جهنم موعدهم جميع من اتبع ابلis كما قال عن
 القرآن ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده ثم أخبر أن جهنم سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم أي قد كتب لكل باب منها
 جزء من أتباع ابلis يدخلونه لاجلهم عنه اجازنا الله منها وكل يدخل من باب بحسب عمله ويستقر في دركة بقدر عمله قال اسمعيل

ابن عليه وشعبة كلاهما عن أبي هريرة الغنوي عن حطان بن عبد الله أنه قال سمعت علي بن أبي طالب وهو يخطب قال ان أبواب جهنم هكذا قال أبو هريرة أطبا وأبواب بعضها فوق بعض وقال إسرائيل عن أبي اسحق عن هبيرة بن مريم عن علي رضي الله عنه قال أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض فيملى الأولى ثم الثانية ثم الثالثة حتى تمتلئ كلها وقال عكرمة سبعة أبواب سبعة أطباق وقال ابن جرير سبعة أبواب وأولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية وروى الضحاك عن ابن عباس نحوه وكذا روى عن الأعمش نحوه أيضا وقال قتادة (٣٢٤) لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم هي والله منازل بأعمالهم

والاجتهاد في القبلة وفي جزاء الصيد ونحو ذلك فلا يخرج من عمومها ومن عموم ان الظن لا يغني من الحق شيئا الا ما قام دليل جواز العمل به فالعمل بالرأى في مسائل الشرع ان كان لعدم وجود الدليل في الكتاب والسنة فقد رخص فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما في قوله لمعاد لما بعثه قاضيا يم تقضى قال بكتاب الله قال فان لم تجد قال فبسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال فان لم تجد قال أجتهد رأيي وهو حديث صالح للاحتجاج به كما أوضح الشوكاني ذلك في بحث مفرد وأما التوثيق على الرأي مع وجود الدليل في الكتاب أو السنة ولكنه قصر صاحب الرأي عن البحث فإبرأه فهو داخل تحت هذا النهي دخولا أوليا لأنه محض رأي في شرع الله وللمناس عنه غنى بكتاب الله سبحانه وبسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولم تدع اليه حاجة على ان الترخيص في الرأي عند عدم وجود الدليل انما هو رخصة للمجتهد يجوز له أن يعمل به ولم يدل دليل على انه يجوز لغيره العمل به وينزله منزلة مسائل الشرع وبهذا يتضح لك أتم انصاح ويظهر لك أكمل ظهور أن هذه الآراء المدونة في الكتب الفروعية ليست من الشرع في شيء والعامل بها على شفا جرف هار فالجهد المستكثر من الرأي قد قلنا ما ليس له به علم والمقلد المسكين العامل برأى ذلك المجتهد قد عمل بما ليس له به علم ولا لمن قلده ظلمات بعضها فوق بعض وقد قيل ان هذه الآية خاصة بالعقائد ولا دليل على ذلك أصلا ثم علل سبحانه النهي عن العمل بما ليس بعلم بقوله (ان السمع والبصر والفؤاد) أي القلب (كل أولئك) أي كل واحد من الحواس الثلاثة وأجر يت مجرى العقلاء لما كانت مسؤولة عن أحوالها شاهدة على أصحابها وقال الزجاج ان العرب تعبر عما يعقل وعما يعقل بأولئك والضمير في (كان) يرجع الى كل وكذا الضمير في (عنه) وقيل الضمير في كان يعود الى القافي المدلول عليه بقوله لا تتقف وقوله عنه في محل رفع لاسناد (مسؤولا) اليه ورد بما حكاه النحاس من الاجماع على عدم جواز تقديم القائم مقام الفاعل اذا كان جارا ومجرورا قيل والاولى ان يقال انه فاعل مسؤل المحذوف والمذكور مفسر له ومعنى سؤال هذه الجوارح انه يستل صاحبها عما استعملها فيه لانها آلات والمستعمل لها هو الروح الانساني فان استعملها في الخير استحق الثواب وان استعملها في الشر استحق العقاب وهو اختيار الزمخشري وقيل ان الله سبحانه ينطق الاعضاء هذه عند سؤالها فتخبر عما فعله صاحبها وعليه جرى القاضي فاستل بويجا

رواه ابن جرير وقال جوهر عن الضحاك لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم قال باب للهود وباب للنصارى وباب للصابئين وباب للمجوس وباب للذين أشركوا وهم كفار العرب وباب للمنافقين وباب لاهل التوحيد يرجى لهم ولا يرجى لأولئك أبدا وقال الترمذي حدثنا عبد بن حميد حدثنا عثمان بن عمر عن مالك بن مغول عن حميد عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سل السيف على أمتي أو قال على أمة محمد ثم قال لا تعرفه الا من حديث مالك ابن مغول وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابني حدثنا عباس بن الوليد الخلال حدثنا زيد يعني ابن يحيى حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن أبي نضرة عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله لكل باب منهم جزء مقسوم قال ان أهل النار منهم من تأخذه النار الى كعبه وان منهم من تأخذه النار الى حجرتة ومنهم من تأخذه النار الى تراقيه منازلهم بأعمالهم فذلك قوله لكل باب منهم جزء مقسوم

(ان المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين لاصحابها لا يمسمهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين نبي عبادي أي أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الاليم) لما ذكر تعالى حال أهل النار عطف على ذكر أهل الجنة وانهم في جنات وعيون وقوله ادخلوها بسلام أي سالمين من الآفات مسلم عليهم آمنين من كل خوف وفزع ولا تخشوا من انقطاع ولا اخراج ولا فناء وقوله ونزعنا ما في صدورهم الآية روى القاسم عن أبي امامة قال يدخل أهل الجنة الجنة على ما في صدورهم في الدين من الشحنا والضغائن حتى اذا تكافؤوا تقابلوا نزع الله ما في صدورهم في الدين من غل ثم قرأ

وزعمنا في صدورهم من غل هكذا في هذه الرواية والقاسم بن عبد الرحمن في روايته عن أبي امامة ضعيف وقد روى سعيد في تفسيره
حدثنا ابن فضالة عن لقمان عن أبي امامة قال لا يدخل الجنة مؤمن حتى ينزع الله في صدره من غل حتى ينزع منه مثل السبع الضاري
وهذا موافق لما في الصحيح من رواية قتادة حدثنا أبو المتوكّل النابج أن أبا سعيد الخدري حدثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يخلص المؤمنون من النار فيجسسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتل بعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا
هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة وقال ابن جرير حدثنا الحسن حدثنا يزيد بن (٣٢٥) هرون أخبرنا هشام عن محمد بن سيرين

قال استأذن الأشرع على علي رضي
الله عنه وعند ابن طلحة خمسة
ثم أذن له فلما دخل قال اني لأراك
انما حبستني لهذا قال أجل قال اني
لأرى لو كان عندك ابن لعثمان
لحبستني قال أجل اني لأرجو أن
أكون أنا وعثمان ممن قال الله

تعالى وزعمنا في صدورهم من غل
أخوانا على سر رمثا بلين وقال أيضا
حدثنا الحسن بن محمد حدثنا أبو
معاوية الضرير حدثنا عفان حدثنا
عبد الواحد حدثنا أبو مالك الأشعبي
حدثنا أبو حبيبة مولى طلحة قال
دخل عمران بن طلحة على علي رضي
الله عنه بعد ما فرغ من أصحاب الجمل
فرحب به وقال اني لأرجو أن يجعلني
الله وأباك من الذين ينزع الله مافي
صدورهم من غل ويجعلنا أخوانا
على سر رمثا بلين وحدثنا الحسن
حدثنا أبو معاوية الضرير حدثنا
أبو مالك الأشعبي عن أبي حبيبة
مولى طلحة قال دخل عمران بن
طلحة على علي رضي الله عنه بعد
ما فرغ من أصحاب الجمل فرحب به
وقال اني لأرجو أن يجعلني الله
وأباك من الذين قال الله وزعمنا

لا يحجابها وهذا بلغ مما قبله وفي الآية دليل على ان العبد مؤاخذا بعزمه على المعصية (ولا
تمس في الأرض مرحا) قيل هو شدة الفرح وقيل التكبر في المشي وقيل تجاوز الانسان
قدره وقيل الخيلاء في المشي وقيل البطور والاشروقيل النشاط والظاهر أن المراد به الخيلاء
والفخر قال الزجاج في تفسير الآية لا تمس في الأرض محتملا لافقوا وذكرا الأرض مع ان
المشي لا يكون الاعليها أو على ما هو معتد عليها تأكيدا وتقريراً ولقد أحسن من قال
ولامس فوق الأرض الاتواضعاً * فكتم تحتها قوم هم منك أرفع
وان كنت في عز وحرز ومنعة * فكتم مات من قوم هم منك أمنع
والمرح مصدر وقع حالاً أي ذامر أي مارحاً تلبس بالأكبر والخيلاء وفي وضع المصدر
موضع الصفة نوع تأكيد وقرئ مرحاً بفتح الراء ومرحاً بكسر هاء على انه اسم فاعل ثم
علل سبحانه هذا النهي فقال (انك ان تحرق الأرض) يقال حرق الثوب أي شقه وخرق
الأرض قطعها والخرق الواسع من الأرض والمعنى انك ان تحرق الأرض بمشيك عليها
تكبر احسبى تبلغ آخرها وفيه تهكم بالمختمال المتكبر وقيل المراد بخرق الأرض تقبها
لاقطعها بالمسافة وقال الأزهرى خرقها قطعها قال النحاس وهذا بين كانه مأخوذ من
الخرق وهو القمحة الواسعة ويقال فلان أخرق من فلان أي أكثر سفراً (ولن تبلغ الجبال
طولا) أي وان تبلغ قدرتك الى ان تطاول الجبال حتى يكون عظم جنتك حاملاً لك على
الكبر والاختيال فلا قوة لك حتى تحرق الأرض بالمشي عليها ولا عظم في بدنك حتى تطاول
الجبال وتساويها بكبرك فما الحامل لك على ما أنت فيه وأنت أحقر وأصغر من كل واحد
من الجبالين فكيف يليق بك الكبر (كل ذلك) أي جميع ما تقدم ذكره من الاوامر
والنواهي الخمس والعشرين أو ما نهى عنه فقط من قوله ولا تقف ولا تمس (كان سيئته
عند ربك) على اضافة سيئته الى الضمير ويؤيد هذه القراءة قوله (مكروها) فان السيئ هو
المكروه ويؤيدها أيضاً قراءة أي كان سيئته وقراً نافع وغيره سيئته على انها واحدة
السيئات واتصافها على خيرية كان ومكروها خبر ثان لكان أو بدل من سيئته ورجح أبو علي
الفارسي البدل وقد قيل في توجيهه بغير هذا مما فيه تعسف لا يخفى قال الزجاج والاضافة
أحسن لان ما تقدم من الآيات فيها سيئ وحسن فسيئته المكروه ويقوى ذلك التذكير في

في صدورهم من غل أخوانا على سر رمثا بلين قال ورجلان جالسان على ناحية البساط فقالا لله أعدل من ذلك تقتلهم بالامس
وتكونون أخوانا فقال علي رضي الله عنه قوماً بعد أرض وأحقها فمن هم اذالم أكن أنا وطلحة وذكر أبو معاوية الحديث بطوله
وروى وكيع عن أبان بن عبد الله الجبلي عن نعيم بن أبي هند عن ربي بن خراش عن علي بن نحوه وقال فيه فقام رجل من همدان فقال
الله أعدل من ذلك بأمر المؤمنين قال فصاح به على صيحة فظننت ان القصر تدهده لها ثم قال اذالم تكن نحن نحن هم وقال سعيد بن
مسروق عن أبي طلحة وذكره وفيه فقال الحرث الاعور ذلك فقام اليه على رضي الله عنه فضربه بشئ كان في يده في رأسه وقال نحن هم

يا عوراد المنيكن نحن وقال سفبان الثوري عن منصور عن ابراهيم قال جاء ابن جرموز قاتل الزبير يستأذن على علي رضي الله عنه
فجبه طويلا ثم اذن له فقال له أما أهل البلاه فيجبوهم فقال علي بفيك التراب اني لارجو ان أكون أنا وطلحة والزبير عن قال الله
وزننا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين وكذا روى الثوري عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بنحوه وقال سفبان
ابن عيينة عن اسراييل عن أبي موسى سمع الحسن البصري يقول قال علي قينا والله أهل بدر نزلت هذه الآية وزننا ما في صدورهم
من غل اخوانا على سرر متقابلين وقال (٣٢٦) كثير البر ادخلت على ابي جعفر محمد بن علي فقلت ولي وليكم وسلمي سلمكم

وعدوى عدوكم وحر بي حر بكم
أنا سألت بالله أتبرأ من أبي بكر وعمر
فقال قد ضللت اذا وما أتأمن المهتدين
بولهما ما كثيرا أدركت فهو في
رقتي هذه ثم تلا هذه الآية اخوانا
على سرر متقابلين قال أبو بكر وعمر
وعلى رضي الله عنهم أجمعين وقال
الثوري عن رجل عن أبي صالح في
قوله اخوانا على سرر متقابلين قال
هم عشرة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي
وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن
عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد
ابن زيد وعبد الله بن مسعود رضي
الله عنهم أجمعين وقوله متقابلين
قال مجاهد لا ينظر بعضهم في قفا
بعض وفيه حديث من فروع قال
ابن أبي حاتم حدثنا يحيى بن عبدك
القزويني حدثنا حسان بن حسان
حدثنا ابراهيم بن بشر حدثنا يحيى
ابن معن عن ابراهيم القومسي عن
سعيد بن شرحبيل عن زيد بن أبي
أوفى قال خرج علينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم قتل هذه الآية
اخوانا على سرر متقابلين في الله
ينظر بعضهم الى بعض وقوله لا يمسه
فيها نصب يعني المشقة والأذى كما
جاء في الصحيحين ان الله أمرني أن

المكروه ومن قرأ بالتونين جعل كل ذلك اطاعة بالمنهي عنه دون الحسن والمعنى كل ما نهى
الله عنه كان سيئة وكان مكروها والمكروه على هذا بدل من السيئة وليس بنعت والمراد
بالمكروه عند الله هو الذي يبغضه ولا يرضاه لانه غير مراد مطلقا القيام الادلة القاطعة على
ان الاشياء واقعة بارادته سبحانه وذ كرمطلق الكراهة مع ان الاشياء المتقدمة ماهو
من البكائر اشعار بان مجرد الكراهة عنده تعالى يوجب انزجار السامع واجتنابه لذلك
والخاص ان في الخصال المتقدمة ماهو حسن وهو المأمور به وما هو مكروه وهو المنهي عنه
فعلى قراءة الاضافة تكون الاشارة بقوله كل ذلك الى جميع الخصال حسنها ومكروها ثم
الاخبار بان ماهو سي من هذه الاشياء هو المنهي عنه عند الله وعلى قراءة الافراد تكون
الاشارة الى المنهيات ثم الاخبار عن هذه المنهيات بأنها سيئة مكروهة عند الله (ذلك) اشارة
الى ما تقدم ذكره من قوله لا تجعل مع الله الى هذه الغاية (مما أوحى اليك ربك) أي من
جنسه أو بعض منه وذ كرهنا في ثمان عشرة آية أولها لا تجعل وذ كرهنا في عشرة آيات
(من الحكمة) سمي حكمة لانه كلام محكم وهو ما علمه من الشرائع أو من الاحكام المحكمة
التي لا تطرق اليها النسخ والنساق وعند الحكماء ان الحكمة عبارة عن معرفة الحق لذاته
والخبر للعمل به قاله البيضاوي فالتوحيد من القسم الاول وباقي التكاليف من القسم
الثاني ولا تجعل مع الله الها آخر) كره سبحانه النهي عن الشرك تأ كيدا وتقريراً وتبييناً
على أنه رأس خصال الدين وعمدته ومبدأ الامر ومنتهاه وعلى أنه ملاك الحكمة وأسها
قيل وقد راعى سبحانه في هذا التأ كيدا دقيقة فرتب على الاول كونه مذموماً مخذولاً وذلك
اشارة الى حال الشرك في الدنيا ورتب على الثاني ما هو نتيجته في العقبى فقال (فلنقي في
جهنم ملوماً) تلوم نفسك (مدحوراً) مبعداً من رحمة الله مطروداً وفي القعود هناك
والانقاء هنا اشارة الى أن للانسان في الدنيا صورة اختيار بخلاف الآخرة (أفأصفاكم) أي
خصمكم قاله أبو عبيدة وقال الفضل أخلصكم (ربكم بالنبين واتخذ من الملائكة اناماً) أي
بنات والخطاب للكفار القائلين بان الملائكة بنات الله وفيه توخي شديد وتقرير بالغ لما
كان يقوله هؤلاء الذين هم كالانعام بل هم أضل وانا للعطف على مقدر كنفائره مما قد
كرناه (انكم تتقولون قولاً عظيماً) بالغافي العظم والجرائم على الله الى مكان لا يقادر قدره

أبشر خديجة بييت في الجنة من قصب لا نصب فيه ولا نصب وقوله وما هم منها بمخرجين كما جاء في الحديث يقال يا أهل
الجنة ان لكم أن تصبوا فلا تمضوا أبدا وان لكم أن تعيشوا فلا تموتوا أبدا وان لكم أن تشبوا فلا تموتوا أبدا وان لكم أن تقبوا
فلا تطعنوا أبدا وقال الله تعالى خالدين فيها لا يغيرون عنها حولا وقوله نبي عبادي أي أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب
الاليم أي أخبر يا محمد عبادي أي ذورجة وذو عقاب أليم وقد تقدم ذكر نطية هذه الآية الكريمة وهي دالة على مقام الرجاء والخوف وذ كر
في سبب نزولها مرواه موسى بن عبيدة عن مصعب بن ثابت قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناس من أصحابه بعضهم

فقال اذكروا الجنة واذكروا النار فنزلت نبي عبادي ائني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم رواه ابن ابي حاتم وهو مرسل
وقال ابن جرير حدثني المشني حدثنا اسحق اخبرنا ابن المكي اخبرنا ابن المبارك اخبرنا معصب عن ثابت حدثنا عاصم بن عبيد الله
عن ابن ابي رباح عن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال طلع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الباب الذي يدخل
منه بنو شيبه فقال ألا اراكم تضحكون ثم اذبح حتى اذا كان عند الحجر رجع الينا القهقري فقال اني لما خرجت جاء جبريل عليه السلام
فقال يا محمد ان الله يقول لك تقنط عبادي نبي عبادي ائني انا الغفور الرحيم (٣٢٧) وان عذابي هو العذاب الاليم وقال سعيد

عن قتادة في قوله نبي عبادي ائني انا
الغفور الرحيم قال بلغنا ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعلم
العبد قدر عفو الله لما تورع من
حرام ولو يعلم العبد قدر عذاب
الله لخبغ نفسه (ونبتهم عن ضيف
ابراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما
قال انا منكم وجلون قالوا لا توجل
انا نبشرك بغلام عليم قال
ابشروني على ان مسني الكبر فيم
تبشرون قالوا بشرناك بالحق فلا
تكن من القانطين قال ومن يقنط
من رحمة ربه الا الضالون) يقول
تعالى وخبرهم يا محمد عن قصة ضيف
ابراهيم والضيف يطلق على
الواحد والجمع كالزور والسنبر
وكيف دخلوا عليه فقالوا سلاما قال
انا منكم وجلون أي خائفون وقد
ذكر سبب خوفه منهم المارأي أيديهم
لا تصل الى ما قربه لهم من الضيافة
وهو العجل السمين الخنيد قالوا
لا توجل أي لا تخف وبشروه بغلام
عليم أي اسحق عليه السلام كما قال
في سورة هود ثم قال متعجبين من كبره
وكبر زوجته ومتحققا للوعد
ابشروني على ان مسني الكبر فيم
تبشرون فأجابوه مؤكداين لما

بإضافة الا ولاد اليه وهي خاصة بعض الاجسام لسرعة زوالها ثم تفضيل انفسكم عليه
حيث تجعلون له ماتكروهون ثم يجعل الملائكة الذين هم أشرف الخلق اذونهم (ولقد
صرفنا في هذا القرآن) أي بينا وكرنا ضرب القول فيسه من الامثال والعبر والحكم
والحجج والمواعظ والقصص والاخبار والوامر والنواهي وغيرها وقيل في زائدة
والتقدير ولقد صرفنا هذا القرآن والتصريف في الاصل صرف الشيء من جهة الى جهة
والتشديد فيه للتكثير والتكرير وقيل معنى التصريف المغايرة أي غيرنا بين المواضع
على سبحانه ذلك فقال (ليذكروا) أي ليتعظوا ويعتبروا ويتدبروا بعقولهم ويتفكروا فيه
حتى يقفوا على بطلان ما يقولونه (و) الحال ان هذا التصريف والتذكير (ما يزيدهم
الانفورا) أي تباعدوا عن الحق وغفلة عن النظر في الصواب لانهم قد اعتقدوا في القرآن
انه حيلة وسحر وكهانة وشعر وهم لا ينزعون عن هذه الغواية ولا وازع لهم نزعهم الى
المهداية وكان الثوري اذا قرأها يقول زادني لك خضوعا ما زاد اعداءك نفورا (قل) لهم في
شأن الاستدلال على ابطال التعدد الذي زعموه واثبات الوحدة (لو كان معه آلهة كما
أي كونها مشابها لما (يقولون) والمراد بالمشابهة الموافقة والمطابقة قرئ بالتحية
وبالفوقية على الخطاب للقائلين بان مع الله آلهة أخرى (اذا) قال الزمخشري هي داله على
ان ما بعده هو (لا يتعوا) جواب لمقالة المشركين وجزء اللو (الى ذي العرش) هو الله
سبحانه (سبيلا) طريقا للمغالبة والمقاتلة والممانعة ليزيلوا ملكه كما يفعل الملوك بعضهم
مع بعض من المقاتلة والمصاولة عند تعددهم وقيل معناه اذا ابتغت الآلهة الى الله
القربة والزلفة عنده لانهم دونه والمشركون انما اعتقدوا انها تقربهم الى الله والظاهر
المعنى الاول ومثله معنى قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدنا وواصل الدليل انه
قياس استثنائي يستثنى فيه تقيض التالي لينتج تقيض المقدم وحذف منه كل من
الاستثنائية والنتيجة والتقدير انكم لم يطلبوا طريقا لقتاله فلم يكن هناك تعدد ثم نزه
تعالى نفسه فقال (سبحانه) والتسبيح التنزيه وقد تقدم مرارا (وتعالى) أي تباعد (عما
يقولون) من الاقوال الشنيعة والفرية العظيمة (علوا) أي تعالوا ولكنه وضع العلوم موضع
التعالى كقوله والله ائبتكم من الارض نباتا (كبرا) وصف العلم بالكبرية بالغسة في

بشروبه تحقيقا وبشارة بعد بشارة قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين وقرأ بعضهم القنطين فأجابهم بأنه ليس
يقنط ولكن يرجو من الله الولدان كان قد كبر وأنت امر أنه فانه يعلم من قدرة الله ورحمته ما هوأ بلغ من ذلك (قال فما خطبكم
أيها المرسلون قالوا اننا ارسلنا الى قوم مجرمين الآل لوط انا المنجوبهم أجمعين الامر أنه قدرناهم المن الغابرين) يقول تعالى اخبارا
عن ابراهيم عليه السلام لما ذهب عنه الروع وجاءته البشرى انه شرع يسألهم عما جاؤا له فقالوا اننا ارسلنا الى قوم مجرمين يعنون
قوم لوط وأخبروه انهم سينجون آل لوط من بينهم الامر أنه فانهم من المهاكين ولهذا قالوا الامر أنه قدرناهم المن الغابرين أي

الباقين المهلكين) فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون قالوا بل جنمنا كما كانوا فيمترون واتيناك بالحق وانا اصادقون) يخبر تعالى عن لوط لما جاءته الملائكة في صورة شباب حسان الوجوه فدخلوا عليه داره قال انكم قوم منكرون قالوا بل جنمنا كما كانوا فيمترون يعنون بعدايتهم وهلاكهم ودمارهم الذي كانوا يشكون في وقوعه بهم وحلوله بساحتهم واتيناك بالحق كقوله تعالى ما ننزل الملائكة الا بالحق وقوله وانا لصادقون تاكيد لخبرهم اياه بما أخبروه به من نجاته واهلاك قومه (فأفسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون وقضينا اليه ذلك الامر

أن ادبر هؤلاء مقطوع مصحين) بذكر تعالى عن الملائكة انهم أمروه أن يسرى بأهل بيدهم من الليل وأن يكون لوط عليه السلام عشي وراهم ليكون أحفظ لهم وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عشي في الغزواتما يكون ساقية نبي الضعيف ويحمل المقطع وقوله ولا يلتفت منكم أحد أي اذا سمعتم الصيحة بالقوم فلا تلتفتوا اليهم وذرهم فيما حل بهم من العذاب والنكال وامضوا حيث تؤمرون كأنه كان معهم من يهديهم السبيل وقضينا اليه ذلك الامر أي تقدمنا اليه في هذا ان ادبر هؤلاء مقطوع مصحين أي وقت الصباح كقوله في الآية الأخرى ان موعدهم الصباح أليس الصبح يقرب (وجاء أهل المدينة يستبشرون قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون قالوا أولم ننهك عن العالمين قال هؤلاء عبادنا ان كنتم فاعلين لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون) يخبر تعالى عن محبي قوم لوط لما علموا باضافه وصباحة وجوههم وانهم جاؤا مستبشرين بهم فرحين قال

التزاهة ونسبها على ان بين الواجب لذاته والممكن لذاته وبين الغنى المطلق والفقر المطلق مباينة لا يعقل الزيادة عليها ثم بين سبحانه جلالة ملكه وعظمة سلطانه فقال (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن) قال فيهن بضمير العقلاء لاسناده اليها التسبيح الذي هو فعل العقلاء وقد أخبر سبحانه عن السموات والارض بانها تسبحه وكذلك من فيها من مخلوقاته الذين لهم عقول وهم الملائكة والانس والجن وغيرهم من الاشياء التي لا تعقل ففيه دلالة على ان الاكوان بأسرها له شاهدة بتلك التزاهة ولكن المشركين لا يفهمون تسبيحها فالقصد من هذا ان يتبينهم وتقر بعهم على اتباعهم الشركاء الله مع كل شيء ممن عداهم ينزهه عن كل نقص أخرج سعيد بن منصور وابن أبي حاتم والطبراني وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الاسماء والصفات عن عبد الرحمن بن قرفان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة أسرى به الى المسجد الأقصى كان جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فطار اياه حتى بلغ السموات العلى فلما رجع قال سمعت تسبيحا في السموات العلى مع تسبيح كثير سبحت السموات العلى من ذى المهابة مشفقات لذي العلو بما علا سبحانه العلى الاعلى سبحانه وتعالى وأخرج ابن مردويه عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال وهو جالس مع أصحابه اذ سمع هدة فقال أظت السماء ويحفظها أن تثط والذي نفس محمد بيده ما فيها موضع شبر الا فيه جبهة ملك ساجد يسبح الله بحمده ثم زاد ذلك تعميما وتاكيدا فقال (وان من شيء الا يسبح) متلبسا بحمده) فيشمل كل ما يسمى شيئا كأنما كان حتى صرير الباب ونقيض السقف وتسبيحها سبحانه الله وبحمده وقيل انه يحمل قوله ومن فيهن على الملائكة والثقلين ويحمل قوله وان من شيء على ما عدا ذلك من المخلوقات وقد اختلف أهل العلم في هذا العموم هل هو مخصوص أم لا فقالت طائفة ليس بخصوص وجاؤا التسبيح على تسبيح الدلالة لان كل مخلوق يشهد على نفسه ويدل غيره بان الله خالق قادر وقالت طائفة هذا التسبيح على حقيقته والعموم على ظاهره والمراد ان كل المخلوقات تسبح لله هذا التسبيح الذي معناه التنزيه وان كان البشر لا يسمعون ذلك لكونهم محجوبين عن سماعه ولا يفهمونه لكونه بغير لغاتهم وهذا يقتضي ان تسبيح الجناد بلسان المقال وهو الذي اختاره الخازن وأثبتته بأحاديث متعددة قال في الجمل وهو قريب جدا ويؤيد هذا قوله سبحانه (ولكن لا تفتقهن) بالياء والياء (تسبيحهم) فانه لو كان المراد تسبيح الدلالة

ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون وهذا انما قاله لهم قبل ان يعلم بأنهم رسل الله كما قال في سورة هود واما ههنا فتقدم ذكر انهم رسل الله وعطف بذكريحي قومه ومحاجته لهم ولكن الواو لا تقتضي الترتيب ولا سيما اذا دل دليل على خلافه فقالوا له مجيبين أولم ننهك عن العالمين أي واما ننيناك ان تضيف أحد افأرشدتهم الى نساءهم وما خلق لهم ربهم منهن من الفروج المباحة وقد تقدم اوضح القول في ذلك بما أغنى عن اعادته هذا كله وهم غافلون عما يراد بهم وما قدا حاط بهم من البلاء وماذا يصحهم من العذاب المستقر ولهذا قال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم لعمر ك انهم لفي سكرتهم يعمهون أقسم

لكان

تعالى بحياة نبيه صلوات الله وسلامه عليه وفي هذا تشريف عظيم ومقام رفيع وجاءه عريض قال عمرو بن مالك البكري عن ابى
الجوزاء عن ابن عباس انه قال ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفساً كرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله أقسم بحياة أحد
غيره قال الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون رواه ابن جرير وقال قتادة في سكرتهم أى فى ضلالتهم يعمهون أى يلعبون
وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لعمرك لعيشك انهم لفي سكرتهم يعمهون قال يترددون (فأخذتهم الصيحة مشرقين فجعلنا
عليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ان فى ذلك لآيات (٣٢٩) للمتوسمين وانها السبيل مقسم ان فى ذلك لآية
للمؤمنين) يقول تعالى فأخذتهم

الصيحة وهى ما جاءهم من الصوت
القاصف عند شروق الشمس وهو
طلوعها وذلك مع رفع بلادهم الى
عنان السماء ثم قلبها وجعل عاليها
سافلها وأرسل حجارة السجيل
عليهم وقد تقدم الكلام على
السجيل فى هود بما فيه كفاية
وقوله ان فى ذلك لآيات للمتوسمين
أى ان آثار هذه النقم الظاهرة على
تلك البلاد لمن تأمل ذلك وتوسمه
بعين بصره وبصيرته كما قال مجاهد
فى قوله للمتوسمين قال المتقدمين
وعن ابن عباس والخباء للناظرين
وقال قتادة للمعتبرين وقال مالك
عن بعض أهل المدينة للمتوسمين
للمتأملين وقال ابن أبي حاتم حدثنا
الحسن بن عرفة حدثنا محمد بن كثير
العمدي عن عمرو بن قيس عن
عطية عن أبى سعيد مرفوعاً قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر
بنور الله ثم قرأ النبي صلى الله عليه
وسلم ان فى ذلك لآيات للمتوسمين
رواه الترمذى وابن جرير من حديث
عمرو بن قيس الملائى عن عطية عن
أبى سعيد وقال الترمذى لا تعرفه

لكان أمر المفهوم لكل أحد وأجيب بان المراد بقوله لا تفقهون الكفار الذين يعرضون
عن الاعتبار وقالت طائفة هذا العموم مخصوص باللائكة والتقلين دون الجنادات
وقيل خاص بالاجسام النامية فيدخل النباتات كما روى هذا القول عن عكرمة والحسن
وخص تسبيح النباتات بوقت غوها لا بعد قطعها وقد استدلل بذلك بجديث أن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم مر على قبرين وفيه ثم دعا عيسى ربط فشققه باثنين وقال انه يخفف
عنهما ما لم يبسا ويؤيدجل الآية على العموم قوله اناسخرا الجبال معه يسجن بالعشى
والاشراق وقوله وان منها ما يهبط من خشية الله وقوله وتختز الجبال هذا ونحو ذلك من
الآيات وثبت فى الصحيح انهم كانوا يسمعون تسبيح الطعام وهم يأكلون مع رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم وهكذا حديث حنين الجذع وحديث ان حجرا يركب على النبي
صلى الله عليه وآله وسلم وكلها فى الصحيح ومن ذلك تسبيح الحصانى كفه صلى الله عليه وآله
وسلم ومدافعة عموم هذه الآية بمجرد الاستبعدادات ليس دأب من يؤمن بالله سبحانه
ويؤمن بما جاء من عنده قال السدى ما اصطيد حوت فى البحر ولا طائر يطير الا بما يضيغ
من تسبيح الله تعالى (انه كان حليماً غفوراً) فمن حمله الامهال لكم وعدم انزال عقوبته
عليكم على غفلتكم وسوء نظركم وجهلكم بالتسبيح ومن مغفرتة لكم انه لا يؤاخذ من
تاب منكم أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ فى العظمة عن جابر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا أخبركم بشئ أمر به نوح ابنه ان نوحاً قال لابنه يا بنى أمرت
أن تقول سبحان الله فانها صلاة الخلائق وتسبيح الخلق وبها يرزق الخلق قال الله تعالى
وان من شئ الا يسبح بحمده وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم قرصت غلثة نبيامن الانبياء فاهر بقرية النمل فاحرقت فأوحى
الله اليه من أجل غلثة واحدة أحرقت أمة من الأمم تسبيح وأخرج النسائى وأبو الشيخ
وابن مردويه عن ابن عمر وقال نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قتل الضفدع
وقال نقيبها تسبيح وأخرج أبو الشيخ فى العظمة وابن مردويه عن ابن عباس قال الزرع
يسبح وأجره لصاحبه والثوب يسبح ويقول الوسخ ان كنت مؤمناً فاعسلنى اذن وعنه قال
كل شئ يسبح الا الكلب والحمار أخرج أبو الشيخ وعن الحسن قال هذه الآية فى التوراة
كقدر ألف آية وان من شئ الا يسبح بحمده قال فى التوراة تسبح له الجبال وتسبح له الشجر

(٤٢ فتح البيان خامس) الامن هذا الوجه ولا بن جرير من حديث عمرو أيضاً حدثنى أحمد بن محمد الطوسى حدثنا الحسن
ابن محمد حدثنا الفرات بن السائب حدثنا ميمون بن مهران عن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فان
المؤمن ينظر بنور الله وقال ابن جرير حدثنى أبو شريحيل الجصى حدثنا سليمان بن سلمة حدثنا المؤمن بن سعيد بن يوسف الرجبى
حدثنا أبو المعلى أسد بن وداعة الطائى حدثنا وهب بن منبه عن طاوس بن كيسان عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
احذروا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ويتوفيق الله وقال أيضاً حدثنا عبد الاعلى بن واصل حدثنا سعيد بن محمد الجرمى حدثنا

عبد الواحد بن واصل حدثنا أبو بشر المزلق عن ثابت عن أنس بن مالك قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من تحدث ابن عمر من حديث ثوبان نحووه وله عن أنس مرفوعان لله عبادا يعرفون الناس بالتوسم ورواه الحافظ أبو بكر البرزاني حدثنا سهل بن بحر حدثنا سعيد بن محمد الجرمي حدثنا أبو بشر يقال له ابن المزلق قال وكان ثقة عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله عبادا يعرفون الناس بالتوسم وقوله وإنما السبيل مقيم أي وإن قرية سدوم الذي أصابها من القلب الصوري والمعنوي والقذف بالحجارة حتى صارت بحيرة ممتنة خبيثة بطريق (٣٣٠) مهيع مسالك مستمرة إلى اليوم كقوله وانكم لتترون عليهم مصحين

وبالليل أفلا تعقلون وان يونس لمن المرسلين وقال مجاهد والخمالة وإنما السبيل مقيم قال معلم وقال قتادة بطريق واضح وقال قتادة أيضا بصقع من الأرض واحد وقال السدي بكتاب ميين يعني كقوله وكل شيء أحصيناه في امام ميين ولكن ليس المعنى على ما قال ههنا والله أعلم وقوله ان في ذلك لآية للمؤمنين أي ان الذي صنعنا بقوم لوط من الهلاك والدمار وانجائنا لوطا وآهله لآلة واضحة جليلة للمؤمنين بالله ورسوله (وان كان أصحاب الأيكة لظالمين فاتقنا منهم وانما بالامام ميين) أصحاب الأيكة هم قوم شعيب قال الخليل وقتادة وغيرهما الأيكة الشجر المتف وكان ظلمهم بشركهم بالله وقطعهم الطريق ونقصهم المكيال والميزان فاتقم الله منهم بالصحة والرجفة وعذاب يوم الظلة وقد كانوا قريبا من قوم لوط بعددهم في الزمان ومسامتين لهم في المكان ولهذا قال تعالى وانما بالامام ميين أي طريق ميين قال ابن عباس ومجاهد والخمالة وغيره طريق ظاهر ولهذا لما اندر شعيب قومه قال في نذارته

ويسج له كذا وكذا وفي الباب أحاديث وروايات عن السلف فيها تصریح بتسبيح جميع المخلوقات وما فرغ سبحانه من الالهيات شرع في ذكر بعض من آيات القرآن وما يقع من سامعيه فقال (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة) وهم المنكرون للبعث (حجابا مستورا) يحجب قلوبهم عن فهمه والانتفاع به أي انهم لا عرضهم عن قرأتك وتغافلهم عنك كمن بينك وبينه حجاب يعرون بك ولا يرونك ذكر معناه الزجاج وغيره ومعنى مستورا ساترا قال الاخفش والفاعل قد يكون في لفظ المفعول كما تقول انك لمشووم وميمون وانما هو شام ويا من وقيل معناه ذات ستر كقولهم سبل مضم أي ذو افعام وقيل هو حجاب لاتراه العين فهو مستور عنها وقيل حجاب من دونه حجاب فهو مستور بغيره وقيل المراد بالحجاب المستور الطبع والختم قال السيوطي نزل فيمن أراد الفتك به صلى الله عليه وآله وسلم انتهى كأي جهل وأم جميل زوجة أبي لهب والمراد بما في الآية مطلق القرآن أو ثلاث آيات مشهورات من النحل والكهف والحاشية وهي في سورة النحل أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم الآية وفي سورة الكهف وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه الآية وفي حم الحاشية أفرايت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم الآية فكان الله تعالى يحجبه بركة هذه الآيات عن عيون المشركين ذكره الخطيب وفي القرطبي قلت ويزاد إلى هذه الآيات أول سورة يس إلى قوله فهم لا يبصرون فان في السيرة في هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومقام على في فراشه قال وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاخذ حفنة من تراب في يده وأخذ الله على أبصارهم فلا يرونه فجعل يثر ذلك التراب على رؤسهم وهو يتلو هوؤلاء الآيات من يس حتى فرغ ولم يبق منهم رجل الا وقد وضع على رأسه ترابا ثم انصرف إلى حيث أراد ان ينصرف (وجعلنا على قلوبهم أكنة) جمع كنان وهي الاغطية وقد تقدم تفسيره في الانعام وقيل هو حكاية لما كانوا يقولونه من قولهم قلوبنا غلقت وفي آذاننا وقرموس بيننا وبينك حجاب (ان يفقهوه) أي كراهة ان يفقهوه أولئلا يفقهوه أي يفهموا ما فيه من الأوامر والنواهي والحكم والمعاني (و) جعلنا في آذانهم وقرا) أي صموا وثقلا كراهة ان يسمعه أو لئلا يسمعه ومن قبائح المشركين انهم كانوا يحبون ان يذكروا آلهتهم كما يذكروا الله سبحانه فاذا سمعوا ذكر الله دون ذكر آلهتهم نفر وعن المجلس كما قال تعالى (واذا ذكرت ربك في القرآن وحده) يقال وحده وحده وحده

اياهم وما قوم لوط منكم ببعيد (ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين وآتيناهم آياتنا فكانوا معرضين وكانوا وحده يتخونون من الجبال بيوتاً آمنين فأخذتهم الصيحة مصحين فما أعتى عنهم ما كانوا يكسبون) أصحاب الحجر هم عود الذين كذبوا صالحا نبيهم عليه السلام ومن كذب رسول فقد كذب بجميع المرسلين ولهذا أطلق عليهم تكذيب المرسلين وذكر تعالى انه آتاهم من الآيات ما يدلهم على صدق ما جاءهم به صالح كالناقة التي أخرجها الله لهم بدعاء صالح من صخرة صماء وكانت تسرح في بلادهم لها شرب ولهم شرب يوم معلوم فلما عتوا وعقروها قال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب وقال تعالى وأما عود فهديناهم

فاستجبوا العمى على الهدى وذ كرتعالى انهم كانوا ينجون من الجبال بيوتاً آمنين أى من غير خوف ولا احتياج اليها بل أشرا وبطرا
وعبثا كما هو المشاهد من صنيعهم في بيوتهم بوادى الحجر الذى مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ذاهب الى تبوك فمقع رأسه
وأسرع دابته وقال لأصحابه لا تدخلوا بيوت المعذنين الآن تكونوا باكين فان لم تبكوا قتبوا كوا خشية أن يصيبكم ما أصابهم
وقوله فاخذتهم الصيحة مصحين أى وقت الصباح من اليوم الرابع غنى عنهم ما كانوا يكسبون أى ما كانوا يستغلونهم من زروعهم
وغارهم التى ضنوا بها عن الناقه حتى عقروها لئلا تضيق عليهم فى المياه (٢٣١) فادفعت عنهم تلك الاموال ولا تتفعهم لما جاء أمر

ربك (وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما الا بالحق وان الساعة
لا تية فاصفح الصفيح الجميل ان
ربك هو الخلاق العليم) يقول تعالى
وما خلقنا السموات والارض وما
بينهما الا بالحق وان الساعة لا تية
أى بالعدل ليجزي الذين أساءوا بما
عملوا الآية وقال تعالى وما خلقنا
السماء والارض وما بينهما باطلا
ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين
كفروا من النار وقال تعالى
أخسبتم أنما خلقناكم عبثا وانكم
الينا لا ترجعون فتعالى الله الملك
الحق لاله الا هو رب العرش الكريم
ثم أخذ برئيه بقيام الساعة وانها
كائنة لا محالة ثم أمره بالصفيح الجميل
عن المشركين فى اذا هم له وتكذبهم
ما جاء به كقوله فاصفح عنهم وقل سلام
فسوف يعلمون وقال مجاهد وقادة
وغيرهما كان هذا قبل القتال
وهو كما قال فان هذه مكة والقتال
انما شرع بعد الهجرة وقوله ان
ربك هو الخلاق العليم تقرير للمعاد
وانه تعالى قادر على اقامة الساعة
فانه الخلاق الذى لا يعجزه خلق شئ
العليم بما تمزق من الاجساد وتفرق
فى سائر أقطار الارض كقوله تعالى

وحدة فهو وعد وعد او عدة فهو مصدر مسد الحال أصله يحدو حده بمعنى واحدا
وقال يونس منصوب على الطرف (ولو اعلى أديارهم نفورا) هو مصدر بمعنى التولية
والتقدير هربوا نفورا أو نفروا نفورا وقيل جمع نافر كقاعد وقعد وقاله البيضاوى والشهاب
والاول أولى وقيل المصدر فى موضع الحال والمعنى ولوا نافرين قال ابن عباس ولوا نفور
الشياطين (نحن أعلم بما) أى بالحال الذى (يستمعون) القرآن (به) أى مطلبين به من
الغور والاستخفاف والهزء بك وبالقرآن وقيل الباء للسببية أو بمعنى اللام وعبرة
الكواشى بما يستمعون به هازئين وقال الزخمرى يستمعون بالهزة (اذ يستمعون اليك)
ظرف لا علم وفيه تاكيد للوعيد (واذهب تجوى) أى ونحن أعلم بما يتناجون به فيما بينهم
وقت تناجهم وقد كانوا يتناجون بينهم بالكذب والاستزاء (اذ) بدل من اذ قبله
(يقول الظالمون) أى الوليد بن المغيرة وأصحابه (ان تتبعون) أى يقول كل منهم للآخرين
عند تناجهم ما تتبعون (الارجلا مسحورا) أى سحر به فاختلف عقله وزال عن حد
الاعتدال قال ابن الاعرابى المسحور الذاهب العقل الذى أفسد من قولهم طعام مسحور
اذا أفسد عمله وأرض مسحورة أصابها من المطر أكثر مما ينبغي فافسد لها وقيل هو
الخدوع لان السحر الخيلة والخديعة وذلك لانهم زعموا ان محمد صلى الله عليه وآله وسلم
كان يعلم من بعض الناس وكانوا يخدعون به بذلك التعاليم وقال أبو عبيدة معنى مسحورا
ان له سحرا أى ربة فهو لا يستغنى عن الطعام والشراب فهو مثلكم وتقول العرب للجان
قد اتفخ سحره وكل من كان يأكل من آدمى أو غيره مسحور قال ابن قتيبة لا أدري ما حله
على هذا التفسير المستكره مع ان السلف فسروه بالوجوه الواضحة (انظر كيف ضربوا لك
الامثال) اى قالوا اتارة انك كاهن وتارة ساحر وتارة شاعر وتارة مجنون (فضلوا) عن
طريق الصواب فى جميع ذلك وحادوا (فلا يستطيعون سبيلا) الى الهدى أو الحق
أو الطعن الذى تقبله العقول السليمة ويقع التصديق له لأصل الطعن فقد فذلوا منه
ما قدروا عليه وقيل لا يستطيعون مخرجا لتناقض كلامهم كقولهم ساحر كاهن مجنون
شاعر ولمافرغ سبحانه من حكاية شبهة القوم فى النبوات حتى شبهتهم فى أمر المعاد فقال
(وقالوا أئذا كنا عظاما ورقانا) الاستهزام للاستسكار والاستبعاد لما بين رطوبة الحى
ويبوسة الرميم من المبادعة والمنافاة وتقرير الشبهة ان الانسان اذا مات جفت عظامه

أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون
فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ وإليه ترجعون (ولقد آتيناك سبعاً من المثانى والقرآن العظيم لاتمدن عينيك الى ما متعنا به
أزواجاً منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين) يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم كما آتيناك القرآن العظيم فلا تنظرن
الى الدنيا وزينتها وما متعنا به أهلها من الزهرة الفانية لنفتنهم فيه فلا تغبطهم بما هم فيه ولا تذهب نفسك عليهم حسرات حزنا عليهم
فى تكذيبهم لك ومخالفتهم دينك واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين أى أن لهم جانبك كقوله لقد جاءكم رسول من أنفسكم

عزير عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم وقد اختلف في السبع المثاني ما هي فقال ابن مسعود وابن عمر وابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبيرة والبخاري وغيرهم هي السبع الطوال يعنون البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف ويونس وبه نص عليه ابن عباس وسعيد بن جبيرة وقال شعبة بن مهران الفراء والحذوذ والقاصص والاحكام وقال ابن عباس بين الامثال والخبر والعبر وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابن ابي عمير قال قال سفيان المثاني المثني البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والانفال وبراءة (٣٣٢) سورة واحدة قال ابن عباس ولم يعطهن احد الا النبي صلى الله عليه وسلم

وأعطى موسى منهن ثنتين رواه هشيم عن الخجاج عن الوليد بن العديار عن سعيد بن جبيرة عنه وقال أوتى النبي صلى الله عليه وسلم سبعاً من المثاني الطوال وأوتى موسى عليه السلام ستاً فلما ألقى الألواح ارتفع اثنتان وبقيت أربع وقال مجاهد هي السبع الطوال ويقال هي القرآن العظيم وقال خصيف عن زياد بن أبي مريم في قوله تعالى سبعاً من المثاني قال أعطيتك سبعة أجزاء وأمر وانه وبشر وأندز واضرب الامثال واعدد النعم وأبشك بنبا القرآن رواه ابن جرير وابن ابي حاتم والقول الثاني انها الساتحة وهي سبع آيات روى ذلك عن علي وعمر وابن مسعود وابن عباس والبيهقي هي الآية السابعة وقد خصكم الله بها وبه قال ابراهيم التيمي وعبد الله بن عبيد بن عمير وابن ابي مليكة وشهر ابن حوشب والحسن البصري ومجاهد قال قتادة ذكر لنا انهن فاتحة الكتاب وانهن ثنيتين في كل ركعة مكتوبة أو تطوع واختاره ابن جرير واحتج بالاحاديث الواردة في ذلك وقد قدمنا في فضائل سورة الفاتحة في أول التفسير ولله الحمد

وتناثرت وتفرقت في جوانب العالم واختلفت بسائطها بما لها من العناصر فكيف يعقل بعد ذلك اجتماعها بأعيانها ثم عود الحياة الى ذلك المجموع فاجاب سبحانه عنهم كما سيأتي بان اعادة بدن الميت الى حال الحياة أمر ممكن ولو فرضت ان بدنه قد صاراً بعد شئ من الحياة ومن رطوبة الحى كالخجارة والحديد فهو كقول القائل أنظم معي وأنا ابن فلان فيقول كن ابن السلطان وأبن من شئت فسأطلب منك حتى والرافات ما تكسر وبلى من كل شئ كالفتات والحطام والرضاض قاله أبو عبيدة والكسائي والفراء والخنس يقول منه رف الشئ رفقأى حطم فهو رفوت وقيل الرفات الغبار قاله ابن عباس وقيل التراب قاله مجاهد ويؤيده انه تكرر في القران تراباً وعظاماً وقيل الرفات هو ما بلغ في دقه وتميمته وهو اسم لاجزاء ذلك الشئ المفتت اى اجزائه متفتتة (أنا لمبعوثون خلقاً جديداً) كرر الاستفهام الدال على الاستنكار والاستبعاداً كيدا وتقريراً (قل كونوا حجارة أو حديداً) قال ابن جرير معناه ان عيبتهم من انشاء الله لكم عظاماً ولحافاً كونوا أنتم حجارة في السدة أو حديداً في القوة ان قدرتم على ذلك وقال علي بن عيسى معناه انكم لو كنتم حجارة أو حديداً لم تفوتوا الله عز وجل اذا أرادكم الا أنه خرج مخرج الامر لانه أبلغ في الالزام وقيل معناه لو كنتم حجارة أو حديداً لاعدكم كما بدأكم ولا مانعكم ثم أحياكم قال النحاس وهذا قول حسن لانهم لا يستطيعون أن يكونوا حجارة أو حديداً وانما المعنى انهم قد أقروا وبخالفهم وأنكروا البعث ففعل لهم استشعروا أن تكونوا ما شئتم فلو كنتم حجارة أو حديداً لبعثتم كما خلقتم أول مرة فليس المراد الامر وانما عبر فيه بمادة الكون لتعبيرهم بها في سؤالهم قلت وعلى هذا الوجه قررنا جواب الشبهة قبل هذا (أو خلقاً ما يكبر في صدوركم) اى يعظم عندكم ما هو أكبر من الحجارة والحديد بما يشته للحياة فانكم لمبعوثون لا محالة وقيل المراد به السموات والارض والجبال لعظمها في النفوس وقال جماعة من الصحابة والتابعين المراد به الموت لانه ليس شئ أكبر في نفس ابن آدم منه والمعنى لو كنتم الموت لامتكم الله ثم بعثكم ولا يخفى ما في هذا من البعد لان معنى الآية الترتي من الحجارة الى الحديد ثم من الحديد الى ما هو أكبر في صدور القوم منه والموت نفسه ليس بشئ يعقل ويحس حتى يقع الترتي من الحديد اليه (فسيقولون من يعيدنا) الى الحياة اذا كاعظاماً ورفاتاً أو حجارة أو حديداً مع ما بين الخاليتين من التناوت (قل) يعيدكم (الذي فطركم)

وقد أورد البخاري رحمه الله ههنا حديثين أحدهما قال حدثنا محمد بن بشر حدثنا غندر حدثنا شعبة عن حبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي سعيد بن المعلى قال مرتب النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أصلي فدعاني فلم آتته حتى صليت فأنته فقال ما منعك أن تأتيني فقلت كنت أصلي فقال ألم يقل الله يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لأعمالكم أعظم سورة في القرآن قبل ان أخرج من المسجد فذهب النبي صلى الله عليه وسلم ليخرج فذكرت فقال الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته الثاني قال حدثنا آدم حدثنا ابن ابي ذئب حدثنا المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم فهذا نص في ان الفاتحة السبع المثاني والقرآن العظيم ولكن لا يتاني وصف غيرهما من السبع الطوال بذلك لما فيها من هذه الصفة كما لا يتاني وصف القرآن بكلمة بذلك أيضا كما قال تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني فهو مثاني من وجه ومتشابه من وجه وهو القرآن العظيم أيضا كما انه عليه الصلاة والسلام لما سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى فاشار الى مسجده والاية نزلت في مسجد قباء فلا يتاني فان ذكر الشيء لا يتنى ذكر ما عداه اذا اختلف في تلك الصفة والله أعلم وقوله لا تمدن عينيك (٣٣٣) الى ما متعناه أزواجهم أي استغن عما نال الله

من القرآن العظيم عما هم فيه من المتاع والزهرة القانية ومن ههنا ذهب ابن عينية الى تفسير الحديث الصحيح ليس مما نسي لم يتغن بالقرآن الى انه يستغنى به عما عداه وهو تفسير صحيح ولكن ليس هو المقصود من الحديث كما تقدم في أول التفسير وقال ابن أبي حاتم ذكر عن وكيع بن الجراح حدثنا موسى بن عبيدة عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي رافع صاحب النبي صلى الله عليه وسلم قال ضاف النبي صلى الله عليه وسلم ضيف ولم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم أمر يصلحه فارسل الى رجل من اليهود يقول لك محمد رسول الله أسلفني دقيقتا الى هلال رجب قال لا الابرهن فأبى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أما والله أني لأمن من في السماء وأمين من في الارض ولئن أسلفني أو باعني لأؤدين اليه فلما خرجت من عنده نزلت هذه الآية لا تمدن عينك الى ما متعناه أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا الى آخر الآية كأنه يعز به عن الدنيا قال العوفي عن ابن عباس لا تمدن عينك قال نسي الرجل ان يتنى مال صاحبه وقال مجاهد الى ما متعناه أزواجاً منهم

خلقكم واختركم (أول مرة) اي عند ابتداء خلقكم من غير مثال سابق ولا صورة متقدمة فن قدر على البدء والانشاء قدر على الاعادة بل هي أهون (فسيغضون اليك رؤسهم) اي يحركونها استهزاء يقال بغض رأسه ينغض نغضا ونغوضا اذا تحرك وأنغض رأسه حركه كالمعجب من الشيء (ويقولون) استهزاء وسخرية (متى هو) اي البعث والاعادة (قل عسى أن يكون قريبا) اي هو قريب لان عسى في كلام الله واجب الوقوع ومثله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا وكل ما هو آت قريب (يوم يدعوكم) الظرف منتصب بفعل مضمراى اذ كرا وبديل من قريبا والتقدير يوم يدعوكم كان ما كان والدعاء النداء الى المحشر بكلام يسمعه الخلائق وقيل هي الصيحة التي يسمعونها فتكون داعية لهم الى الاجتماع في أرض المحشر وقيل ان المنادى جبريل وان النافخ اسرافيل وصورة الدعاء والنداء ان يقول أيها العظام البالية والواصل المنقطعة واللحوم المتفرقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن أن تحتمن لفصل القضاء قاله الجلال المحلى في سورة ق (فتستجيبون بحمده) منقادين له حامدين لمفاعله بكم وقيل المعنى فتستجيبون والحمد لله أوله الحمد وقدرى ان الكفار عند خروجهم من قبورهم يقولون سبحانك اللهم وبحمداً قاله سعيد بن جبير وقيل المراد بالدعاء هنا البعث والاستجابة انهم يبعثون فالمعنى يوم نبعثكم فتبعثون منقادين والاستجابة موافقة الداعي فيما دعا اليه وهي الاجابة الآن الاستجابة تقتضى طلب الموافقة فهي أوكد من الاجابة وقيل هذا خطاب مع المؤمنين فانهم يبعثون حامدين قال ابن عباس معنى بحمده بأمره وقال قتادة بعرفته وطاعته (وتظنون) عند البعث (ان لبتنم) ان نافية وهي معلقة للظن عن العمل وقل من يذ كر ان النافية في أدوات تعليق هذا الباب أى ما لبتنم في الدنيا أو في قبوركم (الا زمنا قليلا) وقيل بين النفتين وذلك ان العذاب يكف عن المعذبين بين النفتين وذلك أن يكون عاما ينامون فيها فلذلك قالوا من بعثنا من مرقدنا وقيل ان الدنيا تحقرت في أعينهم وقلت حين رأوا يوم القيامة لهول ما يرون فقالوا هذه المقالة قاله قتادة (وقل) يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم (لعبادى) المؤمنين (يقولوا) عند محاورتهم للمشركين الكلمة (التي هي أحسن) من غيرها من الكلام الخشن كان يقولوا اللهم انكم من أهل النار فانه يوجبهم الى الشر مع ان عاقبتهم مغيبة عنا وهذا كقوله سبحانه ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي

الاغنياء (وقل انى أنا النذير المبين كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) يأمر تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول للناس انى أنا النذير المبين بين النذارة نذير للناس من عذاب أليم ان يحل بهم على تكذيبه كما حل عن تقدمهم من الامم المكذبة لسلها وما أنزل الله عليهم من العذاب والانتقام وقوله المقتسمين أى المتخالفين أى تخالفوا على مخالفة الانبياء وتكذيبهم وأذاهم كقوله تعالى اخبارا عن قوم صالح انهم قالوا اتقاسموا بالله لنبيته وأهله الآية أى نقتلهم لئلا قال مجاهد تقاسموا وتحالفوا واتقاسموا بالله جهد أي ما نسهم لا يعث الله من موت أولم تكونوا أقمتم من قبل الآية أهؤلاء الذين

أقسمتم لا ينالهم الله برحمة فكأنهم كانوا لا يكذبون بشيء من الدنيا إلا أقسموا عليه فسموا مقسمين قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم
المقسمون أصحاب صالح الذين تقاسموا بالله لنبيته وأهله وفي الصحاح عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنما منى
ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومه فقال يا قوم اني رأيت الجيش بعيني واني انا النذير العريان فالنجاء النجاء فاطاعه طائفة
من قومه فادخلوا وانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبه طائفة منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم فذلك
مثل من أطاعني واتبع ما جئت به ومثل من (٣٣٤) عصاني وكذب ما جئت به من الحق وقوله الذين جعلوا القرآن عضين

أحسن وقوله فقولاه قولاً لنا لان الخاشنة لهم ربما تنفرهم عن الاجابة أو تؤدي الى
ما قال سبحانه ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم وهذا كان
قبل نزول آية السيف وقيل المعنى قل لهم يا مروءات ائمن بالله به وبنهوا عما نهى الله عنه
وقيل هذه الآية للمؤمنين فيما بينهم خاصة والاولى كما يشهد له السبب قال ابن سيرين
يعنى لاله الا الله وعن ابن جريح في الآية قال يعفون عن السيئة وعن الحسن قال يقول
له يرحمك الله يعقر الله لك (ان الشيطان يترغ بينهم) بالفساد والقاء لعداوة والاغراء
فلعل الخاشنة معهم تفضى الى العناد وازدياد الفساد قال اليزيدي نزغ ينفنا أى أفسد
وقال غيره النزغ الاغراء قال قتادة نزغ الشيطان تحريشه وفي القاموس نزغ كنعنه طعن
فيه واعتابه وينهم أفسد وأغوى ووسوس (ان الشيطان كان للانسان عدواً مبيناً) اى
متظاهر بالعداوة مكاشفها وهو تلعيل لما قبله وقد تقدم مثل هذا في البقرة (ربكم أعلم
بكم) اى بعاقبة أمركم كما يدل عليه قوله (ان يسأركم وان يسأركم) قيل هذا
خطاب للمشركين والمعنى ان يسأركم للاسلام فيرجحكم أو يمتكم على الشرك
فيعد بكم وقيل هو خطاب للمؤمنين أى ان يسأركم بان يحفظكم من الكفار أو يرجكم
بالتوبة والايان وان يسأركم بتسليطهم عليكم وقيل ان هذا تفسير للكلمة التى هى
أحسن (وما أرسلناك عليهم وكيلاً) اى ما وكلناك في منعهم من الكفر وقرهم على
الايان وقيل ما جعلناك كفيلاً لهم تؤخذهم قيل نسختها آية القتال (وربك أعلم بن
في السموات والارض) ذاتا وحالاً واستحقاقاً فيختار منهم نبوته وولايته من يشاء وهو
رد لاستبعاد قريش أن يكون يقيم أى طالب نبياً وأن يكون العراة الجوع أصحابه قاله
البيضاوى اقول عبر بهذه العبارة حكاية عن الكفار والافلايح يجوز اطلاقها على النبي
صلى الله عليه وآله وسلم حتى انه أفتى بعض المالكية بقتل قائمها كفى الشفاء فكان
ينبغي له تركها وفي هذه الباء قولان أشهرهما انها تتعلق باعلم ولا يلزم من ذلك تخصيص
علمه بما فيها فقط والثانى انها متعلقة ببعلم مقدر اى قاله الفارسي محتجاً بانه يلزم من ذلك
تخصيص علمه بما فيها وهو وهم لانه لا يلزم من ذلك الشئ نفي الحكم عما عداه وهذا هو
الذى يقول الاصوليون انه مفهوم اللقب ولم يقل به الا أبو بكر الدقاق في طائفة قليلة
والاصح خلافه فالجمهور على ان اللقب لا يحتج به قاله الكرخي وقام هذا البحث في كتابنا

أى جزوا كتبهم المنزلة عليهم
فآمنوا ببعض وكفروا ببعض قال
البخارى حدثنا يعقوب بن ابراهيم
حدثنا هشيم أياً نا أبو بشر عن
سعيد بن جبيرة عن ابن عباس جعلوا
القرآن عضين قال هم أهل الكتاب
جزؤه أجزاء فآمنوا ببعضه وكفروا
ببعضه حدثنا عبد الله بن موسى
عن الاعمش عن أنى طيبان عن ابن
عباس جعلوا القرآن عضين قال هم
أهل الكتاب جزؤه أجزاء فآمنوا
ببعضه وكفروا ببعضه حدثنا
عبد الله بن موسى عن الاعمش
عن أنى طيبان عن ابن عباس قال
كما أنزلنا على المقسمين قال آمنوا
ببعض وكفروا ببعض اليهود
والنصارى قال ابن أبي حاتم وروى
عن مجاهد والحسن والضحك
وعكرمة وسعيد بن جبيرة وغيرهم
نحو ذلك وقال الحكم بن أبان عن
عكرمة عن ابن عباس جعلوا القرآن
عضين قال السحر وقال عكرمة
العضة السحر بلسان قريش يقول
السحرة انها الكهانة وقال مجاهد
عضواً أعضاء قالوا السحر وقالوا كهانة
وقالوا أساطير الاولين وقال عطاء
قال بعضهم ساحر وقالوا مجنون

وقالوا كاهن فذلك العضين وكذا روى عن الضحاك وغيره وقال محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن
عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس ان الوليد بن المغيرة اجتمع اليه نفر من قريش وكان ذا شرف فيهم وقد حضر الموسم فقال لهم
يا معشر قريش انه قد حضر هذا الموسم وان وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بامر صاحبكم هذا فاجعوا فيه رأيوا واحداً
ولا يختلفوا في كذب بعضكم بعضاً ويرد قولكم بعضه بعضاً فقالوا وانت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأيان تقول به قال بل أنتم قولوا
لاسمع قالوا تقول كاهن قال ما هو بكاهن قالوا فنقول مجنون قال ما هو بمجنون قالوا فنقول ساعر قال ما هو بشاعر قالوا فنقول

ساحر قال ما هو بساحر قالوا فاذا نقول قال والله ان لقوله لخلوة فما اتم بقائلين من هذا شيا الاعرف انه باطل وان اقرب القول ان نقول هو ساحر فنفر قوا عنه بذلك وازل الله فيهم الذين جعلوا القرآن عصيا اصنافا فور بك لنسألهم اجمعين عما كانوا يعملون دوينك النفر الذين قالوا الرسول الله وقال عطية العوفي عن ابن عمر في قوله لنسألهم اجمعين عما كانوا يعملون قال عن لاله الا الله وقال عبد الرزاق انا بالثورى عن ليث هو ابن ابي سليم عن مجاهد في قوله لنسألهم اجمعين عما كانوا يعملون قال عن لاله الا الله وقد روى الترمذى وابو يعلى الموصلى وابن جرير وابن ابي حاتم (٣٣٥) من حديث شريك القاضي عن ليث بن ابي سليم

عن بشير بن ابي نعيم عن ائس عن النبي صلى الله عليه وسلم فور بك لنسألهم اجمعين عن لاله الا الله ورواه ابن ادرس عن ليث عن بشير عن ائس موقوفا وقال ابن جرير حدثنا اجد حدثنا ابواجد حدثنا شريك عن هلال عن عبد الله بن حكيم قال ورواه الترمذى وغيره من حديث ائس مرفوعا وقال عبد الله هو ابن مسعود والذى لاله غيره ما منكم من احد الا سخا الله به يوم القيامة كما يخلو احدكم بالقمر ليلة البدر فيقول ابن آدم ماذا غرتك متى لي ابن آدم ماذا عملت فيما عملت ابن آدم ماذا اُجبت المرسلين وقال ابو جعفر عن الربيع عن ائس في قوله فور بك لنسألهم اجمعين عما كانوا يعملون قال يسأل العباد كلهم عن خلتين يوم القيامة عما كانوا يعملون وماذا اجابوا المرسلين وقال ابن عيينة عن عمالك وعن مالك وقال ابن ابي حاتم حدثنا ائس حدثنا اجد بن ائس الحواري حدثنا ابونس الحذاء عن ائس عن ائس عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاذ

حصول المأمول من علم الاصول فراجع هذه الآية اعم من قوله بكم اعلم بكم لان هذا يشمل كل ما في السموات والارض من مخلوقاته وذلك خاص ببنى آدم وبيعضهم وهذا كالتوطئة لقوله (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) أى ان هذا التفضيل عن علم منه عن هو أعلى رتبة وبن هو دونه وعن هو يستحق مزيدا لخصوصية تكثير فضائله وفواضله أى فيخصصهم بما شاء على قدر احوالهم قيل يعنى بالفضائل النفسانية والتبرى عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع حتى داود عليه السلام فان شرفه بما أوحى اليه من الكتاب كما يأتى لاجبا وتيه من الملك وقيل هو إشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد تقدم هذا فى البقرة وقد اتخذ الله ابراهيم خليلا وموسى كليما وجعل عيسى كلمته ووروجه وجعل سليمان على نبينا وعليهم الصلوات والتسليمات ملكا عظيما وغفر ل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما تقدم من ذنبه وما تأخر وجعله سيدا ولد آدم وفى هذه الآية دفع لما كان ينكره الكفار مما يحكيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ارتفاع درجته عند ربه عز وجل ثم ذكر ما فضل به داود فقال (وايناد داود زورا) أى كتابا زورا قال الزجاج أى فلا تنكروا تفضيل محمد صلى الله عليه وآله وسلم واعطاءه القرآن فقد أعطى الله داود زورا وفيه دلالة على وجه تفضيله وأنه خاتم الانبياء وان أمته خير الامم لان ذلك مكتوب فى الزبور قال تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذ كر ان الارض يرثها عبادى الصالحون وهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأمه وانما خص كتاب داود بالذ كر لان اليهود زعمت انه لانبى بعد موسى ولا كتاب بعد التوراة فكذبهم الله بقوله هذا وتعريف الزبور تارة وتشكيه أخرى امالانه فى الاصل فعول بمعنى المفعول أو مصدر بمعنى كالمقبول واما لان المراد ايتاء داود زورا من الزر فبهذا ذكره صلى الله عليه وآله وسلم قال قتادة كنا نحدث ان الزبور دعاء داود وتحميد وتمجيد لله عز وجل ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود ولا احكام وعن الربيع بن ائس قال الزبور شئ على الله ودعاء وتسييح قلت الامر كما قاله قتادة والربيع فاننا وقفنا على الزبور فوجدناه خطبا يحط بهاد اود عليه السلام ويحاطب بهار به عند دخوله الكنيسة ووجلتها مائة وخمسون خطبة كل خطبة تسمى مزورا بفتح الميم الاولى وسكون الزاى وضم الميم الثانية وآخره راء فى بعض هذه الخطب يشكروا داود على ربه من أعدائه ويستنصره عليهم وفى بعضها يحمدا لله ويعجده ويثني

ان المرئى سئل يوم القيامة عن جميع سعيه حتى كحل عينيه وعن فتات الطينة باصبعه فلا ألفينك يوم القيامة وأحد غيرك أسعد بما آتاك الله منك وقال على بن ائس طحمة عن ابن عباس فى الآية فى قوله فور بك لنسألهم اجمعين عما كانوا يعملون ثم قال فيومئذ لا يستل عن ذنبه ائس ولا جان قال لا يسألهم هل علمت كذا لانه اعلم بذلك منهم ولكن يقول لم علمت كذا وكذا (فاصدع عما تؤمر وأعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) يقول تعالى أمر ارسوله صلى الله عليه وسلم ابلاغ

ما بعثه به وانفاذه والصدع به وهو موأجهة المشركين به كما قال ابن عباس في قوله فاصدع بما تؤمر أي امضه وفي رواية افعل
ما تؤمر وقال مجاهد هو الجهر بالقرآن في الصلاة وقال أبو عبيدة عن عبد الله بن مسعود ما زال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا
حتى نزلت فاصدع بما تؤمر فخرج هو وأصحابه وقوله وأعرض عن المشركين أنا كقيناك المستهزئين أي بلغ ما أنزل اليك من ربك
ولا تلتفت الى المشركين الذين يريدون ان يصدوك عن آيات الله ووددوا لو تدهن فيدهنون ولا تحفهم فان الله كافيك ايهم وحافظك
منهم كقوله تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك (٣٣٦) من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس وقال

عليه بسبب ما وقع له من النصر عليهم والغلبة لهم وكان عند الخطبة يضرب بالقيشارة
وهي آلة من آلات الملاهي وقد ذكر السيبوطي في الدر المنثور ههنا روايات عن جماعة
من السلف يذكرون ألفاظا وقفوا عليها في الزبور ليس لها كثير فائدة فقد أغنى عنها
وعن غيرهما ما شتم عليه القرآن من المواعظ والزواجر (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه)
هنا رد على طائفة من المشركين كانوا يعبدون تماثيل على انها صور الملائكة وعلى
طائفة من أهل الكتاب كانوا يقولون بالهية عيسى ومريم وعزير فامر الله سبحانه رسوله
صلى الله عليه وآله وسلم بان يقول لهم ادعوا الذين زعمتم انهم آلهة من دون الله وقيل أراد
بالذين زعمتم نقر من الجن عبدتهم ناس من العرب واتما خصصت الآية بمن ذكرنا لقوله
الآتي يتبعون الى ربهم الوسيلة فان هذا لا يليق بالجادات روى معنى ذلك عن ابن
مسعود وقال ابن عباس كان أهل الشرك يعبدون الملائكة والمسيح وعزير والشمس
والقمر (فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) أي لا يستطيعون ذلك والمعبود
الحق هو الذي يقدر على كشف الضر وعلى تحويله من حال الى حال ومن مكان الى مكان
فوجب القطع بان هذه التي تزعمونها آلهة ليست بالآلهة ثم انه سبحانه أكد عدم اقتدارهم
ببيان غاية افتقارهم الى الله في جلب المصالح و دفع المضار فقال (أولئك الذين يدعون)
قري بالتحية على الخبر وقرأ ابن مسعود بالقوية على الخطاب ولا خلاف في (يتبعون)
انه بالتحية والضمير في (الى ربهم) يعود الى العابدين أو المعبودين (الوسيلة) هي القرية
بالطاعة والعبادة أي يتضرعون الى الله في طلب ما يقربهم الى ربهم أخرجه الترمذي
وابن مردويه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سلوا الله الى
الوسيلة قالوا وما الوسيلة قال القرب من الله ثم قرأ هذه الآية (أيهم أقرب) بالوسيلة الى
الله قاله الزجاج أي يتقرب اليه بالعمل الصالح أو يتبع من هو أقرب اليه تعالى الوسيلة
فكيف بمن دونه وقيل ان يتبعون مضمون معنى يحرسون أي يحرسون أيهم أقرب اليه
سبحانه بالطاعة والعبادة (ويرجون رحمته) كما يرجوها غيرهم (ويخافون عذابه) كما
يخافه غيرهم فكيف يرجون انهم آلهة لان الآلهة يكون غنيا بالغي المطلق (ان عذاب ربك
كان محذورا) تعليلا لقوله يخافون أي ان عذابه سبحانه حقيق بان يحذر العباد من

الحافظ أبو بكر البزار حدثنا يحيى
ابن محمد بن السكن حدثنا اسحق
ابن ادريس حدثنا عون بن كهس
عن يزيد بن درهم عن أنس قال
سمعت أنسا يقول في هذه الآية أنا
كقيناك المستهزئين الذين يجعلون
مع الله الها آخر قال متر رسول
الله صلى الله عليه وسلم فغمزه
بعضهم فجا جبريل قال أحسبه قال
فغمزه في أوجع في أجسادهم كهية
الطعنة فماتوا وقال محمد بن اسحق
كان عظماء المستهزئين كما حدثني يزيد
ابن رومان عن عروة بن الزبير خمسة
نقروا كانوا ذوى أسنان وشرف في
قومهم من بني أسد بن عبد العزى بن
قصي الاسود بن المطلب أبو زمة
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيما بلغني قد دعا عليه لما كان يبلغه
من اذاه واستهزائه فقال اللهم اعم
بصره وأكمله ولده ومن بني زهرة
الاسود بن عبد يغوث بن وهب بن
عبد مناف بن زهرة ومن بني مخزوم
الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن
مخزوم ومن بني أمية بن عبد شمس
ابن كعب بن لؤي العاص بن وائل
ابن هشام بن سعيد بن سعد ومن

خزاعة الحرث بن الطلالة بن عمرو بن الحرث بن عمرو بن ملكان فلما نادوا في الشرا وكثروا برسول الله
صلى الله عليه وسلم الاستهزاء أنزل الله تعالى فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين أنا كقيناك المستهزئين الى قوله فسوف يعلمون
قال ابن اسحق حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء ان جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف
بالبيت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه فتر به الاسود بن عبد يغوث فاشار الى بطنه فاستسقى بطنه فبات منه وعمر به
الوليد بن المغيرة فاشار الى أن جرح باسفل كعب رجله وكان أصابه قبل ذلك بسنتين وهو يجترأ زره وذلك انه متر برجل من خزاعة

يريش نبلا له فتعلق سهم من نبله بازاره فخدش رجله ذلك الخدش وليس بشئ فانتقض به فقتله ومربه العاص بن وائل فأشار الى أخص فاقدمه فخرج على حماره يريد الطائف فربض على شبرقة فدخلت في أخص قدمه فقتلته ومربه الخثر بن الطلالة فأشار الى رأسه متخط فيحيا فقتله قال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن رجل عن ابن عباس قال كان رأسهم الوليد بن المغيرة وهو الذي جمعهم وهكذا روى عن سعيد بن جبيرة وعكرمة بن موصى. قال محمد بن اسحق عن يزيد بن عروة بطوله إلا أن سعيدا يقول الخثر بن غيظلة وعكرمة يقول الخثر بن قيس قال الزهري وصدقا هو الخثر بن قيس وأمه (٣٢٧) غيظلة وكذا روى عن مجاهد ومقسم وقتادة وغير واحد منهم كانوا خمسة وقال

الشعبي كانوا سبعة والمشهور الأول وقوله الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يجعلون تهديديك ووعيدا كيد لمن جعل مع الله معبودا آخر وقوله ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمدي ربك وكن من الساجدين أي وانما نعلم يا محمد أنك يحصل لك من اذاهم لك ضيق صدر وانقباض فلا يهيدنك ذلك ولا يثنينك عن ابلاغك رسالة الله وتوكل عليه فإنه كافيك وناصر لك عليهم فاشتغل بذلك وتحميده وتسيحه وعبادته التي هي الصلاة ولهذا قال فسبح بحمدي ربك وكن من الساجدين كما جاء في الحديث الذي رواه الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية عن كثير بن مرة عن نعيم بن عمار انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى يا ابن آدم لا تعجز عن أربع ركعات من أول النهار فكذلك آخره ورواه ابو داود والنسائي من حديث مكحول عن كثير بن مرة بنحوه ولهذا كان رسول الله

الملائكة والانباء وغيرهم ثم بين سبحانه ما آل الدنيا وأهلها فقال (وان) نافية للاستغراق (من) أي مامن (قرية) أي قرية كانت من قري الكفار (الذين مهلكوها) قال الزجاج أي مامن أهل قرية إلا سيهلكون اما موت أو خراب واما بعد اب يستأصلهم وانما قال (قبل يوم القيامة) لان اهلاك يوم القيامة ليس يختص بالقرى الكافرة بل بم كل قرية لان قضاء عمر الدنيا (أو معذبوها عذابا شديدا) بالقتل وانواع العقاب اذا كفروا وعصوا وقيل الاهلاك للصالح والتعذيب للطاغية والاول أولى لقوله تعالى وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون قال ابن مسعود اذا ظهر الزنا والرأفة في قرية اذن الله في هلاكها وقد ذكر في المدارك عن مقاتل في تفسير هذه الآية عن كتب الضحاك خراب كل قرية خاصة وبلدة معينة بنوع خاص من العذاب وقسم مخصوص من الهلاك وليس بمرفوع حتى يعمد عليه أو يصار إليه (كان ذلك) المذكور من الاهلاك والتعذيب (في الكتاب) أي اللوح المحفوظ قاله ابراهيم التيمي (مسطورا) أي مكتوبا وبالسطر الخط وهو في الاصل مصدر والسطر بالتحريك مثله وجمع السطر اسطر وجمع السطر بالسكون أسطر عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان أول ما خلق الله التلم فقال له اكتب فقال ما أكتب قال اكتب القدر وما هو كائن الى يوم القيامة الى الابد أخرجه الترمذي (وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون) قال المنسرون ان أهل مكة سألو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يجعل لهم الصفا ذهابا وان يحيى عنهم جبال مكة فاتاه جبريل فقال ان شئت كان ماسأله قومك ولكنهم ان لم يؤمنوا لم يهلوا وان شئت استأنت بهم فأنزل الله هذه الآية روى معنى هذا أحمد والنسائي وغيرهما عن ابن عباس وأخرج البيهقي في الدلائل عن الربيع بن أنس قال قال الناس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو جئتنا بآية كما جاء بها صالح والنبيون فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان شئتم دعوت الله فأنزلها عليكم فان عصيتم هلكتم فقالوا لا نريد هذا والمعنى وما منعنا من ارسال الآية التي سألوها الا تكذيب الاولين فان أرسلناها وكذب بها هؤلاء عوجوا ولم يهلوا كما هو سنة الله سبحانه في عباده فالمنع مستعار للترك والاستثناء مفرغ من أعم الاشياء أي ما ترك ارسالها لشيء من الاشياء

(٤٣ فتح البيان خامس) صلى الله عليه وسلم اذا حربه أمر صلى وقوله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين قال البخاري قال سالم الموت وسالم هذا هو سالم بن عبد الله بن عمر كما قال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا يحيى بن سعيد عن سفيان حدثني طارق بن عبد الرحمن عن سالم بن عبد الله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين قال الموت وهكذا قال مجاهد والحسن وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم وغيره والدليل على ذلك قوله تعالى اخبارا عن أهل النار انهم قالوا ألم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائفين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أنانا اليقين وفي الصحيح من حديث الزهري عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أم العلاء امرأة من الانصار ان

رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل على عثمان بن مظعون وقد مات قالت أم العلاء رجة الله عليك أبا السائب فشهدا دق عليك لقد
 أكرمك الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدريك ان الله أكرمهم فقلت بأبي وأمي يا رسول الله فمن فقال ما هو فقد جاءه اليقين
 وانى لا رجولة الخير ويستدل بهذه الآية الكريمة وهي قوله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين على ان العبادة كالصلاة ونحوها
 واجبة على الانسان مادام عنده نأبأ في صلى بحاله كما ثبت في صحيح البخارى عن عمران بن حصين رضى الله عنهم ان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قال صل قائما فان لم تستطع فاعدا فان لم تستطع فعلى جنب ويستدل به على تنظيها من

ذهب من الملاحدة الى ان المراد
 باليقين المعرفة حتى وصل أحدهم
 الى المعرفة سقط عنه التكليف
 عندهم وهذا كفر وضلال وجهل
 فان الانبياء عليهم السلام كانوا هم
 وأصحابهم أعلم الناس بالله وأعرفهم
 بحقوقه وصدقاته وما يستحقون
 التعظيم وكانوا مع هذا عبد الناس
 وأكثر الناس عبادة ومواظبة على
 فعل الخيرات الى حين الوفاة وانما
 المراد باليقين ههنا الموت كما قدمناه
 والله الحمد والمنة والحمد لله على
 الهداية وعلية الاستعانة والتوكل
 وهو المسؤول ان يتوفانا على أكمل
 الاحوال وأحسنها فانه جواد كريم
 آخر تفسير سورة الحجر والحمد لله رب
 العالمين

* (تفسير سورة النحل وهي مكية) *
 * (بسم الله الرحمن الرحيم) *
 (أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه
 وتعالى عما يشركون) يخبر تعالى
 عن اقتراب الساعة ودنوها معبرا
 بصيغة الماضى الدال على التحقيق
 والوقوع لا محالة كقوله اقترب
 للناس حسابهم وهم في غفلة
 معرضون وقال اقتربت الساعة
 وانشق القمر وقوله فلا تستعجلوه أى
 قرب ما تساعد فلا تستعجلوه يحتمل

الاتكذيب الاولين فان كذب بها هؤلاء كما كذب بها أولئك لحيلهم ما حل بهم
 لاشتراكهم في الكفر والعناد والحاصل ان المانع من ارسال الآية التي اقترحوها هو ان
 الاقتراح مع التكذيب موجب للهلاك الكلى وهو الاستئصال وقد عزمنا على ان نؤخر
 أمر من بعث اليهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم الى يوم القيامة وقيل معنى الاية ان
 هؤلاء الكفار من قريش ونحوهم مقلدون لا بأثم فلا يؤمنون البتة كما لم يؤمن أولئك
 فيكون ارسال الآيات ضائعا ثم انه سبحانه استشهد على ما ذكر بقصة صالح ونافته فانهم
 لما اقترحوا عليه ما اقترحوا من الناقة وصفته التي قد بينت في محل آخر وأعطاهم الله
 ما اقترحوا فلم يؤمنوا واستوصلوا بالعذاب وانما خص قوم صالح بالاستئصال لان آثار
 اهلاكهم في بلاد العرب قريبة من قريش وأمثالهم يصرون ما صادرهم وواردهم فقال
 (واتينا ناعمود الناقة) آية (مبصرة) أى ذات ابصار يدركها الناس بابصارهم كقوله وجعلنا
 آية النهار مبصرة أو اسند اليها حال من يشاهدها مجازا وانها جعلت لهم ذوى ابصار من
 أبصره اذا جعله بصيرا (فظلموا بها) أى بتكذيبها أو بفسادها أو بكفرها (الظالمين ولم
 يكتفوا بما عجزوا عن الكفر أو بالخطأ فدفعنا جناهم بالعقوبة (وما نرسل بالآيات) المقترحة
 (الاخوة يناب) من نزول العذاب المستأصل فان لم يخافوا أنزل أو بغير المقترحة كالمعجزات
 وآيات القرآن الاخوة يناب عذاب الآخرة فان أمر من بعث اليهم مؤخر الى يوم القيامة
 اختلف في تفسير الآيات على وجوه الاول ان المراد بها العبر والمعجزات التي جعلها الله
 على أيدي الرسل من دلائل الانذار نحو: بما للمكذبين الثاني انها آيات الانتقام نحو: يقامن
 المعاصي الثالث تغلب الاحوال من صغرى الشباب ثم الى تكهله ثم الى شيب ليعتبر
 الانسان بتقلب أحواله فيخاف عاقبة أمره الرابع آيات القرآن الخامس الموت الذريع
 والمناسب للمقام تفسير الآيات المذكورة بالآيات المقترحة كما تقدم ولما ذكر سبحانه
 الامتناع من ارسال الآيات المقترحة على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم للصارف المذكور
 قوى قلبه بوعد النصر والغاية فقال (و) اذ كر (اذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس) يعنى
 انهم في قبضته وتحت قدرته فلا سبيل لهم الى الخروج مما يريد منهم لاحاطتهم به يعلمه
 وقدرته وقيل المراد بالناس أهل مكة واحاطتهم بهم اهلاكة اياهم أى ان الله سيملكهم وغير
 بالماضى تنبيه على تحقق وقوعه وذلك كما وقع في يوم بدر يوم الفتح وقيل المراد انه سبحانه

عصمه

أن يعود الضمير على الله ويحتمل أن يعود على العذاب وكلاهما متلائم كما قال تعالى ويستعجلونك

بالعذاب ولولا أجل مسمى لحاءهم العذاب واياتهم بغتة وهم لا يشعرون يستعجلونك بالهذاب وان جهنم محيطه بالكافرين
 وقد ذهب الضحاك في تفسيره هذه الآية الى قول عيب فقال في قوله أى أمر الله أى فرائضه وحدوده وقد رده ابن جرير فقال لا نعلم
 أحد استعمل بالفرائض والشرايع قبل وجودها بخلاف العذاب فانهم استعجلوه قبل كونه استبعادا وتكديبا قلت كما قال تعالى

(1) هذا على تقدير تضمين ظلموا معنى جحدوا وكفروا اه

يستعمل به الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق إلا أن الذين يمارون في الساعة في ضلال بعد وقال
ابن أبي حاتم ذكر عن يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عياش عن محمد بن عبد الله بن علي المغيرة بن شعبة عن كعب بن علقمة عن عبد
الرحمن بن بريدة عن عتبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطاع عليكم عند الساعة سبحانه سوداء من المغرب
مثل الترس فما زال ترتفع في السماء ثم ينادى منادها يا أيها الناس فيقبل الناس بعضهم على بعض هل سمعتم فتم من يقول نعم
ومنهم من يشك ثم ينادى الثانية يا أيها الناس فيقول الناس بعضهم (٣٢٩) لبعض هل سمعتم فيقولون نعم ثم ينادى الثالثة

يا أيها الناس أتى أمر الله فلا
تستعجلوه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فوالذي نفسي بيده إن
الرجلين لنفشران الثوب فما
يطويانه أبدأ وإن الرجل لم يبدن
حوضه فما يسقى فيه شيئا أبدأ وإن
الرجل ليحلب ناقته فما يشربه أبدأ
قال ويستعمل الناس ثم أنه تعالى نزه
نفسه عن شركهم بغيره وعبادتهم
معها مساواة من الأوثان والأنداد
تعالى وقدس علوا كبيرا وهو لاه
هم المكذبون بالساعة فقال سبحانه
وتعالى عما يشركون (ينزل
الملائكة بالروح من أمره على من
يشاء من عباده أن أنزله أو لا اله إلا
أنافاتون) يقول تعالى ينزل الملائكة
بالروح أي الوحي كقوله وكذلك
أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت
تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن
جعلناه نورا لمن يشاء من عباده
وهم الأنبياء كما قال تعالى الله اعلم
حيث يجعل رسالته وقال الله
يصطفى من الملائكة رسلا ممن
الناس وقال يلقى الروح من أمره
على من يشاء من عباده لينذر يوم
التلاق يوم هم بارزون لا يخفى على

عصمه من الناس أن يفتعلوه حتى يبلغ رسالته إليه (وما جعلنا الرؤيا التي أرى ناك الأفتنة
للناس) لما بين سبحانه أنزال الآيات يتضمن الخويف ضم إليه ذكر آية الاسراء وهي
المدكورة في صدر السورة وسماها رؤيا لأنها وقعت بالليل أولان الكفرة قالوا له المهارؤيا
وقد قدمنا في صدر السورة وجهها آخر في نفسه سير هذه الرؤيا وكانت الفتنة ارتداد قوم
كانوا أسلموا حين أخبرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه أسرى به وقيل كانت رؤيا يوم
وان النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى أنه يدخل مكة وهو وأصحابه وهو يومئذ بالمدينة فسار
إلى مكة قبل الاجل فردد المشركون فقال ناس قد رد وقد كان حدثنا أنه سيدخلها
فكانت رجعتهم ففتنهم فافتن المسلمون لذلك فلما فتح الله مكة نزل قوله تعالى لقد صدق الله
رسوله الرؤيا بالحق وقد تعقب هذا بيان هذه الآية بمكة والرؤيا بالمدكورة كانت بالمدينة
وأجيب بأنه لا يعد أنه صلى الله عليه وآله وسلم رأى ذلك بمكة ثم كان حقيقة بالمدينة وفيه
تكلف وقال الخفاجي بعيد لقله جدواه قيل ان هذه الرؤيا هي أنه رأى بني مروان يتزور
على منبره نزول القرعة فساء ذلك فقبل انما هو هي الدنيا اعطوا فاسرى عنه وفيه ضعف
جدواه لافتنه للناس في هذه الرؤيا إلا ان يراد بالناس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وحده ويراد بالفتنة ما حصل من الاساءة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو يحتمل على
انه قد كان أخبر اناس بها فافتنوا وقيل ان الله سبحانه أراه في المنام مصارع قريش حتى
قال والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم وهو يوحى إلى الارض ويقول هذا مصرع فلان
هذا مصرع فلان فلما سمع ذلك قريش جعلوا رؤياه سخوية وقد تعارضت هذه الاسباب ولم
يمكن الجمع بينها فالواجب المصير إلى الترجيح والراجح كثرة وصحة هو كون سبب نزول هذه
الآية قصة الاسراء فتعين ذلك قال ابن عباس رؤيا عين أرى رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم ليلة المعراج وهي ليلة أسرى به إلى بيت المقدس أخرجه البخاري وبه قال سعد بن
جبير والحسن ومسلم وروى وقتادة ومجاهد وعكرمة وابن جرير وغيرهم وقد حكى ابن كثير
اجماع الحجة من اهل التأويل على ذلك في الرؤيا وفي تفسير الشجرة الآتية وانها شجرة الزقوم
فلا اعتبار بغيرهم معهم (والشجرة الملعونة في القرآن) عطف على الرؤيا قيل والتقدير
وما جعلنا الرؤيا التي أرى ناك والشجرة الملعونة في القرآن الأفتنة للناس قال جمهور
المفسرين هي شجرة الزقوم وكذا أخرجه أحمد والبخاري والترمذي والنسائي وغيرهم عن

الله منهم شيء لمن الملائكة اليوم لله الواحد القهار وقوله ان اندروا اي لينذروا انه لا اله الا انافاتون أي فاتفقوا عقوبتي لمن خالف
أمرى وعبدي غيري (خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين) يخبر تعالى
عن خلقه العالم العلوي وهو السموات والعالم السفلي وهو الارض بما ساحت وان ذلك مخلوق بالحق لا للبعث بل ليحزى الذين أسأوا
بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ثم نزه نفسه عن شركه من عبده غيره وهو المستقل بالخلق وحده لا شريك له فلهذا يستحق
أن يعبد وحده لا شريك له ثم به على خلق جنس الانسان من نطفة أي مهينة ضعيفة فلما استقل ودرج اذا هو يتخاصم به تعالى
ويكذبه ويحارب رسوله وهو اعياخا لكي يكون عبدا لا يعبده كما يقوله تعالى وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان

ربك قدرا ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا وقوله أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم وفي الحديث الذي رواه الامام أحمد وابن ماجه عن بشر بن جحاش قال بصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في كفه ثم قال يقول الله تعالى ابن آدم ائني تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك فعدلتك مشيت بين يديك وللارض منك وتندجعت ومنعت حتى اذا باغت الحلقوم قلت ائصدق (٣٤٠) واني آوان الصدقة (والانعام خلقها لكم فيها دنيا ومنافع ومنها

ماتاً تكون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم الى بلدكم تكونوا بالغيه الابشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم) يئن تعالى على عباده بما خلق لهم من الانعام وهي الابل والبقر والغنم كما فصلها في سورة الانعام الى ثمانية اروج وبما جعل لهم فيها من المصالح والمنافع من اصوافها وأوبرها وأشعارها يلبسون ويفترشون ومن ألبسها بشريون وبأ تكون من اولادها وما لهم فيها من الجمال وهو الزينة ولهذا قال ولكم فيها جمال حين تريحون وهو وقت رجوعها عشيا من الرعي فانها تكون أمده خواصر وأعظمه ضرعا وأعله اسنة وحين تسرحون أي غدرة حين تبعثونها الى المرعى وتحمل أثقالكم وهي الاجال الثقيلة التي تعجزون عن نقلها وجعلها الى بلدكم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس وذلك في الحج والعمرة والغزو والتجارة وما جرى مجرى ذلك يستعملونها في أنواع الاستعمال من ركوب وتحميل كقولها وان لكم في الانعام لعبرة تنسقبكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها ما تكون وعليها وعلى الفلك تحملون وقال الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها ما تكون ولكم فيها منافع وتبلغوا عليها حاجتكم في صدوركم منصوب وعليها وعلى الفلك تحملون ويرىكم آياته فأى آيات الله تنكرون ولهذا قال ههنا بعد تعداد هذه النعم ان ربكم لرؤف رحيم أي ربكم الذي قض لكم هذه الانعام وسخرها لكم كقوله أولم يروا أنا خلقناهم مما عملت أيدينا ناعما فهم لها مالكون وذلك لانها لهم فنها ركوبهم ومنها ما تكون وقال وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين واننا الى ربنا لمنقلبون قال ابن عباس لكم فيها دنيا ومنافع ما تنتفعون به من الاطعمة والاشربة وقال عبد الرزاق اخبرنا سير ائبل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس دف ومنافع نسل كل دابة وقال مجاهد لكم

ابن عباس والمراد ببلعها العن آكلها كما قال سبحانه ان شجرة الرقوم طعام الاثيم قال الزجاج ان العرب تقول لكل طعام مكروه ملعون ولان اللعن هو الابعاد من الرحمة وهي في أصل الخيم في ابعاد مكان من الرحمة ومعنى الفسنة فيها ان ابا جهل وغيره قالوا زعم صاحبكم ان نار جهنم تحرق الخجر ثم يقول تنبت فيه الشجر فانزل الله هذه الآية وما قدره الله حق قدره اذ قالوا ذلك فانه لا يمنع ان يجعل الله الشجرة من جنس لاتا كاه النار فور السهمندر وهو دويبة يبلاد الترك تتخذ منه مناديل اذا نسخت طرحت في النار فذهب الوسخ وبقي المنديل سالما لا تعمل فيه النار وترى النمامة تتبلع الجمر فلا يضرها وخلق في كل شجرة نارا فلا تحرقها فجاز ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها وروى ان ابا جهل امر جارية فاحضرت تمر او زبادا وقال لا يحبا به ترتقوا وقال ابن الزبير كثر الله من الرقوم في داركم فانه التمر والزبد بلغة الين وقيل هي التي تلتوى على الشجرة فتقتلها وهي شجرة الكشوث وقيل هي الشيطان وقيل هي اليهود وقيل بنو امية وعن عائشة انها قالت لم روان بن الحكم سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لا يبك وجدك انكم الشجرة الملعونة في القرآن وفي هذا انكاره (وتخوفهم) بالآيات وينظرونها وايتار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار (فما يزيدهم) التخويف (الاطغيانا) متجاوزا للحد متداعيا غاية التمداد (كبيرا) فما يفيدهم ارسال الآيات الا الزيادة في الكفر فعند ذلك نفعل بهم ما فعلناه بمن قبلهم من الكفار وهو عذاب الاستمصال ولما كان قضيها بأخير العقوبة ولما ذكر سبحانه ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان في بلية عظيمة من قومه ومحنة شديدة أراد ان يبين ان جميع الانبياء على نبينا وعليهم الصلاة والسلام كانوا كذلك حتى ان هذه عادة قديمة سنه ابليس اللعين مع اول الانبياء وايضا لما ذكر ان الذين يدعون يتبعون الى ربهم الوسيلة أي هم أقرب ويرجون رحمة ويخافون عذابه ذكره هنا ما يحقق ذلك فقال (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) هذه القصة قد ذكرها الله سبحانه في سبعة مواضع في البقرة والاعراف والحجر وهذه السورة والكهف وطه وص وقد تقدم تفسيرها مبسوطا (فسجدوا لآدم) اسجدوا لآدم لان خلقنا طينا) نصب بنزع الخافض أي من طين كما صرح به في الآية الاخرى وخلقته من طين وذلك ان آدم خلق من تراب الارض من عذبه وملحها فن خلق من العذب فهو سعيد ومن خلق من الملح فهو شقي وقال الزجاج

فيمادف قال لباس ينسج ومنافع مركب ولحمه ولبن وقال قتادة دف ومنافع يقول لكم فيه لباس ومنفعة وبلغه وكذا قال غير واحد من المفسرين بالفاظ متقاربة (والخيل والبغال والحمير لركوبها حرام ولا يخلق ما لا تعلمون) هذا صنف آخر مما خلق تبارك وتعالى لعبادته يتن به عليهم وهو الخيل والبغال والحمير التي جعلها للركوب والزينة بها وذلك أكبر المقاصد منها ولما فضلها على الانعام وأفردها بالذكرا استدل من استدل ممن ذهب من العلماء الى تحريم لحوم الخيل بذلك على ما ذهب اليه فيها كالا امام أبي حنيفة رحمه الله ومن وافقه من الفقهاء بانه تعالى قرنها بالبغال والحمير وهي حرام كما ثبتت (٣٤١) به السنة النبوية وذهب اليه اكثر العلماء وقدرى

منصوب على الحال أو التمييز وتبعه فيه ابن عطية ولا يظهر ذلك اذ لم يتقدم اجاب ذات ولا نسبة (قال اريتك) أي اخبرني عن (هذا الذي كرمت) أي فضلته (على) يا امرى بالسجود لم كرمته على وقد خلقتني من نار ولم يجبه عن هذا السؤال اهـ الا له وتحقيرا حيث اعترض على مولاه وسأله بلم (لئن آخرتن الى يوم القيامة) كلام مبتدأ واللام موطنه للقسم وجوابه (لا تحسبن ذريته) أي لا ستولين عليهم بالاغواء والاضلال قال الواحدى أصله من احتسالك الجراد الزرع وهو ان تستأصله باحنا كهوا وتفسده وهذا هو الاصل ثم سمي الاستيلاء على الشيء وأخذه كله احتسنا كما وقيل معناه لا سوفقهم وأقودنهم حيث أردت من حنك الدابة اذا جعل الرسن في حنكها وفي المختار حنك الفرس جعل في فيه الرسن وبابه نصر وضرب والحنك المنقار يقال أسود مثل حنك الغراب وأسود حانك مثل حالك والحنك ماتحت الذقن من الانسان والمعنى الاول أنسب بمعنى هذه الآية وقال مجاهد المعنى لا تحتويهم وعن ابن زيد قال لا ضلنهم وانما أقسم اللعين هذا القسم على انه سيفعل بذرية آدم ما ذكره لعلم قد سبق اليه من سمع استرقه وأنه استنبط ذلك من قول الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها وقيل علم ذلك من طبع البشر لما ركب فيهم من الشهوات وأظن ذلك لانه وسوس لا دم فقبل منه ذلك ولم يجده عزماء كما روى عن الحسن أو قاله لما ظنه من قوة نفوذ كيد في بنى آدم وانه يجرى منهم في مجارى الدم وانهم سمح حيث يروح عندهم كيدوه وينفق لديهم وسوسته الامن عصم الله كالانبياء وصالحاء هذه الامة وهم المرادون بقوله (الا قليلا) قيل من كل ألف واحد وفي معنى هذا الاستثناء قوله تعالى سبحانه ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وبؤيد ما ذكرناه قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فانه يقيد انه قال ما قاله هنا اعتمادا على الظن (قال) الله تعالى (اذهب) ليس من الذهب الذي هو ضد الجوى وانما معناه امض لشأنك الذي اخترته خذ لا ناوتحيا به بينه وبين ما سواته نفسه أمرها وما امر خمسة القصد بها التهديد والاستدراج لا التكليف لانها كلها معاص والله لا يأمر بها والمعنى اذهب منظر الى وقت النفخة الاولى مع ان غرضه الامهال والانتظار الى النفخة الثانية وغرضه بذلك طلب أن لا يموت اصلا لانه يعلم أنه لا يموت بعد النفخة الثانية ثم عقب الذهب بذكر ما جرسه وسوء اختياره فقال (فمن تبعك) وأطاعك (منهم فان جهنم جزاؤكم) أي ابليس ومن أطاعه وانخطاب للتغليب لانه تقدم غائب

الامام أبو جعفر بن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن عيينة أنبأنا هشام الدستوائى حدثنا يحيى بن أبى كثير عن مولى نافع بن علقمة عن ابن عباس انه كان يكره لحوم الخيل والبغال والحمير وكان يقول قال الله تعالى والانعام خلقها لكم فيها دف ومنافع ومنها ما يكون فهذه للاكل والخيل والبغال والحمير لتركبوها فهذه للركوب وكذا روى من طريق سعيد بن جبير وغيره عن ابن عباس بمثله وقال مثل ذلك الحكيم بن عتيبة رضى الله عنه أيضا واستأنسوا بحديث رواه الامام أحمد في مسنده حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا ببيعة بن الوليد حدثنا ثور بن يزيد عن صالح بن يحيى بن المقدم بن معديكرب عن أبيه عن جده عن خالد بن الوليد رضى الله عنه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل لحوم الخيل والبغال والحمير وأخرجه أبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث صالح بن يحيى بن المقدم وفيه كلام ورواه أحمد أيضا من وجه آخر

بابسط من هذا وأدل منه فقال حدثنا أحمد بن عبد الملك حدثنا محمد بن حرب حدثنا سليمان بن سليم عن صالح بن يحيى بن المقدم عن جده المقدم بن معديكرب قال غزونا مع خالد بن الوليد الصائفة فقدم أصحابنا الى اللجم فسألوني رمكة فدفعتم اليهم فقبلوها وقلت مكانكم حتى أتى خالد فأسأله فأبته فسأله فقال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة خيبر فأسرع الناس في حظائر يهود فأمرنى أن أنادى الصلاة جامعة ولا يدخل الا مسلم ثم قال أيها الناس انكم قد اسرعتم في حظائر يهود الا لا يحمل أموال المعاهدين الا بحقها وحرام عليكم لحوم الاثن الاهلية وخيلها وبغالها وكل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير والرمكة هي الحجر

وقوله حبلوهي أو وثقوها في الحبل ليدبحوها والخطأ بالساتين العربية من العمران وكان هذا الصنيع وقع بعد اعطائهم العهد ومعاملتهم على الشطر والله اعلم فلو صح هذا الحديث كان نصافي تحريم الخيل ولكن لا يقاوم ما ثبت في الصحيحين عن جابر بن عبد الله قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خوم الجمر الأهلية واذن في لحوم الخيل ورواه الامام أحمد وابوداود وباسنادين كل منهما على شرط مسلم عن جابر قال ذبحنا يوم خيبر الخيل والبغال والحمير فنهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البغال والحمير ولم ينهنا عن الخيل وفي صحيح مسلم عن أسماء (٣٤٢) بنت أبي بكر رضی الله عنهما قالت فخرنا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومخاطب في قوله فمن تبعك منهم فغلب المخاطب أو يكون الخطاب مراد به من خاصة ويكون ذلك على سبيل الالتفات (جزء موفورا) أي وافرا مكمل يقال وفرتة أفره وفرا ووفرا المال بنفسه يفر ووفورا فهو وافره ومصدر ثم كرر سبحانه الامهال لابليس اللعين فقال (واستفزن) أي استرعج واستعجل واستزل واستخف (من استطعت) ان تستفزه (منهم) أي من بني آدم يقال افزه واستفزه أي أزعجه واستخفه والمعنى استخفهم (بصوتك) داعيهم الى معصية الله وقيل هو الوسوسة والغناء واللهو واللعب والمزامر (وأجلب) قال القراء وابوعبيدة من الجلبة والصبح (عليهم) وقال الزجاج أي اجمع عليهم كما تقدر عليه من مكاييدك وحبائك وأحتمهم على الاغوا فالاجلاب الجمع وقال ابن السكيت الاجلاب الاعانة أي استعن عليهم وتصرف فيهم بكل ما تقدر والامر للتهديد كما يقال اجتهد جهدك فستري ما ينزل بك (بخيلك) أي بركان جندك والخيل يقع على الفرسان كقوله صلى الله عليه وآله وسلم يا خيل الله اركبي ويقع على الافراس قاله ابن السكيت قيل الباء للملابسة أي صح وصوت عليهم حال كونك متلبسا ومصحوبا بخيلك قلت كون الباء للملابسة بعيد من حيث المعنى المراد كما تدل عليه عبارة اللغويين واللائق بها ان تكون زائفة وقد نص الشهاب على زيادتها وفي المختار جلب على فرسه يجلب جلبا صاحبه من خلفه واستخفه للسبق وكذا الجلب عليه وهذا يقتضي زيادة الباء والمعنى حث وأسرع عليهم جندك خيلا ومشاة تدركهم وتمكن منهم فليست أم (ورجلك) أي مشاتك يقال ان له خيلا ورجلا من الجن والانس فكل من ركب أو مشى في معصية الله فهو من جند ابليس والرجل بسكون الجيم جمع راجل كاجر وتجرو صاحب وصحب وقال أبو يزيد يقال رجل ورجل بمعنى راجل وقيل اسم لراجل بمعنى المشاي وقري في السبعة بكسر الجيم وهو مفرد بمعنى الجمع فهو بمعنى المشاة فالخيل والرجل كناية عن جميع مكاييد الشيطان أو المراد ضرب المثل كما تقول للرجل المجذبي الامر جنته انجيك ولرجلك والرجل على الظاهر أولى (وشاركهم في الاموال والاولاد) اما المشاركة في الاموال فهي كل تصرف فيها يخالف وجه الشرع سواء كان أخذ من غير حق أو وضع في غير حق كالغصب والسرقة والربا ومن ذلك تبنيك اذان الانعام وجعلها بحيرة وسائبة والمشاركة في الاولاد دعوى الولد بغير سبب شرعي وتحصيله بالزنا وتسميتهم بعبدة اللات والعزى والاسامة في

فرساقا كإياه ونحن بالمدينة فهذه أدل وأقوى وأثبت والى ذلك صار جمهور العلماء مالك والشافعي وأحمد وأصحابهم وأكثر السلف والخلف والله اعلم وقال عبد الرزاق أنبأنا ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال كانت الخيل وحشية فذلها الله لاصحابه لا معييل بن ابراهيم عليهم السلام وذكروهب ابن منبه في اسرائيلياته ان الله خلق الخيل من ريح الجنوب والله اعلم فقد دل النص على جواز ركوب هذه الدواب ومنها البغال وقد اهديت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغلة فكان يركبها مع انه قد نهى عن انزاع الجر على الخيل لئلا ينقطع النسل قال الامام احمد حدثني محمد بن عبيد حدثنا عمر بن آل حذيفة عن عمنه عن الشعبي عن دحية الكلبي قال قلت يا رسول الله الأجل لك جمار على فرس فمتنج لك بغلا فركبها قال نعم يفعل ذلك الذين لا يعلمون وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين) لما ذكر تعالى من

الحيوانات ما يسار عليه في السبل الحسنية به على الطرق المعنوية الدينية وكثيرا ما

تريتهم

يقع في القران العبور من الامور الحسنية الى الامور المعنوية النافعة الدينية كقوله تعالى وترتدوا فان خير الزاد التقوى وقال تعالى يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم ويرشوا ليا من التقوى ذلك خير ولما ذكر تعالى في هذه السورة الحيوانات من الانعام وغيرها التي يركبونها ويبلغون عليها حاجتهم في صدورهم وتحمل أثقالهم الى البلاد والاماكن البعيدة والاسفار الشاقة شرع في ذكر الطرق التي يسلكها الناس اليه فبين أن الحق منها موصل اليه فقال وعلى الله قصد السبيل كقوله وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وقال هذا صراطي مستقيم قال مجاهد في

قوله وعلى الله تصد السبيل قال طريق الحق على الله وقال السدي وعلى الله قصد السبيل الاسلام وقال العوفي عن ابن عباس في قوله وعلى الله قد السبيل يقول على الله البيان أي بين الهدى والضلالة وكذا روى علي بن أبي طلحة عنه وكذا قال قتادة والصحيح وقول مجاهد ههنا أقوى من حيث السياق لأنه تعالى أخبرنا ثم طرقتنا تلك إليه فلم يصل إليه منها الا طريق الحق وهي الطريق التي شرعها ورخصها وما عداها مسمومة ودودة والاعمال فيها مردودة ولهذا قال تعالى ومنها جازأرى خائرا مماثل زائع عن الحق قال ابن عباس وغيره هي الطرق المختلفة والآراء المتفرقة كأيها ودية والنصرانية والنجوسية (٣٤٣) وقرأ ابن مسعود ومنكم جاز ثم أخبر تعالى

ان ذلك كله كائن عن قدرته ومشيئته فقال ولو شاء اهتداكم أجمعين كما قال تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا وقال ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحمة ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمت ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والتخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لآية لقوم

يتفكرون) اما ذكر تعالى ما أنعم به عليهم من الانعام والدواب شرع في ذكر نعمته عليهم في انزال المطر من السماء وهو العلم بهم فيه بلغة ومتاع لهم ولا نعمهم فقال لكم منه شراب أي جعله عذبا زلالا يسوغ لكم شرابه ولم يجعله ملحا اجابا ومنه شجر فيه تسيمون أي وأخرج لكم منه شجرات ترعون فيه أنعم الله عليكم كما قال ابن عباس وعكرمة والخالك وقتادة وابن زيد في قوله فيه تسيمون أي ترعون ومنه الابل السائمة والسوم الرعي وروى ابن

تريتهم على وجه يأفون فيه خصال الشر وافعال السوء ويدخل فيه ما قتلوا من اولادهم خشية املاق وواد البنات وتصيرا اولادهم على الملة الكذرية التي هم عليهم امن الاديان الزائغة والحرف الهندية والافعال القبيحة ومن ذلك مشاركة الشيطان للجماع اذ لم يسم وعن ابن عباس انه سأله رجل فقال ان امرأتى استيقظت وفي فرجها شعله نار قال ذلك من وطء الجن ثم قال (وعدهم بانهم لا يعثون قاله الزجاج وقال الزهراء أي قل لهم لاجنة ولا نار وقيل وعدهم المواعيد الكاذبة الباطلة من النصرمة على من خالفهم وشناعة الآلهة والكرامة على الله بالانساب الشريفة والاكتمال على كرامة الله وناخير التوبة لطول الامل واينار العاجل على الاجل ونحو ذلك وهذا على طريق التهديد كقوله اعملوا ما شئتم وما يعدهم الشيطان الاغورا) أي باطلا اعتراضا لبيان وعده فانه وقع بين الجمل التي خاطب الله بها الشيطان وفيه اظهار في مقام الاضمار والالتفات عن الخطاب الى الغيبة وكان مقتضى الظاهر ان يقال وما تعدهم الاغورا وأصل الغرور ترين الخطا بما يؤهم الصواب (ان عبادي ليس لى عليهم سلطان) يعنى عباد المؤمنين كما في غير هذا الموضع من الكتاب العزيز من ان اضافة العباد اليه يراد بها المؤمنون لما في الاضافة من التشريف وقيل المراد الانبياء وأهل الصلاح والفضل لانه لا يقدر على اغوائهم وقيل المراد جميع العباد بليل الاستثناء بقوله في غير هذا الموضع الامن اتبعك من الغاوين والمراد بالسلطان التسلط (وكفى بربك) الباء زائدة في الفاعل (وكيلا) يتوكلون عليه فهو الذي يدفع عنهم كيدهم ويعصمهم من اغوائك ولهذا قال المحققون لا حول عن معصية الله الا بعصمة ولا قوة على طاعته الا بقوة (ربكم الذي يرزق) الازياء السوق والدفع والاجراء والتسبير ومنه قوله تعالى ألم تر أن الله يرزق سبحا با وهذا لتعليل لكفائته وبيان لقدرة على عصمة من توكل عليه في أو ورد وشروع في تذكير بعض النعم عليهم جلالهم على الايمان حتى لا يعبدوا غيره ولا يشركوا به أهدا والمعنى ان الله سبحانه يسير (لكم الفلك في البحر) بالريح والقلل هنا جمع بمعنى السفائن وقد تقدم والبحر هو الماء الكثير عذبا كان او ملحاً وقد غلب هذا الاسم على المشهور (لتبتغوا من فضله) أي من رزقه الذي تفضل به على عبادته أو من الربح بالتجارة أو أنواع الامتعة التي لا تكون عندكم ومن زائدة أو للتبعية (انه كان بكم رحيماً) لتعليل ثاب لما تقدم اي فهذا لكم الى صالح الدنيا كم

ما جبه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن السوم قبل طلوع الشمس وقوله ينبت لكم به الزرع والزيتون والتخيل والاعناب ومن كل الثمرات أي يخرجها من الارض بهذا الماء الواحد على اختلاف صنوفها وطعمها وهاؤها وانها ور وانحها وأشكالها ولهذا قال ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون أي دلالة وحجة على أنه لا اله الا الله كما قال تعالى آمن خالق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ألمع الله بل هم قوم بعدلون ثم قال تعالى (ونح لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون وما ذرأ لكم في الارض مختلفا ألوانه ان في ذلك لآية لقوم يذكرون) ينبت تعالى عبادته على آياته العظام ومنه الجسام في تسخير الليل والنهار بتعاقبان والشمس والقمر يدوران والنجوم

التوابت والسيارات في ارجاء السموات نوراً وضياءً ليهتدى بها في الظلمات وكل من ماسى في فلكه الذي جعله الله تعالى فيه يسير بحركة مقدرة لا يز يد عليها ولا ينقص منها والجميع ثبت قهره وسلطانه وتسخيره وتقديره وتسهيله كقوله ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا الله الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ولهذا قال ان في ذلك لايات لقوم يعقلون اي دلالات على قدرته الباهرة وسلطانه العظيم لقوم يعقلون عن الله ويفهمون معالم السموات به على ما خلق في

(٣٤٤)

الارض من الامور العجيبة والاشياء المختلفة من الحيوانات والمعادن والنباتات والجمادات على اختلاف ألوانها وأشكالها وما فيها من المنافع والخواص ان في ذلك لاية لقوم يذكرون أي آلاء الله ونعمه في شكرها (وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وألقى في الارض رواسي أن تعبدكم وأنهارا وسيلا لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم) يخبر تعالى عن تسخيره البحر المتلاطم الامواج ويمتن على عباده بتدليله لهم وتيسيرهم للركوب فيه وجعله سهلا والخيطان فيه واحلاله لعباده لجمها حيا وميتا في الحل والاحرام وما يخلق في نفسه من اللآلئ والجواهر النفيسة وتسهيله للعباد استخراجهما من قراره حلية يلبسونها وتسخيره البحر بحمل السفن التي تخمره أي تشقته وقيل

(واذا مسكم الضر) يعني خوف الغرق (في البحر ضل من تدعون) من الالهة وذهب عن خواطرهم ولم يوجد لانما تشكروا ما كنتم تدعون من دونه من صنم أو جن أو ملك أو بشر أو حجر في حوادثكم (الاياء) وحده فانكم تعقدون رجاءكم برحمته وانما تلهوا بالاستثناء متصل ان كان المراد من جميع الالهة ومنقطع ان كان المراد به غير الله ومعنى الآية ان الكفار انما يعبدون في أصنامهم وسائر معبوداتهم انها نافعة لهم في غير هذه الحالة فاما في هذه الحالة فان كل واحد منهم يعلم بالفطرة علما لا يقدر على مدافعتها ان الاصنام ونحوها لا فعل لها (فلما نجاكم) من الغرق وأوصلكم (الى البر أعرضتم) عن الاصلاح لله وتوحيده ورجعتم الى دعاء أصنامكم والاستغاثة بها (وكان الانسان كفورا) أي كثيرا الكفران لنعمة الله وهو تعليل لقوله أعرضتم والمعنى انهم عند الشدائد يتمسكون بركة الله وفي الرخاء يعرضون عنه وترك فيه خطابهم تطلقا بهم حيث لم يقبل وكنتم كفارا ثم أنكروا عليهم سبحانه سوء معاملتهم قائلا (أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر) الهزة للانكار والتوبيخ والتقريع والفاء عاطفة على مقدرو التقدير أن تجرتم من الغرق فأنتم خملكم ذلك على الاعراض فبين لهم انه قادر على اهلالهم في البر وان سلوا من البحر لان الجهات كلها وفي قدرته برا كان أو بحر اي ان كان الغرق في البحر في جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لانه يغيب تحت الثرى كما ان الفرق يغيب تحت الماء وأصل الخسف ان تنهار الارض بالشيء يقال بئر خسيف اذا انهدم أصلها وعين خاسف أي عائرة حادثة في الرأس وخسفت عين الماء اذا غار ماؤها وخسفت الشمس اذا غابت عن الارض وجانب البر ناحية الارض وسمها جانباً لانه يصير بعد الخسف جانبا وأيضا فان البحر جانب من الارض والبر جانب وقيل انهم كانوا على ساحل البحر وساحله جانب البر فكانوا فيه آمنين من مخاوف البحر فخذرهم ما آمنوه من البر كما خذرهم ما خافوه من البحر وقال السمين المعنى جانب البر الذي أنتم فيه فيلزم من خسفته هلاككم ولولا هذا التقدير لم يكن في التوعده فائدة انتهى وجعله هذه الافعال خمسة وكلها تقرأ بالياء ولا التفات حينئذ وبالنون التفاتا عن الغيبة الى التسكيم والقراءة ثمان سبعة عيان (أو يرسل عليكم حاصبا) قال أبو عبيدة والقمي الحصب الرمي أي ريمحا شديدة حاصبة وهي التي ترمي بالحصى ماء الصغار وقال الزجاج الحاصب التراب الذي فيه حصبا فالحاصب هو ذو الحصبا كالابن والتامر

تمخر الرياح وكلاهما صحيح وقيل تمخره بخرها وهو صدرها المسنن الذي أرشد العباد الى صنعها وهذا هم الى ذلك اثنان أيهم نوح عليه السلام فانه أول من ركب السفن وله كان تعليم صنعها ثم أخذها الناس عنه فربا بعد قرن وجيلا بعد جيل يسرون من قطر الى قطر ومن بلد الى بلد ومن اقليم الى اقليم فلب ما هنالك الى ما هنا وما هنا الى ما هنالك ولهذا قال تعالى ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون أي نعمه واحسانه وقد قال الحافظ أبو بكر البرقاني مسنده وجدت في كتابي عن محمد بن معاوية البغدادي حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن سهل حدثنا ابن ابي صالح عن ابيه عن ابي هريرة قال قال الله هذا البحر العربي وكلهم

وقيل

البحر الشرقي فقال للبحر الغربي اني حامل فيك عباد امن عبادي فكيف انت صانع فيهم قال اغرقهم فقال بأسك في نواحيك
واحملهم على يدي وحرمت الخلية والصيدو كما هم هذا البحر الشرقي فقال اني حامل فيك عباد امن عبادي فانت صانع بهم فقال
أحملهم على يدي وأكون لهم كالوالدة لولدها فإنا به الخلية والصيد ثم قال البزار لانعلم من رواه عن سهل غير عبد الرحمن بن عبد الله
ابن عمرو وهو منكر الحديث وقد رواه سهل عن النعمان بن أبي عياش عن عبد الله بن أبي عمرو وموقوفاً ثم ذكر تعالى الارض
وما التي فيها من الرواسي الشاخات والجبال الراسيات لتقرر الارض (٣٤٥) ولا تمد أي تضطرب بما علمها من الحيوانات

فلا يملأهم عيش بسبب ذلك
ولهذا قال والجبال أرساها وقال
عبد الرزاق أنبأنا معمر عن قيادة
سمعت الحسن يقول لما خلقت
الارض كانت تمدد فقالوا ما هذه
بمقرة على ظهرها أحد فأصبحوا
وقد خلقت الجبال فلم تدر الملائكة
مم خلقت الجبال وقال سعيد عن
قيادة عن الحسن بن قيس بن
عبادة ان الله لما خلق الارض
جعلت تمور فقالت الملائكة
ما هذه بمقرة على ظهرها أحد
فأصبحت صبحاً وفيها رواسيها وقال
ابن جرير حدثني المنثي حدثني
سجاج بن منهل حدثنا حماد عن
عطاء بن السائب عن عبد الله بن
حبيب عن علي بن أبي طالب رضي
الله عنه قال لما خلق الله الارض
فخصت وقالت اي رب تجعل علي
بن آدم يعملون الخطايا ويعملون
علي الخبث قالت فارسي الله فيها من
الجبال ماترون وما لاترون فكان
اقرارها كاللحم يترجح وقوله
وأناهارا وسبلا أي جعل فيها انهارا
تجري من كل مكان الى مكان
آخر رزق العباد ينبع في موضع

وقيل الحاصب حجارة من السماء قاله قيادة تحصبهم كما فعل بقوم لوط ويقال للسحابة
التي ترمي بالبرد حاصب (ثم لا تجدوا لكم وكيلا) أي حافظاً ونصيراً يمنعكم من بأس الله
(أم) متصلة أي أي الامرين كائن أو منقطعة أي بل (أمنتم ان يعيدكم فيه)
أي في البحر بأن يقوى دواعيكم ويوفر حوائجكم الى ركوبه وجاءه بنى ولم يقل الى البحر
للدلالة على استمرارهم فيه (تارة) أي مرة (أخرى) وهو مصدر ويجمع على تيرة
وتارات وألفها واو أو ياء (فيرسل عليكم فاصفا من الريح) القاصف الريح الشديدة التي
تكسر بشدة من قصف الشيء يقصفه من باب ضرب أي كسره بشدة والقصف الكسر
أوهو الريح التي لها قصف أي صوت شديد من قولهم رعد قاصف أي شديد الصوت
وقال ابن عباس الريح التي تغرق وقال ابن عمر والقاصف والعاصف في البحر (فيغرقكم)
وقرى بالقومية على ان فاعله الريح (بما كفرتم) أي بسبب كفركم أو بالسبب الذي
كفرتم به وما مصدرية أو بمعنى الذي (ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) أي نصيراً قاله ابن
عباس أو نائراً يظا بالنبا فعملنا انتصار لكم قال الزجاج لا تجدوا من يتبعنا بانكار ما نزل
بكم قال النحاس وهو من الثار وكذا يقال لكل من طلب بثأراً وغيره تبيع وتابع (ولقد
كرمنا) هذا الجمال لذكر النعمة التي أنعم الله على (بنى آدم) أي كرمناهم جميعاً وهذه
الكرامة يدخل تحتها خلقهم على هذه الهيئة الحسنة المعتدلة والطهارة بعد الموت
وتخصيصهم بما خصهم به من المطاعم والمشارب والملابس على وجه لا يوجد لسائر أنواع
الحيوان مثله وحكى ابن جرير عن جماعة ان هذا التكريم هو انهم يأكلون بأيديهم وسائر
الحيوانات تأكل بالقدم وكذا حكاها النحاس وقيل ميزهم بالنطق والعقل والتمييز وقيل
باعتدال القامة وامتدادها وقيل بحسن التقويم والتصوير وقيل أكرم الرجال باللحي
والنساء بالذوائب وقال ابن جريراً كرمهم بتسليطهم على سائر الخلق وتسخير سائر الخلق
لهم وقيل بالكلام والخط والفهم وقيل بحسن تدبيرهم في أمر المعاش والمعاد وقيل بان منهم
خير أمة أخرجت للناس ولا مانع من جعل التكريم على جميع هذه الاشياء وأعظم خصال
التكريم العقل فانهم به تسلطوا على جميع الحيوانات وميزوا بين الحسن والقيبح وتوسعوا
في المطاعم والمشارب وكسبوا الاموال التي تسببوا بها الى تحصيل أمور لا يتقدر عليها
سائر الحيوان وبه قدروا على تحصيل الابنية التي تمنعهم مما يخافون وعلى تحصيل

(٤٤) فتح البيان خامس) وهو رزق لاهل موضع آخر فيقطع البقاع والبراري والقفار ويحترق الجبال والأكام فيصل الى البلد
الذي يحترق لاهله وهي سائرة في الارض يمنة ويسرة وجنوبا وشمالا وشرقا وغربا ما بين صغار وكبار وودية تجرى حيناً وتقطع في وقت
وما بين نبع وجوع وقوى السير ويطئه بحسب ما أراد وقد روي سخر و يسر فلا اله الا هو ولا رب سواه وكذلك جعل فيها سبلا أي طرقا
يسلك فيها من بلاد الى بلاد حتى انه تعالى ليقطع الجبل حتى يكون ما بينهم ما يمر او مسلكا كما قال تعالى وجعلنا فيها فجاسبلا
الاية وقوله وعلامات أي دلائل من جبال كبار وأكام صغار ونحو ذلك يستدل بها المسافرون برا وبحرا اذا ضلوا الطرق وقوله

وبالنجم هم يهدون أي في ظلام الليل قاله ابن عباس وعن مالك في قوله وعلامات وبالنجم هم يهدون يقول النجوم وهي الجبال ثم نبه تعالى على عظمتها وأنه لا تنبغي العبادة إلا له دون ما سواه من الأوثان التي لا تختلف شيئاً بل هم مخلوقون ولهذا قال أفن يخلق كمن لا يخلق أفلاتن كرون ثم نبههم على كثرة نعمه عليهم واحسانه اليهم فقال وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم أي يتجاوز عنكم ولو طاب لكم بشكر جميع نعمه لعجزتم عن القيام بذلك ولو أكرمكم به لضعفتم وتركتم ولو عذبكم لعذبكم وهو غير ظالم لكم ولكنه غفور رحيم يغفر الكثير ويجازي على (٣٤٦) اليسير وقال ابن جرير يقول إن الله لغفور لما كان منكم من تقصير

في شكر بعض ذلك إذا تبتم وأنبتم إلى طاعته واتباع مرضاته رحيم بكم لا يعذبكم بعد الأوبة والتوبة (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون أموات غير أحياء وما يشعرون أيا ن يعشون) يخبر تعالى أنه يعلم الضمائر والسر التي يعلم الظواهر وسيجزي كل عامل بعمله يوم القيامة إن خيراً فخير وإن شراً فشر ثم أخبر أن الأصنام التي يدعونها من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون كما قال الخليل أتعبدون ما نتحتمون والله خلقكم وما تعملون وقوله أموات غير أحياء أي هي جمادات لا أرواح فيها فلا تسمع ولا تنصر ولا تعقل وما يشعرون أيان يعشون أي لا يدرون متى تكون الساعة فكيف يرتجى عن هذه نفع أو ثواب أو جزاء إنما يرجي ذلك من الذي يعلم كل شيء وهو خالق كل شيء (الهكم الله الواحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون لاجرم إن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون أنه لا يحب المستكبرين) يخبر تعالى

الأكسية التي تقيهم الحر والبرد وقيل تكريمهم هو أن جعل محمد أصلي الله عليه وآله وسلم منهم وأخرج الطبراني والبيهقي في الشعب والخطيب في تاريخه عن عبد الله بن عمر وقال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما من شيء أكرم على الله يوم القيامة من ابن آدم قيل يا رسول الله ولا الملائكة قال ولا الملائكة الملائكة محبوبون بمنزلة الشمس والقمر وأخرج الطبراني عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال إن الملائكة قالت يا رب أعطيت بن آدم الدنيا يا كون فيها وبشر بون ويلبسون ونحن نسيج بجمدك ولا نأكل ولا نشرب ولا نلهو فكلما جعلت لهم الدنيا فأجعل لنا الآخرة قال لأجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت كن فكان (وجعلناهم) هذا تخصيص وقأ كيد لبعض أنواع التكريم جعلهم سبحانه (في البر) على الدواب كالابل والخيل والبغال والحمير (و) في (البحر) على السفن وقيل جعلناهم فيها ما حيث لم نخسف بهم ولم نفرقهم والمعنى جعلناهم قارين فيها بواسطة أودونها كما في السباحة في الماء (ورزقناهم من الطيبات) أي لذيق المطاعم والمشارب وسائر ما يستلذونه وينتفعون به وقيل المراد الزبد والتمر والحلوى وجعل رزق غيرهم مما لا يخفى وقيل إن جميع الأغذية أمانياتية كالثمار والحبوب وما حيوانية كاللحم والسمن واللبن ولا تغذي الإنسان إلا بالطيب القسامين بعد الطبخ الكامل والنضج التام ولا يحصل هذا غير الإنسان (وفعلناهم على كثير من خلقنا تفضيلاً) والأقرب في الفرق بين التكريم والتفضيل أن يقال إن الله كرم الإنسان على سائر الحيوان بأمور خلقية طبيعية ذاتية مثل العقل ثم عرفه بواسطة اكتساب العقائد الصحيحة والأخلاق الفاضلة فالأول هو التكريم والثاني هو التفضيل أجل سبحانه هذا الكثير ولم يبين أنواعه فافاد ذلك إن بنى آدم فضلهم الله سبحانه على كثير من مخلوقاته لأعلى السكلى وقد شغل كثير من أهل العلم عما لم تكن إليه حاجة ولا تتعلق به فائدة وهو مسئله تفضيل الملائكة على الأنبياء والأنبياء على الملائكة ومن جملة ما تمسك به مفضلوا الأنبياء عليهم السلام على الملائكة هذه الآية ولادلالة لها على المطلوب لما عرفت من أجمال الكثير وعدم تبيينه والتعصب في هذه المسئلة هو الذي جعل بعض الأشاعرة على تفسير الكثير هنا بالجميع حتى يتم له التفضيل على الملائكة وهو تعسف لا حاجة إليه وتمسك بعض المعتزلة بهذه الآية على تفضيل الملائكة على الأنبياء ولادلالة لها على ذلك

أنه لا اله إلا هو الواحد الأحد الفرد الصمد وأخبر أن الكافرين تنكر قلوبهم ذلك كما أخبر عنهم متعجبين من ذلك اجعل فانه الآلهة الها واحدان هذا الشيء عجيب وقال تعالى وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دربه إذا هم يستكبرون وقوله وهم مستكبرون أي عن عبادة الله مع انكار قلوبهم لتوحيد حده كما قال إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ولهذا قال ههنا لاجرم أي حقاً إن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون أي وسيجزيهم على ذلك أتم الجزاء أنه لا يجب المستكبرين (وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين ليحملوا وأزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير

علم الاسماء ما يزورن) يقول تعالى واذا قيل لهؤلاء المكذبين ماذا أنزل ربكم قالوا معرضين عن الجواب أساطير الاولين أي لم ينزل شيئاً انما هذا الذي يتلى علينا أساطير الاولين أي مأخوذ من كتب المتقدمين كما قال تعالى وقالوا اساطير الاولين اكتبها فهي تتلى عليه بكرة وأصيلاً أي يفترون على الرسول ويقولون اقوال المتضادة مختلفة كلها باطلة كما قال تعالى انظر كيف ضرب بولك الامثال فضلوها فلا يستطيعون سبيلاً وذلك ان كل من خرج عن الحق قهراً قال اخطأ وكانوا يقولون ساحر وشاعر وكاهن ومجنون ثم استقرأ امرهم الى ما اختلقه لهم شيخهم الوحيد المسمى بالوليد بن المغيرة الخزومي لما فكر وقدر (٣٤٧) فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس

وبسر ثم أدبر واستكبر ا فقال ان هذا الاسحر يؤثر أي ينقل ويحكي فتفترقوا عن قوله ورأيه فجهم الله قال الله تعالى ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم أي انما قدرنا عليهم ان يقولوا ذلك ليحملوا أوزارهم ومن أوزار الذين يتبعونهم ويوافقونهم أي يصير عليهم خطيئة ضلالهم في أنفسهم وخطيئة اغوائهم لغيرهم واقتداء أولئك بهم كما جاء في الحديث من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل أجر من اتبعه لا ينقص ذلك من أجرهم شيئاً ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً وقال تعالى وليحملن أثقالهم وأثقالهم وليحملن أثقالهم وأثقالهم وذنوبهم وذنوبهم ولا يخفف

فانه لم يحم دليل على ان الملائكة من القليل الخارج عن هذا الكثير ولو سلمنا ذلك فليس فيما خرج عن هذا الكثير ما يفيد انه أفضل من بني آدم بل غاية ما فيه انه لم يكن الانسان مفضلاً عليه فيحتمل ان يكون مساوياً للانسان ويحتمل ان يكون أفضل منه ومع الاحتمال لا يتم الاستدلال والتأكيد بقوله تفضيه لا يدل على عظم هذا التفضيل وانه يمكن مكين فعلى بنى آدم ان يتلقوه بالشكر ويحذروا من كفرانه (يوم) أي اذكر يوم (ندعو كل اناس بامامهم) قال الزجاج يعني يوم القيامة وقرئ يدعو بالتعشية ويدعى على الجهول والاناس فعال بضم الفاء ويجوز حذف الهمزة فتخفف على غير قياس فيسبق ناس ووزنه عال والباء للالصاق كما تقول ادعوا باسمك ويجوز ان تكون متعلقة بحذف هـ حال والتقدير ندعو كل اناس متلبين بامامهم أي يدعون وامامهم فيهم نحو ركب الامير بجنوده والاول اولى والامام في اللغة كل ما يؤتم به من نبي أو مقدم في الدين أو الكتاب وقد اختلف المفسرون في تعيين الامام الذي يدعى كل اناس به فقال ابن عباس والحسن وقتادة والبخاري انه كتاب كل انسان الذي فيه عمله أي يدعى كل انسان بكتاب عمله ويؤيده ذلك قوله فاما من أوتي كتابه الاية وقال ابن زيد الامام هو الكتاب المنزل عليهم فيدعى أهل التوراة بالتوراة وأهل الانجيل بالانجيل وأهل القرآن بالقرآن فيقال يا أهل التوراة يا أهل الانجيل يا أهل القرآن وقال مجاهد وقتادة امامهم نبيهم وعن أنس مثله فيقال ها تو امتبعي ابراهيم ها تو امتبعي موسى ها تو امتبعي عيسى ها تو امتبعي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعليهم وبه قال الزجاج وروى عن أبي هريرة مرفوعاً أيضاً فيلنظر في سنده وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه المراد بالامام امام عصرهم فيدعى أهل كل عصر بامامهم الذي كانوا ياترون باهره وينتهون بنهيه وقال الحسن وأبو هريرة وأبو العالية المراد بامامهم أعمالهم فيقال مثلاً أين المجاهدون أين الصابرون أين الصائمون أين المصلون ونحو ذلك وقال أبو عبيدة المراد بامامهم صاحب مذهبهم فيقال مثلاً أين التابعون للعالم فلان بن فلان وهذا من البعد يمكن وأبعد منه ما قال محمد بن كعب بامامهم بامهاتهم على ان اماما جمع أم وكف وخفاف وأيضاً في هذا القول نظر فان في الحديث الصحيح عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا جمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة رفع لكل جبار لواء فيقال هذه غدرة فلان بن فلان أخرجه البخاري ومسلم وهذا دليل على ان الناس يدعون

عن أطاعهم من العذاب شيئاً (قدمكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين أتوا العلم ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين) قال العوفي عن ابن عباس في قوله قدمكر الذين من قبلهم قال هو النمرود الذي بنى الصرح قال ابن ابي حاتم وروي عن مجاهد نحوه وقال عبد الرزاق عن معمر عن زيد بن أسلم أول جبار كان في الارض النمرود فبعث الله عليه بعوضة فدخلت في منخره فكتأربعمائة سنة يضرب رأسه بالمطارق وأرحم الناس به من جمع يديه فضرب بهما رأسه وكان جباراً أربع مائة سنة

فعدبه الله أربع مائة سنة كل سنة كملكه ثم أماته وهو الذي نرى الصرح إلى السماء الذي قال الله تعالى فأتى الله بنيانهم من القواعد وقال آخرون بل هو مختصر وذكروا من المكر الذي كساه الله ههنا كما قال في سورة إبراهيم وان كان مكروهم لتزول منه الجبال وقال آخرون هذان باب المثل لا يظالم ما صنع هؤلاء الذين كفروا بالله وأشركوا في عبادته غيره كما قال نوح عليه السلام ومكروا مكرا كبارا أي احتملوا في اضلال الناس بكل حيلة وأمالوهم إلى شركهم بكل وسيلة كما يقول لهم أتباعهم يوم القيامة بل مكر الليل والنهار إذ تأمر وتنهان نكفروا بالله وتنجعل له أندادا (٣٤٨) الآية وقوله فأتى الله بنيانهم من القواعد أي اجتمه من أصله

وأبطل علمهم كقوله تعالى كلما أو قد وانا نار الحرب أطلقها الله وقوله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار وقال الله ههنا فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ثم يوم القيامة يخزيهم أي يظهر فضائحهم وما كانت تبخه ضمائرهم فيجعله علانية كقوله تعالى يوم تبلى السرائر أي تظهر وتشتهر كقبيصة بن أبي عمار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة عند استه بقدر غدرته فيقال هذه غدرة فلان بن فلان وهكذا هؤلاء يظهر للناس ما كانوا يسرونه من المكر ويخزيهم الله على رؤس الخلائق ويقول لهم الرب تبارك وتعالى مرقعائهم ومو بجانا أين شركائ الذين كنتم تشاقون فيهم تجار بون وتعادون في سبيلهم أين هم عن نصركم وخلاصكم ههنا هل ينصرونكم أو ينتصرون قتاله

باسمائهم وأسماء آبائهم ويرد على من قال انما يدعون باسماء آبائهم وباسماء امهاتهم لان في ذلك ستر على آبائهم ولذا قال الرخصي ومن بدع التفاسير ان الامام جمع أم وانهم يدعون باسمائهم دون آبائهم وان الحكمة فيه رعاية حق عيسى واطهار شرف الحسن والحسين وان لا يفتضح أولاد الزنا وقال القرطبي قيل عبداهم في دعوتهم بما كانوا يأتون به في الدنيا او يقلدونه فيقال يا حنفي يا شافعي يا معتزلي يا قدرى ونحو ذلك وهذا كالأول بل أبعد منه وقيل كل خلق حسن يظهر من الانسان كالعلم والكرم والشجاعة أو قبيح ككاضداهما فالداعي إلى تلك الافعال خلق باطن هو كالامام ذكره الرازي في تفسيره وعن ابن عباس قال بامامهم امام هدى وامام ضلالة وعنه أيضا بامام زمانهم وكاتب بهم وسنة نبهم وقيل بعبودهم وأخرج الترمذي وحسنه والبرازي وابن أبي حاتم وابن حبان والحاكم وصححه وابن مردويه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الآية انه قال يدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمنه ويمدله في جسمه ستين ذراعا ويبيض وجهه ويجعل على رأسه تاج من أولئك يتلأأ فينطلق إلى أصحابه فيرويه من بعيد فيقولون اللهم اتنا بهذا وبارك لنا في هذا حتى يأتيهم فيقول ابشر والكل رجل منكم مثل هذا وأما الكافر فيسود وجهه ويمدله جسمه ستين ذراعا على صورة آدم ولبس تاجا من نار فإراه أصحابه فيقولون اللهم أخره فيقول أبعدكم الله فان لكل رجل منكم مثل هذا قال البرازي بعد اخره لا يروى الا من هذا الوجه (فن أوتي كتابه بيمنه) من أولئك المدعويين وهم السعداء أولوا البصائر وتخصيص ائمة بالذکر للتشريف والتبشير (فاولئك) إشارة إلى من باعتبار معناه قيل وجه الجمع الإشارة إلى انهم مجتمعون على شأن جليل أو الاشعار بان قراءتهم لكتبهم تكون على وجه الاجتماع لا على وجه الانفراد (يقرون كتابهم) الذي أوتوه (ولا يظلمون قتيلا) أي لا ينقصون من أجورهم قدر قتيلا وهو القشرة التي في شق النواة وهو عبارة عن أقل شيء وفي النواة أمور ثلاثة قتيلا وهو الخيط الذي في الحز الكائن فيها طول القطعة وهو قشرة النواة والنقي وهو الخيط الذي في النقرة التي في ظهرها ولم يذكر أصحاب الشمال نصريحا ولكنه ذكر سبحانه ما يدل على حالهم القبيح فقال (ومن كان) من المدعويين (في هذه) الدنيا (أعمى) أي فاقد

من قوة ولا ناصر فاذا توجهت عليهم الحجة وقامت عليهم الدلالة وحقت عليهم الحكمة وسكتوا عن الاعتذار حين لا فرار البصيرة قال الذين أوتوا العلم وهم السادة في الدنيا والآخرة والمخبرون عن الحق في الدنيا والآخرة فيقولون حينئذ ان الحزى اليوم والسوء على الكافرين أي الفضيحة والعذاب المحيط اليوم بمن كفر بالله وأشرك به ما لا يضروه وما لا ينفعه (الذين تتوفاهم الملائكة تطالمى أنفسهم فلقوا السلم ما كانوا يعمل من سوء بل ان الله عليهم بما كنتم تعملون فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فليس مني المتكبرين) يخبر تعالى عن حال المشركين الظالمين أنفسهم عند احتضارهم ومحجى الملائكة اليهم لقبض ارواحهم فلقوا السلم أي أظهروا السمع

والطاعة والالتقياد قائلين ما كنا نعمل من سوء كما يقولون يوم المعاد والله ربنا ما كنا مشركين يوم يبعثهم الله جميعا فيخلقون له كما
يخلقون لكم قال الله مكذبا لهم في قلوبهم ذلك بلى ان الله علمهم بما كنتم تعملون فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى
المتكبرين أي بئس المقيل والمقام والمكان من دارهوان لمن كان متكبرا عن آيات الله واتباع رسوله وهم يدخلون جهنم من يوم
مئاتهم بارواحهم ويأتى أجسادهم في قبورهم من حرها وسعورها فاذا كان يوم القيامة سلكت ارواحهم في أجسادهم وخلدت في
نارجهم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كما قال الله تعالى (٣٤٩) النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم

الساعة ادخلوا آل فرعون أشد
العذاب (وقيل للذين اتقوا ماذا
أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا
في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة
خير ولنعم دار للمتقين جنات عدن
يدخلونها تجرى من تحتها الأنهار
لهم فيها ما يشاءون كذلك يجزي الله
المتقين الذين تموا فهم الملائكة
طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا
الجنة بما كنتم تعملون) هذا خبر
عن السعداء بخلافه عن الأشقياء
فان أولئك قيل لهم ماذا أنزل ربكم
قالوا معرضين عن الجواب لم ينزل
شيئا إنما هذا أساطير الأولين
وهؤلاء قالوا خيرا أي أنزل خيرا
أي رحمة وبركة لمن أتبعه
وآمن به ثم أخبر عما وعد الله عباده
فيما أنزله على رسوله فقال للذين
أحسنوا في هذه الدنيا حسنة
الآية كقوله تعالى من عمل
صالحا من ذكرا أو أنثى وهو مؤمن
فلنجينه حياة طيبة ولنجزينهم
اجرهم بأحسن مما كانوا يعملون أي
من أحسن عمله في الدنيا أحسن الله
اليه عمله في الدنيا والآخرة ثم أخبر
بأن دار الآخرة خير من الحياة
الدنيا والجزء فيها أتم من الجزء في

البصيرة وهو الذي يعطى كتابه بشماله بدلالة حال ما سبق من الفريق المقابل له ولعل
العدول عن ذلك كره بذلك العنوان مع انه الذي يستدعيه حسن المقابلة تحسبها هو الواقع في
سورة الحاقة وسورة الانشقاق للابتنان بالهالة الموجبة له كما في قوله تعالى وأمان كان من
المكذبين الضالين الخ بعد قوله وأمان كان من أصحاب اليمين وللرمز الى عمله حال الفريق
الاول وقد ذكر في أحد الجانبين المسبب وفي الآخر السبب ودل بالمذكور في كل منهما على
المتروك في الآخر تعويلا على شهادة العقل كما في قوله وان عسى الله بضر فلا كاشف له
الاهوان يردك بخير فلا راد لفضله ذكره أبو السعد وقال النيسابوري لا خلاف ان المراد
بهذا العمى عمى القلب لا عمى البصر وأما قوله (فهو في الآخرة) التي لم تعين ولم تر
(أعمى) فيحتمل ان يراد به عمى البصر كقوله ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرني
أعمى وقد كنت بصيرا وفي هذا زيادة العقوبة ويحتمل ان يراد به عمى القلب وقيل المراد بالآخرة
عمل الآخرة فهو في عمل الآخرة أو في أمرها أعمى وقيل المراد من عمى عن النعم التي أنعم
الله بها عليه في الدنيا فهو عن نعم الآخرة أعمى وقيل من كان في الدنيا التي تقبل فيها التوبة
أعمى فهو في الآخرة التي لا توبة فيها أعمى وقيل من كان في الدنيا عن حجج الله أعمى فهو في
الآخرة أعمى وقد قيل ان قوله فهو في الآخرة أعمى أفعل تفضيل أي أشد عمى وهذا
مبنى على انه من عمى القلب اذ لا يقال ذلك في عمى العين قال الخليل وسيبويه لانه خلقه
بمنزلة البصر والرجل فلا يقال ما أعماه كما لا يقال ما أيداه وقال الاخفش لا يقال فيه ذلك لانه
أكثر من ثلاثة أحرف وقد حكى الفراء عن بعض العرب انه معمه يقول ما أسود شعره
والبحث مستوفى في النحو (وأصل سيلا) من الاعمى لكونه لا يجدر طريقا الى الهداية
بخلاف الاعمى فانه قد يهتدى في بعض الاحوال قال ابن عباس من كان في الدنيا أعمى عما
يرى من قدرتي من خلق السماء والارض والجن والانس والدواب واشباه ذلك
فهو عما وصف له في الآخرة ولم يره أعمى وأبعد حجة ثم لما عدسجهانه في الآية المتقدمة
أقسام النعم على بنى آدم أردفها بما يجرى مجرى التحذير من الاعتزاز بوساوس الاشقياء فقال
(وان كادوا يفتنونك) المعنى ان الشيطانهم قد قاربوا ان يتخذوك فائتين وأصل الفتنة
الاختبار ومنه فتن الصائغ الذهب ثم استعمل في كل من أزال الشيء عن حده وجهته
(عن الذي أوحينا اليك) من الاوامر والنواهي والوعود والوعيد (لتفتري علينا غيره)

الدنيا كقوله وقال الذين أتوا العلم ويلكم ثواب الله خير الآية وقال تعالى وما عند الله خير للابرار وقال تعالى والآخرة خير وأبقى
وقال لرسوله صلى الله عليه وسلم وللا آخرة خير لك من الأولى ثم وصف الدار الآخرة فقال ولنعم دار للمتقين وقوله جنات عدن بدل من
دار المتقين أي لهم في الآخرة جنات عدن أي مقام يدخلونها تجرى من تحتها الأنهار أي بين أشجارها وقصورها لهم فيها ما يشاءون
كقوله تعالى وفيها ما تشبهه النفس وتلد الاعين وانتم فيها خالدون وفي الحديث ان السحابة تمر بالملا من أهل الجنة وهم جلوس
على شراهم فلا يشتهي أحد منهم شيئا الا أمطرته عليه حتى ان منهم لمن يقول أمطر بنا كواعب أثر ابا فيكون ذلك كذلك يجزي الله

المتقين أي كذلك يجزي الله كل من آمن به واتقاه وأحسن عمله ثم أخبر تعالى عن حالهم عند الاحتضار أنهم طيبون أي مخلصون من الشرك والدنس وكل سوء وان الملائكة تسلم عليهم وتبشرهم بالجنة كقوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتمون أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم وقد قدمنا الاحاديث الواردة في قبض روح المؤمن وروح الكافر عند قوله تعالى ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا (٣٥٠) وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء (هل يتظنون

الان ان تاتيهن الملائكة أو يأتي أمر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون فأصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا يستهزئون) يقول تعالى مهدهم للمشركين على تماديهم في الباطل واعتزازهم بالدنيا هل يتظن هؤلاء الا الملائكة ان تأتيهم لقبض أرواحهم قاله قتادة أو يأتي أمر ربك أي يوم القيامة وما يعاينوه من الاحوال وقوله كذلك فعل الذين من قبلهم أي هكذا تمادي في شركهم أسلافهم ونظراؤهم واشباههم من المشركين حتى ذاقوا بأس الله وحلوا فيها هم فيه من العذاب والنكال وما ظلمهم الله لانه تعالى أعذر اليمهم وأقام حجة عليهم بارسال رسله وانزال كتبه ولكن كانوا أنفسهم يظلمون أي بمخالفة الرسل والتكذيب بما جاؤا به فلهذا أصابتهم عقوبة الله على ذلك وحاق بهم أي أحاط بهم من العذاب الاليم ما كانوا يستهزئون أي يستخسرون من الرسل اذا توعدوهم بعقاب الله فلهذا يقال لهم يوم القيامة هذه النار التي كنتم بها تكذبون) وقال الذين أشركوا

لوشاء الله ما عبدنا من دونه من شيء ونحن لا آباؤنا ولا احرامنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين واقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ان تحرص على هدايتهم فان الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين) يخبر تعالى عن اعتزاز المشركين بما هم فيه من الاشراك واعتذارهم محججين بالقدر يقولهم لوشاء الله ما عبدنا من دونه من شيء ونحن لا آباؤنا ولا احرامنا من دونه من شيء أي من البهائم والسواائب والوصائل وغير ذلك بما كانوا ابتدعوه واخترعوه

من تلقاه أنفسهم لم ينزل الله به سلطانا ومضمون كلامهم انه لو كان تعالى كارها لما فعلنا الا نكره علينا بالعقوبة ولما مكنا مناه
قال الله تعالى راد عليهم شبههم فهل على الرسل الا البلاغ المبين أى ليس الامر كما تزعمون انه لم ينكره عليكم بل قد أنكره عليكم أشد
الانكار ونهاكم عنها أكد النهى وبعث في كل امة أى في كل قرن وطائفة من الناس رسولا وكههم بدعوى عبادة الله وينهى عن عبادة
ماسواه ان عبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فلم ينزل تعالى يرسل الى الناس الرسل بذلك منذ حدث الشرك في بنى آدم في قوم نوح الذين
أرسل اليهم نوح وكان أول رسول بعثه الله الى أهل الارض الى ان ختمهم (٣٥١) بمحمد صلى الله عليه وسلم الذى طبقت دعوته

الانس والجن في المشارق والمغرب
وكلهم كما قال الله تعالى وما أرسلنا
من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه
لا اله الا انا فاعبدون وقوله تعالى
واسئلكم من أرسلنا من قبلك من
رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة
يعبدون وقال تعالى في هذه الآية
الكريمة ولقد بعثنا في كل امة
رسولا ان عبدوا الله واجتنبوا
الطاغوت فكيف يسوغ لاحد
من المشركين بعد هذا ان
يقول لو شاء الله ما عبدنا من دونه
من شئ فثبتته تعالى الشرعية
عنهم منتفية لانه نهاهم عن ذلك
على السنة رسلا وأما مشيئته
الكونية وهى تمكينهم من ذلك قدرا
فلا حجة لهم فيها لانه تعالى خالق النار
وأهلها من الشياطين والكفرة
وهو لا يرضى لعباده الكفر وله فى
ذلك حجة بالغة وحكمة قاطعة
ثم انه تعالى قد أخبرنا انه أنكر
عليهم بالعقوبة فى الدنيا بعد
انذار الرسل فلماذا قال فتمهم
من هدى الله ومنهم من حقت
عليه الضلالة فسيروا فى الارض
فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين
أى اسألوا عما كان من أمر من

الممات أى مضاعفا ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه وأضيفت وذلك لان خطأ
العظيم عظيم كما قال سبحانه يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف
لها العذاب ضعفين وضعف الشئ مثله و قد يكون الضعف النصيب كقوله لكل ضعف
أى نصيب قال الرازى حاصل الكلام انك لو مكنت خواطرا الشيطان من قلبك وعقدت
على الركون همك لاستحقت تضعيف العذاب عليك فى الدنيا والآخرة ولصار عذابك
مثلى عذاب المشرك فى الدنيا ومثلى عذابه فى الآخرة (ثم لا تجدك علينا نصيرا) ينصرك
فيدفع عنك ويمنع منك هذا العذاب قال النيسابورى اعلم ان القرب من القنينة لا يدل على
الوقوع فيها والتمديد على العصية لا يدل على الاقدام عليها فلا يلزم من الآية طعن
فى العصية (وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها) الكلام فى هذا
كالكلام فى ان كادوا ليفتنونك أى وان الشأن انهم قاربوا ان يرجعوك بعد اوتهم ومكرهم
من أرض مكة لتخرج عنها ولكنه لم يقع ذلك منهم بل منعهم الله عنه حتى هاجر
بأمر ربه بعد ان هموا به والاستفزاز الازعاج وقيل انه أطلق الازعاج على ارادة الاخراج
تجوزا قال سعيد بن جبير قال المشركون لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت الانبياء
تسكن الشام فالك وللمدينة فهم ان يشخص فانزل الله وان كادوا الآية (واذن
لا يلبثون خلافا) أى لا يقون بعد اخراجك (الا لبثا وزمنا) (قلسلا) حتى
يهلكوا ثم يعاقبون عقوبة تستأصلهم جميعا قال ابن عباس يعنى بالقليل يوم أخذهم يدر
فكان ذلك هو القليل الذى لبثوا بعده قال ابن انبارى خلافا بمعنى مخالفتك وقال
قواده هم أهل مكة باخراج النبي صلى الله عليه وآله وسلم منها وقد فعلوا بعد ذلك فاهلكهم
الله يوم بدر ولم يلبثوا بعده الا قليلا وكذلك كانت سنة الله فى الرسل اذ فعل بهم قومهم مثل
ذلك (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) أى سن الله سنة قال الفراء أى يعذبون كسنة
من قد أرسلنا وقيل المعنى سنتنا سنة من قد أرسلنا وقيل اتبع أنت سنة من وقال الزجاج
يقول ان سنتنا هذه السنة فىمن أرسلنا قبلك اليهم انهم اذا أخرجوا منهم من بين أظهرهم
أو قتلوه ان ينزل العذاب بهم (ولا تجدنا نحويلا) أى ما أجرى الله به العادة لم
يتمكن أحد من تحويله ولا يقدر على تغييره ولما ذكر سبحانه الالهيات والمعاد والجزاء
أردفها بذكر أشرف الطاعات وهى الصلاة فقال (أقم الصلاة لادولك الشمس) أجمع

خالف الرسل وكذب الحق كيف دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها فقال ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير ثم أخبر الله
تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان حرصه على هدايتهم لا ينفعهم اذا كان الله قد أراد اضلالهم كقوله تعالى ومن يراد الله فتمنته فلن تبلغ
له من الله شيا وقال نوح لقومه ولا ينفعكم نصحى ان أردت ان أنصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم وقال فى هذه الآية الكريمة ان
تحرص على هدايتهم فان الله لا يهدي من يضل كما قال الله من يضل الله فلا هادى له وينذرهم فى طغيانهم يعمهون وقال تعالى ان الذين
حقت عليهم كفرة بك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم وقوله فان الله أى شأنه وأمره انه ما شاء كان وما لم يشأ

لم يكن فلهذا قال لا يهدي من يضل أى من أضله من الذى يهديه من بعد الله أى لأحد ومالهم من ناصر من أى يقدونهم من عذابه
ووثاقه ألاله الخلق والامر تبارك الله رب العالمين (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر
الناس لا يعلمون ليسين لهم الذى يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين انما قولنا لشيء اذا أردناه ان نقول له كن فيكون)
يقول تعالى مخبرا عن المشركين انهم حلفوا فاقسموا بالله جهد أيمانهم أى اجتهدوا فى الحلف وغلطوا الايمان على انه لا يبعث الله
من يموت أى استبعدوا ذلك وكذبوا الرسل (٣٥٢) فى اخبارهم لهم بذلك وحلفوا بذلك على نقيضه فقال تعالى مكذبا لهم وورد

عليهم بلى أى بلى سيكون ذلك وعدا
عليه حقا أى لا بد منه ولكن
أكثر الناس لا يعلمون أى لجهلهم
يخافون الرسل ويقعون فى الكفر
تمذ كر تعالى حكمته فى المعاد وقيام
الاجساد يوم التناد فقال ليسين
لهم أى للناس الذى يختلفون فيه
أى من كل شئ ويجزى الذين أسأوا
بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا
بالحسنى وليعلم الذين كفروا أنهم
كانوا كاذبين أى فى أيمانهم
واقسامهم لا يبعث الله من يموت
ولهذا يدعون يوم القيامة الى نار
جهنم دعوا ويقول ل لهم الزانية هذه
النار التى كنتم بها تكذبون أفصح
هذا أم أنتم لا تبصرون اصلوها
فاصبروا أو لا تبصروا سوا علمكم
انما تجزون ما كنتم تعملون ثم
أخبر تعالى عن قدرته على ما يشاء
وانه لا يعجزه شئ فى الارض ولا فى
السماء وانما أمره اذا أراد شيئا أن
يقول له كن فيكون كما يشاء والمعاد
من ذلك كقوله وما أمرنا الا واحدة
كلمة بالبصر وقال ما خلقكم ولا
بعثكم الا كنفس واحدة وقال فى
هذه الآية الكريمة انما قولنا لشيء

المفسرون على ان المراد بها الصلوات المفروضة وقد اختلف العلماء فى الدلول على قولين
أحدهما انه زال الشمس عن كبد السماء قاله عمرو وابنه وأبو هريرة وابن عباس وجابر
والحسن والسعبي وعطاء ومجاهد وقتادة والضحاك وأبو جعفر الباقر وأكثر التابعين
واختاره ابن جرير والقول الثانى انه غروب الشمس قاله على وابن مسعود وأبي بن كعب
وروى عن ابن عباس وبه قال النخعي ومقاتل والسدى قال الفراء دلوك الشمس من لدن
زوالها الى غروبها قال الازهرى معنى الدلول فى كلام العرب الزوال ولذلك قيل للشمس
اذا زالت نصف النهار الكدة وقيل لها اذا أفلت دالكمة لانها فى الحالتين زائلة قال
والقول عندى انه زالها نصف النهار لتكون الآية جامعة لصلوات الخس وأصل هذه
المادة أى ماتر كب من الدال واللام والكاف يدل على التحول والانتقال ومنه الدلك
فان الدلك لا تستقر يده ومنه دلوك الشمس فى الزوال انتقال من وسط السماء الى
ما يليه وكذا كل ماتر كب من الدال واللام بقطع النظر عن آخره يدل على ذلك كدليل الجيم
من الدلجة وهى سير الليل والانتقال فيه من مكان الى مكان آخر ودلج بالحاء المهملة اذا
مشى مشيا متاقلا ودلج بالعين المهملة اذا أخرج لسانه ودلف بالفاء اذا مشى مشى المقيد
أو بالقاف لا يخرج الماء من مقره ودله اذا ذهب عقله ففيه انتقال معنوى وقال أبو عبيد
دلوكها غر وبها ودلكت براح أى غابت وراح اسم من أسماء الشمس على وزن حذام
وقطام وعن ابن عمر قال دلوك الشمس زياغها بعد نصف النهار وعن ابن عباس قال اذا فاه
النيء وعن عقبة بن عمرو فوعا قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتانى جبريل
لدلولك الشمس حين زالت فصلى فى الظهر الحديث أخرجه ابن جرير وعن أبي برزة الاسلمى
قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلى الظهر اذا زالت الشمس ثم تلا اقم الصلاة
لدلولك الشمس والحاصل أن اللفظ يجمعهما لان أصل الدلول الميل والشمس تميل اذا زالت
واذا غربت والجميل على الزوال أولى القولين لكثرة القائلين به واذا جلتاه عليه كانت
الآية جامعة لمواقيت الصلاة كلها كما ذكرنا وعلى الثانى يخرج الظهر والعصر وفى هذه
اللام وجهان أحدهما انها بمعنى بعد ومثله قولهم كتبه لثلاث خلون والثانى انها على بابها
اى لاجل دلوك قال الواحدى لانها انما تجب بزوال الشمس وفيه ثلاثة أقوال أشهرها
انه الزوال وهو نصف النهار والثانى انه من الزوال الى الغروب والثالث انه الغروب (الى

غسق

اذا أردناه ان نقول له كن فيكون أى ان نأمر به مرة واحدة فاذا هو كائن كما قال الشاعر

اذا ما أراد الله أمر افانما * يقول له كن قوله فيكون

أى انه تعالى لا يحتاج الى تأكيده فيما يأمر به فانه تعالى لا يمانع ولا يخالف لانه الواحد القهار العظيم الذى قهر سلطانه وجبروته وعزته
كل شئ فلا اله الا هو ولا رب سواه وقال ابن أبي حاتم ذكر الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا ججاج عن ابن جريج أخبرنى عطاء انه
سمع أباه ريرة يقول قال الله تعالى شتمنى ابن آدم ولم يكن ينبغى له ذلك وكذبنى ابن آدم ولم يكن ينبغى له ذلك فامات كديبه اياى فقال

وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت قال قلت بلى وعد عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون وأما شتمه إياي فقال ان الله ثالث ثلاثة وقلت قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد هكذا ذكره موقوفاً وهو في الصحيحين مرفوعاً بلفظ آخر (والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا النبوة أنهم في الدنيا أحسنه ولا جبر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) يخبر تعالى عن جزائه للمهاجرين في سبيله ابتغاء مرضاته الذين فارقوا الدار والادوار والخلان رجاء ثواب الله وجزائه ويحتمل أن يكون سبب نزولها في مهاجرة الحبشة الذين (٣٥٣) أشهد أذى قومهم لهم بمكة حتى خرجوا من بين أظهرهم إلى بلاد الحبش ليمتكنوا

غسق الليل) أي اجتماع الظلمة قاله ابن عباس وقال الفراء والزجاج يقال غسق الليل رأى غسقاً إذا أقبل بظلامه وقيل مغيب الشفق وهذا يتناول المغرب والعشاء والجارم متعلق باقمن لانها غايه الإقامة وأقمنها ممدودة اليه قاله أبو البقاء وفيه نظير من حيث انه قدر المتعلق كونا مقيد الا ان يريد تفسير المعنى لا الاعراب والغسق دخول أول الليل قاله ابن شميل وقيل هو سواد الليل وظلمته وأصله من السيلان يقال غسقت العين أي سال دمعها فكانت الظلمة تنصب على العالم وتسيل عليهم ويقال غسق الجرح امتلاءً فكأن الظلمة ملأت الوجود والمراد في قوله من شر غاسق القمر اذا كسف واسود وقيل الليل والغسق بالتخفيف والتشديد ما يسيل من صديد أهل النار ويقال غسق الليل وأغسق وظلم وأظلم ودجا وأدجى وغبش وغبش ونقله الفراء قاله السمين وقد استدل بهذه الغاية من قال ان صلاة الظهر تبادى وقتها من الزوال الى الغروب روى ذلك عن الاوزاعي وأبي حنيفة وجوزمه مالك والشافعي في حال الضرورة وقد وردت الاحاديث الصحيحة المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تعيين أوقات الصلوات فيجب حمل حمل هذه الآية على ما بينته السنة فلا تطيل بذلك ومعنى الآية أقم الصلاة من وقت دلولك الشمس الى غسق الليل فيدخل فيها الظهر والعصر وصلاتنا غسق الليل وهما العشاء ان ثم قال (وقرآن الفجر) عطف على الصلاة أي أقمه قاله الفراء وقال الاخفش وتبعه أبو البقاء وعليه قرآن الفجر وأصول البصريين تأتي هذا لان أسماء الأفعال لا تعمل مضمره وقيل الزم قرآن الفجر قال المفسرون المراد به صلاة الصبح عبر عنها ببعض أركانها قال الزجاج وفي هذه فائدة عظيمة تدل على ان الصلاة لا تكون الا بقراءة حتى سميت الصلاة قرآناً وهو حجة على الاصم حيث زعم ان القراءة ليست بركن وقد دلت الاحاديث الصحيحة على انه لا صلاة الا بقراءة الكتاب وفي بعض الاحاديث الخارجة من مخرج حسن وقرآن معها وورد ما يدل على وجوب القامحة في كل ركعة أو سميت صلاة الصبح قرآناً بطول قراءتها وقد سره الشوكاني في مؤلفاته بتحريه مجوداً ثم عمل سبحانه ذلك بقوله (ان قرآن الفجر كان مشهوداً) أي تشهد به وتحضره ملائكة الليل وملائكة النهار كما ورد ذلك في الحديث الصحيح الاتي وبذلك قال جمهور المفسرين في منزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو في آخر ديوان الليل وأول ديوان النهار وقال الشهاب أي الكاتبون والحفظة أو يشهده

من عبادة ربهم ومن أشرفهم عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعفر بن أبي طالب ابن عم الرسول وأبوسلمة بن عبد الأسد في جماعة قريب من ثمانين ما بين رجل وامرأة صديق وصديقة رضى الله عنهم وأرضاهم وقد فعل فوعدهم تعالى بالمجازاة بالحسنة في الدنيا والآخرة فقال لنبوا أنهم في الدنيا أحسنه قال ابن عباس والشعبي وقتادة المدينة وقيل الرزق الطيب قاله مجاهد ولا منافاة بين القولين فانهم تركوا مساكنهم وأموالهم فعرضهم الله خيراً منها في الدنيا فان من ترك شيئاً لله عوضه الله بغيره منه وكذلك وقع فانهم مكن الله لهم في البلاد وحكمهم على رقاب العباد وصاروا أمراء حكماء وكل منهم للمؤمنين اماماً وأخبر ان ثوابه للمهاجرين في الدار الآخرة أعظم مما أعطاهم في الدنيا فقال ولا جبر الآخرة أكبر مما أعطيتهم في الدنيا لو كانوا يعلمون أي لو كان المتخلفون عن الهجرة معهم يعلمون ما ادخر الله لمن أطاعه

(٤٥ فتح البيان خامس) واتبع رسوله ولهذا قال هشيم عن العوام عن حدثه ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان اذا عطى الرجل من المهاجرين عطاهه يقول خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ادخلك في الآخرة أفضل ثم قرأ هذه الآية لتبوا أنهم في الدنيا أحسنه ولا جبر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ثم وصفهم تعالى فقال الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون أي صبروا وعلى الآذى من قومهم متوكئين على الله الذي أحسن لهم العاقبة في الدنيا والآخرة (وما أرسلنا من قبلك الا رجالاً نوحى اليهم فاسألوا أهل الذکر ان كنتم لاتعلمون بالبينات والزبر وأنزلنا اليك الذکر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون) قال الضحاك عن

ابن عباس لما بعث الله محمد صلى الله عليه وسلم رسولا أنكرت العرب ذلك أو من أنكروهم فقالوا الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا فانزل الله أن كان للناس عجبان أو حينما الى رجل منهم أن انذر الناس الآية وقال وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسألوا أهل الذکر ان كنتم لا تعلمون يعنى أهل الكتب الماضية بأشرا كانت الرسل اليهم أم ملائكة فان كانوا ملائكة أنكرتهم وان كانوا بشرا فلا تنكروا أن يكون محمد صلى الله عليه وسلم رسولا قال تعالى وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم من أهل القرى ليسوا من أهل السماء كما قلتم وكذا روى (٣٥٤) عن مجاهد عن ابن عباس ان المراد باهل الذکر أهل السكاب وقاله

مجاهد والاعمش وقول عبد الرحمن ابن زيد الذکر القرآن واستشهد بقوله انما نحن نزلنا الذکر واناله لحافظون صحيح لكن ليس هو المراد ههنا لان المخالف لا يرجع في اثباته بعد انكاره اليه وكذا قول أبي جعفر الباقر نحن أهل الذکر وهو مراده ان هذه الامة أهل الذکر صحيح فان هذه الامة أعلم من جميع الامم السالفة وعلما أهل بيت رسول الله عليهم السلام والرحمة من خير العلماء اذا كانوا على السنة المستقيمة كعلي وابن عباس وابي علي الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وعلي بن الحسين زين العابدين وعلي بن عبد الله بن عباس وأبي جعفر الباقر وهو محمد ابن علي بن الحسين وجعفر ابنه وأمثالهم واضرابهم وأشكالهم ممن هو متمسك بحبل الله المتين وصراطه المستقيم وعرف لكل ذى حق حقه ونزل كل المنزل الذى أعطاه الله ورسوله واجتمع عليه قلوب عباده المؤمنين والغرض ان هذه الآية الكريمة أخبرت بان الرسل الماضين قبل محمد صلى الله عليه وسلم كانوا بشرا كما هو بشر كما قال

الكثير من المصلين في العادة والاول أولى وقد أخرج أحمد والترمذى وصححه والنسائى وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى في الشعب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الآية قال تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار تجتمع فيهما وهو في الصحيحين عنه مر فوعا بلفظ يجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر ثم يقول أبو هريرة أقرؤا ان شئتم ان قرآن الفجر كان مشهودا وفي الباب أحاديث قال الرازى وهذا دليل قاطع قوى على ان التغليس أفضل من التنوير لان الانسان اذا شرع فيها من أول الصبح في ذلك الوقت ظلمة باقية فتكون ملائكة الليل حاضرين ثم اذا امتدت الصلاة بسبب ترتيب القراءة وتكثيرها زالت الظلمة وظهر الضوء وحضرت ملائكة النهار ما اذا ابتدأ بهذه الصلاة في وقت الاسفار فهناك لم يبق أحد من ملائكة الليل فلا يحصل المعنى المذكور في الآية فنبت ان قوله يعنى هذه الآية دليل على أن الصلاة في أول وقتها أفضل انتهى (ومن الليل فتهجد به) في من وجهان أحدهما انها متعلقة بتهجد أى تهجد بالقرآن بعض الليل والثانى انها متعلقة بجمدوف أى قم بعد نومك نومة من الليل أو اسهر من الليل ذكرها الحوفى ومن للتبعيض أى قم بعض الليل والضمير المجرور راجع الى القرآن من حيث هو لا بقيد اضافته الى الفجر ففي الكلام استخدام وقيل التقدير بذلك الوقت والباء بمعنى في قاله السمين ولو قال من بمعنى في لكان أوضح وما قيل من انه منتصب على الاعراض والتقدير وعليك بعض الليل فبعيد جدا والتهجد مأخوذ من الهجود وقال أبو عبيدة وابن الاعرابى هو من الاضداد لانه يقال هجد الرجل اذا نام وهجد اذا سهر وقال الازهرى الهجود فى الاصل هو النوم بالليل ولكن التفعّل فيه لاجل التجنب ومنه تأم وتخرج أى تجنب الائم والخرج فالتهجود من تجنب الهجود فقام بالليل وروى عنه أيضا التهجد القائم الى الصلاة من الليل هكذا حكى عنه الواحدى فقيد التهجد بالقيام من النوم وهكذا قال مجاهد وعلممة والاسود فقالوا التهجد بعد النوم قال الميث يقال تهجد اذا استيقظ للصلاة (نافلة لك) معناها في اللغة الزيادة على الاصل فالمعنى انها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم نافلة زائدة على الفرائض والامر بالتهجد وان كان ظاهره الوجوب لكن التصريح به كونه نافلة قرينة صارفة للامر وقيل المراد بالنافلة ههنا انها قرينة زائدة على الفرائض الخمس في

تعالى قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا وما منع الناس ان يؤمنوا اذا جاءهم الهدى الا ان قالوا أتبعث الله بشرا حقه رسولا وقال تعالى وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليا كاون الطعام ويمشون في الاسواق وقال تعالى وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام وما كانوا خالدين وقال قل ما كنت بدعا من الرسل وقال تعالى قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى تم أرسلنا الله تعالى من شئت في كون الرسل كانوا بشرا الى سؤال أصحاب الكتب المتقدمة عن الانبياء الذين سلفوا هل كان انبياء وهم بشرا أو ملائكة ثم ذكر تعالى انه أرسلهم بالبينات أى بالنجح والدلائل والزبر وهى الكتب قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك

وغيرهم -م والزبرجع زبور تقول العرب زبرت الكتاب اذا كتبه وقال تعالى وكل شيء فعولوه في الزبر وقال ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عمادى الصالحون ثم قال تعالى وأرسلنا اليك الذكور يعنى القرآن لتبين للناس منازل اليهم أى من ربهم -م لعلك بمعنى ما أنزل الله عليك وحرصك عليه واتباعك له لعلنا بانك أفضل الخلاق وسيد ولد آدم فتوصل لهم ما أجمل وتبين لهم ما أشكل وعللهم بتفكرون أى يتفكرون لانفسهم فيهم تدون فيفوزون بالنجاة في الدارين (أفأمن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم في قلبهم ما فهم يحجزين أو يأخذهم على تخوف فان ربكم لرؤوف رحيم) يخبر تعالى عن حمله وانظاره العصاة الذين يعاملون السيئات ويدعون اليها ويمكرون بالناس في دعائهم اياهم ووجههم عليهم عليهما قدرته على ان يخسف بهم الارض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أى من حيث لا يعلمون مجسمة اليهم كقوله تعالى أمأنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هي تورأم أمأنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير وقوله أو يأخذهم في قلبهم أى في قلبهم في المعاش واشتغالهم بها من اسفار ونحوها من الاشغال الملهية قال قتادة والسدى تغلبهم أى اسفاهم -م وقال مجاهد والضحاك وقتادة في قلبهم في الليل والنهار كقوله أفأمن أهل القرى ان يأتيهم -م بأسنا بيانا وهم ناعون أو آمن أهل القرى ان يأتيهم بأسناضحى وهم يلعبون وقوله فاهم بمجزيين أى لا يجزون الله على أى حال كانوا عليه وقوله أو يأخذهم على تخوف أى أو يأخذهم الله في حال خوفهم من أخذه لهم فانه يكون أبلغ

حقه صلى الله عليه وآله وسلم ويدفع ذلك التصريح بلفظ النافلة وقيل كانت صلاة الليل فريضة في حقه صلى الله عليه وآله وسلم ثم نسخ الوجوب فصار قيام الليل تطوعا وعلى هذا يحمل ما ورد في الحديث انها عليه فريضة ولا تمته تطوع قال الواحدي ان صلاة الليل كانت زيادة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة لرفع الدرجات لالكفارات لانه قد غفر له من ذنبه ما تقدم وما تأخر وليس لنا بنا فله الكثرة ذنونا انما نعمل لكفارتها قال وهو قول جميع المفسرين والحاصل ان الخطاب في هذه الآية وان كان خاصا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله أقم الصلاة فالامر له أمر لا تمته فهو شرع عام ومن ذلك الترغيب في صلاة الليل فانه يع جميع الامم والتصريح بكونه نافله يدل على عدم الوجوب فالتهدج من الليل مندوب اليه ومشرع لكل مكلف وأخرج البيهقي في سننه والطبراني في الاوسط عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ثلاث من على فرائض وهن لكم سنة الوتر والسوا والقيام الليل ثم وعد سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم على اقامة الفرائض والتوافل فقال (عسى ان يعينك ربك) قد ذكرنا في مواضع أن عسى من الكريم اطماع واجب الوقوع (مقام محمودا) نصب على الظرفية أى يعينك فيمك في الآخرة مقاما محمودا ويجوز أن يكون حالا بتقدير مضاف أى دامقام محمود ومعنى كون المقام محمودا انه يحمد كل من علم به وقد اختلف في تعيين هذا المقام على أقوال الاول انه المقام الذى يقومه النبي صلى الله عليه وآله وسلم للشفاعة يوم القيامة للناس ليرجعهم بهم سبحانه مما هم فيه وهذا القول هو الذى دلت عليه الأدلة الصحيحة في تفسير الآية وحكاها ابن جرير عن أكثر أهل التأويل قال الواحدي واجماع المفسرين على ان المقام المحمود هو مقام الشفاعة في فصل القضاء القول الثانى ان المقام المحمود اعطاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم لواء الحمد يوم القيامة ويمكن ان يقال ان هذا لا يتافى القول الاول اذ لا منافاة بين كونه قائما مقام الشفاعة ويده لواء الحمد الثالث ان المقام المحمود هو ان الله سبحانه يجلس محمد صلى الله عليه وآله وسلم معه على كرسيه حكاها ابن جرير عن فرقة منهم مجاهد وقد ورد في ذلك حديث وحكى النقاش عن أبي داود السجستاني انه قال من أنكر هذا الحديث فهو عندنا منهم ما زال أهل العلم يتحدثون بهذا الحديث قال ابن عبد البر مجاهد وان كان أحد الأئمة بالتأويل فان له قولين مهجورين عند أهل العلم أحدهما هذا والثانى في تأويل وجوه

وأشد فان حصول ما يتوقع مع الخوف شديد ولهذا قال العوفي عن ابن عباس أو يأخذهم على تخوف يقول ان شئت أخذ على أثر موت صاحبه ويخوف بذلك وكذا روى عن مجاهد والضحاك وقتادة وغيرهم ثم قال تعالى فان ربكم لرؤوف رحيم أى حيث لم يعاجلكم بالعقوبة كما ثبت في الصحيحين لأحد أصبر على أذى سمعه من الله انهم يجعلون له ولدا وهو يرزقهم ويعافيه -م وفيهما ان الله ليملي للظالم حتى اذا أخذهم ليميلته ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذهم شديد وقال تعالى وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها والى المصير (أو لم يروا الى ما خلق الله من شيء فيقيم ظلاله عن اليمين

والشمائل سجد الله وهم داخرون والله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم
من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون) يخبر تعالى عن عظمته وجلاله وكبريائه الذي خضع له كل شيء ودانت له الاشياء والمخلوقات بأسرها
بجاداتها وحيواناتها ومكفوفوها من الانس والجن والملائكة فاخبر ان كل ماله ظل يتقيو ذات العيين وذات الشمال أى بكرة وعشبا فانه
ساجد بظله لله تعالى قال مجاهد اذا زالت الشمس يسجد كل شيء لله عز وجل وكذا قال قتادة والضحاك وغيرهم وقوله وهم داخرون أى
صاغرون وقال مجاهد أيضا يسجد كل شيء فيؤه (٣٥٦) وذكر الجبال قال سجودها فيؤها وقال ابو غالب الشيباني أمواج البحر

صلاته ونزلهم منزلة من يعقل إذ
اسند السجود اليهم فقال والله
يسجد ما في السموات وما في الارض
من دابة كما قال والله يسجد
من في السموات والارض طوعا
وكرها وظلالهم بالغدو والاتصال
وقوله والملائكة أى تسجد لله
أى غير مستكبرين عن عبادته
يخافون ربهم من فوقهم أى
يسجدون خائفين وجلين من الرب
جل جلاله ويفعلون ما يؤمرون
أى مثابرين على طاعته تعالى
وامتثال أوامره وترك زواجه
(وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين
اتما هو له واحد فايأى فارهبون
وله ما في السموات والارض وله
الدين واصبا أفغير الله تتقون وما بكم
من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر
فاليه تجأرون ثم اذا كشف الضر
عنكم اذا فريق منكم ربهم
يشركون ليكفروا بما آتيناهم
فتمتعوا فسوف تعلمون) يخبر تعالى
انه لا اله الا هو وانه لا تنبغى العبادة
الا له وحده لا شريك له فانه مالك
كل شيء وخالقه ورببه وله الدين واصبا
قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة
وميمون بن مهران والسدى وقتادة

يؤمئذ ناظرة الى ربها ناظرة قال معناه يتمنر الثواب وليس من النظر انتهى وعلى كل حال
فهذا القول غير مناف للقول الاول لامكان ان يقعه الله سبحانه هذا المقعد ويشفع تلك
الشفاعة وأخرج الديلمي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجلسنى
معه على السرير وينبغى الكشف عن اسناد هذا الحديث وقال ابن مسعود يقعه على
العرش رواه ابو وائل وعن عبد الله بن سلام قال يقعد على الكرسي والا حديث فى
الشفاعة كثيرة وأول من أنكرها عمرو بن عبيد وهو مبتدع بانفاق أهل السنة الرابع
انه مطلق فى كل مقام يجلب الجدم من أنواع الكرامات ذكره صاحب الكشاف والمقتدون
به فى التفسير ويجاب عنه بان الاحاديث الصحيحة الواردة فى تعيين هذا المقام المحمود
متواترة فالمصير اليها متعين وليس فى الآية عموم فى اللفظ حتى يقال الاعتبار بعموم اللفظ
لا بخصوص السبب ومعنى قوله مطلق فى كل ما يجلب الجدم انه عام فى كل ما هو كذلك
ولكنه يعبر عن العام بلفظ المطلق كما ذكره فى ذبح البقرة ولهذا قال هنا وقيل المراد
الشفاعة وهى نوع واحد مما يتناول به لفظ المقام والفرق بين العموم البدلى والعموم
الشمولى معروف فلا نظيل بذكره وأخرج أحمد والترمذى وحسنه والبيهقى وغيرهم عن
أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسئل عنه يعنى المقام فقال هو المقام المحمود
الذى أشفع فيه لامتى وأخرج أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن حبان والحاكم وصححه
وابن مردويه عن كعب بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يبعث الناس
يوم القيامة قأ كون أنا وأمتى على قل ويكسوفى ربي حلة خضراء ثم يؤذن لى فأقول ماشاء
الله ان أقول فذلك المقام المحمود والا حديث فى هذا الباب كثيرة جدا ناسية فى الصحيحين
وغيرهما فلا نظيل بذكرها ومن رام الاستيفاء نظرى فى احاديث الشفاعة فى الامهات وغيرها
(وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق) قرئ بضم الميم وبفتحهما وهما
مصدران بمعنى الادخال والاخراج فهما كالجرى والمرسى والاضافة الى الصدق لاجل
المبالغة فتوحات الجواد أى ادخال يستأهل أن يسمى ادخالا ولا يرى فيه ما يكره وقال
الواحدى اضافة ما الى الصدق مدح له ما وكل شيء أضيفته الى الصدق فهو مدح وقد
اختلف المنسرون فى معنى الآية فقيل نزلت حين أمر صلى الله عليه وآله وسلم بالمهجرة
يريد ادخال المدينة والاخراج من مكة واختاره ابن جرير وهذا يقتضى ان الآية مكية

وغير واحد اى دعا وعن ابن عباس أيضا اى واجبا وقال مجاهد اى خالصه اى له العبادة وحده من مع

فى السموات والارض كقوله أفغير دين الله يبلغون وله اسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون هذا على قول ابن
عباس وعكرمة فيكون من باب الخبر واما على قول مجاهد فانه يكون من باب الطلب اى ارهبوا ان تشر كوابى شيئا وخلصوا الى الطاعة
كقوله تعالى الا لله الدين الخالص ثم أخبر انه مالك النفع والضرر وان ما بالعباد من رزق ونعمة وعافية ونصر فمن فضله عليهم واحسانه
اليهم ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون اى لعلمكم انه لا يقدر على ازالته الا هو فانكم عند الضرورات تلجئون اليه وتسألونه وتلجئون

في الرغبة مستغشين به كقوله تعالى واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الاياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا وقال ههنا ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فر يق منكم بربهم بشر كون لي كفر واجما آتيناهم قيل الام ههنا لام العاقبة وقيل لام التعليل بمعنى قبضنا لهم ذلك ليكفروا أي يستروا ويحجودوا ثم الله عليهم وانه المسدى اليهم النعم الكاشف عنهم النعم ثم وعدهم قائلا فمتمعو أي اعملوا ما شئتم وتمتعوا بما آتتم فيه قليلا فسوف تعلمون أي عاقبه ذلك (ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسئلن عما كنتم تفترون ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون واذا بشر (٢٥٧) أحدهم بالاثني ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى

من القوم من سوء ما بشره أعمسكه على هون أم يدسه في التراب الاساء ما يحكمون للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء والله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم) يخبر تعالى عن قبائح المشركين الذين عبدوا مع الله غيره من الاصنام والارثان والانداد بغير علم وجعلوا للارثان نصيبا مما رزقهم الله فقالوا هذ الله بزعمهم وهد الشركاءنا فلما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون أي جعلوا الاكهتيم نصيبا مع الله وفضلوها على جانبها فاقسم الله تعالى بنفسه الكريمة ليسألنهم عن ذلك الذي افتروه واستفكوه وليقابلنهم عليه وليجازينهم أوفرا الجزاء في نار جهنم فقال تالله لتسئلن عما كنتم تفترون ثم أخبر تعالى عنهم انهم جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وجعلوا بنات الله فعبدوهامعه فأخطوا خطأ كبيرا في كل مقام من هذه المقامات الثلاث فنسبوا اليه تعالى أن له ولدا واولاد له ثم أعطوه أخس القسمين من الاولاد وهو البنات وهم لا يرضونها

مع انها آخر الثمان المدنيات لكن البيضاوي مشى على ان السورة كلها مكية وحكي (١) الاستثناء الذي ذكره الجلال بقيل وعليه فلا اشكال ومن المعلوم ان ادخاله المدينة بعد اخر اوجه من مكة وانما قدمه عليه اهما ما بشأنه ولانه هو المقصود وقيل المعنى أمتي امانة صدق وابعثنى يوم القيامة مبعث صدق وقيل المعنى أدخلني فيما أمرتني به وأخرجني مما نهيتني عنه وقيل ادخاله ووضع الامن واخر اوجه من بين المشركين وهو كالتقول الاول وقيل المراد ادخال عز وخراج نصر وقيل أدخلني في الامر الذي كرمتني به من النبوة مدخل صدق وأخرجني منه اذا أمتني مخرج صدق وقيل أدخلني القبر عند الموت مدخل صدق وأخرجني منه عند البعث مخرج صدق وقيل أدخلني حينما أدخلتني بالصدق وأخرجني بالصدق وقيل الآية عامة في كل ما تناوله من الامور فهي دعاء ومعناها رب أصلي وورد في كل الامور وصدري عنها (واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) أي حجة ظاهرة قاهرة تنصرني بها على جميع من خالفني وقيل اجعل لي من لدنك ملكا وعزاقويا أقيم به دينك وكأنته صلى الله عليه وآله وسلم علم انه لا طاق له بهذا الامر الا بالسلطان فسأل سلطانا نصيرا وبه قال الحسن وقتادة واختاره ابن جرير وقال ابن كثير هو الاربع لانه لا بد مع الحق من قهر لمن عاداه وناواه ولهذا يقول تعالى لقد أرسلنا رسلا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب وفي الاثران الله ايزع بالسلطان ما لا يزع القرآن أي لينزع بالسلطان عن ارتكاب الفواحش والاثام ما لا يمنع كثير امن الناس بالقرآن وما فيه من الوعيد الشديد والتهديد الاكيد وهذا هو الواقع انتهى وقيل وعده الله لينزع ملك فارس والروم وغيرهما فيجعل له وأجاب دعاءه فقال له والله يعصمك من الناس وقال ليطهره على الدين كله وقال وعده الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض الآية وقد كان كما وعد الله الحمد (وقل) عند دخول مكة يوم الفتح (جاء الحق وزهق الباطل) المراد بالحق الاسلام وقيل القرآن وقيل الجهاد ولا مانع من جعل الآية على جميع ذلك وعلى ما هو حق كما انما كان والمراد بالباطل الشرك وقيل الشيطان ولا يعبدان يحمل على كل ما يقابل الحق من غير فرق بين باطل وباطل ومعنى زهق بطل واضح ومنه زهوق النفس وهو بطلانها وخر وجهها ومنه قوله تعالى وتزهق أنفوسهم وهم كافرون

لانفسهم كما قال ألكم الذكرو له الاثني تلك اذا قسمة ضيزى وقوله ههنا ويجعلون لله البنات سبحانه أي عن قولهم وافكهم ألا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لمكاذبون أصطفي البنات على البنين مالكم كيف تحكمون وقوله ولهم ما يشتهون أي يختارون لانفسهم الذكروا يأنفون لانفسهم من البنات التي نسبوا الى الله تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا فانه اذا بشر أحدكم بالاثني ظل وجهه مسودا أي كئيبا من الهم وهو كظيم ساكت من شدة ما هو فيه من الحزن يتوارى من القوم أي يكره ان يراه الناس من سوء ما بشر به أعمسكه على هون أم يدسه في التراب أي ان أبقاها بأبقاها مهانة لا يورثها ولا يعتنى بها ويفضل أولاده الذكور على أم يدسه (١) حيث قال سورة بنى اسرائيل مكيه وقيل الاقوله وان كادوا ليقتلونك الى آخر ثمان آيات اه منه

في التراب أي يئدها وهو ان يدفن فيه حية كما كانوا يصنعون في الجاهلية أفن بكرهونه هذه الكراهة ويأنفون لانفسهم عنه يجعلونه لله ألساء ما يحكمون أي بئس ما قالوا وبئس ما قسموا وبئس ما نسبوه اليه كقوله تعالى واذا بشر أحدكم بمصائب الرحمن مثلاظل وجهه مسودا وهو كظيم وقوله ههنا للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء أي النقص انما ينسب اليهم ولله المثل الاعلى أي الكمال المطلق من كل وجه وهو منسوب اليه وهو العزيز الحكيم (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليهما من دابة ولكن يُوخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون (٣٥٨) ساعة ولا يستقدمون ويجعلون لله ما يكفرون وتصف السنتهم الكذب ان

لهم الحسنى لا جرم ان لهم النار وانهم مفردون) يخبر تعالى عن حمله بخلقهم مع ظلمهم وأنه لو يؤاخذهم بما كسبوا ما ترك على ظهر الارض من دابة اي لا هلك جميع دواب الارض تبعا لاهلاك بني آدم ولكن الرب جل جلاله يحلم ويستتر ويتظر الى أجل مسمى أي لا يعاجلهم بالعقوبة اذ لو فعل ذلك بهم لما بقي أحد قال سفيان الثوري عن أبي اسحق عن أبي الاحوص انه قال كاد يجعل ان يعذب بذنب بني آدم وقرأ الآية ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة وكذا روى الاعمش عن أبي اسحق عن أبي عبيدة قال قال عبد الله كاد يجعل ان يهلك في بحره بخيطة بني آدم وقال ابن جرير حدثني محمد بن المنثري حدثنا اسمعيل بن حكيم الخزازي حدثنا محمد بن جابر الحنفي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة قال سمع أبوهريرة رجلا وهو يقول ان الظالم لا يضر الانفسه قال فالتفت اليه فقال بل والله حتى ان الجباري لتقوت في وكرها بظلم الظالم وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين أنبأنا

قال الشاعر

المتخميت ثم قامت فودعت * فلما ولت كادت النفس ترهق

(ان الباطل كان زهوقا) أي مضمعلازا لا يعني ان هذا شأنه فهو يبطل ولا يثبت والحق ثابت دائما وذلك ان الباطل وان كان له دولة وصوله في وقت من الاوقات فهو سريع الزهاب والزوال وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب فجعل يطعن بها بعد في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وجاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد حتى سقطت وفي الباب أحاديث (وتنزل من القرآن ما هو شفاء) من لا بداء الغاية قاله أبو حيان ويصح أن تكون لبيان الجنس قاله الزمخشري وابن عطية وأبو البقاء فان جميع القرآن شفاء وقدم على المبين للاهتمام وأبو حيان ينكر جوازها لان التي للبيان لا بد أن يتقدمها ما يتبينه لان تقدمه هي عليه فاختاره هو الاول وقيل للتبعيض وأنكره بعض المفسرين لاستلزامه ان بعضه لا شفاء فيه وردده ابن عطية بان المبعوض هو انزاله واختلف أهل العلم في معنى كونه شفاء على قولين الاول أنه شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها وذهاب الريب وكشف الغطاء عن الامور الدالة على الله سبحانه الثاني انه شفاء عن الامراض الظاهرة بالرق والتعوذ ونحو ذلك والتبرك بقراءته يدفع كثير من الادواء والاسقام يدل عليه ما روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في فاتحة الكتاب وما يدريك انهار رقبة ولا مانع من جعل الشفاء على معنيين من باب عوم المجاز أو من باب جعل المشترك على معنييه (ورحمة للمؤمنين) لما فيه من العلوم النافعة المشتملة على ما فيه صلاح الدنيا والدين ولما في تلاوته وتدبره من الاجر العظيم الذي يكون سببا لرحمة الله سبحانه ومغفرته ورضوانه ومثل هذه الآية قوله تعالى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم سمع والحاصل ان القرآن كتاب مشتمل على دلائل المذهب الحق وابطال المذاهب الناسدة فهو شفاء لامراض القلوب وتكفير للذنوب وتفرج للكره وتطهير للعيوب وفي الحديث من لم يستشف بالقرآن فلا شفاء الله ثم لما ذكر سبحانه ما في القرآن من المنفعة لعباده المؤمنين ذكر ما فيه من عداهم من المضرة عليهم فقال (ولا يزيد القرآن كله أو كل بعض منه) (الظالمين) الذين وضعوا التكذيب موضع التصديق والشك

الوليد بن عبد الملك حدثنا عبيد الله بن شرحبيل حدثنا سليمان بن عطاء عن سلمة بن عبد الله عن عمه أبي مشجعة والارتياب ابن ربيعي عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال ذكرنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله لا يؤخر شيئا اذا جاء أجله وانما زيادة العمر بالذرية الصالحة يرزقها الله العبد فيدعون له من بعده فيلحقه دعاء وهم في قبره فذلك زيادة العمر وقوله ويجعلون لله ما يكفرون اي من البنات ومن الشركاء الذين هم عبيدهم بأنفون ان يكون عند أحدكم شرك له في ماله وقوله وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى انكار عليهم في دعواهم مع ذلك ان لهم الحسنى في الدنيا وان كان ثم معاد ففيه أيضا لهم الحسنى واخبار عن قيل من

قال منهم كقوله ولئن أدقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى وما أظن الساعة قائمه ولئن رجعت الى ربي ان لى عنده للعسنى فلنذبن الذين كفرنا وبعملنا وولذيقنهم من عذاب غليظ وقوله أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لاوتين ما لاولدا وقال اخبارا عن أحد الرجلين انه دخل جنته وهو ظالم لنفسه فقال ما أظن أن تبده هذه ابدا وما أظن الساعة قائمه ولئن رددت الى ربي لأجدن خيبر منها من قبلنا لجمع هؤلاء بين عمل السوء وتقى الباطل بان يجازوا على ذلك حسنا وهذا مستحيل كما ذكر ابن اسحق انه وجد حجر فى أساس الكعبة حين نقضوها ليجددوها (٣٥٩) مكتوب عليه حكم ومواعظ فى ذلك تعملون السيات

وتجزون الحسنات أجل كما يجتنى من الشوك العنب وقال مجاهد وقتادة وتصف ألسنتهم الكذب ان لهم الحسنى اى العلمان وقال ابن جرير ان لهم الحسنى اى يوم القيامة كما قدمنا بيانه وهو الصواب والله الحمد ولهذا قال تعالى راذا عليهم فى نعمهم لاجرم اى حقا لا بد منه ان لهم النار اى يوم القيامة وانهم مفرطون قال مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغيرهم منسبون فيها مضيعون وهذا كقوله تعالى فى اليوم نساها كما نساوا لقاء يومهم هذا وعن قتادة ايضا مفرطون اى مجبولون الى النار من القرط وهو السابق الى الورد ولا منافاة لانهم يعجل بهم يوم القيامة الى النار وينسون فيها اى يتخلدون (تالله لقد أرسلنا الى امم من قبلك فزى لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون والله أنزل من السماء ماء فأحياه الارض بعد موتها ان فى ذلك لاية لقوم يسمعون) يذكر تعالى

والارتياب موضع اليقين والاطمئنان (الانفسارا) اى هلا كالان سماع القرآن بغيتهم ويحفظهم ويدعوهم الى زيادة ارتكاب القبائح تترد او عنادا فعند ذلك يملكون وقيل انفسار النقص كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم قال قتادة لم يجالس القرآن أحد الا قام عنه بن زيادة أو نقصان ثم به سبحانه على قبح بعض ما جبل عليه الانسان من الطبايع المذمومة فقال (واذا أنعمنا على) جنس (الانسان) بالنعم التى توجب الشكر كالصحة والسعة والغنى والفراغ (أعرض) عن الشكر لله والذكر له (ونأى بجانبه) اى ثنى عطفه متبخرتا والنأى البعد والباء للتعديبه أو للامصاحبة وهو تأ كيد للاعراض لان الاعراض عن الشئ هو ان يولىه عرض وجهه اى ناحيته والنأى بالجانب ان يولى عنه عطفه ويولى به ظهره ولا يعبدان يراد بالاعراض هنا الاعراض عن الدعاء والابتهاال الذى كان يفعل عند نزول البلوى والمحنة به ويراد بالنأى بجانبه التكبر والبعد بنفسه عن القيام بحقوق النعم وقرى ناء مثل باع على القلب قال مجاهد نأى تباعد (واذامسه الشر) من شدة أو مرض أو فقرا أو نازلة من النوازل (كان يؤسا) شديد اليأس قنوطا من رحمة الله هذا وصف الجنس باعتبار بعض افراده من هو على هذه الصفة والمعنى انه ان فاز بالمطلوب الدينى وظفر بالمقصود نسى المعبود وان فاتته شئ من ذلك وتأخرت الاجابة استولى عليه الاسف وغلب عليه القنوط ويئس وكلمتا الخصلتين قبيحة مذمومة ولا ينافى ما فى هذه الاية قوله تعالى واذاامسه الشر فذود دعاء عريض ونظيره فان ذلك شأن بعض آحر منهم غير البعض المذكور فى هذه الاية ولا يعبدان يقال لامنافاة بين الايتين فقد يكون مع شدة يأسه وكثرة قنوطه كثير الدعاء بلسانه (قل كل) اى كل أحد (يعمل على شاكلته) التى جبل عليها قال الفراء الشاكلة الطريقة وقيل الناحية قاله ابن عباس وقيل الطبيعة وقيل الدين وقيل النية قاله الحسن وبه فسرهما البخارى فى كتاب التفسير وقيل الجبله وأحسن ما قيل فيها ما قاله الزمخشري انها مذهبه الذى يشا كل حاله فى الهدى والضلالة من قولهم طريق ذوشوا كل وهى الطرق التى تشعبت منه وهى مأخوذة من الشكل وهو الممثل والنظير يقال لست على شكلى ولا على شاكلتى وأما الشكل بالكسر فهو الهيئة يقال جارية حسنة الشكل أو الشاكلة الروح والمعنى ان كل انسان يعمل على ما يشا كل أخلاقه التى ألفها أو على حسب جوهر نفسه فان كانت نفسه شرينة طاهرة صدرت

انه ارسل الى الامم الخالية رسلا فكذبت الرسل فلك يا محمد فى اخوانك من المرسلين اسوة فلا يمدنك تكذيب قومك لك واما المشركون الذين كذبوا الرسل فانما جعلهم على ذلك تزيين الشيطان لهم فهو وليهم اليوم اى هم تحت العقوبة والنكال والشيطان وليهم ولا يلك لهم خلاصا ولا صريح لهم ولهم عذاب أليم ثم قال تعالى لرسوله انه انما أنزل عليه الكتاب ليسين للناس الذى يختلفون فيه فالقرآن فاصل بين الناس فى كل ما يتنازعون فيه وهدى اى للقلوب ورحمة اى لمن تمسك به لقوم يؤمنون وكما جعل سبحانه القرآن حياة للقلوب الميتة بكفرها كذلك يحيى الارض بعد موتها بما أنزل عليها من السماء من ماء ان فى ذلك لاية لقوم يسمعون اى يفهمون الكلام

ومعناه (وان لكم في الانعام لبرة تستقيمكم بما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ومن ثمرات الخيل والاعناب
تتخذون منه سكرًا وورزًا حسنًا ان في ذلك لآية لقوم يعقلون) يقول تعالى وان لكم ايها الناس في الانعام وهي الابل والبقر والغنم
لبرة اي لآية ودلالة على حكمة خالقها وقدرته ورحمته ولطفه تستقيمكم بما في بطونه أفرده ههنا عودا على معنى النعم أو الضمير عائد
على الحيوان فان الانعام حيوانات أي تستقيمكم بما في بطن هذا الحيوان وفي الآية الاخرى بما في بطونها ويجوز هذا وكما في قوله
تعالى كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره وفي قوله (٣٦٠) تعالى وانى مرسله اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمان أي

المال وقوله من بين فرث ودم لبنا
خالصا أي يتخلص الدم بياضه وطعمه
وحلاوته من بين فرث ودم في بطن
الحيوان فيسرى كل الى موطنه اذا
نضج الغذاء في معدته فمصرف منها
دم الى العروق ولين الى الضرع وبول
الى المثانة وورث الى المخرج وكل منها
لا يشوب الاخر ولا يمازجه بعد
انفصاله عنه ولا يتغير به وقوله لبنا
خالصا سائغا للشاربين أي لا يغص به
أحد ولما ذكر اللبن وانه تعالى جعله
شرا للناس سائغا ثني بذكر ما يتخذه
الناس من الاشربة من ثمرات الخيل
والاعناب وما كانوا يصنعونه من
النبيذ المسكر قبل تحريمه ولهذا
امتن به عليهم فقال ومن ثمرات
الخيل والاعناب تتخذون منه
سكرا دل على اباحته شرعا قبل
تحريمه ودل على التسوية بين المسكر
المتخذ من الخيل والمتخذ من العنب
كما هو مذهب مالك والشافعي وأحمد
وجهور العلماء وكذا حكم سائر
الاشربة المتخذة من الخنطة والشعير
والذرة والعسل كما جاءت السنة
بتنصيل ذلك وليس هذا موضع بسط
ذلك كما قال ابن عباس في قوله سكرًا
ورزقا حسنا قال السكر ما حرم من

عنه أفعال جميلة وأخلاق زكية وان كانت نفسه كدرة خبيثة صدرت عنه أفعال خبيثة
فاسدة رديئة وهذا ذم للكافر ومدح للمؤمن (فر بكم أعلم عن هو أهدي) لانه الخالق لكم
العالم بما جبلتم عليه من الطباع وما تباينتم فيه من الطرائق فهو الذي يميز بين المؤمن
الذي لا يعرض عند النعمة ولا يأس عند المحنة وبين الكافر الذي شأنه البطر للنعم
والقنوط عند النقم وأهدي من اهتدى على حذف الزوائد أو من هدى المتعدى أو من
هدى القاصر بمعنى اهتدى و (سيلا) تمييز أي أوضح طر يقاوأحسن مذهبا وأشد اتباعا
للحق ثم لما نجز الكلام الى ذكر الانسان وما جبل عليه من كرسبجانه سؤال السائلين
لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الروح فقال (ويستأونك عن الروح) قد اختلف
الناس في الروح المسئول عنه فقيل هو الروح المدبر للبدن الذي تكون به حياته وهذا
قال أكثر المفسرين قال القراء الروح الذي يعيش به الانسان لم يتخبر الله به سبحانه أحدًا
من خلقه ولم يعط علمه أحدًا من عباده وقيل الروح المسئول عنه جبريل وقيل عيسى وقيل
القرآن وقيل ملك من الملائكة عظيم الخلق وقيل خلق كخلق بني آدم وقال بعضهم هو الدم
الأتري الانسان اذا مات لا يفوت منه شيء الا الدم وقال قوم هو نفس الحيوان بدليل انه
يموت باحتباس النفس وقال قوم هو عرض وقال قوم هو جسم لطيف يحيا به الانسان
وقيل الروح معنى اجتماع فيه النور والطيب والعلم والعلو والبقاء والظاهر هو القول الاول
وسأني ذكر سبب نزول هذه الآية وبيان السائلين لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن
الروح ثم الظاهر ان السؤال عن حقيقة الروح لان معرفة حقيقة الشيء أهم وأقدم من
معرفة حال من أحواله ثم أمره سبحانه ان يجيب عن السائلين له عن الروح فقال (قل
الروح) أظهر في مقام الاضمار اظهار الكمال الاعتناء بشأته (من أمر ربى) من بيانية
والامر بمعنى الشأن والاضافة للاختصاص العلمي لا الاجتادي لا مشترك في نفسه وفيها
من تشريف المضاف ما لا يخفى كما في الاضافة الثانية من تشريف المضاف اليه أي هو
من جنس ما استأثر الله بعلمه من الاشياء التي لم يعلم بها عباده وأبهم أمر الروح وهو مبهم
في التوراة أيضا وقيل المعنى من وحيه وكلامه لان كلام البشر وفي هذه الآية ما يبرز
الخاصة في شأن الروح المتكافين لبيان ماهيته وايضاح حقيقةه أبلغ زجر ويرد عنهم
أعظم ردع وقد أطلوا المقال في هذا البحث بما لا يتسع له المقام وغالبه بل كله من الفضول

ثمرتها والرزق الحسن ما أحل يعني ما ليس منه ما من ثمر وزبيب وما عمل منها من طلا وهو الدبس والخل ونبيذ الذي
حلال يشرب قبل ان يشهد كما وردت السنة بذلك ان في ذلك لآية لقوم يعقلون ناسب ذكر العقل ههنا فانه أشرف ما في الانسان
ولهذا حرم الله على هذه الامة الاشربة المسكرة صيانة لعقولها قال الله تعالى وجعلنا فيها اجنات من نخيل وأعناب وثمرات فيها
من العيون ليا كوا من ثمره وما علمته أيديهم أفلا يشكرون سبحانه الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم
ومما لا يعلمون (وأوحى ربك الى النحل ان اتخذ من الجبال بيوتا ومن الشجر وما يعرشون ثم كل من كل الثمرات فاسلكي سبيل

ربك دللا يخرج من بطونهم شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون (ون المراد بالوحي هنا الالهام والهداية والارشاد للنحل ان تتخذ من الجبال بيوتاً تأوى اليها ومن الشجر ومما يعرشون ثم هي محكمة في غاية الاتقان في تسديسها ورضها بحيث لا يكون في بيتها خلل ثم أذن لها تعالى ان اذا قدر يا تسخير يا ان تأكل من كل الثمرات وان تسلك الطرق التي جعلها الله تعالى مذلة لها أي مسهلة عليها حيث شئت من هذا الجو العظيم والبراري الشاسعة والاودية والجبال الشاهقة ثم يعود كل واحدة منها الى بيتها لتجيد عنه عينة ولا يسرقة بل الى بيتها وما لها فيه من فرخ وعسل (٣٦١) فبني الشمع من أجنتها وتقي العسل من فيها

والذي لا يأتي بشفع في دين ولا دنيا وقد حكى بعض الحققة ان أقوال المختلفين في الروح بلغت الى ثمانية عشر مائة قول فانظر الى هذا الفضول الفارغ والتعب العاطل عن النفع بعد ان علموا ان الله سبحانه قد استأثر بعلمه ولم يطلع عليه أنبياءه ولا اذن لهم بالسؤال عنه ولا البحث على حقيقته فضلا عن امهم المقتدين به سم في الله العجب حيث تبلغ أقوال أهل الفضول والقائمين بالمعقول من المنقول الى هذا الحد الذي لم تبلغه ولا بعضه في غير هذه المسئلة مما أذن الله بالكلام فيه ولم يستأثر بعلمه وقد عجزت الاوائل عن ادراك ماهيته بعد انفاق الاعمار الطويلة على الخوض فيه والحكمة في ذلك تعجز العقل عن ادراك معرفة مخلوق مجاوره ليبدل على انه عن ادراك خالقه أعجز ولذا رد ما قيل في حده قديما وحديثا ثم ختم سبحانه هذه الآية بقوله (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) الخطاب عام لجميع الخلق ومن جلتهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل هو خطاب لليه وذخاثة والاولى أولى ويدخل فيه اليهود ودخولاً وليا والمعنى ان علمكم الذي علمكم الله ليس الا المقدار القليل بالنسبة الى علم الخالق سبحانه وان أوتيتم حظا من العلم وافرا بل علم الانبياء عليهم السلام ليس هو بالنسبة الى علم الله سبحانه الا كما يأخذ الطائر في منقاره من البحر كما في حديث موسى والخضر عليهم السلام وعبارة الخازن ان القلة والكثرة تدوران مع الاضافة فوصف الشيء بالقلة بالنسبة الى ما فوقه وبالكثرة الى ما تحته انتهى اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في خرب المدينة وهو متسكى على عسيب فبرقوم من اليهود فقال بعضهم لبعض اسألوه عن الروح فقال بعضهم لا تسألوه فقالوا لايحدم الروح فما زال متسكيا على العسيب فظننت انه يوحى اليه فقال ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي الآية وأخرج أحمد والترمذي وصححه النسائي وابن المنذر وابن حبان في العظمة والحاكم وصححه وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي عن ابن عباس قال قالت قريش لليهود اعطونا شيئا نسأل هذا الرجل قالوا سألوه عن الروح فنزلت هذه الآية قالوا وبتنا علما كثيرة او وبتنا التوراة ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيرا كثيرا فانزل الله قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفدت البحر قبل ان تنفد كلمات ربي الآية وفي الباب أحاديث وأثار ولما بين سبحانه انه ما آتاهم من العلم الا قليلا بن انه لو شاء ان يأخذ منهم هذا القليل لفعل فقال (ولئن) اللام هي الموطئة الدالة على القسم

وتبيض الفراح من دبرها ثم تصبج الى مراعيها وقال قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم فاسلكي سبل ربك ذللا أي مطيعة فجعله حالا من السالكة قال ابن زيد وهو كقول الله تعالى وذلكناها لهم فيها ركبهم ومنها يا كلون قال ألا ترى انهم ينقلون النحل ببوته من بلد الى بلد وهو يصحبهم والقول الاول هو الاظهر وهو انه حال من الطريق أي فاسلكيها مذلة لك نص عليه مجاهد وقال ابن جرير كلا القولين صحيح وقد قال أبو يعلى الموصلي حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا مسكين بن عبد العزيز عن أبيه عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر الذباب أربعون يوما والذباب كاه في النار الا النحل وقوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ما بين أبيض وأصفر وأحمر وغير ذلك من الالوان الحسنة على اختلاف مراعيها وما كلها منها وقوله فيه شفاء للناس أي في العسل شفاء للناس أي من أدواء تعرض لهم قال بعض من تكلم

(٤٦ فتح البيان خامس)

على الطب النبوي لو قال فيه الشفاء للناس لكان دواء لكل داء ولكن قال فيه شفاء للناس أي يصلح لكل أحد من أدواء باردة فانه حار والشيء يداوى بضده قال مجاهد وابن جرير في قوله فيه شفاء للناس يعني القرآن وهذا قول صحيح في نفسه ولكن ليس هو الظاهر ههنا من سياق الآية فان الآية انما ذكر فيها العسل ولم يتابع مجاهد على قوله ههنا وانما الذي قاله ذلك كروهي وقوله تعالى ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين وقوله تعالى يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لمن في الصدور وهدي ورحمة للمؤمنين والدليل على ان المراد بقوله تعالى فيه شفاء للناس هو العسل

الحديث الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحهم ما من رواية قتادة عن أبي المتوكل علي بن داود الناجي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان أخى استطلق بطنه فقال اسقه عسلا فذهب فسقاه عسلا ثم جاء فقال يا رسول الله سقيته عسلا ما زاده الا استطلاقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك اذهب فاسقه عسلا فذهب فسقاه فبرأ قال بعض العلماء بالطلب كان هذا الرجل عنده فضلات فلما (٣٦٢) سقاه عسلا وهو حار تحللت فأسرعت في الاندفاع فزاده اسهالا فاعتقد

الاعرابي ان هذا يضره وهو مصلحة لاخيه ثم سقاه فاذا زاد التحليل والدفع ثم سقاه فكذلك فلما اندفعت الفضلات الفاسدة المضرة بالبدن استمسك بطنه وصلى من اجبه واندفعت الاسقام والالام ببركة اشارته عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام وفي الصحيحين من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعجبه الخلواء والعسل هذا اللفظ البخاري وفي صحيح البخاري من حديث سالم الافطس عن مجاهد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشفاء في ثلاثة في شرطة محجم أو شربة عسل أو وكية بنار وانهى أمي عن الكي وقال البخاري حدثنا أبو نعيم حدثنا عبد الرحمن بن الغسيل عن عاصم بن عمر بن قتادة سمعت جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان كان في شيء من أدويتكم أو يكون في شيء من أدويتكم خسر ففي شرطة محجم أو شربة عسل أو لدعة بنار يوافق

المقدر أي والله لئن (شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك) وبقيت كما كنت ما تدري ما الكتاب وهذا جواب القسم وجواب الشرط محذوف أي ذهبنابه على القاعدة في اجتماع الشرط والقسم من حذف جواب المتأخر استغناء عنه بجواب المتقدم قال الزجاج أي لو شئنا لمحوناه من القلوب ومن الكتب حتى لا يوجب له أثر انتهى وعبر عن القرآن بالموصول تفخيما لشأنه (ثم لا تجد لآية) بالقرآن (علينا وكيلنا) أي من يتوكل علينا في ردي شيئنا منه بعد ان ذهبنابه ويتعهدو يلتزم استرداده بعد رفعه كما يلتزم الوكيل ذلك فيما يتوكل عليه (الارحة من ربك) الاستثناء فيه قولان أحدهما انه متصل لان الرحمة تندرج في قوله وكيلنا يعني الارحة فانها ان نالتك فلعلها تسترده عليك والثاني انه منقطع فعنائه لكن لانشاء ذلك رحمة من ربك أو لكن رحمة ربك تركته غير مذموب به وألكن أبقيناه الى قرب قيام الساعة فعمد ذلك يرفع ويقدر الابلكن عند البصر بين ويبل عند الكوفيين وقد أخرج سعيد بن منصور والحاكم وصححه والطبراني والبيهقي وغيرهم عن ابن مسعود قال ان هذا القرآن سيرفع قيل كيف يرفع وقد أثبتته الله في قلوبنا وأثبتناه في المصاحف قال يسرى علمه في ليلة واحدة فلا تترك منه آية في قلب ولا مصحف الأرفعت فصيحون وليس فيكم منه شيء ثم قرأ هذه الآية وقد روى هذا عنه وعن جمع من الصحابة موقوفا ومر فوعا (ان فضله كان عليك كبيرا) حيث جعلك رسولا وانزل عليك الكتاب وألقى عليك القرآن والعلم وصيرك سيد ولد آدم وختم بك النبيين وأعطاك المقام المحمود وغير ذلك مما أنعم الله به عليك ثم احتج سبحانه على المشركين باعجاز القرآن فقال (قل لئن اللام لام قسم وفيه ما تقدم) (اجتمع الناس والجن) وكذا الملائكة وانعام يذكروا ان التصدي ليس معهم والتصدي لمعارضته لا يليق بشأنهم (على ان يأوتجمل هذا القرآن) المنزل من عند الله الموصوف بالصفات الجميلة من كمال الفصاحة ونهاية البلاغة وحسن النظم وجزالة اللفظ (لا يأتون بمثله) أظهر في مقام الاضمار ولم يكتب بأن يقول لا يأتون به على ان الضمير راجع الى المثل المذكور لدفع توهم ان يكون له مثل معين وللإشعار بأن المراد نفي المثل على أي صفة كان وهو جواب قسم محذوف أو جواب للشرط واعتمدوا عن رفعه بأن الشرط ماض والاول أظهر ثم أوضح سبحانه عجزهم عن المعارضة سواء كان المتصدي لها أحدهم على الانفراد أو كان المتصدي لها الجموع بالظاهرة فقال (ولو كان

الداء وما أحب ان اكتبوى ورواه مسلم من حديث عاصم بن عمر بن قتادة عن جابر وقال الامام أحمد بعضهم حدثنا علي بن اسحق أنبا ناسع عبد الله أنبا ناسع عبد بن أبي أيوب حدثنا عبد الوليد عن أبي الخير عن عقبه بن عامر الجهني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث ان كان في شيء شفاء فشرطه محجم أو شربة عسل أو وكية تصيب الما وأنا أكره النبي ولأحبه رواه الطبراني عن هرون بن سألون المصري عن أبي عبد الرحمن المقرئ عن عبد الرحمن بن الوليد به ولفظه ان كان في شيء شفاء فشرطه محجم وذكره وهذا السناد صحيح ولم يخرجوه وقال الامام أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني في سننه

حدثنا علي بن سلمة هو التغلبي حدثنا زيد بن حباب حدثنا سفيان عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله هو ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالشفاء من العسل والقرآن وهذا اسناد جيد تفرد باخراجه ابن ماجه مر فوعا وقد رواه ابن جرير عن سفيان بن وكيع عن أبيه عن سفيان هو الثوري به موقوف وله شبهه وروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه قال اذا أراد أحدكم الشفاء فليكتب آية من كتاب الله في صحيفة وليغسلها بجماء السماء وليأخذ من امرأته درهما عن طيب نفس منها فليشتر به عسلا فليشربه كذلك فانه (٣٦٣) شفاء من وجوهه قال الله تعالى وتنزل من القرآن

ما هو شفاء ورجة للمؤمنين وقال
وأنزّلنا من السماء ماء مباركا وقال
فان طبن لكم عن شيء منه نفسا
فكلوه خشيئا مرثيا وقال في العسل
ففيه شفاء للناس وقال ابن ماجه
أيضا حدثنا محمود بن خدش
حدثنا سعيد بن زكريا المقرئ
حدثنا الزبير بن سعيد الهاشمي عن
عبد الحميد بن سالم عن أبي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من لعق العسل ثلاث غدوات
في كل شهر لم يصبه عظيم من البلاء
الزبير بن سعيد متروك وقال ابن ماجه
أيضا حدثنا ابراهيم بن محمد بن
يوسف بن سرح القرطبي حدثنا عمرو
ابن بكر السكسكي حدثنا ابراهيم
ابن أبي نميلة سمعت أبي بن أم
سحرام وكان قد صلى القبليتين يقول
سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول عليكم بالسنا والسناوت
فان فيها شفاء من كل داء الا السام
قيسيل يا رسول الله وما السام قال
الموت قال عمرو وقال ابن أبي عمير
السناوت الشبت وقال آخرون بل
هو العسل الذي في رزاق السمن
وهو قول الشاعر

بعضهم لبعض ظهيرا) أي عونا ونصيرا في تحقيق ما يتوخونه من الايمان بمنزلة فثبت انهم
لا يأتون بمنزلة على كل حال مفروض ولو في هذه الحال المنافمة لعدم الايمان به فضلا عن
غيرها وفيه حسم لا طماعهم الفارغة في روم تبديل بعض آياته ببعض وقد تقدم وجه
الاجاز في أوائل سورة البقرة وفي هذه الآية رد لما قاله الكفار لو نشاء لقلنا مثل هذا
واكذاب لهم عن ابن عباس قال أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محمود بن شعبان
ونعيمان بن أصبى وبجري بن عمرو وسلام بن مشكم فقالوا أخبرنا يا محمد بهذا الذي جئت به
أحق من عند الله فاننا انراه متناسقا كما تناسق التوراة فقال لهم والله انكم لتعرفونه انه
من عند الله قالوا وانجيتك بمنزل ما أتى به فانزل الله تعالى هذه الآية فالقرآن كلام الله في
اعلى طبقات البلاغة والفصاحة لا يشبهه كلام الخلق لانه كلام الخالق وهو غير مخلوق
ولو كان مخلوقا لالتوا بمنزله وهو معجز في النظم والتأليف والاختبار عن الغيوب ثم بين سبحانه
ان الكفار معجزهم عن المعارضة استمروا على كفرهم وعدم ايمانهم فقال (ولقد صرفنا
للناس في هذا القرآن من كل مثل) أي ردونا القول فيه بوجوه مختلفة زيادة في التقرير
والبيان وكررنا بكل مثل يوجب الاعتبار من الآيات والعبارة والترغيب والترهيب
والاوامر والنواهي وأقاصيص الاولين والجنّة والنار والقيامة وقيل من كل معنى هو
كالمثل في غرابته وحسنه ووقوعه موقعا في النفس والاول أولى (فأبى اكثر الناس)
يعنى من أهل مكة (الا كفورا) فانهم جحدوا وأنكروا كون القرآن كلام الله بعد
قيام الحجّة عليهم واقترحوا من الآيات ما ليس لهم وأظهروا في مقام الاضمار حيث قال فأبى
أكثر الناس تأكيدا وتوضيحا ولما كان أي مؤولا بالذني أي ما قبل أو لم يرض صح
الاستثناء منه (وقالوا) أي قال رؤساء مكة كعتبة وشيبة ابني ربيعة وأبي سفيان
والنضر بن الحرث قول المهجوت المحجوج المتكسر ولما تبين اججاز القرآن وانضمت
اليه معجزات اخر وبيّنات ولزمهم الحجّة وغلبوا أخذوا يتعللون باقتراح الآيات وقالوا
(ان تؤمنن لك) ثم علقوا في ايمانهم بغاية طلبها فقالوا (حق تفجر لنا من الارض)
أي مكة (ينبوعا) عيناً غزيرة من شأنها أن تنبع بالماء قرى تفجر مخنفا ومشددا وهما
سبعيتان ولم يختلفوا في تفجر الانهار انهما مشددة بانفاق السبعة ووجه ذلك أبو حاتم بان
الاولى بعدها ينبوع وهو واحد والثانية بعدها الانهار وهي جمع وأجيب عنه بأن

هم السمن بالسناوت لا أس فيهم * وهم ينعون جارهم ان يقردا كذا رواه ابن ماجه

وقوله لا أس فيهم أي لا خلط وقوله ينعون جارهم ان يقردا أي يذلل وقوله ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون أي ان في الهام الله
لهذه الدواب الضعيفة الحلقة الى السلوك في هذه المهامه والاجتناء من سائر الثمار ثم جمعها للشمع والعسل وهو من أطيب الاشياء
لاية لقوم يتفكرون في عظم خالقها ومقدرها ومسخرها وميسرها فيستدلون بذلك على انه القادر الحكيم العليم الكريم الرحيم
(والله خلقكم ثم ثوفاكم ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا ان الله عليم قدير) يخبر تعالى عن تصرفه

في عباده وانه الذي أنشأهم من العدم ثم بعد ذلك يتوفاهم ومنهم من يتركه حتى يدركه الهرم وهو الضعف في الخلقة كما قال
الله تعالى الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة الآية وقد روى عن علي رضي الله عنه أن ذل العمر خمس وسبعون
سنة وفي هذا السن يحصل له ضعف القوة والخرف وسوء الحفظ وقلة العلم ولهذا قال لكيلا يعلم بعد علم شيئا أي بعدما كان عالما
أصبح لا يدرى شيئا من الخرف ولهذا روى البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا هرون بن موسى أبو عبد
الله الاور عن شعيب عن أنس بن مالك ان (٢٦٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو أعوذ بك من الجبل والكنس

والهرم وأرذل العمر وعذاب القبر
وفتنة الدجال وفتنة الحيا والممات
وقال زهير بن أبي سلمة في معلقته
المشهوره

سئمت تكاليف الحياة ومن يعيش
ثمانين عامالا بالك يسأم
رأيت المنايا خبط عشواء من تصب
تمته ومن تخطى يعرفهم
(والله فضل بعضكم على بعض في
الرزق فالذين فضلوا يراى رزقهم
على ما ملكت أيمانهم فهم فيه
سواء أفبنعمة الله يجحدون) بين
تعالى للمشركين جهلهم وكفرهم
فيمار عموه الله من الشركاء وهم
يعترفون انهم اعبيده كما
كانوا يقولون في تليبتهم في جهنم
ليسك لا شريك لك الا شريك هولك
تملكه وما ملك فقال تعالى منكرا
عليهم انتم لا ترضون ان تساووا
عبيدكم فيما رزقناكم فكيف
يرضى هو تعالى بمساواة عبيدله
في الالهية والتعظيم كما قال في
الآية الاخرى ضرب لكم مثلا
من أنفستكم هل لكم مما ملكت
أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم
فانتم فيه سواء يخافونهم كخيفتكم

الينبوع وان كان واحدا في اللفظ فالمراد به الجمع فان ينبوع العيون التي لا ينضب ماؤها
ويرد بان ينبوع عين الماء والجمع يتابع وانما يقال للعين ينبوع اذا كانت غزيرة من شأنها
النبوع من غير انقطاع وهو يفعل من نبع الماء والياء زائدة كيعبوب من عب الماء قال
مجاهد ينبوعا عيوننا وعن السدي ينبوع هو النهر الذي يجري من العين (أو تكون لك
جنة) أي بستان تستر أشجاره أرضه وقال ابن عباس جنة ضيقة والمعنى هب انك لا تفجر
الانهار لاجلنا ففجرها من أجلك بأن تكون لك جنة (من نخيل وعنب فتفجر الانهار)
أي تجريها بقوة (خلا لها) أي وسط الجنة (تفجيرا) كثيرا وتشقيقا (أو تسقط السماء
كأزعمت علينا كسفا) أي قطعها قاله ابن عباس قرأ مجاهد أو تسقط مسند الى السماء
وقرأ من عداه أو تسقط على الخطاب أي أو تسقط أنت يا محمد السماء والكسف بفتح السين
جمع كسفة والكسفة القطعة من الشيء قاله الجوهرى يقال اعطى كسفة من ثوبك والجمع
كسف وكسف أي اسقاطا مماثلة كما زعمت يعنون بذلك قول الله سبحانه ان نشأ نخسف بهم
الارض أو تسقط عليهم كسفا من السماء قال أبو علي الكسف بالسكون الشيء المقطوع
كالطين للمطحون واشتقاقه على ما قال من كسفت الثوب كسفا اذا قطعتة وقال الزجاج
من كسفت الشيء اذا عطيتة كأنه قيل أو تسقطها طبقاتها علينا (أو تأتي بالله والملائكة
قبلا) أي حال كونهم مقابلين بفتح الباء ومرئيين لنا فالقبيل بمعنى المقابل كالعشير بمعنى
العاشر اختلف المفسرون في معنى قبيلة فقيل معناها عاينة قاله قتادة وابن جرير
واختاره أبو علي الفارسي فقال اذا جلت على المعانية كان القبيل مصدرا كالنكير والنذير
وقيل معناها كفيلة كما تدعيه قاله الفخار وقيل شهيدا قاله مقاتل وقيل هو جمع القبيلة أي
تأتي بأصناف الملائكة قبيلة قبيلة قاله مجاهد وعطاء (أو يكون لك بيت من زخرف)
أي من ذهب قاله ابن عباس وبه قرأ ابن مسعود وأصله الزينة والمزخرف المزين وزخارف
الماء طرائقه وقال الزجاج هو الزينة فرجع الى أصل معنى الزخرف وهو بعيد لانه يصبر
المعنى أو يكون لك بيت من زينة (أو ترقى في السماء) أي حتى تصعد في معارجها والرقى
الصعود يقال رقى في السلم اذا صعدت من باب تعب وارتقيت منسلة ويقال رقى بكسر
القاف يرقى بالفتح رقا على فعول والاصل رقوى وبالکسر في المحسوسات كما هنا وأما في
المعاني فهو من باب سعى يقال رقى في الخير والشر يرقى في الماضي والمضارع وأما رقى

أنفستكم الآية قال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية يقول لم يكونوا يشركوا عبيدهم في أموالهم ونسائهم المريض
فكيف يشركون عبيدى معى في سلطاني فذلك قوله أفبنعمة الله يجحدون وقال في الرواية الاخرى عنه فكيف ترضون لى
ما لا ترضون لانفسكم وقال مجاهد في هذه الآية هذا مثل الآلهة الباطلة وقال قتادة هذا مثل ضرب به الله فهل منكم من أحد
شارك ملوكه في زوجته وفي فراشه فيعدلون بالله خلقه وعباده فان لم ترض لنفسك هذا فانه أحق ان ينزه منك وقوله أفبنعمة الله
يجحدون أي انهم جعلوا الله محاذرا من الحرث والانععام نصيبا فجدوا نعمته وأشركوا معه غيره وعن الحسن البصرى قال كتب عمر

ابن الخطاب رضی الله عنه هذه الرسالة الى ابي موسى الاشعري واقنع برزقك من الدنيا فان الرحمن فضل بعض عباده على بعض في الرزق بلا يتلى به كلافيتي من بسط له كيف شكره الله وأداؤه الحق الذي افترض عليه فيما رزقه وخوله ورواه ابن ابي حاتم (والله جعل لكم من انفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون) يذكركم على عبادة الله وجعل لهم من انفسهم أزواجا من جنسهم وشكلهم ولو جعل الأزواج من نوع آخر ما حصل الائتلاف والمودة والرحمة ولكن من رحمته خلق من بني آدم (٣٦٥) ذكورا واناثا وجعل الاناث أزواجا للذكور

ثم ذكركم على انه جعل من الأزواج البنين والبنين وهم أولاد البنين قاله ابن عباس وعكرمة والحسن والفضال وابن زيد قال شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بنين وحفدة هم الولد وولد الولد وقال سنيد حدثنا حجاج عن أبي بكر عن عكرمة عن ابن عباس قال قال بنو كعب حيث يحفدونك ويرفدونك ويعينونك ويخدمونك قال حميد

حفدة الولد حوله بن وأسلمت

بأ كفه من ازمة الاجال وقال مجاهد بنين وحفدة ابنه وخادمه وقال في رواية الحفدة الانصار والاعوان والخدام وقال طاوس وغير واحد الحفدة الخدم وكذا قال قتادة وأبو مالك والحسن البصري وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة انه قال الحفدة من خدمت من ولدك وولد ولدك قال الفضال انما كانت العرب تخدمها بنوها وقال العوفي عن ابن عباس قوله وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة يقول بنو امرأة الرجل

المريض بمعنى عودته فهو من باب رمي يقال رفاه يرفقه اذا عودته وتلا عليه شيئا من القرآن (ولن تؤمن لرقيبت) أي لاجل رقيبتك أو به فاللام للتعليل أو بمعنى الباء وهو مصدر نحو مضى يمضي مضيا وهو يمضي هو يا (حتى تنزل علينا كتابا) يصدق ويدل على نبوتك (تقرؤه) جميعا ويقرؤه كل واحد منا وقبل معناه كتابا من الله الى كل واحد منا كافي قوله بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منسرة قال مجاهد يعنون كتابا من رب العالمين الى فلان بن فلان تصح عند كل رجل صحيفة عند رأسه موضوعة يقرؤها فامر سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يأتي بما يفيد التعجب من قولهم والتعزية للرب سبحانه عن اقتراحاتهم القبيحة فقال (قل) وفي قراءة سبعية قال (سبحان ربى) تعجب عما تقدم أو عن ان يتحكم عليه أو يشاركه أحد في القدرة (هل كنت الا بشرا) من البشر لا ملكا حتى أصعد السماء (رسولا) كسائر الرسل مأمورا من الله سبحانه باطلاعكم فهل سمعتم أي المقترحون لهذه الامور ان بشر اقدر على شئ منها وان أردتم اني أطلب ذلك من الله سبحانه حتى يظهرها على يدي فالرسول اذا أتى بحجة واحدة كفاه ذلك لان بها يتبين صدقه ولا ضرورة الى طلب الزيادة وانما عبد مأمور ليس لي ان أتحكم على ربي بما ليس بضروري ولا دعت اليه حاجة ولولزمتمني الاجابة لكل متعنت لا ترح كل معاندي كل وقت اقتراحات وطلب لنفسه اظهار آيات فتعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وتزه عن نعماتهم ووقدس عن اقتراحاتهم وقد أعطى النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الآيات والمعجزات ما يغني عن هذا كله مثل القرآن وانشقاق القمر ونبع الماء من بين أصابعه وما أشبهها وليست بدون ما اقترحوه بل أعظم منه ولكن لم يكن قصدهم طلب الدليل بل كانوا متعنتين ثم حكى سبحانه شبهة أخرى قد تكررت في الكتاب العزيز التعرض لآيادها وردها في غير موضع فقال (وما منع الناس ان يؤمنوا) المراد الناس على العموم وقيل أهل مكة على الخصوص أي ما منعهم الايمان بالقرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم (اذ جاءهم الهدى) أي الوحى من الله سبحانه على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وبين ذلك لهم وأرشدهم اليه أي ما منعهم وقت محى الهدى ان يؤمنوا بالقرآن والنبوة (الا ان قالوا) أي ما منعهم الا قولهم (أبعث الله بشرا رسولا) الهمة للانكار منهم ان يكون الرسول من جنس البشر والمعنى ان هذا الاعتقاد الشامل لهم هو الذى منعهم

ليس وامنه ويقال الحفدة الرجل يعمل بين يدي الرجل يقال فلان يعمل لنا قال يزعهم رجال ان الحفدة اختان الرجل وهذا الاخير الذى ذكره ابن عباس قاله ابن مسعود ومسروق وأبو الضحى وابراهيم النخعي وسعيد بن جبيرة ومجاهد والقرطبي ورواه عكرمة عن ابن عباس وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هم الاصهار قال ابن جرير وهذه الاقوال كلها داخله في معنى الحفدة وهو الخدمة الذى منه قوله في القنوت واليك نسعي وتحفدولما كانت الخدمة قد تكون من الاولاد والخدم والاصهار فالنعمة حاصلة بهذا كله ولهذا قال وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة قلت فمن جعل وحفدة متعلقا بأزواجكم فلا بد ان يكون المراد الاولاد

وأولاد الأولاد والاصهار لانهم أزواج البنات وأولاد الزوجة وكذا قال الشعبي والضحك فانهم يكونون غالباً تحت كنف الرجل وفي حجره وفي خدمته وقد يكون هذا هو المراد من قوله عليه الصلاة والسلام في حديث نصر بن أكرم والولد عبدك رواه أبو داود وأما من جعل الحفدة الخدم فعندهم انه معطوف على قوله والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً أي جعل لكم الأزواج والأولاد خدماً وقوله ورزقكم من الطيبات أي من المطاعم والمشارب ثم قال تعالى منكر اعلی من أشرك في عبادة المنعم غيره أقبال باطل يؤمنون وهم الأنداد والاصنام وبنعمة الله هم يكفرون (٣٦٦) أي يسترون نعم الله عليهم ويضيعونها الى غيره وفي الحديث الصحيح ان الله

عن الايمان بالكتاب وبالرسول وعبر عنه بالقول للاشعار بأنه ليس الا مجرد قول قالوه بأفواههم ثم أمر سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يجيب عن شبهتهم هذه فقال (قل لو كان أي لو وجد وثبت في الارض) بدل من فيها من البشر (ملائكة يمشون) على الاقدام كما يشي الانس (مطمئنين) مستقرين فيها ساكنين بها قال الزجاج مستوطنين في الارض أي لا يظنون عنها الى السماء ومعنى الظمأ ينبت السكون فالمراد ههنا المقام والاستيطان فانه يقال سكن البلد فلان اذا أقام فيها وان كان ماشياً يامتلأ قلبها في حاجاته (لنزلنا عليهم من السماء ملائكة رسولا) حتى يكون من جنسهم ويمكنهم مخاطبته والفهم عنه وفيه اعلام من الله سبحانه بأن الرسل ينبغي ان يكونوا من جنس المرسل اليهم فكانت اعتبار في تنزيل الرسول من جنس الملائكة أمر من الاول كون سكان الارض ملائكة والثاني كونهم ماشين على الاقدام غير قادرين على الطيران باجنحتهم الى السماء اذ لو كانوا قادرين على ذلك اطاروا اليها ومعها من أهلها ما يجب معرفته وسماعه فلا تكون في بعثة الملائكة اليهم فائدة ثم ختم الكلام بما يجري مجرى التهديد فقال (قل) لهم يا محمد من جهنم (كفى بالله) وحده (شهيدا) على ابلاغى اليكم ما أمرني به من أمور الرسالة وقال (يني وينسكم) ولم يقل يفتننا تحقيقاً للمفارقة الكلمة وقيل ان اظهار المعجزة على وفق دعوى النبي شهادة من الله على الصدق ثم علل كونه سبحانه شهيداً كافياً بقوله (انه كان بعبادة خبيراً) أي عالماً بجميع أحوالهم محيطاً بظواهرها وبواطنها (بصيراً) بما كان منها وما يكون وفيه تهديد لهم وتسلية له صلى الله عليه وآله وسلم ثم بين سبحانه ان الاقرار والانكار مستندان الى مشيئته فقال (ومن يهد الله) أي من يرد الله هدايته (فهو المهتد) الى الحق أو الى كل مطلوب وافرد الضمير جلا على لفظ من (ومن يضل) أي يرد اضلاله (فلن يجد) الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أول كل من يصلح له (لهم) جمع الضمير جلا على معنى من (أولياء) ينصرونهم ويهدونهم الى الحق الذي أضلهم الله عنه أو الى طريق النجاة (من دونه) أي من دون الله سبحانه (وتحشرهم يوم القيامة) ماشين (على وجوههم) هذا الحشر فيه وجهان للمفسرين الاول انه عداة عن الاسراع بهم الى جهنم من قول العرب قدم القوم على وجوههم اذا أسرعوا الثاني انهم يسحبون يوم

يقول لا بعد يوم القيامة ممناع عليه ألم أزوجك ألم أكرمك ألم أسخر لك الخليل والابن واذلرك رأساً وتربيع (ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقاً من السموات والارض شيئاً ولا يستطيعون فلا تضر بوالله الامثال ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون) يقول تعالى اخبار عن المشركين الذين عبدوا معه غيره مع انه هو المنعم المتفضل الخالق الرازق وحده لا شريك له ومع هذا يعبدون من دونه من الاصنام والأنداد والوثان مالا يملك لهم رزقاً من السموات والارض شيئاً أي لا يقدر على انزال مطر ولا انبات زرع ولا شجر ولا يملك ذلك أي ليس لهم ذلك ولا يقدرون عليه لو أرادوه ولهذا قال تعالى فلا تضر بوالله الامثال أي تجعلون له أنداداً وشبهاً وأمثالاً ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون أي انه يعلم ويشهد انه لا اله الا هو وأنتم تجهلونكم تشركون به غيره (ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ومن رزقناه من رزقاً حسناً فهو يتفق منه سر او جهرا هل يستمرون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) قال العوفي

عن ابن عباس هذا مثل ضرب به الله للكافرين المؤمنين وكذا قال قتادة واختره ابن جرير فالعبد المملوك الذي لا يقدر على القيامة شيء مثل الكافر والمرزوق الرزق الحسن فهو يتفق منه سر او جهرا هو المؤمن وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد هو مثل مضر وب اللوثة والحق تعالى فهل يستوى هذا وهذا ولما كان الفرق بينهما ظاهراً واضحاً بينا لا يجعله الاكل غيبي قال الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون (وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أي يما يوجبها لا يأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم) قال مجاهد وهذا أيضاً المراد به الوثن والحق تعالى يعني ان الوثن أبكم لا يتكلم ولا ينطق بخير ولا بشيء

ولا يقدر على شيء بالكلية فلا مقال ولا فعال وهو مع هذا كل أي عيال وكلفة على مولاه أي بما يوجهه أي يعينه لا يأت بخير ولا ينجم مسعاه هل يستوى من هذه صفاته ومن يأمر بالعدل أي بالقسط فقال له حق وفعاله مستقيمة وهو على صراط مستقيم وقيل الا بكم مولى لعثمان وبهذا قال السدي وقتادة وعطاء الخراساني واختار هذا القول ابن جرير وقال العوفي عن ابن عباس هو مثل للكافر والمؤمن أيضا كما تقدم وقال ابن جرير حدثنا الحسن بن الصباح البزار حدثنا يحيى بن اسحق السكيني (٣) حدثنا جاد حدثنا عبد الله ابن عثمان بن خيثم عن ابراهيم عن عكرمة عن يعلى بن امية عن ابن عباس (٣٦٧) في قوله ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على

شيء قال نزلت في رجل من قريش وعبدته يعني قوله عبد مملوك الآية وفي قوله وضرب الله مثلا رجلا من أحدهما ما ابكم الى قوله وهو على صراط مستقيم قال هو عثمان بن عفان قال والا بكم الذي أيضا بوجهه لا يأت بخير قال هو مولى لعثمان بن عفان كان عثمان يتفق عليه ويكفوه ويكفيه المائة وكان الاخر يكره الاسلام ويأباه وينهاه عن الصدقة والمعروف فنزلت فيهما (ولله غيب السموات والارض وما أمر الساعة الا كلعج البصر وهو أقرب ان الله على كل شيء قدير والله أخرجكم من بطون امهاتكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون ألم يروا الى الطير مستخرجات في جوار السماء ما يسكنهن الا الله ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون) يخبر تعالى عن كمال علمه وقدرته على الاشياء في علمه غيب السموات والارض واختصاصه بعلم الغيب فلا اطلاع لاحد على ذلك الا ان يطلعه تعالى على ما يشاء وفي قدرته التامة التي لاتخالق ولا تمنع وانها اذا اراد

القيامة على وجوههم حقيقة كما يفعل في الدنيا بين البالغ في اهانتة وتعذيبه وهذا هو الصحيح لقوله تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم ولما صح في السنة فقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس قال قيل يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم قال الذي أمشاهم على أرجلهم قادر أن يشبههم على وجوههم وأخرج أبو داود والترمذي وحسنه والبيهقي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف صنف مشاة وصنف ركبا وصنف على وجوههم قيل يا رسول الله كيف يشون على وجوههم قال ان الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على ان يشبههم على وجوههم أما انهم يتقون بوجوههم كل حذب وشوك والحذب ما ارتفع من الارض وفي الباب أحاديث (عميا وبكوصما) النصب على الحال والا بكم الذي لا ينطق والاصم الذي لا يسمع أي لا يصرون ولا ينطقون ولا يسمعون وهذه هيئة يعيشون عليها في أقيح صورة وأشنع منظر قد جمع الله لهم بين عي البصر وعدم النطق وعدم السمع مع كونهم مسحوقين على وجوههم وقد أثبت الله تعالى لهم الرؤية والكلام والسمع في قوله ورأى الجرمون النار وقوله دعوا هنا لثبور او قوله سمعوا الهاتعظا ورفيرا والمعنى هنا عميا لا يصرون ما يسرهم بكلا لا ينطقون بحجة صما لا يسمعون ما يلذ مسامعهم وقيل هذا حين يقال لهم اخذوا فيموا لالتكاملون وقيل يحشرون على ما وصفهم الله ثم تعاد اليهم هذه الاشياء بعد ذلك ثم ورا ذلك (ما واهم) أي المكان الذي يأوون اليه (جهنم) مستأنفة أو حال من الضمير قال ابن عباس يعني انهم وقودها (كما خبت) أي سكن لهم بانان أكل جلودهم ولحومهم يقال خبت النار تخبجوا خبوا اذا خدت وسكن لهم ا زاد السين فاذا ضعف جرها خدت فاذا اظفمت بالجملة قيل همدت وكلاهما من باب قعد قال ابن قتيبة معني (زدناهم سعيرا) تسعرا وهو التلهب والتوقد أي فتعود ملتمة ومتسعة فانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جزاهم الله بأن لا ير الواعلي الاعادة والافناء وقد قيل ان في خبوا النار تحقيقا العذاب أهلها فكيف يجمع بينه وبين قوله لا يخفف عنهم العذاب وأجيب بان المراد بعدم التخفيف انه لا يتخلل زمان محسوس بين الخبوا والتسعر وقيل ضعفت وهذات من غير ان يوجد نقصان في ايلامهم لان الله تعالى قال لا يفتر عنهم وقيل معناه ارادت ان تخبوا وقيل معناه كلما نضجت جلودهم واحترقت أعينهم والى ما كانوا

شيئا فانما يقول له كن فيكون كما قال وما أمرنا الا واحدة كلح بالبصر أي فيكون ما يريد كطرف العين وهكذا قال ههنا وما أمر الساعة الا كلح البصر وهو أقرب ان الله على كل شيء قدير كما قال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ثم ذكر تعالى منته على عبادته في اخر اجها اياهم من بطون امهاتهم لا يعلمون شيئا ثم بعد هذا يرزقهم السمع الذي به يدركون الاصوات والابصار التي بها يحسون المرآت والافئدة وهي العقول التي مركزها القلب على الصحيح وقيل الدماغ والعقل به يميز بين الاشياء ضارها ونافعها وهذه القوى والحواس تحصل للانسان على التدرج قليلا قليلا كلما كبر زيد في سمعه وبصره وعقله حتى يبلغ أشده وانما (٣) قوله ابن اسحق السكيني هكذا في الاصل وحرره اه

جعل تعالى هذه في الانسان ليتمكن بها من عبادة ربه تعالى فيستعين بكل جارحة وعضو وقوة على طاعة مولاه كما جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يقول تعالى من عادى لي وليا فقد اذى بالحرب وما تقرب الي عبدي شئ افضل من اداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احبته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصره ويديه التي يبسط بها ويروحله التي يمشي بها ولئن سألتني لاعطينه ولئن دعاني لاجيبه ولئن استعاذني لاعيذنه وما تردت في شئ انا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت واكره (368) مسأته ولا يبدله منه فعني الحديث ان العبد اذا اخلص الطاعة

صارت افعاله كلها لله عز وجل فلا يسمع الا لله ولا يبصر الا لله ولا يمشي الا ماشرعه الله ولا يبسط ولا يروحله الا في طاعة الله عز وجل مستعينا بالله في ذلك كله ولهذا جاء في رواية بعض الحديث في غير الصحيح بعد قوله ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبني يبصر وبني يبسط وبني يمشي ولهذا قال تعالى وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون كقوله في الآية الاخرى قل هو الذي انشاكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون قل هو الذي ذرأكم في الارض واليه تتحشرون ثم نبه تعالى عباده الى النظر الى الطير المسخر بين السماء والارض كيف جعله يطير بجناحين بين السماء والارض في جو السماء ما يسكنه هناك الا الله بقدرة تعالى التي جعل فيها قوى تفعل ذلك وسخر الهواء يحملها وسير الطير كذلك كما قال تعالى في سورة الملائك أولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يسكنهن الا الرجن انه بكل شئ بصير وقال ههنا

عليه وزيد في سعي النار لتحرقهم (ذلك) العذاب المذكور (جزاؤهم) الذي اوجبه الله لهم واستحقوه عنده (بانهم كفروا باياتنا) أي بسبب كفرهم بها فليصدقوا بالآيات التنزيلية ولا تفكروا في الآيات التكوينية (وقالوا انذا كنا عظاما ورفاتا) الهمة للانكار وقد تقدم تفسير هذه الآية في هذه السورة (أنا لمبعوثون) أي مخلوقون (خلقنا جديدا) مصدر من غير لفظه أو حال أي مخلوقين مستأنفين بخاء سبحانه بجملة تدفعهم عن الانكار وتردهم عن الجحود فقال (أولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم) أي من هو قادر على خلقها في عظمةها وشدها فهو على اعادة ما هو اودون منه في الصغر والضعف اقدر وقيل المراد انه قادر على افنائهم وابتعاد غيرهم من الانس قال الكرخي اراد بمنزلهم اياهم فعبر عن خلقهم بلفظ المثل كقول المتكلمين الاعادة مثل الابداء وذلك ان مثل الشئ مساو له في حاله فجاز ان يعبر عن الشئ نفسه يقال مثلك لا يفعل كذا أي أنت لا تفعله أو انه تعالى قادر على ان يخلق عبدا يوحدون ويقرون بكمال حكمته وقدرته ويتكون هذه الشهات الفاسدة وعلى هذا فهو كقوله يأت بخلق جديد ويستبدل قوما غيركم وعلى القول الاول يكون الخلق بمعنى الاعادة وعلى هذا القول هو على حقيقة والمعنى قد عدلوا بديل العقل ان من قدر على خلق السموات والارض فهو قادر على خلق أمثالهم لانهم ليسوا باشياء خلقا منها كما قال الله انتم أشد خلقا أم السماء قال الواحدى والاول أشبهه (وجعل لهم) أي لبعثهم (اجلا) أي وقتا محققا لعذابهم (لا ريب) أي غير مرتاب (فيه) وهو الموت والقيامة ويحتمل ان يكون الواو للاستئناف وقيل في الكلام تقديم وتأخير أي أولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض وجعل لهم اجلا لا ريب فيه قادر على ان يخلق مثلهم (فأبى الظالمون الاكفورا) أي ابى المشركون الاجود للاجل وعناد امع وضوح الدليل وفيه وضع الظاهر موضع المضمحل لعلكم عليهم بالنظم ومجازة الحد ثم لما وقع من هؤلاء الكفار طلب اجراء العيون والانهار في اراضيهم لتتسع مع عايشهم بين الله سبحانه انهم لا يقنعون بل يقولون على بخلهم وشحهم فقال (قل) لهم شر حالهم التي يدعون خلافها (لو أنتم تملكون) تقديره لو تملكون أنتم لان لو تدخل على الافعال دون الاسماء فلا بد من فعل بعدها وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الاعراب وأماما يقتضيه

ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا علم تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن اصوافها وابارها واشعارها انا وما عالى حين والله جعل لكم ما خلق ظللا وجعل لكم من الجبال اكنانا وجعل لكم سراييل تقيكم الحر وسراييل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون فان تولوا فاعلم انك البلاغ المبين يعرفون نعمه الله ثم شكرونها وأكثروا الكافرون) يذكر تبارك وتعالى تمام نعمه على عبده بما جعل لهم من البيوت التي هي سكن لهم بأوون اليها ويسترون بها وينفعون بها بأسائر ووجوه الانتفاع وجعل لهم أيضا من جلود

الانعام بيوتنا أي من الأدم يستخفون جملها في أسفارهم ليضربوها لهم في أقامتهم في السفر ولهذا قال تستخفونهم أي يوم ظعنكم
 ويوم أقامتكم ومن أصوافها أي الغنم وأوبارها أي الأبل وأشعارها أي المعز والضمير عائدا على الانعام أنا أي اتخذون منه
 أنا أي هو المال وقيل المتاع وقيل الثياب والصحيح أعسم من هذا كله فإنه يتخذ من الأثاث البسط والثياب وغير ذلك
 ويتخذ المالا وتجارة وقال ابن عباس الأثاث المتاع وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وعطية العوفي وعطاء
 الخراساني والضحاك وقادة وقوله إلى حين أي إلى أجل (٣٦٩) مسمى وقوله والله جعل لكم مما خلق

ظللا قال قتادة يعني الشجر
 وجعل لكم من الجبال أي كذا أي
 حصونا ومعقل كما جعل لكم
 سراييل تقيكم الحر وهو الثياب
 من القطن والكتان والصوف
 وسراييل تقيكم بأسكم كالدرع
 من الحديد المصفح والزرذ وغير
 ذلك كذلك يتم نعمته عليكم أي
 هكذا يجعل لكم ما تستعينون به
 على أمركم وما تحتاجون إليه
 ليكون عوناً لكم على طاعته
 وعبادته لعلكم تسلمون هكذا
 فسره الجمهور وقرؤه بكسر اللام من
 تسلمون أي من الاسلام وقال قتادة
 في قوله كذلك يتم نعمته عليكم هذه
 السورة تسمى سورة النعم وقال عبد
 الله بن المبارك وعباد بن العوام
 عن حنظلة السدوسي عن شهر بن
 حوشب عن ابن عباس أنه كان
 يقرؤها تسلمون بفتح اللام يعني من
 الجراح رواه أبو عبد القاسم بن
 سلام عن عباد وأخرجه ابن جرير
 من وجهين يورده هذه القراءة وقال
 عطاء الخراساني إنما نزل القرآن على
 قدر معرفة العرب التي إلى قوله
 تعالى والله جعل لكم مما خلق

علم البيان فهو ان في حذف الفعل الذي ارتفع به أنتم وبرز الازال الكلام في صورة المبتدأ والخبر
 دلالة على أنهم هم المختصون بالشئ المتبالغ فلا ينافي قوله تعالى لو ان لهم ما في الارض
 جميعا الآية لان ذلك في الآخرة (خزائن رحمة ربى) هي خزائن الارزاق (اذا الامسكتم)
 أي انجذتم وحبستهم في دار الدنيا قال الزجاج أعلمهم الله أنهم لولم يملكوا خزائن الارزاق
 والنعم لاسكوا وشحوا وبجلا (خشية الانفاق) أي خشية ان ينفقوا فيفتقروا
 قال أهل اللغة انفق وأصرم وأقتر بمعنى قل ماله فيكون المعنى لا تمسكتم خشية قلته
 المال وخوف نفاده وذهابه بالانفاق (وكان الانسان قنورا) أي بخيلا مسمى كما ضيق عليه
 يقال قتر على عياله يقترق أو قنورا ضيق عليهم من النفقة وقيل معنى قنورا قليل المال
 والظاهر ان المراد المتبالمال في وصفه بالشح لان الانسان ليس بقليل المال على العموم بل
 بعضهم كثير المال الا ان يراد ان جميع النوع الانساني قليل المال بالنسبة الى خزائن
 الله وما عنده وقد اختلف في هذه الآية على قولين أحدهما انها نزلت في المشركين خاصة
 وبه قال الحسن والثاني انها عامة وهو قول الجوهري وحكاها الماوردي (ولقد آتينا موسى
 تسع آيات بينات) أي علامات واضحات دالة على نبوته قيل ووجه اتصال هذه الآية بما
 قبلها ان المعجزات المذكورة كأنها مساوية لتلك الامور التي اقترحها كفارقريش بل
 أقوى منها فليس عدم الاستجابة لما طابو به من الآيات الالعدم المصلحة في استئصالهم ان
 لم يؤمنوا بها قال أكثر المفسرين الآيات التسع هي الطوفان والجراد والقمل والضفادع
 والدم والعصا واليد والسنين ونقص الثمرات وجعل الحسن مكان السنين ونقص الثمرات
 البحر والجبل وقال محمد بن كعب القرظي هي الخمس التي في الاعراف والبحر والعصا والجر
 والطمس على أموالهم وقد تقدم الكلام على هذه الآيات مستوفى وعن ابن عباس في
 تسع آيات مثل ما ذكرناه عن أكثر المفسرين وعنه قال يده وعصاه ولسانه والبحر
 والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وعن صفوان بن عسال ان يهوديين قال
 أحدهما لصاحبه اطلق بنا الى هذا النبي نسأله فآتماه فسألاه عن هذه الآية فقال
 لا تسركوا بالله شأيا ولا تزنوا ولا تسرقوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسرفوا
 ولا تسكروا ولا تشوا يبرى الى السلطان فيقتله ولا تاكلوا الربوا ولا تقذفوا محصنه أو قال
 لا تفروا من الزحف شك شعبة وعليكم بايم ودا خاصة ان لا تعتدوا في السبت فقبلا يديه

(٤٧ فتح البيان خامس) ظللا وجعل لكم من الجبال أي كذا وما جعل من السهل أعظم وأكثر ولكنهم كانوا أصحاب
 جبال الأترى إلى قوله ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أي كذا وما جعل لكم من غير ذلك أعظم منه وأكثر ولكنهم
 كانوا أصحاب وبر وشعر الأترى إلى قوله وينزل من السماء من جبال فيها من برد لعجمهم من ذلك وما أنزل من الثلج أعظم وأكثر ولكنهم
 كانوا لا يعرفونه الأترى إلى قوله تعالى سراييل تقيكم الحر وما بقي من البرد أعظم وأكثر ولكنهم كانوا أصحاب حر وقوله فان تولوا
 أي بعده هذا البيان وهذا الامتنان فلا عليك منهم فاعلمك البلاغ المبين وقد أدبته اليهم يعرفون نعمته الله ثم شكرونها أي

يعرفون ان الله تعالى هو المسدي اليهم ذلك وهو المنفضل به عليهم ومع هذا ينكرون ذلك ويعبدون معه غيره ويسندون النصر
والرزق الى غيره واكثرهم الكافرون كما قال ابن ابي حاتم حدثنا ابو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا عبد الرحمن بن يزيد
ابن جابر عن مجاهد ان اعرابيا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم والله جعل لكم من بيوتكم
سكنا فقال الاعرابي نعم قال وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا الآية قال الاعرابي نعم ثم قرأ عليه كل ذلك يقول الاعرابي نعم حتى
بلغ كذلك يتم نعمته عليكم لعالمكم ثم لمون (٣٧٠) فولى الاعرابي فانزل الله يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها الآية (ويوم نبعث

ورجله وقال ان شهدناك نبي الله قال فما نبعثك ان تسلمنا قالان داود دعا الله ان لا يزال في
ذريته نبي وان يخاف ان أسلمنا تقتلنا اليهود أخرجه أحد الترمذي وصححه والنسائي وابن
ماجه والطبراني وابن قانع والبيهقي وغيرهم وعلى هذا المراد بالآيات الاحكام العامة النابتة
في كل الشرائع سميت بذلك لانها تدل على حال من يتعاطى متعلقاتها في الآخرة من
السعادة والشقاوة وقوله عليكم ياهود الخ كلام مستأنف زائد على الجواب ولذلك غير
فيه سياق الكلام (فاسأل) يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم (بنى اسرائيل اذ جاءهم) أي
حين جاءهم موسى وقرئ نساء أي سأل موسى فرعون ان يخلى بنى اسرائيل ويطلق
سبيهم ويرسلهم معه وعلى الاول... وال سؤال استنهاد لمزيد الطمانينة والايقان
لان الادلة اذا تضافرت كان ذلك أقوى والمسؤولون مؤمنون بنى اسرائيل كعبد الله بن سلام
وأصحابه (فقال له فرعون) الفاهي الفصيحة أي فأظهر موسى عند فرعون ما آتيناها من
الآيات البينات وبلغه ما أرسل به فقال له فرعون (ان لا ظنك يا موسى مسجورا)
المسجور هو الذي سخر فطواعه وقيل هو الخدوع وقيل هو المطبوع وقال أبو
عبيدة والقراء هو بمعنى الساحر فوضع المفعول موضع الفاعل (قال موسى) (لقد علمت)
يا فرعون (ما انزل) أي أوجد (هؤلاء) يعني الآيات التسع التي أظهرها وقرئ علمت بضم
التاء أيضا على انها للموسى ووجهه الاول ان فرعون كان عالما بذلك كما قال سبحانه وتعالى
ووجدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا قال أبو عبيدة المأخوذ به عندنا فتح التاء وهو
الاصح للمعنى لان موسى لا يقول علمت انا وهو الداعي وروى نحو هذا عن الزجاج ووجه
الثانية ان فرعون لم يعلم ذلك وانما علمه موسى (الارب السموات والارض بصائر) أي
بينات يصبرها ودلالات يستدل بها على قدرته وحدانيته (وان لا ظنك يا فرعون
مشجورا) الظن هنا بمعنى اليقين والشبور الهلال والشجر ان أي مشجورا وقيل مسجورا
وقيل مطبوعا على الشر وقيل المشبور الملعون وقيل ناقص العقل وقيل هو الممنوع
المصروف من الخير يقال ما تبرل عن كذا أي ما منعه منه حكاية أهل اللغة (وأراد)
فرعون (ان يستفزه من الارض) أي يخرج بنى اسرائيل وموسى ويرجعهم من أرض
مصر باعادهم عنها وقيل أراد ان يقتلهم ويستأصلهم وعلى هذا يراد بالارض مطلق
الارض وفي القاموس فرعون عدل وفر فلان عن موضعه أزعجه واستفزه استفزه

من كل أمة شهيدا ثم لا يؤذن للذين
كفروا ولا هم يستعتبون واذا رأى
الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم
ولا هم ينظرون واذا رأى الذين
أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء
شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك
فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون
وألقوا الى الله يومئذ السلم وفضل
عنهم ما كانوا يفتخرون الذين كفروا
وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا
فوق العذاب بما كانوا يفسدون)
يخبر تعالى عن شأن المشركين يوم
معادهم في الدار الآخرة انه يبعث
من كل أمة شهيدا وهو نبيها يشهد
عليها بما آتته فيما بلغها عن الله
تعالى ثم لا يؤذن للذين كفروا أي في
الاعتذار لانهم يعلمون بطلانه
وكذبته كقوله هذا يوم لا ينطقون
ولا يؤذن لهم فيعتذرون فلماذا قال
ولا هم يستعتبون واذا رأى الذين
ظلموا أي الذين أشركوا العذاب فلا
يخفف عنهم أي لا يفتقر عنهم ساعة
واحدة ولا هم ينظرون أي لا يؤخر
عنهم بل يأخذهم سر يعامن الموقف
بالاحساب فانه اذا جئ عبيدكم تقاد
يسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون

ألف ملة فيشرق عنق منها على الخلائق وترفرزة لا يبقى أحد الاجتار كبتيه فتقول اني وكلت بكل جبار عند الذي وأخرجه
جعل مع الله الها آخر وكذا وكذا وكرأصنافا من الناس كما جاء في الحديث ثم تنطوي عليهم وتلقطهم من الموقف كما يلقط الطائر
الحب قال الله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا
اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا وقال تعالى ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعها ولم يجدوا عنها مصرفا وقال تعالى لو
يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن جوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون بل تأتيهم بغتة وهم فلا يستطيعون ردها ولا هم

ينظرون ثم أخبر تعالى عن تبرى آلهتهم منهم أحوح ما يكونون اليها فقال وإذا رأى الذين أشركوا شركهم أي الذين كانوا يعبدونهم في الدنيا قالوا ربنا هؤلاء أشركوا بنا هؤلاء الذين كانوا يدعوهم دونك فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون أي قالت لهم الآلهة كذبتم ما نحن أمرناكم بعبادتنا كما قال تعالى ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وقال تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكفونوا لهم عزا كلاسكفون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقال الخليل عليه الصلاة والسلام ثم يوم القيامة (٢٧١) يكفر بعضكم ببعض الآية وقال تعالى

وقيل ادعوا شركاءكم الآية والآيات في هذا كثيرة وقوله وألقوا إلى الله يومئذ السلم قال قتادة وعكرمة ذلوا واستسلموا يومئذ أي استسلموا لله جميعهم فلا أحد إلا سامع مطيع كقوله تعالى أسمع بهم وأبصر يوم أتوتنا أي ما أسمعهم وما أبصرهم يومئذ وقال ولوتر إذ الجرمون ناكس رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا ونابنا الآية وقال وعنت الوجوه للحي القيوم أي خضعت وذات واستكانت وأبانت واستسلمت وقوله وألقوا إلى الله يومئذ السلم وذل عنهم ما كانوا يفترون أي ذهب واضمحل ما كانوا يعبدونه افتراء على الله فلان ناصر لهم ولا معين ولا مجير ثم قال تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا الآية أي عذابا على كفرهم وعذابا على صددهم الناس عن اتباع الحق كقوله تعالى وهم ينهون عنه وينأون عنه أي ينهون عن اتباعه ويتبعدون هم منه أيضا وانهم لم يكونوا أنفسهم وما يشعرون وهذا دليل على تفاوت الكفار في عذابهم كما يتفاوت المؤمنون في منازلهم في الجنة

وأخرجهم من داره وافرزته أفرزته (فأفرزناه ومن معه جميعا) أي فعكسنا عليه فكره فوقع عليه وعليهم الهلاك بالفرق ولم يبق منهم أحد ونجى موسى وقومه (وقلنا من بعده) أي من بعد اغراقه ومن معه جميعا (لبنى إسرائيل اسكنوا الأرض) أي أرض الشام ومصر التي أراد ان يستقرهم منها (فأذابنا وعدد) الدار (الآخرة) هي القيامة والآخرة الآخرة والساعة الآخرة وهي النفخة الثانية الموعود بها وقبل أراد بوعده الآخرة نزول عيسى من السماء (جئنا بكم ليقينا) أي جميعا إلى موقف القيامة قال الجوهرى اللغيف ما اجتمع من الناس من قبائل شتى يقال جاء القوم بفهم ونفيقهم أي باختلاطهم فالأراد هنا جئنا بكم من قبوركم مختلطين من كل موضع قد اختلط المؤمن بالكافر والسعيد بالشقي قال الاصمعي اللغيف جمع وليس له واحد وهو مثل الجمع (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) الضمير يرجع إلى القرآن والمعنى وأوحينا من قبلنا بالحق وأنه نزل وفيه الحق وقيل المعنى ومع الحق أنزلناه كقولهم ركب الأمير بسيفه أي مع سيفه وبالحق نزل أي بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم كما تقول نزلت بزيد وقال أبو علي الفارسي الباء في الموضعين بمعنى مع وقيل المعنى وبالحق قدرنا ان ينزل وكذلك نزل أو ما أنزلناه من السماء المحفوظا بالصد من الملائكة وما نزل على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلا محفوظا من تخليط الشياطين والتقديم في الموضعين للتخصيص وفي الشهاب الحق فيه ما ضد الباطل لكن المراد بالاول الحكمة الالهية المقتضية لانزاله وبالتالي ما يشتمل عليه من العقائد والاحكام ونحوها (وما ارسلناك الا مبشرا) لمن أطاع بالجنة (ونذيرا) مخوفان عصي بالنار والقصر اضافي أي لا هاديا فان الهدى هدى الله (وقرآنا) منصوب بفعل مقدر رأى وآتيناه قرآنا وقيل نصب بفعل مضمر يفسره قوله (فرقناه) بالتخفيف على قراءة الجمهور رأى بيناه وأوضحناه أو فرقناه بين الحق والباطل وقال الزجاج فرقاه الله في التزييل ليفهمه الناس قال أبو عبيد التثقيف أعجب إلى لان تفسيره بيناه وليس للتشديد معنى الا انه نزل متفرقا ويؤيده ما رواه ثعلب عن ابن الاعرابي انه قال فرقت مخنقا بين الكلام وفرقت مشددا بين الاجسام وعن ابن عباس فرقناه مثقلا وقال نزل القرآن إلى السماء في ليلة القدر من رمضان جملة واحدة فكان المشركون اذا أحدثوا شيئا أحدث الله لهم جوابا ففرقه الله في ثلاث وعشرين سنة وقد روي نحو هذا عنه بطرق وعند فرقناه فله لنا على مكث بأمد

ودرجاتهم كما قال تعالى لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقد قال الحافظ أبو يعلى حدثنا شريح بن يونس حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله في قول الله زدناهم عذابا فوق العذاب قال زيدوا عقابا أي آياتها كالنخل الطوال وحدثنا شريح بن يونس حدثنا ابراهيم بن سليمان حدثنا الاعمش عن الحسن عن ابن عباس في الآية انه قال زدناهم عذابا فوق العذاب قال هي خمسة انهار تحت العرش يعذبون ببعضها في الليل وبعضها في النهار (ويوم نبعث في كل أمه شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بكم شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) يقول تعالى مخاطبا عبده

ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجننا بك شهيدا على هؤلاء يعني أمته أي ادرك ذلك اليوم وهوله وما منحك الله فيه من الشرف العظيم والمقام الرفيع وهذه الآية شبيهة بالآية التي انتهى إليها عبد الله بن مسعود حين قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم صدر النساء فلما وصل إلى قوله فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجننا بك على هؤلاء شهيدا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك فقال ابن مسعود رضي الله عنه فالتفت فاذا عيناه تذر فان وقوله وزلنا عليك الكتاب تبينا بالكل شيء قال ابن مسعود (٣٧٢) قد بين لنا في هذا القرآن كل علم وكل شيء وقال مجاهد كل حلال وكل حرام

وقول ابن مسعود أنهم وأشمل فان القرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق وعلم ما سيأتي وكل حلال وحرام وما الناس اليه محتاجون في أمر دينهم ودينهم ومعاشهم ومعادهم وهدى أي للقلوب ورجحة وبشرى للمسلمين وقال الاوزاعي وزلنا عليك الكتاب تبينا بالكل شيء أي بالسنة ووجه اقتران قوله وزلنا عليك الكتاب مع قوله وجننا بك شهيدا على هؤلاء أن المراد والله أعلم ان الذي فرض عليك تبليغ الكتاب الذي انزله عليك سائلك عن ذلك يوم القيامة فلنساءن الذين أرسل اليهم ولنساءن المرسلين فوربك لنساءنهم أجمعين كما كانوا يعملون يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا أنك أنت علام الغيوب وقال تعالى ان الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد أي ان الذي أوجب عليك تبليغ القرآن لرادك إليه ومعيدك يوم القيامة وسائلك عن أداء ما فرض عليك هذا أحد الأقوال وهو متجه حسن (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وياتي ذى

قال في الجمل وبالتشديد قرأ على وجماعة من الصحابة وغيرهم وفيه وجهان أحدهما ان التضعيف للكثير أي فرقنا آياته بين أمر ونهي وحكم وأحكام ومواعظ وأمثال وقصص وأخبار ماضية ومستقبله والثاني انه دال على التبريق والتجسيم انتهى ثم ذكر سبحانه العلة لقوله فرقناه فقال (لتقرأه على الناس على مكث) أي على تطاول في المدة شيئا بعد شيء على القراءة الثانية أو أنزلناه آية وآية وسورة سورة ومعناه على القراءة الاولى على ترسل وتمهل وتؤدة في التلاوة فان ذلك أقرب إلى الفهم وأسهل للتعقل وقد اتفق القراء على ضم الميم في مكث الا ابن محيصن فانه قرأ بفتح الميم (وزلناه تنزيلا) التأكيد بالمصدر للمبالغة والمعنى أنزلناه منجما مقرئا في ثلاث وعشرين سنة على حسب الحوادث لما في ذلك من المصلحة ولو أخذوا بجميع الفرائض في وقت واحد لنفروا ولم يطيقوا (قل) يا محمد للكافرين المقترحين للآيات (أمنوا به) أي بالقرآن (أولئك آمنوا) فسواء أيمانكم به وامتثالكم عنه لا يزيد ذلك كما لا ينقصه نقصا ناو في هذا وعيد شديد لامره صلى الله عليه وآله وسلم بالاعراض عنهم واحتقارهم ثم علل ذلك بقوله (ان الذين أتوا العلم من قبله) أي ان العلماء الذين قرأوا الكتب السابقة قبل انزال القرآن وعرفوا حقيقة الوحي وأمارات النبوة وتمكنوا من التمييز بين الحق والمبطل ورأوا نعتك وصنعتك ما أنزل اليك في تلك الكتب كزيد بن عمرو ابن نفيل وورقة بن نوفل وعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وأبي ذر وقيل الضمير في قوله من قبله راجع إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم والاولى ما ذكرناه من رجوعه إلى القرآن لدلالة السياق على ذلك (أذابتلى عليهم) القرآن (يجرون للاذقان سجدا) أي يسقطون على وجوههم ساجدين لله سبحانه واثما قبيد الخرو وهو السقوط بكونه للاذقان أي عليها لان الذقن وهو مجتمع اللعيبين أول ما يماحذى الارض قال الزجاج لان الذقن مجتمع اللعيبين وكما يتدلى الانسان بالخروج والسجود فأول ما يماحذى الارض به من وجهه الذقن وقيل المراد تعفير اللعيبية بالتراب فان ذلك غاية الخضوع واينثار اللام في للاذقان على على للدلالة على الاختصاص فكأنهم خصوا أذقانهم بالخروج وفي هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحاصلها انه ان لم يؤمن به هؤلاء الجهال الذين لا علم عندهم ولا معرفة بكتب الله ولا بأنبيائه فلا تبال بذلك فقد آمن به أهل العلم وخشعوا له وخضعوا له عند تلاوته عليهم خضوعا ظهر اثره البالغ بكونهم يجرون على

القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) يخبر تعالى انه يأمر عباده بالعدل وهو القسط والموازنة ويندب إلى الاحسان كقوله تعالى وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا واصلح فاجره على الله وقال والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له إلى غير ذلك من الآيات الدالة على شرعية العدل والندب إلى الفضل وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ان الله يأمر بالعدل قال شهادة ان لا اله الا الله وقال سفيان بن عيينة العدل في هذا الموضوع هو استواء السريرة والعلانية من كل عامل لله عملا والاحسان ان تكون سريره أحسن من علانيته والفحشاء والمنكر ان تكون علانيته أحسن من سريره وقوله وياتي ذى القربى

أى يأمر بصله الارحام كما قال وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذروا وقوله وينهى عن الفعشاء والمنكر
فالقوا حش المحرمات والمنكرات ما ظهر منها من فاعلها ولهذا قال فى الموضوع الاخر قل انما حرم رى القوا حش ما ظهر منها
وما بطن واما البغى فهو العدوان على الناس وقد جاء فى الحديث ما من ذنب أجدرا أن يجعل الله عقوبته فى الدنيا مع ما يدخر لصاحبه
فى الآخرة من البغى وقطيعه الرحم وقوله يعظكم أى يأمركم بما يأمركم به من الخير وينهاكم عما ينهاكم عنه من الشر لعلكم تذكرون
وقال الشعبي عن بشير بن نزيك سمعت ابن مسعود يقول ان أجمع آية فى (٢٧٢) القرآن فى سورة النحل ان الله يأمر بالعدل

والاحسان الآية رواه ابن جرير
وقال سعيد عن قتادة قوله ان الله
يأمر بالعدل والاحسان الآية ليس
من خلق حسن كان أهل الجاهلية
يعملون به ويستحسنونه الأمر
الله به وليس من خلق سيئ كانوا
يتعاصرونه (٣) بينهم الا نهى الله عنه
وقدم فيه وانما نهى عن سفاسف
الاخلاق ومذامها قلت ولهذا جاء
فى الحديث ان الله يحب معالى
الاخلاق ويكره سفاسفها وقال
الحافظ أبو يعلى فى كتاب معرفة
الصحابة حدثنا أبو بكر محمد بن الفتح
الحنبلى حدثنا يحيى بن محمد
مولى بنى هاشم حدثنا الحسين بن
داود المنكدرى حدثنا عمر بن على
المقدمى عن على بن عبد الملك بن
عمر عن أبيه قال بلغ اكنم بن صيفى
مخرج النبى صلى الله عليه وسلم
فأراد أن يأتمه فأى قومه أن يدعو
وقالوا أنت كبيرنا لم تكن لتخف اليه
قال فليأتمه من يبلغه عنى ويبلغنى
عنه فاتدب رجلان فأتيا النبى
صلى الله عليه وسلم فقالا نحن رسل
أكنم بن صيفى وهو يسألك من
أنت وما أنت فقال النبى صلى الله

اذقاهم سجد الله (ويقولون) فى سجودهم (سبحان ربنا) أى تنزيها ربنا
عما يقوله الجاهلون من التكذيب أو تنزيها له عن خلق وعده (ان كان وعد ربنا
لمفعلولا) ان هذه هى الخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة (ويخرون للادقان
يكون) كرز ذلك الخرو وللادقان لاختلاف السبب فان الاول لتعظيم الله سبحانه وتنزيهه
ولله وجود والثانى للبكاء بتأثير ما عظم القرآن فى قلوبهم ومن يذخسوعهم ولهذا قال
(ويزيدهم) أى سماع القرآن أو القرآن بسماعهم له أو البكاء أو السجود أو المتلاوة لادلالة
قوله اذا تلى (خشوعا) أى لين قلب ورطوبة عين فالبكاء مستحب عند قراءة القرآن عن أبى
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يلبغ النار رجل بكى من خشية الله حتى
يعود الابن فى الضرع ولا يجمع على عبد غبار فى سبيل الله ودخان جهنم أخرجه الترمذى
والنسائى وعن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول عينا
لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله أخرجه الترمذى
ثم أراد سبحانه ان يعلم عباده كيفية الدعاء والخشوع فقال (قل ادعوا الله وادعوا الرحمن)
ومعناه انهم مستويان فى جواز الاطلاق وحسن الدعاء بهما ولهذا قال (أيامادعوا)
أصل الكلام أيامادعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله (فله الاسماء الحسنى) للمباغة
وللدلالة على انه اذا حسنت أسماءه كلها حسن هذان الاسمان ومعنى حسن الاسماء
استقلالها بنوع الجلال والاكرام ذكرمعنى هذا النيسابورى وتبعه أبو السعود قال
الزجاج أعلمهم الله ان دعاءهم الله ودعاءهم الرحمن يرجعان الى قول واحد وسياق ذكر
سبب نزول الآية وبه يتضح المراد منها والحسن مؤنث الاحسن الذى هو أفعال تفضيل
لامؤنث أحسن المقابل لامرأة حسناء كفى القاموس عن ابن عباس قال صلى رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم بمكة ذات يوم فقال فى دعائه يا الله يا رحمن فقال المشركون انظروا
الى هذا الصابى فيها ان ندعو الهين وهو يدعو الهين فأنزل الله هذه الآية وعن ابراهيم
النخعي قال ان اله ودسألو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الرحمن وكان لهم كاهن
باليمامة يسمونه الرحمن فنزلت الآية وهو مرسل وعن مكحول ان النبى صلى الله عليه
وآله وسلم كان يتعبد بمكة ذات ليلة يقول فى سجوده يا رحمن يا رحيم فسمعه رجل من
المشركين فلما أصبح قال لصاحبه ان ابن أبى كبشة يدعو الرحمن الذى باليمن وكان رجل

عليه وسلم أمانا فانا محمد بن عبد الله وامانا فانا عبد الله ورسوله قال ثم تلا عليهم هذه الآية ان الله يأمر بالعدل والاحسان
الآية قالوا رد علينا هذا القول فردده عليهم حتى حفظوه فأتيا أكنم فقالا أى ان يرفع نسبه فى الناعن نسبه فوجدناه زكى
النسب وسطافى مضر أى شريفنا وقد جرى اليسابكلمات قد سمعنا فلما سمعنا أكنم قال فانى أراه يأمر بمكارم الاخلاق
وينهى عن ملامها فكونوا فى هذا الامر رؤساء ولا تكونوا فيه أذنانا وقد ورد فى نزولها حديث حسن رواه الامام أحمد حدثنا
أبو النضر حدثنا عبد الحميد حدثنا شهر حدثنى عبد الله بن عباس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بقنا بيته جالس اذ مر
(٣) قوله يتعاصرونه بينهم الخ هكذا هو فى الاصل وحرره اه

بد عثمان بن مظعون فكشّر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تجلس فقال بلى قال جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مستقبلاً فيمنها هو يحده اذ شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم ببصره الى السماء فنظر ساعة الى السماء فأخذ يضع بصره حتى وضعه على يمينه في الارض فحرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جليسه عثمان الى حيث وضع بصره فأخذ يغض رأسه كأنه يستفقه ما يقال له وابن مظعون ينظر فلما قضى حاجته واستفقه ما يقال له شخص بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السماء كما شخص (٣٧٤) أول مرة فاتبعه بصره حتى توارى الى السماء فأقبل الى عثمان يجلسه

الأولى فقال يا محمد فيما كنت أجالسك ما رأيتك تفعل كفعلك الغداة فقال وما رأيتني فعلت قال رأيتك شخص بصرك الى السماء ثم وضعت يمينك على يمينك فحرفت اليه وتركتني فأخذت تغض رأسك كأنك تستفقه شيئاً يقال لك قال وفطنت لذلك فقال عثمان نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني رسول الله آتفاوأنت جالس قال رسول الله قال نعم قال فما قال لك قال ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية قال عثمان فذلك حين استقر الايمان في قلبي وأحببت محمد صلى الله عليه وسلم اسناد جيد متصل حسن قديين فيه السماع المتصل ورواه ابن أبي حاتم من حديث عبد الحميد بن بهرام مختصراً حديث آخر عن عثمان بن أبي العاص الثقفي في ذلك قال الامام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا هرم عن ليث بن شهر بن حوشب عن عثمان بن أبي العاص قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً اذ شخص بصره فقال أتاني جبريل فأمرني

بالين يقال له رجم فنزلت ثم ذكر كيفية أخرى للدعاء فقال (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) أي بقراءة صلاتك على حذف المضاف للعلم بان الجهر والخافتة من نعوت الصوت لامن نعوت أفعال الصلاة فهو من اطلاق السك والارادة الجزء يقال خفت صوته خفوتاً اذا انتطع كلامه وضعف وسكن وخفت الزرع اذا ذبل وخافت الرجل بقراءته اذا لم يرفع بها صوته وقيل معناه لا تجهر بصلاةك كلها ولا تخافت بها كلها والأول أولى أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عباس قال نزلت بعني هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متوارف فكان اذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فاذا سمع ذلك المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به فقال الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم ولا تجهر بصلاتك أي بقراءة ذلك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوا عند الحديث وعن محمد بن سيرين قال نبئت ان أبا بكر كان اذا قرأ خفض وكان عمر اذا قرأ جهر ففعل لابي بكر لم تصنع هذا فقال أنا أبا بكر وقد عرف حاجتي وقيل لعمر لم تصنع هذا قال اطرد الشيطان وأوقظ الوسنان فلما نزل ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قيل لعمر اخضع شيئاً وأخرج البخاري ومسلم عن عائشة قالت انما نزلت هذه الآية في الدعاء وعنها انها نزلت في التشهد (وابتغ بين ذلك) أي الجهر والخافتة المدلول عليهما بالفعلين (سبباً) أي طريقاً متوسطاً بين الأمرين فلا تكن مجاهراً ولا مخافتاً وعلى التفسير الثاني يكون معنى ذلك النهي عن الجهر بقراءة الصلوات كلها والنهي عن المخافتة بقراءة الصلوات كلها والأمر يجعل بعض منها مجهوراً وهو صلاة الليل والمخافتة بصلاة النهار وذهب قوم الى ان هذه الآية منسوخة بقوله ادعوا اليكم تضرعوا وخفيصه ولمأمر ان لا يذكروا لنادي الابالاسماء الحسنى نبيه على كيفية الحمد فقال (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً) كما يقوله اليهود والنصارى ومن قال من المشركين ان الملائكة بنات الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً (ولم يكن له شريك في الملك) أي مشارك له في ملكه وألوهيته وربوبيته كما تزعمه النونية ونحوهم من الفرق القائلين بتعدد الآلهة (ولم يكن له ولي من الدن) أي لم يحتاج الى موالاة أحد لذل بلحقه فهو مستغن عن الولي والنصير قال الزجاج أي لم يحتاج ان ينصر بغيره وفي التعرض في أثناء الحمد لهذه الصفات الجليلة ايدان بان المستحق للعمد من له هذه الصفات

ان أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية وهذا اسناد لا بأس به ولعله عند لانه شهر بن حوشب من الوجهين والله أعلم (وأفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعدتوا كيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً ان الله يعلم ما تفعلون ولا تكونوا كالتى نقضت غزلهما من بعد قوة أنكاثاً اتخذون ايمانكم دخلاً بينكم ان تكون أمة هي أربى من أمة انما يبيلوكم الله به وليبين لكم يوم القيامه ما كنتم فيه تختلفون) هذا مما يأمر الله تعالى به وهو الوفاء بالعهود والمواثيق والمحافظة على الايمان المؤكدة ولهذا قال ولا تنقضوا الايمان بعدتوا كيدها ولا تعارضن بين هذه وبين قوله ولا تجعلوا

الله عرضة لايمانكم الآية وبين قوله تعالى ذلك كفارة ايمانكم اذا حلتم واحفظوا ايمانكم أي لا تتركوها بالا كفارة وبين قوله عليه السلام فيما ثبت عنه في الصحيحين انه عليه الصلاة والسلام قال اني والله ان شاء الله ألا احلف على عين فأرى غيرها خيرا منها الا اتيت الذي هو خيرا وتحتلتم او في رواية وكفرت عن يميني لا تعارض بين هذا كله ولا بين الآية المذكورة ههنا وهي قوله ولا تنقضوا الايمان بعدتو كيدها لان هذه الايمان المراد به الداخلة في العهود والمواثيق لا الايمان التي هي واردة على حث أو منع ولهذا قال مجاهد في قوله ولا تنقضوا الايمان بعدتو كيدها يعني الحلف أي حلف الجاهلية (٣٧٥) ويؤيده ما رواه الامام أحمد حدثنا عبد الله

ابن محمد هو ابن أبي شيبه حدثنا ابن غير وابو أسامة عن زكريا هو ابن أبي زائدة عن سعد بن ابراهيم عن أبيه عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حلف في الاسلام واما حلف كان في الجاهلية فإنه لا يزيد الاسلام الا شدة وكذا رواه مسلم عن ابن أبي شيبه به ومعناه ان الاسلام لا يحتاج معه الى الحلف الذي كان أهل الجاهلية يفعلونه فان في التمسك بالاسلام كفاية عما كانوا فيه وأما ما ورد في الصحيحين عن عاصم الاحول عن أنس رضي الله عنه انه قال حلف رسول الله

لانه القادر على الابداد وافاضة النعم لكون الولد مجنبه مجتله ولانه أيضا يستلزم حدوث الاب لانه متولد من جزء من أجزاءه والمحدث غير قادر على كمال الانعام والشركة في الملك انما يتصور ان لا يقدر على الاستقلال به ومن لا يقدر على الاستقلال عاجز فضلا عن تمام ما هو له فضلا عن نظام ما هو عليه وأيضا الشركة موجبة للتنازع بين الشريكين وقد يعنعه الشريكين من افاضة الخير الى أوليائه ويؤديه الى الفساد كما قال تعالى لو كان فيما آلهة الاثلة لفسدنا والمحتمل الى ولي يعنعه من الذل وينصره على من أراد اذلاله ضعيف لا يقدر على ما يقدر عليه من هو مستغن بنفسه (وكبره تكبيرا) أي عظمه تعظيما تاما وصفه بأنه أعظم من كل شيء وعن قتادة قال ذكرونا ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يعلم أهل هذه الآية الحمد لله الخ الصريح من أهل الكبر والكبيرة أخرجه ابن جرير وأخرج عبد الرزاق في المصنف عن عبد الكريم بن أبي أمية قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلم الغلام من بني هاشم اذا أفصح سبع مرات الحمد لله الذي الى آخر السورة وروى الامام أحمد في مسنده عن معاذ الجهنبي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه كان يقول آية العز الحمد لله الذي الخ

* (سورة الكهف مائة وحدى عشرة آية) *

صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار في دارنا فغناه أنه آخى بينهم فكانوا يتوارثون به حتى نسخ الله ذلك والله أعلم وقال ابن جرير حدثني محمد بن عمار الاسدي حدثنا عبد الله بن موسى أخبرنا أبو ليلى عن يريدة في قوله وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم قال نزلت في بيعة النسي صلى الله عليه وسلم كان من أسلم بايع النبي صلى الله عليه وسلم على الاسلام فقال وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم هذه البيعة التي بايعتم على

قال القرطبي وهي مكية في قول جميع المفسرين وبه قال ابن عباس وابن الزبير وروى عن فرقة ان أول السورة نزل بالمدينة الى قوله جزا والاول أصح وقد ورد في فضلها أحاديث منها ما أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال وأخرج مسلم والبخاري وغيرهما عن البراء قال قرأ رجل سورة الكهف وفي الدار دابة فجعلت تنفر فنظر فاذا ضيابة أو سحابة قد غشيت فذك ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال اقرأ فلان فان السكينة نزلت للقرآن وهذا الذي كان يقرأ هو أسيد بن حضير كما بينه الطبراني وفي قراءة العشر الآيات من أولها ومن آخرها أحاديث وأخرج الطبراني في الاوسط والحاكم وصححه والبيهقي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الكهف كانت له نور من مقامه الى مكة ومن قرأ عشر آيات من آخرها ثم خرج الدجال لم يضره وأخرج ابن مردويه عن ابن عمر قال قال رسول الله

الاسلام ولا تنقضوا الايمان بعدتو كيدها البيعة لا يحميكم قلتم محمد وكثرة المشركين أن تنقضوا البيعة التي بايعتم على الاسلام وقال الامام أحمد حدثنا اسمعيل حدثنا صخر بن جويرية عن نافع قال لما خلع الناس يزيد بن معاوية جمع ابن عمر بنه وأهله ثم تشهد ثم قال أما بعد فاننا قد بايعنا هذا الرجل على بيعة الله ورسوله واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الغادر ينصب له لواء يوم القيامة فيقال هذه غدرة فلان وان من أعظم الغدر الا ان يكون الاشر بالله ان يبيع رجلا على بيعة الله ورسوله ثم ينكث بيعته فلا يخلع أحد منكم بدولا بسرفن أحد منكم في هذا الامر فيكون فصل بيني وبينه المرفوع من في الصحيحين

وقال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا حجاج عن عبد الرحمن بن عباس عن أبيه عن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من شرط لآخيه شرط الا يريد ان يني له به فهو كالمذلي جاره الى غير منعة وقوله ان الله يعلم ما تفعلون تهديد ووعد لمن نقض الايمان بعد توكيدها وقوله ولا تكونوا كاتى نقضت غزلهما من بعد قوة انكثا قال عبد الله بن كثير والسدى هذه امرأة خرقاء كانت بمكة كلما غزلت شيئا نقضته بعد ابرامه وقال مجاهد وقتادة وابن زيد هذا مثل من نقض عهده بعد توكيده وهذا القول ارجح واظهر سواء كان بمكة امرأة تنقض غزلهما (٣٧٦) أم لا وقوله انكثا لا يجوز ان يكون اسم مصدر نقضت غزلهما انكثا أى انقاضا

ويحتمل ان يكون بدلا عن خبر كان أى لا تكونوا انكثا جامع نكت من ناكث ولهذا قال بعده تتخذون ايمانكم دخلا بينكم أى خديعة ومكر ان تكون أمة هي أرى من أمة أى تخلفون للناس اذا كانوا أكثر منكم أى ليطمئنوا اليكم فاذا أمكنكم الغدر بهم غدرتم فنهى الله عن ذلك لينبه بالادنى على الاعلى اذا كان قد نهى عن الغدر والحالة هذه فلا ينهى عنه مع التمكن والقدرة بطريق الاولى وقد قدمنا والله الجدى في سورة الانفال قصة معاوية لما كان بينه وبين ملك الروم أم مدفار معاوية اليهم في آخر الاجل حتى اذا انقضى وهو قريب من بلادهم أعار عليهم وهم غارون لا يشعرون فقال له عمرو بن عبسة الله أكبر معاوية وفاء لا غدر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان بينه وبين قوم أجل فلا يحلن عقده حتى يمضى أمدها فرجع معاوية رضى الله عنه بالجيش قال ابن عباس ان تكون أمة هي أرى من أمة أى أكثر وقال مجاهد كانوا يحالفون الخلفاء

صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه الى عنان السماء يضى له يوم القيامة وغفر له ما بين الجنتين وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا أخبركم بسورة ملاء عظمت ما بين السماء والارض واكثرت من الاجر مثل ذلك ومن قرأها يوم الجمعة غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى وزيادة ثلاثة أيام ومن قرأ الخميس الاواخر منها عند نومه بعنه الله من أى الليل شاء قالوا بلى يا رسول الله قال سورة أصحاب الكهف أخرجه ابن مردويه وأخرج أيضا عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم البيت الذى تقرأ فيه سورة الكهف لا يدخله شيطان تلك الليلة وفي الباب أحاديث وآثار وفيات وردناه كفاية مغنية

(بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب) هل المراد الاعلام بذلك للايمان به وتكون الجملة خبرية لفظا ومعنى أو التثنية أى انشاء التثنية بثبوت الحمد لله وتكون الجملة انشائية لفظا ومعنى بمعنى انها نقلت في العرف للانشاء أو الاعلام والتثنية كلاهما والجملة مستعملة في الخبر والانشاء على طريق الجمع بين الحقيقة والجازا احتمالات أفيدتها الثالث وقال الشوكاني رحمه الله علم عباده كيف يحمدونه على افاضة نعمه عليهم ووصفه بالموصول بشعر بعلة ما هو في حيز الصلة لما قبله ووجه كون انزال الكتاب وهو القرآن نعمة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكونه مطلع بواسطته على أسرار التوحيد وأحوال الملائكة والانبيا وعلى كيفية الاحكام الشرعية التى تعبد الله وتعبداً مته بها وكذلك العباد كان انزال الكتاب على نبيهم نعمة لهم لمثل ما ذكرناه في النبي صلى الله عليه وآله وسلم (ولم يجعل له) أى فيه (عوجاً) أى شأ من العوج بنوع من أنواع الاختلال في اللفظ والمعنى والعوج بالكسر في المعانى أى فيما لا يدرك بالبصر بل بالضرورة وبالفتح في الاعيان أى فيما يدرك به كذا قيل ويرد عليه قوله سبحانه لا ترى فيها عوجا ولا أمماتى المعنى الجبال وهى من الاعيان قال الزجاج المعنى لم يجعل فيه اختلافا كما قال ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا والمراد في الاختلاف والتناقض عن معانيه وقيل لم يجعله مخلوقا والجملة معطوفة على الصلة قبلها أو اعتراضية أو حالية (قيما) القيم المستقيم الذى لا ميل ولا افراط فيه ولا تفريط أو القيم عصال العباد الدينية والدينية أو القيم على ما قبله من الكتب السماوية مهيمنا عليها يشهد بصحتها وعلى الاول يكون تأكيدها المادل عليه نبي العوج فرب مستقيم في الظاهر لا يخلو عن ادنى عوج في الحقيقة أى جعله قيما عاد لا قيل

فيجدون أكثر منهم وأعرضة فيقوضون حلف هؤلاء ويحالفون أولئك الذين هم أكثر وأعز فنهوا عن ذلك وقال الضحالك في وقتادة وابن زيد بنحوه وقوله انما يسيلوكم الله به قال سعيدين جبير يعنى بالكثرة رواه ابن أبي حاتم وقال ابن جرير أى بأمره اياكم بالوفاء بالعهد وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون فيجازى كل عامل بعمله من خير وشر (ولو شاء الله لجمع لكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء ولتستلن بما كنتم تعملون ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ولا تتشروا بعهد الله ثمنا قليلا انما عهد الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم

ينقد وما عند الله باق ولنجزي الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) يقول الله تعالى ولو شاء الله لجلعكم أممًا واحدة واحدة كقوله تعالى ولو شاء ربك لأمم من في الأرض كلهم جميعا أي لو افق بينكم ولم يجعل اختلافًا ولا تباعدًا ولا شقاء ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وهكذا قال ههنا ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ثم يسألكم يوم القيامة عن جميع أعمالكم فيجازيكم عليها على الفصيل والنقيرو القطمير ثم حذر تعالى عباده عن اتخاذ الأيمان دخلاً أي خديعة ومكر الثلاثزل قدم بعد ثبوتها مثل لمن كان (٣٧٧) على الاستقامة فحاذ عنها وزل عن طريق

الهدى بسبب الأيمان الخائفة المشتملة على الصد عن سبيل الله لان الكافر اذا رأى ان المؤمن قد عاهدته ثم غدر به لم يبق له وثوق بالدين فانصد بسببه عن الدخول في الاسلام ولهذا قال وتذوقوا السوء بما صدقتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ثم قال تعالى ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً أي لا تعتمضوا عن الأيمان بالله عرض الحياة الدنيا وزينتها فانها قبله ولو حيزت لابن آدم الدنيا بهذا فيرها لكان ما عند الله هو خير له أي جزاء الله وثوابه خير لمن رجاه وآمن به وطلبه وحفظ عهده رجاء مواعوده ولهذا قال ان كنتم تعلمون ما عندكم يفسد أي يفرغ وينقضى فانه الى أجل محدود محصور ومقدر سنه وما عند الله باق أي وثوابه لكم في الجنة باق لا انقطاع ولا تضاد له فانه دائم لا يحول ولا يزول ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون قسم من الرب تعالى مؤكداً للام انه يجازي الصابرين بأحسن أعمالهم أي ويتجاوز عن سيئها (من عمل صالحاً من ذكراً أو أنثى وهو مؤمن

في الكلام تقديم وتأخير والتقدير أنزل على عبده الكتاب فيما لم يجعل له عوجاً ثم فصل سبحانه ما أجل في قوله فيما فقال (لينذر) وحذف المنذر للعلم به مع قصد التعميم والمعنى لينذر الكافرين (بأساً) أي عذاباً (شديداً من لذه) أي صادراً من عنده نازلاً من لذه (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات) قرئ يبشرون مشدوداً ومخففاً وأجرى الموصول على موصوفه المذكور لان مدار قبول الاعمال هو الأيمان (أن لهم أجراً حسناً) هو الجنة قاله السدي حال كونهم (ما كثر فيهم) أي في ذلك الاجر (أبداً) أي مكثراً دائماً لا انقطاع له وتقديم الانذار على التبشير لظاهر كمال العناية بزجر الكفار ثم كرر الانذار وذكر المنذر بخصوصه وحذف المنذره وهو البأس الشديد لتقدم ذكره فقال (ولينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً) وهم اليهود والنصارى قاله السدي وبعض كذا قرئيش القائلين بان الملائكة بنات الله فذكر سبحانه أولاً قضية كلية وهي انذار عموم الكفار ثم عطف عليها قضية خاصة هي بعض جزئيات تلك الكلية تنبهاً على كونها أعظم جزئياتها فإذ ذلك ان نسبة الولد الى الله سبحانه أقيح أنواع الكفر (مالهم به) أي بالولد واتخاذ الله اياه (من علم) ومن مزيدة لتأكيد النفي والجملة مستأنفة والمعنى مالهم بذلك علم أصلاً واتقاء العلم بالشيء اما للجهل بالطريق الموصول اليه أولاً وفي نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به (ولالا بأهم) أي ولا لآحاد من أسلافهم علم بذلك بل كانوا في زعمهم هذا على ضلالة وقلدهم أبناء وهم فضلوا جميعاً وهذا ما بالغة في كون تلك المقالة فاسدة باطلة (كبرت كلمة) قال القراء كبرت تلك الكلمة وكلمة وقال الزجاج كبرت مقالتهم كلمة والمراد بهذه الكلمة هي قولهم اتخذ الله ولداً ومعنى الكلام على التعجب أي ما أكبرها كلمة ثم وصف الكلمة بقوله (تخرج من أفواههم) وفائدة هذا الوصف استعظام اجترائهم على التفوق بها وكثير ما يوسوس الشيطان في قلوب الناس من المنكرات ما لا يتصور ان يتفوهوا به بل يكتمون عليه فكيف بمثل هذا المنكر والخارج من الفم وان كان مجرد الهوا ولكن لما كانت الحروف والاصوات كسفيات قائمة بالهوا وأسند الى الحال ما هو من شأن المحل أو المعنى هذا الذي يقولونه لا يحكم به عقولهم وفكرهم البتة لكونه في غاية الفساد والبطان فكانت يجرى على لسانهم على سبيل التقليد ثم زاد في تقييح ما وقع منهم فقال (ان أي ما يقولون الا) قولاً (كذباً) لا مجال للصدق فيه بحال ثم سلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله (فلعلك

(٤٨ فتح البيان خامس) فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحاً وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم من ذكراً أو أنثى من بنى آدم وقلبه مؤمن بالله ورسوله وان هذا العمل المأمور به مشروط من عند الله بان يحيمه الله حياة طيبة في الدنيا وان يجزيه بأحسن ما عمله في الآخرة والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت وقد روي عن ابن عباس وجماعة انهم فسروها بالرزق الحلال الطيب وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه فسرها بالقناعة وكذا قال ابن عباس وعكرمة ووهب بن منبه وقال علي بن أبي طلحة عن ابن

عباس انها هي السعادة وقال الحسن ومجاهد وقتادة لا يطيب لاحد حياة الا في الجنة وقال الضحاك هي الرزق الحلال والعبادة في الدنيا وقال الضحاك ايضا هي العمل بالطاعة والانسراح بها والصحيح ان الحياة الطيبة تشمل هذا كله كما جاء في الحديث الذي رواه الامام أحمد حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا سعيد بن أبي أيوب حدثني شرحبيل بن أبي شريك عن عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد أفلح من أسلم ورزق كفافا ووقعه الله بما آتاه ورواه مسلم من حديث عبد الله بن يزيد المقرئ به وروى الترمذي والنسائي (٢٧٨) من حديث ابى هانىء عن أبى على الجهني عن فضالة بن عبيد

انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قد أفلح من هدى للاسلام وكان عيشه ككفا فوقع به وقال الترمذي حديث صحيح وقال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا همام عن يحيى عن قتادة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يظلم المؤمن حسنة يعطى بها في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة وأما الكافر فيظلم بحسناته في الدنيا حتى اذا أفضى الى الآخرة لم تكن له حسنة يعطى بها خيرا انفرادا بخراجه مسلم (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) هذا أمر من الله تعالى لعباده على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم اذا أرادوا قراءة القرآن ان يستعذوا بالله من الشيطان الرجيم وهذا أمر ندب ليس بواجب حتى الاجماع على ذلك أبو جعفر بن جرير وغيره من الأئمة وقد قدمنا الاحاديث الواردة في الاستعاذة مبسوطه في أول

باخع نفسك) قال الاخفش والقراء الخضع الجهد وقال الكسائي بجمع الارض بالزراعة اذا جعلتها ضعفة بسبب متابعة الحرثة وجمع الرجل نفسه اذا نهكها وقال أبو عبيدة معناه مهلك نفسك فيكون المعنى على هذه الاقوال لعلك تهلك نفسك أو تضعفها أو مهلكها والمقصود من هذا الترجي النهي أي لا تبخع نفسك من أجل غمك على عدم ايمانهم أي لا تغتم لثلاثك نفسك وفي السمين ولعل قيل للاشفاق على بابها وقيل للاستفهام وهو رأي الكوفيين وقيل للنهي (على آثارهم) أي على فراقهم من بعد توليهم عنك واعراضهم أو هلاكهم (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) أي القرآن (أسفا) أي غيظا وحرنا قاله قتادة وقال مجاهد جرعا ونصبه على المفعول له وجواب ان محذوف دل عليه الترجي تقديره فلا تحزن وهذا عند الجمهور وعند غيرهم هو جواب متقدم عن ابن عباس قال اجتمع عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو جهل والنضر بن الحرث وامية بن خلف والعاص بن وائل والاسود بن عبد المطلب وأبو الجحدي في نفر من قريش وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد كبر عليه ما يرى من خلاف قومه اياه وانكارهم ما جاء به من النصيحة فأحزنه حزنا شديدا فنزل الله سبحانه فاعلك باخع نفسك الآية (اناجعلنا ما على الارض زينة لها) هذه الجملة تعليل للنهي المقصود من الترجي والقصد منه تسليمة له صلى الله عليه وآله وسلم وتسكين أسفه وغيظه على عدم ايمانهم لانه محتمل لا عمال العباد مجازيهم فكانه يقول له صلى الله عليه وآله وسلم لا تحزن فاني مستقيم منهم لك وقيل استئناف والمعنى اناجعلنا ما علمها بما يصلح ان يكون زينة لها ولاهلهامان الحيوانات والنبات والشجر والانهار والجماد وغير ذلك من النعم كالذهب والفضة والمعادن كقوله سبحانه هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا قال ابن عباس يعني الرجال والعلماء زينة الارض وعن سعيد بن جبيرة مثله وقال الحسن هم الرجال العباد اعمال الله بالطاعة (لنباوهم أيهم أحسن عملا) اللام للغرض أو العاقبة والمراد بالبلاء انه سبحانه يعاملهم معاملة لو كانت تلك المعاملة من غيره لكانت من قبيل البلاء والامتحان قال الزجاج أيهم رفع بالبسداء الا أن لفظه لفظ الاستفهام والمعنى لنتمحن أهذا أحسن عملا أم ذلك قال الحسن أيهم أزهد وأشد للدينا تركا ومنه عن الثوري وقال مقاتل أيهم أصح فيما اوتى من المال وقال قتادة أيهم أتم عقلا وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم في التاريخ وابن مردويه عن ابن عمر قال تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية فقلت

التفسير والله الحمد والمثمة والمعنى في الاستعاذة عند ابتداء القراءة لتلاييلس على القارى قراءته ويحفظ عليه ويعينه من التدبر والتفكير ولهذا ذهب الجمهور الى أن الاستعاذة انما تكون قبل التلاوة وحكى عن حمزة وأبي حاتم السجستاني انها تكون بعد التلاوة واحتج بهذه الآية ونقل النووي في شرح المهذب مثل ذلك عن أبي هريرة أيضا ومحمد بن سيرين وابراهيم النخعي والصحيح الاول لما تقدم من الاحاديث الدالة على تقدمها على التلاوة والله أعلم وقوله انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون قال الثوري ليس له عليهم سلطان أن يوقعهم في ذنب لا يتوبون منه وقال آخرون

معناه لا حجة له عليهم وقال آخرون كقوله الاعبادك منهم المخلصين انما سلطانه على الذين يتولونه قال مجاهد يطيعونه وقال آخرون اتخذوه وليا من دون الله وهم به مشركون أى أشركوه في عبادة الله تعالى ويحتمل أن تكون الباء سببية أى صاروا بسبب طاعتهم للشيطان مشركين بالله تعالى وقال آخرون معناه انه شركهم في الاموال والاولاد (واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مقتر بل أكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين) يخبر تعالى عن ضعف عقول المشركين وقلة ثباتهم وايقائهم وانه لا يتصور (٢٧٩) منهم الايمان وقد كتب عليهم الشقاوة

وذلك انهم اذا رأوا تغيير الاحكام

تاسخها بنسخها قالوا رسول الله

صلى الله عليه وسلم انما أنت مقتر

أى كذاب وانما هو الرب تعالى

يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وقال

مجاهد بدلنا آية مكان آية أى رفعناها

وأثبتنا غيرها وقال قتادة هو كقوله

تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها الآية

فقال تعالى مجيبا لهم قل نزله

روح القدس أى جبريل من

ربك بالحق أى بالصدق والعدل

ليثبت الذين آمنوا فيصدقوا بما

أنزل أولا وثانيا وتثبت له قلوبهم

وهدى وبشرى للمسلمين أى وجعله

هاديا وبشارة للمسلمين الذين آمنوا

بالله ورسوله (ولقد نعلم انهم

يقولون انما يعلم بشر لسان الذى

يلحدون اليه أى عجمى وهذا لسان

عربى مبين) يقول تعالى مخبرا عن

المشركين ما كانوا يقولونه من

الكذب والافتراء والبهت ان محمدا

انما يعلم هذا الذى يتلوه علينا من

القرآن بشر وبشيرة الى رجل

عجمى كان بين أظهرهم غلام

ما معنى ذلك يا رسول الله قال ليلوكم أى يكمل أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأمر عكم في

طاعة الله ثم أعلم سبحانه انه مبيد لذلك كله ومغنيه فقال (وانا لجالعون) أى مصريون

(ما عليها) من هذه الزينة عند تنهاى عمر الدنيا (صعيدا) ترابا قال أبو عبيدة الصعيد

المستوى من الارض وقال الزجاج هو الطريق الذى لا نبات فيه بعد ان كانت خضراء

معشبة أى أرضا ملساء وقيل فتاتا وهو الذى يضمحل بالريح لا يلبس الذى يرسب

ونظيره كل من عليها فان وقوله في ذرها فاعاصفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمنا والمعنى انه

لا بد من المجازاة بعد افناء ما على الارض وتخصيص الاهلاك بما على الارض يوههم

بقاء الارض الان سائر الآيات دلت أيضا على ان الارض لا تبقى وهو قوله يوم تبدل

الارض غير الارض قال قتادة الصعيد الجبال التى ليس فيها زرع (جرزا) يابس قال الفراء

الجرز الارض التى لا نبات فيها من قولهم امرأة جرزة اذا كانت أكو لا وسيف جرزة اذا

كان مستأصلا وجرز الجراد والشاة والابل الارض اذا أكلت ما عليها ويقال سنة جرز

وسنون اجرز لا مطر فيها وأرض جرز وأرضون اجرز لا نبات بها وجرز انعت لصعيدا

فكانه مجاز علاقته المجاورة وعن الحسن الجرزان خراب أى نعيمها بعد عمارتها خرابا

باماتة الحيوان وتجييف النبات والشجار وغير ذلك ومعنى النظم القرآنى لا تحزن يا محمد

بما وقع من هؤلاء من التكذيب فانا قد جعلنا ما على الارض زينة لا خراب فيها وما محمد

لمذهبون ذلك عند انقضاء عمر الدنيا فجاز ونهم ان خير انخير وان شرافشر (أم حسبت) أى

بل أى حسبت أو بل حسبت ومعناها الانتقال من حديث الى حديث آخر لا لابطال الاول

والاضراب عنه كما هو معنى بل فى الاصل (أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا

عجبا) المعنى ان القوم لما تعجبوا من قصة أصحاب الكهف وسألوا عنها الرسول صلى الله

عليه وآله وسلم على سبيل الامتحان قال سبحانه بل أنظنت يا محمد انهم كانوا عجباً من آياتنا

فقط لا تحسب ذلك فان آياتنا كلها عجب فان من كان قادرا على جعل ما على الارض زينة

لها لا ابتلاء ثم جعل ما عليها صعيدا جرزا كان لم تغن بالامس لا تستبعد قدرته ولا حفظه

ورحمته بالنسبة الى طائفة مخصوصة وان كانت قصتهم حارقة للعادة فان آيات الله سبحانه

كذلك وفوق ذلك ومعنى عبادات عجب والكهف هو الغار الواسع فى الجبل فان كان

صغيرا سمى غارا والجمع كهوف فى الكثرة وأكهف فى القلة والرقيم قال كعب والسدى

لبعض بطون قريش وكان يباع يدعى عند الصفا فرجما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس اليه ويكلمه بعض الشئ

وذلك كان عجمى اللسان لا يعرف بالعربية أو انه كان يعرف الشئ البشير بقدر ما يرد جواب الخطاب فيما لا بد منه فلهذا قال الله

تعالى رادا عليهم فى افتراءهم ذلك لسان الذى يلحدون اليه أى عجمى وهذا لسان عربى مبين أى بالقرآن أى فكيف يتعلم من جاء بهذا

القرآن فى فصاحته وبلاغته ومعانيه التامة الشاملة التى هى أكمل من معانى كل كتاب نزل على بنى اسرائيل كيف يتعلم من رجل

عجمى لا يقول هذا من له أدنى مسكة من العقل قال محمد بن اسحق بن يسار فى السيرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى

كثيرا ما يجلس عند المروة الى سبيعة غلام نصراني يقال له جبر عبد له بعض بنى الحضرمي فانزل الله ولقد نعلم انهم يقولون انما
يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين وكذا قال عبد الله بن كثير وعن عكرمة وقتادة كان اسمه يعيش
وقال ابن جرير حدثني أحمد بن محمد الطوسي حدثنا أبو عامر حدثنا ابراهيم بن طهمان عن مسلم بن عبد الله الملائي عن مجاهد عن
ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم قينا بعمكة وكان اسمه بلعام وكان أعجمي اللسان وكان المشركون يرون رسول
الله صلى الله عليه وسلم يدخل عليه ويخرج من عنده (٢٨٠) فقالوا انما يعلمه بلعام فانزل الله هذه الآية ولقد نعلم انهم يقولون انما

يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه
أعجمي وهذا لسان عربي مبين وقال
الضحاك بن مزاحم هو سلمان
النساري وهذا القول ضعيف لان
هذه الآية مكية وسلمان انما أسلم
بالمدينة وقال عبد الله بن مسلم كان
لنا عاملان روميان يقرآن كتابهما
بلسانهما فكان النبي صلى الله
عليه وسلم يسميهم فيقوم فيسمع
منهما فقال المشركون يتعلم منهما
فانزل الله هذه الآية وقال الزهري
عن سعيد بن المسيب الذي قال ذلك
من المشركين رجل كان يكتب
الوحي لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فارتد بعد ذلك عن الاسلام
وافترى هذه المقالة فحجه الله (ان
الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم
الله ولهم عذاب أليم انما يفترى
الكذب الذين لا يؤمنون
بآيات الله وأولئك هم الكاذبون)
يخبر تعالى انه لا يهدي من أعرض
عن ذكره وتغافل عما أنزله على
رسوله صلى الله عليه وسلم ولم يكن
له قصد الى الايمان بما جاء من عند
الله فهذا الجنس من الناس لا يهديهم
الله الى الايمان بآياته وما ارسل به

انه اسم القرية التي خرج منها أصحاب الكهف وقال سعيد بن جبير ومجاهد انه لوح من
حجارة أو رصاص رقت فيه اسماءهم جعل على باب الكهف فقيه فلان بن فلان من
مدينة كذا خرج في وقت كذا من سنة كذا قال القراء ويرى انه انما سمى رقيما لان
اسماءهم كانت مرقومة والرقم الكتابة وعن قتادة ان الرقيم دراهمهم التي كانت معهم
وقال ابن عباس الرقيم كتاب مرقوم عندهم فيه الشرع الذي تسكوا به من دين عيسى
عليه السلام وقيل ان الرقيم اسم كلهم قاله أنس وقيل هو اسم الوادي الذي كانوا فيه وقيل
اسم الجبل الذي فيه الغار قال الزجاج أعلم الله سبحانه ان قصة أصحاب الكهف ليست
بمجيبة من آيات الله لان خلق السموات والارض وما بينهما ما أعجب من قصتهم وقال ابن
عباس يقول الذي آتيتك من العلم والسنة والكتاب أفضل من شأن أصحاب الكهف
والرقيم (اذا ورى القنية الى الكهف) أي صار واليه ونزلوه وسكنوه والتجوا اليه وجعلوه
مأواهم يقال أوى الى منزله من باب ضرب اذا نزل به بنفسه وسكنه والمأوى لكل حيوان
مسكنه والقبية هم أصحاب الكهف جمع فتى وهو الطرى من الشباب اظهاري في مقام
الاضمار للتنصيص على وصفهم وسنهم فكانوا في سن الشباب مردا وكانوا سبعة خرجوا
من مدنتهم خائفين على ايمانهم من قومهم الكفار حيث أمرهم بعبادة غير الله وكذلك
ملك المدينة أمرهم عاذروا به قيانوس ومدنتهم اسمها أفسوس عند أهل الروم لانها
من مدائنهم واسمها عند العرب طرسوس فلما أمرهم بعبادة غير الله ذهب كل واحد منهم
الى بيت أبيه وأخدمه زادا ونفقة وخرجوا فارتبوا بين حارث بن عمرو الى كهف في جبل
قريب من المدينة فاخففوا فيه وصاروا يعبدون الله ويأكلون ويشربون ويبعثون
أحد منهم خفية ليستري لهم الطعام من المدينة وهم خائفون من اطلاع أهل المدينة
عليهم فقتلهم لعدم دخولهم في دينهم فجلسوا يوما بعد الغروب يتحدثون فألقى الله عليهم
النوم وذلك قوله تعالى فصرنا على آذانهم الخ كما سأتى تفصيله (فقالوا ربنا آتنا من لدنك
أى من عندك (رحمة) التسوية اما للتعظيم أو للتسوية وتقديم من لدنك للاختصاص أى
رحمة مختصة بانها من خزائن رحمتك وجلالتك وهى المغفرة فى الآخرة والأمن من
الاعداء والرزق فى الدنيا (وهى لنا من امر نارشدا) أى أصح لنا من قولك هيأت الامر
فتيما والمراد بأمرهم الامر الذى هم عليه وهو مفارقتهم للكفار والرشد تقيض الضلال

رسوله فى الدنيا ولهم عذاب أليم موجه فى الآخرة ثم أخبر تعالى أن رسوله صلى الله عليه وسلم ليس بمقتدر
ولا كذاب لانه انما يفترى الكذب على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم شرارا خلق الذين لا يؤمنون بآيات الله من الكفرة
الملحدين المعروفين بالكذب عند الناس والرسول محمد صلى الله عليه وسلم كان أصدق الناس وأبرهم وأكملهم علما وعملا وإيمانا
وايقانا معروفا بالصدق فى قومه لا يشك فى ذلك أحد منهم بحيث لا يدعى بينهم الا بالامين محمد ولهذا المسائل هرقل ملك الروم أبا
سفيان عن تلك المسائل التي سألتها من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيما قاله هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول

ما قال قال لافقال هرقل فما كان ليدع الكذب على الناس ويذهب فيكذب على الله عز وجل (من كفر بالله من بعد ايمانه الامن
أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدر فاعلمهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا
على الآخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم أولئك هم الغافلون لاجرهم
انهم في الآخرة هم الخاسرون) أخبر تعالى عن كفره بعد الايمان والتبصر وشرح صدره بالكفر واطمأن به انه قد غضب عليه
لعلمهم بالايمان ثم عدولهم عنه وانهم عذابا عظيما في الدار الآخرة (٣٨١) لانهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة

فأقدموا على ما أقدموا عليه من
الردة لاجل الدنيا ولم يهد الله قلوبهم
و يثبتهم على الدين الحق فطبع على
قلوبهم فلا يعقلون بها شيئا ينفعهم
وخرم على سمعهم وأبصارهم فلا
يتفقهون بها ولا أعنت عنهم شيئا
فهم غافلون عما يراد بهم لاجرهم أي
لا بد ولا يجب ان من هذه صفة
انهم في الآخرة هم الخاسرون أي
الذين خسروا أنفسهم وأهالهم
يوم القيامة وأما قوله الامن أكره
وقلبه مطمئن بالايمان فهو استثناء
من كفر بلسانه ووافق المشركين
بلفظه مكرها لماناله من ضرب وأذى
وقلبه ما يقول وهو مطمئن بالايمان
عن ابن عباس ان هذه الآية نزلت في
عمار بن ياسر حين عذبه المشركون
حتى يكفر محمد صلى الله عليه وسلم
فوافقهم على ذلك مكرها وجاء معتذرا
الى النبي صلى الله عليه وسلم فأنزله
الله هذه الآية وهكذا قال الشعبي
وقتادة وأبو مالك وقال ابن جرير
حدثنا ابن عبد الاعلى حدثنا محمد بن
ثور عن معمر عن عبد الكريم
الجزري عن أبي عبيدة محمد بن

ومن للابتداء ويجوز ان تكون للتجريد كما في قولك رأيت منك أسدا وتقديم المجرورين
للاهتمام بهم ما أي اجعل أمرنا شدا أو يسر لنا طريق رضاك (فرض بنا على آذانهم) قال
المفسرون أغمناهم والمعنى سدنا آذانهم بالنوم الغالب عن سماع الاصوات أي ضربنا
على آذانهم الحجاب تشبيها للانامة الثقيلة المانعة من وصول الاصوات الى الآذان
بضرب الحجاب عليها ففي الكلام تجوز بطريق الاستعارة التبعية وهذا النوم من
جملة الرحمة التي طلبوها فكأنه قال فاستحيينا دعاءهم ومن جملة استجابته ان أغمناهم
وقلبناهم في نومهم ذات اليمين وذات الشمال (في الكهف سنين عددا) أي ذوات
عدد على أنه مصدرا ويعني معدودة على انه بمعنى المفعول ويستفاد من وصف
السنين بالعدد البكرة قال الزجاج ان الشيء اذا قل فهم مقداره عدده فلم يحتج الى العدد وان
كثر احتاج الى ان يعتد وقيل يستفاد منه التقليل لان الكثير قليل عند الله وان يوما
عند ربك كالف سنة مما تعدون (نمبعثناهم) أي أيقظناهم من تلك النوم (لنعلم)
أي ليظهر معلومنا واللام للعاقبة وقيل للتعليل وقرئ بالتحسية والفاعل هو الله تعالى
ففيه التفات عن التكلم الى الغيبة قيل والمراد بالعلم الذي جعله للبعث هو الاختبار
مجازا فيكون المعنى بعثناهم لتعامل معاملة من يختبرهم والاولى ما ذكرناه من ان
المراد بظهور معلوم الله سبحانه لعباده (أي الجزين) من قوم القسية أهل الهدى وأهل
الضلالة فالمراد بالجزين القريبان من المؤمنين والكافرين المختلفين في مدة لبثهم وقيل
المراد نفس اصحاب الكهف لأهل المدينة اختلفوا بعد ان تباههم كم لبثوا وقيل المراد
بالجزين الملوكة الذين نداولوا المدينة ملكا بعد ملك وأصحاب الكهف وقيل ان أصحاب
الكهف حزب وأصحابهم حزب وقال القراء ان طائفتين من المسلمين في زمان أصحاب
الكهف اختلفوا في مدة لبثهم (أحصى) أي أضبط (لمالبثوا أمدا) وكأنه وقع بينهم
تنازع في مدة لبثهم في الكهف فبعثهم الله ليتبين لهم ذلك ويظهر من ضبط الحساب عن لم
يضبطه قال ابن جرير انهم كتبوا اليوم الذي خرجوا فيه والشهر والسنة وما مصدرية أي
أحصى لبثهم أو بمعنى الذي واللام زائدة وقيل على بابها من العلة أي لاجل قاله أبو البقاء
وما بمعنى الذي والامد الغاية وقيل ان أحصى افعال تفضيل واختاره الزجاج والتبريزي
وردبانه خلاف ما تقرر في علم الاعراب وما ورد من الشاذ لا يقاس عليه كقولهم أفلس من

عمار بن ياسر قال أخذ المشركون عمار بن ياسر فعذبوه حتى قاربهم في بعض ما أرادوا فشكل ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
النبي صلى الله عليه وسلم كيف تجد قلبك قال مطمئنا بالايمان قال النبي صلى الله عليه وسلم ان عادوا فعد ورواه البيهقي بأبسط من ذلك
وفيه انه سب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر آلهتهم بخير قال كيف تجد قلبك قال مطمئنا بالايمان فقال ان عادوا فعد وفي ذلك أنزل الله الامن أكره وقلبه مطمئن بالايمان
ولهذا اتفق العلماء على ان المكره على الكفر يجوز له ان يوالي ابقاء لهجته ويجوز له ان يابى كما كان بلال رضي الله عنه يابى عليهم ذلك
وهم يقولون به الافاعيل حتى انهم ليضعوا الصخرة العظيمة على صدره في شدة الحر ويأمر ونه بالشر لئلا يأتى الله فيأبى عليهم وهو يقول أحد

أحد ويقول والله لو أعلم كلمة أعظ لكم منها لقلتها رضى الله عنه وأرضاه وكذلك حبيب بن زيد الأنصاري لما قال له مسيلة الكذاب
أنشهدنا محمد رسول الله فيقول نعم فيقول أتشهد أني رسول الله فيقول لا أسمع فلم يرل يقطعها ربا ربا وهو ثابت على ذلك وقال الامام
أحمد حدثنا اسمعيل حدثنا أيوب عن عكرمة ان عليا رضى الله عنه حرق ناسا ارتدوا عن الاسلام فبلغ ذلك ابن عباس فقال لم أكن
لا حرقهم بالنار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تعذبوا بعذاب الله وكنتم قاتلهم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدل
دينه فاقتلوه فبلغ ذلك عليا فقال ويح (٣٨٢) ام ابن عباس رواه البخاري وقال الامام أحمد أيضا حدثنا عبد الرزاق

أنبا نام عمر عن أيوب عن جسد بن
هلال العدوي عن أبي بردة قال قدم
على أبي موسى معاذ بن جبل باليمن
فاذا رجل عنده قال ما هذا قال
رجل كان يهوديا فأسلم ثم هود ونحن
نزيده على الاسلام منذ قال أحسبه
شهرين فقال والله لا أقعد حتى
تضربوا عنقه فقال قضاء الله ورسوله
ان من رجع عن دينه فاقتلوه أو قال
من بدل دينه وهذه القصة في
الصحابين بلفظ آخر والافضل والاولى
ان يثبت المسلم على دينه ولو أفضى
الى قتله كما قال الحافظ ابن عساكر
في ترجمة عبد الله بن حذافة
السهمي أحد الصحابة انه أسرته
الروم بجأؤا به الى ملكهم فقال له
تنصروا لنا أشركت في ملكي وازوجك
ابنتي فقال له لو أعطيتني جميع
ما تملك وجميع ما تملكه العرب على
ان أرجع عن دين محمد صلى الله
عليه وسلم طرفة عين ما فعلت فقال
إذا أقتلتك فقال أنت وذاك فأمر به
فصلب وأمر المائة فرموه قرييما
يديه ورجليه وهو يعرض عليه
دين النصرانية فيأبى ثم أمر به فانزل
ثم أمر بقدر وفي رواية بيقرة من نحاس

ابن المذلق وأعدى من الحرب وقال أبو علي والزمخشري وابن عطية ان أحصى فعل
ماض (نحن نقص عليكم نبأهم) هذا شروع في تفصيل ما أجل في قوله اذا وى القبية
والنبأ الخبر الذي له شأن وخطر أي نحن نخبرك بخبرهم (بالحق) أي نقص قصصا متلبسا
بالحق أو نقصه متلبسين به أو نقص نبأهم متلبسا به أو نبأهم المتلبس به (انهم فتية) أي
أحداث وشبان كان أحدهم وزير الملك دقيانوس وكانوا من اشراف تلك المدينة ومن
عظماء أهلها والجملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال اقتضاه ما قبلها فكانه قيل وما نبؤهم
والفتية جمع قلبه (آمنوا برهم) فيه التفات من التكلم الى الغيبة اذ لو جاء على نسق الكلام
لقيل آمنوا بنا (وزدناهم هدى) بالثبوت والتوفيق وفيه التفات من الغيبة الى التكلم
قال الربيع بن أنس هدى اخلاصا وقيل ايمانا وبصيرة وقيل يقينا (وربطنا على قلوبهم)
أي قويتناها بالصبر على هجر الاهل والاطان وفراق الاخذ والفرار الى بعض
الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام حيث قالوا للملك ربنار
السموات الخ ولم يحصل لهم منه رعب في الله قال قتادة ربطنا قلوبهم بالايمن وشددنا عليها
بالصبر والتميت وفيه استعارة تصريحية تبعية لان الربط هو الشد بالخيال (اذ قاموا)
اختلف أهل التفسير في هذا القيام على أقوال فقيل انهم اجتمعوا وراء المدينة من غير
ميعاد فقال رجل منهم هو أكبر القوم اني لا أجدي نفسي شيئا ان ربي رب السموات
والارض فقالوا ونحن كذلك نجد في أنفسنا فقاموا جميعا (فقالوا ربنار رب السموات
والارض) قاله مجاهد وقال أكثر المفسرين انه كان لهم ملك جبار يقال له دقيانوس وكان
يدعو الناس الى عبادة الطواغيت فثبت الله هؤلاء القمية وعصمهم حتى قاموا بين يديه
وقد أمرهم بالسجود للاصنام فقالوا ربنار رب السموات والارض أي قالوا جلستنا ثلاثة
بين يدي ملكهم آخرها قوله شططا وثلاثة بعد انصرفهم عن مجلسه ذما لقومهم آخرها
قوله كذبا وقال عطاء ومقاتل انهم قالوا ذلك عند قيامهم من النوم (ان ندعوم من دونه
الها) أي ان نعبد معبودا آخر غير الله لا اشترا كالا استقلا لا (لقد قلنا اذا شططا) أي
قولا اذا شطط أي افراط في الكفران دعونا الها غير الله فرضا أو قولا هو نفس الشطط
لقصد المبالغة والشطط الغلو ومجاوزة الحد المقدر في كل شيء يقال شطت الدار بعدت
وشط فلان في حكمه شطوطا وشططا جار رظلم وشط في القول أعلظ وشط في السوم أفرط

فاجت وجاء بأسير من المسلمين فالتقاء وهو ينظر فاذا هو عظام تلوح وعرض عليه فابى فأمر به ان يلقى فيها فرج والجمع
في البكرة ليلقى فيها فبكي فطمع فيه ودعاه فقال اني انما بكيت لان نفسي انما هي نفس واحدة تلتى في هذا القدر الساعة فاحببت
أن يكون لي بعدد كل شعرة في جسدي نفس تعذب هذا العذاب في الله وفي بعض الروايات انه سبحانه ومنعه الطعام والشراب
أي ما ثم أرسل اليه بخمر ولحم خنزير فلم يقرب به ثم استدعاه فقال ما منعك ان تا كل فقال أما هو فقد حل لي ولكن لم أكن لاشتملك في
فقال له الملك فقبل رأسي وأنا أطلقك واطلق جميع أسارى المسلمين قال فقبل رأسه فاطلقه وأطلق معه جميع أسارى المسلمين

عنده فلما رجع قال عمر بن الخطاب حق على كل مسلم ان يقبل راس عبد الله بن حذافه وانا ابدأ أقام فقيل رأسه ثم ان ربك للذين هاجر وامن بعد ما قتلوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها الغفور الرحيم يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون) هؤلاء صنف آخر كانوا مستضعفين بمكة مهانين في قومهم فوافقهم على الفتنة ثم انهم أمكنهم الخلاص بالهجرة فتركوا ابلادهم وأهاليهم وأموالهم ابتغوا رضوان الله وغفرانه وانتظموا في سلك المؤمنين وجاهدوا معهم الكافرين وصبروا فأخبر الله تعالى انه من بعدها أي تلك الفعلة وهي الاجابة الى الفتنة لغفور (٣٨٣) رحيم بهم يوم معادهم يوم تأتي كل نفس تجادل أي تحتاج عن نفسها ليس

أحد يحاج عنها الأب ولا ابن ولا أخ ولا زوجة وتوفى كل نفس ما عملت أي من خير وشر وهم لا يظلمون أي لا ينقص من ثواب الخير ولا يزد على ثواب الشر ولا يظلمون فقيرا (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون) هذامن كل مكان فكفرت بأنعم الله اريد به أهل مكة فانها كانت آمنة مطمئنة مستقرة يتخطف الناس من حولها ومن دخلها كان آمنا لا يخاف كما قال تعالى وقالوا ان تتبع الهدى معك تتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرما آمنا يجيب اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا وهكذا قال ههنا يأتيها رزقها رغدا أي هنيئا سهلا من كل مكان فكفرت بأنعم الله أي بحسب آلاء الله عليها وأعظمها بعنة محمد صلى الله عليه وسلم اليهم كما قال تعالى ألم ترالى الذين بدلوا نعمته الله كفرا وأحلوا

والجميع من بابي ضرب وقتل وقال قتادة شططا كذبا وقال السدي جورا (هؤلاء) أي أهل بلدهم (قومنا) عطف بيان أو بدل (اتخذوا من دونه) أي من دون الله (آلهة) أصناما يعبدونها في هذا الاخبار معنى الانكار وفي الاشارة اليهم تحقير لهم (لولا يأتون عليهم بسلاطين بين) أي هلا يأتون على عبادتهم لها بحجة نيرة ظاهرة تصلح للتمسك بها وفيه تكسيت لان الاتيان بحجة على عبادة الاصنام محال وهذه جملة طلبية وليست صفة لآلهة لفسادها معنى وصناعة قال الزمخشري وفي الآية دليل على فساد التقليد وانه لا بد في الدين من الحجة حتى يتضح ويثبت (فن) أي لا أحد (أظلم من افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك اليه فزعم ان له شريكا في العبادة ثم قال بعضهم لبعض وقت اعترالهم (و اذا اعترلتموهم) أي فارقتموهم في الاعتقاد وأردتم الاعتزال الجسماني وتخصيتهم عنهم جانبا أي عن العابدن للاصنام (وما يعبدون الا الله) عطف على الضمير المنصوب ومما موصولة أو مصدرية اي اذا اعترلتموهم ومعبودهم الا الله أو وعبادتهم الا عبادة الله وعلى التقديرين فالاستثناء استثناء منقطع على تقدير انهم لم يعبدوا الا الاصنام أو متصل على تقدير انهم شركوه في العبادة مع الله سبحانه وقيل هو كلام معترض اخبار من الله سبحانه عن الفتنة انهم لم يعبدوا غير الله فيكون ما على هذا نافية (فأووا) أي الجؤوا وصبروا (الى الكهف) واجعلوه مأواكم قال الفراء هو جواب اذ ومعناه اذهبوا اليه واجعلوه مأواكم وقيل هو دليل على جوابه أي اذا اعترلتموهم اعترال الاعتقاد بافاعتزلتموهم اعترال الجسماني واذا أردتم اعترالهم فافعلوا ذلك بالالتجاء الى الكهف (ينشر) أي يبسط ويوسع (لكم ربكم) مالك أمركم (من رحمة) في الدارين (ويهي) أي يسهل ويسر (لكم من أمركم) الذي أنتم بصدده من الفرار بالدين (مرفقا) بكسر الميم وفتحها الغتان قرئ بهما ماخوذ من الارتفاق وهو الاتفاح وقيل فتح الميم أقيس وكسرها أغلب وأكثر العرب على كسر الميم من الامر ومن مرفق الانسان وقد نفتح العرب الميم فيهما فهما الغتان وكان الذين فتحوا أرادوا أن يفرقوا بين المرفق من الامر والمرفق من الانسان وقال الكسائي الكسر في مرفق اليد وقيل المرفق بالكسر ما ارتفعت به المرفق بفتح الميم الامر الرافق والمراد هنا ما يرتفعون به وينتفعون بحصوله والتقديم في الموضوعين يفيد الاختصاص وانما قالوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه

قومهم دار البوار جهنم يصلونها ويشن القرار ولهذا بدلهم الله بجاليم الاولين خلافا لهما فقال فأذاقها الله لباس الجوع والخوف أي ألبسها وأذاقها الجوع بعد ان كان يجيب اليهم ثمرات كل شيء ويأتيها رزقها رغدا من كل مكان وذلك انهم استعصوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوا الاخلافه فدعا عليهم بسبع كسبع يوسف فأصابهم سنة أذهبت كل شيء لهم فاكلوا العلهز هوو بر البعير يخلط بدمه اذا شجره وقوله والخوف وذلك انهم بدلوا بأمنهم خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حين هاجروا الى المدينة من سطوته وسر اياه وجيوشه وجعل كل ما لهم في دمار وسفال حتى فتحها الله عليهم وذلك بسبب صنيعهم وبغيتهم وتكذيبهم الرسول

صلى الله عليه وسلم الذي بعثه الله فيهم منهم أو امتن به عليهم في قوله لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم الآية وقوله تعالى فاتقوا الله يا أولي الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله اليكم ذكرار رسولاً الآية وقوله كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة الى قوله ولا تكفرون وكما انه انعكس على الكافرين حالهم خافوا بعد الامن وجاعوا بعد الرغد بدل الله المؤمنين من بعد خوفهم آمنوا ورزقهم بعد العيلة وجعلهم امراء الناس وحكامهم وسادتهم وقادتهم وأتمهم وهذا الذي قلناه من أن هذا المثل ضرب لاهل مكة (٣٨٤) قاله العوفي عن ابن عباس واليه ذهب مجاهد وقرطادة وعبد الرحمن بن زيد بن

أسلم وحكاه مالك عن الزهري رحمه الله وقال ابن جرير حدثني ابن عبد الرحيم البرقي حدثني ابن أبي هريرة حدثنا نافع بن يزيد حدثنا عبد الرحمن بن شريح ان عبد الكريم بن الحرث الحضرمي حدثه انه سمع مشرح ابن عاهان يقول سمعت سليمان بن عمير يقول صدرنا من الحج مع حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وعثمان رضي الله عنه محصور بالمدينة فكانت تسأل عنه ما فعل حتى رأت راكبين فأرسلت اليهما تسألهما فقالا قتل فقالت حفصة والذي نفسى بيده انها القرية التي قال الله تعالى وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله وقال ابن شريح وأخبرني عبيد الله بن المغيرة عن حدثه انه كان يقول انها المدينة (فكوا ما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال

أو أخبرهم به نبي عصرهم (وترى الشمس اذا طلعت) شرع سبحانه في بيان حالهم بعد ان أووا الى الكهف (تراور) مأخوذ من الزور بفتح الواو وهو الميل ومنه زاره اذا مال اليه وقيل تزور بمعنى تنقبض من ازور أى انقبض والأولى ومعنى الآية ان الشمس اذا طلعت تميل وتعدل وتتجنى (عن كهفهم ذات اليمين) أى ناحية اليمين وهى الجهة المسماة باليمين (واذا غربت تقرضهم) القرض القطع قال الكسائي والاختفش والزجاج وأبو عبيدة تعدل عنهم وتتركهم قرضت المكان عدلت عنه تقول لصاحبك هل وردت مكان كذا فيقول انما قرضته اذا مر به وتجاوز عنه وقال الفارسي معنى تقرضهم تعطيمهم من ضوء اشياء ثم ينزل بسبعة كالقرض يسترد وقد ضعف بأنه كان ينبغي ان يقرأ تقرضهم بضم التاء لانه من أقرض والمعنى ان الشمس اذا طلعت مالت عن كهفهم ذات اليمين أى بين الداخل للكهف واذا غربت تقرر (ذات الشمال) أى جهة شمال الكهف لاتصبيه لافي ابتداء النهار ولا في آخر النهار بل تعدل عن سمتها الى الجهتين (وهي في فجوة منه) الفجوة المكان المتسع وما يدل على ان الفجوة المكان الواسع قول الشاعر

ألبست قومك مخزاة ومنقصة * حتى أبجوا واخلوا فجوة الدار

وقال سعيد بن جبير الفجوة الخلوة من الارض ويعني بالخلوة الناحية منها وللمفسرين في تفسير هذه الجملة قولان الاول انهم مع كونهم في مكان منفتح انفتحا وواسعا في ظل جميع نهارهم لاتصبيهم الشمس في طلوعها ولا في غروبها لان الله سبحانه جهم عنهم كرامة والثاني ان باب ذلك الكهف كان مفتوحا الى جانب الشمال مستقبلا لنبات التعش في أرض الروم فاذا طلعت الشمس كانت عن يمين الكهف واذا غربت كانت عن يساره ولا تقع عليهم عند الطلوع ولا عند الغروب ولا عند الاستواء فتؤذيهم بحرها وتغير ألوانهم وتبلى ثيابهم ولكن اختار الله لهم مضجعا في متسع ينالهم فيه برد الريح ونسيمها ويدفع عنهم كرب الغار ونغمه ويؤيد القول الاول قوله (ذلك من آيات الله) فان صرف الشمس عنهم مع توجه الفجوة الى مكان نصل اليه عادة أنسب بمعنى كونها آية ويؤيده أيضا اطلاق الفجوة وعدم تقييدها بكونها الى جهة كذا وعلى الثاني يكون المعنى ان شأنهم وحديثهم من آيات الله والاول أولى وقد قيل انه كان لكهفهم حاجب من جهة الجنوب وحاجب من جهة الدبور وهم في زاوية وذهب الزجاج الى ان فعل الشمس كان آية من الله تعالى من دون ان يكون

وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم يقول باب تعالى امر اعباده المؤمنين بأكل رزقه الحلال الطيب وبشكره على ذلك فانه المنعم المتفضل به ابتداء الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له ثم ذكر تعالى ما حرمه عليهم مما فيه مضرة لهم في دينهم وديناهم من الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به أى ذبح على اسم غير الله ومع هذا فن اضطر اليه أى احتاج من غير باغ ولا عاد وان فان الله غفور رحيم وقد تقدم الكلام على مثل هذه الآية في سورة البقرة بما فيه كفاية عن اعادته والله الحمد ثم نهي تعالى عن سبيل المشركين الذين حللوا حرموا بحرموا وصفوه

باب الكهف الى جهة توجب ذلك وعلى الجملة فالآية في ذلك ان الله تعالى أوأهم الى كهف
 لده صفتة لا الى كهف آخر يتأذون فيه باسباط الشمس عليهم في معظم النهار وعلى هذا
 فيمكن أن يكون صرف الشمس عنهم باظلال غمام أو سبب آخر والمقصود بيان حفظهم من
 تطرق البلاء وتغير الابدان والالوان اليهم والتأذي بجزر أو برد ثم أتى سبحانه عليهم بقوله
 (من يهد الله) الى الحق مثل أصحاب الكهف (فهو المهتمد) الذي نظف بالهدى وأصاب
 الرشد والفلاح (ومن يضل) أي يضلله الله ولم يرشده كدقيانوس وأصحابه (فلن تجده
 وليا مرشدا) أي ناصر يهديه الى الحق ثم حكى سبحانه طرفا آخر من غرائب أحوالهم
 فقال (وتحسبهم) خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولكل أحد (أيقاظا) جمع يقظ
 بكسر القاف وفتحها (وهو رقاد) أي نيام وهو جمع رقاد كقعود في قاعد قيل وسبب هذا
 الحسبان ان عيونهم كانت مفتحة وهم نيام وقال الزجاج لكثرة تقلبهم (ونقلبهم ذات
 اليمين وذات الشمال) أي تقلبهم في رقدتهم الى الجهتين لثلاثا كل الارض أجسادهم
 ولحومهم قاله سعيد بن جبيرة وتجب منسه الامام الرازي وقال ان الله قادر على حفظهم من
 غير تقلب ولقائل ان يقول لا ريب في قدرة الله تعالى ولكن جعل لكل شئ سببا في أغلب
 الاحوال قاله الكرخي قيل تقلبه واحدة في كل سنة مرة في يوم عاشوراء وقال ابن عباس
 ستة أشهر على ذى الجنب، اليمين وستة أشهر على ذى الجنب الشمال وعلى هذا كان لهم
 تقلب ان في السنة وقيل كل تسع سنين وقالت فرقة انما قلبوا في التسع الأواخر وأما
 في الثلثمائة فلا وظاهر كلام المفسرين ان التقلب من فعل الله ويجوز ان يكون من ملك
 بأمر الله فيضاف الى الله تعالى قاله القرطبي والأول أولى (وكابهم باسط ذراعيه) حكاية
 حال ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان بمعنى المضي كما تقرر في علم النحو أي ما يديه
 قال اكثر المفسرين بن هربوا من ملكهم ليل آخر وابعاع معه كاب قبعهم وقيل كان لواحد
 منهم قال مجاهد اسم كابهم قطمورا وعن الحسن اسمه قطمير وقيل اسمه ريان وقيل صهيان
 قيل كان كبا أغر وقيل فوق القاطي ودون الكرزي والقلطي كاب صيني وقيل كان أصفر
 وقيل كان أحمرا اللون وقيل كان يضرب الى حجرة وقيل كاون السماء قيل ليس في الجنة
 دواب سوى كاب أصحاب الكهف وحجار بلع ولا أدري أي تعلق لهذا التدقيق والتحقيق
 بتفسير الكتاب العزيز وما الذي جعلهم على هذا الفضول الذي لا مستند له في السمع
 ولا في العقل (بالوصية) قال أبو عبيد وأبو عبيدة هو فناء الباب وكذا قال المفسرون
 وقيل العتبة ورد بان الكهف لا يكون له عتبة ولا باب وانما أراد ان الكلب موضع العتبة
 من البيت وقال ابن عباس بالوصية بالفناء وبالباب وقيل بفناء الكهف وقيل الصعيد
 والتراب قال بعضهم كاب أحب قومافذ كره الله معه فكيف بنا وعندنا عقد الايمان
 وكلمة الاسلام وحب النبي وآله وصحبه وقول الله تعالى ولقد كرمتنا بآدم الآية وفي هذا
 تسلية وأنس للمؤمنين المقصرين عن درجات الكمال المحيين للصالحين والانبيا والعلما
 الخاطئين للاولياء والاصفياء (لواطلعت عليهم) أي لو نظرت اليهم وهم على تلك الحالة
 (لوليت منهم فرارا) أي لفررت منهم هاربا (ولملت منهم رعبا) أي خوفا وفرعا عيلا

واصلحو اعلمه من الاتصاف بأرائهم
 من البجيرة والسائبة والوصيلة
 والحام وغير ذلك مما كان شرعا لهم
 ابتداء في جاهليتهم فقال ولا
 تقولوا لما تصف ألسنتكم بالكذب

الصدر قرى رعبا يسكون العين وصمها وسبب الرعب الهيبة التي ألبسهم الله اياها وقيل
 طول أظفارهم وشعورهم وعظم أجرامهم ووحشة مكانهم ذكره المهدي والنحاس
 والزجاج والقشيري ويدفعه قوله تعالى لبنا يوماً وبعض يوم فان ذلك يدل على انهم لم
 ينكروا من حالهم شيئاً ولا وجدوا من أظفارهم وشعورهم ما يدل على طول المدة وقيل
 لان أعينهم كانت منفتحة كما تبقى وقيل ان الله منعهم بالرعب حتى لا يراهم أحد قال ابن
 عطية والصحيح في أمرهم ان الله عز وجل حفظ لهم الحالة التي ما توارثها التكون لهم
 وغيرهم فيهم آية فلم يبل لهم ثوب ولم تتغير لهم صفة ولم ينكروا الناضح الى المدينة الامعالم
 الارض والبناء ولو كانت في نفسه حالة ينكرها لكانت عليهم أهم ذكره القرطبي
 (وكذلك) أي وكما فعلنا بهم ما فعلنا من الكرامات وأمتناهم في الكهف تلك النومة
 وحدثنا أجسامهم من البلى على طول الزمان (بعثناهم) من نومهم وجعلنا بعثهم آية
 قاله الزجاج والنخسري وفيه تذكير بقدرته على الامانة والبعث جميعاً ذكره الاصر
 الذي لاجله بعثهم فقال (ليتساءلوا بينهم) أي ليقع اتساول بينهم والاختلاف والتنازع
 في مدة البعث لما يترب على ذلك من انكشاف الحال وظهور القدرة الباهرة وقيل اللام
 للصيرورة لان البعث لم يكن للتساؤل قاله ابن عطية والصحيح انها على بابها من السببية
 والاقتصار على علة اتساول لا ينفي غيرها وانما أفردته لاستبعاها لاسائر الآثار (قال
 فائل) أي واحد (منهم) وهو كبيرهم ورئيسهم مكلمنا (كم لبثتم) في النوم قالوا
 ذلك لانهم رأوا في أنفسهم غير ما يعهدون في العادة والجملة مبينة لما قبلها من التساؤل
 (قالوا) أي قال بعضهم وقيل قال السبعة الباقيون جواباً عن سؤال من سأل منهم قال
 المفسرون انهم دخلوا الكهف غدوة وبعثهم الله سبحانه آخر النهار فلذلك قالوا (لبنا
 يوماً) أي انظرتم ان الشمس قد غربت فلما رأوا الشمس لم تغرب قالوا (أو بعض يوم)
 وكان قد بقيت بقية من النهار وقد مر مثل هذا الجواب في قصة عزيز في البقرة وأول الشك
 وقيل للتصديق أي قال بعضهم كذا وبعضهم كذا وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول
 بالظن الغالب (قالوا) متوقفين في قدر مدة لبثهم (ربكم أعلم بالبينتم) اما على طريق
 الاستدلال أو كان ذلك الهام الهام من الله سبحانه أي انكم لا تعلمون مدة لبثكم وانما
 يعلمها الله سبحانه وهذا رد منهم على الاولين باجل ما يكون من مراعاة حسن الادب وبه
 يتحقق التحزب الى الحزبين المعهودين في قوله سابقاً لنعلم أي الحزبين وقد استدل ابن
 عباس على ان عددهم سبعة بهذه الآية لانه قد قال في الآية قال فائل منهم وهذا واحد
 وقالوا في جوابه لبنا وهو جمع وأقله ثلاثة ثم قالوا وهذا قول جمع آخرين فصاروا سبعة
 (فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة) كانه قال القائل منهم يعني يملحوا تركوا
 ما أنتم عليه من المحاورة وخذوا في شيء آخر مما هممكم وفيما تتفقون به والفاء للسببية أي
 فارسلوا واحداً منكم الى البلد والورق الفضة مضمومة كانت أو غير مضمومة ويقال لها
 الرقة وفي الحديث وفي الرقة ربع العشر وجمعت شذوذاً جمع المذكر السالم يقال عندي
 رقون والباء للمصاحبة والملابسة وفي جملهم لهذه الورق معهم دليل على أن امسالك بعض

هذا احلال وهذا حرام لتفتروا على
 الله الكذب ويدخل في هذا كل من
 ابتدع بدعة ليس له فيها مستند
 شرعي أو حال شيئاً مما حرم الله أو
 حرم شيئاً مما أباح الله بمجرد رأيه

ما يحتاج اليه الانسان لا ينافي التوكل على الله والمدينة أفسوس بضم الهمزة كما قاله
 النبي باورى وهى مدينتهم التى كانوا فيها من مدائن الروم ويقال لها اليوم فى الاسلام
 طرطوس كذا قال الواحدى وفى الكشف ان المدينة التى خرجوا منها غير المدينة التى
 بعثوا اليها اشراة الطعام اذا فسوس من اعمال طرطوس وهى ناحية (فاينظر رأيها
 أزكى طعاما) أى لينظر أى أهلها أطيب طعاما وأحل مكسبا أو أرخص سعرا وأى
 استنهامية أو موصولة قال ابن عباس أحل وأطهر ذبيحة لانهم كانوا يذبحون للطواغيت
 أو أكثر بركة وقيل يجوز ان يكون الضمير الى اطعمة المدلول عليها فى المقام كما يقال زيد
 طيب أبا على ان الاب هو زيد وفيه بعد (فليأتكم برزق منه) أى من الورق أى بدله
 أو من قوت وطعام تأكلونه واستدل بالآية على حل ذبائح أهل الكتاب لان عامة أهل
 المدينة كانوا كفارا وفيه قوم يخفون ايمانهم ووجه الاستدلال ان الطعام يتناول اللحم كما
 يتناول غيره مما يطاق عليه اسم الطعام (وليسلطف) أى يدقق النظر حتى لا يعرف أو
 لا يغيب والاول أولى ويؤيده (ولا يشعرن بكم أحدا) من الناس أى لا يفعلن ما يؤدى الى
 الشعور ويتسبب له فهذا النهى يتضمن التأكد للامر بالتططف ثم عمل ما سبق من
 الامر والنهى فقال (انهم) أى أهل المدينة (ان يظهر واعليكم) أى يطلعوا
 ويعلموا بما كنتم (يرجوكم) يقتلوكم بالرحم وهذه القتل هى أخبث قتله وكان ذلك
 كان عادة لهم ولهذا خصه من بين أنواع ما يقع به القتل وقيل يشتموكم ويؤذوكم بالقول
 والاول أولى (أو يعيدوكم فى ملتهم) أى يردوكم الى ملتهم التى كنتم عليها قبل ان يهديكم
 الله أو يصيروكم اليها كرها والمراد بالعود هنا الصيرورة على تقدير انهم لم يكونوا على ملتهم
 واينار كلمة فى على كلمة الى للدلالة على الاستقرار (ولن تغفوا اذا أبدا) فى اذن معنى
 الشرط والجزاء كأنه قال ان رجعت الى دينهم فلن تغفوا اذا أبدا فى الدنيا ولا فى
 الآخرة (وكذلك) أى وكما أنتماهم وبعثناهم (أعترنا) أى أطلعنا الناس (عليهم)
 وأظهرناهم وسعى الاعلام اعثار الان من كان غافلا عن شئ فعثر به نظر اليه وعرفه
 فكان الاعثار سببا لحصول العلم (ليعلموا) أى ليعلم الذين أعثرهم الله عليهم (أن وعد
 الله) بالبعث (حق) قيل وكان ملك زمانهم ممن ينسكرا للبعث فراه الله هذه الآية قيل
 وسبب الاعثار عليهم ان ذلك الرجل الذى بعثه بالورق وكانت من ضربة دقيانوس الى
 السوق فلما اطلع عليها أهل السوق اتهموه بأنه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقال له من
 أين وجدت هذه الدراهم قال بعث بها أمس شيأ من التمر وخرجنافرا من الملك دقيانوس
 فعرف الملك صدقه ثم قص عليه القصة فركب الملك وركب أصحابه معه حتى وصلوا الى
 الكهف (و) ليعلموا (ان الساعة) أى القيامة (الاريب فيها) أى لاشد فى
 حصولها فان من شاهد حال أهل الكهف علم صحة ما وعد الله به من بعث الارواح
 والاجساد جميعا وحشرها (اذ يتنازعون بينهم أمرهم) أى أعثرنا عليهم وقت
 التنازع والاختلاف بين أولئك الذين أعثرهم الله فى أمر البعث وقيل فى أمر أصحاب
 الكهف فى قدر مكثهم وفى عددهم وفيما يجهلون بعد ان اطلعوا عليهم وقيل قال المسلمون

وتشبهه وما فى قوله لما تصف
 مصدريه أى ولا تقولوا الكذب
 لوصف ألسنتكم ثم توعد على ذلك
 فقال ان الذين يفترون على الله
 الكذب لا يفلحون أى فى الدنيا

بنى عليهم مسجدا يصلي فيه الناس لانهم على ديننا وقال المشركون بنى عليهم بيعة لانهم
 من اهل ملتنا (فقالوا ابو عليهم بنينا) لئلا يتطرق الناس اليهم كما حفظت تربة رسول
 الله صلى الله عليه وآله وسلم بالخطيرة وذلك ان الملك وأصحابه لما وقوا عليهم وهم أحياء
 أمات الله القتيبة فقال بعضهم ابو عليهم بنينا يا بترهم عن أعين الناس وقيل يتنازعون
 متعلمي محذوف هو اذ كبر ويؤيده ان الاعشار ليس في زمن التنازع بل قبله ويمكن
 ان يقال ان أولئك القوم مازالوا متنازعين فيما بينهم قرنا بعد قرن منذ أو والى الكهف
 الى وقت الاعشار ويؤيد ذلك ان خبرهم كان مكتوبا على باب الغار كتبه بعض المعاصرين
 لهم من المؤمنين الذين كانوا يخفون ايمانهم كما قاله المنسرون ثم قال سبحانه حياك القول
 المتنازعين فيهم وفي عددهم وفي مدة لبثهم وفي نحو ذلك مما يتعلق بهم (ربهم أعلم بهم)
 من هؤلاء المتنازعين فيهم قالوا ذلك تفويضا للعلم الى الله سبحانه وقيل هو من كلام الله
 سبحانه رد القول المتنازعين فيهم أي دعوا ما أتم فيه من التنازع فأنى أعلم بهم منكم
 والاقول هو الظاهر قاله الكرخي (قال الذين غلبوا على أمرهم) يعني بنو سوس
 وأصحابه قاله الخازن أي كانت الكلمة لهم وكان كلامهم هو المافذ لان ملك الوقت كان
 من جملتهم وكان مؤمنا وأما الملك الذي خرجوا هاربين منه فقد مات في مدة نومهم
 (لتخذن عليهم مسجدا) يصلي فيه المسلمون ويعتبرون بحالهم وذكرا اتخاذ المسجدين
 بان هؤلاء الذين غلبوا على أمرهم هم المسلمون وقيل هم أهل السلطان والملأ من القوم
 المذكورين فانهم الذين يغلبون على أمر من عداهم والاول أولى قال الزجاج هذا يدل على
 انه لما ظهر أمرهم غلب المؤمنون بالبعث والنشور لان المساجد للمؤمنين (سيقولون)
 هؤلاء القائلون بانهم ثلاثة أو خمسة أو سبعة وهم المتنازعون في عددهم في زمن رسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم من أهل الكتاب والمسلمين وقيل هم أهل الكتاب خاصة قال السدي
 هم اليهود وعلى كل تقدير فليس المراد انهم جميعا قالوا جميع ذلك بل قال بعضهم بكذا
 وبعضهم بكذا قيل انما أتى بالسين في هذا لان في الكلام طيا وادماجا تقديره فاذا أجبتهم
 عن سؤالهم عن قصة أهل الكهف فسألهم عن عددهم فانهم سيقولون ولم يأت بها في باقي
 الافعال لانها معطوفة على ما فيه السين فاعطيت حكمه من الاستقبال والمعنى يقولون
 لك يا محمد ويخبرونك على ثلاثة أقوال الاول ان النصراري والنات للمؤمنين (ثلاثة رابعهم
 كلهم) أي هم ثلاثة أشخاص حال كون كلهم جعلهم أربعة بانضمام اليهم (ويقولون
 خمسة سادسهم كلهم) الكلام فيه كالكلام فيما قبله قال السدي هم النصراري وقيل
 اليهود كما في البيضاوي قال أبو علي الفارسي قوله رابعهم كلهم وسادسهم كلهم جملتان
 استغنى عن حرف العطف فيما بما تضمنتا من ذكر الجملة الاولى وهي قوله ثلاثة والتقدير
 هم ثلاثة هكذا حكاه الواحدي (رجبا بالغيب) أي راجين أو يرجون رجاءا والرجم
 بالغيب هو القول بالظن والحدس من غير يقين ودليل ولا برهان كما قاله الطيبي وغيره
 والموصوفون بالرجم بالغيب هم كالأفر يقين القائلون بانهم ثلاثة والقائلون بانهم خمسة
 قال قتادة رجما فبالظن ولم يقل هذا في السبعة وتخصيص الشيء بالوصف يدل على ان

ولا في الاخرة أما في الدنيا فاعتاد
 قليل وأما في الاخرة فلهم عذاب
 أليم كما قال تمتعهم قليلا ثم نظروهم
 الى عذاب غلظ وقال ان الذين
 يفترون على الله الكذب لا يفلحون

الحال في الباقي بخلافه والرجم بمعنى الرمي وهو استعارة للتكلم بما لم يطاع عليه لخفاؤه عنه
تشبيها للباري بالجحارة التي لا تصيب غرضها والباء فيه للتعدية على تشبيهه الظن بالجحر المرى
على طريق الكناية (ويقولون) أي المؤمنون يعني قالوه باخبار الرسول لهم عن جبريل
عليه السلام (سبعة وثامنهم كلبهم) وكان قول هذه الفرقة أقرب إلى الصواب بدليل
عدم ادخالهم في سلك الراجين بالغيب قيل واظهار الواو في هذه الجملة يدل على انها مرادة
في الجملتين الاولييتين وعلى رأى الاخفش والكوفيين الواو زائدة لان وجودها في الكلام
كعدم في عدم افادة أصل معناها قاله الكرخي وقيل زائدة لتأكيد الصوق الصفة
بالموصوف والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت وهذا ما خرج اليه الزمخشري وصرح به
البيضاوي واختاره ابن هشام وقيل انها واو العطف كأنه قيل هم سبعة وثامنهم كلبهم
وقيل واو الحال فيقول المعنى إلى أنهم يقولون ذلك مع هذا الحال وهو كون ثامنهم كلبهم
واقعا لا محالة ويلزم منه ان يكونوا سبعة قال ابن هشام وقول جماعة الادباء بالجرى
ومن النحو بين كبن خالويه ومن المفسرين كالثعلبي انها واو الثمانية لا يراد نحوى لانه
لا يتعلق به حكم اعرابي ولا مر معنوي قال الكافي هي في التحقيق واو العطف لكن
لما اختص استعمالها بعمل مخصوص تضمنت أمر اغريبا واعتبار الطيفاناسب ان تسمى
باسم غير جنسها فسميت بواو الثمانية لمناسبة بينها وبين سبعة وذلك لان السبعة
عندهم عقد تام كعقد العشرات لاشتمالها على أكثر مراتب أصول الاعداد والثمانية
عقد مستأنف فكان بينهما اتصال من وجه وانفصال من وجه وهذا هو المقضى للعطف
وهذا المعنى ليس موجودا بين السبعة والستة انتهى لمخضمان الكرخي ثم أمر الله نبيه
صلى الله عليه وآله وسلم ان يجبر المختلفين في عددهم بما يقطع النزاع بينهم فقال (قل
ربي أعلم) أي أقوى علما وأزيد في الكيفية (بعدهم) منكم أيها المختلفون فان
مراتب اليقين متفاوتة في القوة وهذا هو الحق لان العلم يتفاضل العالم والكائنات فيه
في الماضي والمستقبل لا يكون الا الله تعالى أو من أخبره الله سبحانه ثم أثبت العلم على
ذلك لقليل من الناس فقال (ما يعلمهم) أي ما يعلم ذواتهم فضلا عن عددهم أو ما يعلم
عددهم على حذف المضاف (الاقليل) من الناس عن ابن مسعود قال أنا من القليل
كانوا سبعة وعن ابن عباس قال السبيوطي بسند صحيح أنا من أولئك القليل كانوا سبعة ثم
ذكر أسماءهم وذكر بعض المفسرين لاسمائهم خواص ومنافع ليست من التفسير في
شيء ثم نسي الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم عن الجدال مع أهل الكتاب في شأن
أصحاب الكهف فقال (فلا تعارفهم) أي لا تجادل ولا تنقل في عددهم وشأنهم والمراد في
اللغة الجدال يقال ماري يماري ممرارة ومرء أي جادل قال ابن عباس يقول حسبك
ما قصصت عليك ثم استثنى سبحانه من المرء ما كان ظاهرا واضحا فقال (الامرأه ظاهرا)
أي غير متعمق فيه وهو ان يقص عليهم ما أوحى الله اليه حسب من غير تجهيل لهم ومن
غير رد عليهم وقال الرازي هو ان لا يكذبهم في تعيين ذلك العدد بل يقول هذا التعيين
لادليل عليه فوجب التوقف ثم نهاه سبحانه عن الاستفتاء في شأنهم فقال (ولا تستفتت

متاع في الدنيا ثم ينالهم ثم
تديفهم العذاب الشديد كما كانوا
يتفرون (وعلى الذين هادوا
حرمتنا ما قصصنا عليك من قبل وما
ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم

فيهم) أى في شأنهم (منهم) أى من الخائضين فيهم (أحدا) منهم لان المفتى يجب ان يكون
 أعلم من المستفتى وههنا الامر بالعكس ولا سيما في واقعة أهل الكهف وفيما قص الله
 عليك في ذلك ما ينبغي لك عن سؤال من لا علم له قال ابن عباس يعنى اليهود وقال القرطبي
 النصارى وهو الاولى ذل البيضاوى لا تسأل سؤال مسترشد ولا سؤال متعنت يريد
 فضيحة المستؤل وتزييف ما عنده فانه يحل بمكارم الاخلاق وفي الآية دليل على منع
 المسلمين من مراجعة أهل الكتاب في شئ من العلم (ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا الا ان
 يشاء الله) أى لا تقولن لاجل شئ أو في شأن شئ تعزم عليه فيما يستقبل من الزمان فعبر
 عنه بالغد ولم يرد الغد بعينه فيدخل فيه الغد دخولا أوليا قال الواحدى قال المنسرون
 لمسألت اليهود النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن خبر القسيه فقال أخبركم غدا ولم يقل ان
 شاء الله فاحتبس الوسى عنه حتى شق عليه فانزل الله هذه الآية يامر به بالاستئناس بمشيئة
 الله يقول اذا قلت لشيء انى فاعل ذلك غدا فقل ان شاء الله قيل وهذا الاستئناس مفرغ من
 أعم الاحوال أى لا تقولن ذلك في حال من الاحوال الا في حال ملابسته لمشيئة الله وهو ان
 تقول ان شاء الله أو في وقت من الاوقات الا وقت ان يشاء الله ان تقوله لا مطلقا بل باذن
 الله فحذف الوقت وهو مراد ولا تقولن أفعل غدا الا قائلا ان شاء الله فحذف القول
 ونقل شاء الى لفظ الاستقبال جمالا على المعنى قاله الاخفش والمبرد والكسائى وقيل
 التقدير الا ان يشاء الله أى متلبسا بقول ان شاء الله والمعنى الا ان تذكرك مشيئة الله فليس
 الا ان يشاء الله من القول الذى نهى عنه وقيل الاستئناس جار مجرى التأييد كما قد قيل
 لا تقولنه أبدا كقوله وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله لان عودهم في ملتهم مما
 لا يشاؤه الله (واذ كر ربك اذا نسيت) الاستئناس بمشيئة الله أى فقل ان شاء الله سواء
 كانت المدة قليلة أو كثيرة وقد اختلف أهل العلم في المدة التى يجوز الحاق الاستئناس فيها
 بعد المستثنى منه على أقوال معروفة في مواضعها وقيل المعنى واذا كر ربك بالاستغفار اذا
 نسيت مبالغة في الحث عليه أو اذا كر ربك عقابه اذا تركت بعض ما أمرت به ليعتدك على
 التدارك واذا كره اذا اعتراك النسيان لتذكرك المنسى وعن ابن عباس انه كان يرى
 الاستئناس ولو بعد سنة ثم قرأ هذه الآية وعنه قال هي خاصة لرسول الله صلى الله عليه وآله
 وسلم وليس لاحد ان يستثنى الا في صلته يمين وعن ابن عمر قال كل استئناس موصول فلا حث
 على صاحبه واذا كان غير موصول فهو حائز وأخرج البخارى ومسلم وغيرهم ما من
 حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال سليمان بن داود لا طوفن
 اللبلة على سبعين امرأة وفي رواية تسعين تلد كل امرأة منهن غلاما يقاتل في سبيل الله
 فقال له الملائكة ان شاء الله فلم يقل قطاف فلم تلد منهن الا امرأة واحدة نصف انسان قال
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذى نفسى بيده لو قال ان شاء الله لم يحث وكان دركا
 لحاجته وعن بكرمة قال معنى اذا نسيت اذا غضبت وعن الحسن قال اذا نسيت اذا لم
 تقل ان شاء الله وقيل الآية في الصلاة ويدل له حديث أنس قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وآله وسلم من نسى صلاة فليصلها اذا ذكرها أقم الصلاة لذكرى متفق عليه والاول

يظلمون ثم ان ربك للذين علموا
 السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك
 وأصلحو ان ربك من بعدها الغفور
 رحيم) لما ذكر تعالى انه انما حرم
 علينا الميتة والدم ولحم الخنزير وما

أولى (وقل) يا محمد (عسى ان يهدين) أى يوفقنى ويدلنى (ربى لأقرب) أى لشى أقرب
 (من هذا) أى من خبر أهل الكهف من الآيات والدلائل الدالة على نبوتى (رشدا)
 هداية وأرشادا للناس ودلالة على ذلك وعلى الاول هو منقول مطلق وعلى الثانى تمييز
 لأقرب قال الزجاج عسى أن يعطى ربي من الآيات والدلالات على النبوة ما يكون أقرب
 فى الرشد وأدل من قصة أصحاب الكهف وقد فعل الله به ذلك حيث آتاه من علم غيوب
 المرسلين وخبرهم والحوادث النازلة فى الأعصار المستقبلة الى قيام الساعة ما كان أوضح
 فى الخجة وأقرب الى الرشد من خبر أصحاب الكهف وقيل عسى ان يهدين ربي عندهدا
 النسيان لشيء آخر بدل هذا المنسى وأقرب من ذلك رشا وادنى منه خيرا ومنفعة والاول
 أولى (ولبنوا) أى أقاموا (فى كهفهم ثلثمائة سنين) عطف بيان لثلثمائة وهذه
 السنون عند أهل الكتاب شمسية وتزيد القمرية عليها عند العرب تسع سنين وقد ذكرت
 فى قوله (وازدادوا سمعا) أى تسع سنين فالثلثمائة الشمسية ثلثمائة وتسع قمرية وقرئ فى
 السبعة بالاضافة وعليه فسنين تمييز غير انه قليل لان تمييز المائة الكثير فيه الافراد قال
 الفراء ومن العرب من يضع سنين ووضع سنة قال أبو على الفارسي هذه الأعداد التى تضاف
 فى المشهور الى الأعداد نحو ثلثمائة رجل وثوب قد تضاف الى المجموع وفى مصحف عبد الله
 ثلثمائة سنة وقال الاخفش لانكاد العرب تقول مائة سنين قال ابن جرير ان بنى اسرائيل
 اختلفوا فيما مضى لهم من المدة بعد الاعمار عليهم فقال بعضهم انهم لبثوا ثلثمائة سنة وقال
 بعضهم لبثوا ثلثمائة وتسع سنين فاخبر الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ان هذه المدة فى
 كونهم نبيا ما وان ما بعد ذلك مجهول للبشر فامر الله ان يرد علم ذلك اليه فقال (قل الله
 أعلم بما لبثوا) أى بالزمن الذى لبثوا فيه وقيل بعدموتهم الى نزول القرآن فيهم على قول
 مجاهد أو الى ان ما تواعلى قول الضمك أو الى وقت تغيرهم بالبلى على قول بعضهم قال ابن
 عطية فقوله على هذا لبثوا الاول يريد فى نوم الكهف ولبنوا الثانى يريد بعد الاعمار عليهم
 الى مدة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو الى ان ما تواعلى القرطبي انه لما قال وازدادوا
 تسع عالم يدرا الناس أى ساعات أم أيام أم جمع أم شهور أم أعوام فاختلف بنو اسرائيل
 بحسب ذلك فامر الله برد العلم اليه فى التسع فهى على هذا مهمة والاول أولى لان الظاهر
 من كلام العرب المذموم منه بحسب لغتهم ان التسع أعوام يدل ان العدد فى هذا
 الكلام للسنين لا للشهور وللأيام ولللساعات قال القشيري لا يفهم من التسع تسع
 ليل ولا تسع ساعات لوجود لفظ السنين وعن الزجاج ان المراد بثلثمائة سنة شمسية
 وثلثمائة وتسع سنين قمرية وهذا انما يكون من الزجاج على جهة التقريب وقال الشهاب
 وأما احتمال كون السنين شمسية أو قمرية وكون التسع سنين أو شهورا أو أياما فليس بشئ
 قال الضمك عن ابن عباس لما نزلت ولبنوا فى كهفهم ثلثمائة قديلا يا رسول الله أياما أم
 أشهر أم سنين فانزل الله سنين وازدادوا تسعا وحكى النقاش ما معناه انهم لبثوا ثلثمائة
 سنة شمسية بحسب الامم فلما كان الاخبار هنا للنبي العربى صلى الله عليه وآله وسلم ذكر
 التسع اذ المفهوم عنده من السنين القمرية فهذه الزيادة هى ما بين الحسابين وشعوه ذكر

أهل لغير الله به وما أُرخص فيه عند
 الضرورة وفى ذلك توسعة لهده
 الامسة التى يريد الله بها اليسر ولا
 يريد بها العسر ذكر سبحانه وتعالى
 ما كان حرمه على اليهود فى شريعتهم

القونوى أى باختلاف سنى الشمس والقمر لانه يتفاوت في كل ثلاث وثلاثين وثلاث سبعة
فيكون في ثلثمائة تسع سنين انتهى أقول هذا يتنى على حساب الكبس والكبس عندهم
مختلف وقد حقهناه في كتابنا القطة العجلان فراجعه وعن ابن عباس قال ان الرجل ليفسر
الآية يرى انها كذلك فيهنوى أبعدا بين السماء والارض ثم تلا ولبنوا في كهفهم الآية
ثم قال كم لبث القوم قالوا ثلثمائة وتسع سنين قال لو كانوا لبثوا كذلك لم يقل الله قل الله
اعلم بما لبثوا وليكنه - حتى مقالة القوم فة ال سيقولون ثلاثة الى قوله زجا بالغيث فاخبر
انهم لا يعلمون ثم قال سيقولون ولبنوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا قال القرطبي
اختلف في أصحاب الكهف هل ماتوا أو فنوا وهم نيام وأجسادهم محفوظة فروى عن ابن
عباس انه قال أولئك قوم فنوا وعدموا منذ مدة طويلة ومشى الناس معه في بعض
غزوات الشام الى موضع الكهف فوجدوا عظام وروث فرقة ان النبي صلى الله عليه وآله
وسلم قال ليحجن عيسى بن مريم ومعه أصحاب الكهف فانهم لم يحجوا أبعد ذكره ابن عيينة
ونحوه في التوراة والانجيل وقد ذكرنا هذا الخبر بكافة في التذكرة فعلى هذا هم نيام لم يموتوا
ولا يموتون الى يوم القيامة بل يموتون قبل الساعة انتهى والله أعلم ثم أ كد سبحانه اختصاصه
بعلم ما لبثوا بقوله (له غيب السموات والارض) أى ما خفي فيهما وغاب من أحوالهما
ليس لغيره من ذلك شئ ثم زاد في المبالغة والتأكيدها بما يدل على التعجب من ادراكه
للمبصرات والمسموعات فقال (أبصر به وأسمع) فافاد هذا التعجب على ان شأنه سبحانه
في علمه بالمبصرات والمسموعات خارج عما عليه ادراك المدركين وانه يستوى في علمه الغائب
والحاضر والخفي والظاهر والصغير والكبير واللطيف والكنيف وكان أصله ما أبصره
وما أسمعته ثم نقل الى صيغة الامر للانشاء على سبيل الجواز والباء زائدة عند سبويه
وخالفه الاخفش والبحث مقرر في علم الخوارق لله تعالى وقيل هو أمر حقيقة لا تعجب
وان الهاء تعود على الهدى المفهوم من الكلام أى أبصر بوجهه وارشاده هذو حجتك
والحق من الامور وأسمع به العالم والاولى وقرئ أبصر وأسمع فعلا ماضيا والفاعل
الله تعالى أى أبصر عباده وأسمعهم (مالهم) أى لاهل السموات والارض وقيل لاهل
الكهف وقيل لعاصري محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الكفار (من دونه من ولى)
أى من موال يواليهم أو يتولى أمورهم أو ينصرهم وفي هذا بيان لغاية قدرته وان السك
تحت قهره (ولا يشرك في حكمه أحدا) قرأ الجوهري ورفع الكاف على الخبر عن الله سبحانه
وقرئ بالقومية واسكان الكاف على انه نهي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ان يجعل لله
شريكا في حكمه والمراد بحكم الله ما يقضيه أو علم الغيب والاولى ويدخل علم الغيب
في ذلك دخولا أوليا فان علمه سبحانه من جده قضاءه (واتل ما أوحى اليك) أمره الله
سبحانه ان يواظب على تلاوة الكتاب الموحى اليه فيسئل يحتمل ان يكون معنى قوله واتل
واتبع أمر من التسلول من التلاوة أى اتبع ما فيه واعمل به ولا تلتفت لقوله ائت بقران
غير هذا أو بدله (من كتاب ربك) بيان للذي أوحى اليه (لامبدل لكلماته) أى
لا قادر على تبديلها وتغييرها وانما يقدر على ذلك هو وحده قال الزجاج أى ما أخبر الله به

قبل ان ينسخها وما كانوا فيه من
الانصار والتصديق والاعلال
والجرح فقال وعلى الذين هادوا
حرمنا ما قصصنا عليك من قبل
اى في سورة الانعام في قوله وعلى

وما أمر به فلا مبدل له وعلى هذا يكون التقدير لا مبدل لحكم كلماته (ولن تجد من
دونه ملتحدا) أي ملتجأ وأصل اللحد الميل وقال أبو عبيدة الخد الخاد جادل ومارى
ولحد جار وظلم والحد في الحرم استحل حرمته وانتهكها والملتحد اسم الموضع وهو الملتجأ قال
الزجاج لن تجد معدلا عن أمره ونهيه والمعنى أنك إن لم تتبع القرآن وتتسلوه وتعمل
بأحكامه لن تجد معدلا تعدل إليه ومكانا تمل إليه وهذه الآية آخر قصة أهل الكهف
ثم شرع سبحانه في نوع آخر كما هو دأب الكتاب العزيز فقال (واصبر نفسك مع الذين
يدعون ربهم) أي يعبدونه قد تقدم في الانعام نهيهم صلى الله عليه وآله وسلم عن طرد
فقراء المؤمنين بقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم وأمره سبحانه ههنا بان يحبس نفسه
معهم فصر النفس هو حبسها عن الجزع وبإبه ضرب وصره حبسه وهذه الآية أبلغ من
التي في الانعام لأن في تلك نهي الرسول عن طردهم وفي هذه أمره بحبهم والمصابرة
معهم (بالغداة والعشي) ذكرهما كناية عن الاستمرار على الدعاء في جميع الاوقات وقيل
في طرفي النهار وقيل المراد صلاة العصر والتجسس والعدو وانكره النحاس وقال ولا تكاد
العرب تقول الغدوة ومعنى (يريدون وجهه) أنهم يريدون بدعائهم رضا الله سبحانه
لا عرض الدنيا وعن سلمان قال جاءت المؤلفة قلوبهم عيينة بن بدر والقرع بن حابس فقالوا
يا رسول الله لو جلست في صدر المجلس وتغيبت عن هؤلاء وأرواح جبابهم يعنون سلمان
وأباذر وفقراء المسلمين وكانت عليهم جباب الصوف جالسناك وحادثناك وأخذنا عنك
فانزل الله واتل ما أوحى اليك إلى قوله انا عمدنا للاظالمين ناراً أخرجه البيهقي وغيره وزاد
أبو الشيخ عن سلمان ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قام يلتمسهم حتى أصابهم في
مؤخر المسجد يذكرون الله تعالى فقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني ان أصبر نفسي
مع رجال من أمتي معكم الخيما والممات وعن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف قال نزلت على
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو في بعض آياته واصبر نفسك الآية فخرج يلتمسهم
فوجد قوما يذكرون الله منهم نائر الرأس وحاف الجلد وذو الثوب الخلق فلما رأاهم جلس
معهم وقال الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني ان أصبر نفسي معهم وعن أبي سعيد
وأبي هريرة قال اجاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورجل يقرأ سورة الحجر أو سورة
الكهف فسكت فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا المجلس الذي أمرت ان أصبر
نفسى معهم وفي الباب روايات وعن ابن عمر قال انهم الذين يشهدون الصلوات الخمس وعن
ابن عباس مثله وقيل نزلت في صلاة الصبح وصلاة العصر ثم أمره سبحانه بالمراقبة لآحوالهم
فقال (ولا تعد عينك عنهم) أي لا تتجاوز إلى غيرهم قال الفراء معناه لا تصرف عينك عنهم
وقال الزجاج لا تصرف بصرك إلى غيرهم من ذوى الهيئات والزيينة واستعماله يعن
لتضمينه معنى النبوة من عدوته عن الامر أي صرفته عنه وقال معناه لا تحتقرهم عينك
عبرهم ما عن صاحبها (تريد زينة الحياة الدنيا) أي مجالسة أهل الترف والشرف والغنى
وصحبة أهل الدنيا والمعنى حال كونك تريد ذلك هذا اذا كان فاعل تريده هو النبي صلى الله
عليه وآله وسلم وان كان الفاعل ضمير يعود إلى العيينة فالتقدير تريد زينة الحياة الدنيا

الذين هادوا حرمتنا كل ذي ظفر
ومن البقر والغنم حرمتنا عليهم
شحوهمهما الا ما حلت ظهورهما
الى قوله اصادقون ولهذا قال ههنا

واسناد الارادة الى العينين مجاز وتوحيد الضمير للتلازم والاول اولى وهو نهي له صلى الله
 عليه وآله وسلم وان لم يردده وليس هو أكبر من قوله لئن أشركت ليحبطن عملك وان كان
 أعاده من الشرك وانما هو على فرض المحال (ولا تطع من أغفلنا قلبه) اى جعلناه غافلا
 (عن ذكرنا) بالتحتم عليه نهي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن طاعة من جعل الله
 قلبه غافلا عن ذكره كما وثق الذين طلبوا منه ان ينهى الفقراء عن مجلسه فانهم طالبوا
 تخيبة الذين يدعون ربهم بالغدا والعشي يريدون وجهه وهم غافلون عن ذكر الله
 (و) مع هذا فهم ممن (اتبع هواه) وآثره على الحق فاختار الشرك على التوحيد
 (وكان أمره فرطاً) أى متجاوزاً عن حد الاعتدال من قولهم فرس فرط اذا كان متهتماً
 على الخبل فهو على هذا من الافراط وقيل هو من التفریط وهو التقصير والتضييع
 والاول أظهر قال الزجاج ومن قدم الجزى في أمره اضعه وأهلكه عن ابن عباس قال نزلت
 في أمية بن خلف وذلك انه دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى أمر كرهه الله من طرد
 الفقراء عنه وتقريب صناده أهل مكة فانزل الله هذه الآية يعنى من ختمنا على قلبه يعنى
 التوحيد واتبع هواه يعنى الشرك وكان أمره فرطاً يعنى فرطاً فى أمر الله وجهالة به وعن
 ابن بريده قال دخل عيينة بن حصن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى يوم حار وعنده
 سلمان عليه جبة صوف فثار منه ريح العرق فى الصوف فقال عيينة يا محمد اذا نحن أتيناك
 فاخرج هذا وضرباه من عندك لا يؤذينا فاذا خرجنا فانت وهم اعلم فانزل الله ولا تطع
 الآية وقد ثبت فى صحيح مسلم فى سبب نزول الآية المتضمنة ليعنى هذه الآية وهى قوله ولا
 تطرد الذين الآية عن سعد بن أبى وقاص قال كأمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ستة
 نفر فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وآله وسلم اطرد هؤلاء لا يجتروا علينا قال وكنت
 أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان نسيت اسمهما فوقع فى نفس رسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم ما شاء الله ان يقع فحدث نفسه فانزل الله ولا تطرد الذين الآية ثم
 بين سبحانه لنيه صلى الله عليه وآله وسلم ما يقوله لا وثق الغافلين فقال (وقل الحق من
 ربكم) أى قل لهم ان ما أوصى الى وأمرت بتلاوته هو الحق الكائن من جهة الله لا من جهة
 غيره حتى يمكن فيه التبديل والتغيير وقيل المراد بالحق الصبر مع الفقراء قال الزجاج أى
 الذى أتيتكم به هو الحق من ربكم يعنى لم أتكم به من قبيل نقسى انما أتيتكم به من الله
 وعن قتادة قال الحق هو القرآن (فن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) قيل هو من تمام
 القول الذى أمر رسوله ان يقوله والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها ويجوز ان يكون من
 كلام الله سبحانه لا من القول الذى أمر به رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وفيه تهديد شديد
 وتخويف ووردع لا تخيير وواجبة ويكون المعنى قل لهم يا محمد ادا الحق من ربكم وبعد ان
 تقول لهم هذا القول من شاء ان يؤمن بالله ويصدق فليؤمن ومن شاء ان يكفر به
 ويكذب فليكفر وقال ابن عباس يقول من شاء الله له الايمان آمن ومن شاء له الكفر كفر
 وهو قوله وما نشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين ثم كذا الوعيد وشده فقال (انا اعتمدنا)
 أى أعددنا وهى انا (للفالمين) الذين اختاروا الكفر بالله والخذله والانكار لانيائه

وما ظلمناهم اى فيما ضيقنا عليهم
 ولكن كانوا انفسهم يظلمون اى
 فاستحقوا ذلك كقوله فيظلم من
 الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات

(نارا) عظيمة (أحاط بهم) أى اشتغل عليهم (سرادقها) واحد السرادقات قال
الجوهري وهى التى تدفوق صحن الدار وكل بيت من كرسف أى قطن فهو سرادق وقيل
للمعاط المشتغل على شئ سرادق قاله الهروي وقال الراغب السرادق فارسى معرب وليس
فى كلامهم اسم مفرد ثالث حرفه ألف بعدها حرفان الأهذى يقال بيت مسردق وقال ابن
الاعرابى سرادقها سورها وقال القتيبي السرادق الحجر التى تكون حول القسطاط
والمعنى انه أحاط بالكفار سرادق النار على تشبيه ما يحيط بهم من النار بالسرادق المحيط
بين فيه وعن ابن عباس قال حاطط من نار وأخرج أحمد والترمذى والحاكم وصححه
وغيرهم عن أبى سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال سرادق النار أربعة
جدر كثافة كل جدار منها مسيرة أربعين سنة وأخرج أحمد والبخارى والحاكم وصححه
عن يعلى بن أمية قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن البحر هو من جهنم ثم تلا
ناراً أحاط بهم سرادقها (وان يسبحنوا) من حر النار أى يطلبوا الانتقاذ من شدة
العطش (يغاثوا) فيه مشاكلة إذا غاثت لهم بالماء الآتى ذكره بل اتيانهم به والجاؤهم
بشربه غاية الأضرار والالغاثه هى الانتقاذ من الشدة فكأنه قال يضروا وبعثوا (بماء
كلهل) وهو الحديد المذاب قال الزجاج انهم يغاثون بماء كل رصاص المذاب أو الصفر
وقيل هو دردى الزيت أى ما بقى فى أسفل الاناء ووجه المشابهة الثخن والرداءة فى كل وقال
أبو عبيدة والخنفس العكر وهو كل ما أذيب من جواهر الأرض من حديد وورصاص
ونحاس وقيل هو ضرب من القطران أخرج أحمد والترمذى وأبو يعلى وابن جرير وابن
حبان والبيهقى فى المبعث عن أبى سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال
كعكر الزيت فإذا قرب اليه سقطت فروة وجهه فيه عن ابن عباس قال أسود كعكر
الزيت وعنه قال ماء غليظ كدردى الزيت وعن ابن مسعود أنه سئل عن المهل فدعا
بذهب أو فضة فاذا به فلما ذاب قال هذا أشبه شئ بالمهل الذى هو شراب أهل النار ولونه لون
السماء غير أن شراب أهل النار أشد حرا من هذا وعن ابن عمر هل تدرون ما المهل المهل
مهل الزيت يعنى آخره ثم وصف هذا الماء الذى يغاثوا به (يشوى الوجوه) إذا
قدم عليهم صارت وجوههم مشوية لحرارته والشئ الانضاج بالنار من غير احراق (بئس
الشراب) شرابهم هذا الذى يغاثون به (وساءت) النار (مرتقفا) متكا يقال
ارتفعت أى اتسكت وأصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد ويقال ارتفق الرجل إذا
نام على مرفقه وقال القتيبي هو المجلس والمترل وقيل المجتمع وبه قال مجاهد وائجاب
كذلك لما شاكه قوله وحسن مرتقفا والافاى ارتفاق لاهل النار أى متكا (ان
الذين آمنوا) هذا شروع فى وعد المؤمنين بعد الفراغ من وعيد الكافرين والمعنى ان
الذين آمنوا بالحق الذى أوحى اليك (وعملوا الصالحات) من الاعمال (اننا لنضيق
أجر من أحسن) منهم (علا) وفيها إقامة الظاهر مقام المضمر والمعنى أجرهم أى
تشبيهم بما تضمنه قوله (أو لئلا لهم جنات عدن) أى إقامة مستأنفة لبيان الاجر
والإشارة الى من تقدم ذكره وقيل أولئك خبر ان الذين آمنوا وجاهلنا لنضيق اعتراض

أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله
كثيرا ثم أخبر تعالى تكرا ما امتنانا
فى حق العصاة المؤمنين ان من
تاب منهم اليه تاب عليه فقال ثم

وقيل غير ذلك (تجري من تحتهم الانهار) لان أفضل المساكن ما كان يجرى فيه الماء
وقد تقدم الكلام في كيفية جري الانهار من تحتها (يحلون فيها من أساور من ذهب)
قال الزجاج أساور جمع أسورة وهي جمع سوار وهي زينة تلبس في الزند من اليد وهي من
زينة الملوك وظاهر الآية انها جميعها من ذهب وجاء في آية أخرى من فضة وفي أخرى من
ذهب ولؤلؤ فيلبسون الاساور الثلاثة فيكون في اليد الواحد منهم سوار من ذهب وآخر من
فضة وآخر من لؤلؤ فعلم من هذا ان كلامنا هذه الآية ومن آية هل أتى على الانسان ومن آية
الحج ومن آية فاطر فيه الاخبار ببعض ما يحلون به ومن في من أساور للابداء وقيل زائدة
بدليل سقطها في سورة هل أتى وحلوا أساور من فضة ومن في من ذهب للبيان وحكي
الفراء يحلون بفتح الياء وسكون الحاء وفتح اللام يقال حليت المرأة تحل في فهي حالبة اذا
لبست الحلى أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وآله
وسلم قال تبلغ الحليمة من المؤمن حيث يبلغ الوضوء (ويلبسون ثيابا خضرا من سندس
واستبرق) عطف على يحلون وبني الفعل في التحلية للمفعول ايذا نابكر امتهم وان غيرهم
يفعل بهم ذلك ويزينهم به بخلاف اللبس فان الانسان يتعاطاه بنفسه وقدم التحلى على
اللباس لانه انتهى للنفس وخص الاخضر لانه الموافق للبصر ولكونه أحسن الالوان
قال الكسائي السندس الرقيق واحده سندسة والاستبرق ما تخن واحده استبرقة وكذا
قال المفسرون وقيل ليسا جمعين وقيل الاستبرق هو الديباخ وقيل هو المنسوج بالذهب قال
القتبي وهو فارسي معرب قال الخوهري وتصغيره أبيرق قال السمين وهى استبرق عربى
الاصل مشتق من البريق أو معرب أصله استبرم خلاف بين اللغو بين قال مرثدين عبيد
الله في الجنة شجرة تنبت السندس منه تكون ثياب أهل الجنة وعن عكرمة قال الاستبرق
الديباخ الغليظ وعن مجاهد مثله وفي آية الرحمن بطائنها من استبرق أى الفرش فيقاس
عليها اللباس الذى الكلام فيه فظاهرة الكل من سندس وبتايتها من استبرق قال المحلى
في سورة هل أتى فالاستبرق بظانها ثيابهم والسندس ظهارتها (متكئين فيها على
الارائك) أصل اراك أو تكا أو أصل متكئين متكئين والارائك التحامل على الشئ
أى يجلسون. تر بعين ومضطبعين أخرج ابن أبى حاتم عن الهيثم بن مالك الطائى قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الرجل ليتسكى مقدار أربعين سنة لا يتحول منه
ولا يعله يأتية ما اشتهت نفسه ولذت عينه قال الزجاج الارائك جمع أريكة وهى السرير فى
الرجال وقيل هى اسرة من ذهب مكاله بالدرو والباقوت وعن ابن عباس قال الارائك السرير
في جوف الخيال عليها الفرش منضود في السماء فرسخ وعنه قال لا يكون أريكة حتى يكون
السرير فى الخجلة وعن عكرمة الارائك هى الخجال على السرير وفى القاموس الار يكة
كسفينه سرير فى الخجلة أو كل ما يتسكا عليه من سرير ومنصة وفرش أو سرير متخذ من
في قبة أو بيت فان لم يكن فيه سرير فهو خجلة والجمع أرائك (نعم الثواب) ذلك الذى أتاهم
الله به وهو الجنة (وحسنت) تلك الارائك فى الجنات (مرتنقا) أى متكوا ومقرا
ومجلسا ومنتفعا ومسكوا ومنزلا وقد تقدم قريبا وقد اشتمل هذا القول على خمسة أنواع من

ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة
قال بعض السلف كل من عصى الله
فهو جاهل ثم نابوا من بعد ذلك
وأصلحو أى أقلعوا عما كانوا فيه

الثواب الاول لهم جنات عدن الثاني تجرى من تحتهم الخ الثالث يحلون فيها الرابع
 ويلبسون الخامس متكئين (واضرب لهم مثلاً رجلين) هذا المثل ضربه الله سبحانه
 لمن يتغرب بالدنيا ويستنكف عن محاسبة الفقراء فهو على هذا متصل بقوله واصبر نفسك
 وقد اختلف في الرجلين هل هما مقدران أو محققان فقال بالاول بعض المفسرين وقال
 بالآخر بعض آخر واختلفوا في تعيينهما فقيل هما اخوان من بني اسرائيل أحدهما مؤمن
 والآخر يهودا في قول ابن عباس وقيل تاجنا والآخر كافر واسمه قيطوس وهما اللذان
 وصفهما الله في سورة الصافات بقوله قال قاتل منهم اني كان لي قرين وقيل هما اخوان
 مخزوميان من أهل مكة أحدهما مؤمن وهو أبو سلمة عبد الله بن عبد الاسد بن عبد البليل
 والآخر كافر وهو الاسود بن عبد الاسد وقيل هذا مثل لعينة بن حصن وأصحابه مع
 سلمان وأصحابه واتصبا بمثلاً ورجلين على انهما مفعولوا اضرب قيسل والاول هو الثاني
 والثاني هو الاول (جعلنا لهما) هو الكافر (جنتين) قال السدي الجنة البستان
 فكان له بستان واحد ودار واحد وكان بينهما ما نهر فلذلك كانا جنتين ولذلك سماه جنة
 من قبل الجدار الذي عليها وعن يحيى بن أبي عمرو والشيباني قال نهر أبي فرطس نهر الجنتين
 قال ابن أبي حاتم وهو نهر مشهور بالرملة (من أعناب) بيان لما في الجنة أي من كروم
 متنوعة جمع عنب والعنب الحمية (وحققناهما بنخل) الخف الاطاطة ومنه حافين من
 حول العرش ويقال حف القوم يعني لان يحفون حفاً أي أطافوا به بمعنى الآية وجعل
 النخل مطبقاً بالجننتين من جميع جوانبهما وهذا مما يورثه الدهاقين في كرومهم ان يجعلوها
 موزرة بالاشجار المثمرة (وجعلنا بينهما) أي بين الجننتين وهو وسطهما (زرعاً) يقعات به
 ليكون كل واحد منهما ما جامعاً للقوات والقواكه متواصل العمارة على الشكل الحسن
 والتركيب الايق ثم أخبر الله سبحانه عن الجننتين بان كل واحدة منهما كانت تؤدى حملها
 وما فيها فقال (كلتا الجننتين آتت أكلها) أخبر عن كتابآتت لان لفظه مفرد يدل على
 التثنية فراعى جانب اللفظ وقد ذهب البصريون الى ان كلا وكتابآتت مفرد غير مثني وقال
 الفراء هو مثني وهو مأخوذ من كل تخففت اللام وزيدت الالف للتثنية وروعت التثنية
 المعنوية في قوله الآتى وفجرنا خلالها ما نهر أو كلها بضم الكاف وسكونها سبعينان
 (ولم تظلم منه شيئاً) أي لم تنقص من أكلها شيئاً في بعض السنين بل في كل سنة يأتي ثمرها
 وفيما يتقال ظلمه حقه أي أنقصه ووصف الجننتين بهذه الصفة للاشعار بانهما على خلاف
 ما يعتاد في سائر البساتين فانها في الغالب تسكت في عام وتقل في عام قال ابن عباس لم ينقص
 كل شجر الجنة أظعمة (وفجرنا) أي أجرينا وشققنا (خلالهما) أي وسط الجننتين (نهر)
 يجري بينهما يسقيهما ما دام من غير انقطاع (وكان له) أي لهما أو لصاحب الجننتين
 (ثمر) يفتح الناء والميم وكذلك أقرؤا في قوله أحيط بثمره وقرئ ثمر بضم الناء واسكان الميم
 في الموضوعين وبه قرأ ابن عباس وقال هي أنواع المال قال الجوهرى الثمرة واحدة الثمر
 وجمع الثمر مثل جبل وجبال قال الفراء وجمع الثمر مثل كلب وكتب وجمع الثمر
 أعمار مثل عنق وأعناق انتهى والثمر مؤنث والجمع ثمرات مثل قصبه وقصبات والثمر هو

من المعاصي وأقبحها على فعل
 الطاعات ان ربك من بعدها أي
 تلك القسمة والزلة لغفور رحيم
 (ان ابراهيم كان أممة قاتله

الجمل الذي يخرج من الشجرة سواء كل أولافيقال ثمر الاراك وثمر العوسج وثمر الدوم وهو
 المقل كما يقال ثمر النخل وثمر العنب قال الازهرى ثمر الشجر اطلع ثمره أول ما يخرج فهو
 مثمر ومن هنا قيل لما لانفع فيه ليس له ثمرة وقيل الثمر جميع المال من الذهب والفضة
 والحياوان وغير ذلك سمي ثمر الاله يثمر وينبأ ما خوذ من ثمره بالثسديد اذا كثره وقيل
 الثمر هو الذهب والفضة خاصة قاله مجاهد (فقال) الكافر (صاحبه) المؤمن (وهو
 يحاوره) أى والكافر يحاور المؤمن والمعنى يراجعه الكلام ويجاوبه والمحاورة المراجعة
 والتجاور التجاوب وحاصل ما قاله من القول الشنيع ثلاث مقالات الاولى (أنا أكثر
 منك مالا وأعز نفرا) النفر الرهط وهو مادون العشرة وأراد ههنا الاتباع والخدم والاولاد
 والعشيرة (ودخل جنسه) أى دخل الكافر جنسه نفسه قال المفسرون أخذ بيد أخيه المسلم
 فادخله جنسه يطوف به فيها ويريه آثارها ويحائبها ويهجم حجتها وحسنها وأعمالها ويقاخر
 بما ملك من المال دونها وأفراد الجنة هنا يحتمل ان وجهه كونه لم يدخل أخاه الا واحدة منهما
 أو لكونه مالماتصلا كما تكرر واحدة أو لانه أدخله في واحدة ثم واحدة أو لعدم تعلق
 الغرض بذلك كرهما أو اكتفاء بالواحدة وقال المحلى لم يقبل جنسيه ارادة للروضة وعبارة
 الشهاب أفرد الجنة مع ان له جنسين لنكتة وهي ان الاضافة تأتي لما تأتي له اللام فالمراد
 به العموم والاستغراق أى كل ما هو جنسه له ينتفع بها فيفيد ما أفادته التثنية مع زيادة
 وهي الاشارة الى أنه لا جنمة له غير هذه انتهى وما بعد ما قاله صاحب الكشاف أنه وحده
 الجنة للدلالة على انه لا نصيب له في الجنة التى وعد المؤمنون (وهو) أى ذلك الكافر
 (ظالم لنفسه) بكفره وعجبه قال قتادة كنفور لعمرة به مستأنف بنى لسبب الظلم (قال)
 أى الكافر لفرط غفلته وطول أملة (ما أظن ان تبدي) أى تفتنى وتغتم (هذه) الجنة التى
 تشاهدها (أبدا) وهذه هى الثانية من مقالاته والمثالثة قوله (وما أظن الساعة قائمة)
 أنكرا البعث بعد انكاره لنفسه جنسه قال الزجاج أخبر أخاه بكفره بفناء الدنيا وقيام
 الساعة (ولئن رددت الى ربى) اللام هى الموطئة للقسم والمعنى انه والله ان رددت الى ربه
 فرضا وتقديرا كما زعم صاحبه واللام فى (لا جدن) جواب القسم والشرط أى لا جدن
 يومئذ (خير منها) على الافراد على ما فى مصاحف أهل البصرة والكوفة أى من هذه
 الجنة وفى مصاحف مكة والمدينة والشام منها (منقلبا) هو المرجع والعاقبة لانها فانية
 وقلل باقية قال هذا قياسا للغائب على الحاضر وانه كما كان غنيا فى الدنيا سيكون غنيا فى
 الآخرة اغترار منه بما صار فيه من الغنى الذى هو الاستدراج له من الله (قال له) أى
 للكافر (صاحبه) المؤمن وقد تعقبه فى الثلاثة على سبيل اللف والشر المشوش (وهو
 يحاوره) أى حال محاورته له منكرا عليه ما قاله (أ كفرت) بقولك ما أظن الساعة قائمة
 استفهام توبيخ وتقرير أى لا ينبغي ولا يليق منك الكفر (بالذى خلقتك) أى جعل أصل
 خلقتك (من تراب) حيث خلق أبالك آدم منه وهو أصلك وأصل مادة البشر فلعل فرد
 حظ من ذلك وقيل يحتمل انه كان كافرا بالله فانكر عليه ما هو عليه من الكفر ولم يقصد أن
 الكفر حدث له بسبب هذه المقالة (ثم من نطفة) وهى المادة القرية (ثم والرجلا)

حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا
 لا نعمه اجتيابه وهداه الى صراط
 مستقيم وآتينا فى الدنيا حسنة
 وانه فى الآخرة لمن الصالحين ثم

أى صبرك وجعلنا انسانا ذكرا بالغ الرجال وعدل أعضائك وكملك وهو ظاهر كلام
الحوى وقيل انه حال ومن الجائر أن يسويه غير رجل وهو كقولهم خلق الله الزرافة يديها
أطول من رجلها والاول أولى وانما جعل ككفره بالبعث ككفره بالله لان منشأه الشك
فى كمال قدرة الله فلذلك رتب الانكار على خلقه اياه من التراب وفى هذا تلويح بالدليل
على البعث وان القادر على الابتداء قادر على الاعادة (لكنا) أصله لكن أنا وضيم (هو)
للشأن والمعنى أنا أقول (الله ربى) قال أهل العربية اثبات ألف أنا فى الوصل ضعيف
وعن الكسائى الأصل لكن الله هوربى أنا وقال الزجاج اثبات الالف فى لكنا فى الادراج
جيد لانها قد حذفت الالف من أنا فجاءوا بها عوضا قال وفى قراءة أبي لكن أنا هو الله ربى
ولا خلاف فى اثباتها فى الوقف وتكلم فى الجمل على هذا الالف باطول من هذا ثم نفي عن
نفسه الشرك بالله تعالى فقال (ولا أشرك بربى أحدا) فيه إشارة الى ان أحاه كان مشركا
ثم أقبل عليه يلومه على الثانية فقال (ولولا اذ دخلت جنتك قلت) لولا للتخصيص أى هلا
قلت عندما دخلتها (ما شاء الله) قال الفراء والزجاج هلا قلت حين دخلتها الامر بمشيئة الله
وما شاء الله كان وقيل كائن أى أى شئ شاء الله كان فترد أمر جنتك من الحسن والنضارة
نخالقه ولا تفقر به لانه ليس من صنعك وقوله (لاقوة الا بالله) من جملة مقول القول أى
هلا قلت هاتين الجملتين تخصم مضاها على الاعتراف بانها وما فيها بمشيئة الله تعالى ان شاء
أبقاها وان شاء أمناها وعلى الاعتراف بالعجز وان ما تبسر له من عمارتها وحسنها ونضارتها
انما هو بمعونة الله لا بقوته وقدرته وهذا نصح من المؤمن للكافر وتو بيجله على قوله
ما أظن ان تبده هذه أبدا قال الزجاج لا يقوى احد على ما فى يده من ملاء ونعمة الا بالله
ولا يكون الا ماشاء الله أخرج ابن أبى حاتم عن أسماء بنت عميس قالت علمنى رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم كلمات أقولهن عند الكرب الله الله ربى لأشرك به شيئا وأخرج أبو يعلى
وابن مردويه والبيهقى فى الشعب عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ما أنعم الله على عبده نعمة فى أهل أو مال أو ولد فيقول ماشاء الله لاقوة الا بالله الا دفع الله
عنه كل آفة حتى تأتية منيته وقرأ هذه الآية وفى اسناده عيسى بن عون وروى عن أنس
نحوه موقوفا وأخرج أحمد من حديث أبى هريرة قال قال لى رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم ألا أدلك على كثر من كنوز الجنة تحت العرش قلت نعم قال أن تقول لا حول
ولا قوة الا بالله وقد ثبت فى الصحيح من حديث أبى موسى أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم
قال له ألا أدلك على كثر من كنوز الجنة لا حول ولا قوة الا بالله وقد وردت أحاديث وآثار
عن السلف فى فضل هذه الكلمة ثم لعلمه الايمان وتفويض الامور الى الله سبحانه أجاه
عن افتخاره بالمال والتفرغ فقال (ان ترن) الرؤية علمية أو بصرية (أنا أقل منك مالا
وولدا) أى لاجل ذلك تكبرت وتعظمت على ويجوز فى أنا وجهان أحدهما أن يكون
مؤ كد الباء المتكلم والثانى انه ضمير الفصل بين المفعولين وأقل مفعول ثان أو حال
بحسب الوجهين فى الرؤية الا انك اذا جعلتها بصرية تعين فى أنا أن يكون تو كيدا
لا فضلا لان شرطه ان يقع بين مبتدأ وخبر أو ما أصله المبتدأ والخبر وقرأ عيسى بن عمر أقل

أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم
حنيفا وما كان من المشركين
يمدح تعالى عبده ورسوله وخليته
ابراهيم امام الحنفاء ووالد الانبياء

بالرفع ويتعين ان انما مبتدأ وأقل خبره والجملة امانى ووضع المفعول الثانى واما فى موضع
 الحال على ما تقدم فى الرؤية وما لا اولاد تميزان وجواب الشرط قوله (فعسى ربي أن يؤتيني)
 أى ان ترى أفقر منك فاننا أرجو أن يرزقنى الله سبحانه جنة (خير من جنتك) فى الدنيا
 أو فى الآخرة أو فىهما وفى الاول يكون الكافر أشد غيظا وحسرة وهذا رجاء من المؤمن
 وقرع على مقالة الكافر الاولى (ويرسل عليها) أى على جنتك (حسبانا) هو مصدر بمعنى
 الحساب كالغفران أى مقدره الله عليهم او وقع فى حسابيه سبحانه وهو الحكم
 بتخريبها قال الزجاج الحسبان من الحساب أى يرسل عليها عذاب الحساب وهو حساب
 ما كسبت يدك وهو حسن وقال الاخفش حسبانا أى مراعى وقيل نارا (من السماء)
 واحدها حسبانة وكذا قال أبو عبيدة والقتيبي والكرخى وقال ابن الاعرابى الحسبانة
 السحابة والوسادة والصاعقة وقال قتادة حسبانا عذابا وقال النضر بن شميل الحسبان
 مهم يرمى بها الرجل فى جوف قصبه تنزع فى قوس ثم يرمى بعشرين منها دفعة والمعنى
 يرسل عليها مراعى من عذابه ما برد وما حجارة أو غيرها مما يشاء من أنواع العذاب
 (فتصبح صعيدا زلقا) مثل الجر زلقه ابن عباس أى فتصبح جنة الكافر بعد ارسال الله
 سبحانه عليها حسبانا أرضا جردا ملساء لانبات فيها ولا يثبت عليها قدم وقال قتادة أى
 قد حصدم فيها فلم يترك فيها شئ وفى اللغة من جله معنى الصعيد وجه الارض وزلقا أى
 تزل فيه الاقدام لملاسمها يقال مكان زلق بالتحريك أى دحض وقيل رملاها تلالا وهو فى
 الاصل مصدرا قولك زلقت رجلك زلقا وزلقها غيره والمزلقة الموضع الذى لا تثبت
 عليه قدم وكذا الزلاقة وصف الصعيد بالمصدر مبالغة أو أريد به المفعول وصيرورتها كذلك
 لاستئصال نباتها وأشجارها بالذهاب والاهلاك فلم يبق له أثر (أو يصبح ماؤها غورا) أى
 ذاهبا فى الارض لاتناله الايدي ولا الدلاء ولا سبيل اليه والغور الغائر وصف الماء بالمصدر
 مبالغة والمعنى انها تصير عادمة للماء بعد أن كانت واجدة له وكان خلالها ذلك النهر يسقيها
 دائما ويحى الغور بمعنى الغروب والعطف على يرسل دون تصبح لان غور الماء لا يتسبب
 عن الصواعق والمراعى قال أبو حيان الا ان عنى بالحسبان القضاء الالهى فحينئذ يتسبب
 عنه اصباح الجنة صعيدا زلقا أو اصباح ماؤها غورا (فلن تستطيع لطلبها) أى لن
 تستطيع لطلب الماء الغائر فضلا عن وجوده وورده ولا تقدر عليه بجيلة من الخيل تذكره
 بها وقيل المعنى فلن تستطيع طلب غيره عوضا عنه ثم أخبر سبحانه عن وقوع ما رجاه ذلك
 المؤمن وتوقعه من اهلاك جنة الكافر فقال (وأحيط بثمره) أى أمواله كالتقيد والمواشى
 وهذا راجع لقوله وكان له ثمر وأصل الاحاطة من احاطة العدو بالشخص كما تقدم فى قوله
 الآن يحاط بكم وهى عبارة عن اهلاكه وافناؤه وهو معطوف على مقدر كأنه قيل فوقع
 ما توقعه المؤمن فهل سكت جنته بالصواعق وغور الماء وأحيط بثمره أى أحاط العذاب
 والهلاك بثمره (فاصبح) أى صار صاحبها الكافر (يقلب كفيه) أى يضرب احدى
 يديه على الاخرى ويصفق بكف على كف وهو كناية عن الندم والتحسر كأنه قيل
 فاصبح يتندم (على ما أنفق فيها) أى فى عمارتها واصلاحها من الاموال وقيل

ويبرئه من المشركين ومن اليهودية
 والنصرانية فقال ان ابراهيم كان
 كان أمة فأتاه الله حينئذ فأمم الأمة
 فهو الامام الذى يقعدى به والقانت

المعنى يقاب ملكه فلا يرى فيه عوض ما أنفق لان الملك قد يعبر عنه باليد من قولهم
 في يده مال وهو بعيد جدا قال قتادة ينفق على ما أنفق فيهما متلهما على ما فاته
 (وهي خاوية على عروشها) أي والحال ان تلك الجنة ساقطة على دعائها التي تعددها
 الكروم أو ساقط بهض تلك الجنة على بعض مأخوذ من خوت النجوم تخوى اذا سقطت
 ولم تطرف في نواها ومنه قوله تعالى فذلك يوم تهم خاوية بما ظلموا قيل وتخصيص ماله عروش
 بالذ كردون النخل والزرع لانه الاصل وأيضا ذكر اهلا كما يغن عن ذكر اهلاك الباقي
 والعرش شبه بيت من حجر يديجمل فوقه السمام والجمع عروش والعريش مثله وجهه عرش
 بضمتين كبريدو وبرد عريش الكرم ما يعامل مرتفعات سد عليها الكرم والجمع عرائش
 أيضا وقال الشهاب جمع عرش وهو ما يصنع ليوضع عليه الكرم فاذا سقط سقط ما عليه
 (ويقول باليتنى لم أشرك بربى أحدا) هذه الجملة معطوفة على جملة يقاب كفيه أحوال
 من ضميره أي وهو يقول يعني انه تذكرو عظة أخيه المؤمن فعلم انه أتى من جهة شركة
 وطفيلانه فتى عند مشاهدته لهلاك جنته بأنه لم يشرك بالله حتى تسلم جنته من الهلاك
 أو كان هذا القول منه على حقيقته لالمافاته من الغرض الديوى بل لقصدا توبة من
 الشرك والندم على ما فرط منه والاول هو الاقرب اذ يؤيده قوله (ولم تكن) بالتاء والياء
 سبعين (له) خبر كان (فئة) اسمها (ينصرونه من دون الله) صفة لثمة أي فئة ناصرة
 بدفع الهلاك عنها أو برد الهلاك منها أو برد مثله عليه وقيل هو الخبر وروح الاول سيويه
 والثاني المبرد واحتج بقوله ولم يكن له كدوا أحد والمعنى انهم لم تكن له فرقة وجماعة
 يلتجئ اليها وينصربها ولا تنفعه النفر الذين اقتضربهم فيما سبق (وما كان) في نفسه
 (منتصرا) أي متمسقا بقوته عن اهلاك الله لجنته وانتقامه منه وقادر على واحد من هذه
 الامور (هنالك) أي في ذلك المقام وقيل يوم القيامة (الولاية) بفتح الواو النصره وبكسرها
 الملك أي القهر والسلطنة (لله) وحده لا يقدر عليها غيره (الحق) بالجر صفة الجلالة
 وبالرفع صفة الولاية وكل منهما مارجع لفتح الواو وكسرها فالقرآت أربعة وكلها سبعية
 قال الزجاج ويجوز النصب على المصدر والتوكيد كما قول هذا ذلك حقا وقيل هو على
 التقديم والتأخير أي الولاية لله الحق هنالك (هو) سبحانه (خير ثوابا) أي اثابة لا اثمائه
 أي اعطاء الثواب في الدنيا والآخرة من غيره لو كان شيب (وخير عقبا) أي عاقبة قرئ
 عقبا بسكون القاف وضمها او هما سبعين بمعنى واحد أي هو خير عاقبة لمن رجاء وآمن به
 يقال هذا عاقبة أمر فلان وعقباه أي آخره ثم ضرب سبحانه مثلا آخر لخباره قريش فقال
 (واضرب) أي اذ كروقر (لهم) أي لقومك (مثل الحياة الدنيا) أي ما يشبه الحياة
 الدنيا في حسناتها ونصارتها وسرعة زوالها لا يركنوا اليها وقد تقدم هذا المثل في سورة يونس
 ثم بين سبحانه هذا المثل فقال (كآء) أي كصفة وحال وهيئة ما المشبه هيئة الدنيا هيئة
 ماء (أزلتناه من السماء فاختلط) أي تكاثف وغلظ (به) أي بسبب نزول الماء (نبات
 الأرض) حتى استوى والتف بعضه على بعض أو امتزج الماء بالنبات فروى وحسن
 وعلى هذا كان حق التركيب أن يقال فاختلط نبات الأرض لكن لما كان كل من

هو الخاشع المطيع والحنيف
 المخرف قصدا عن الشرك الى
 التوحيد والهنا قال ولم يكن
 المشركين قال سفبان الثوري عن

الختاطين موصوفاً بصفة صاحبه عكس للمبالغفة في كثرته (فاصح) اى صار التبات
 عن قريب (هشيماً) يابساً والهشيم الكسير واحده هشيمة وهو اليابس وهو من التبات
 ما تكسر بسبب انقطاع الماعنه وتفتت ورجل هشيم ضعيف البدن وهشيم عليه فلان
 اذا تعطف وهشيم ما فى ضرع الناقة اذا احتلبه وهشيم الثريد كسره وثرده قال ابن قتيبة
 كل ما كان رطبا فيس فهو هشيم (تذروه) تفرقه وتثره قال أبو عبيدة وابن قتيبة تذروه
 تنسقه (الرياح) قال ابن كيسان أى تذهب به وتجي والمعنى متقارب وقرئ تذريه يقال
 ذرت الرياح تذروه وأذرتة تذريه وحكى الزمراة أذريت الرجل عن فرسه أى قلبته (وكان
 الله على كل شئ) من الاشياء (مقتنرا) اى كامل القدرة يحويه ويفنيه بقدرته لا يعجز
 عن شئ (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) يتجمل بهم ما فيها او هذارى على الرؤساء الذين
 كانوا يفتخرون بالمال والغنى والابناء فاخبرهم الله سبحانه ان ذلك ما يزين به فى الدنيا
 لا مما ينفع به فى الآخرة كما قال فى الآية الاخرى انما أموالكم وأولادكم تنسنة وقال ان
 من أنزواكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال لا ينفع مال ولا بنون الاية وهذا اشارة
 الى قياس حذف كبراه وتيجته ونظمه هكذا المال والبنون زينة الحياة الدنيا وكل ما هو
 زينتها فهو هالك غير باق ينتج المال والبنون هالكان ثم يقال وكل ما هو هالك فلا يفخر به
 فالمال والبنون لا يفخر بهم ما ولهذا عقب هذه الزينة الدنيا بيه يقوله (والباقيات
 الصالحات) أى اعمال الخيرات التى تبقى له ثم تأبداً ابدهى ما كان يفعله فقراء
 المساكين من الطاعات (خير) اى أفضل من هذه الزينة بالمال والبنين (عند ربك ثوابا)
 وأكثراً ثمة ومنفعة لاهلها (وخيراً ملاً) يعنى ان الاعمال الصالحة لاهلها من الامل
 أفضل مما يؤمله أهل المال والبنين لانهم ينالون بها فى الآخرة أفضل مما كان يؤمله هؤلاء
 الاغنياء فى الدنيا وليس فى زينة الدنيا خير حتى تنفض عليها الآخرة ولكن هذا التفضيل
 خرج مخرج قوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً والظاهر ان الباقيات الصالحات
 كل عمل خير فلا وجه لقصرها على الصلاة كما قال بعض ولا قصرها على نوع من أنواع
 الذكركا قال بعض آخر ولا على ما كان يفعله فقراء المهاجرين باعتبار السبب لان العبرة
 بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وبهذا يعرف ان تفسير الباقيات الصالحات فى
 الاحاديث بما سياتى لا ينافى اطلاق هذا اللفظ على ما هو عمل صالح من غيرها عن على قال
 المال والبنون حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الآخرة وقد جمعها الله لا قوام عن ابن
 عباس قال الباقيات الصالحات سبحانه الله والمجد لله ولاله الا الله والله أكبر وأخرج
 سعيد بن منصور وأحمد وأبو يعلى وابن جرير وابن أبى حاتم وابن حبان والحاكم وصححه وابن
 مردويه عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال استكثروا من
 الباقيات الصالحات قبل وما هن بارسول الله قال التكبير والتليل والتسبيح والتحميد
 ولا حول ولا قوة الا بالله وأخرج الطبرانى وغيره عن أبى الدرداء مر فوعا بلفظ سبحانه الله
 والمجد لله ولاله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله هن الباقيات الصالحات وأخرج
 النسائى والطبرانى فى الصغير والبيهقى وغيرهم عن أبى هريرة مر فوعا خذوا حنثكم قبل

سلمة بن كهيل عن مسلم البطين عن أبى
 العبيدين انه سأل عبد الله بن مسعود
 عن الامة التان فقال الامة معلم
 الخير والقانت المطيع لله ورسوله

يارسول الله من أي عدو قد حضر قال بل جنتكم من النار قول سبحان الله والحمد لله
 ولاله الا الله والله أكبر فانهم يأتين يوم القيامة قد سدمات معقبات ومجنبات وهي
 الباقيات الصالحات وعن عائشة مر فوعازادت ولا حول ولا قوة الا بالله أخرجه ابن
 أبي شيبة وابن المنذر وكل هذه الاحاديث مصرحة بانها الباقيات الصالحات وأما ما ورد
 في فضل هذه الكلمات من غير تقييد بكونها المراد في الآية فاحاديث كثيرة لا فائدة في
 ذكرها هنا وعن قتادة كل شيء من طاعة الله فهو من الباقيات الصالحات فيندرج فيها
 ما فسرت به من الصلوات الخمس وأعمال الحج والعمرة وصيام رمضان والكلام الطيب
 وغير ذلك اندراجاً وليا (ويوم نسير الجبال) بالنون على ان فاعله هو الله سبحانه وقرئ
 بالتحية وبالوقوفية على ان الجبال فاعل ويناسب الاولى قوله تعالى واذا الجبال سيرت
 ويناسب الثانية قوله تعالى وتسير الجبال سيرا ومعنى تسيير الجبال ازالتهن من أماكنها
 وتسييرها كما تسيير السحاب ومنه قوله تعالى زهي تترهم السحاب ثم تود الى الارض بعد ان
 جعلها الله كما قال وبست الجبال بافـ كانت هيا منبنا والمعنى تذهب بها عن وجه
 الارض وتجعلها هباء منثورا كما يسيير السحاب والخطاب في قوله (وترى الارض بارزة)
 لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو لكل من يصلح للرؤية والرؤية بصرية ومعنى بروزها
 ظهورها وزوال ما يستترها من الجبال والشجر والبنيان وقيل المراد ببروزها بروز ما فيها
 من الكنوز والاموات كما قال سبحانه وألقت ما فيها وتخلت وقال وأخرجت الارض
 أنقالها فيكون المعنى وترى الارض بارزا ما في جوفها قال قتادة ليس عليها بناء ولا شجر
 ولا بحر ولا حيوان وعن مجاهد نحوه (وحشرناهم) أي الخلائق ومعنى الحشر الجمع أي
 جمعناهم الى الموقف من كل مكان وفيه ثلاثة أوجه أحدها انه ماض مراد به المستقبل
 أي ونحشرهم وكذلك وعرضوا ووضع الكتاب الاتيان والثاني ان الواو للعال اي تنعمل
 التسيير في حال حشرهم ليساهدوا تلك الاحوال والثالث للدلالة على ان حشرهم قبل
 التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الاحوال قاله الزمخشري قال الشيخ والاولى أن تكون
 الواو للعال (فلم تغادر) فلم تترك (منهم أحدا) والمفاعلة هنا ليس فيها مشاركة يقال غادره
 وأغدره اذا تركه ومنه الغدر لان الغادر يترك الوفاء للمغدر قالوا وانما سمى الغدير غديرا
 لان الماء ذهب وتركه والسيل غادره ومنه غدا اثر المرأة لانها تجعلها خلفها والغديرية الشعر
 الذي نزل حتى طال (وعرضوا على ربك صفوا) أي مصفوفين كل أمة وزمرة صف وقيل
 عرضوا صفوا واحدا كما في قوله ثم اتوا صفوا أي جميعا وهو أبلغ في القدرة وقيل قياما
 وفي الآية تشبيه حالهم بحال الجيش الذي يعرض على السلطان ليقتضى بينهم لا يعرفهم
 قاله الكرخي وخرج الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن منده في كتاب التوحيد عن معاذ بن
 جبل ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الله تبارك وتعالى ينادي بصوت رفيع غير
 فظيع يا عبادي أنا الله لا اله الا أنا أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين وأسرع الحاسمين
 يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون أحضر واجتكمكم ويسر واجوابكم فانكم
 مسؤولون محاسبون يا ملائكتي أقيموا عبادي على أطراف أنامل أقدامهم للحساب قال

وعن مالك قال قال ابن عمر الامة
 الذي يعلم الناس دينهم وقال
 الاعمش عن يحيى بن الجزار عن أبي
 العبيد بن ابي عمير انه جاء الى عبد الله فقال

القرطبي هذا حديث غاية في البيان في تفسير الآية ولم يذكره كثير من المفسرين وقد كتبناه
 في كتاب التذكرة انتهى ويقال لهم على سبيل التقريب والتوبيخ أوقلنا لهم (لقد جئتمونا
 كما خلقناكم) أي مجيئنا كما كنا كجئناكم عند أن خلقناكم (أول مرة) أو كائنين كما
 خلقناكم أول مرة أي حفاة عراة غرلا لا مال ولا ولد كما ورد ذلك في الحديث قال الزجاج أي
 بعثناكم وأعدناكم كما خلقناكم لأن قوله لقد جئتمونا معناه بعثناكم وبه قال الزمخشري
 (بل رسمتم) هذا الضراب وانتقال من كلام إلى كلام للتقريب والتوبيخ وهو خطاب
 لمنكري البعث أي زعمتم في الدنيا (أن إن نجعل لكم موعدا) نجازيكم بأعمالكم وننجز
 ما وعدناكم به من البعث والنداب (ووضع) العامة على بناءه للمعول وزيد بن علي على
 بناءه للناعل وهو الله أو الملك وقوله (الكتاب) مرفوع على الأول ومنصوب على الثاني
 والمراد به صحائف الأعمال وافراده لكون التعريف فيه للجنس والوضع اما حسي بان
 توضع صحيفة كل واحد في يده السعيد في يمينه والشقي في شماله أو في الميزان واما عقلي أي
 أظهر عمل كل واحد من خير أو شر بالحساب الكائن في ذلك اليوم وقيل توضع بين يدي الله
 تعالى (فترى المجرمين مشفقين مما فيه) أي خائفين وجلين مما في الكتاب الموضوع من
 الأعمال السيئة لما تعقب ذلك من الاقتضاح في ذلك الجمع والجمازاة بانه عذاب الأليم
 (ويقولون) إذا رأوها (يا ويلتنا) يدعون على أنفسهم بالويل لوقوعهم في الهلاك وهو
 مصدر لا فعل له من لفظه ونداؤها على تشبهها بشخص يطالب اقباله كأنه قيل يا هلاكا
 أقبل فهذا وأنت ففيه اسم تعارة مكنية وتخييلية وفيه تقريع لهم وإشارة إلى أنه
 لا صاحب لهم غير الهلاك وطلبوا هلاكا بهم لتلاير واما هم فيه وقد تقدم تحقيقه في المائدة
 (ما أي أي شيء ثبت (لهذا الكتاب) حال كونه (لا يغادر) لا يترك معصية (صغيرة ولا)
 معصية (كبيرة الا احصاها) أي عدّها وحوها وضبطها أو أثبتها قال ابن عباس الصغيرة
 التيسر والكبيرة الضحك وفي لفظ عنه الصغيرة التيسر بالاستمزاها بالمؤمنين والكبيرة
 القهقهة بذلك وقال سعيد بن جبيرة الصغيرة الهمّ والمس والقبلة والكبيرة الزنا وأقول
 صغيرة وكبيرة تكررتان في سياق النفي فيدخل تحت ذلك كل ذنب يتصف بالصغر وكل ذنب
 يتصف بالكبر فلا يبقى شيء من الذنوب الا احصاه الله وما كان من الذنوب ملتبسا بين كونه
 صغيرا أو كبيرا فذلك انما هو بالنسبة إلى العباد لا بالنسبة إلى الله سبحانه وهذا لا ينافي قوله
 تعالى ان تجتنبوا كبار ما تنهون عنه الآية اذ لا يلزم من عدم التكبير ان يجوز أن
 تكتب الكبائر ليشاهدها العبد يوم القيامة ثم تكفر عنه فعلم قدر نعمة العفو عليه قاله
 الكرخي والاستهتام للتعجب منه في ذلك (ووجدوا ما عملوا) في الدنيا من المعاصي الموجبة
 للعقوبة أو وجدوا جزاء ما عملوا (حاضرا) مكتوبا مثبتا في كتابهم (ولا يظلم ربك أحدا)
 أي لا يعاقب أحدا من عباده بغير ذنب وجرم ولا ينقص فاعل الطاعة من اجره الذي
 يستحقه وانما سمى هذا الظلم بحسب عقوقنا لو خليت ونفسنا ولو فعله الله لم يكن ظلمنا في حقه
 لانه لا يستل عينا بفعل وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعرض
 الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجهدال ومعادير وأما العرضة الثالثة

من نسال اذا لم نسالك فكان
 ابن مسعود رقله فقال اخبرني
 عن الامّة فقال الذي يعلم
 الناس الخير وقال الشعبي حدثني

فغنى ذلك تطير الصحف في الايدي فاخذ بيمنه واخذ بشماله أخرجه الترمذى وقال لا يصح من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة وقد رواه بعضهم عن الحسن عن أبي موسى ثم انه سبحانه عاد الى الرد على أرباب الخيلاء من قريش فذكر قصة آدم واستكبار ابليس عليه فقال (واذ قلنا للملائكة) أى واذا كروفت قولنا لهم (اسجدوا لآدم) سجود تحية وتكريم بالخروج كما امر بتحقيقه (فسجدوا) طاعة لامر الله وامتثالاً لطلبه السجود (الابليس) فانه أبى واستكبر ولم يسجد (كان من الجن) مستأنفة لبيان سبب عصيانه وانه لم يكن من الملائكة فلهذا عصى والاستثناء منقطع وابليس هو أبو الجن وأصلهم كان آدم أصل الانس وله ذرية ذكرت معه بعد الملائكة لاذرية لهم وقيل كان من جن من الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم وعلى هذا القول فقد نقل عن ابن عباس ان هذا النوع يتوالد وليس معصوماً والاستثناء متصل وكونه من الملائكة لا يتنافى كونه من الجن بدليل قوله سبحانه وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وذلك ان قريشاً قالت ان الملائكة بنات الله فهذا يدل على ان الملك يسمى جناً وتعصده اللغة لان الجن من الاجتنان وهو السرفه فدخل الملائكة فيه فكل ملائكة جن لاستمرارهم وليس كل جن ملائكة ووجه كونه من الملائكة ان الله سبحانه استثناه من الملائكة والاستثناء يفيد اخراج ما لا يدخل أو يصح دخوله وذلك يوجب كونه من الملائكة ووجه من قال انه من الجن هذه الآية والجن جنس مخالف للملائكة واجيب عن الاستثناء بانه منقطع كما تقدم وهو مشهور في كلام العرب قال تعالى واذا قال ابراهيم لا يبيته وقومه انى براهما تعبدون الا الذى فطرني وقال تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما (ففسق عن امر ربه) أى خرج عن طاعته بترك السجود لآدم عليه السلام قال القراء تقول العرب فسقت الرطبة عن قشرها لخروجهامنه قال النحاس اختلف في معناه على قولين الاول مذهب الخليل وسيبويه ان المعنى اناه الفسق لم امر فعصى فكان سبب الفسق امر ربه كما تقول اطعمه من جوع والقول الاخر قول قطرب ان المعنى على حذف المضاف أى فسق عن ترك امره وعن ابن عباس قال ان من الملائكة قبيله يقال لهم الجن فكان ابليس منهم وكان يوسوس ما بين السماء والارض فعصى فسخط الله عليه فسخه شيطاناً رجماً وعنه قال كان خازن الجنان فسمى بالجان وعن الحسن قال قاتل الله أقواماً زعموا ان ابليس كان من الملائكة والله يقول كان من الجن وعنه قال ما كان من الملائكة طرفه عين انه لا أصل الجن كان آدم أصل الانس ثم انه سبحانه يجب من حال من اطاع ابليس في الكفر والمعاصي وخالف امر الله فقال (أفتتخذونه) كانه قال أعقبت ما وجدته من الآباء والفسق تتخذونه (و) تتخذون (ذريته) أى أولاده وقيل اتباعه مجازاً قال قتادة يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وقال مجاهد من ذرية ابليس لاقس وولهان وهما صاحب الطهارة والصلاة اللذان يوسوسان فيهما ومن ذريته مرة وبه يكنى وزلبور وبتر والاعور ومطروس وداسم (أوليا من دوني) فتطيعونهم بدل طاعتي وتستبدلونهم بي (و) الحال ان (هم) أى ابليس وذريته (لكم عدو) أى أعداء وأفرده لكونه اسم جنس أو لتشبيهه

فرقة بن نوفل الاثبني قال قال
ابن مسعود ان معاذاً كان أمة فاتنا
لله حنية فافقت في نفسي غلظت ابو
عبدالرحمن وقال انما قال الله ان

بالمصادر كما في قوله فانهم عدواً الى الارب العالمين وقوله هم العدو أى كيف تصنعون هذا
 الصنيع وتستبدلون بين خلقكم وأنعم عليكم بجميع ما أنتم فيه من النعم عن لم يكن لكم
 منه منفعة قط بل هو عدواً لكم يتربح حصول ما يضركم في كل وقت (بئس للظالمين)
 الواضعين للشيء في غير موضعه المستبدلين بطاعة ربهم طاعة الشيطان فبئس ذلك البديل
 الذى استبدلوه (بدلاً) عن الله سبحانه والتقدير بئس البديل ابليس وذريته (ما أشهدتهم
 خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم) قال أكثر المفسرين الضمير للشر كاه والمعنى
 انهم لو كانوا شر كاهاً لى في خلقهم ما وفى خلق أنفسهم لكانوا مشاهدين خلق ذلك مشاركين
 لى فيه ولكنهم لم يشاهدوا ذلك ولا أشهدتهم اياه أنافليسوا لى بشر كاه وهذا استدلال
 باتقاء اللازم المساوى على اتقاء الملزوم وقيل الضمير لزمشركين الذين التمسوا طرد فقراء
 المؤمنين والمراد أنهم ما كانوا شر كاهاً لى في تدبير العالم بديل انى ما أشهدتهم خلق ذلك وقيل
 المعنى ان هؤلاء الظالمين جاهلون بما جرى به القلم فى الازل لانهم لم يكونوا مشاهدين خلق
 العالم فكيف يمكنهم ان يحكموا بحسن حالهم عند الله وقيل ما شهدت الملائكة فكيف
 يعبدونهم وقيل جميع الخلائق والاول من هذه الوجوه وأولى ما يلزم فى الوجوهين
 الآخر من تشكيك الضميرين وهذه الجملة مستأنفة لبيان عدم استحقاتهم للاتخاذ
 المذكور وقرئ ما أشهدناهم ويؤيد الاولى (وما كنت متخذ المضلين عضداً) أى
 ما اعتضدت بهم بل هم كسائر الخلق وفيه وضع الظاهر موضع المضمرة اذا المراد بالمضلين من
 اتقى عنهم اشهاد خلق السموات والارض والعصديستعمل كثيراً فى معنى العون وذلك
 ان العضد قوام اليد ومنه قوله سنشد عضدك باخيك أى سنعينك وتقويك به ويقال
 عضدت بفلان اذا استعنت به وذكرا العضد على جهة المثل وأصله العضو الذى هو من
 المرفق الى الكتف فى الكلام استعارة وخص المضلين بالذكرة لزيادة الذم والتوبيخ والمعنى
 ما استعنت بهم على خلقهما ولا شاورتهم وما كنت متخذ الشياطين أو الكافرين أعواناً
 ووجدت العضد موافقة القواصل وقرئ ما كنت على أن الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله
 وسلم أى ما كنت يا محمد متخذهم عضداً ولاصح لذلك وفى عضدغات أفصحها ففتح العين
 وضم الصادو بها قرأ الجمهور ثم عاد سبحانه الى ترهيبهم باحوال القيامة فقال (واذ كر يوم
 يقول) الله عز وجل للكفار تو بئخالهم وتقرىعا (نادوا شر كاهى الذين زعمتم) انهم
 ينفعونكم ويشفعون لكم وأضافهم سبحانه الى نفسه بحرياعلى ما يعتقده المشركون تعالى
 الله عن ذلك علواً كبيراً (فدعوهم) أى فعلوا ما أمرهم الله به من دعاء الشركاه واستغاثوا
 بهم والمعنى على الاستقبال كما هو ظاهر (فلم يستجيبوا لهم) ذلك ولم ينصروهم أى لم يقع
 منهم مجرد الاستجابة لهم فضلاً عن ان ينفعوهم أو يدفعوهم (وجعلنا بينهم) أى
 بين هؤلاء المشركين وبين جعلوهم شركاه لله أو بين المؤمنين والكفار (موبقاً) ذكر
 جماعة من المفسرين انه اسم واد عميق فى جهنم ففرق الله تعالى بينهم وبه قال أنس
 وزاد من قيح ودم وقال ابن عمر فرق الله به يوم القيامة بين أهل الهدى وأهل الضلالة
 وقيل هو من ترسيل منه نار على حافتيه حيات مثل البغال الدهم وقيل الموبق البرزخ

ابراهيم كان امة فقال تدرى ما الامة
 وما القانت قلت الله أعلم فقال
 الامة الذى يعلم الخير والقانت
 المطيع لله ورسوله وكذلك كان

البعيد لانهم في قعر جهنم وهم في أعلى الجنان وعلى هذا فهو اسم مكان قال ابن الاعرابي
 كل حاجز بين الشيئين فهو موبق وقال الفراء الموبق المهلك وبه قال مجاهد وابن عباس
 والمعنى جعلنا نواصلهم في الدنيا مهلكا لهم في الآخرة يقال موبق وبوق فهو موبق هكذا ذكره
 الفراء في المصادر وحكى الكسائي وبوق يقوبق وبوقا فهو وابق والمراد بالمهالك على هذا هو
 عذاب النار اشتد كون فيه والاول اول لان من جملة من زعموا انهم شر كآلة الملائكة
 وعزيرو المسيح فالموبق هو المكان الخائل بينهم وقال أبو عبيدة الموبق «نا الموعد للهلاك»
 وقد ثبت في اللغة أوبقهم بمعنى أهلكتهم ولكن المناسب للمعنى الآتية هو المعنى الاول
 (ورأى الجرمون النار) أي عاينوها من مسيرة أربعين عاما وهو موضوع موضع الضمير
 للإشارة الى زيادة الذم لهم بهم هذا الوصف المسجل عليهم به (فظنوا) أي أيقنوا (انهم
 مواقعوها) أي داخلوها وواقعون فيها والمواقعة الخالطة بالوقوع فيها و قيل ان الكفار
 يرون النار من مكان بعيد فيظنون ذلك ظنا (ولم يجدوا عنها ممرا) أي معدلا يعدلون
 اليه أو انصرفوا لان النار قد أطاحت بهم من كل جانب قال الواحدي المصروف الموضع
 الذي ينصرف اليه وقال القتيبي أي معدلا ينصرفون اليه وقيل لجأ إلى الجأون اليه والمعنى
 متقارب في الجميع ولما ذكر سبحانه افتخار الكفرة على فقراء المسلمين بما هوهم وعشائرهم
 وأجابهم عن ذلك وضرب لهم الامثال الواضحة حكى بعض أهوال الآخرة فقال (واقعد
 صرفنا) أي كرنا ورددنا وبنينا (في هذا القرآن للناس) أي لاجلهم ولرعاية مصالحهم
 ومنفعتهم (من كل مثل) من الامثال التي من جملتها الامثال المذكورة في هذه السورة
 ليتدكروا ويتعظوا وقد تقدم تفسير هذه الآية في سورة بني اسرائيل وحين لم يتربك الكفار
 ما هم فيه من الجدل بالباطل ختم الآية بقوله (وكان الانسان أكثر شيا جدلا) أي
 خصومة في الباطل قال الزجاج المراد بالانسان الكافر واستدل عليه بقوله تعالى ويجادل
 الذين كفروا بالباطل وقيل المراد به في الآية النضر بن الحرث وقيل أراد أبي بن خلف
 والظاهر العموم وان هذا النوع أكثر شيا يتأق من الجدل جدلا ويؤيده هذا ما ثبت
 في الصحيحين وغيرهما من حديث علي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم طرده وفاقمة ليلا
 فقال ألا تصاب ان فقلت يا رسول الله ان أنفسنا بيد الله ان شاء أن يهتنا بعثنا فانصرف
 حين قلت ذلك ولم يرجع الى شيا ثم سمعته يضرب فخذه ويقول كان الانسان أكثر شيا
 جدلا (وامنع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى) قد تقدم الكلام على مثل هذا في سورة
 بني اسرائيل والناس هنا أهل مكة والهدى القرآن أو محمد صلى الله عليه وآله وسلم
 (ويستغفروا ربهم الا ان تأتيهم سنة الاولين) المعنى على حذف مضاف أي مامنع الناس
 من الايمان والاستغفار الا طلب أو اظارا تيمان سنة الاولين وانما احتجج الى حذف
 المضاف اذ لا يمكن جعل ايمان سنة الاولين مانعا عن ايمانهم فان المانع يتقارن الممنوع
 وايمان العذاب متأخر عن عدم ايمانهم بمدة كثيرة وزاد الاستغفار في هذه السورة لانه
 قد ذكرهما فطر منهم من الذنوب التي من جملتها جحد الهم بالباطل وسنة الاولين هو أنهم
 اذ لم يؤمنوا عذبوا عذاب الاستمصال قال قتادة عقوبة الاولين وقال الزجاج سنتهم هو

معاذ وقد روى من غير وجه عن ابن
 مسعود اخرجه ابن جرير وقال
 مجاهد أمة أي أمة وسعد والقانت
 المطيع وقال مجاهد أيضا كان

ابراهيم امة اى مؤمنوا وهدى
والناس كلهم اذ ذلك كفار وقال
تتادة كان امام هدى والقائت
المطيع لله وقوله شاكر الانعمه

قوله - م ان كان هذا هو الحق من عندك فامطرنا من السماء الآية (أو يأتيهم
العذاب) أى عذاب الآخرة (قبلا) جمع قبيل قاله الفراء أى متفرقا ياتو بعضه بعضا
وقيل عيانا وجاهرا قاله الأعشى وقيل خفاء قاله مجاهد ويناسب ما قاله الفراء قراءة
قبلا بضمين فإنه جمع قبيل نحو سبيل وسبيل والمراد أصناف العذاب ويناسب التفسير
الثانى أى عيانا قراءة قبلا بكسر القاف وفتح الباء أى مقابلة ومعاينة وقرئ بفحتمين على
معنى أو يأتيهم العذاب مستقبلا فاصل معنى الآية أنهم لا يؤمنون ولا يسبغون
الا عند نزول عذاب الدنيا المستأصل لهم أو عند اتيان أصناف عذاب الآخرة أو معاينته
(وما نرسل المرسلين) من رسلنا الى الأمم (الا) حال كونهم (بشرايين) لاه ومؤمنين
(ومنذرين) للكافرين فلا استثناء مفرغ من أعم العام وقد تقدم تفسير هذا (ويجادل
الذين كفروا بالباطل) مستأنف (ليدحضوا به) أى ليزيلوا بالجدال الباطل (الحق)
ويطعنوا وأصل الدحض الزلق يقال دحضت رجلاه أى زلقت تدحض دحضاً ودحضت
الشمس عن كبد السماء أى زالت ودحضت حجة دحضاً وضابطات والدحض الطين لانه
يزلق فيه ومن مجادلة هؤلاء الكفار بالباطل قولهم للرسول ما أنتم الا بشر مثلنا وقولهم
أبعث الله بشرا رسولا ونحو ذلك (واتخذوا آياتى) أى القرآن (و) اتخذوا (ما
أندروا) به من الوعيد والتهديد وما معنى الذى أو مصدرية قاله أبو حيان (هزوا) أى
لعبوا باطلا وقد تقدم هدا فى البقرة (ومن) أى لا أحد (أظلم) لنفسه (من ذكر)
وعظ وقد روى لفظ من فى خمسة ضمائر هذا ولها ورعى معناها فى خمسة أولها قوله على
قلوبهم (بآيات ربه) التنزيلية أو التكوينية أو مجموعها (فأعرض عنها) أى عن قبولها
فتهاون بها ولم يتدبرها حتى التدبر ولم يتفكر فيها حتى التفكير وتركها ولم يؤمن بها وأتى
بالفاء الدالة على التعقيب لان ما همتا فى الأحياء من الكفار فانهم ذكروا فأعرضوا عقب
ما ذكروا وقاله فى السجدة يتم الدالة على التراخي لان ما همتا فى الاموات من الكفار
فانهم ذكروا مرة بعد أخرى ثم أعرضوا بالموت فلم يؤمنوا (ونسى ما قدمت يدها) من
الكفر والمعاصى فلم يتب عنها وقال قتادة ما سلف من الذنوب الكثيرة قيل والنسيان هنا
بمعنى الترتل والتشاغل والتغافل عن كفره المتقدم وقيل هو على حقيقته (انا جعلنا على
قلوبهم أكنة) أى أعطيناهم جمع كان وفى القاء وس انه جمع كنى أيضا ونصه والكن وقاه كل
شئ وسهتره كالكنة والكن بكسرهما والجمع أكنان وأكنة والجملة تليد لاعراضهم
ونسيانهم قال الزجاج أخبر الله سبحانه ان هؤلاء طبع على قلوبهم (أن يفقهوه) أى
لئلا يفقهوه (و) جعلنا (فى آذانهم وقرا) أى ثقلا وصمما يمنع من استماعه سماع
اتذاع وقد تقدم تفسير هذا فى الانعام (وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا أبدا)
لان الله تعالى قد طبع على قلوبهم بسبب كفرهم ومعاصيهم (وربك الغفور ذو الرحمة)
أى كثير الرحمة ببلغيها وصاحب الرحمة التى وسعت كل شئ فلم يعاجلهم بالعقوبة ولهذا قال
(لو يؤاخذهم) الله (بما كسبوا) أى بسبب ما كسبوه من المعاصى التى من جملتها

الكفر والمجادلة والاعراض وقال ابن عباس بما عملوا (عجل لهم العذاب) أى عذاب الاستئصال فى الدنيا لاستحقاقهم لذلك (بل) جعل (لهم موعد) مصدراً ومكاناً وزماناً أى أجل مقدر لعذابهم قيل هو عذاب الآخرة وقيل يوم بدر وعن السدى يوم القيامة (لن يجدوا من دونه) أى من دون الله أو العذاب والشانى أولى وأبلغ لدلالته على أنهم لا ملجأ لهم فان من يكون ملجأه العذاب ككفى يرى وجه الخلاص (موثلاً) أى ملجأ يلجئون إليه ومرجعاً وبه قال ابن عباس وقال أبو عبيدة منجأ وبه قال ابن قتيبة وقيل محيصاً وعن مجاهد قال محرزاً (وتلك القرى) أى قرى عاد وثمود ولوط وأمثالها (أهلكناهم) هذا خبر اسم الإشارة والمعنى أهل القرى أهلكناهم فى الدنيا (لما ظاوا) أى وقت وقوع الظلم منهم بالكفر والمعاصى (وجعلنا المهلكهم) فى الآخرة المهلك هو مصدراً وهلك وقال الزجاج اسم للزمان والتقدير لو قت مهلكهم (موعداً) أى وقتاً معيناً وهو يوم القيامة فليعتبروا بهم ولا يفتروا بتأخير العذاب عنهم (و) اذكر (اذ قال موسى لفتهاه) قيل ووجه ذكر هذه القصة فى هذه السورة ان اليهود لما سألو النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن قصة أصحاب الكهف وقالوا ان أخبركم فهو نبي والافلاذ كراته قصة موسى والخضر تنبها على ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يلزمه ان يكون عالماً بجميع القصص والاشعار وقد اتفق أهل العلم على ان موسى المذكور ههنا هو موسى بن عمران من سبط لاوى بن يعقوب قال الكرخى هذا هو الاصح كما قاله ابن عباس وعليه الجمهور من العلماء وأهل التاريخ وليس فى القرآن موسى غيره وقات فرقة منهم نوف البكالى انه ليس موسى بن عمران وانما هو موسى بن ميثى بن يوسف بن يعقوب وكان نبياً قبل موسى بن عمران وهذا بطل قدرده السلف الصالح من الصحابة فن بعدهم منهم ابن عباس كما فى صحيح البخارى وغيره كيف ولو اراد شخصاً آخر لوجب تعريفه بصفة توجب الامتياز بينهما وتزيل الشبهة فلما لم يميزه بصفة علمنا انه موسى بن عمران والمراد بقمناه هو يوشع ابن نون بن افرايم بن يوسف وقيل انه اخو يوشع وقيل انه عبده بدليل قوله صلى الله عليه وآله وسلم لا يقل أحدكم عبدى وأمتى وليقل قماى وفتاى والاول أولى وأصح وقد بناه الله بعد موسى قال الواحدى اجمعوا على انه يوشع بن نون وقدمضى ذكره فى المائة وفى آخر سورة يوسف ومن قال ان موسى هو ابن ميثى قال ان هذا القى لم يكن يوشع بن نون قال القراء وانما سمي فى موسى لانه كان ملازماً له يأخذ عنه العلم ويخدمه ويتبعه وهذا بيان وجه اضافته لموسى وكان ابن أخته ومعنى (لا أبرح) لا أزال سائر او منه قوله لن أبرح عليه عاكفين وبرح اذا كان بمعنى زال يرال فهو من الافعال الناقصة وخبره محذوف لدلالة ما بعده وهو (حتى أبلغ) أى أنتهى قاله ابن زيد (بجمع البحرين) أى ملتتاهما قال الزجاج لأبرح بمعنى لا ازال وقد حذف الخبر لدلالة حال السفر عليه ولان قوله حتى أبلغ غاية مضروبة فلا بد لها من ذى غاية فالمعنى لا أزال أسير الى ان أبلغ ويجوز ان يراد لا يبرح مسيرى حتى أبلغ وقيل معناه لا افارقك حتى أبلغ وقيل يجوز ان يكون من برح التام بمعنى

أى قائماً بشكر نعم الله عليه كقوله تعالى وابراهيم الذى وفى أى قام بجميع ما أمره الله تعالى به وقوله اجتبه أى اختاره واصطفاه

زال يزول فلا تستدعي خبرا بمعنى لا أزول عما أتاه عليه من السير والطلب ولا افارق قبيل
 المراد بالبحرين بحر فارس والروم وهما نحو المشرق والمغرب قاله قتادة وقيل بحر الاردن
 وبحر القلزم وجمع البحرين عند طنجبة قاله محمد بن كعب وقيل بافرقيمة قاله أبي بن كعب
 وقيل ان ملتقاهما عند البحر المحيط وقالت طائفة المراد بالبحرين موسى والخضر وهومن
 الضعف يمكن وقد حكى عن ابن عباس ولا يصح (أو أمضى) أي أسير (حقبا) أي زمانا
 طويلا قال الجوهرى الحقب بالضم ثمانون سنة وقال مجاهد سبعون خروفا وقيل سنة
 واحدة بلغة قريش وفي معناه الحقب بالكسر والضم وتجمع الاولى على حقب بكسر
 الحاء كقربة وقرب والثانية على حقب بضم الحاء كغرفة وغرف وقال النحاس الذي يعرفه
 أهل اللغة ان الحقب والحقة زمان من الدهر مبهم غير محدود كما ان رهطا وقوماء مبهمان
 غير محدودين وجعه أحتاب وسبب هذه العزمة على السير من موسى عليه السلام
 ما روى انه سئل موسى من أعلم الناس فقال أنا فأوحى الله اليه ان عبد الله الى مجمع البحرين
 هو أعلم منك (فلم يبلغنا) أي موسى وقتناه (تجمع بينهما) أي بين البحرين وأضيف
 يجمع الى الظرف توسعا وقيل الين بمعنى الافتراق أي البحران المقتربان يجتمعان هناك
 وقيل الضمير لموسى وخضر أي وصلا الموضوع الذي يكون فيه اجتماع شملهما ويكون
 الين على هذا بمعنى الوصول لانه من الاضداد والاول أولى (نسيما حوتها) قال
 المفسرون انهما تزودا حوتا ملهما مشقوق البطن في زئيل وكانا يصيبان منه عند
 حاجتهما الى الطعام وكان قد جعل الله فقد انه أمانة لهم على وجدان المطلوب والمعنى
 انهما نسيما فقد أمره وقيل الذي نسي انما هو قتي موسى لانه وكل أمر الحوت اليه
 وأمره ان يخبره اذا فقدته وانما أضاف النسيان اليهما لانهما تزوداه لسفرهما والثاني
 أولى لقوله فاني نسيت الحوت وهو كقولهم نسوا زادهم وانما نسيته زاد فلما انتميا
 الى ساحل البحر وضع فتاه المكمل الذي فيه الحوت فاحياه الله فتحرك واضطرب في
 المكمل ثم انسرب في البحر ولهذا قال (فالتخذ نسبيله في البحر سربا) أي اتخذ الحوت
 سبيلا سربا وهو النفق الذي يكون في الارض للضب ونحوه من الحيوانات قال سعيد بن
 جبیر أثره يابس في البحر كأنه في حجر وذلك ان الله سبحانه أمره بحرية الماء على الموضوع
 الذي انسرب فيه الحوت فصار كالطاق فشبهه مسلك الحوت في البحر مع بقائه وانجاب
 الماء عنه بالسرب الذي هو الكوة المحفورة في الارض قال القراء لما وقع في الماء جسد
 مذهبه في البحر فكان كالسرب فلما جاوز ذلك المكان الذي كان عند الصخرة ذهب
 الحوت فيه انطلقا فاصابهما ما يصيب المسافر من النصب والكلال ولم يجد النصب حتى
 جاوزا الموضوع الذي فيه الخضر ولهذا قال سبحانه (فلما جاوزا) مجمع البحرين الذي جعل
 موعد الملاقاة (قال لقناه آتنا غدا هنا) هو ما يוכל بالغداة وأراد موسى ان يأتيه
 بالحوت الذي جعله معهما (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) أي تعبنا واعياء وشارة
 هذا الى السفر الكائن منهما ما بعد مجاوزة الموعد فانهم لم يجدوا النصب الا في ذلك دون
 ما قبله والنصب بفتح النون والصاد وبضمهما وهما الغتان من لغات أربع في هذه اللفظة

كقوله ولقد آتينا ابراهيم رشده
 من قبل وكناه عالين ثم قال وهداه
 الى صراط مستقيم وهو عبادة
 الله وحده لا شريك له على شرع

قاله أبو الفضل الدارمي في لوائحمه (قال) لموسى فتاه (أرايت) معنى الاستفهام تعجيبه
لموسى مما وقع له من النسيان هناك مع كون ذلك مما لا يكاد ينسى لانه قد شاهد أمرا
عظيما من قدرة الله الباهرة (أذا وبيننا الى الصخرة) وكانت عند مجمع البحرين الذي
هو الموعد وانما ذكر هادون ان يذكرو مجمع البحرين لكونهم امتمتمة لزيادة تعيين المكان
لاحتمال ان يكون المجمع مكانا متساويا تناول مكان الصخرة وغيرها (فالى نسبت الحوت) أى
نسبت ان أذ كرك أمره وما شاهدت منه من الامور العجيبة وأوقع النسيان على الحوت
دون الغداء الذى تقدم ذكره لبيان ان ذلك الغداء المطلوب هو ذلك الحوت الذى جعلناه
زاد الهما وأما قوله جدان مطلوبهم ما ثم ذكر ما يجرى مجرى السبب في وقوع ذلك
النسيان فقال (وما انسانيه الا الشيطان) بما يقع منه من الوسوسة (ان أذ كره)
يدل اشتغال من الضير في انسانيه وفي مصحف عبد الله وما انسانيه ان أذ كره الا الشيطان
(واخذ نسيله في البحر عجبا) يحتمل ان يكون هذا من كلام يوشع أخبر موسى ان الحوت
اتخذ نسيله عجبا للناس وموضع التعجب ان يحيا حوت قدمات وأكل شقه ثم ينب الى البحر
ويبقى أثر جريته في الماء لا يمحو أثرها جريان الماء ويحتمل ان يكون من كلام الله سبحانه
ليبين طرف آخر من أمر الحوت فيكون ما بين الكلامين اعتراضا وقال أبو الشجاع
في كتاب الطبرى أيت به فرأيت به فاذا هو شقة حوت بعين واحدة وشق آخر ليس فيه شئ
من اللحم عليه قشرة رقيقة تحتها الشوك (قال) موسى لفتاه (ذلك) الذى ذكرت من
فقد الحوت في ذلك الموضع (ما كذبغ) ونطلبه فان الرجل الذى نريده هو هناك ويانبغ
من يأت الزوائد فلا تثبت رسما وقفا لا وصلا وابن كثير أثبتا في الخالين (فارتد اعلى
أثارهما قصصا) أى رجعا على الطريق الذى جا منها يقصان أثرهما ثم لا يخطا طريقهما
أى قاصين أو مقتصين والقصص فى اللغة اتباع الأثر قال قتادة عوده ما على يدنم ما
(فوجدنا عبدا من عبادنا) هو الخضر فى قول جمهور المفسرين وعلى ذلك دللت الأحاديث
الصحيحة وخالف فى ذلك من لا يعتد بقوله فقال ليس هو الخضر بل عالم آخر وقيل كان
ملك من الملائكة قيل سمي الخضر لانه كان اذا صلى اخضر ما حوله قاله مجاهد قيل
واسمه بليان ملكان وهو من نسل نوح عن ابن عباس قال الخضر بن آدم لصلبه ونسى
له فى أحسنه حتى يكذب الدجال وفيه نظر وقيل كان من بنى اسرائيل أو من أبناء الملوك ترهد
وترك الدنيا وأخرج البخارى وغيره عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال
انما سمي الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هي تهتر من خلقه خضراء والخضر بكسر
الخاء مع سكون الصاد وفتح الخاء مع سكون الصاد وكسرهما فنيه لغات ثلاثة وهذا
لقبه وكنيته أبو العباس ثم وصفه الله سبحانه فقال (آتيناه رجلا من عندنا) قيل الرحمة
هى النبوة والهداية قاله ابن عباس وقيل النعمة التى أنعم الله بها عليه وهى الولاية وعليه
الاكثر والجمهور من العلماء على انه سى الى يوم اقيامته لشربه من ماء الحياة والاصح
ما ذهب اليه أهل الحديث من عدم حياته والله أعلم قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى كتاب

مرضى وقوله وآتيناه فى الدنيا
حسنة أى جعلنا له خيرا الدنيا من
جميع ما يحتاج المؤمن اليه فى
أكمال حياته الطبيعية وأنه فى

الآخرة ابن الصالحين وقال مجاهد
في قوله وآتيناها في الدنيا حسنة أي
لسان صدق وقوله ثم أوحينا اليك
أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً أي

الرد على المنطقيين ومن ملاحظة المتصوفة من يزعم ان ارسطو كان هو الخضر خضر موسى
وقولهم هـ - إذ من اظهر الكذب البارود والخضر على الصواب مات قبل ذلك بزمان طويل
والذين يقولون انه حتى كبعث العباد وبعض العامة وكثير من اليهود والنصارى غاطون
في ذلك غلط لا ريب فيه وسبب غلطهم انهم يرون في الاماكن المنقطعة وغيرهما من بطن
انه من الزهاد ويقول انه الخضر ويكون ذلك شيطانا قد تمثل بصورة آدمي وهذا مما علمناه
في وقائع كثيرة حتى في المكان الذي كتبت فيه هـ - إذ عند الربوة بدمشق رأى شخص بين
الجبلين صورة رجل قد سد ما بين الجبلين وبلغ رأسه رأس الجبل وقال أنا الخضر وأنا
نقيب الاولياء وقال للرجل الرائي أنت رجل صالح وانت ولي الله ومدته الى فاس كان
الرجل نسيه في مكان وهو ذاهب اليه فناوله اياه وكان بينهما وبين ذلك المسكان نحو ميل ومثل
هذه الحكاية كثيرة وكل من قال انه رأى الخضر وهو صادق فاما ان يتخيل له في نفسه انه رآه
ويظن ما في نفسه كان في الخارج كما يقع لكثير من أبواب الرياضات واما ان يكون جنيا
يتصوره بصورة انسان ليضله وهذا كثير جدا قد علمنا منه ما يطول وصفه واما ان يكون رأى
انسياظن انه الخضر رهو غلط في ظنه فان قال له ذلك الجني أو الانسي انه الخضر فيكون
قد كذب عليه لا يخرج الصدق في هذا الباب عن هذه الاقسام الثلاثة واما الاحاديث
فكثيرة ولهذا لم ينقل عن أحد من الصحابة انه رأى الخضر ولا اجتمع به لانهم كانوا أكمل
علما وایمانا من غيرهم فلم يكن يمكن شيطان التلبيس عليهم - م كما لبس على كثير من العباد
ولهذا كثير من الكفار اليهود والنصارى يأثم من يظنون انه الخضر ويحضر في كائنتهم
وربما حدثهم باشيئا وانما هو شيطان جاء اليهم ليضلهم - م ولو كان الخضر حيا لوجب عليه
ان يأتي الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيؤمن به ويجاهد معه كما أخذ الله الميثاق على
الانبياء واتباعهم بقوله واذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم
رسول مصدق لما بعثكم لتؤمنن به ولتنصرنه والخضر قد أصح السفينة لقوم من عرض
الناس فكيف لا يكون بين محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وهو ان كان نبيا فسيبنا
أفضل منه وان لم يكن نبيا فأبو بكر وعمر أفضل منه وهذا مبسوط في موضعه انتهى وسيأتي
الكلام على ذلك في آخر هذه القصة ان شاء الله تعالى (وعلمناه) من علم الغيب الذي
استأثرنا به وفي قوله (من لدنا علما) تفخيم لسان ذلك العلم وتعظيم له قال الزجاج وفيها
فعل موسى وهو من أجله الانبياء من طلب العلم والرحلة في ذلك ما يدل على انه لا ينبغي
لا أحد ان يترك طلب العلم وان كان قد بلغ نهايته وان يتواضع لمن هو أعلم منه ثم قص الله
سبحانه علينا ما دار بين موسى والخضر بعد اجتماعهما فقال (قال له موسى هل أتبعك
على ان تعلمن مما علمت رشدا) في هذا السؤال ملاطفة ومبالغة في الادب والتواضع لانه
استجمل نفسه واستأذنه ان يكون تابعه على ان يعلمه مما علمه الله من العلم والرشد بضم الراء
وسكون الشين هو الوقوف على الخير واصابة الصواب أي علما ذار رشدا رشده وقرى رشدا
بفتح تين وهم الغنم كالجمل والجمل وفي الآية دليل على ان المتعلم تبع للعالم وان
تفاوتت المراتب وليس في ذلك ما يدل على ان الخضر أفضل من موسى فقد يأخذ الفاضل

عن الفاضل وقد يأخذ الفاضل عن المفضول إذا اختص أحدهما بعلم لا يعلمه الآخر فقد
كان علم موسى علم الأحكام الشرعية والقضاء بظواهرها وكان علم الخضر علم بعض الغيب
ومعرفة البواطن وقد زل أقدام أقوام من الضلال في هذا المقام في تفضيل الولي على النبي
حيث قالوا أمر موسى بالتعلم من الخضر وهو وولي وهو كافر جلي والجواب ما ذكرناه
(قال) الخضر لموسى (انك لن تستطيع معي صبرا) أي لا تطيق ان تصبر على ما تراه من
علمي لان الظواهر التي هي علمك لا توافق ذلك ثم أكد ذلك مشيرا الى علة عدم الاستطاعة
فقال (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) أي كيف تصبر على علم ظاهره منكروا أنت
لا تعلم ومثلك مع كونك صاحب شرع لا يسوغ له السكوت على منكر والاقرار عليه
والخبر العلم بالشيء والخبر بالامور هو العالم بخفاياها وما يحتاج الى الاختبار منها (قال)
موسى للخضر (ستجدني ان شاء الله صابرا) معك ملتزما طاعة واما استثنى لانه لم يثنى
من نفسه بالصبر ولم يستثن الخضر لانه في مقام التعليم (ولأعصى لك أمرا) أي لأخاطبك
فيما تأمرني به والتقييد بقوله ان شاء الله شامل للصبر ونفي المعصية وقيل ان التقييد
بالشيئة مختص بالصبر لانه أمر مستقبل لا يدري كيف يكون حاله فيه ونفي المعصية معزوم
عليه في الحال ويحجب عنه بان الصبر ونفي المعصية متفقان في كون كل واحد منهما معزوما
عليه في الحال وفي كون كل واحد منهما لا يدري كيف حاله فيه في المستقبل (قال) الخضر
لموسى (فان اتبعني فلا تسألني عن شيء) مما شاهد من أفعالي المخالفة لما يقتضيه
ظاهر الشرع الذي بعثك الله به أي لا تفاتحنني بالسؤال عن حكمته فضلا عن المناقشة
والاعتراض (حتى أحدث لك منه ذكرا) أي حتى أكون انا المبتدئ لك بذكروه وبيان
وجهه وما يؤول اليه وفيه ايدان بان كل ما صدر عنه فله حكمة وغاية حميدة البتة وهذا
من أدب المتعلم مع العالم والتابع مع المتبوع وهذه الجمل المعنونة بقال وقال مستأنفات
لانها جوابات عن سوالات مقدرة كل واحدة ينشأ السؤال عنها مما قبلها واعلم انه قد
رويت في قصة موسى مع الخضر المذكورة في الكتاب العزيز أحاديث كثيرة وأتمها وأكملها
ما زوى عن ابن عباس ولكنها اختلفت في بعض الالتقاط وكلها مروية عن سعيد بن جبير
عنه وبعضها في الصحيحين وغيرهما وبعضها في أحدهما وبعضها خارج عنهم او قد رويت
من طريق العوفي عنه كما أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم ومن طرق أخرى فلم يقتصر على
الرواية التي هي أتم الروايات الثابتة في الصحيحين ففي ذلك ما يخفى عن غيره وهي قال سعيد
ابن جبير قلت لابن عباس ان نوحا المكالي يزعم ان موسى صاحب الخضر ليس هو موسى
صاحب بنى اسرائيل قال ابن عباس كذب عدو الله حدثنا أبي بن كعب انه سمع رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان موسى قام خطيبا في بنى اسرائيل فمثل أي الناس أعلم
فقال أنا فاعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فإوحى الله اليه ان لي عبدا يجمع البحرين هو
أعلم منك قال موسى يارب فكيف لي به قال تأخذ منك حوتا فجعله في مكمل فبشما
فقدت الحوت فهو ثم فأخذ حوتا فجعله في مكمل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون
حتى اذا أتيا الهضرة وضعا رؤوسهما فناما واضطرب الحوت في المكمل فخرج منه فسقط في

ومن كماله وعظمته وصحة توحيده
وطريقه انا وحينما اليك يا خاتم
الرسول وسيد الانبياء ان اتبع ملة
ابراهيم حنيفا وما كان من

البحر فاتخذ سبيله في البحر صبراً وأمسك الله عن الخوت حربة الماء فصار عليه مثل الطاق
 فلما استيقظ نسي صاحبه ان يخبره بالخوت فانطلقا ببقية يومهما وليدتهما ما حتى اذا كان من
 الغد قال موسى لفتاه آتنا غداً نأخذ لقلبتنا من سفرنا هذا انصبأ قال ولم يجد موسى النصب
 حتى جاوز المكان الذي امره الله به فقال له فتاه أ رأيت اذا وينا الى الصخرة فاني نسيت
 الخوت وما انسانيه الا الشيطان ان أذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً قال فكان للخوت
 صبراً ولموسى وقتاه عجباً قال موسى ذلك ما كنا نبغ فارتدأ على آثارهما قصصاً قال سفيان
 يزعم الناس ان تلك الصخرة عند هاء عين الحياة لا يصيب مأواها ميتا الا عاش قال وكان
 الخوت قد أكل منه فلما قطر عليه الماء عاش قال فرجعا يقصان أثرهما حتى انتهيا الى
 الصخرة فاذا رجل مسيحي بثوب فسلم عليه موسى فقال الخضر وأني بأرضك السلام
 قال أأنا موسى قال موسى بنى اسرائيل قال نعم أتيتك لتعلمني مما عاتب ربي اذ قال انك ان
 تستطيع معي صبراً يا موسى اني على علم من الله علمه لا تعلمه أنت وأنت على علم من الله
 علمك الله لا أعلمه قال موسى ستجدني ان شاء الله صابراً اولاً عصياً للأمر ا فقال له الخضر
 فان اتعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً فانطلقا شيان على ساحل البحر
 فمرت بهما سفينة فكموهم ان يحملوهم فعرّفوا الخضر حمله لونه بغير نول فلما ركبا في السفينة
 لم يبق الا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدم فقال له موسى قوم جاوزنا بغير
 نول عمدت الى سفينتم فخرقتم التغرق أهلها لقد جئت شيئاً امراً قال ألم أقل انك ان
 تستطيع معي صبراً قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً قال وقال
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكانت الاولى من موسى نسيماً انا قال وجاءه عصفور
 فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر ما نقص علي وعلمك من
 علم الله الا مثل ما نقص هذا العصفور الذي وقع على حرف السفينة من هذا البحر ثم خرجا
 من السفينة فيينما هما ما عشيان على الساحل اذا بصير الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان
 فاخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه بيده فقتله فقال موسى أقتلت نفساً كية بغير نفس
 لقد جئت شيئاً نكراً قال ألم أقل لك انك ان تستطيع معي صبراً قال وهذه أشد من
 الاولى قال ان سألتك عن شيء بعد هذا فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً فانطلقا حتى
 اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فابوا ان يضيفوهما فوجداهما جدارا يريدان ان يقتض
 فاقامه قال ما نل فقال الخضر بيده هكذا فاقامه فقال موسى قوم آتيناهم فلم يطعمونا
 ولم يضيفونا لشدت لا تحذت عليه أجراً قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم
 تستطع عليه صبراً فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وددنا ان موسى كان صبر
 حتى يقص الله علينا من خبرهما قال سعيد بن جبير وكان ابن عباس يقرأ وكان
 امامهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وكان يقرأ وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه
 مؤمنين وبقية روايات سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب هي موافقة لهذه
 الرواية في المعنى وان تفاوتت اللفاظ في بعضها فلا فائدة في الاطالة بذكرها وكذلك
 روايات غير سعيد عنه (فانطلقا) أي موسى والخضر على ساحل البحر يطلبان السفينة

المشركين كقوله في الانعام قل
 اني هداني ربي الى صراط مستقيم
 ديناً قبيحاً لاهل ابراهيم حينئذ وما كان
 من المشركين ثم قال تعالى

ومعهما يوشع وانعام يذكر في الآية لانه تابع لموسى فالمقصود كرموسى والخضر وقال
القشيري والظاهر أن موسى صرف فتاهما لقي الخضر وقال أبو العباس كنفى بذكر
المتبوع عن التابع فرت بهم سفينة فكلواهم ان يحملوهم فملاهم بغير نول (حتى اذا ركبوا
في السفينة خرقتها) قيل قلع لوحا من الواحها وقيل لوحين مما يلي الماء بقاس لما بلغت
البحر وقيل خرقت جدار السفينة ليعيها ولا يتسارع الغرق اليها (قال) موسى (آخرتها
لتغرق اهلها لقد حثت شيئا امرا) اي عظيما يقال أمر الامر اذا كبر وعظم
والامر الاسم منه وقال ابو عبيدة الامر الداهية العظيمة وقال القتيبي الامر العجب وبه
قال قتادة وقال الاخفش أمر أمره يأمر اذا اشتد والاسم الامر وقال ابن عباس امرا
نكرا وعن مجاهد نحوه روى ان الماء لم يدخلها (قال) الخضر (ألم أقل انك ان
تستطيع معي صبرا) اذ كره ما تقدم من قوله له سابقا انك لا تستطيع معي صبرا (قال)
موسى (لا تؤاخذني بما نسيت) ما صدرية أي لا تؤاخذني بنسياني أو موصولة أي
لا تؤاخذني بالذي نسيت وهو قول الخضر فلان نسياني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا
فالنسيان ما على حقيقة على تقدير أن موسى نسي ذلك أو بمعنى الترك على تقدير انه لم
ينس ما قاله له ولكنه ترك العمل به عن ابي بن كعب قال لم ينس ولكنهما من معارض
الكلام أي اورده في صورة دلت على النسيان ولم يقصد نسيان الوصية بل نسيان شيء آخر
حتى لا يلزم الكذب قاله الكازروني قيل كانت الاولى من موسى نسيانا والشانية شرطا
والثالثة عمدا (ولا ترهقني) اي لا تكلفني (من امرى عسرا) مشقة في صحبتي قال
ابو زيد أرهقته عسرا اذا كلفته ذلك والمعنى عاملني باليسر والعقول بالاعسر وقرئ عسرا
بضمين (فانطلقا) بعد خروجهما من السفينة عيشيان (حتى اذا القيا غلاما) قيل
كان اسمه شعون ذكره القرطبي ونظ الغلام يتناول الشاب البالغ كما يتناول الصغير قيل
كان الغلام يلعب مع الصبيان (فقتله) أي فاقتلع الخضر رأسه وأذبحه بالسكرين أو ضرب
رأسه بالجدار أو قال وأتى هنا بالقول العاطفة لان القتل عقب اللتي وجواب اذا (قال)
موسى (أقتلت نفسا زكية) هي البريئة من الذنوب أي الظاهرة قال ابو عمرو الزاكية
التي لم تذب والزكية التي اذنت ثم ثابت وقال الكسائي الزاكية والزكية لغتان وقال
الفراء الزاكية والزكية مثل القاسية والقسيمة قال ابن عباس زكية مسلمة وقال سعيد
ابن جبير لم يبلغ الخطايا وعن الحسن نحوه (بغير) قتل (نفس) محرمة حتى يكون
قتل هذه قصاصا (لقد حثت) اي فعلت (شيئا نكرا) اي فظيما منكر الا يعرف
في الشرع قرئ بسكون الكاف وضمها وهما سبعيتان قيل معناها أنكرا من الامر الاول
لكون القتل لا يمكن تداركه بخلاف نزع اللوح من السفينة فانه يمكن تداركه بارجاعه
وقيل النكر أقل من الامر لان قتل نفس واحدة أهون من اغراق أهل السفينة وعن
قتادة قال النكر أنكرا من العجب قيل استبعد موسى ان يقتل نفسا بغير نفس ولم يتأول
للخضر بأنه يحل القتل باسباب أخر عن أبي العالية عند ابن المنذر وابن أبي حاتم قال كان
الخضر عبدا لآتراه العين الامن أراد الله ان يريه آياه فلم يره من القوم الاموسى ولوراه

منكر على اليهود (انما جعل
السبت على الذين اختلفوا فيه
وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة
فيما كانوا فيه يختلفون) لاشك ان

القوم لخالوا بينه وبين خرق السفينة وبين قتل الغلام وأقول ينبغي ان ينظر من أين له هذا فان لم يكن مستنده الاقوله ولوراه القوم الخ فليس ذلك بعوجب لما ذكره أمأ وألافان من الجائز أن يفعل ذلك من غير أن يراه أهل السفينة وأهل الغلام لالكونه لا تراه الا عين بل لكونه فعل ذلك من غير اطلاعهم وأما ثانياً فيمكن ان أهمل السفينة وأهل الغلام قد عرفوه ويدل عليه قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث المتقدم فعرفوا الخضر فعملوه بغير نول وعرفوا انه لا يفعل ذلك الا بأمر من الله كما يفعل الانبياء فسلموا الامر لله وعن عطاء قال كتب بحجة الحروري الى ابن عباس يسأله عن قتل الصبيان فكتب اليه ان كنت الخضر تعرف الكافر من المؤمن فاقتلهم وفي لفظ ولكنك لا تعلم وقد نهي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قتلهم فاعتزلهم وأخرج مسلم وأبو داود والترمذي وغيرهم عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافرا ولو أدرك لأرهبك بأبويه طغيانا وكفرا (قال) الخضر (ألم أقل لك انك ان تستطيع معي صبورا) زاد هنا لفظ ذلك لان سبب العتاب اكثر وموجبه اقوى فقد نفى العهد مرتين وقيل زاد لقصداً كما تقول لمن تو بجه لك اقول واياك أعنى وقيل زاد لعدم العذر هنا تحاملا في الخطاب وتقريباً لموسى ولهذا (قال) موسى (ان سألتك عن شيء بعدها) اي بعدها هذه المرة او بعدها هذه النفس المقتولة (فلاتصاحبني) اي لا يجعلني صاحباً لك وقرئ تصحبني قال الكسائي معناه لا تتركني اصحبك وقرئ بضم التاء والباء ونشديد النون نهاه عن مصاحبته مع حرصه على التعلم لظهوره وذلك اقال (قد بلغت من لدني عذرا) في مفارقة لي يريد انك قدأ عذرت حيث خالفتك ثلاث مرات وهذا كلام نادم شديد الندامة اضطره الحال الى الاعتراف وسألك سبيل الانصاف وقرأ الجمهور لدني مخففاً وشدها الباقيون وعن أبي قال ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرأ من لدني عذرا مثقلة اخرجه ابو داود والترمذي والطبراني وغيرهم وقرأ الجمهور عذرا بسكون الذال وقرئ بضمها وحكى الداني ان أياروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكسر الراء وياه بعدها باضافة العذر الى نفسه (فانطلقا حتى اذا أتيا اهل قرية) قيل هي ايلة وهي أبعد الارض من السماء وقيل انطاكية وقيل برقة وقيل قرية من قرى أذربيجان وقيل قرية من قرى الروم وقيل هي بلدة بالاندلس (استطعما اهلهما) طلبا منهم الطعام بضيافة وضع الظاهر موضع المضمرة لزيادة التأكيدهم والتأسيس والكرهية اجتماع الضميرين في هذه الكلمة لما فيه من الكفاية أو لزيادة التشنيع على اهل القرية باظهارهم (فأبوا أن يضيفوهما) اي ان يعطوهما ما هو حق واجب عليهم من ضيافتهما فن استدل بهذه الآية على جواز السؤال وحل الكدية فقد أخطأ خطأ مينا ومن ذلك قول بعض الادباء الذين يسألون الناس

الله تعالى شرع في كل ملة يومان
الاسبوع يجتمع الناس فيه للعبادة
فشرع تعالى لهذه الامة يوم الجمعة
لانه اليوم السادس الذي أكمل الله
نبيه الخليفة واجتمعت فيه وعت

فان رددت غافي الرذمنقصة * على قدر تموسى قبل والخضر

وقد ثبت في السنة تحريم السؤال بما لا يمكن دفعه من الاحاديث الصحيحة الكثيرة عن ابى ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرأ ان يضيفوهما مشددة قيل شر القرى التي تجل

بالقري أي لا تضيف الضيف قبل اطعمتهم ما أمرت من أهل بربر بعد ان طلبا من الرجال فلم
يطعموهما فدمعوا النساءهم ولعنارجالهم (فوجدافيهما) أي في القرية (جدارا) طوله
مائة ذراع وعرضه خمسون ذراعا وامتداده على وجه الارض خمسمائة ذراع (يريد أن
ينقض) اسناد الارادة الى الجدار مجاز قال الزجاج الجدار لا يريد اذارة حقيقة الا أن
هيئة السقوط قد ظهرت فيه كما تظهرافعال المرادين القاصدين فوصف بالارادة ومعنى
الانقضاء السقوط بسرعة يقال انقض الحائط اذا وقع وانقض الطائر اذا هوى من
طيرانه فسقط على شئ (فاقامه) أي فسواه الخضر بيده لانه وجدته مائلا فرده كما كان
وقيل نقضه وبناه وقيل أقامه بعمود عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم انه قرأ يريد ان ينقض فهدمه ثم قعد بينه قلت ورواية للصحيحين التي قدمناها انه
مسحه بيده وأولى (قال) موسى (لوشئت لا اتخذت) عن أبي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم
قرأ اتخذت محققا يقال اتخذ فلان يتخذ فلان مثل اتخذ (عليه اجرا) أي على اقامته
واصلاحه تحريضا من موسى للخضر على اخذ الجعل والاجر ليمتدحها به وتعريفه بها
فضول والاول وأولى قال الفراء معناه لوشئت لم تقمه حتى يقر برفاهها والاجر (قال) الخضر
(هذا فراق بيني وبينك) على اضافة فراق الى الظرف اتساعا أي هذا الكلام والانكار
منك على ترك الاجر هو المفرق بيننا قال الزجاج المعنى هذا فراق بيننا أي هذا فراق اتصالنا
وكرز بيننا كيدا أخرج أبو داود والنسائي والترمذي والحاكم وصححه وغيرهم عن ابن
عباس عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجعت الله علينا وعلى
موسى لوصي لقص الله علينا من خبره ولكن قال ان سألتك عن شئ بعد هذا فلا تصاحبني
ولما قال الخضر لموسى بهذا أخذ في بيان الوجه الذي فعل بسببه تلك الافعال التي أنكرها
موسى فقال (سأنتك) قبل فراقك لك (بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) أي الامور
الثلاثة المتقدمة والمراد بالتأويل اظهار ما كان باطنا بينا ووجهه قاله الشهاب وفي
القرطبي المراد بالتأويل التفسير واصل التأويل رجوع الشئ الى ما له ثم شرع في البيان
له فقال (أما السفينة) يعني التي خرقتها (فكانت لساكنين) لضعفاء عشرة وكانوا اخوة
لا يقدرون على دفع من اراد ظلمهم وقد ذكر النقاش اسماءهم وقرأ جماعة مساكين بتشديد
السين واختلف في معناها فقبلهم ملاحوا السفينة وذلك ان المسالك هو الذي يسلك
السفينة والاطهر قراءة الجمهور بالتخفيف (يعملون في البحر) ولم يكن لهم مال غير تلك
السفينة يكرونها من الذين يركبون البحر يأخذون الاجرة وقد استدل الشافعي بهذه
الآية على ان الفقير أسوء حالا من المسكين (فاردت أن أعيمها) أي أجعلها ذات عيب بنزع
ما تزعمه منها (وكان وراءهم ملك) جملة حالبة باضمار قد قال المفسرون يعني امامهم
وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ أمامهم وعن أبي بن كعب انه
قرأها كذلك وكتب عثمان وكان وراءهم ووراء يكون امام وقد مر الكلام على هذا في قوله
ومن وراءه عذاب غليظ وقيل اراد خلفهم وكان طريقتهم في الرجوع عليه وما كان

النعمة على عباده ويقال ان
الله تعالى شرع ذلك لبني اسرائيل
على لسان موسى فعبدوا به عنه
واختاروا السبت لانه اليوم الذي
لم يخلق فيه الرب شيئا من المخلوقات
الذي كمل خلقها يوم الجمعة فالزمهم
تعالى به في شريعة التوراة ووصاهم
ان يتسكوا به وان يحافظوا عليه
مع أمره اياهم بمطاعة محمد صلى الله
عليه وسلم اذ بعثه وأخدموا يتقهم

عندهم خبرياته (ياخذ كل سفينة) سالحة لامعيبية (غصبا) نصبه على الصدر المين
لنوع الاخذ وقد قرأ ابن عباس وابي بن كعب بن زيادة سالحة والملك الغاصب كان اسمه
الجلندي الازدي وكان كافرا وقيل كان اسمه هدد بن بدد وقيل كان ملك غسان واسمه
جيسوراذ كره القرطبي (واما الغلام) يعني الذي قتله (فكان ابواه مؤمنين) ولم يكن
هو كذلك وقرأ ابن عباس واما الغلام فكان كافرا وكان ابواه مرؤنين (نخسينا) الخشية
خوف بشو به تعظيم واكثر ما يكون عن علم بما يخشى منه وقيل معناه فعلنا والاول اولى
وعن قتادة هي في مصحف عبد الله تخاف ربك (ان يرهقهما) أي يرهق الغلام ابويه يقال
رهقه أي غشبه وارهقه اغشاه قال المفسرون معناه خشينا ان يحمله ما حبه على ان
يتبعاه في دينه وهو الكفر وقيل المعنى نخسينا ان يرهق الوالدين (طغيانا) عليهما (وكفرا)
لانتم ما بعثوه قبيلا ويجوز ان يكون نخسينا من كلام الله ويكون المعنى كرهنا كراهة
من خشى سوء عاقبة امره وغيره وهذا ضعيف جدا قال كلام كلام الخضر وقد استشكل
بعض اهل العلم قتل الخضر لهذا الغلام بهذه العلة فقيل انه كان بالغا وقد استحق ذلك
بكفره وقيل كان يقطع الطريق فاستحق القتل لذلك ويكون معنى خشينا الخ ان الخضر
خاف على الابوين ان يذبا عنه ويتعصبا له فيقعان في المعصية وقد يؤدى ذلك الى الكفر
والارتداد والحاصل انه لا اشكال في قتل الخضر له اذا كان بالغا كافرا او فاطمه للطريق
هذا فيما تقتضيه الشريعة الاسلامية ويمكن ان يكون للخضر شريعة من عند الله سبحانه
تسوغ له ذلك واما اذا كان الغلام صبيا غير بالغ فقيل ان الخضر علم باعلام الله انه لو صار
بالغا لكان كافرا يتسبب عن كفره اضلال ابويه وكفرهما وهذا وان كان ظاهر الشريعة
الاسلامية بآبائه فان قتل من لا ذنب له ولا قد جرى عليه قلم التكليف الخشية ان يقع منه
بعد بلوغه ما يجوز به قتله لا يحل في الشريعة المحمدية ولكنه حل في شريعة اخرى فلا
اشكال (فاردنا ان يبدلها) الابدال رفع الشيء ووضع آخر مكانه قال الزجاج معنى
فاردنا فاردنا الله ومثله في القرآن كثير وقيل المعنى اردنا ان يرزقهما الله (رهبما) بدل هذا
الولد ولد (خير امنه) والتفضيل ليس على بابه (زكاة) أي دينا وصلاحة وتقوى وطهارة من
الذنوب (واقرب رجما) بسكون الحاء وقرئ بضمها الرجعة يقال رحمه الله رجما ورجما
والالف للتأنيث قال ابن عباس رجما مودة فابدا لاجارية ولدت نبيا (واما الحدار) يعني الذي
أصلحه (فكان لغلامين يمينين) قيل اسمهما اصرم وصريم (في المدينة) هي القرية
المدكورة سابقا وفيه جواز اطلاق المدينة على القرية لغة وقيل عبر هنالك بالقرية تحقيرا
لها خشية اهلها وعبرها بالمدينة تعظيما لها من حيث اشتقها على هذين الغلامين وعلى
ابيهما (وكان تحته كتزلهما) قيل كان ما لاجسما كما يفيد لفظ الكتز به قال عكرمة وقاتدة
اذ هو المال المجموع قال الزجاج المعروف في اللغة ان الكتز اذا افرد فعناه المال المدفون
فاذا لم يكن ما لا قيل كتز علم وكتز فهم وقيل لوح من ذهب وقيل علم في صحف مكتوبة بمدقونة
عن قتادة قال كان الكتز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنمية على من كان قبلنا واحلت لنا

وعهودهم على ذلك ولهذا قال
تعالى انما جعل السبت على الذين
اختلفوا فيه قال مجاهد اتبعوه
وتركوا الجمعة ثم انهم لم يزالوا
متمسكين به حتى بعث الله عيسى بن
مريم فيقال انه حولهم الى يوم
الاحد ويقال انه لم يترك شريعة
التوراة الا ما نسخ من بعض احكامها
وانه لم يزل محافظا على السبت حتى
رفع وان النصرى بعده في زمن

فلا يجبن الرجل فيقول ما شان الكثر ااحل لمن قبلنا وحرم علينا فان الله يحل من أمره
 ماشاء ويحرم ماشاء وهي السنن والقراءت تحل لامة وتحرم على أخرى وعن أبي الدرداء
 عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال وكان تحته كنز ذهب وفضة أخرجه البخاري في تاريخه
 والترمذي وحسنه والطبراني والحاكم وصححه وعن أبي الدرداء قال ااحلت لهم الكنوز
 وحرمت عليهم الغنائم واحلت لنا الغنائم وحرمت علينا الكنوز واخرج البزار وابن ابي
 حاتم وابن مردويه عن ابي ذر رفعه قال ان الكثر الذي ذكره الله في كتابه لوح من ذهب
 مصمت فيه عجبت لمن أيقن بالقدر ثم نصب وعجبت لمن ذكر النار ثم ضحك وعجبت لمن ذكر
 الموت ثم غفل لانه الا الله محمد رسول الله وفي نحو هذا روايات كثيرة لا تتعلق بذلك فائدة
 (وكان أبوهما صالحا) فكان صلاحه مقتضيا لرعاية ولديه وحفظ مالهما فظاهر اللفظ انه
 ابوهما حقيقة وقيل هو الذي دفنه وقيل هو الاب السابع من عند الدفن له قاله جعفر بن
 محمد وقيل العاشر وكان يسمى كاشحا وكان من الاتقياء قاله مقاتل واسم امهما ذيناذ كره
 النقاش ففيه ما يدل على ان الله يحفظ الصالح في نفسه وفي ولده وان بعدوا قال ابن عباس
 حفظ ابصلاح ابيهما واخرج ابن مردويه عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله
 وسلم ان الله عز وجل يصلح بصلاح الرجل الصالح ولده وولد ولده واهل دويرته واهل
 دويرات حوله فايز الون في حفظ الله تعالى مادام فيهم وعن ابن عباس نحوه وقال موضع
 حفظ الله في ستر من الله وعافية قال سعيد بن المسيب اني لاصلي فاذا كرولدي فازيد في صلاتي
 وقدروي ان الله يحفظ الصالح في سبعة من ذريته وعلى هذا يدل قوله تعالى ان ولي الله
 الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين قاله القرطبي (فارادريك) أي ما سكت ومدبر أمره
 و اضاف الرب الى ضمير موسى تشريفا له وانما ذكر اولاد فاردت لانه افساد في الظاهر وهو
 فعله وثانيا فارادت لانه افساد من حيث الفعل انعام من حيث التبديل والثالثا فارادريك لانه
 انعام محض وغير مقدر للبشر قال الشوكاني في الفتح الرباني اعلم انه قد وجد في الخضر
 عليه السلام مقتضى للمعنى بنون العظمة لما تفصل الله به عليه من العطايا العظيمة
 والمواهب الجسيمة التي من جملتها العلم الذي فضله الله به حين اخبر موسى عليه السلام لما
 سأله هل في الارض أعلم منه فقال عبدنا خضر كما هو ثابت في الصحيح كان هذا وجه صحيحا
 ومسوغا صحيحا للمعنى بنون العظمة تارة وعدم المعنى بها اخرى فقال فاردت ان اعنيها
 وقال فاردنا ملاحظا في احد الموضوعين لما يستحقه من التعظيم تحديا بنعمة الله سبحانه
 عليه وفي الموضوع الآخر قاصد للتواضع وانه فرد من افراد البشر غير ناظر الى تلك المزايا
 التي اختصه الله بها سبحانه مع كون ذلك هو الصيغة التي هي الاصل في تكلم الفرد مع هذا
 ففي تلويح العبارة نوع من الحسن آخر وهو الاقتسان في الكلام فانه احسن نظرية لنشاط
 السامع واكثر ايقاظا له كما قيل في نكتة الالتفات ويمكن ان يقال ان خرق السفينة لما
 كان باعتبار يحصل مسماه امر ايسرا فانه يحصل بنزع لوح من الواحها قال فاردت ان
 اعنيها ولما كان القتل مما تعاطاه النفوس وتدخل فاعله الروعة العظيمة نزل منزلة
 ما لا يقدر عليه الجماعة ويمكن ايضا وجه ثالث وهو ان يقال لما كان خرق السفينة مما

قسطنطين هم الذين تحولوا الى
 يوم الاحد مخالفة لليهود وتحولوا الى
 الصلاة شرعا عن الصخرة والله
 اعلم وقد ثبت في الصحيحين من
 حديث عبد الرزاق عن معمر
 عن همام عن أبي هريرة
 رضى الله عنه ان رسول الله صلى
 الله عليه وسلم قال نحن الآخرون
 السابقون يوم القيامة يبدأ بهم
 أو ثوى الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم
 الذي فرض الله عليهم فاختلّفوا

يمكن تداركها بان يرد اللوح الذي نزعها كان ذلك وجهها للافراد لانه يسير بالنسبة الى ما لا يمكن
 تداركه وهو القتل واما قوله فاراد ربك فوجه نسبة الارادة الى الرب سبحانه ان هذه الارادة
 وقعت على قوله ان يبلغا اشد ههما ومعلوم ان ذلك لا يكون من فعل البشر ولا يارادته لان
 بقاءهما في الحياة حتى يبلغا الاشد لا يدخل تحت طاقة البشر ولا يصح نسبة الى غير الرب
 عز وجل ولهذا يقول الخضر رحمة من ربك وما فعلته عن امرى هذا ما خطر بالبال عند
 الوقوف على هذه الآية ولم اقف على كلام لاحد من اهل التفسير فيما يتعلق بذلك انتهى
 (ان يبلغا اشد ههما) أى كمالهما وتمام غوهمما (ويستخرجا كثرهما) من ذلك الموضع الذي
 عليه الجدار ولو انقض لخرج الكثر من تحته قبل اقتدار ههما على حفظ المال وتبينته
 وضاع بالسكينة (رحمة من ربك) لهما وهو مصدر في موضع الحال أى مرحومين من الله
 سبحانه (وما فعلته عن امرى) أى عن اجتهادى ورأى وهو تأكىد لما قبله فقد علم بقوله
 فاراد ربك انه لم يفعل الخضر عن امر نفسه لان تنقيص أموال الناس وارقة دماهم
 وتغيير احوالهم لا يكون الا بالنص وليس في هذا دلالة على نبوة الخضر كازعم الجمهور بل
 هو الهام من الله سبحانه اليه (ذلك) المذكور من تلك البيانات التي بينتها وأوضحت
 وجوهها (تأويل ما لم تسطع عليه صبورا) أى ماضاق صبرك عنه ولم تنطق السكوت عليه
 ومعنى التأويل هنا هو المال الذي آت اليه تلك الامور وهو واضح ما كان مشتبا على
 موسى وظهور وجهه وحذف التاء من تسطع تخفيفا يقال اسطاع واستطاع بمعنى اطاق
 فقي هذا وما قبله جمع بين اللغتين وقد اختلف اهل العلم في نسب الخضر وفي كونه نبيا وفي
 طول عمره وبقائه حيا انه وكونه باقيا الى زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحياته بعده على
 اقوال كثيرة فقيل هو ابن آدم اصلبه وهو ضعيف منقطع وقيل انه ابن قاييل بن آدم وهو
 معضل وقيل انه من سبط هرون اخى موسى وهو بعيد وقيل انه ارميا بن خلتيا ورده ابن
 جرير وقيل انه ابن بنت فرعون وقيل ابن فرعون اصلبه وقيل انه اليسع وقيل انه من ولد
 فارس وقيل من ولد بعض من كان آمن بابراهيم وهاجر معه من ارض بابل وقيل كان ابوه
 فارسيا واهم رومية وقيل بعكس ذلك ثم قيل كان اسمه عامرا وقيل بليان ملكان وقيل
 كان بل ملكان وقيل معمر بن مالك وكنيته أبو العباس وهذا متفق عليه قاله النووي
 واخرج من قال انه نبي بقوله تعالى وما فعلته عن امرى لان الظاهر من هذا انه فعله بامر
 الله والاصل عدم الواسطة قال الشعبي هو نبي في سائر الاقوال ثم قيل نبي غير مرسل وقيل
 أرسل الى قومه فاستجابوا له ونصره الرمانى ثم ابن الجوزى وقيل كان وليا واليه ذهب جماعة
 من الصوفية وبه قال على بن أبى موسى من الحنابلة وابن الانبارى والقشيري وقيل انه
 ملك من الملائكة قال ابن جرير في تاريخه انه كان في ايام فريدون الملك في قول عامة اهل
 الكتاب الاول وقيل كان على مقدمة ذى القرنين الاكبر الذي كان في زمن ابراهيم الخليل
 وقصته هذه ذكرها جماعة منهم خزيمة بن سليمان واما تعميره فقال ابن عباس نسي الخضر في
 أجله حتى يكذب الدجال وقال أبو مخنف أجمع اهل العلم بالاحاديث والجمع لها أنه أطول
 آدمى عمرا وشرب من عين الحياة وقال الحسن وكل الخضر بالبحور والياس بالقيافي وانهما

فيه فهذا نال الله له فالناس لنا فيه
 تبع اليه ودغدا والنصارى بعد
 غد لفظ البخارى وعن ابى هريرة
 وحذيفة رضى الله عنهما قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أضل
 الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان
 لليهود يوم السبت وكان للنصارى
 يوم الاحد فجاء الله بنا فهذا نال الله
 ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت
 والاحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة
 نحن الآخرون من أهل الدنيا

يجمعان في موسم كل عام وروى ابن مرفوعا اليه صلى الله عليه وآله وسلم اجتماعهما عند
 ردم بأجوج وما جوج كل ليلة وفي سنة ممترو كان وقال النووي في التهذيب قال
 الاكثر من العلماء هو حي موجود بين اظهرنا وذلك متفق عليه بين الصوفية وأهل
 الصلاح والمعرفة وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به والاخذ عنه وسؤاله ووجوده في
 المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من ان تحصى وأشهر من أن تذكر قال ابن
 الصلاح هو حي عند جماهير العلماء والصلحاء والعامّة منهم وانما شدنا نكاره بعض المحدثين
 وقال بعضهم ان لكل زمان خضرا وهي دعوى لا دليل عليها وقال السهيلي اسمه عاميل
 وان أباه كان ملكا وانه الرجل الذي يقتله الدجال ثم يحييه وقال البخاري وطائفة من أهل
 الحديث انه مات قبل انقضاء مائة سنة من الهجرة ونصره أبو بكر بن العربي لقوله صلى
 الله عليه وآله وسلم في آخر حياته لا يبقى على وجه الارض بعد مائة سنة من هو عليها اليوم
 وله ألفاظ عند الشيخين وغيرهم ما عن جابر وابن عمر وأجاب من أثبت حياته بانه كان
 حينئذ على وجه البحر وما أبر هذا الجواب وأبعده عن الصواب وأما اجتماعه مع النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم وتعزيتة لاهل البيت وهم مجتمعون لغسله صلى الله عليه وآله وسلم
 فقال لهم على هو الخضر فقد ذكره ابن عبد البر في التمهيد و قيل اجتمع الياس مع النبي صلى
 الله عليه وآله وسلم واذا جاز ذلك جاز لقاء الخضر رواه ابن أبي الدنيا عن أنس وتعقبه الحافظ
 أبو الخطاب بن دحية وقال لم يصح من طرقه شيء ولا يثبت اجتماعه مع أحد من الانبياء
 الا مع موسى كما قصه الله من خبره وجميع ما ورد في حياته لا يصح منه شيء بانفاق أهل
 النقل وأما ما جاء من المشايخ فهو مما يتعجب منه كيف يجوز لعاقل ان يلقى شيئا لا يعرفه
 فيقول له أنا فلان فيصدقه وحديث التعزية المتقدم موضوع وفيه ابن محرز متروك قال
 مسلم صاحب الصحيح فلما رأيته كانت بعرة أحب الي منه وما روى عن أنس فموضوع أيضا
 وقد نقل تكذيبه عن أحمد ويحيى واسحق وأبي زرعة وسياق المتن ظاهر النكارة وانه من
 المجازفات وتمسك من قال بتعميره بقصة عين الحياة واستند الى ما وقع من ذكره في صحيح
 البخاري وجامع الترمذي لكن لم يثبت ذلك مرفوعا وأخرج الطبراني في المعجم الكبير حديثا
 طويلا عن أبي امامة الباهلي مرفوعا اليه صلى الله عليه وآله وسلم في قصة الخضر يدل على
 كونه نبيا وسنده حسن لولا عنعنة بقرته وهو ضعيف وقد ذهب الى ان الخضر مات على بن
 موسى الرضا والبخاري وأنكر ان يكون باقيا للحديث المتقدم وهو عمدة من تمسك بانه
 مات قال أبو حيان في تفسيره الجهور على ان الخضر مات وبه قال ابن أبي الفضل المرسي
 لانه لو كان حيا لزمه الجحى الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم والايان به واتباعه وقد روى
 عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لو كان موسى حيا ما وسعها الاتباع وبذلك جزم ابن
 المناوي وابراهيم الحربي وأبو طاهر العبادي وأخرج مسلم من حديث جابر قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل موته بشهر أقسم بالله ما على الارض نفس منه وسوسة يأتي
 عليها مائة سنة وله ألفاظ وطرق عند الترمذي وغيره وعن جزم انه غير موجود الا أن أبو
 يعلى الحنبلي وأبو الفضل بن ناصر والقاضي أبو بكر بن العربي وأبو بكر بن النقاش وابن
 الجوزي واستدل على ذلك بادلة منها ما تقدم ومنها قوله تعالى وما جعلنا البشر من قبلك

والاولون يوم القيامة والمقضى
 بينهم قبل الخلاق رواه مسلم (ادع
 الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
 الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن
 ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله
 وهو أعلم بالمهتدين) يقول تعالى
 أمر رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم
 ان يدعو الخلق الى الله بالحكمة
 قال ابن جرير وهو ما نزله عليه من
 الكتاب والسنة والموعظة الحسنة
 أي بما فيه من الزواجر والوفائع
 بالناس ذكرهم بها يحذروا بأس
 الله تعالى وقوله وجادلهم بالتي هي

الخلد أفان مت فهم الخالدون قال ابن عباس ما بعث الله نبيا الا أخذ عليه الميثاق ان بعث محمد وهو سخي ليؤمنن به ولينصرنه أخرجه البخارى فلو كان الخضر موجودا لجا الىه ونصره سيده ولسانه وقاتل تحت رايته ولم يأت في خبر صحيح انه جاء الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو قاتل معه قال أبو الحسين بن المناوى بحثت عن نعيم الخضر وهل هو باق أم لا فإذا أكثر المغفلين مغترون بانها باق من أجل ما روى في ذلك والاحاديث المرفوعة في ذلك واهية والسند الى أهل الكتاب ساقط لعدم ثقتهم وخبر مسلمة بن مصقلة كالتخرافة وخبر رياح كالريح وما عدد ذلك من الاخبار كلها واهية الصدور والاعجاز لا يتخلوها عن أمرين اما أن تكون أدخلت على الثقات استغفالا او يكون بعضهم تعمدا ذلك وقد قال الله تعالى وما جعلنا للبشر من قبلك الخلد وفي تفسير الاصفهاني عن الحسن ان الخضر مات وقد مر عنه أيضا انه سخي واذ ان عارضات ساقطا واحتج ابن الجوزي أيضا بما ثبت في صحيح البخارى ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم بدر اللهم ان تهلك هذه العصابة لانعبد في الارض ولم يكن الخضر فيهم ولو كان يومئذ حيا لورد على هذا العموم فانه كان ممن يعبد قطعاً وقد بسط الحافظ بن حجر العسقلاني القول في بيان أحوال الخضر وأخباره قبل بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والتي وردت ان الخضر والياس كانا في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم بعده الى الآن وما جاء في بقائه بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن نقل عنه انه رأى وكلمه في أبواب مستقلة من كتابه الاصابة في معرفة الصحابة وتكلم على أسانيد هاجرها وتعديلا وغالبا لا يتخلو عن علة أو ضعف أو انقطاع أو أعضال أو وضع أو نكارة أو شذوذ ولا يصلح شيء للاستدلال على حياة الخضر وبقائه الى الآن أو الى خروج الدجال والحق ما ذكرناه عن البخارى واضرا به في ذلك ولا حجة في قول أحد كاتبنا من كان الا الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يرد في ذلك نص مقطوع به ولا حديث مرفوع اليه صلى الله عليه وآله وسلم حتى يعتمد عليه ويصار اليه وظاهر الكتاب والسنة نفي الخلد وطول التعمير لاحد من البشر وهما قاضيان على غيرهما ولا يقضى غيرهما عليهما ومن قال انه نبي أو مرسل أو سخي باق لم يأت بحجة تبرة ولا سلطان مبين واذ اجابهم الله بطل نهر معقل وقد تكلم الحافظ على هذا الباب في فتح الباري أيضا فن شاء الاطلاع على تفصيل ذلك فليرجع اليه وباللغة التوفيق ومنه الفتح والاصابة ولما اجاب سبحانه عن سؤالين من سؤالات اليهود وانتهى الكلام الى حيث انتهى شرع سبحانه في السؤال الثالث والجواب عنه فالمراد بالسائلين في قوله (ويستلونك) هم اليهود أى سؤال تعنت (عن ذى القرنين) واختلافه وافية اختلافا كثيرا فقيل هو الاسكندر بن فيلقوس الذي ملك الدنيا كلها باسمها اليوناني باني الاسكندرية وقال ابن اسحق هورجل من أهل مصر اسمه مرزبان بن مرزبة اليوناني من ولد يونان بن يافت بن نوح وقيل هو ملك اسمه هرمس وقيل هردس وقيل شاب من الروم وقيل كان نبيا وقيل كان عبدا صالحا وقيل اسمه عبد الله بن الضحالك وقيل مصعب بن عبد الله من أولاد كهلان بن سباح حكي القرطبي عن المهدي انه قال ان الظاهر من علم الاخبار انها اثنتان أحدهما كان على عهد ابراهيم

أحسن أى من احتياج منهم الى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق وحسن خطاب كقوله تعالى ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم الآية فأمره تعالى بلين الجانب كما أمر به موسى وهرون عليهما السلام حين بعثهما الى فرعون في قوله فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى وقوله ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله الآية اي قد علم الشقي منهم والسعيد وكتب ذلك عنده وفرغ منه فادعهم الى الله ولا تذهب نفسك

عليه السلام والآخر كان قرييما من عيسى عليه السلام وقيل هو أبو كرب الجهمي وقيل هو ملك من الملائكة ورجح الرازي القول الاول قال لان من بلغ ملكه من السعة والقوة الى الغاية التي نطق بها التنزيل انما هو اسكندر اليوناني كما يشهد به كتب التواريخ قال فوجب القطع بان ذا القرنين هو الاسكندر قال وفيه اشكال لانه كان تلميذا لارسطاطليس الحكيم وكان على مذهبه فتعظيم الله اياه يوجب الحكم بان مذهب ارسطاطليس حق وصدق وذلك مما لا سبيل اليه قال النيسابوري قلت ليس كل ما ذهب اليه الفلاسفة باطلا فلهذا أخذ منهم ما صفا وترك ما كدر والله أعلم ورجح ابن كثير ما ذكره السهيلي من انهما اثنان كما قدمنا ذلك وبين ان الاول طاف بالبيت مع ابراهيم اول ما بناه وامن به واتبعه وكان وزيره الخضر واما الثاني فهو الاسكندر المقدوني اليوناني وكان وزيره الفيلسوف المشهور ارسطاطليس وكان قبل المسيح بنحو من ثلاثمائة سنة فاما الاول المذكور في القرآن فكان في زمن الخليل هذا معنى ما ذكره ابن كثير في تفسيره راوياله عن الازرقى وغيره ثم قال وقد ذكرنا طرفا لصالحا في اخباره في كتاب البداية والنهاية بما فيه كفاية وحكى أبو السعود في تفسيره عن ابن كثير انه قال وانما بناه هذا يعني انهما اثنان لان كثيرا من الناس يعتقد انهما واحد وان المذكور في القرآن العظيم هو هذا المتأخر فيقع بذلك خطأ كثيرا وفساد كبير كيف لا والاول كان عبدا صالحا مؤمنا وملكا عادلا ووزيره الخضر وقد قيل انه كان نبيا واما الثاني فقد كان كافرا ووزيره ارسطاطليس الفيلسوف وكان بينهما من الزمان أكثر من التي سنة فإين هذا من ذلك انتهى قلت لعل ذلك في الكتاب الذي ذكره سابقا وسماه بالبدية والنهاية ولم نقف عليه والذي يستفاد من كتب التاريخ هو انهما اثنان كما ذكره السهيلي والازرقى وابن كثير وغيرهم لا كما ذكر الرازي وادعى انه الذي تشهد به كتب التواريخ وقد وقع الخلاف هل هو نبي أم لا وسيأتي ما يستفاد منه المطلوب قال شيخ الاسلام ابن تيمية في كتاب الرد على المنطقيين المشهور والمتواتر ان ارسطو وزير الاسكندر بن فيلبس كان قبل المسيح بنحو ثلاثمائة سنة وكثير من الجهال يحسب ان هذا هو ذا القرنين المذكور في القرآن ويعظم ارسطو بكونه كان وزيره كما ذكر ذلك ابن سينا وامثاله من الجهال باخبار الامم وهذا من جهلهم فان الاسكندر الذي وزيره ارسطو هو المقدوني الذي يؤرخ له تاريخ الروم المعروف عند اليهود والنصارى وهو انما ذهب الى ارض القدس لم يصل الى السد عند من يعرف اخباره وكان مشركا يعبد الاصنام وكذلك ارسطو وقومه كانوا مشركين يعبدون الاصنام وذا القرنين كان موحدا مؤمنا بالله وكان متقدما على هذا ومن سمي به الاسكندر ويقول هو الاسكندر بن فيلبس ولهذا كان هؤلاء المنطقيين انما راجوا على ابعده الناس عن العقل والدين كالترامطة والباطنية الذين ركبوا مذهبهم من فلسفة اليونان ودين الجوس وأظهور والرفض وجاهل المتصوفة وآهل الكلام وانما ينتفون في دولة جاهلية بعيدة عن العلم والايمان اما كفارا واما منافقين كما نفق منهم من نفق على المنافقين الملاحدة ثم نفق على المشركين الترك وكذلك انما ينتفون دائما على أعداء الله

على من ضل منهم حسرات فانه ليس عليك هداهم انما أنت نذير عليك البلاغ وعلينا الحساب انك لاتهدي من أحببت ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء الآية (وان عاقبتهم فعاقبوا بما عمل ما عوقبتهم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وصابر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولانك في ضيق مما يحزنون ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) يأمر تعالى بالعدل في القصاص والمساواة في استمغاة الحق كما قال عبد الرزاق عن الثوري

عن خالد بن سبير بن انه قال في قوله تعالى فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ان اخذ منكم رجل شيئا فخذوا مثله وكذا قال مجاهد و ابراهيم والحسن البصرى وغيرهم واختاره ابن جرير وقال ابن زيد كانوا قسداً أمر و ابا الصفيح عن المشركين فأسلم رجال ذو ومنعة فقالوا يا رسول الله لو أذن الله لنا لاتصرتنا من هذه الكلاب فنزلت هذه الآية ثم نسخ ذلك بالجهاد وقال محمد بن اسحق عن بعض أصحابه عن عطاء بن يسار

ورسوله من الكفار والمنافقين انتهى وأما السبب الذي لاجله سمي ذا القرنين فقال الزجاج والزهري انما سمي ذا القرنين لانه بلغ قرن الشمس من مطلعها وقرن الشمس من مغربها وقيل انه كان له صغيرتان من شعر والضفائر تسمى قرونا وقيل انه رأى في أول ملكه كأنه قابض على قرني الشمس فسمى بذلك وقيل كان له قرنان تحت عمامته وقيل انه دعا الى الله فشجبه قومه على قرنه ثم دعا الى الله فشجوه على قرنه الآخر وقيل انما سمي بذلك لانه كريم الطرفين من أهل بيت شرف من قبل آبيه وأمه وقيل لانه انقرض في وقته قرنان من الناس وهو حي وقيل لانه كان اذا قاتل قاتل بيديه وركبته جميعاً وقيل لانه أعطى علم الظاهر والباطن وقيل لانه دخل النور والظلمة وقيل لانه ملك فارس والروم وقيل لانه ملك الروم والترك وقيل لانه بلغ أقصى المغرب والمشرق والشمال والجنوب وهذا هو القدر المعمور من الارض وقيل لانه كان لتاجه قرنان وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أدري أتبع كان نبياً أم لا وما أدري أن ذوا القرنين كان نبياً أم لا وما أدري الحدود كفارات لاهلها أم لا أخرجه عبد الرزاق ابن المنذر والحاكم وصححه وغيرهم وعن علي بن أبي طالب قال لم يكن نبياً ولا ملكاً ولكن كان عبداً صالحاً أحب الله فأحبه الله ونصح لله فنصحه الله بعنه الله الى قوم فضر بوه على قرنه فقاتلهم ثم أحياه الله لجهادهم ثم بعنه الله الى قوم فضر بوه على قرنه الآخر فقاتلهم ثم أحياه الله لجهادهم فلذلك سمي ذا القرنين وان فيكم مثله وعن ابن عمر قال ذوا القرنين نبي وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال هو ملك يسبح الارض بالاسباب أخرجه ابن أبي حاتم عن الأحوص بن حكيم عن أبيه وعن عمر بن الخطاب انه سمع رجلاً ينادي بذي القرنين فقال ها أنتم قد سميت باسماء الانبياء فما بالكم وأسماء الملائكة وفي الباب غير ما ذكرناه مما يغني عنه ما قد وردناه وقد أخرج أبو الشيخ والبيهقي عن عقبه بن عامر الجهني حديثاً يتضمن ان نفر من اليهود سألو النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ذى القرنين فأخبرهم بما جاؤا له ابتداء وكان فيما أخبرهم به انه كان شاباً من الروم وانه بنى الاسكندرية وانه علاه ملك الى السماء وذهب به الى السند واسناده ضعيف وفيه منكرة وأكثر ما فيه انه من اخبار بني اسرائيل ذكر معنى هذا ابن كثير في تفسيره وعزاه الى ابن جرير والاموي في مغازيه ثم قال بعد ذلك والعجب ان أبا زرعة الرازي مع جلالة قدره ساقه بتسامه في كتابه دلائل النبوة انتهى وقد ساقه بتسامه السيوطي في الدر المنثور وساق أيضاً خبر اطول بلا عن وهب بن منبه وعزاه الى ابن اسحق وابن المنذر وغيرهم وفيه أشياء منكرة جدا وكذلك ذكر خبر اطول بلا عن محمد الباقر أخرجه أبو الشيخ وغيره ولعل هذه الاخبار ونحوها منقولة عن أهل الكتاب وقد أمرنا بأن لا نصدقهم ولا نكذبهم فيما نقلوه اليها واختلفوا أيضاً في وقته فقال قوم كان بعد موسى وقال قوم كان في الفترة بعد عيسى وقال قوم كان في وقت ابراهيم واسماعيل وقد حققنا ذلك في لقطه العجيان فراجعه وبالجملة فان الله مكنه وملكه ودانت له الملوك وروى ان الذين ملكوا الدنيا كلها أربعة مؤمنان وكافران فالؤمنان سليمان بن داود والاسكندر والكافران نمر وذو بختنصر وسيلكها من هذه الامم خامس لقوله

تعالى ليظهره على الدين كله وهو المهدي ذكره القرطبي وعن السدي قال قالت اليهود
 للنبي صلى الله عليه وآله وسلم انك انما تذكرا ابراهيم وموسى وعيسى والنبين انك سمعت
 ذكرهم منا فاخبرنا عن نبي لم يذكروه الله في التوراة الا في مكان واحد قال ومن
 هو قالوا ذوالقرنين قال ما بلغني عنه شيء فخر جوا فرحين قد غلبوا في انفسهم فلم يبلغوا
 باب البيت حتى نزل جبريل بهذه الايات ويستأونك عن ذى القرنين (قل سأتلو عليكم)
 أيها السائلون (منه) أي من ذى القرنين (ذكرنا) خبرا وذلك بطريق الوحي
 المتلو ثم عر سبجانه في بيان ما أمر به رسوله ان يقوله لهم من انه سيتلو عليهم منه ذكرا
 فقال (انما كاله في الارض) أي أقدرناه بما هذناه من الاسباب فجعلنا له مكنة
 وقدرة على التصرف فيها وسهل عليه المسير في مواضعها وذلك له طرقها حتى تمكن
 منها أين شاء وكيف شاء ومن جملة ما كينه فيها ان جعل الله الليل والنهار عليه سواء
 في الاضاءة (وآتيانه من كل شيء) مما يتعلق بمطالوبه أو مما يحتاج اليه الخلق (سببا)
 أي طريقا يتوصل بها الى ما يريد كآلات السير وكثرة الخندق واستقصاء بقاع الارض
 والوصول الى عين الحياة وقال ابن عباس سببا أي علما وقال أيضا بلانا الى حيث أراد
 قال المقسمون والمعنى طريقا تؤدي الى مغرب الشمس قاله الزجاج وقيل من كل شيء
 يستعين به المولود من فتح المداين وقهر الاعداء وأصل السبب الجبل فاستعير لكل
 ما يتوصل به الى شيء (فاتبع سببا) سلك طريقا نحو المغرب قال الاخفش تبعته وأتبعته
 بمعنى مثل ردفته وأردفته ومنه قوله تعالى فاتبعه شهاب وحكي الاصمعي انه يقال تبعته
 واتبعته اذا سار ولم يلحقه واتبعه اذا لحقه قال أبو عبيدة ومثله فاتبعوهم مشرقين قال
 النحاس وهذا من الفرق وان كان الاصمعي قد حكاه فلا يقبل الابعلم أو دليل وقوله
 عز وجل فاتبعوهم مشرقين ليس في الحديث انهم لحقوهم وانما في الحديث لما خرج
 موسى وأصحابه من البحر وحصل فرعون وأصحابه في البحر انطبق عليهم البحر والحق
 في هذا ان تبع واتبع وأتبع اغتات بمعنى واحد وهو بمعنى السير (حتى اذا بلغ مغرب
 الشمس) أي انما في الارض من جهة المغرب وآخرة العمارة منها لان من وراء هذه النهاية
 البحر المحيط وهو لا يمكن المضي فيه فلما لم يبق قدامه سبط بل مياه لا آخر لها (وجدها) أي
 رأى الشمس (تعرب في عين جمجمة) أي كثيرة الحجارة وهي الطينة السوداء يقال جمات البحر
 بالتسكين اذا نزلت جماتها وجمات البحر جمات البحر كثر جماتها وقرى حامية من الحجارة
 أي حارة وقد يجمع بين القراءتين فيقال كانت حارة وذات جمجمة قال كعب أما أنا فاني
 أجد في التوراة تعرب الشمس في ماء وطين وأشار بيده الى المغرب وأشار ابن أبي حاصر
 فرأى مغيب الشمس عند غروبها * في عين ذى خلب وناط حرمد
 فقال ابن عباس ما الخلب قال الطين بكلامهم قال فما الناط قال الجمجمة قال فما الحرمد
 قال الاسود فدعا ابن عباس غلاما فقال اكتب ما يقول هذا الرجل قيل ولعل ذا القرنين
 لما بلغ ساحل البحر المحيط رآها كذلك في نظره اذ لم يكن في مطعم بصره غير الماء ولذلك قال
 وجدها تعرب ولم يقل كانت تعرب قاله البيضاوي يعني على العادة من ان الشخص اذا

قال نزلت سورة النحل كلها بمكة
 وهي مكية الا ثلاث آيات من آخرها
 نزلت بالمدينة بعد احدى حين قتل
 حمزة رضي الله عنه ومثله فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
 أظهر في الله عليهم لا مثلن بثلاثين
 رجلا منهم فلما سمع المسلمون ذلك

كان في البحر يرى الشمس كأنها تغرب فيه قيل وتسمية البحر المحيط علينا المحذور فيه خصوصاً وهو بالنسبة إلى ما هو أعظم منه في علم الله وفي القرطبي قال بعض العلماء ليس المراد أنه انتهى إلى الشمس مغرباً ومشرقاً حتى وصل إلى بحرهما ومسها لأنها تدور مع السماء حول الأرض من غير أن تلتصق بالأرض وهي أعظم من أن تدخل في عين من عيون الأرض لأنها أكبر من الأرض أضعافاً مضاعفة بل المراد أنه انتهى إلى آخر العمارة من جهتي المغرب والمشرق فوجدتها في رأي العين تغرب في عين حجة كما أنا نشاهدناها في الأرض الملساء كأنها تدخل في الأرض ولهذا قال وجدناها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً ولم يردناهم انطلع عليهم - بيان تماسمهم وتلاصقهم بل أراد أنهم أول من تطلع عليه وقال القتيبي ويجوز أن تكون هذه العين من البحر وتكون الشمس تغيب وراءها أو عندها أو معها في مقام حرف الصفة مقام صاحبه والله أعلم انتهى أقول ولا يبعد أن يقال لا مانع من أن يتمكن الله من عبور البحر حتى يصل إلى تلك العين التي تغرب فيها الشمس وما المانع من هذا بعد أن حكى الله عنه أنه باخ مشرق الشمس وممكن له في الأرض والبحر من جلته ومجرد الاستبعاد لا يوجب حمل القرآن على خلاف ظاهره قال الكرخي قالته تعالى قادر على تصغير جرم الشمس وتوسيع العين وكرة الأرض بحيث تسع عين الماء عين الشمس فلم لا يجوز ذلك وان كنا لا نعلم له بقصور عقولنا عن الاحاطة بذلك وأيضا الانبياء والحكماء لا يبعد أن يقع منهم مثل ذلك ألا ترى إلى ظن موسى فيما أنكره على الخضر انتهى (ووجد عندها) أي عند العين أو الشمس (قوما) قيل هم قوم عرابة باسهم جلود الوحش وطعامهم مال لفظ البحر كانوا كفاراً قاله البيضاوي ومن المعلوم أن الكفر انما يتحقق بعد بعثة رسول وعدم ايمانهم به ولينظر أي رسول أرسل إلى هؤلاء حتى كفر وابه هذا والظاهر أنهم كانوا أهل فترة لم يرسل اليهم أحد ولما جاءهم ذوالقرنين دعاهم إلى مله ابراهيم فمنهم من آمن ومنهم من كفر فخبره الله بين ان يعذبهم وبين ان يتركهم فقال (قلنا يا ذوالقرنين) يستدل بها من يزعم انه كان نبياً فان الله خاطبه بالوحى ومن قال انه لم يكن نبياً أوله بالالهام ويحتمل أن يكون الخطاب على لسان نبي غيره (أما أن تعذب) ايهاهم بالقتل من أول الامر (وأما أن تتخذ فيهم حسناً) أي أمر إذا حسن أو أمر احساناً ما لغة يجعل المصدر صفة للامر والمراد دعوتهم إلى الحق وتعليمهم الشرائع قيل واما التقسيم دون التخيير أي ليكن شأنك معهم ما التعتدب واما الاحسان فالاول لمن أصر على الكفر والثاني لمن تاب منه والاول أولى (قال) ذوالقرنين مختاراً للدعوة التي هي الشق الاخير من التردد (أما من ظلم) نفسه بالاصرار على الشرك ولم يقبل دعوتي (فسوف نعذبه) بالقتل في الدنيا (ثم يرد إلى ربه) في الآخرة (فيعذبه) فيها (عدا بانكرا) اي منكر افضلياً شديداً بالشار لأنها أتكر من القتل قال الزجاج خبره الله بين الامرين قال النحاس ورد على ابن سليمان قوله لأنه لم يصب ان ذوالقرنين نبي فيخاطب به إذ كيف يقول لربه عز وجل ثم يرد إلى ربه وكيف يقول فسوف نعذبه فيخاطبه بالنون قال والتقدير قلنا يا محمد قالوا يا ذوالقرنين قال النحاس وهذا الذي ذكره لا يلزم بل واز أن يكون الله عز وجل خاطبه على

قالوا والله لن نظهرنا عليهم لئلا نؤمن بهم مثله لم يعثها أحد من العرب باحداً قط فانزل الله وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به إلى آخر السورة وهذا مرسل وفيه مبهم لم يسم وقد روي هذا من وجه آخر متصل فقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا الحسن بن يحيى حدثنا عمرو ابن عاصم حدثنا صالح المري عن

لسان نبي في وقته وكان ذوا القرنين خاطب أولئك القوم فلا يلزم ما ذكره ويمكن أن يكون
مخاطب النبي الذي خاطبه الله على لسانه أو خاطب قومه الذي وصل بهم اسم إلى ذلك الموضع
(وأما من آمن) بالله وصدق دعوتى (وعمل) عملاً (صالحاً) مما يقتضيه الإيمان (فله جزاء
الحسنى) ينصب جزاءه وتنوئته قال القراء نضبه على التميز وقال الزجاج هو مصدر
في موضع الحال أى مجزى بأجزاء وقرباً بالاضافة أى جزاء الخصلة الحسنى عند الله
أو القولة الحسنى وهى الجنة قاله القراء وقيل اضافة الجزاء إلى الحسنى التى هى الجنة
كضافة حق اليقين ودار الآخرة ويجوز أن يكون هذا الجزاء من ذى القرنين أى أعطيه
وأفضل عليه (وسنقول له) أى لمن آمن (من أمرنا يسراً) أى مما نأمر به قولاً لا يسر
ليس بالصعب الشاق وأطلق عليه المصدر بالغة (ثم أتبع سبباً) أى سلك طريقاً آخر غير
الطريق الأولى وهى التى رجع بهم من المغرب وسار فيها إلى المشرق واستقر فيه لا يعل
ولا تعلمه أمة مرت عليها (حتى إذا بلغ) فى مسيره ذلك (مطلع الشمس) أى الموضع الذى تطلع
عليه الشمس أو لمن معمر الأرض أو مكان طلوعها لعدم المانع شرعاً ولا عقلاً من
وصوله اليه كما أوضحناه فيما سبق قيل بلغه فى ثنى عشرة سنة وقيل فى أقل من ذلك بناء على
انه سخر له السحاب وطويت له الأسباب (وجدها تطلع على قوم) قيل هم الزنج وقيل هم
من نسل مؤمنى قوم هود واسم مدينتهم حاحمالق واسمها بالسريانية مرة سا وهم مجاورون
يأجوج وما جوج (لم نجعل لهم من دونها) أى الشمس (سترًا) يسترهم لامن البيوت
والسقوف ولامن اللباس بل هم حفاة عراة لا يأوون الى شىء من العمارة قيل لانهم بأرض
لا يمكن ان يستقر عليها البناء قال كعب أرضهم لاتمسك الابنية لرخاوتها وبها أسراب
فاذا طلعت الشمس دخلوها فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم قال الزخسرى وعن
بعضهم قال خرجت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء القوم ف قيل لى بينك وبينهم
مسيرة يوم وليلة قبلتهم واذا أحدهم يفرش احدى أذنيه ويلتحف الاخرى فلما قرب
طلوع الشمس سمعت صوتاً كههيئة الصلصلة تغشى على ثم أفقت فلما طلعت الشمس
فأداهى فوق الماء كههيئة الزيت فادخلونى سربالهم فلما طلع النهار جمعوا بصطادون
السماك ويطرحونه فى الشمس فينضج لهم وقال مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان
عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الأرض وفى كتب الهيئة ان أكثر حال الزنج
كذلك وكذا حال كل من سكن البلاد القرية من خط الاستواء (كذلك وقد أحطنا بما
لديه خيراً) أى كذلك أمر ذى القرنين اتبع هذه الأسباب حتى بلغ وقد علمنا حين ملكناه
ما عنده من الصلاحية لذلك الملك والاستقلال به ومن الآلات والجنود وغيرها وقيل
المعنى لم نجعل لهم سترًا مثل ذلك الستر الذى جعلنا لكم من الابنية والثياب وقيل المعنى
وكذلك بلغ مطلع الشمس مثل ما بلغ من مغربها وقيل المعنى كذلك يطلع على قوم مثل
ذلك القبيل الذى تغرب عليهم ففضى فى هؤلاء مثل ما فضى فى أولئك من تعذيب الظالمين
والاحسان الى المؤمنين وهو الاصح ويكون تأويل الاحاطة بما لديه فى هذه على
ما يناسب ذلك كما قلنا فى الوجه الاول ثم حكى سبحانه سفر ذى القرنين الى ناحية أخرى

سليمان التيمي عن ابى عثمان عن
ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقف على
جزيرة بن عبد المطلب رضى الله عنه
حين استشهد فنظر الى منظر لم ينظر
الى منظر أو وجع للقلب منه أو قال
لقلبه فنظر اليه وقدم له فقال
رحمة الله عليك ان كنت لما علمت
لوصول للرحم فعول للخيرات والله

وهي ناحية القطر الشمالي بعد تهيئة أسبابه فقال (ثم اتبع سببا) أي سلك طريقا ثالثا
 معترضا بين المشرق والمغرب واستمر أخذافيه (حتى إذا بلغ) في مسيره ذلك (بين
 السدين) بفتح السين وقرئ بضمها وهما سبعيتان وقال أبو عبيدة وابن الأباري وأبو عمرو
 ابن العلاء السدان كان يخلق الله تعالى فهو بضم السين حتى يكون بمعنى منقول أي هو
 مما فعله الله وخلقوه وان كان من عمل العباد فهو بالفتح حتى يكون حديثا وقال ابن
 الأعرابي كل ما قابلك فسد ما وراءه فهو سد وسد نحو الضعف والضعف والفقر والفقر
 والسدان هما جبلان من قبل ارمينية وأذربيجان قاله ابن عباس وقيل موضع بين
 السدين هو منقطع أرض الترك مما يلي المشرق وقيل هما جبلان عالين جدا ألسان
 لا يستطيع الصعود عليهما كالسد الآتي ويسمى كل واحد منهما سدا لأنه سد فخاج الأرض
 وفي الشهاب اطلاق السد على الجبل لأنه سد في الجملة وفي القاموس السد الجبل والحاجز
 أو لكونه ملاصقا للسد فهو مجاز بعلاقة الجاورة وحكي ابن جرير في تاريخه ان صاحب
 أذربيجان أيام فتحها ووجه انسا من ناحية الخزر فشاهاهه ووصف انه بنيان رفيع وراء
 خندق وثيق منيع وحكي ان الواثق بعث بعض من يثق به اليه ليعاينوه فخرجوا من باب
 من الابواب حتى وصلوا اليه وشاهدوه فوصفوا انه بناء من لبن حديد مشدود بالنحاس
 المذاب وعليه باب مقفل وقيل جبلان في أواخر الشمال قال الرازي والظاهر ان موضع
 السدين في ناحية الشمال سد الاسكندر ما بينهما أي الفتحة وطولها مائة فرسخ وليس
 ليأجوج وما جوج طريق يخرجون منها إلى أرض العمارة الا هذه الفتحة ومسكنهم وراء
 هذين الجبلين وأرضهم متسعة جدا تنتهي إلى البحر المحيط (ووجد من دونهما) أي من
 وراءهما مجاوزا عنهما وقيل أمامهما أي خارجة عنهما لا داخلية بناحية بأجوج وما جوج
 وقال الخطيب بقرينهما من الجانب الذي هو أدنى منهما إلى الجهة التي أتى منها ذو القرنين
 (قوما) أي أمة من الناس لغتهم في غاية البعد من لغات بقية الناس ابعدهم من بقية
 البلاد فلذا (لا يكادون) أي لا يقربون (يقفهون) أي يفهمون (قولا) ممن مع
 ذي القرنين فهم اجمدا كما يفهم غيرهم لغاتهم وقله فطنتهم وقرئ بضم الياء وكسر
 القاف من أدقسه اذا أبان أي لا يبينون لغتهم كلاما وقرئ بفتح الياء والقاف أي
لا يفهمون كلام غيرهم والقراءتان صحیحتان ومعناها ما لا يفهمون عن غيرهم ولا
 يفهمون غيرهم لانهم لا يعرفون غير لغة أنفسهم ولسانهم غريب مجهول لشدة عجمتهم
 فكلامهم مغلق قال ابن جرير هم الترك (قالوا) أي هؤلاء القوم الذين لا يفهمون قولا
 (بأذا القرنين) وهو الاسكندر الا كبير قيل ان فهمه لكلامهم من جملة الاسباب التي
 أعطاها الله وقيل انهم قالوا ذلك لترجمانهم فقال لذی القرنين بما قالوا له وذلك لانهم من
 أولاد يافث بن نوح وذو القرنين من أولاد سام فلا يفهم لغتهم (ان يأجوج وما جوج)
 اسمان مجميان لا اشتقاق لهما بدليل منع صرفهما للعلمية والعجمية وبه قال الاكثر وقيل
 عربيان مشتقان من أبح الظلم في مشيه اذا هرول وتأبجت النار اذا تلهبت وقرأهما
 الجمهور بغيرهمز وقرأ عاصم بالهمز قال ابن الأباري ووجه همزهما وان لم يعرف له أصل

لولا حزن من بعدك عليك لسرني ان
 أترك كل حتى يحسرك الله من بطون
 السباع أو كلمة نحوها أما والله على
 ذلك لا مثلن بسبعين كمثلك فتزل
 جبريل عليه السلام على محمد بهذه
 السورة وقرأ وان عاقبتهم فعاقبوا
 بمثل ما عوقبتهم به إلى آخر الآية
 فكفر رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يعني عن يمينه وأمسك عن ذلك

ان العرب قد همزت حروفها لا يعرف للهمزة فيها أصل كقولهم كبأث ورنأث واستشأث
الريح ويحتمل أن تكون الهمزة أصلاً ولا الالف بدلاً عنها أو بالعكس لان العرب تتلاعب
بالاسماء العجيبة قال أبو علي يجوز أن يكونا عريين فن همزة فهو على وزن ينفعول مثل
يربوع ومن لم همزاً يمكن أن يكون خفف الهمزة فقلبها ألفاً مثل رأس وأما ما جوح فهو
مفعول من أبحر والكاملتان من أصل واحد في الاشتقاق قال وترك الصرف فيهما على
تقدير كونهما عريين للتأنيث والتعريف كأنه اسم للقبيلة وقيل اشتقاقهما من الأوجه
وهي الاختلاط أو شدة الحر وقيل من الأوج وهو سرعة العدو واختلف في نسبتهم فقيل
هم من ولد يافث بن نوح والترك منهم وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجليل والديلم
وقال كعب الاحبار احتلم آدم فاختلف ماؤه بالتراب فخلقوا من ذلك الماء قال القرطبي
وهذا فيه نظر لان الانبياء لا يمتلون وانما هم من ولد يافث كذلك قال مقاتل وغيره وقد
وقع الخلاف في صفتهم فن الناس من يصفهم بصغر الجثث وقصر القامة ومنهم من يصفهم
بكبر الجثث وطول القامة ومنهم من يقول لهم محالب كخالب السباع وان منهم صنفاً
يفترش احدى اذنيه ويلتحف بالآخرى ولاهل العلم من السلف ومن بعدهم أخبار مختلفة
في صفاتهم وأفعالهم قال ابن عباس يأجوج ومأجوج شبر وشبران وأطولهم ثلاث
أشبار وهم من ولد آدم وفيه بعد وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان
يأجوج ومأجوج من ولد آدم ولو أرسلوا لافسدوا على الناس معاشهم ولا يموت منهم
رجل الا ترك من ذريته ألفاً فصاعداً وان من وراثة ثلاث أمم تاويل وناريس ومنسك
آخرجه الطبراني وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي وغيرهم قيل هم عشرة أجزاء وولد آدم
كلهم جزء ومسافة الأرض بقامها خمسة مائة عام ثمانمائة بحار ومائة وتسعون مسكن
لهم بقى عشرة سبعة للجيشة وثلاثة لجله الخلق غيرهم وهم كفار عاهم النبي صلى الله
عليه وآله وسلم الى الايمان ليله الاسراء فلم يجيبوا والله أعلم (مفسدون في الارض)
بالنهب والبغى عند خروجهم وقيل سيفسدون بعد خروجهم البنا واختلف في افسادهم
في الارض فقيل هو كل بني آدم وقيل هو الظلم والغشم والقتل وسائر وجوه الافساد
وقيل كانوا يخرجون الى أرض هؤلاء القوم الذين شكواهم الى ذى القرنين في أيام
الربيع فلا يدعون فيها شيئاً أخضر الا كلوه ولا يابس الا جلوه وأدخلوه أرضهم وأخرج
أجدو الترمذى وحسنه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه والبيهقي في البعث عن
ابى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان يأجوج ومأجوج مفسدون
في الارض يحفرون السد كل يوم حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم
ارجعوا فستقومون غدا فيعودون اليه أشد ما كان حتى اذا بلغت مدتهم وأراد الله ان
يعذبهم على الناس حفروا حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم ارجعوا
فستقومون ان شاء الله تعالى ويستثنى فيعودون اليه وهو كهيمته حين تر كوه فيحفرونه
ويخرجون على الناس فيستقون المياه ويتحصن الناس منهم في حصونهم فيرمون
بسهامهم الى السماء فترجع مخضبة بالدماء فيقتولون قهراً من في الارض ويلونان من في

وهذا السناد فيه ضعف لان صالحاً
هو بشير المري ضعيف عند الأئمة
وقال البخارى هو منكر الحديث
وقال الشعبي وابن جرير خرجت
في قول المسلمين يوم أحد فيمن مثل
بهم لتمثل بهم فانزل الله فيهم ذلك
وقال عبد الله بن الامام أحمد في
مسند أبيه حدثنا هدية بن عبد
الوالى المروزي حدثنا الفضل بن

السماء قسرا وعلوا فيسبغ الله عليهم نغفا في اقفا ثم فيهم لم يكون قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوالذي نفس محمد بيده ان دواب الارض لتسمن وتبظر وتشكر شكريا من لحومهم وقد ثبت في الصحيحين من حديث زينب بنت جحش قالت استيقظ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من نومه وهو محمر وجهه وهو يقول لا اله الا الله ويل للعرب من شرقا اقرب فتح اليوم من ردم بأجوج وأجوج مثل هذه وحلق قلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث وآخر جاحوهم من حديث ابى هريرة مر فوعا وقد ذكرنا تفصيل حالهم في صحيح الكرامة فراجعهم (فهل نجعل لك خراجا) هذا الاستفهام من باب حسن الادب مع ذى القرنين وقرئ خراجا قال الازهرى الخراج يقع على الضريبة ويقع على مال التقي ويقع على الجزية وعلى الغلة والخراج أيضا اسم لما يخرج من القرائض في الاموال والخرج المصدر وقال قطرب الخرج الجزية والخراج في الارض وقيل الخرج ما يخرج كل أحد من ماله والخراج ما يجبيه السلطان وقيل هما بمعنى واحد قال ابن عباس خراجاى أجز اعظيما وجعلنا من الاموال (على أن تجعل بيننا وبينهم سدا) اى رد ما حازنا بيننا وبينهم فلا يصلون اليها قال الخليل وسيبويه الضم هو الاسم والفتح المصدر وقال الكسافى الضم والفتح لغتان بمعنى واحد وقد سبق قريبا ما حكيناه عن ابى عمرو بن العلاء وابى عبيدة وابن الانبارى من الفرق بينهما وقال ابن ابى اسحق ما رأته عينك فهو سد بالضم وما لا ترى فهو سد بالفتح وقد قدمنا بيان من قرأ بالفتح وبالضم فى السدين (قال) لهم ذوالقرنين (ما مكنتي فيهم ربي) اى ما بسطه الله لى من المال والقدرة والمالك وفى قراءة سبعة بنون من غير ادغام (خير) من خرجكم الذى تجعلونه لى فلا حاجة لى اليه وأجعل لكم السد تبرعاً ثم طلب منهم المعاونة له فقال (فأعينونى بقوة) اى برجال منكم يعملون بايديهم أو أعينونى بالآلات البناء أو بمجموعهما قال الزجاج يعمل تعملونه معى (أجعل بينكم وبينهم ردا) حاجز احصينا وهذا جواب الامر والردم ما جعل بعضه على بعض حتى يتصل قال الهروى يقال ردمت الثملة أردمها بالكسر ردا اى سدتها والردم أيضا الاسم وهو السد وقيل الردم أبلغ من السد اذا سدك ما يسد به والردم وضع الشيء على الشيء من حجارة أو ترابا وتحوهما حتى يقوم من ذلك حجاب منسج ومنه ردم ثوبه اذا رقع برقع متكاثفة بعضها فوق بعض قال ابن عباس الردم هو أشد الحجاب (آتونى) اى أعطونى وناولونى (زبر الحديد) جمع زبرة كغرفة وغرف وهى القطعة قال الخليل الزبرة من الحديد القطعة الضخمة قال القراء معناه آتونى بها على قدر الحجارة التى يبنى بها فبنى بها وجعل بينها الحطب والنجم (حتى اذا ساوى بين الصدفين) بفتح الحرفين وضمهما وضم الاول وسكون الثانى والثانى أشهر اللغات وقرئ بفتح الصاد وضم الدال قال الازهرى يقال لجانبى الجبل صدقان اذا تماخذا بالتصادفهما اى تلاقهما وكذا قال أبو عبيدة والهروى وقد يقال لكل بناء عظيم مرتفع صدق قاله أبو عبيدة وفى البيضاوى الصدفين من الصدف وهو الميل لان كلامهم ما منعزل عن الآخر ومنه اتصادف للتعابل وقال ابن عباس الصدفين الجبلين وقال مجاهد رؤس

موسى حدثنا عيسى بن عبيد عن الربيع بن أنس عن أبى العباس عن أبى بن كعب قال لما كان يوم أحد قتل من الانصار ستون رجلا ومن المهاجرين ستة فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن كان لنا يوم مثل هذا من المشركين لئن لم نهم فلما كان يوم الفتح قال رجل لا تعرف قرىش بعد اليوم

الجبليين ومعنى الآية أنهم أعطوه زبر الحديد فجعل بيني وبين الجبليين حتى ساواهما ثم
 (قال) للعملة (انفخوا) على هذه الزبر بالكيران (حتى اذا جعله) اي جعل ذلك المنهوخ
 فيه وهو الزبر (نارا) اي كالنار في حرها واسناد الجعل الى ذى القرنين مجازا لكونه الاصر
 بالنفخ قيل كان يأمر بوضع طاقه من الزبر والحجارة ثم يوقد عليها الخطب والفحم بالمنافخ
 حتى يحمى والحديد اذا اوقد عليه صار كالنار ثم يوقى بالنحاس المذاب فيفرغه على تلك
 الطاقه وهو معنى قوله (قال آتوني افرغ عليه قطرا) قال أهل اللغة هو النحاس الذائب
 وبه قال ابن عباس والافراغ الصب وكذا قال أكثر المفسرين وقالت طائفة القطر
 الحديد المذاب وقالت طائفة أخرى منهم ابن الانباري هو الرصاص المذاب فدخل القطر
 بين زبره فصارت شيئا واحدا قيل وهذا السدم عجزه عظيمة ظاهرة لان الزبرة الكبيرة اذا نفخ
 عليها حتى صارت كالنار لم يقدر احد على القرب منها والنفخ عليها لا يمكن الا بالقرب منها
 فكأنه تعالى صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن ابدان أولئك النافخين حتى تمكنوا من
 العمل فيه (فما استطاعوا) أصله فاستطاعوا قال ابن السكيت يقال ما استطيع وما
 استطيع وما استطيع وبالتخفيف قرأ الجهور وقرأ جزءه فاستطاعوا ابتشيد الطاء
 وهي قراءة ضعيفة الوجه قال أبو علي الفارسي هي غير جائزة وقرئ على الاصل (أن
 يظهره) اي يعاونه قاله ابن جريج وقال قتادة ان يرتقوه اي فاستطاع بأجوج وما جوج
 ان يعاونه على ذلك الردم لارتفاعه وملاسته فكان ارتفاعه مائتي ذراع وملاسته لا ينبت
 عليه قدم ولا غيره (وما استطاعوا له نقبا) يقال نقبت الحائط اذا خرقت فيه خر فانخلص
 ما وراءه قال الزجاج ما استطاعوا ان ينقبوه من أسفل لشدته وصلابته وسماكته وثخنه أي
 عرضه قيل ان عرضه خمسون ذراعا وطوله فرسخ وسعة الفتحة التي بين الجبليين مائة فرسخ
 (قال) ذوا القرنين مشير الى السد (هذا) السد أي الاقدار عليه (رحمة من ربي) اي
 أثر من آثار رحمة لهؤلاء المجاورين للسد ولبن خلفهم ممن يخشى عليه معرفتهم لولم يكن
 ذلك السد فهو نعمة لانه مانع من خروجهم (فاذا جاء وعد ربي) اي أجله ان يخرجوا منه
 وقيل هو مصدر بمعنى المفعول وهو يوم القيامة (جعله) الظاهر ان الجعل هنا بمعنى التصيير
 وعند ابن عطية بمعنى خلق وفيه بعد لانه اذ ذلك موجود (دكا) اي مستويا بالارض ومنه
 كلا اذا دكت الارض دكدا قال الترمذي أي مستويا يقال ناقه دكا اذا ذهب سنامها
 وقال القتيبي اي جعله مدكوكا ميسوطا ملصقا بالارض وقيل مساويا بالارض فيغور فيها
 أو يذوب حتى يصير ترابا وقال الحلبي قطعاً منكسرة ومن قرأ دكا بالمد أراد التشبيه بالناق
 الدكا وهي التي لا سنام لها أي مثل دكا لان السدم ذكر فلا يوصف بدكا وقرأ الباقر دكا
 بالتسوين على انه مصدر ومعناه ما تقدم ويجوز أن يكون مصدرا بمعنى الحال اي مدكوكا
 قال قتادة لا أدري آجبليين يعني به أم بينهما (وكان وعد ربي حقا) اي بخروجهم أو وعده
 بالثواب والعقاب أو الوعد المعهود حقا ثابتا لا يتخلف وهذا آخر قول ذى القرنين ثم قال
 الله تعالى (وتركنا بعضهم) اي بعض بأجوج وما جوج (يومئذ يوج في بعض) اي جعلنا
 وصيرنا بعضهم يومئذ يوج أو يوم خروج بأجوج وما جوج يختلط ويوج في بعض

فنادى ان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قد آمن الاسود والابيض الا
 فلانا وفلانا ناسا سماهم فانزل الله
 تبارك وتعالى وان عاقبتهم فعاقبوا
 بمثل ما عوقبتهم به الى آخر السورة
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 نصبر ولا نعاقب وهذه الآية الكريمة
 لها أمثال في القرآن فانها مشتقة
 على مشروعية العدل والتدب

آخر منهم يم يقال ما ج الناس اذا دخل بعضهم في بعض حيارى كجوج الماء والمعنى انهم
 يضطربون ويختلطون من شدة الازدحام عند خروجهم عقب موت الدجال فينجاز عيسى
 بالموثنين الى جبل الطور فرار منهم ثم يسلم الله عليهم دودا في انوفهم فيموتون به
 ولا يدخلون مكة ولا المدينة ولا بيت المقدس ولا يصلون الى من تحصن منهم يورد اذ كر
 وتسام قصتهم في كتابنا حجج الكرامة وقيل الضهير في بعضهم الخلق واليوم يوم القيامة أي
 وجعلنا بعض الخلق من الجن والانس يوج في بعض وقيل المعنى وتر كيا بجوج وما جوج
 يوم كمال السد وتسام عمارته بعضهم يوج في بعض (ونفخ في الصور) اي القرن للبعث
 وقد تقدم نفسه وفيه دليل على ان خروجهم من علامات قرب الساعة قيل هي النفخة
 الثانية بدليل قوله بعد (جمعناهم جمعا) فان الفاء تشعر بذلك ولم يذكر النفخة الاولى لان
 المقصود هنا ذكر احوال القيامة والمعنى جمعنا الخلائق بعد تلامي ابدانهم ومصيرها تاربا
 جمعنا تاربا على اكل صفة وابدع هيئة وأعجب أسلوب في صعيد واحد (وعرضنا جهنم
 يومئذ للكافرين عرضا) المراد بالعرض هنا الاظهار اي أظهرنا جهنم حتى شاهدوها يوم
 جمعنا لهم وفي ذلك وعيد للكفار عظيم لما يحصل معهم عند مشاهدتهم من الفزع والروعة
 ثم وصف الكافرين المذكورين بقوله (الذين كانت أعينهم في الدنيا اي أعين قلوبهم
 أي بصائرهم (في غطاء) اي غشاء وستر وهو ما غطى الشيء وستره من جميع الجوانب
 (عن) سبب (ذكرى) وهي الآيات التي يشاهدونها من تفكر واعتبار فيذكر الله
 بالتوحيد والتعجيد فاطاق المسبب على السبب وعن القرآن العظيم وتأمل معانيه وتدبر
 فوائده فهم عمي لا يهتمون به ثم لما وصفهم سبحانه بالعمى عن الدلائل التكوينية
 أو التنزيلية أو مجموعهما أراد ان يصفهم بالصم عن استماع الحق فقال (وكانوا
 لا يستطيعون) اي لا يعقلون (سما) قاله مجاهد وقيل لا يقدر على الاستماع لما فيه
 الحق من كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وآله وسلم لغلبة الشقاوة عليهم ولشدته
 عداوتهم لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم وهذا أبلغ مما لو قال وكانوا صم لان الصم
 قد يستطيع السمع اذا صيغ به وهو لا استطاعة لهم بالكيفية وفي ذكر غطاء العين وعدم
 استطاعة السمع تمثيل لتعاميمهم عن المشاهدة بالابصار واعراضهم عن الأدلة السمعية
 (أخسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء) الحسنان هنا بمعنى الظن
 والاستغناء للتقريب والتوبيخ والفاء للعطف على مقدر كظايره والمعنى أظنوا انهم
 ينتفعون بما عبدوه مع اعراضهم عن تدبر آيات الله وتمزدهم عن قبول الحق وعن على انه
 قرأ أخسب يجزم السين وضم الباء وعن عكرمة انه قرأ كذلك ومعناه أظنوا انهم يحسبون
 ان يتخذوا عيسى وعزير او الملائكة أربابا من دونه تعالى بل هم لهم أعداء يبرؤن منهم
 وقيل يعنى الشياطين أطاعوهم من دون الله والمعنى أظنوا ان الاتحاد المذكور لا يقضي
 ولا أعاقبهم عليه قال الزجاج المعنى أي يحسبون ان يفتعهم ذلك يريدان ذلك لا يكفيهم
 ولا يفتعهم عند الله كما حسبوا كلا (انا أعتدنا) هيا نأب جهنم للكافرين نزلا) يتمعون به
 عند ورودهم قال الزجاج النزول المأوى والمنزل وفي القاموس ما يقتضى ان كل منزل يقال

الى لفضل كافي قوله وجزء سيئة
 سيئة مثلها ثم قال فن عفا وأصلح
 فأجره على الله الآية وقال
 والجروح قصاص ثم قال فن
 تصدق به فهو كفارة له وقال في هذه
 الآية وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل
 ما عوقبتهم به ثم قال ولئن صبرتم لهو
 خير للصابرين وقوله تعالى واصبر
 وما صبرك الا بالله تأكيد للامر

له نزل ففي تقييده انزل فكان الضيف نظركما قال بعضهم انه الذي يعد للضيف وعلى هذا فيكون تمكيبهم كقوله فيشرهم بعذاب اليم والمعنى ان جهنم معدة لهم عندنا كما يعد المنزل للضيف (قل هل ينبتكم بالاخسر من اعمالا) جمع أخسر اى أشد خسرا منا من غيرهم أو بمعنى خاسر وجمع العمل للدلالة على ارادة الانواع منه عن مصعب بن سعد قال سألت ابي أهم الحورية قال لا هم اليهود والنصارى أما اليهود فكذبوا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأما النصارى فكفروا بالجنه وقالوا الاطعام فيها ولا شراب والحورية الذين يتقضون عهد الله من بعد مساقه وكان سعد يسبهم الفاسقين وعنه قال لا اولاد لهم أصحاب الصوامع والحورية قوم زانوا فإزاع الله قلوبهم وعن علي قال انهم الرهبان الذين حبسوا أنفسهم في السورى وعنه قال هم فجرة قريش وعنه قال لا أظن الا ان الخوارج منهم (الذين ضل) اى بطل وضاع (سعيهم) كالتحق والوقف وانعائه الملهوف لان الكفر لا تنفع معه طاعة (في الحياة الدنيا وهم يحسبون) اى والحال انهم يظنون (انهم يحسنون صنعا) عملا يجازون عليه وانهم منتفعون بآثاره (أو لئلك الذين كفروا بايات ربهم) مستأنفة مسوقه لبيان تكميل الخسران وسببه وهذا أولى الوجوه ومعنى كفرهم بالايات كفرهم بدلائل توحيدهم من الايات التكوينية والتمزيكية (ولقائه) اى كفره وبالبعث والحساب والثواب والعقاب وما بعده من أمور الآخرة ثم رتب على ذلك قوله (فحبطت أعمالهم) التي عملوها بما يظنونه حسنا وهو خسران وضلال ثم حكم عليهم بقوله (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) اى لا يكون لهم عندنا قدر ولا نعبأ بهم بل نزردهم ونستبدلهم وقيل لا يقيم لهم ميزان توزن به أعمالهم لان ذلك انما يكون لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين وهؤلاء لا حسنات لهم قال ابن الاعرابى العرب تقول ما لفلان عندنا وزن اى قدر حسنته ويوصف الرجل بأنه لا وزن له لخفته وسرعة طيشه وقوله تثبته والمعنى على هذا انهم لا يعتمد بهم ولا يكون لهم عند الله قدر ولا منزلة وقرأ مجاهد يقيم اى فلا يقيم الله وقرأ الباقون بالنون وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال انه لما أتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال اقرأ وان شئت فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ثم بين سبحانه عاقبة هؤلاء وما يؤل اليه امرهم فقال (ذلك) اى الذى ذكرناه من أنواع الوعيد وحبوط أعمالهم وخسة قدرهم (جزاؤهم جهنم) عطف بيان للجزاء والسبب فى ذلك انهم ضمو الى الكفر اتخاذهم آيات الله واتخاذ رسوله هزوا والباء فى (بما كفروا) للسببية (واتخذوا آياتى ورسلى هزوا) اى مهزوا بهم ثم ذكر سبحانه بعد هذا الوعيد هؤلاء الكفار الوعد للمؤمنين فقال (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات) اى جمعوا بينهما حتى كانوا على ضد صفة من قبلهم (كانت لهم) فيما سبق من علم الله لاهل طاعته قاله ابن التبارى (جنات الفردوس نزلا) قال المبرد الفردوس فيما سمعت من كلام العرب الشجر الملتف والاغلب عليه العنب واختار الزجاج ما قاله مجاهد ان الفردوس البستان باللغة الرومية وقيل كل ما حوط فهو فردوس والجمع فردايس وحكى الزجاج انها الاودية التى تثبت ضروبها من

بالصبر واخبار بان ذلك لا ينال
الابشيئة الله واعانتة وحوله
وقوته ثم قال تعالى ولا تحزن
عليهم اى على من خالفك فان الله
قدر ذلك ولا تك فى ضيق اى غم
مما يكرهون اى مما يجهدون
أنفسهم فى عدوتك وايصال
الشر اليك فان الله كافيك وناصرك
ومؤيدك ومظهرك ومظفرك بهم
وقوله ان الله مع الذين اتقوا
والذين هم محسنون اى معهم

الآخروا على عدم نفاذه فلا يستفاد من الآية الاكثره كلمات الله بحيث لا تضبطها عقول
 البشر اما أنها متناهية أو غير متناهية فلا دليل على ذلك في هذه الآية والحق ان كلمات
 الله تابعة لمعلوماته وهي غير متناهية فالكلمات غير متناهية (ولو جئنا بمثلها مددا) كلام
 من جهته سبحانه غير داخل تحت قوله قل لو كان البحر مائة زيادة مبالغة وتأكيد والواو
 اعطف ما بعده على جملة مقدره مدلول عليه بما قبلها أي لنفد البحر قبل ان تنفذ كلمات الله
 لو لم يجئ بمثلها مددا ولو جئنا بمثلها أي البحر مدد لنفد أيضا والمدد الزيادة وقرئ مددا وهي
 كذلك في مصحف أبي ثم أمر سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ان يسلك مسلك التواضع
 فقال (قل انما أنا بشر مثلكم) أي آدمي حالي مقصور على البشرية لا يتخطاها الى الملكية
 ومن كان هكذا فهو لا يدعى الاحاطة بكلمات الله الا انه امتاز عنهم بالوحي اليه من الله
 سبحانه فقال (يوشى الى) وكفى بهذا الوصف فارقا بينه وبين سائر أنواع البشر ثم بين
 ان الذي أوحى اليه هو قوله (انما الحكم الله واحد) لاشريك له في الألوهية والملك وفي هذا
 ارشاد الى التوحيد ثم أمرهم بالعمل الصالح والتوحيد فقال (فن كان يرجو لقاءه) (فن
 الرجاء توقع وصول الخير في المستقبل والمعنى من كان له هذا الرجاء الذي هو شأن المؤمنين
 ويخاف المصير اليه وقيل يؤمل رغبة ربه والبعث والجزاء (فليعمل عملا صالحا) هو
 ما دل الشرح على انه عمل خير يناب عليه فاعله أي مستوفيا للمعتبراته شرعا عن ابن عباس
 قال أنزلت في المشركين الذين عبدوا مع الله الها آخر غيره وليست هذه في المؤمنين
 (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) من خلقه سواء كان صالحا أو طالحا حيوانا أو جادا قال
 الماوردي قال جميع أهل التأويل في تفسير هذه الآية ان المعنى لا يراني بعمله أحدا
 وأقول ان دخول الشرك الخلق الذي كان يفعله المشركون تحت هذه الآية هو المقدم
 على دخول الشرك الخلق الذي هو الرياء والامانع من دخول هذا الخلق تحتها انما المانع من
 كونه هو المراد بهذه الآية عن ابن عباس قال قال رجل بانبي الله اني أقف المواقف أبتغي
 وجه الله وأحب ان يرى موطني فلم يرد عليه شيئا حتى نزلت هذه الآية وعنه قال كان
 جندب بن زهير اذا صلى أو صام أو تصدق فذكر بخير ارتاح له فزاد في ذلك لقالة الناس
 فلا يريده الله فنزل في ذلك فن كان يرجو لقاءه الآية وأخرج أحمد والترمذي وابن
 ماجه والبيهقي في الشعب عن أبي سعيد بن أبي فضالة الانصاري وكان من الصحابة سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول اذا جع الله الاولين والآخرين ليوم لا ريب فيه
 نادى مناد من كان أشرك في عمل الله فليطلب ثوابه من عند غير الله فان الله أغنى
 الشركاء عن الشرك وأخرج الخاكم وصححه والبيهقي عن أبي هريرة ان رجلا قال يا رسول
 الله الرجل يجاهد في سبيل الله وهو يتبعني عرضا من الدنيا فقال لا أجر له فاعظم الناس
 ذلك فعاد الرجل فقال لأجر له وعن شداد بن أوس قال كنا عند الرياء على عهد رسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم الشرك الاصغر وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله
 وسلم يقول من صلى يراني فقد أشرك ومن صام يراني فقد أشرك ومن تصدق يراني فقد

ما في السموات وما في الارض
 ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو
 رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم
 ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو
 معهم أينما كانوا كما قال تعالى
 وما تكون في شأن وما تتلون منه من
 قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا
 عليكم شهودا الآية ومعنى الذين
 اتقوا أي تركوا المحرمات والذين
 هم محسنون أي فعلوا الطاعات
 فهو لا الله يحفظهم ويكافؤهم

أشرك ثم قرأ فن كان ير جوقا به الآية أخرجه أحمد والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي وغيرهم وعن شداد أيضا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان الله يقول أنا خير قسيم لمن أشرك بي من أشرك بي شيئا فان عمله قليله وكثيره لشريكه الذي أشركه أنا عنه غنى أخرجه أحمد وأبو نعيم والطيالسي وأخرج أحمد والحاكم وصححه والبيهقي وغيرهم عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الشرك الخفي ان يقوم الرجل يصلي لمكان رجل وأخرج أحمد وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي عن شداد بن أوس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول أتخوف على امتي الشرك والشهوة الخفية قلت أشرك امتك بعدك قال نعم أما انهم لا يعبدون شمسا ولا قرا ولا حجر ولا وثنا ولكن يرأون الناس باعمالهم قلت يا رسول الله ما الشهوة الخفية قال يصبح أحدهم صائفا فيعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه ويواقع شهوته وأخرج أحمد ومسلم وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ربه انه قال أنا خير الشركاء فمن عمل عملا أشرك فيه غيري فانابري منه وهو الذي أشرك وفي لفظ من أشرك بي أحد افهوله كله وفي الباب أحاديث كثيرة في التحذير من الرياء وانه الشرك الاصغر وان الله لا يقبله وقد استوفاه صاحب الدر المنثور في هذا الموضوع فليرجع اليه ولكنها لا تدل على انه المراد بالآية بل الشرك الخفي يدخل تحته ما دخولا أوليا وعلى فرض ان سبب النزول هو الرياء كما يشير الى ذلك ما قد سنا فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هو مقرر في علم الاصول وقد ورد في فضائل هذه الآية بخصوصها ما أخرجه الطبراني وابن مردويه عن حكيم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو لم ينزل على امتي الاخاتمة سورة الكهف لكتفتهم وأخرج ابن راهويه والبخاري والحاكم وصححه والسيرازي في الالاقاب وابن مردويه عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ في ليلة فن كان ير جوقا به الآية كان له نور من عدن أين الى مكة خشوه الملائكة قال ابن كثير بعد اخر اوجه غريب جدا وعن معاوية بن سفيان انه تلا هذه الآية فن كان ير جوقا به وقال انها آخر آية نزات من القرآن قال ابن كثير وهذا أثر مشكل فان هذه الآية هي آخر سورة الكهف والكهف كلها مكتبة ولعل معاوية أراد انه لم ينزل بعدهما ما ينسخها ولا ما يغير حكمها بل هي مثبتة محكمة فاشتبه ذلك على بعض الرواة فروى بالمعنى على ما فهمه والى هنا انتهى الجزء الثاني (١) من تفسير الكتاب العزيز المسمى (بفتح البيان في مقاصد القرآن) ويتلوه الجزء الثالث ان شاء الله تعالى وكان الفراغ من زبره على يد مؤلفه الفقير الى الله الغني به عن سواه (صديق بن حسن ابن علي الحسيني القنوجي) ختم الله له بالحسن وأذاقه حلاوة رضوانه الأسنى في صبيح الاربعاء لهله تاسع جمادى الآخرة من شهر ر سنة تسع وثمانين ومائتين وألف الهجرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والتحية في بلدة (بهو بال) المحمية صانها الله وأهلها عن الفسوق والبلية وقد أفرغت فيه جهدي وبنات فكرى في نفائس أراها ان شاء

وينصرهم ويؤيدهم ويظفرهم على اعدائهم ومخالفهم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا مسعر عن ابن عون عن محمد بن حاطب قال كان عثمان رضى الله عنه من الذين آمنوا والذين اتقوا والذين هم محسنون

آخر تفسير سورة النحل والله الحمد والمنة وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

(١) قوله انتهى الجزء الثاني أى من تجزئة المؤلف

الله تعالى تجدى فهذا جهد المقل غير محمل بالمقصود ولا عمل فرحم الله امرأً نظرت بعين
الانصاف اليه ووقف فيه على سهو فاطلع على عليه

حمدت الله ربى اذ هدانى * لما أبديت مع عجزى وضعنى

فمن لى بالخطا فارد عنى * ومن لى بالقبول ولو بحرف

ولم يكن قط يخترى بى ويبر فى خلدى أن أنصدى لذلك علمانى بالعجز عن السلوك فى هذه

المسالك وعسى الله تعالى ان يتفجع به تفعا جيا ويفتح به قلوبا غلقا وأعيننا عميا واذانا صميا

ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا ومن أحسن من الله قبيلا زرقنا

الله به هداية الى سبل الحق توفيقا وبصيرة لمبائيه وخبرة بدقائق

معانيه وتحقيقاتها وجعلنا مع الذين أنعم الله عليهم من النبیین

والصديقين والشهداء والصالحين وحسن

أولئك رفيقا وما ذلك على

الله بعزیز

تم

وقال الشيخ العلامة الفقيه والجهيد الفاضل النبيه مجتهد عصره ومفتي مصره انسان
عين الآمال والاماني الشيخ يوسف بن المباركة العربي الشامي نفع الله به الخلق
الافاضى والاداني مقرظاهدا التفسير العظيم ذا الخطر الحسيني مانصه

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

نحمدك يا من جعل العلماء العاملين ورثة الانبياء ورفع مقامهم اعلاما فكانوا للشيعة
والاهتداء منجوما واعلاما وشغلهم بخدمة كتابه فينبوا أحكامه وكشفوا أسرار
وأوضحوا حقائقه وقسموا علومه أقساما ووفقههم بعنايته فقاموا في خدمته بتفسيره
وتأويله وأجروا في كشف حقائقه أفلاما لما علموا انه أرسخ العلوم أصلا وأنورها كلاما
وأسبغها فرعا وأصلا وأحسنها نظاما اذ لا شرف الا وهو السبيل اليه ولا خير الا وهو
الدال عليه وله اماما فأحرزوا بذلك مزايا وربصا صارا وبها عظاما وقذف في قلوبهم
أنوارا يرون بها من المشكلات ما كان بعيدا محتجيا ويفهمونه افهاما منامنه
تعالى عليهم وافضالا وعزوا اكراما فذاقوا حلاوة فهم أسرار كتابه فما وجدوا في طلب
سفره تعبوا ولا سأموا وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
أكرم به رسولا واماما صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاما

(أما بعد) فان الله سبحانه وتعالى لما من علينا بالاجتماع باخينا العلامة المحقق الفهامة
قاضي الجنة حسين بن محسن السبجي حفظه الله وزاده علما وأسبغ عليه بمنه وكرمه
عظيم النعمى في حرمة الشريف بمكة المشرفة شرفها الله وعظمها وادار الكلام
بالمذاكرة بيننا في ذلك المكان الشريف وحلا وراق لنا الوقت في تلك الماتر الشريفة
وانجلي فسألناه عن تلك الديار التي ساقته اليها الاقدار وهل بقي في زوايا تلك الارض
خبيا من العلماء العاملين وأئمة المسلمين وهداة لعباده المؤمنين فذكر لنا الخير الكثير
ومن جملة من ذكره السيد البدر العلامة النواب تاج العلم والها والفهامة الذي علت
مرتبته فوق السها فاجز في وصفه فاعجز وأطال فاطاب وأجاد في كشف مناقبه حين
أجاب وذكروا من جملة مناقبه ان وفقه الله سبحانه لتفسير كتابه بتفسير عظيم ما أنقس
فوائده وانفصع فرائده وأفصح مقالة وأفسح مجاله فلما سمعت بمقالته تشوقنا
لرؤية ذلك الكتاب وروايته فقال لي القاضي المذكور قد طبع بحمد الله منه الجزء
الاول وسأرسل اليه والباقي ان شاء الله يصلحكم على أيدينا من عند السيد العلامة
النواب معجلا به فلما رجعت القاضي المذكور بالسيادة من زيارة سيد الكائنات
أرسله اليها من بندر الحديد فاستبشرت بوروده وحصلت على الفائدة من وفوده
فسرحت في درر معانيه نظري ورضت في رياض حقائق كلامه جوادا فكري فوجدته
تفسيرا اقدر صرح من جواهر معاني التحقيق عارق وغلا وجمع من بديع التفسير ما دق
وعلا ولما كشفت عن طازن جواهره سطورا نور علومه وتاملت بيان مفاتيح الغيب
من منظومه ومنهومه قام لنا بنتم التقدير خطيب نيل أوطاره وكشاف حقائق علومه

وأسراره على منبر الفضل ينادى بأنه من أجل المصنفات في علم التفسير وأعلامها جامعاً
للصحيح من الأقاويل وأسماها عارياً عن الشبه والتخفيف والتبديل برتبة قد سماها
محملي بالأحاديث النبوية الصحيحة مطرزاً بالأحكام الشرعية البيئات مرصعاً
باحسن الاشارات وأوضح العبارات مساقاً بأبلغ إيجاز وأحسن ترتيب مع التسهيل
والتقريب كلماته أزهريته في كتاب وجواهر تكونت من ألفاظ عذاب
ومواهب لا تدرك يبدأ كسباب فسبحان من يرزق من يشاء بغير حساب وكيف لا
ومحاسنه لا توجد مجموعة قبله في كتاب فهو تفسير فاضت عليه أنوار البلاغة والفصاحة
من كل باب ملائحة حسن صنعه الأوراق بمبارق وزين الأفاق بمأفاق كلامه أحلى
في الأفواه من الشهد وأشمى إلى النواظر من النوم بعد الشهد

معان تطرب السمع * لها حكمها بحكام

والفاظ هي الأرواح * حلا أرواح أجسام

فلا بدع صدر هذا التفسير عن علم سابق وفكر ثاقب وذهن رائق ونفس صادق وروية
ملائت علومها المغارب والمشارق وقريحة اذ ذقت جناها وثبتت سسناها تذكرت
ما بين العذيب وبارق فشارك ابن الحسن من الحسن في هذا الفن نوعاً فما أحقه بقول
القائل فيما أجاد صنعا

قطف الرجال القول حين نباته * وقطفت أنت القول لما نورا

فله در ألقاظك يا نواب ولله در رفضلك يا أبواب وأحسن بوابك الهاطل بالبيان وطلت

المغيث بالعرفان على رسل (١) فالك من مجاري * إلى رتب العلاء ولا رسل (٢)

لسانك غواص ولفظك جوهر * وصدرك بحر الفضائل زاخر

وبالجملة فلقد وقفت على هذا التأليف وقوف من أحفم الحصر ورمت التطاول المدحه
فلحق باع القصر واستنطقت لسانى ليعرب عن حسن وصفه فاستحجم واستقدمت
جواد قلبي للجرى في هذا المسدان فاجم وكيف وقد حق لنا بما نقب عليه وقرر
واستخرج من عويصات الأفكار وحرر قول القائل الماهر كم ترك الأول للآخر وعلمنا
ان في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا والمنح الالهية ليست مختصة بقوم دون قوم ولا
مفاضة في يوم دون يوم بل ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فلمعمرى
ان هذا هو التأليف الذى يفخر به العاملون ويمثل هذا فليعمل العاملون لابرحت
حدائق حقايقه زهرة للاحدائق وحقائق بلاغته وحسن تأليفه في جيد الاجادة بمنزلة
الاطواق والله المسئول ان يرفع قدر مقال مؤلفه ومقام قدره ويوضح منهاج التفسير بنور
يدره بمنه وكرمه ولا زال قدوة لمن اقتدى وسراجاً منيراً لمن استرشد واهتدى ونور
الشرية بمعامد صفاته الشريفة فلا زال بها حمدنا سائلاً من الله تعالى ان يديه قراطالعا
في سماء السعادة سامياً مراتب المغاخر والسيادة آمين اللهم آمين والى هنا انتهى
بنا الكلام على ما أردناه من التقرير على هذا المصنف الذى لا يقدر وصفه وقصدهناه

(١) أى مهل اهمنه

(٢) أى موافقك في النضال

اه منه

والصلاة والسلام على من حسن به الابتداء والختام سيدنا ومولانا محمد بدر القمام وعلى
 آله وأصحابه هداة الأنام ما أشرق نجم في الحضراء وأورق نجم في الغبراء آمين اللهم
 آمين * قاله بلسانه وخطه بينانه وحرره بقلمه وبيانه خادم العلم والعلماء
 العبد الاحقر المستحق اسمه ان لا يستطر الفقير الى الله تبارك
 يوسف بن المبارك حسين الشافعي الأشعري
 العريشي اليمني غفر الله له وستر عيبه
 وخلصه آمين اللهم
 آمين

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0037852809

BUTLSTAX

BP

130.4

.M79

1882g

v.5